

# العقيدة الإسلامية ومذاهبها

تأليف

الأستاذ الدكتور

قطار عبد الرحمن الدوري

معلم الدين في الفقه الشافعي والقانون

بجامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمان - المملكة الأردنية الهاشمية

طبعة جديدة منقحة



BOOKS - PUBLISHER

كتاب - ناشر

AL-AQIDA AL-ISLAMIYYA  
WA MADANIBUNA

العقيدة الإسلامية ومذاهبها

**Author :** Prof. Dr. Kahtan Abdul-Rahman Al-Douri

المؤلف : الأستاذ الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري

**Classification :** Islamic Doctrine

التصنيف : عقيدة إسلامية

**Year :** 1437 H. - 2016 A.D

سنة الطباعة : ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

**Pages:** 816

عدد الصفحات : ٨١٦

**Size :** 17 × 24 cm

القياس : ٢٤ × ١٧ cm

**Printed in :** Lebanon

بلد الطباعة : لبنان

**Edition :** Fifth edition of Books-Publisher  
and Sixth of this book

الطبعة : الخامسة عن كتاب ناشرون  
والسادسة من هذا الكتاب

**ISBN :** 978-2-7451-7196-2

All Rights Reserved



Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout Street,  
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon  
Tel : +961 76 944 855-P.O.Box: 11- 374 Riyadh Al-Soloh  
E-mail: books.publisher@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة

1437 H. - 2016 A.D



# العقيدة الإسلامية ومذاهبها

تأليف

الأستاذ الدكتور

قطان عبد الرحمن الدوري

كلية الشريعة والقضاء للدراسات والبحوث

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمان - المملكة الأردنية الهاشمية

طبعة جديدة منقحة



BOOKS - PUBLISHER

كتاب - ناشرون | Beirut - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ  
الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ  
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ  
الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ  
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾





## مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ السَّادِسَةِ

الحمد لله ربَّ العالمين، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

نَفِدَتِ الطَّبْعَةُ الْخَامِسَةُ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، بَعْدَ أَنْ تَقَرَّرَ كِتَابًا مَنْهَجِيًّا فِي جَامِعَاتٍ عَدِيدَةٍ فِي الْعِرَاقِ، وَالْمَمْلَكَةِ الْأُرْدُنِّيَّةِ الْهَاشِمِيَّةِ، وَغَيْرِهِمَا.

لِذَلِكَ رَأَيْتُ إِعَادَةَ طِبَاعَتِهِ لِلْمَرَّةِ السَّادِسَةِ مَعَ تَنْقِيحَاتٍ يَسِيرَةٍ، ابْتِغَاءً تَوْفِيرَهُ لِلْقَارِئِ الْكَرِيمِ.

أَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عَمَّانُ الْمَحْرُوسَةُ

١٤٣٦ هـ = ٢٠١٥ م

الأستاذ الدكتور

قَحْطَانُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدُّورِيِّ

كُلِّيَّةُ الشَّيْخِ نُوحِ الْقُضَاةِ لِلشَّرِيعَةِ وَالْقَانُونِ

جَامِعَةُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ

عَمَّانُ - الْمَمْلَكَةُ الْأُرْدُنِّيَّةِ الْهَاشِمِيَّةِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مُقَدِّمَةُ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رَسُوْلِهِ الْكَرِيمِ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نَفِدتِ الطَّبْعَةُ الْأُولَى مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، الَّذِي اعْتُمِدَ فِي تَدْرِيسِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَمَذَاهِبِهَا فِي جَامِعَةِ آلِ الْبَيْتِ وَغَيْرِهَا. وَكَانَتْ طِبَاعَتُهَا بِحَرْفٍ شَكَا إِلَيَّ بَعْضُهُمْ صُعُوبَةَ قِرَاءَتِهِ لَصُغَرِهِ.

فَرَأَيْتُ أَنْ تَكُونَ طَبْعَتُهُ الثَّانِيَةَ بِحَرْفٍ أَكْبَرَ، مَعَ إِجْرَاءِ تَنْقِيحَاتٍ عَلَيْهِ، تَلِيَّةٌ لِحَاجَةِ أَبْنَائِنَا الطُّلَبَةِ وَالْقُرَّاءِ الْكَرَامِ.

أَرْجُو اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصاً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبُ الدَّعَاءِ. وَأَخِيرًا:

فَإِنَّ الشُّكْرَ مَوْصُولٌ لَوْلَدِي الْعَزِيزِ الْمُدَقِّقِ (يَعْلَى) الطَّالِبِ فِي مَرَحَلَةِ الدِّرَاسَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، قِسْمِ الْفِقْهِ وَأَصُولِهِ، الَّذِي بَذَلَ غَايَةَ جَهْدِهِ فِي إِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ بِهَذِهِ الْحُلَّةِ الْقَشِيَّةِ، وَاخْتِيَارِهِ الْحَرْفَ الْجَمِيلَ، وَمَتَابَعَةَ طِبَاعَتِهِ.

أَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوفِّقَهُ لَخِدْمَةِ دِينِهِ وَأُمَّتِهِ، آمِينَ.

عَمَّانُ الْمَحْرُوسَةِ

١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

الأستاذ الدكتور

قحطان عبد الرحمن الدُّورِي

كَلِيَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالْقَانُونِ - جَامِعَةُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّةِ

عَمَّانُ - الْمَمْلَكَةُ الْأُرْدُنِّيَّةُ الْهَاشِمِيَّةُ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مُقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الْأُولَى

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
الْغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

جاءت الأديانُ السماوية لِتُنْقِذَ الْعَقْلَ الْإِنْسَانِي مِنْ مَهَاوِي الضَّلَالَةِ، وَدِيَاغِيرِ الظَّلَامِ.  
وجاء الإسلام خاتمة الشرائع، دِينًا فِيهِ صَلَاحُ النُّفُوسِ وَرَاحَةُ الْقُلُوبِ وَانْتِظَامُ الْعَالَمِ.  
لِذَلِكَ تَكْفُلُ بَيَّانُ الْأُمُورِ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُنظَّمَ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ مِنْ جَوَانِبِهَا  
الثلاثة:

١- الْأُصُولُ الْعَقْدِيَّةُ، وَغَايَتُهَا إِثْبَاتُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِإِيرَادِ الْحُجَجِ عَلَيْهَا  
مِنَ الْأَدِلَّةِ الْيَقِينِيَّةِ، وَدَفْعِ الشُّبُهَةِ عَنْهَا.

٢- الْمَبَادِئُ الْأَخْلَاقِيَّةُ، وَغَايَتُهَا نَشْرُ الْفَضَائِلِ وَالْبَعْدُ عَنْ الرِّذَائِلِ، بِغَرْسِ الصِّفَاتِ  
الَّتِي تَصْدُرُ عَنْهَا الْأَفْعَالُ الْخَيْرِيَّةُ فِي النُّفُوسِ، مِنْ: الْأَمَانَةِ، وَالْوَفَاءِ، وَالصَّدْقِ، وَالْعَدْلِ،  
وَالْتَوَاضُعِ، وَالتَّسَامُحِ، وَالتَّعَاوُنِ، وَالتَّحَابِ... إلخ.

٣- الْأَحْكَامُ الْعَمَلِيَّةُ، وَغَايَتُهَا تَنْظِيمُ الْمَجْتَمَعِ فِي أَحْوَالِهِ كُلِّهَا، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ،  
بِتَنْظِيمِ عِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِخَالِقِهِ فِي النِّظَامِ الرُّوحِيِّ، وَعِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِأَخِيهِ الْإِنْسَانِ فِي  
النِّظَامِ الْاجْتِمَاعِيِّ، وَعِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ بِالْمَالِ فِي النِّظَامِ الْاِقْتِصَادِيِّ، وَعِلَاقَةِ الْإِنْسَانِ  
بِرِئَاسَةِ الدَّوْلَةِ فِي النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ....

وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْإِسْلَامُ بَعْدْلَهُ وَرَحْمَتُهُ قَدْ شَمَلَ جَمِيعَ مَنَاحِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ

والأخروية. وهذا مصداق قوله تعالى في رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ - الأنبياء ١٠٧.

وموضوع كتابنا هذا هو الجانب الأول (علم العقيدة الإسلامية) الذي يُعنى بدراسة: الإلهيات، والنبيّيات، واليوم الآخر، ومذاهب المسلمين فيها.

وقد سمّى علّماء الكلام هذا الجانب (أصول الدين)، لأنه أصل للمعارف الدنيّة الأخرى من المبادئ الأخلاقية والأحكام العمليّة.

وقد وقف المتكلمون طويلاً عند نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الواردة في بيان العقائد، واختلفوا في فهم بعض النصوص، وكان هذا من أسباب ظهور مذاهب مُختلفة في تاريخنا الإسلامي من: خوارج وشيعة ومُرجئة وجبرية وقدرية ومُعترلة وأشاعرة وماتريدية وسَلَفِيّة ...

وكان من منهج الكلية أن يدرس الطالب هذا الفكر الإسلامي العقديّ، ومذاهبه التي ظهرت منذ صدر الإسلام.

فدعاني هذا إلى تأليف كتاب في (العقيدة الإسلامية ومذاهبها) يُلبّي متطلبات المنهج المقرر، يقف به الطالب على أرض صلبة في ميادين الصراع الفكري في عالم اليوم، حيث يفهم به عقيدته الحقّة بأدلتها اليقينية، ويدرك المذاهب الإسلامية المُختلفة فيها، ليزب عنها الشبهات وما يثار حولها من دعاوى.

من أجل هذا اشتمل الكتاب على سبعة فصول:

**الفصل الأول:** مدخل إلى العقيدة الإسلامية، فيه: تعريفها، وأهميتها، وخصائصها، وأدلة إثباتها، ومنهج القرآن الكريم في عرضها، وحالة العقائد زمن الرسول مُحَمَّد ﷺ وبعده.

**والثاني:** المذاهب الإسلامية وتفسير نشأتها، وذكر أهمها مما قرره منهج الكلية، ثم أصول الدين عند المذاهب الإسلامية وما اتفقوا عليه منها، وما اختلفوا فيه، وحقيقة ذلك الاختلاف.



والثالث: حقيقة الإيَّان وأهميته في الحياة.

والرابع: الإلهيَّات، وفيه: أدلَّة وجود الله تعالى، وصفاته بأنواعها وما يترتب عليها.

والخامس: النُّبُويَّات، وفيه: بيان حاجة الإنسان إلى هُدي النُّبُوَّة، والنُّبُوَّة العامة، والخاصة وهي نُبُوَّة سَيِّدنا مُحَمَّد ﷺ.

والسادس: اليَوْم الآخر ومشاهد القيامة.

والسابع: الكفر والتكفير، وحكم تكفير أهل القِبْلَة، وجزاء المُرتدِّ.

وحاولتُ جَهْدَ إمكاني في هُذا الكتاب أن أُرَكِّز الكلام في مادته العِلْمِيَّة، وأكثِر من العَزْو إلى المصادر المعتمدة الأصِيلَة في مَذاهبها المُخْتَلِفَة، مُثْقِلًا بها هوامش كثير من الصفحات، حرصاً مني على أن يكون مرشداً نافعاً للطَّالِب في فهم عقيدته، ومُعِيناً له في كتابة الأبحاث العِلْمِيَّة المقارنة، والتعرُّف على مصادر المَعْلُومَات عن هُذه الجزئيات التي تضمنها الكتاب، والوقوف على ما يقوله أصحاب المَذاهب الأُخْرَى في المَسْأَلَة.

وعندئذٍ يعرفُ الطَّالِب حقيقة الاختلاف بينها، ويعلم أن ذلِكَ الاختلاف ما كان إلَّا في مَسائِل فرعية، لا تستلزم تكفير أحد للآخر، ما دام يؤمن بأركان العَقِيْدَة الثلاثة التي تتفق عليها جميع المَذاهب الإسلاميَّة، وهي: الإيَّان بالله، ورُسُوله، واليَوْم الآخر، لأن هدفنا هو أن نَجْمع ولا نُفَرِّق، قال سُبْحانُه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ - آل عِمْران ١٠٣.

إلَّا أن البعض رأى جهلاً منه أن هُذا الاختلاف بين المَذاهب هو اختلاف تَضادٍّ لا اختلاف تَنوُّع، فدعاه إلى التعصب لمَذْهَبه، وعظمت في نفسه هَوَّة الخلاف بين تلك المَذاهب، وظهرت الطائفية المَقِيَّتَة، وتولَّدت الفُرْقَة الذِّمِيَّة، مما أدى إلى خلاف مَرِيرٍ بين المُسْلِمِينَ.

لكن تلك الفرقة نبذها الإسلام، وأنكرها العلماء، فما كانت إلا صدى لأمر خارجة عن حقيقة الدين الإسلامي كالأمر السياسي والأهواء الشخصية ونحوها. ورأيت أن أختار لهذا الكتاب الحرف الجميل، وأن أكتب الآيات القرآنية الكريمة بخط المصحف، وأن أضبط بالشكل الأعلام وكثيراً من الكلمات، حرصاً مني على سلامة القراءة.

أسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وأن يجمع شمل المسلمين، ويوحد كلمتهم، ليكونوا مصدر خير للعالم كما كانوا في صدر الإسلام. إنه سميع مجيب الدعاء.

المفرق المحرّوسة

١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م

الأستاذ الدكتور

قحطان عبد الرحمن الدُّوري

عميد كلية الدراسات الفقهية والقانونية - جامعة آل البيت

المفرق - المملكة الأردنية الهاشمية

# الفصل الأول

## المدخل إلى العقيدة الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العقيدة الإسلامية وأدلة إثباتها:

تعريف العقيدة الإسلامية لغة واصطلاحاً.

أسماء علم العقائد.

علم العقائد أساس العلوم الشرعية.

أهمية العقيدة الإسلامية.

خصائص العقيدة الإسلامية.

أدلة إثبات العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في عرض العقيدة الإسلامية.

المبحث الثالث: حالة العقائد زمن الرسول محمد ﷺ وبعده.





## المبحث الأول العقيدة الإسلامية وأدلة إثباتها

### تعريف العقيدة الإسلامية

العقيدة لغة: قال ابن فارس: (عقد) العين والقاف والدا ل أصل واحد، يدل على شدّ وشدّة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها<sup>(١)</sup>. ومن ذلك: عقد الحبل والبيع والعهد يعقد: شدّه<sup>(٢)</sup>.

وعاقدته مثل عاهدته، وهو العقد، والجمع العقود، قال تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ - المائدة ١.

والعقد: عقد اليمين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ - المائدة ٨٩.

وعقدة النكاح وكل شيء: وجوبه وإبرامه<sup>(٣)</sup>.

واعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير<sup>(٤)</sup>.

وهذه المعاني كلها دالة على الشدّ وهو نقيض الحلّ. قال الزبيدي: والذي صرح

(١) مُعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ مادة (عقد) ج ٤ ص ٨٦.

(٢) الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مادة (عقد) ص ٣٨٣.

(٣) مُعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ السَّابِق. وانظر: أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ مادة (عقد)، والمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ مادة (عقدت) ص ٤٢١ والقَامُوسُ الْمُحِيطُ السَّابِقُ مادة (عقد).

(٤) الْمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ السَّابِق.

به أئمة الاشتقاق أن أصل العقد نقيض الحل...، ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم<sup>(١)</sup>.

والعقيدة اصطلاحاً: علم العقائد: هو علم يقتدر معه إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه. والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>.

### أسماء علم العقائد

سُمي هذا العلم بأسماء عديدة، منها:

١- الفقه الأكبر. وهي تسمية الإمام أبي حنيفة، وذكر أن: (الفقه في الدين أفضل من الفقه في الأحكام، ولأن يتفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير)<sup>(٣)</sup>.

٢- علم التوحيد. وسُمي بهذا الاسم لأن أشهر مباحثه وأهمها هو مبحث التوحيد<sup>(٤)</sup>.

٣- أصول الدين<sup>(٥)</sup>. وسُمي بذلك لأنه يتكفل ببيان الأصول الاعتقادية، وهي ما

(١) تاج العروس مادة (عقد) ج ٢ ص ٤٢٦.

(٢) المواقف للإيجي ج ١ ص ٣٤ و ٣٨. وعرفه السعد التفتازاني في المقاصد ج ١ ص ١٦٣ بقوله: علم الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة يقينية.

(٣) الفقه الأبسط ص ٤٠.

والفقه الأبسط هو رواية أبي مطيع عن أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، وهو الفقه الأكبر رواية أبي مطيع، وعرف بالفقه الأبسط تمييزاً له عن الفقه الأكبر رواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه.

(٤) شرح الحريرة للدردير والصاوي عليه ص ٢٦.

(٥) المصدر السابق.

وقد سمي البغدادية كتابه (أصول الدين)، وكذلك جمال الدين الغزنوي كتابه (أصول الدين).

يتعلق بالالهيات والنبويات واليوم الآخر.

وهذه التسمية مقابل علم الفقه الذي يتكفل ببيان الأحكام العملية الفرعية، ومقابل علم الأخلاق والسلوك<sup>(١)</sup>.

٤- علم الكلام. وسمي بذلك لأمر منها:

أ- لأن مسألة كلام الله وخلق القرآن من أشهر مباحثه وأكثرها جدلاً، حتى كثر فيه الخصام<sup>(٢)</sup>.

ب- لأنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم، مثله كمثّل علم المنطق بالنسبة للفلسفة<sup>(٣)</sup>.

ج- لأن أصحابه تكلموا في أمور سكت عنها أهل السلف من الصحابة والتابعين، كمسائل الصفات والقدر<sup>(٤)</sup>.

### علم العقائد أساس العلوم الشرعية

جميع العلوم الشرعية مبنية على هذا العلم، لأنه إذا لم يثبت وجود صانع عالم قادر مُرسِل للرسل ومنزل للكتب لم يتصور علم التفسير والحديث ولا علم الفقه وأصوله. فكلها متوقفة على علم الكلام مقتبسة منه، والآخذ فيها بدونه كمن يبني على غير أساس<sup>(٥)</sup>.

(١) كتابنا: أصول الدين الإسلامي ص ١٥.

(٢) المواقف ج ١ ص ٦٠ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٥ والصاوي على الدردير السابق.

(٣) المواقف، وشرح العقائد النسفية، السابقان.

(٤) كتابنا: أصول الدين الإسلامي السابق.

(٥) المواقف، وشرحه للسيد الشريف ج ١ ص ٥١.

ومن فوائد دراسة هذا العلم:

- ١- الترقى من خضوض التقليد إلى ذروة اليقين، وهي المنزلة العالية المرادة بقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ - المجادلة ١١.
  - ٢- إرشاد المُستَرشدين بإيضاح السبيل لهم إلى عقائد الدين، وإلزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم.
  - ٣- حفظ عقائد الدين عن أن تزلزلها شبهة المبطلين<sup>(١)</sup>.
- وهذا ما تضمنه تعريفُ الإيجي لعلم العقائد المتقدم آنفاً.

### أهمية العقيدة الإسلامية

تتجلى أهمية العقيدة الإسلامية في حياة المسلم بما يأتي:

- ١- تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى. فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليعمر الأرض، قال سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ - هود ٦١<sup>(٢)</sup>.
- وجعله عز وجل خليفة له، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ - البقرة ٣٠.
- وسخر له مخلوقاته، قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ - لقمان ٢٠.
- وجهزه بملكات وصفات ليقوم بمهمة خلافته في الأرض، فخلق له العقل فأدرك ما حوله، وجبله على الأنانية فملك المال وغيره، قال عز وجل: ﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ - النساء ١٢٨، وأودع فيه القوة فسيطر على الآخرين، وبث فيه العواطف

(١) المواقف، وشرحه للسيد الشريف، السابقان.

(٢) استعمركم فيها: جعلكم عمارها وسكانها. / تفسير القرطبي.



فأحبَّ وكره وغضب.

إلا أن هذه المَلَكات والصفات سلاح ذو حدين، فإن استُعملت على الوجه الصَّحِيح جاءت بالخير الوفير، وإن استُعملت بالوجه الآخر جاءت بالشرِّ الوَبيل، فصفة القوة مثلاً تدفع صاحبها إلى ظلم الآخرين استعبادهم وغضب أموالهم وانتهاك حرماهم، كما هو معروف في التاريخ، فكان ذلك مصدر شقاء بدل أن تكون مصدر راحة وسعادة.

لذلك لا بد من توجيه هذه الصفات إلى الوجهة الصالحة، والطريق الوحيد لذلك هو العقيدة، فإذا آمن الفرد بوجود الله تعالى ووحدانيته، وأنه لا قوة إلا قوته، وأنه الرَّقِيب على عبادِهِ، والمحاسب لهم يوم القيامة على ما قدموه من عمل في حياتهم الدنيا، شعر هذا الفرد عندئذ بأنه عبد لهذا الإله، فتقلب تلك الصفات إلى وسائل للسَّعادة في الحياة، فتغدو نزعة التملك وسيلة لإقامة حياة عادلة، ونزعة القوة والبطش وسيلة إلى حراسة الحقوق، ونزعة العلم قَبساً هادياً. وعند ذلك ينزل المُتَكَبِّرون عن عليائهم، ويرتفع المستضعفون عن ذلهم وصغارهم<sup>(١)</sup>.

وبذلك يتحرر الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ - القصص ٨٨.

٢- تحرير العقل من التقليد الأعمى والأوهام، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (٢٠) وإذا قيل لهم اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١) - لقمان.

والدعوة إلى التفكير وإعمال العقل، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ - الأنعام ٥٠، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ

تَقُولُونَ ﴿ - آلِ عِمْرَانَ ١١٨ .

٣- الالتزام بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من أوامر، والانتهاز عن نواهيه، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ - آلِ عِمْرَانَ ١٣٢، وقال عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ - الأحزاب ٣٦ .

والاعتقاد بالله رباً وبمحمد ﷺ نبياً هو أساس تحكيم كتابه عز وجل، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ - النساء ٦٥ .

٤- تربية الضمير اليقظ، الذي يغدو به صاحبه محاسباً نفسه عما قدم من أعمال، قال ﷺ: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا)<sup>(١)</sup>، لأن الله تعالى يحاسب الناس على أعمالهم، قال سبحانه: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ - البقرة ٢٨٤ .

فراقب الله سبحانه وتعالى على الدوام في عبادته وعمله وأكله وشربه وعلاقته بأسرته ومجتمعه، قال ﷺ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السِّيْئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ)<sup>(٢)</sup> .

(١) حَدِيث: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ... إلخ: ذكره الرَّاظِي فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى ص ٢٦٢. لَكِنه ورد فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ فِي: ٣٤ كِتَابِ صِفَةِ الْقِيَامَةِ، ٥٩ بَاب، رَقْم ٢٤٥٩، ص ٤٠٢: (وَيُرَوَّى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ، وَإِنَّمَا يَخِيفُ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا). وَروى الأثر أيضاً فِي الْكِتَابِ الْمُنْصَفِ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي: ٣٣ كِتَابِ الزَّهْدِ، ٨ كَلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَقْم ٣٤٤٤٨، ج ٧ ص ١١٥ بَلْفَظ: (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ تَعْرَضُونَ لَا يَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ).

(٢) حَدِيث: اتَّقِ اللَّهَ... إلخ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ

لأنه يعلم أن الله عزَّ وجلَّ يجزيه على كل أعماله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) - الزلزلة.

فإذا كانت بيده أموال غيره مثلاً لا يخون ولا يغدر، لأنه يقول: إني أخاف الله. وبذلك يكون الإحساس بالمسؤولية والانضباط.

٥- تَهْذِيبُ السُّلُوكِ وَالْأَخْلَاقِ<sup>(١)</sup>. فيكون المسلم بتأثير العقيدة الإسلامية:

- عَزِيزَ النَّفْسِ، حَرًّا، شُجَاعًا لَا يَخْضَعُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى. قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ - المنافقون ٨، لأنه يرى أن الأجل بيد الله تعالى وحده.

- متواضعاً للمؤمنين، قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ - المائدة ٥٤.

- غير مُتَكَبِّرٍ وَلَا فَخُورٍ، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ - لقمان ١٨.

- مَحِبًّا لِلْآخِرِينَ بَارًّا بِهِمْ، قال ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)<sup>(٢)</sup>، وقال ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة)<sup>(٣)</sup>.

والبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ. وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ عَنْ مُعَاذٍ. وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَنَسٍ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ١٤.

(١) انظر تأثير العقيدة في الفرد والمجتمع في: الإيذان والحياة، والعقيدة الإسلامية وأسسها ص ٢٩ وعقيدة التوحيد في القرآن الكريم ص ٣٨.

(٢) حَدِيثٌ: لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ... إلخ: أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَنَسٍ. وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٥٨٦.

(٣) حَدِيثٌ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ... إلخ، في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ٤٥ كتاب البرِّ والصَّلة، ١٥ باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٨٠، عن سالم عن أبيه (عبد الله بن عمر).

- مؤثراً غيره على نفسه في بذله وعطاءه، قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ - الحشر ٩، لأنه يحسب أن الرزق إلى الله وحده.

- أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر وصَبُوراً على البلاء، قال تعالى: ﴿يَبْتَغِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ - لقمان ١٧.

- عاملاً متقناً عمله ومخلصاً فيه بعيداً عن التواكل والتكاسل، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا بِسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ - التوبة ١٠٥، وقال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَقِنَهُ)<sup>(١)</sup>.

- قدوة ومثالاً حسناً في كل ما يقول ويفعل، متحلياً بالخلق الرفيع والعمل الصالح، اقتداء بالرسول مُحَمَّد ﷺ الأُسوة الحسنة للناس، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ - الأحزاب ٢١، الموصوف بقوله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ - القلم ٤.

وبذلك تكون العقيدة الإسلامية الأساس الأول في بناء شخصية المسلم، فيكون عضواً نافِعاً في المجتمع، يهدف إلى مرضاة الله تعالى في كل ما يقوم به من أعمال، ويجعل قوله تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اللَّهِ أَنَقَنَكُمُ﴾ - الحُجرات ١٣ نُصَبَ عينيه إذا فاضل بين الناس.

فإذا صلح حال الأفراد صلحت الأسرة ثم المجتمع، وكانت الأمة عندئذٍ خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ - آل عمران ١١٠.

مثلها في التراحم والصلة كالجسد الواحد، قال ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ

(١) حَدِيث: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ... إلخ: رواه البيهقي في شعب الإيمان، عن عائشة. / الجامع الصغير للسيوطي ص ١١٥ وضعفه.



وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى<sup>(١)</sup>.

تشهد على الأمم، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ - البقرة ١٤٣.

### خصائص العقيدة الإسلامية

تتميز العقيدة الإسلامية بخصائص أهمها:

١ - مصدرها إلهي، وليس للبشر نصيب في وضع أسسها، فالقرآن الكريم كتاب الله وهو مصدر الشريعة الإسلامية الأول أنزله على الرسول محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ - النحل ٨٩.

وتكفل الله بحفظه حيث قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - الحجر ٩.

فالعقيدة الإسلامية، وهي ركن الإسلام الأول، وحي أوحى الله تعالى بها إلى رسوله الكريم ﷺ، فلا مجال للتغيير والتحريف، قال عز وجل: ﴿وَإِذَا قُتِلَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ - يونس ١٥، فلها قدسيّتها وهيبتها في نفوس المسلمين، فتحترم وتطاع طاعة اختيارية لا إجبار عليها ولا إكراه.

(١) حديث: مثل المؤمنين... إلخ: رواه أحمد في مسنده ومسلم عن النعمان بن بشير. وهو صحيح. / الجامع الصغير ص ٤٩٨. واللفظ لمسلم في صحيحه، ٤٥ كتاب البر والصلة، ١٧ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاوضهم، رقم ٢٥٨٦، عن النعمان بن بشير.

بخلاف النظريات والأفكار والمبادئ المستوحاة من فكر البشر، التي يعثرها التغيير والنقض المستمر من قبل الحاكِم أو رجل الدين أو الآخرين.

٢- استقلالها عن غيرها من العقائد، فهي قائمة بذاتها، مصدرها الرئيس كتاب الله العزيز وهو القرآن الكريم، ومصدرها الثاني السنة النبوية المشرفة.

فهي لا تقرّ المادية الملحدة التي تجحد وجود الله تعالى، ولا الوثنية، ولا الاعتقاد بأكثر من إله، لأنها قائمة على توحيد الله المطلق، قال عز وجل: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (١١) عليم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴿٩٢﴾ - المؤمنون.

٣- ملاءمتها للفطرة الإنسانية، قال تعالى: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ أَلَدِينُ الْقِيَمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ - الرُّوم ٣٠. فالإسلام دين الفطرة، والفطرة كما قال ابن عطية هي: (الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدودة مهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه جلّ وعلا، ويعرف شرائعه ويؤمن به، وقيل: الفطرة: الملة أو الدين) (١).

ومنه قوله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...).

فلم يقل: أو يسلمانه، لأن الإسلام هو الفطرة، لذا ورد في رواية أخرى: (يولد على الملة)، وفي أخرى (على هذه الملة) (٢).

(١) تفسير المحرر الوجيز ج ١١ ص ٤٥٣-٤٥٤.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣-٣٤ والروايتان الأخيرتان لمسلم.

وفي الهامش: حديث: كل مولود على الفطرة... إلخ: أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأحمد ومالك وغيرهم.

٤- نصوصها النقلية لا يعارضها العقل. مبدأ إثبات العقيدة الإسلامية وبيان قواعدها هو النص من القرآن الكريم والسنة النبوية، لكن لم يكن ذلك من باب الاعتقاد الأعمى، بل أقام عليه الأدلة من العقل، وطلب من البشر أن يفكروا لتمتلي نفوسهم إيماناً، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - يونس ١٠١، وقال عز وجل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (٢٠) ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١١) - الذاريات.

وأقام القرآن الكريم الأدلة على وجوده تعالى ووحدانيته، والنبوة، واليوم الآخر وبعث الأجساد فيه من القبور، وعلى سائر جزئيات العقيدة.

وقد بين ابن تيمية: أنه لا يوجد قط نص صحيح يخالف العقل. وإذا وجدت المخالفة إما أن تكون مخالفة ظاهريّة وإمكانية الجمع بينهما حاصلة، وإما أن تكون المخالفة ناشئة عن علة في العقل، كأن يكون صاحبه من أهل البدع والأهواء، فيحاول أن يلوي النص ليوافق عقله، وإما أن تكون المخالفة من جهة أن نسبة النقل إلى النبي ﷺ غير صحيحة<sup>(١)</sup>.

### أدلة إثبات العقيدة الإسلامية

أدلة إثبات العقيدة الإسلامية نوعان: نقلية وعقلية.

أما الأدلة النقلية فهي نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الثابتة عن رسول الله ﷺ.

وأما الأدلة العقلية فهي المبنية على البراهين اليقينية التي يقيمها العقل، وهي مبنوثة في ثنايا الكلام على مسائل العقيدة كلها.

(١) من كتب في هذه الخصائص: د. عبد الكريم زيدان: المدخل إلى دراسة الشريعة الإسلامية ص ٣٥ و د. محمد ملكاوي: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ص ٢٨. وكلام ابن تيمية في كتابه (درء تعارض العقل والنقل) المشهور باسم (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول).

## الأدلة النقلية:

اتفق العلماء على أن المصدر الأول الذي ثبت به العقيدة الإسلامية هو القرآن الكريم والحديث المتواتر<sup>(١)</sup>، وكلاهما قطعي الثبوت عن رسول الله ﷺ، بشرط أن تكون دلالة كل منهما قطعية صريحة لا تحمل التأويل.

ولكن العلماء اختلفوا في خبر الآحاد - وهو الذي يرويه راوٍ أو أكثر لم يبلغوا حد التواتر - هل ثبت به العقيدة أو لا؟ على أقوال:

**القول الأول:** أحاديث الآحاد لا تثبت بها العقيدة، وهي تفيد العمل بها دون العلم، أي: دون القطع. وهو مذهب أكثر أهل العلم وجمهور أهل الفقه والنظر كما ذكر ابن عبد البر في التمهيد، وجماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول كما ذكر النووي في شرح صحيح مسلم<sup>(٢)</sup>.

(١) الحديث المتواتر: هو ما رواه عن رسول الله ﷺ جمع يتمتع عادة أن يتواطأ أفرادُه على الكذب، لكثرتهم وأمانتهم واختلاف وجهاتهم وبيئاتهم، ورواها عن هذا الجمع جمعٌ مثله، حتى وصلت إلينا بسندٍ، كلُّ طبقةٍ من رواته جمعٌ لا يتفقون على كذب، من مبدأ التلقي عن الرسول ﷺ إلى نهاية الوصول إلينا. مثل السنن العملية في أداء الصلاة والصيام... / علم أصول الفقه لعبد الوهاب خَلَّاف ص ٤١.

(٢) وكذا حكاها في الإرشاد والتقريب، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي والرواية المشهورة عن أحمد، وعليه أكثر الحنابلة، وبه قال ابن تيمية في منهاج السنة، والقرافي في تنقيح الفصول وشرحه، وأبو منصور البغدادي في أصول الدين، والأسنوي، والباقي في الإشارة وتحقيق المذهب وإحكام الفصول، وإمام الحرمين في البرهان والورقات، والغزالي في المستصفى، وأبي إسحاق الشيرازي في التبصرة واللمع، والخطيب البغدادي في الكفاية، والفخر الرازي في المطالب العالية والمعاليم وأساس التقديس، وابن الأثير في مقدمة جامع الأصول، وابن الحاج في منتهى الوصول، وصدر الشريعة في التنقيح وشرحه التوضيح، والسعد التفتازاني

ومن حجج هذا القول:

١- لو أفاد خبر الواحد العلم (القطع) لوجب تصديق كل خبر نسمعه، لكننا لا نصدق كل خبر نسمعه ولو كان ناقله ثقة، فهو لا يفيد العلم.

٢- لو أفاد خبر الواحد العلم لجاز نسخ القرآن ومتواتر السنة به، لكونه بمنزلة ما في إفادة العلم، لكن نسخ القرآن ومتواتر السنة به لا يجوز لضعفه عنهما، فدل أنه لا يفيد العلم.

٣- لو أفاد خبر الواحد العلم لجاز الحكم بشاهد واحد، ولم يحتج معه إلى شاهد ثانٍ، ولا إلى يمين عند عدمه، والحكم بشاهد واحد بمجرد غير جائز بالاتفاق، وذلك دليل على أنه لا يفيد العلم.

٤- ثبت عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنهم قد ردوا بعض الأحاديث الأحادية

في التلويع، والسمرقندي في ميزان الأصول، والبرزدوي وشارحه عبد العزيز البخاري، والسرخسي في أصوله، والجصاص في الفصول، وابن جزئي في تقريب الوصول إلى علم الأصول، وابن برهان في الوصول إلى الأصول، وابن السبكي في جمع الجوامع والمحلّي عليه، وابن عبد الشكور في مسلم الثبوت، وابن عاصم في مرتقى الوصول وشارحه في نيل السؤل، وأبو الخطاب الحنبلي في التمهيد، وصفي الدين البغدادي الحنبلي في قواعد الأصول، وابن قدامة في روضة الناظر وحاشيته لابن بدران، والطوفي في البلبل في أصول الفقه، والسفاري في الحنبلي في لوائح الأنوار السنية، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا في المنار، والصنعاني في إجابة السائل، والشنقيطي في مراقبي الصعود، وغيرهم، وبهذا القول قال الإباضية قاطبة، والمعتزلة، والزيدية، وجمهور الحنفية والشافعية، وجماعة من الظاهرية.

وردت نصوص هؤلاء العلماء وغيرهم في كتاب السيف الحاد في الرد على من أخذ بحديث الأحاد في مسائل الاعتقاد لسعيد بن مبروك القنوبي ص ٦١-٧٨ و ص ٧-٨. وانظر: روضة الناظر لابن قدامة وشرحها نزهة الخاطر العاطر لابن بدران ج ١ ص ٢٦١ ولوامع الأنوار البهية ص ١٧-٢٠.

لمعارضتها ظاهر القرآن أو بعض الروايات الأخرى، فلو كانت أخبار الآحاد تفيد القطع لما ردّوها<sup>(١)</sup>.

القول الثاني: أخبار الآحاد يُحتج بها في المسائل العقديّة، وأنها تفيد القطع. فهي تفيد العلم الظاهر والعمل معاً. وهو مذهب كثير من أهل الأثر وبعض أهل النظر كما قال ابن عبد البر في التمهيد، وبعض الظاهريّة منهم ابن حزم<sup>(٢)</sup>، وذكره ابن تيمية عن القاضي عبد الوهاب المالكي والإسفرائيني والقاضي أبي الطيب الطبري وابن فورك وآخرين<sup>(٣)</sup>.

ومن حجج هذا القول:

- ١- أن النبي ﷺ حين كان يلتقي الناس أفراداً وجماعات في موسم الحج كانوا يرجعون إلى بلدانهم، فيخبرون أقوامهم بما سمعوه منه عليه الصلاة والسلام، فدل على أن خبر الآحاد تقوم به الحجة في قضايا العقائد كالقضايا الفرعية الفقهيّة.
- ٢- أهل قباء أخذوا بخبر الواحد في التحول إلى القبلة، وأقرهم الرسول ﷺ على ذلك.

وأجيب على هذه الأدلة:

بأن الأصول الاعتقاديّة قد انتقلت عن طريق التواتر القطعي، لشبوع أمر الدعوة بحيث لم يخف على أحد.

(١) السيف الحاد السابق ص ١٣-١٨ و ٧٥.

(٢) السيف الحاد السابق. وفيه أيضاً: وبه قال بعض أهل الحديث كما ذكر النووي في شرح مسلم، والحسين بن علي الكرابيسي، وبعض الحنابلة، وذكر ابن خويز مننداد من المالكية أن هذا القول يُخرج على مذهب مالك. وهذه أسماء واردة في النصوص التي اقتبسها القنوبي في السيف الحاد من أقوال العلماء.

(٣) اختصار علوم الحديث ص ٣٦.

أما المسائل الفقهية فلا مانع من أن يبلغها واحد بالاتفاق<sup>(١)</sup>.

القول الثالث: إن ما أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما أو رواه أحدهما مقطوع بصحته، والعلم اليقيني النظري واقع به، وهو ما اختاره ابن الصلاح، واستثنى أحاديث قليلة تكلم عليها علماء الحديث<sup>(٢)</sup>.

قال النووي في التقریب: خالف ابن الصلاح المحققون والأكثر، فقالوا: يفيد الظن ما لم يتواتر<sup>(٣)</sup>.

والذي يظهر: أن كلام جمهور العلماء في أن العقائد لا تثبت بخبر الواحد، يراد به: أن الاعتقاد هو عقد القلب على الثابت الذي لا يمكن أن يطرأ عليه في وقت من الأوقات خطأ ولا وهم، وذلك لا يمكن حصوله إلا بنص الكتاب والمتواتر من سنة رسول الله ﷺ، بشرط أن تكون دلالة كل منهما نصاً صريحاً لا يحتمل التأويل، وما عدا ذلك لا يمكن الاعتماد عليه في باب الاعتقاد<sup>(٤)</sup>.

قال الشيخ محمūd شلتوت بعد أن نقل نصوصاً عن الغزالي والأسنوي والبرزدوي في أن رواية الأحاد تفيد الظن: وهكذا نجد نصوص العلماء من متكلمي وأصوليين مجمعة على أن خبر الأحاد لا يفيد اليقين، فلا تثبت به العقيدة...، وليس معنى هذا أنه لا يحدث علماً لإنسان ما، فإن من الناس من يحدث العلم في نفسه بما هو أقل من خبر الواحد الذي نتحدث عنه، ولكن لا يكون ذلك حجة على أحد، ولا تثبت به عقيدة يُكفر جاحدها، فإن الله تعالى لم يكلف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه أن لا يفيد إلا الظن. ومن هنا يتأكد أن ما قررناه من أن أحاديث الأحاد لا تفيد عقيدة ولا

(١) السيف الحاد السابق ص ٥٧.

(٢) الباعث الحثيث ص ٣٦.

(٣) السيف الحاد السابق ص ٨٣ وما بعدها، وأورد نصوصاً في ذلك.

(٤) السيف الحاد ص ٢٣.

يَصَحُّ الاعتماد عليها في شأن المغيبات قولٌ مَجْمَعٌ عليه، وثابتٌ بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء<sup>(١)</sup>.

فقول العلماء: إن العقائد لا يقبل فيها إلا المتواتر، يريدون به أن العقائد هي ما يكفر جاحده<sup>(٢)</sup>.

وعليه: فإن من أنكر عَقِيْدَةً ثبتت بدلالة ظنية في نص قطعي الثبوت، أو ثبتت بدلالة قطعية في نص ظني الثبوت كالأحاديث الآحاد، أو بدلالة ظنية في نص ظني الثبوت فإنه لا يكفر بذلك<sup>(٣)</sup>.

(١) الإسلام عَقِيْدَةٌ وشريعة ص ٦٠-٦١.

(٢) الْمُخْتَصَرُ الْمُفِيدُ فِي شَرْحِ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ ص ١٧.

(٣) العَقِيْدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَأَسْسَاهَا ص ٣٨.

(تَنْبِيْهُ): نصوص القرآن الكريم:

هي من جهة الورود (أي: ثبوتها عن النبي ﷺ): قطعية الثبوت كلها، فنجزم ونقطع بأن كل نص في القرآن هو النص الذي أنزله الله تعالى على رُسُوله الكريم، وبلغه الرَسُول ﷺ إلى الأمة.

ومن جهة الدلالة نوعان:

أ- قطعية الدلالة: مثل: قوله تعالى: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ - النور ٢، فالنص قطعي الدلالة على أن حد الزنا لغير الْمُحْصَن مئة جلدة، لا أكثر ولا أقل.

ب- ظنية الدلالة: مثل: قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَیْضْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ - البقرة ٢٢٨، فلفظ القرء يطلق في اللغة على الطهر وعلى الحيض، فالنص ليس قطعي الدلالة على معنى واحد منها، لذلك اختلف الفقهاء فيه، ففسره الشافعية بالطهر، وفسره الحنيفة بالحيض.

نصوص السُّنَّة النَّبَوِيَّة:

هي من جهة الورود نوعان:



فالجُمهُور حين قالوا بأن العقائد لا تثبت بخبر الواحد أرادوا عدم تكفير من أنكر عَقِيْدَةً ثبتت به.

والجُمهُور حين ذهبوا هَذَا المَذْهَب رأوا أن أخبار الآحاد متى صح إسنادهَا، وكانت متونُهَا غيرَ مستحيلة في العقل، كانت موجبةً لِلْعَمَلِ بها دون العلم، وكانت بمنزلة شهادة العُدُول عند الحَاكِم، يلزمه الحكم بها في الظَّاهِر وإن لم يعلم صدقَهُم في الشهادة<sup>(١)</sup>.

أ- قطعية الورد: مثل: الحديث المتواتر.

ب- ظنية الورد: مثل: أخبار الآحاد.

ومن جهة الدلالة نوعان:

أ- قطعية الدلالة: مثل: قوله ﷺ: (بُنيَ الإسلام على خمس...)، فالحديث نص قاطع الدلالة على أن أركان الإسلام خمسة، لا أكثر ولا أقل.

ب- ظنية الدلالة: مثل: قوله ﷺ: (لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ منكم العَصْرَ إِلَّا في بني قُرَيْظَةَ). فاختلف الصَّحَابَةُ فيه، فمنهم من صلى في الطريق، لأن صلاة العَصْر أدرَكته، ومنهم من أبى فلم يُصَلِّ إِلَّا في بني قُرَيْظَةَ أَخْذاً بلفظ الحديث. / انظر: علم أصول الفقه لعبد الوهاب خَلَّاف ص ٤٢-٤٣.

(١) أصول الدين للبعْدَاوِيِّ ص ١٢. وانظر نصوص بعض العلماء في ذَلِكَ في كتاب: السَّيْف الحَادِّ المتقدم.

## المبحث الثاني

### منهج القرآن الكريم في عرض العقيدة الإسلامية

للقرآن الكريم منهج واضح في عرض العقيدة، يتبين فيما يأتي:

١ - أعلیٰ الله سبحانه وتعالى العقل، ورفع مكانته، وعظم مقامه.

قال عز وجل: ﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ وَكُلًّا ءَايِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ - الأنبياء ٧٩.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو

الْأَلْبَابِ﴾ - البقرة ٢٦٩.

- ودعا إلى إعمال العقل، والنظر في ملكوت السموات والأرض:

قال سبحانه: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - يونس ١٠١.

وقال عز وجل: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ -

العنكبوت ٢٠.

- وعاب القرآن الكريم على المعطلين لعقولهم.

قال عز وجل على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ (٦٦) ﴿فَإِنْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

﴾ - الأنبياء (٦٧).

- وعاب على من يكتفي بتقليد الآباء.

قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ

كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ - البقرة ١٧٠.

لَذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ: (وَتَأْخِي الْعَقْلُ وَالذِّينَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي كِتَابٍ مُقَدَّسٍ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، بِتَصْرِيحٍ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ) <sup>(١)</sup>.

٢- عرض نظام الكون للتفكير به والتدبر بالآله.

قال سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ (١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ (٢٢)﴾ - البقرة.

فالقُرْآنُ الْكَرِيمُ عرض هذه المظاهر الكونية، كالسماوات والأرض، والليل والنهار، والمطر والرياح، والنباتات بأشكالها، والمخلوقات بأنواعها، ليتدبر الإنسان هذه المخلوقات، ويعلم أنها لم تكن من صنع البشر، بل هي من صنع الله تعالى الذي أتقن كل شيء خلقه، وبالتالي يلزم أن يتجه الإنسان إليه بالعبادة.

أما العَاجِزُ عن الخلق كالأصنام والمخلوقات الأخرى، فلا تستحق العبادة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّكَ الْذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۝﴾ - الحج ٧٣.

٣- ذكر أصول العقيدة الإسلامية في: الإلهيات، والنبويات، واليوم الآخر، وأقام البرهان عليها.

- فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو رَبُّ الكون، قال سُبْحَانَهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ (١) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ (٢) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ (٣)﴾ - الفاتحة.

- واستدل بمخلوقاته على وجوده تعالى:

قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي

ضَلَّلِ مُبِينٌ ﴿ - لقمان ١١ .

- وبرهن أنه واحد لا شريك له في قوله:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ - الأنبياء ٢٢ .

- ووصف نفسه بأوصاف الكمال. وسيأتي بيان ذلك تفصيلاً عند الكلام على الصفات الإلهية.

- وأرسل الرسل والأنبياء هداة للبشر الى طريق سعادتهم في الدنيا والآخرة.

قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ - آل عمران ١٦٤ .

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ - النحل ٣٦ .

- وأوجب الإيمان باليوم الآخر.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا وَرَثَةُ الْبَيْتِ ﴾ - التغابن ٧ .

وأقام الدليل عليه بقوله عز وجل: ﴿ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ٧٨ ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ ٧٩ ﴿ - يس .

٤- حكى أقوال المخالفين، ورد عليهم بالبرهان.

- فرد على عباد الأصنام والأوثان بقوله عز وجل:

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ - العنكبوت ١٧ .

- وردَّ على عبَّاد الكواكب والقمر والشمس بقوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾  
فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ  
الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقَوْمُ إِنِّي  
بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ - الأنعام.

- وردَّ على عبَّاد الملائكة بقوله سبحانه:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِنَّا كُنَّا نُوعِبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ  
أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ - سبأ.  
- وردَّ على اليهود بقوله عزَّ وجلَّ:

﴿ قُلْ يَتَّبِعُوا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَعْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ - الجمعة.

- وردَّ على من اعتقد أن المسيح إله يُعبد، بقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِبَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ۖ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي  
وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ - المائدة.

- وردَّ على من يقول بأن الله اتخذ ولداً، بقوله سبحانه:

﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿١٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ  
عَبْدًا ﴿١٣﴾ - مريم.

- وردَّ على منكري النبوة وكفرهم، قال عزَّ وجلَّ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ

وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾  
أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ - النساء.

- وردَّ على مُنْكَرِي البعث والنشور، قال سُبحَانَهُ:

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ نَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - الرعد ٥.

٥- عَرَضَ الْعَقِيدَةَ بِأَسْلُوبٍ سَهْلٍ يَفْهَمُهُ الْأُمِّيُّ السَّادِجُ، وَالْعَالَمُ الْمُبْتَخِرُ فِي  
شَتَّى الْعُلُومِ.

قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾  
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبَا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَّعًا لَكُمْ  
وَلَا تَعْمِكُمْ ﴿٣٢﴾ - عبس.

٦- وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ حِينَ يَعْرِضُ الْعَقِيدَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ الْحَقَّةَ، وَيُدَلِّلُ عَلَيْهَا  
بِمُخْتَلَفِ الْبَرَاهِينِ، يَأْمُرُ أَنْ تَكُونَ الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ بِالطَّرِيقَةِ الْحَسَنَةِ مَعَ الْإِبْتِعَادِ عَنِ الْجَدَلِ  
الْعَقِيمِ الَّذِي يورث النفرة والبغضاء.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ بِالْقِي هِيَ  
أَحْسَنُ﴾ - النحل ١٢٥<sup>(١)</sup>.

وصوّر الإمام الغزالي أدلة القرآن الكريم بأنها كالغذاء ينتفع به كل إنسان، وكالماء  
الذي ينتفع به الصبي الرضيع والرجل القوي<sup>(٢)</sup>.

(١) أشار إلى بعض هذه الفقرات الإمام مُحَمَّد عَبْدُهُ فِي رِسَالَةِ التَّوْحِيدِ ص ٨. وانظر أيضاً  
كتابنا: أَصُولُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ص ٢٧-٣١.

(٢) إجماع العوام للغزالي ص ٤٠.

## الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ

### حالة العقائد زمن الرسول ﷺ وبعده

الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ مرجع المسلمين، يعودون إليه مستفسرين عن أمور دينهم ومستزידين من علمومه، ويجدون عنده الجواب الكافي.

ويأتيه المشركون وأهل الكتاب يسألون مجادلين ومعارضين.

وإجابته ﷺ إياهم تكون باللطف تارة، وبأسلوب لاذع تارة أخرى، وذلك حسب ما يقتضيه المقام.

لكنه ﷺ في كل إجاباته للمسلمين وغيرهم لا يسلك سبيل المراء والعناد<sup>(١)</sup>.

فعندما تلا الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ (٩٨) لَوَكَاتُ هَؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُوها وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ - الأنبياء، سأله بعض المشركين: كل ما يُعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عَزِيزًا، والنصارى تعبد عيسى بن مريم؟

فأجاب الرسول ﷺ: (كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته). وأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ - الأنبياء<sup>(٢)</sup>.

(١) التفكير الفلسفي في الإسلام لعبد الحليم محمود ص ١١٩.

(٢) تفسير ابن كثير ص ٨٧٧.

وخرج رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على أصحابه ذات يوم، وهم يتراجعون في القدر، فخرج مغضباً، حتى وقف عليهم فقال: يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضاً، ما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به<sup>(١)</sup>.

وقبض رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، واستمر صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على هديه من ذم العناد والجدل المقيت، والوقوف عند النص الثابت بالوحي.

ولم يسلكوا في الاحتجاج مسلك المتكلمين في تقسيماتهم، لا لعجز منهم عن ذلك، فلو علموا أن ذلك نافع لأفاضوا في تحرير الأدلة.

روي عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل سائل عن آيتين متشابهتين، فعلاه بالدرة.

وعلى هذا المنهج جرى التابعون وكبار الأئمة<sup>(٢)</sup>.

وظهرت بعد عصر الرسول ﷺ خلافات بين الصحابة في مسائل عملية كالخلافة، وقتال مانعي الزكاة... ونحوها<sup>(٣)</sup>.

لكن مسائل العقيدة لم نجد لهم خلافاً فيها، وما ورد في بعض الروايات من إجابة لبعض الأسئلة فغايتها هي إثبات العقيدة ودفع شبهة الخصم.

روي أن أبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ناظر القائلين: كيف يُقدر علي شيئاً ثم

(١) التفكير الفلسفي في الإسلام ص ١١٩.

والحديث روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(٢) التفكير الفلسفي في الإسلام ص ١٢٥-١٢٦ ونقل عن إجماع العوام للغزالي. وانظر: إجماع العوام ص ٤١ وأورد الغزالي في ص ٥٥ رواية عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٤ والمِلل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٢ وما بعدها. وانظر: التبصير في الدين ص ١٧.



يعذبني عليه؟ فأجاب: قدّر حيث علم، وعذّب حيث لم يظلم.

وأثّرت عن الإمام عليّ رضي الله عنه آراء عديدة في ذات الله تعالى وصفاته، وفي القدر، وخلق القرآن<sup>(١)</sup>.

أما الاختلاف في الأصول فقد ظهر في أواخر أيام الصحابة رضي الله عنهم في العصر الأموي، كبِدعة معبد الجهنّي وغيلان الدمشقيّ في القول بالقدر وإنكار إضافة الخير والشر إلى القدر، وخلق القرآن، والصفات الإلهيّة. ونسج على منوالهم واصل بن عطاء وعمرو بن عبّيد في مقالاتهما الاعتزالية.

وطالع بعدهما شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة التي ترجمت أيام المأمون، فخلطت منهاهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فناً من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام، الذي ظهرت فيه فنون المنطق والفلسفة.

فأبدع هؤلاء الشيوخ بدعاً في صفات الله تعالى كالكلام والإرادة، وفي أفعال العباد، والقول بالقدر.

ونبغ جهّم بن صفوان وأظهر بدعته في الجبر.

وكان بين المعتزلة وبين السلف وبين الجبريّة مناظرات سجلتها كتب الفرق وعلم الكلام<sup>(٢)</sup>.

ومن الاختلاف بالأصول مسألة مرتكب الكبيرة التي أثارها الخوارج، وجادل فيها المرجئة والمعتزلة وأهل السنة.

وألفت الكتب والرسائل في علم الكلام وخاصة في عهد العبّاسيين، من قبل أهل

(١) كتابنا: أصول الدين الإسلامي ص ٣٨ نقلًا عن نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية ليحيى حسن فرغل.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢٢-٢٧.

السُّنَّة والمُعْتَزِلَة والجَبَرِيَّة والخَوَارِج والإِمَامِيَّة والزَّيْدِيَّة والإِبَاضِيَّة والظَّاهِرِيَّة.  
وراج مَنَهج النِّظَر العقلي في تَقْرِيرِ العَقَائِد الدِّينِيَّة والدِّفاع عنها، الذي تميز به  
المُعْتَزِلَة.

وظهر الأَشْعَرِيّ ينصر مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّة، فَرَدَّ عَلَى الْمُعْتَزِلَة وزلزل سُلْطَانَهُمْ.  
فكان الأَشَاعِرَة وسطاً بين المُحَدِّثِينَ والمُعْتَزِلَة.  
وظهر المَآثِرِيّ يَنْصُرُ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّة أيضاً، وَلَكِنْ كانت طَرِيقَتُهُ أَقْرَبَ إِلَى  
المُعْتَزِلَة، فكانت المَآثِرِيَّة وسطاً بين الأَشَاعِرَة والمُعْتَزِلَة.

وبرز من متأخري الأَشَاعِرَة والمَآثِرِيَّة من تَوَعَّلَّ في كُتُبِ الفِلسَفَة فخلط ما  
كتبه من علم الكلام بالفِلسَفَة، كما فعل البَيْضَاوِيّ في كتابه طَوَالِجُ الأَنْوَارِ، والإِيْجِيّ في  
المَوَاقِفِ، والتَّفْتَارَانِيّ في المَقَاصِدِ وشرحه... إلخ، وَذَلِكَ لِأَنَّ العَصْرَ الذي عاشوا  
فيه قد انتشرت فيه الثَّقَافَةُ الفِلسَفيَّة، وأصبحت سمته البارزة. وَعُلَمَاءُ هَذَا العَصْرِ  
درسوا علم الكلام وَفَقَّ الطَّرِيقَةَ العَقْلِيَّةَ من بَدَايَةِ حَيَاتِهِمُ التَّعْلِيمِيَّةَ، فاتخذوها مسلكاً  
لَهُمْ في تَأْلِيفِ الكُتُبِ وَحِجَاجِ الخُصُومِ.

لَكِنْ تصدَّى لِهَذَا المَنَهجِ العَقْلِيِّ بَعْضُ الحَنَابِلَة، وخاصة شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة  
وتلميذه ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة.

وسَيَأْتِي تفصيل هَذَا الكلام عند دراسة الفِرَقِ الإِسْلَامِيَّة.

وفي زماننا الحاضر ظهرت الكتابات المُخْتَلِفَة في علم الكلام، تعرض ما ذكره  
المتقدمون بأسلوب ميسر خالٍ من التعقيد عموماً.

ومن تلك الدراسات ما هو مَذْهَبِيّ صِرْف، ومنها ما هو مقارن، يعرض المَسَائِلَ  
العَقْدِيَّةَ في المَذَاهِبِ الإِسْلَامِيَّةِ المُخْتَلِفَة، ويوازن بين آرائها المتعددة، ملتصقاً بالجمع  
بينها من أجل ردم الهَوَّةَ المتوَهِّمةَ بين المُسْلِمِينَ، معتمداً طريق النقل والعقل في  
الاستدلال.

ومنها ما تعدى بالمقارنة إلى الفكر الغربي.

ومسلك المقارنة بين الآراء، والجمع بينها، والاستدلال لها بالنقل والعقل، هو  
منهجنا في هذا الكتاب.  
وذلك:

لأن (الذي علينا اعتقاده - كما يقول الإمام مُحَمَّد عَبْدُهُ - أن الدين الإسلامي  
دين توحيد في العقائد، لا دين تفريق في القواعد، العقل من أشد أعوانه، والنقل من  
أقوى أركانه، وما وراء ذلك فنزغات شياطين...) (١).

(١) رسالة التوحيد لمحمد عبده ص ٢٧.



# الفصل الثاني

## المذاهب الإسلامية

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَثُ الأول: تَفْسِيرُ نشأة المذاهب الإسلامية.

حَدِيثُ افتراق الأمة.

المَبْحَثُ الثاني: أهم المذاهب الإسلامية في العقائد:

الخَوَارِج، الإباضِيَّة، الشِّيْعَة، المُرْجِيَّة، القَدْرِيَّة،  
الجَبْرِيَّة، الْمُعْتَزَلَة، الْأَشَاعِرَة، المَائِثِرِيَّة،  
السَّلَفِيَّة.

المَبْحَثُ الثالث: أُصُول الدِّين عند المذاهب الإسلامية:

أَهْلُ السُّنَّة والْجَمَاعَة.

الشِّيْعَة الإمامِيَّة الاثْنِي عَشْرِيَّة.

الْمُعْتَزَلَة.



## المبحث الأول

### تفسير نشأة المذاهب الإسلامية

بدأ ظهور المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد في عصر صدر الإسلام، ودأب مؤرخوها على تسميتها بالفرق الإسلامية، ودونوا في كتبهم آراء كل فرقة منها. واختلف العلماء في تفسير نشأة المذاهب الإسلامية، وذكروا أن من أسباب اختلاف المسلمين في العقائد ما يأتي:

١- السبب السياسي: فحين توفي الرسول ﷺ اختلفوا في من هو أولى الناس بخلافته، وأذعن الأنصار ورأسهم سعد بن عبادة للمهاجرين، حين قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: قرئش ولاة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم. قال له سعد: صدقت، نحن الوزراء، وأنتم الأمراء<sup>(١)</sup>.

واشتد الخلاف حول الخلافة بعد ذلك، وكانت النتيجة ظهور الخوارج والشيعة وغيرهم.

٢- ورود المتشابه في القرآن الكريم: قال تعالى فيه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ

(١) منهاج السنة لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم ج ١ ص ٣٧١-٣٧٢. وقول أبي بكر رواه أحمد في مسنده - مسند الصديق. وهو في كتابي: الشورى بين النظرية والتطبيق ص ٢٣٢.

عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَتَوْا آلَ الْكَافِ - آلِ عِمْرَانَ ٧.

واختلف العلماء في تفسير الآيات المتشابهة، فمنهم من توقف فيها، ومنهم من أولها، والمؤولون اختلفوا في تأويلها، كاختلفا فهم في تفسير النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة الأخرى، واختلفا فهم في إمكانية الجمع بينها.

والذي أراه أن هذا من أقوى الأسباب التي أدت إلى ظهور الفرق والمذاهب العقائدية.

٣- ترجمة كتب الفلسفة: وهذا أدى إلى ظهور المناهج الفلسفية في إثبات العقيدة الإسلامية ودراساتها، كما هو الحال عند المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم، الذين استخدموا الأقيسة المنطقية والدراسات الفلسفية، التي كانت مثار نقاش عند الرافضين لها من رجال المدرسة السلفية والرافضين لدراسة المنطق والفلسفة.

والمناهج الفلسفية جرهم إلى دراسة مسائل لا يستطيع العقل البشري أن يقرر نتائجها كمسألة صفات الله تعالى، ومسألة قدرة العبد بجوار قدرة الرب، والبحث فيها يجر إلى اختلاف النظر لا محالة.

٤- مجاورة المسلمين لكثير من أهل الديانات السابقة: دخل في الإسلام أناس من المشركين واليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، وأثاروا بين المسلمين ما كان يثار في ديانتهم من معتقدات في الجبر والاختيار وصفات الله تعالى وغيرها.

ومن هؤلاء من حسن إسلامه، لكن كان يعرض أفكاره ملتصقاً بالفهم فقط. ومنهم من دخل في الإسلام ظاهرياً كالزنادقة، يريد إفساد عقيدة المسلمين، وإبطال دينهم.

فكان ذلك سبباً في تشعب الآراء وظهور الفرق<sup>(١)</sup>.

(١) ممن كتب في أسباب اختلاف المسلمين في العقائد: أبو زهرة في تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٣ وما بعدها.



وذهب كثير من المستشرقين إلى أن العقل العربي مصاب أصالة باللاموضوعية، ومعاداة التجديد، والنظرة الجزئية، والفصل بين الأشياء، والميل إلى التكرار، وغياب التركيب ووحدة الموضوع، ومن ثم العجز عن إنشاء المذاهب الفلسفية الجامعة والإبداع الفكري.

وانتهوا إلى تعميم مؤداه: أن كل قضية فكرية في الإسلام أثر ونتيجة لجانب من جوانب الفكر الأجنبي.

وهذه مجازفة خطيرة، وتحامل على المسلمين كبير، لأن الدراسات التحليلية المعاصرة أثبتت أن ظهور فكرة معينة في ثقافة أمة، ثم ظهور ذات الفكرة في دائرة ثقافية أخرى لا يعني أن الثانية متأثرة بالأولى، إلا إذا وجدت دلائل مادية قاطعة بذلك.

وليس من الصواب أن نرجع كل ظاهرة في بيئة ما إلى عوامل خارجية عنها، فنهمل بذلك العوامل الداخلية، فإنه لا فكرة من الأفكار ذات قيمة يكون لها سلطان على نفوس الناس إلا إذا كانت تمت إليهم بصلة، فإذا جاء عامل خارجي أيقظها، ولكنه لا يخلقها خلقاً.

فالعوامل الداخلية هي السبب الأول في نشأة المذاهب الإسلامية، أما العوامل الخارجية فهي أسباب ثانوية لاحقة<sup>(١)</sup>.

### حديث افتراق الأمة

وردت عن الرسول محمد ﷺ أحاديث عديدة تفيد أن الأمة الإسلامية ستفترق فرقا عديدة، منها:

١ - قال رسول الله ﷺ: تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين

(١) دراسات في الفرق ص ٧-١٧.

فِرْقَةً، وَالنَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً<sup>(١)</sup>.

(١) حَدِيثٌ: تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ... إلخ، فِي: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ فِي: ٣٧ كِتَابِ الْإِيمَانِ، ١٨ بَابُ مَا جَاءَ فِي افْتِرَاقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رَقْمٌ ٢٦٤٠، ص ٤٢٨، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. / انظر: عَارِضَةُ الْأَخَوَذِيِّ بِشْرَحِ صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ ج ١٠ ص ١٠٨-١٠٩. قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. قَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَعُوفٍ بْنِ مَالِكٍ.

وَنَحْوُ هَذَا اللَّفْظِ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ فِي: كِتَابِ السُّنَّةِ، بَابِ شَرْحِ السُّنَّةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. / بَذَلِ الْمَجْهُودُ فِي حَلِّ أَبِي دَاوُدَ ج ١٨ ص ١١٦.

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ فِي: ٣٦ كِتَابِ الْفِتَنِ، ١٧ بَابِ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ، رَقْمٌ ٣٩٩١، ج ٢ ص ١٣٢١، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. / سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ بِشْرَحِ السُّنَدِيِّ ج ٤ ص ٣٥٢. وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ج ٥ ص ١٢٨: الْحَدِيثُ صَحِيحٌ لَغَيْرِهِ، وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ...، وَذَكَرَ مُخَرَّجِيهِ.

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، رَقْمٌ ٨٣٩٦، ج ١٤ ص ١٢٤، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. طَبْعَةُ مَوْسَسَةِ الرَّسَالَةِ، قَالَ مُحَقِّقُهُ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَذَكَرَ هُؤُلَاءِ الْمَخْرُجِينَ وَغَيْرَهُمْ.

وَأَوْرَدَهُ الْمَقْرِئِيُّ فِي الْخَطِّ ج ٢ ص ٣٤٥ بِنَحْوِ هَذَا اللَّفْظِ وَقَالَ: (أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَابْنُ جَبَّانٍ فِي صَحِيحِهِ بِنَحْوِهِ، فَأَخْرَجَهُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ طَرِيقِ الْفَضْلِ بْنِ مُوسَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهِ، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ كَثِيرٌ فِي الْأُصُولِ. وَقَدْ رَوَى عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَعُوفٍ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِهِ. وَقَدْ احْتَجَّ مُسْلِمٌ بِمُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَاتَّفَقَا جَمِيعًا عَلَى الْاِحْتِجَاجِ بِالْفَضْلِ بْنِ مُوسَى وَهُوَ ثِقَةٌ).

وَالْحَدِيثُ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، رَقْمٌ ١٢٢٣ قَالَ الشَّيْخُ طَبْطَبِي: رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَصَحَّحَهُ. / فَيُضِ الْقَدِيرُ ج ٢ ص ٢٠، قَالَ الْمُتَاوِي: (وَكَذَا الْحَاكِمُ وَالبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. قَالَ الزَّيْنُ الْعِرَاقِيُّ: فِي أَسَانِيدِهِ جَيَادٌ، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ مِنْ عِدَّةِ طَرُقٍ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ أَسَانِيدُ تَقُومُ بِهَا الْحُجَّةُ، وَعَدَّهُ الْمُؤَلَّفُ مِنَ الْمُتَوَاتِرِ).

وَذَكَرَهُ الْبُعْدَادِيُّ فِي: الْفَرْقِ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٥ بِسَنَدِهِ، بَلْفِظِ مُقَارِبٍ.

وقوله ﷺ: (على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة) شك من الراوي، وورد في حديث عبد الله بن عمرو الآتي: (على ثنتين وسبعين ملّة) من غير شك<sup>(١)</sup>.

٢- قال رسول الله ﷺ: ... وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملّة، وتفرق أمّتي على ثلاث وسبعين ملّة، كلهم في النار إلّا ملّة واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي<sup>(٢)</sup>.

(١) تُخفّة الأخوذِي للمباركفوري ج ٣ ص ٣٦٧.

(٢) حديث: وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملّة... إلخ، في: سنن الترمذي في: ٣٧ كتاب الإيمان، ١٨ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم ٢٦٤١، ص ٤٢٨، عن عبد الله بن عمرو. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب مفسر لا نعرفه مثل هذا إلّا من هذا الوجه. / عارضة الأخوذِي ج ١٠ ص ١٠٩-١١٠.

والحديث في الجامع الصغير، رقم ٧٥٣٢، قال السيوطي: رواه الترمذي عن ابن عمرو، وضعفه. / فيض القدير ج ٥ ص ٣٤٧ وفيه: (قال الصدر المناوي: فيه عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، قال الذهبي: ضعفه).

واعتمد هذا الحديث بعض كتّاب الفرق الإسلامية، وذكروه بألفاظ مقاربة لهذا الحديث مثل: الملطي في التنبيه والردّ ص ١٢، والبغدادِي في الفرق بين الفرق ص ٦ بسنده، والإسفرائيني في التبصير في الدين ص ١٤، والشهرستاني في الملل والنحل ج ١ ص ٥، والشيخ عبد القادر في الغنية ج ١ ص ٩٤، والإيجي في المواقف ج ٨ ص ٣٧٦، والمقرئِي في الخطط ج ٢ ص ٣٤٥، والسفارييني في لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٩٢ ونقل عن ابن تيمية، وذكر رواه من الصحابة.

وذكر ابن المرتضى في المنية والأمل ص ٧٩: (في الأثر عنه ﷺ أنه قال: افترت أمة أخي موسى على إحدى وسبعين فرقة كلها هالكة إلّا فرقة واحدة وهي الناجية، وافترت أمة أخي عيسى على اثنتين وسبعين فرقة كلها هالكة إلّا فرقة واحدة، وستفرق أمّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلّا فرقة واحدة. رواه عبد الله بن مسعود وأنس وعبد الله بن عباس. قال الإمام يحيى: وتلقته الأمة بالقبول). وانظر ص ١٨ أيضاً.

ولحديث افتراق الأمة أسانيد كثيرة عن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من أن البعض قد ضعف هذا الحديث<sup>(٢)</sup>، فإن منهم من صححه أو

(١) من رواية هذا الحديث:

أنس بن مالك، في سنن ابن ماجه في: ٣٦ كتاب الفتن، ١٧ باب افتراق الأمم، رقم ٣٩٩٣، ج ٢ ص ١٣٢٢. / سنن ابن ماجه بشرح السني ج ٤ ص ٣٥٣. وقال الشيخ شعيب في تحقيقه سنن ابن ماجه ج ٥ ص ١٣٠: حديث صحيح. ومُسند أحمد رقم ١٢٢٠٨، ج ١٩ ص ٢٤١. ورقم ١٢٤٧٩، ج ١٩ ص ٤٦٢ طبعة الرسالة، وقال الشيخ شعيب محقق المسند عن كل منها: صحيح بشواهده، وذكر أن إسناده كل منهما ضعيف، وخرجهما. وذكره البغدادى في الفرق بين الفرق ص ٧ بسنده. وعوف بن مالك، في سنن ابن ماجه، الباب السابق رقم ٣٩٩٢.

ومعاوية بن أبي سفيان، في سنن أبي داود، الباب السابق.

قال البغدادى: (رواه عن النبي ﷺ جماعة من الصحابة: كأنس بن مالك، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وجابر، وأبي سعيد الخدرى، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي أمية، ووائل بن الأستق. وغيرهم. وقد روي عن الخلفاء الراشدين أنهم ذكروا افتراق الأمة بعدهم فرقا، وذكروا أن الفرقة الناجية منها فرقة واحدة، وسائرهما على الضلال في الدنيا والبار في الآخرة). / الفرق بين الفرق ص ٨-٩.

ورواه جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم إلى النار ما خلا واحدة نجيّة، وكلهم يدعي تلك الواحدة. / الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب - شرح السليمي ج ١ ص ٦٧ وفيه تخريجه. وفي شرح الترتيب لمحمد بن عمر ج ١ ص ٦٣: حديث مشهور في كثير من كتب أصحابنا (أي: الإباضية) وغيرهم.

وعن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية، والباقيون هالكون، والناجون الذين يتمسكون بولايتكم، ويقتبسون من علمكم، ولا يعملون برأيهم، فأولئك ما عليهم من سبيل. / تفصيل وسائل الشيعة (آل البيت) للحر العاملي ج ٢٧ ص ٥٠ رقم ٣٣١٨١، والإسلامية ج ١٨ ص ٣١ رقم ٣٣١٦٥.

(٢) مثل: الشيخ القرطبي في فتاوى معاصرة ج ٣ ص ٧٦ واستشهد بطعن ابن الوزير فيه في

حَسَنَهُ، كما تقدم، ومنهم من جعل رواياته الكثيرة سبباً في نفي الرِّبَّة عنه، قال المَقْبِلِي: (وَحَدِيثُ افْتِرَاقِ الْأُمَّةِ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، رَوَايَاتُهُ كَثِيرَةٌ، يَشَدُّ بَعْضُهَا بَعْضاً، بَحِيثٌ لَا تَبْقَى رِيبَةٌ فِي حَاصِلِ مَعْنَاهُ)<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام يَحْيَى: (تَلَقَّيْتُهُ الْأُمَّةَ بِالْقَبُولِ)<sup>(٢)</sup>.

وفي تَفْسِيرِ (المِلَّة) الوَارِدَةِ فِي الْحَدِيثِ قَوْلَانِ:

١ - هي في الأصل: ما شرعه الله لعباده على ألسنة أنبيائه، ليتوصلوا به إلى القرب من حضرته تعالى، ثم اتسع لفظ (المِلَّة) فاستعمل في الملل الباطلة، ف قيل: الكفرُ كُلُّهُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ. فمعنى الحديث هو: أنهم يفترون فرقاً تتدين كل واحدة منها بخلاف ما تتدين به الأخرى، فتسمى طريقتهم مِلَّةً مجازاً<sup>(٣)</sup>.

٢ - وقيل: المِلَّة هي كل فعل وقول، حقاً كان أو باطلاً، اجتمع عليه جماعة<sup>(٤)</sup>.

كتابه العواصم والقواصم ج ١ ص ١٨٦، وبتضعيف ابن حزم في الفصل ج ٣ ص ٢٩٢.

قال المَوْكَلِي حَسَنٌ جَلَبِي فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣٧٥: (طعن بعضهم في صحة هذا الخبر، فقال: إن أراد باثنتين وسبعين فرقة أصول الأديان فلن يبلغ هذا العدد، وإن أراد الفروع فإنها تتجاوز هذا العدد إلى أضعاف ذلك. أجاب الإمام الرَّازِي: إن المراد ستفترق أمتي في حال ما، وليس فيه دلالة على أن افتراقها في سائر الأحوال لا يجوز أن يزيد وينقص).

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ص ١١ نقلاً عن العلم الشامخ للمقبلي.

(٢) الملل والنحل وشرحه المنيّة والأمل لابن المرتضى ص ١٨ و ٧٩.

(٣) فيض القدير ج ٥ ص ٣٤٧ ونقل عن الطيبي. وهو في شرح الطيبي على المشكاة

ج ٢ ص ٦٤٠. وانظر: مرقة المفاتيح ج ١ ص ٤١٨ وثخفة الأخوذ ج ٣ ص ٣٦٨ ونقل عن المِرْقَاة.

(٤) مرقة المفاتيح للقراري السابق.

والحديث الشريف يفيد: أن بني إسرائيل تفرقت اثنتين وسبعين فرقة أو ملّة، وكذلك أمة محمد ﷺ تفرقت كذلك مع زيادة هؤلاء في ارتكاب البدع بدرجة<sup>(١)</sup>.

والمُرَاد بالأمة أمة الإجابة<sup>(٢)</sup>، وهم أهل القبلة، فإن اسم الأمة مضافاً إلى محمد ﷺ يتبادر منه أمة الإجابة<sup>(٣)</sup>.

فيكون الملّ الثلاث والسبعون منحصرة في أهل قبلتنا<sup>(٤)</sup>.

واختلفوا في تفسير العدد الثلاث والسبعين على أقوال:

١- هو عدد أصول المذاهب<sup>(٥)</sup>.

٢- هو العدد الذي بلغته هذه الأصول في وقت من الأوقات، وإن زادت أو نقصت في أكثر الأوقات<sup>(٦)</sup>.

٣- العدد محمول على التكثر<sup>(٧)</sup>.

(١) مرّقة المفاتيح السابق.

(٢) فيض القدير ج ٥ ص ٣٤٧ ومرّقة المفاتيح ج ١ ص ٤١٨ وشرح سنن ابن ماجة للسندّي ج ٤ ص ٣٥٢ وبذل المجهود في حلّ أبي داود للسّهارنقوريّ ج ١٨ ص ١١٧.

وذكر القاري أن تفسير الأمة بأمة الإجابة هو الأظهر من التفسيرين، ونقل عن الأبهري أن هذا التفسير هو عند الأكثر. / مرّقة المفاتيح السابق.

وقيل: المُرَاد بالأمة أمة الدعوة، فيندرج جميع أرباب الملّ والنحل الذين ليسوا على قبلتنا في عدد الثلاث والسبعين. / فيض القدير، ومرّقة المفاتيح، السائقان. ونقل المناوي عن القاضي.

(٣) شرح سنن ابن ماجة السابق.

(٤) مرّقة المفاتيح السابق. وانظر: فيض القدير السابق.

(٥) فيض القدير ج ٢ ص ٢٠ عن المحقق الدوّاني، وبذل المجهود ج ١٨ ص ١١٧.

(٦) فيض القدير السابق.

(٧) بذل المجهود السابق.

واختلفوا في تَكَامُلِ هَذِهِ الْفِرَقِ الثَّلَاثِ وَالسَّبْعِينَ:

فقال بعضهم: لم يَتَكَامَلِ وجود هَذِهِ الْفِرَقِ من أهل الْبِدْعِ بين الْمُسْلِمِينَ بعدُ، وإنما وجد بعضها، وستوجد جميعها قبل يوم القيامة، فإن ما أخبر به الرَّسُولُ ﷺ كائن لا محالة.

وقال بعضهم: وجدت بتمامها في زمرة الإسلام، ووجب على المسلم أن يميز عقيدته عن عقائدهم الفاسدة. وعددها على نحو ما ورد في كتب الْفِرَقِ<sup>(١)</sup>.

وقد بين الرَّسُولُ ﷺ أن هَذِهِ الْفِرَقِ كلها في النار، لفعلهم القبيح وابتداعهم، واستثنى منها الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ، وذكرها باسم: (الْجَمَاعَةُ)، كما ورد في سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، وابن مَاجَةَ ومُسْنَدِ أَحْمَدَ. و(ما أنا عليه وأَصْحَابِي)، كما ورد في سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ.

وُفُسِّرَتِ (الْجَمَاعَةُ) بأهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ<sup>(٢)</sup>. أو بأنهم الموافقون لْجَمَاعَةِ الصَّحَابَةِ، الآخذون بعقائدهم، المتمسكون برأيهم<sup>(٣)</sup>، المقتفون آثارهم، والمهتدون بسيرتهم في الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ<sup>(٤)</sup>، من أهل العلم والفقه الذين اجتمعوا على اتباع آثاره ﷺ في النَّقِيرِ وَالْقِطْمِيرِ، ولم يبتدعوا بالتحريف والتغيير<sup>(٥)</sup>.

وهذا هو الذي يميز أهل السُّنَّةِ عن غيرهم من أصحاب البدع، إذ كل مبتدع يزعم

(١) التَّبَصِيرُ فِي الدِّينِ ص ١٥ وَفَيْضُ الْقَدِيرِ ج ٥ ص ٣٤٧.

(٢) فَيْضُ الْقَدِيرِ ج ٢ ص ٢٠ وَمِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ ج ١ ص ٤١٩ وبذل المجهود ج ١٨ ص ١١٨.

(٣) شَرْحُ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ لِلْسَّنَدِيِّ ج ٤ ص ٣٥٣.

(٤) فَيْضُ الْقَدِيرِ السَّابِقِ ج ٢ ص ٢١ وَج ٥ ص ٣٤٧. وانظر: مِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ السَّابِقِ.

(٥) مِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ ج ١ ص ٤٢٠.

النَّقِيرُ: النقطة في ظهر النَّوْءِ. / الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مادة (نقره).

الْقِطْمِيرُ: شَقَّ النَّوْءِ، أو القشرة التي فيها، أو القشرة الرقيقة بين النَّوْءِ والتمرة. / الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مادة (القطمير).

أن فرقة هي الناجية دون غيرها<sup>(١)</sup>.

والتفرق المذموم الوارد بالحديث الشريف، هو التفرق بأصول الدين والعقائد، أي: في الإلهيات والنبؤات واليوم الآخر.

أما التفرق في فروع الفقه والاجتهادات في المسائل الفقهية فهو رحمة بالعباد من الله تعالى، وهو مفاد ما نسب إلى النبي ﷺ: (اختلاف أمتي رحمة)<sup>(٢)</sup>، لأن المجتهدين فيما اختلفوا من فروع الحلال والحرام على قولين:

١- تصويب المجتهدين كلهم في فروع الفقه، فأصحاب المذاهب الفقهية كلهم مصيبون.

٢- تصويب واحد من المجتهدين في كل فرع، وتخطئة الباقي من غير تضليل أو تكفير للمخطئ فيه<sup>(٣)</sup>.

(١) فيض القدير ص ٢٠-٢١.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق ص ١٠ وفيض القدير ج ٢ ص ٢٠ وج ٥ ص ٣٤٧ وبذل المجهود ج ١٨ ص ١١٧ وشرح سنن ابن ماجة للسند ج ٤ ص ٣٥٢.

وحديث: اختلاف أمتي رحمة: قال السيوطي في الجامع الصغير: أخرجه (نصر المقدسي في الحجة، والبيهقي في الرسالة الأشعرية بغير سند، وأورده الحليمي والقاضي حسين وإمام الحرميين وغيرهم، ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا). وانظر الكلام عليه في: فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ١ ص ٢٠٩ رقم ٢٨٨ وكشف الخفاء والإلباس للعجلوني ج ١ رقم ١٥٣.

(٣) الفرق بين الفرق السابق.

ومسألة تصويب المجتهد وتخطئته مبسوطة بأدلتها في كتب أصول الفقه. وخلاصتها هي:

أن المجتهد فيه: إما أن يكون عقلياً أو شرعياً.

أولاً: فإن كان عقلياً (أي: في أصول الدين) ففيه قولان:



.....

١- المصيب فيه واحد، ومن عداه مخطئ. وهو قول جُمهُور العُلَمَاء. ثم إن أداه اجتهاده إلى ما يخالف ملة الإسلام فهو آثم كافر، وإلا فهو مبتدع فاسق.

٢- كل مجتهد في العقلیات مصيب، وهو قول الجاحظ وعبيد الله بن الحسن العنبري. فلا إثم على المجتهد في العقلیات ما دام لم يصل إلى درجة العناد، لأنه بذل ما في وسعه، فهو معذور. ثانياً: وإن كان المجتهد فيه فقهيّاً شرعياً، فلا يخلو إما أن يكون قطعياً أو غير قطعي:

فإن كان قطعياً، مثل وجوب الصلاة والزكاة وتحريم الزنا والسرقة...، فلا جتهاد فيه غير جائز، لأنه أصبح أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، فالمخطئ فيه آثم، ومُنكره كافر.

وإن كان غير قطعي، فقد اتفق العُلَمَاء على جواز الاجتهاد فيه، لكن اختلفوا هل أن كل مجتهد مصيب، أو أن المصيب فيه واحد فقط؟

ومنشأ هذا الاختلاف هو هل أن الله تعالى في كل مسألة حكماً معيناً قبل أن يجتهد فيها المجتهد، أو ليس فيها حكم معين، وإنما الحكم فيها هو ما وصل إليه المجتهد باجتهاده؟ ففيه قولان:

١- إن الله في المسألة حكماً معيناً قبل اجتهاد المجتهد، من أصابه باجتهاده فهو المصيب، ومن لم يصبه فهو المخطئ، وبذلك لا يكون كل مجتهد مصيباً. وهو قول جُمهُور العُلَمَاء، والمعروف عن الأئمة الأربعة.

٢- ليس لله في المسألة حكم معين قبل الاجتهاد، بل الحكم فيها هو ما وصل إليه كل مجتهد باجتهاده، وبذلك يكون كل مجتهد مصيباً. وهذا قول الباقلاني وأبي عليّ الجبائي وابنه أبي هاشم. / انظر: أصول الفقه لمحمد أبو النور زهير ج ٤ ص ١٩٨-١٩٩ وفيه الأدلة.

## المبحث الثاني

### أهم المذاهب الإسلامية في العقائد

في هذا المبحث بيان أهم المذاهب الإسلامية في العقائد، التي سمّاها مؤرخوها بالفرق الإسلامية، وهي:

الخوارج، والإباضية، والشيعة، والمرجئة، والقدرية، والجبرية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، والسلفية.

### الخوارج

هم الذين خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم في واقعة صفين.

#### أسماءهم

لهؤلاء تسميات عديدة منها:

١- الخوارج: جمع خارج، وهو الذي خلع طاعة الإمام الحق، وأعلن عصيانه، ويسمي الفقهاء الخارج عن طاعة الإمام الحق: الباغي، وجمعه البغاة<sup>(١)</sup>، واختلفوا في توجيه هذه التسمية:

فهم يقولون بأن سببها هو خروجهم في سبيل الله، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾

(١) تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد على مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١ ص ١٦٨ وتعليقه على الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٧٢. وانظر: الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٠٥ وشرح الحور العين ص ٢٥٤.

مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ - النساء (١).

أو لأنهم خرجوا على الإمام علي رضي الله عنه، وحاربوه (٢).

لكن قال غيرهم: جاءت هذه التسمية لأنهم: خرجوا على الناس، أو خرجوا عن الدين، أو عن الحق (٣).

٢- الحرورية: نسبة إلى حروراء، وهي قرية بظاهر الكوفة، كانوا قد اجتمعوا فيها بعد رجوعهم من صفين (٤).

٣- الشراة: وهو جمع، مفردة: شار، اسم فاعل من الشراء، مثل: قضاة جمع، مفردة قاضٍ. وزعموا بأنهم سُموا بذلك لأنهم باعوا أنفسهم لله تعالى على أن لهم الجنة، يشيرون بذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمْ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ - التوبة ١١١ (٥).

وفسر غيرهم هذه التسمية: بأنها من شري الشر - من باب رضي - إذا زاد وتفاقم. أو من شري الرجل - كرزي - إذا غضب ولجج في الخصومة (٦).

(١) دراسات في الفرق ص ٨٩.

(٢) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٦٤ و ٢٠٧ وشرح الحور العين السابق، وتاج العروس مادة (خرج)، والغنية للشيخ عبد القادر ج ١ ص ٩٦ وفيه ذكر ألقاب الخوارج وتوجيهاتها.

(٣) تاج العروس السابق، ودراسات في الفرق السابق عن ابن منظور والزبيدي.

(٤) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٠٧ والفرق بين الفرق ص ٧٥ وشرح الحور العين ص ٢٥٤ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٤ والمنية والأمل ص ١٠٤.

(٥) تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد على مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١ ص ١٦٨. وتعليل التسمية في: مقالات الإسلاميين للأشعري ج ١ ص ٢٠٧ وشرح الحور العين ص ٢٥٤ والمنية والأمل ص ١٠٤.

(٦) تعليق محمد محيي الدين السابق، وأشار إلى صحاح الجوهري.

٤- النَّوَاصِب: وهو جمع ناصب أو ناصبي، وهو الذي غالى في كره الإمام عليّ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>.

٥- الْمُحَكِّمَة: وسُموا بذلك لإنكارهم التحكيم في صفين، وقالوا: لا حكم

إلا الله<sup>(٢)</sup>.

٦- المارقة<sup>(٣)</sup>: أي: المارقون من الدين، لحديث: (يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ

السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ).

وهذه التسمية لا يرضونها، لا عتقادهم أنهم هم المؤمنون، ومخالفهم هم

المشركون أو الكافرون<sup>(٤)</sup>.

٧- ومن أسمائهم أيضاً التي اختاروها لأنفسهم: المسلمون، جماعة المسلمين،

أهل الدعوة، أهل الحق، أهل الاستقامة<sup>(٥)</sup>.

(١) خَطَطَ المَقْرِيزِيُّ ج ٢ ص ٣٥٤ وتعليق محمد محيي الدين السابق، وأشار إلى خطط

المَقْرِيزِيِّ. وتعليقه على الفرق بين الفرق للبغداديّ ص ٧٢.

(٢) مَقَالَاتُ الإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٢٠٧ وشرح الحور العين السابق ص ٢٥٥ والمُنيّة والأمل

السابق.

(٣) مَقَالَاتُ الإِسْلَامِيِّينَ السابق، والمِلل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٠٧. وشرح الحور

العين، والمُنيّة والأمل، السابقان، وتعليق محمد محيي الدين على الفرق بين الفرق للبغداديّ

ص ٧٢.

(٤) مَقَالَاتُ الإِسْلَامِيِّينَ، والمِلل والنحل للشهرستاني، وشرح الحور العين، والمُنيّة

والأمل، السابقة، وتاريخ الفرق الإسلامية للغرابيّ ص ٢٦٥. وسيأتي بعد قليل حديث المُرُوق

بتأمله.

(٥) البعد الحضاريّ ص ٥٦.

## آراء الخَوارج

جميع الخَوارج يقولون بما يأتي:

١- إكفار عَلِيٍّ، وَعُثْمَانَ، وأصحاب الجَمَل، والحَكَمين، ومن رضي بالتَّحَكِيم وصَوَّب الحَكَمين أو أحدهما<sup>(١)</sup>.

وجميعهم يثبتون إِمَامَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، ويُنكرون إِمَامَةَ عُثْمَانَ في وقت الأحداث التي تُقم عليه من أجلها، أي: بعد السنوات الست من حكمه، ويقولون بِإِمَامَةِ عَلِيٍّ قبل أن يُحَكَّم، ويكفرونه بعده.

٢- إن الإِمَامَةَ في قُرَيْشٍ وغيرها، إذا كان القائم بها مستحقاً لذلك.

٣- القرآن مخلوق<sup>(٢)</sup>.

٤- الخروج على السُّلْطَان الجائر<sup>(٣)</sup>.

(١) الفرق بين الفرق ص ٧٣ والتبصير في الدين ص ٣٨. وانظر: مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٦٧ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٠٧ واعتقادات فرق المسلمين ص ٥١ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ١٣٥ والمُنية والأمل ص ١٠٤.

ويلاحظ أن للإباضية رأياً غير هذا، تُثبتُه كتبهم، وسيأتي بعد قليل.

وقال جُمهُورُ الخَوارج: إن من عصى الله تعالى فقد كفر، فكان كافراً، وحكمه أنه يخلد في النار، صَغِيرَةً كان ما فعل أو كَبِيرَةً. ومنهم من يقول هو مُشْرِك. ومنهم من فَرَّقَ بين الصَّغِيرَةِ وبين الكَبِيرَةِ، ويحكم بكفره وتحليده في النار بارتكاب الكَبِيرَةِ دون الصَّغِيرَةِ. وحكي عن نَجْدَةَ الحَنْفِيِّ صاحب النجّدات من الخَوارج أن صاحب الكَبِيرَةِ لا يُخلد بل يُعَذَّب لا محالة، بقدر ذنبه ولا يجوز العفو عنه، ثم كان عاقبة أمره دخول الجنة. / تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧٦٧.

(٢) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) الفرق بين الفرق، والتبصير في الدين، والملل والنحل للشهرستاني، والبدء والتاريخ، السابقة.

### فِرَقُ الْخَوَارِجِ

افترق الخوارج إلى فِرَقٍ عديدة لم يُتَّفَقْ على عددهم، فالبغدادِيُّ<sup>(١)</sup> والإسفَرَايِينِيُّ<sup>(٢)</sup> ذكرا أنهم عشرون فِرْقَةً، لكنهما عدداً أكثر من عشرين. وذكر المقرئِيُّ أنهم عشرون فِرْقَةً أيضاً، لكنه زاد بعد ذلك سبع فِرَقٍ<sup>(٣)</sup>. وذكر الرازيُّ أنهم إحدى وعشرون فِرْقَةً<sup>(٤)</sup>. وعدَّ المقدسيُّ إحدى وعشرين فِرْقَةً منهم<sup>(٥)</sup>. وذكر المَلَطِيُّ أنهم خمس وعشرون فِرْقَةً<sup>(٦)</sup>. وذكر الخوارزميُّ أنهم أربع عشرة فِرْقَةً<sup>(٧)</sup>.

وفي أصول هذه الفِرَق التي تفرع منها باقيها اختلاف أيضاً من حيث العدد، منها ما ذكره الإسفَرَايِينِيُّ أنها سبعة وهي:

المُحَكَّمَةُ الْأُولَى، والأَزَارِقَةُ، والنَّجْدَات، والصُّفَرِيَّة، والعَجَارِدَةُ، والإِبَاضِيَّة، والشَّيْبِيَّة<sup>(٨)</sup>.

(١) الفَرَق بين الفِرَق ص ٧٢. وذكر أنهم عشرون أيضاً الإيجيُّ في المَوَاقِف ج ٨ ص ٣٩٦.

(٢) التَّبْصِير في الدِّين ص ٣٨.

والاختلاف في العدد يعود إلى اعتبارهم بعض الفُرُوع أصلاً أو عدمه. وانظر شَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيف السَّابِق.

(٣) خِطَطُ الْمُقْرِئِيِّ ج ٢ ص ٣٥٤.

(٤) اعْتِقَادَات فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ ص ٥١-٦٦.

(٥) الْبَدْء والتَّارِيخ ج ٥ ص ١٣٤.

(٦) التَّنْبِيْهُ وَالرَّدَّ ص ١٧٨.

(٧) مَفَاتِيحُ الْعُلُوم ص ١٩.

(٨) التَّبْصِير في الدِّين السَّابِق. وجعلها سبعةً أيضاً كُلٌّ من: الإيجيُّ في المَوَاقِف ج ٨ ص ٣٩٢ والكَرْمَانِيُّ في الفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّة ص ٦٢ والسَّفَارِينِيُّ في لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّة ج ١ ص ٨٦، لكنهم ذكروا الْبَيْهَسِيَّة بدلاً من الشَّيْبِيَّة.

أما الشَّهْرُسْتَانِيُّ في الْمِلَلِ وَالنَّحَل ج ١ ص ١٠٧ فقد جعل كِبَارَ فِرَقِ الْخَوَارِجِ ستاً، فذَكَرَ

١ - الْمُحَكِّمَةُ الْأُولَى: وهم الذين خرجوا على الإمام عليّ عند التَّحْكِيمِ، بعد أن كانوا معه في معركة صِفِّين<sup>(١)</sup>، قالوا لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمَا حَكَّمُ الْحَكَمَيْنِ: إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ الْإِمَامُ حَقًّا فَلِمَ أَمَرْتَنَا بِالْمَحَارَبَةِ؟ ثم انفصلوا عنه بهذا السبب<sup>(٢)</sup>.

وأول من قال منهم (لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) هو عُرْوَةُ بْنُ حُدَيْرٍ، ويقال له: عُرْوَةُ بْنُ أُدَيَّةَ، وقيل غيره، ونادوا بخلع عليّ ومعاوية.

وبعد رجوع عليّ من صِفِّين، اجتمعوا بحروراء، وكانوا اثني عشر ألفاً، وزعيمهم عبد الله بن الكوّاء وشبّث بن ربعيّ، وخرج إليهم الإمام عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وناظرهم، فاستأمن إليه ابن الكوّاء في ألف مقاتل.

واستمر الباقيون على ضلالهم، وخرجوا إلى النَّهْرَوَانِ، وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الرّاسبيّ وحرْقُوص بن زُهَيْرِ الْبَجَلِيِّ المعروف بذي الثَّدْيَةِ، وبذي الْخُوَيْصِرَةِ. والتقوا بعبد الله بن خَبَّاب بن الْأَرْتِ بالمدائن وكان والياً عليها، فكلّمهم، فقتلوه وجرى دمه في النهر، وقتلوا ولده وجاريته، وعسكروا بالنَّهْرَوَانِ، وسار إليهم الإمام عليّ في أربعة آلاف من أصحابه، مُقَدِّمُهُمْ عَدِيّ بن حَاتِمِ الطَّائِيّ، وناظرهم، ثم قاتلهم، وخرج حُرْقُوص في وجه عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قائلاً: وَاللَّهِ لَا نُرِيدُ بِقِتَالِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، وَالنَّجَاةَ فِي الْآخِرَةِ، ثُمَّ تَلَا الْآيَةَ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) - الكهف.

الثعالبه بدلاً من الشَّيْبِيَّةِ، ولم يذكر الْمُحَكِّمَةُ كِفْرَقَةً منها، لَكِنَّهُ تَحَدَّثَ عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِ عَنْ الْخَوَارِجِ.

(١) الْمَلِكُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٠٦ واعتقادات فرق المسلمين ص ٥٢ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٢ والفرق الإسلامية للكرماني ص ٦٢. وانظر: التَّنْبِيْهُ وَالرَّدُّ ص ٤٧ والبَدْءُ وَالتَّارِيخُ ج ٥ ص ١٣٥-١٣٧ وَخِطَطُ الْمُقْرِزِيِّ ج ٢ ص ٣٥٤.

(٢) اعتقادات فرق المسلمين السابق.

فحمل عليهم الإمام عليّ، وقتلهم، وقتل عبد الله بن وهب، وتبّعوا حرقوا، فأمر الإمام عليّ بقتله، وكان له ثدي كالمراة، فقال الإمام عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صدق الله وصدق رسوله. وكان ذو الثديّة قد مرّ على النبي ﷺ وهو يقسم غنائم بدر، فقال له: اعدل يا محمد. فقال عليه الصلاة والسلام: خبت وخسرت، إذن من يعدل؟ ثم قال: يخرج من ضئضى هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

وخرج الخوارج بعد ذلك في العراق، وظل يقاتلهم الإمام عليّ إلى أن قتلوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومذهبهم هو تكفير عليّ، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وتكفير كل ذي ذنب ومعصية.

وظل الخوارج على هذا المذهب إلى أن ظهرت الأزارقة، فاختلفوا عند ذاك<sup>(١)</sup>.

٢- الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق الحنفي. وهم أكثر الخوارج عدداً وأشدّ شوكة، وفارقوا المحكّمة الأولى بأمر منها:

أنّ الأزارقة يسمون مخالفهم من هذه الأمة مشركاً، والمحكّمة الأولى يقولون بأنه كافر.

ومن آرائهم:

أ- أنهم يسمون من لم يهاجر إلى ديارهم من موافقيهم مشركاً، وإن كان على رأيهم.

ب- أنهم أوجبوا امتحان من قصّد عسكرهم إذا ادعى أنه منهم، وذلك بأن يسلموه أسيراً من مخالفيهم وأطفالهم فيأمره بقتله.

ج- أن أطفال مخالفيهم مشركون، يخلدون في النار.

(١) الفرق بين الفرق ص ٧٤-٨١ والتبصير في الدين ص ٣٨. وانظر: الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٠٧. وفي الكامل للمبرّد ج ٣ ص ٢٦٣: قال الأخفش: حرقوا هو ذو الثديّة.

وحديث مروّاهم من الدين، رواه الشيخان وغيرهما. وسيأتي بعد قليل.



- د- أنهم استباحوا قتل نساء مخالفهم وقتل أطفالهم.
- هـ- تحريم القعود عن الحرب، واعتبار القعدة مُشْرِكِينَ<sup>(١)</sup>.
- و- تصويب عبد الرَّحْمَنِ بن مُلْجَم في قتله الإمام عَلِيًّا.
- ز- التَّيَّةُ عندهم غير جائزة في قول ولا عَمَلٍ<sup>(٢)</sup>.
- ح- قطع يد السارق من المَنْكَب، وإبطال رجم الزاني الْمُحْصَن<sup>(٣)</sup>.
- ٣- النَّجْدَات (النَّجْدِيَّة): أتباع نَجْدَةَ بن عَامِر الحَنْفِيّ. وكان نَجْدَةُ قد خرج من اليمامة في نفر من أتباعه، يريد اللحاق بالأزارقة، فاستقبلهم نفر من عَسْكَر نَافِع، فأخبروه بها أحدثه نَافِع من تكفير القعدة عنه وغير ذلك، وأنهم خالفوه، فأَمَرُوا نَجْدَةَ عليهم.
- ثم اختلف النَّجْدَات على نَجْدَةَ لأُمُور، وانتهى أمره بقتله على يدهم.
- وافترقوا ثلاث فِرَق، لكنهم يُجْمَعُونَ على قولهم: لا حاجة للناس إلى إمام قَطُّ، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن ذلك لا يَتِمُّ إِلَّا بإمام يحملهم عليه فأقاموه جاز.
- وحكى الكُعبِيّ عنهم قولهم: إن التَّيَّةَ جائزة في القول والعَمَل كله وإن كان في قتل النفس.
- واستحل نَجْدَةُ دماء أهل العهد والذمة وأموالهم في دار التَّيَّة، وحكم بالبراءة ممن

(١) الفَرْق بين الفَرْق ص ٨٢-٨٣ والتَّبْصِير في الدِّين ص ٤٢ والمِلَل والنَّحْل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١١١-١١٦. وانظر: مَقَالَات الإسلاميين ج ١ ص ١٧٠ والتَّنْبِيهِ والرَّد ص ١٧٨ والفَصْل لابن حَزْم ج ٥ ص ٥٢ واعتقادات فِرَق المُسْلِمِينَ ص ٥٤ والبَدْء والتَّارِيخ ج ٥ ص ١٣٨ وَخَطَط المَقْرِيْزِي ج ٢ ص ٣٥٤ والمَوَاقِف ج ٨ ص ٣٩٢ والفِرَق الإسلامية للكُرْمَانِي ص ٦٤-٦٦ والبعد الحَضَارِي ص ٥٣.

(٢) المِلَل والنَّحْل للشَّهْرَسْتَانِي، والفِرَق الإسلامية للكُرْمَانِي، السَّابِقَان.

(٣) الفَصْل لابن حَزْم السَّابِق.

المَنْكَب: مجْتَمَع رأس العَصْد والكَتِف. / المِضْبَاح المُنِير مادة (نكب).

حَرَمَهَا<sup>(١)</sup>.

٤- الصُّفَرِيَّة (الأَصْفَرِيَّة): أتباع زِيَاد بن الأَصْفَر. وهم يقولون:

أ- يقول الأَزَارِقَة في أن أصحاب الذنوب مُشْرِكُونَ. وصاروا ثلاث فِرَق، وكلهم لا يبيحون قتل نساء مخالفهم ولا أطفالهم، بخلاف الأَزَارِقَة الذين يبيحون ذلك.

ب- وكلهم يقولون أيضاً بموالاة عبد الله بن وَهْب الرَّاسِبِيِّ وَحُرْقُوص بن زُهَيْر وأتباعهما من المُحَكِّمَة الأُولَى. ويقولون بإمامة أَبِي بِلَال مِرْدَاس الخارجي بعدهم، وهو أخو عُرْوَة بن حُدَيْر، ثم بإمامة عِمْرَان بن حِطَّان السَّدُوسِيِّ بعد أَبِي بِلَال. وعِمْرَان كان شاعراً ناسكاً شديداً في مذهب الصُّفَرِيَّة، وهو الذي رثى عبد الرَّحْمَنِ بن مُلْجَم قاتل الإمام عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(٢)</sup>.

ج- وهم يجوزون التَّقِيَّة في القول دون العَمَل<sup>(٣)</sup>.

٥- العَجَارِدَة: أتباع عبد الكَرِيم بن عَجْرَد. وكانوا قد افترقوا فِرَقاً كثيرة بلغت عشر فِرَق، يجمعها القول بما يأتي:

أ- إن الطفل يُدعى إذا بلغ، وتجب البراءة منه قبل ذلك حتى يُدعى إلى الإسلام أو يصفه هو.

ب- لا يرون مال مخالفهم فَيُتَأَّ إِلَّا بعد قتل صاحبه، بخلاف الأَزَارِقَة الذين استحلوا أموال مخالفهم بكل حال. ثم افترقوا بعد ذلك إلى نحو خمس عشرة فِرَقَة.

(١) المِلَل والنَّحْل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١١٦ ومَقَالَات الإسلامِيَّين ج ١ ص ١٧٤ والفِرَق بين الفِرَق ص ٨٧ والتَّبَصِير في الدِّين ص ٤٣. وانظر: الفِصَل لابن حَزْم ج ٥ ص ٥٣ واعتقادات فِرَق المُسْلِمِيَّين ص ٥٥ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ١٣٩ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٣ والفِرَق الإسلامية للكُرْمَانِي ص ٦٦ وخَطَطُ المَقْرِزِي ج ٢ ص ٣٥٤. وأورد المُبَرِّد في الكامل ج ٣ ص ٢٨٦-٢٨٩ رسالةً تَجَدَّة إلى نَافِع بعد مفارقتها وجواب نَافِع له.

(٢) مَقَالَات الإسلامِيَّين ج ١ ص ١٨٢ والفِرَق بين الفِرَق ص ٩٠ والتَّبَصِير في الدِّين ص ٤٤ والمِلَل والنَّحْل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٣٤ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٤ وخَطَطُ المَقْرِزِي ج ٢ ص ٣٥٤.

(٣) اعتقادات فِرَق المُسْلِمِيَّين ص ٦٥ وشرح المواقف للسَّيِّد الشَّرِيف السَّابِق.

ج- يرون الهجرة فضيلة لا فرضاً.

د- يكفرون بالكبائر<sup>(١)</sup>.

٦- الشَّيْبِيَّة: أتباع شَيْب بن يَزِيد الشَّيْبَانِي، أبو الصحاري، الذي خرج أيام الحَجَّاج.

أجاز شَيْب وأتباعه إمامة المرأة منهم إذا قامت بأمر الرعية كما ينبغي، وخرجت على مخالفتهم. وكان أتباعه يرون أن غَزَالَةَ أُم شَيْب كانت الإمام بعد قتل شَيْب إلى أن قتلت<sup>(٢)</sup>.

وزعموا أن الرجل يكون مسلماً إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وتَوَلَّى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وتَبَرَّأ من أعدائه، وأَقَرَّ بها جاء من عند الله جُمْلَةً وإن لم يعلم سائر ما افترض الله سُبْحَانَهُ عليه مما سوى ذَلِكَ أفرض أم لا، فهو مُسْلِمٌ حتى يبتلى بالعمل به فيسأل<sup>(٣)</sup>.

٧- الإباضِيَّة: رأس الإباضِيَّة هو: أبو الشَّعْثَاء جَابِر بن زَيْد الأَزْدِي العُمَانِي البَصْرِي، ولد سنة ٢١هـ لستين بقيتاً من خِلافة عُمَر، ورحل في طلب العلم، وصاحب الصَّحَابِي عبد الله بن عَبَّاس، وأخذ عن كثير من الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال: (أدركتُ سبعين رجلاً من أهل بَدْر، فحويتُ ما بين أظهرهم إلا البَحْر)، يريد ابن عَبَّاس لوفرة علمه.

أخذ عنه الكثير، منهم: أبو عُبَيْدَةَ مُسْلِم بن أَبِي كَرِيمَةَ التَّمِيمِي، الذي رَوَى عنه الرَّبِيع بن حَبِيب كتابَ الجَامِع الصَّحِيح الذي هو عُمْدَةٌ كتب الإباضِيَّة في الْحَدِيث. توفي جَابِر سنة ٩٣هـ<sup>(٤)</sup>.

(١) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيَّين ج ١ ص ١٧٧ والْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْقِ ص ٩٣ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٤٥ وَالْمَلِكُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٢٤ وَالْفِصَلُ لَابْنِ حَزْم ج ٥ ص ٥٤ وَاعْتِقَادَاتُ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ ص ٥٦ وَالبَدْءُ وَالتَّارِيخُ ج ٥ ص ١٣٨ وَالمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٩٤.

(٢) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْقِ ص ١٠٩ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٥٠ وَالْمَلِكُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٢٣. وَانظر: خَطُّ الْمَقْرِزِي ج ٢ ص ٣٥٥.

(٣) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيَّين ج ١ ص ١٩٤.

(٤) الْبَعْدُ الْحَضَارِي ص ٥٠ بِالْهَامِش.

وتابعه في الرأي عبد الله بن إِبَاض التَّمِيمِي المُرِّي، وهو الذي نُسب إليه المذهب، مع أن رأسه الحقيقي هو جَابِر بن زَيْد، وذلك لبروز ابن إِبَاض في الجانب السياسي، وهو الذي انفصل عن نَافِع بن الأزرق. وتوفي قبل سنة ٨٦هـ<sup>(١)</sup>.

وكتاب الفرق مثل: الأشْعَرِي<sup>(٢)</sup>، والمَلَطِي<sup>(٣)</sup>، والخَوَارِزْمِي<sup>(٤)</sup>، والبَغْدَادِي<sup>(٥)</sup>، وابن حَزْم<sup>(٦)</sup>، والإسْفَرَايِينِي<sup>(٧)</sup>، والمَقْدِسِي<sup>(٨)</sup>، والشَّهْرَسْتَانِي<sup>(٩)</sup>، والشَّيْخ

وانظر ترجمة جَابِر بن زَيْد في: طَبَقَات المشائخ بالمَغْرِب للدرجيني ج ٢ ص ٢٠٥-٢١٤ والسِّيَر للشَّمَاخِي ج ١ ص ٦٧-٧٢ وفيه توفي سنة ٩٦هـ، وأشار إليهما الجَعْفَرِي في البُعْد الحَضَارِي، وابن حَجَر في تَهْذِيب التَّهْذِيب ج ١ ص ٢٧٩ طَبْعَة مَوْسَسَة الرِّسَالَة.

(١) البعد الحضاري السابق ص ٥٢ بالهامش نُقْلًا عن البغطوري والبرادي.

قال المُبَرِّد في الكَامِل ج ٣ ص ٢٧٥: (ثم خرجت خَوَارِج لا ذَكَرَ لهم، كُلُّهم قُتِلَ، حتى انتهى الأمرُ إلى الأَزَارِقَة، ومن هُنا افترقت الخَوَارِج فصارت على أربعة أضرب: الإِبَاضِيَّة، وهم أصحاب عبد الله بن إِبَاض، والصُّفَرِيَّة... والْبَيْهَسِيَّة... والأَزَارِقَة... وكانوا قبلَ على رأيٍ وَاحِد، لا يختلفون إلَّا في الشيء الشاذ من الفُرُوع). وذكر المُبَرِّد أيضًا في الكَامِل ج ٣ ص ٢٩١ مفارقة عبد الله بن إِبَاض نَافِعًا.

وانظر ترجمة ابن إِبَاض في: طَبَقَات المشائخ بالمَغْرِب للدرجيني ج ٢ ص ٢١٤ والسِّيَر للشَّمَاخِي ج ١ ص ٧٢.

- (٢) مَقَالَات الإسلاميين ج ١ ص ١٨٣.
- (٣) التَّنْبِيْه والرَّد ص ١٧٨.
- (٤) مَقَاتِيْع العُلُوم ص ١٩.
- (٥) الفرق بين الفرق ص ١٠٣.
- (٦) الفصل لابن حَزْم ج ٥ ص ٥١.
- (٧) التَّبْصِير في الدِّين ص ٤٨.
- (٨) البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٣٤ و١٣٨.
- (٩) المِلْك والنَّحْل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٣١.

عَبْدُ الْقَادِر<sup>(١)</sup>، وَنَشْوَانُ الْحَمِيرِيِّ<sup>(٢)</sup>، وَالرَّازِيُّ<sup>(٣)</sup>، وَالْأَمْدِيُّ<sup>(٤)</sup>، وَالْإِيجِيُّ<sup>(٥)</sup>،  
وَالكَرْمَانِيُّ<sup>(٦)</sup>، وَالشَّاطِطِيُّ<sup>(٧)</sup>، وَابْنُ الْمُرتَضَى<sup>(٨)</sup>، وَالْمَقْرِيزِيُّ<sup>(٩)</sup>، وَالسَّفَارِينِيُّ<sup>(١٠)</sup>،  
وَابْنُ غَنَامٍ<sup>(١١)</sup>، هَؤُلَاءِ جَمِيعُهُمْ رَأَوْا: أَنَّ الْإِبَاضِيَّةَ إِحْدَى فِرَقِ الْخَوَارِجِ.

وقبلهم ذكر الجاحظ، المُتَوَفَّى سنة ٢٥٥هـ، أَنَّ الْإِبَاضِيَّةَ مِنَ الْخَوَارِجِ، فحين  
ذكر خطبة أَبِي حَمَزَةَ الشَّارِي، الْوَارِدَةَ بِالْهَامِشِ بَعْدَ قَلِيلٍ، قَالَ: (أَبُو حَمَزَةَ الْخَارِجِيُّ،  
وَهُوَ أَحَدُ نَسَاكِ الْإِبَاضِيَّةِ وَخُطْبَائِهِمْ)<sup>(١٢)</sup>.

وكان المُبَرِّد، المُتَوَفَّى سنة ٢٨٦هـ، الذي يميل إلى الخوارج، قد ذَكَرَ أَنَّ الْإِبَاضِيَّةَ  
مِنَ الْخَوَارِجِ، ثُمَّ انفصلوا عنهم، كما قَدَّمْتُ آنِفًا عَنْ كِتَابِهِ الْكَامِلِ.

إِلَّا أَنَّ الْكُتَّابَ الْإِبَاضِيِّينَ يُنْكِرُونَ نِسْبَةَ الْإِبَاضِيَّةِ إِلَى الْخَوَارِجِ، وَيَقُولُونَ بِأَنَّ  
لَا جَامِعَ بَيْنَهُمَا إِلَّا إنْكَارَ التَّحْكِيمِ<sup>(١٣)</sup>، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ التَّحْكِيمَ خَطَأً، فَالْإِمَامُ عَلِيٌّ

(١) الْغُنْيَةُ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ص ١٢٢ طبعة دار إحياء التُّراثِ الْعَرَبِيِّ.

(٢) سُرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٥٦.

(٣) اعْتِقَادَاتُ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ ص ٦٤.

(٤) أَبْكَارُ الْأَفْكَارِ لِلْأَمْدِيِّ ج ٥ ص ٧٨.

(٥) الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٢٩٤.

(٦) الْفِرَقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكَرْمَانِيِّ ص ٦٨.

(٧) الْاِعْتِصَامُ لِلشَّاطِطِيِّ ص ٤٧٩.

(٨) الْمُئِنَّةُ وَالْأَمَلُ ص ١٠٤.

(٩) خَطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٥٥.

(١٠) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٨٨.

(١١) الْعَقْدُ الثَّمِينُ لِابْنِ غَنَامٍ ص ٢٦٨.

(١٢) الْبَيَانُ وَالتَّبَيُّنُ لِلْجَاحِظِ ج ٢ ص ١٢٢.

(١٣) الْفَرْقُ بَيْنَ الْإِبَاضِيَّةِ وَالْخَوَارِجِ لِأَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ أَطْفَيْشَ ص ٣٠ وَالْإِبَاضِيَّةُ بَيْنَ الْفِرَقِ  
الْإِسْلَامِيَّةِ لِعَلِيِّ يَحْيَى مُعَمَّرَ ص ١٨٧، وَنَقَلَ نَصَّ أَبِي إِسْحَاقَ السَّابِقِ فِي ص ٥٤٠. وَانْظُرْ: الْبَعْدُ  
الْحَضَارِيُّ ص ٤٦. وَنَقَلَ فِي ص ٦٠ وَمَا بَعْدَهَا نَصُوصًا مِنْ سِيرِ الشَّمَاخِيِّ عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الإمام الحق، ما كان ينبغي له أن يقبله<sup>(١)</sup>.

ويرون أن الإباضية قد انفصلوا عن الخوارج بعد ظهور مقالة نافع بن الأزرق. وذلك بعد أن اشتد عُبْدُ اللَّهِ بن زياد بن أبيه - والي البصرة لمعاوية - في حرب الخوارج المُحَكِّمَة، ظهر فريقان متعارضان:

الفريق الأول: فريق جابر بن زيد الذي حافظ على مسلك المُحَكِّمَة بأسلوب الكتمان، ومعه عبد الله بن إباض الذي كان يدافع علانية. وكانا يريان ألا سبيل إلى النجاة بحركتهم إلا بالقعود عن الخروج إلى حرب المخالفين، والتركيز على الجانب الثقافي لحفظ تعاليم الإسلام.

والفريق الثاني: أتباع نافع بن الأزرق، الذين ذكرنا آراءهم سابقاً.

ومبدأ افتراقهما هو: أن المُسْلِمِينَ - الخوارج - بعد قتل أبي بلال مرداس بن حُدَيْر سنة ٦١ هـ اجتمعوا بجامع البصرة، وعزموا على الخروج، وفيهم عبد الله بن إباض ونافع بن الأزرق ووجوه المُسْلِمِينَ، فلما جنَّ الليل سمع عبدُ اللَّهِ دَوِيَّ القُرَاء وترنين المؤذنين وحنين المسبحين، فقال لأصحابه: أَعَنْ هَؤُلَاءِ أخرج؟ فرجع وكنم أمره.

وبعدها تَبَرَّأَ الإباضية من نافع بن الأزرق، وهذا واضح مما كتبه عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان: (إِنَّا بَرَاءٌ إِلَى اللَّهِ مِنْ ابْنِ الْأَزْرَقِ وَصَنِيْعِهِ وَأَتْبَاعِهِ)<sup>(٢)</sup>.

لذلك يرفض الإباضية تسميتهم بالخوارج رفضاً باتاً، لأنهم يعتبرون الخوارج

وعبد الله بن إباض، ومن الإزكوي عن عبد الله بن إباض أيضاً، وعن أبي زكريا يحيى الجناوني، وأبي القاسم البرادي، وغيرهم، وهي تفيد أن الإباضية ليسوا من الخوارج.

(١) الإباضية بين الفرق الإسلامية لعليّ يحيى مُعَمَّر السَّابِق ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) البعد الحضاري ص ٥١-٥٤ وانظر ص ٥٠٦. وانظر أيضاً: الإباضية بين الفرق الإسلامية لعليّ يحيى مُعَمَّر ص ٣٣٤ نقلاً عن الدليل والبرهان للوارث جلاّني.

هم المارقة من الدين<sup>(١)</sup>.

والذي أراه: أن قول كل من الفريقين صحيح:

فكتاب الفرق الإسلامية المذكورين يرون أن الإباضية من الخَوارج، لأنهم نظروا إلى مبدأ نشأتهم، حيث كانوا معهم ثم انفصلوا عنهم.

وكتاب الإباضية يرون أن الإباضية ليسوا من الخَوارج، لأنهم نظروا إلى نهاية أمرهم بعد انفصالهم من الخَوارج، لا سيما وأن كلاً من الفريقين لا ينكر ما ادّعاه الآخر بالمفهوم الذي ذكرناه. فالخلاف بينهما غير حقيقي.

ومن آراء الإباضية، أنهم:

أ- يعتبرون دار المخالفين دار توحيد، عدا مُعسكر السلطان، فإنه دار حرب لا دار شرك.

ب- لا يقولون بالاستعراض. والاستعراض هو قتل كل المخالفين باعتبارهم مُشركين.

ج- لا يستحلون من المحاربين إلا دماءهم، فلا سبي ولا غنيمة.

د- يقررون مبدأ القعود عن الثورة، وسموا ذلك بمسلك الكتمان، حيث لا يجيزون الخروج إلا إذا صار عددهم نصف عدد العدو، وكذا العدة والطاقة<sup>(٢)</sup>.

(١) البعد الحضاري ص ٥٤ وانظر ص ٥٠٦.

(٢) البعد الحضاري ص ٥٥-٥٦. وقد فصل عليّ يحيى مُعمر في: الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٤٠-٣٥٠ أنواع الدار، فذكر:

أ- الدار دار إسلام ومُعسكر السلطان مُعسكر إسلام، إذا كان الوطن مسلماً، وأُمته ودولته مُسلمة تعمل بحكم الله.

ب- الدار دار إسلام، ومُعسكر السلطان مُعسكر إسلام إلا أنه مُعسكر بغى وظلم، إذا كان الوطن مسلماً، وأُمته ودولته مُسلمة لكنها لا تحكم بالإسلام.

ج- الدار دار إسلام ومُعسكر السلطان مُعسكر كفر، إذا كان الوطن مسلماً، والأمة

وواضح أن هذه الآراء جميعها مخالفة لما ذهب إليه الأزارقة.

هـ- الكفر عندهم نوعان:

أولهما: كفر نعمة، ويسمى كفر نفاق، وهو الذي تجري على صاحبه أحكام الموحدين<sup>(١)</sup>، وهو مرادف للفسق والفجور والعصيان<sup>(٢)</sup>.

والثاني: كفر شرك وجحود، ويخرج به الإنسان من الملة الإسلامية<sup>(٣)</sup>.

### عبادة الخوارج

مع ما تقدم للخوارج من آراء تعج بالقسوة والعنف والتهور، إلا أنهم تميزوا بصفات متناقضة كالشدد في العبادة.

ففيهم قال النبي ﷺ: (يُخْرَجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...) <sup>(٤)</sup>.

مُسْلِمَة، والدولة الحاكمة مستعمرة مُشْرِكَة كتابية أو غير كتابية.

د- الدار دار كفر ومُعسكر السُلطان مُعسكر كفر، إذا كان الوطن للمُشْرِكِينَ تسكنه أمة مُشْرِكَة، وتحكمه دولة مُشْرِكَة.

وانظر هذه الآراء وغيرها في: تُحْفَة الْأَعْيَانِ لِلْسَّالِمِيِّ ص ٨١-٨٥ عند ذكره (باب في عَقِيْدَة أَهْلِ عُمَانَ).

(١) مُخْتَصَر تَارِيخ الْإِبَاضِيَّة لِلْبَارُونِي ص ٧٤.

(٢) الْبَعْدُ الْحَضَارِيُّ ص ٥١٢.

(٣) مُخْتَصَر تَارِيخ الْإِبَاضِيَّة لِلْبَارُونِي السَّابِق.

(٤) حَدِيث: يُخْرَجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٦٦ كتاب فَصَائِلِ الْقُرْآن، ٣٦ باب من رَايَا بَقْرَاءَةَ الْقُرْآن، رقم ٥٠٥٨، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.



وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسِمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ. فَقَالَ: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ اَعْدِلْ، قَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ اَعْدِلُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَدْنُ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: دَعُهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ... آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عِصْدِيهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرَأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدْرَدُرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينٍ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ.

قال أبو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمَسَ، فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعْتُهُ<sup>(١)</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى بِنَحْوِ هَذَا اللَّفْظِ وَزَادَ: قَالَ: فَتَزَلَّتْ فِيهِ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ - التوبة ٥٨<sup>(٢)</sup>.

فَقَوْلُهُ ﷺ فِيهِمْ: (يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ) دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ تَدِينِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ.

(١) حَدِيثٌ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... إلخ، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٦١ كِتَابِ الْمَنَاقِبِ، ٢٥ بَابِ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، رَقْمُ ٣٦١٠، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ.

وَنَحْوُهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٧٨ كِتَابِ الْأَدَبِ، ٩٥ بَابِ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ وَيْلَكَ، رَقْمُ ٦١٦٣، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ. وَمَوَاضِعُ أُخَرِ.

وَالْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ١٢ كِتَابِ الزَّكَاةِ، ٤٧ بَابِ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، رَقْمُ ١٠٦٤، ج ٢ ص ٧٤٤، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ.

وَالْبَضْعَةُ: قِطْعَةُ اللَّحْمِ. تَدْرَدُرُ: تَذْهَبُ وَتُجَيِّءُ.

وَانْظُرْ: التَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٤١.

(٢) الرِّوَايَةُ مَعَ الزِّيَادَةِ فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٨٨ كِتَابِ اسْتِثَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ، ٧ بَابِ مَنْ تَرَكَ قِتَالَ الْخَوَارِجِ لِلتَّأَلُّفِ، رَقْمُ ٦٩٣٣، عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ.

وعُرْوَةُ بن حُدَيْرٍ ويسمى (ابن أُدَيَّة)، وهو أول من حَكَّم، حين أتى به إلى زياد بن أبيه، وسأله أسئلة، ثم أمر به، فُضِرَتْ عنقه، دعا مولاه، وقال له: صِفْ لي أموره، فقال: أَطْنِبْ أم أختَصِرْ؟ فقال: بل اختَصِرْ.

فقال: ما أتيتُه بطعام بنهار قطُّ، ولا فرشتُ له فراشاً بليل قطُّ. يريد أنه صائم النهار، قائم الليل دائماً<sup>(١)</sup>.

وحين خرج الخوارج على عليّ بعد التحكيم، ونزلوا حروراء، وجّه إليهم عبد الله بن العباس، فلما صار إليهم رَحَّبوا به وأكرموه، فرأى منهم جِباهاً قِرْحَةً لطول السجود، وأيدياً كَثِفَتِ الإبل، وعليهم قُمْصٌ مُرَحَّضَةٌ، وهم مُشْمَرُونَ<sup>(٢)</sup>.

وذكر أن الصُفْرِيَّةَ قد سُمُّوا بِذَلِكَ - في أحد الأقوال وأكثر المتكلمين عليه - لأنهم قوم نَهَكْتَهُم العِبَادَةُ، فاصفرت وجوههم<sup>(٣)</sup>.

وخطبة أبي حمزة يحيى بن المُختار السَّارِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣٠هـ، تُصوِّر ما كان عليه هؤلاء من اجتهاد كبير في العِبَادَةِ<sup>(٤)</sup>.

(١) الكامل للمبرِّد ج ٣ ص ١٨١. وانظر: الملل والنحل للشَّهرستاني ج ١ ص ١١١ وقال: هُذِهِ معاملته واجتهاده، وَذَلِكَ خَبْثُهُ واعتقاده. وانظر أيضاً تَعْلِيْقُ مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّين عبد الحميد على الفَرْقِ بين الفَرْقِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ٧٤ الهامش نُقْلًا عَنِ الْمَعَارِفِ لابن قُتَيْبَةَ.

(٢) الكامل للمبرِّد ج ٣ ص ٢١١. وفي هامشه:

قِرْحَةٌ: بها قروح. ثَفِنَاتُ الْإِبِلِ: ما يصب الأَرْض منها إذا بركت. مُرَحَّضَةٌ: مغسولة.

(٣) الكامل للمبرِّد ج ٣ ص ٢٧٥ و ٣٠٤.

(٤) قال أبو حمزة السَّارِي: يا أهل الحِجَاز أتعِرونني بأَصْحَابِي وتزعمون أنهم شباب؟ وهل كان أصحاب رسول الله إلَّا شباباً... شبابٌ والله مُكْتَهِلون في شبابهم، غَضِيضَةٌ عن الشرِّ أعينُهُم، ثَقِيلَةٌ عن الباطل أرجلُهُم، أنضاء عِبَادَةٍ، وأطلاحُ سَهَرٍ، ينظر الله إليهم في جوف الليل منحنيةً أصْلَابُهُم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بَكَى شَوْقًا إليها، وإذا مر بآية من ذكر النار شَهِقَ شَهْقَةً كأن زفير جهنم بين أذنيه، مَوْصُول كَلَالُهُم بِكَلَالِهِم، كَلال الليل بِكَلال النهار، قد أكلت الأرض رُكْبَهُم وأيديهم وأنوفهم وجباههم، واستقلُّوا ذَلِك في

إلا أن اجتهاد الخوارج في العبادة لا يُغنيهم، لأنهم خرجوا على طاعة الإمام علي رضي الله عنه، وطاعة الإمام الحق مفروضة على الناس بالنصوص الثابتة الكثيرة، ومنها:

- قوله ﷺ: (من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية).

- وقوله ﷺ: (اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة).

- وقوله ﷺ: (من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)<sup>(١)</sup>.

جَنَّبَ اللهُ، حتَّى إذا رأوا السهام قد فُوقَتْ، والرماح قد أُشْرِعت، والسيوف قد انْتُصِيت، ورَعَدَتِ الكُتَيْبَةُ بصواعق الموت وبرَقَتْ، استخَفُّوا بوعيد الكُتَيْبَةِ لوعْدِ اللهِ، ومَضَى الشَّابُّ مِنْهُمْ قُدْماً حتَّى اخْتَلَفَتْ رِجْلَاهُ عَلَى عُتُقِ فَرَسِهِ، وَتَحَضَّبَتْ بِالدِّمَاءِ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ، فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ سِبَاعُ الْأَرْضِ، وَأَنْحَطَّتْ عَلَيْهِ طَيْرُ السَّمَاءِ، فَكَمْ مِنْ عَيْنٍ فِي مَنْقَارِ طَائِرٍ طَالَمَا بَكَى صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَوْفِ اللهِ، وَكَمْ مِنْ كَفٍّ زَالَتْ عَنْ مِعْصَمِهَا طَالَمَا اعْتَمَدَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ بِالسُّجُودِ لِلَّهِ. / الْبَيَانُ وَالتَّبَيُّنُ لِلْجَاحِظِ ج ٢ ص ١٢٤-١٢٥. وفي هامشه:

**أَطْلَاح:** جمع طَلَح، وهو المعبي (في القاموس المحيط مادة الطلح: الطَّلَح بالكسر كالطَّلِيح، المَهْزُول، والرَّاعِي المُعْبِي).

**فُوقَتْ:** جعلت لها الأفواق. والفوق بالضم: موضع الوتر من السهم.

(١) انظر هذه الأحاديث والكلام عن طاعة الإمام وضوابطها في كتابي: الشُّورَى بَيْنَ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِ ص ٨٢ وما بعدها.

وَحَدِيث: مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً... إلخ، في: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ في: كِتَابِ الْفِتَنِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ سَتْرُونَ بَعْدِي أُمُوراً تُنْكَرُونَهَا، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَحَدِيث: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا... إلخ، في: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ في: كِتَابِ الْأَحْكَامِ، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

وَحَدِيث: مَنْ خَلَعَ يَدَا مِنْ طَاعَةٍ... إلخ، في: صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: كِتَابِ الْإِمَارَةِ، بَابُ الْأَمْرِ بِلِزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ...، عَنْ ابْنِ عُمر.

### الشَّيْعَة

الشَّيْعَة في أصل اللُّغَة: الأتباع والأنصار، وكلُّ قوم اجتمعوا على أمرٍ فهم شَيْعَة.

وشايَعته على الأمر مُشَايعة: تابعته مُتَابعةً، وزناً ومعنى<sup>(١)</sup>. ومنه قوله تعالى: ﴿فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ - الحجر ١٠، وقوله: ﴿وَأَتَتْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِابْرَهِيمَ﴾ - الصافات ٨٣<sup>(٢)</sup>.

وفي الاصطلاح: الشَّيْعَة هم الذين شايعوا عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على الخصوص، وقالوا بإمامته نصّاً ووصية، إما جليّاً وإما خفياً.

واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقيّة من عنده<sup>(٣)</sup>.

والشَّيْعَة ظهرت حركة سياسية بصورة واضحة بعد مقتل الإمام عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيد الخوارج، وقد كانت بدورها قد ظهرت حين الاختلاف على الإمامة.

### فِرَق الشَّيْعَة

والشَّيْعَة فِرَق كثيرة بلغت في قول المقرّيزيّ ثلاثمائة فِرقة<sup>(٤)</sup>، تندرج تحت ثلاثة

(١) المصباح المُنيّر، والقامُوس المُحيّط، وكلاهما مادة (شاع).

(٢) شَرْح الحُور العَيْن ص ٢٣٢.

(٣) المُلْك والنَّحْل للشَّهْرَسْتَانِي: ج ١ ص ١٤٤ والفِرَق الإسلاميّة للكرمانيّ ص ٣٣ وشرح المواقف للسَّيّد الشَّريف ج ٨ ص ٣٨٤. وانظر: مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٦٥ ومُقدِّمة ابن خلدون ص ١٨٣.

(٤) خِطَط المقرّيزيّ ج ٢ ص ٣٥١.

أصناف هي: الغلاة، والزيدية، والإمامية. وهذا تصنيف الأشعري<sup>(١)</sup>، وابن حزم<sup>(٢)</sup>، والامدي<sup>(٣)</sup>، والإيجي<sup>(٤)</sup>، والكرماني<sup>(٥)</sup>، والشاطبي<sup>(٦)</sup>، والسفاري<sup>(٧)</sup>.

أما التصنيفات الأخرى التي ذكرها كتاب الفرق الآخرون<sup>(٨)</sup> فهي مندرجة في هذه الأصناف الثلاثة.

- (١) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٦٦ و ٨٨ و ١٣٦.
- (٢) الفصل لابن حزم ج ٥ ص ٣٥ وفيه: أهل الشنعة من الشيعة ثلاث: الجارودية من الزيدية، والإمامية من الرافضة، ثم الغالية.
- (٣) أبكار الأفكار للامدي ج ٥ ص ٥٢.
- (٤) المواقف ج ٨ ص ٣٨٥.
- (٥) الفرق الإسلامية للكرماني ص ٣٣.
- (٦) الاعتصام للشاطبي ص ٤٧٦.
- (٧) لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٨٠.
- (٨) من ذلك:

صنفان هما: الزيدية، والإمامية. وهو تصنيف المقدسي في البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٢٤. ثلاثة أصناف هي: الزيدية، والإمامية، والباطنية، وهو تصنيف ابن المرتضى في المنية والأمل ص ٨٩.

ثلاثة أصناف أيضاً هي: الزيدية، والإمامية، والكيسانية. وهو تصنيف الإسفراييني في التبصير ص ٢٤ ونشوان في شرح الحور العين ص ٢٣٥ والرازي في اعتقادات فرق المسلمين ص ٧٧.

أربعة أصناف هي: الزيدية، والإمامية، والكيسانية، والغلاة. وهو تصنيف البغدادي في الفرق بين الفرق ص ٢١.

خمسة أصناف هي: الزيدية، والإمامية، والكيسانية، والغلاة، والإسماعيلية. وهو تصنيف الشهرستاني في الملل والنحل ج ١ ص ١٤٥.

سبعة أصناف هي: السبئية، والسحابية، والغرابية، والكاملية، والزيدية، والإمامية. وهو تصنيف نشوان في شرح الحور العين ص ٢٠٦.

### الصنف الأول: الغلاة:

وهؤلاء غَلَوْا في حق الأئمة، حتى أخرجوهم من حدود البشر، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية.

ومن المبادئ التي ظهرت في فرقهم هي: التشبيه، والحُلُول، والتناسخ، والبداء، والتأويل، والإلحاد<sup>(١)</sup>.

١ - التشبيه والتجسيم، وهو تشبيه ذات الباري عزَّ وجلَّ بذات غيره من المخلوقين، وتشبيه صفاته تعالى بصفات غيره. أي: أن الله تعالى على صورة الإنسان عضواً فعضواً.

ومن فرقهم القائلة بالتشبيه والتجسيم:

البَيَانِيَّة: أتباع بَيَان بن سَمْعَانَ التَّمِيمِي، الذي زعم أن مَعْبُودَهُ إنسان من نور، على صورة الإنسان في أعضائه، وأنه يفنى كله إلا وجهه<sup>(٢)</sup>.

والمُغِيرِيَّة: أتباع المُغِيرَةَ بن سَعِيدِ العَجَلِي، الذي زعم أن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على مثل حروف الهجاء، وصورته صورة رجل من نور، على رأسه تاج من نور، وله قلب تنبع منه الحكمة<sup>(٣)</sup>.

والمَنْصُورِيَّة: أتباع أَبِي مَنْصُورِ العَجَلِي، الذي شَبَّه نفسه بربه، وزعم أنه صعد

(١) انظر هذه المبادئ في: المِلَل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٧٦ وما بعدها. وذكرتها في كتابي: الحركات الهدامة في الإسلام ص ١٣ وما بعدها.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٢٦ ومقالات الإسلاميين ج ١ ص ٦٧ والمواقف ج ٨ ص ٣٨٥.

(٣) المِلَل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٨٠. وانظر: الفرق بين الفرق، والمواقف، السابقين.

إلى السماء، وزعم أيضاً أن الله مسح يده على رأسه، وقال له: يا بُنَيَّ بَلِّغْ عَنِّي<sup>(١)</sup>، ثم أهبطه الأرض، فهو الكسف الساقط من السماء<sup>(٢)</sup>، المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ - الطُّور ٤٤.

٢- الحُلُول: وهو أن يُحَلَّ الله سُبْحَانَهُ بذاته أو بروحه في البشر، والحُلُول قد يكون بجزءٍ كإشراق الشمس في كُوةٍ، وقد يكون الحُلُول بكلِّ كظهور مَلَك بشخص<sup>(٣)</sup>. ومَذْهَبُ الحُلُول مَذْهَبٌ قديم، وهو يوافق قول النَّصَارَى في عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام<sup>(٤)</sup>.

ومن فِرَقِهِمُ القائلَةُ بالحُلُول:

السَّبَيْئِيَّة: أتباع عبد الله بن سَبَأ، الذي زعم أن عَلِيًّا نَبِيًّا، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إلهٌ بحُلُول روح الإله فيه، ولما سمع الإمام عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهم أمر بإحراق قوم منهم، وخشي الفتنة، فنفى ابن سَبَأ إلى المدائن، فلما قُتِلَ عَلِيٌّ، زعم ابنُ سَبَأ أن المقتول لم يكن عَلِيًّا، وإنما كان شيطاناً تصوّر للناس في صورة عَلِيٍّ، وأن عَلِيًّا صَعِدَ إلى السماء كما صَعِدَ إليها عِيسَى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَام.

وزعم بعض السَّبَيْئِيَّة أن عَلِيًّا في السحاب، وأن الرعد صوته والبرق سوطه. ومن سمع منهم صوت الرعد قال: عليك السَّلَام يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) الفَرْقُ بين الفِرَقِ السَّابِقِ، والمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣٨٦ وفِرَقِ الشَّيعة لِلنَّبُوخْتِيِّ ص ٣٨.
  - (٢) المِلَلُ والنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٨٢. وانظر: التَّبصِيرُ فِي الدِّينِ ص ١٠٥ ومَقَالَاتُ الإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٧٤ والمَقَالَاتُ والفِرَقُ لِلقُمِّيِّ ص ٤٧ والمَوَاقِفِ السَّابِقِ.
  - (٣) المِلَلُ والنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٧٨.
  - (٤) مُقَدِّمَةُ ابْنِ خَلْدُونٍ ص ١٨٤.
  - (٥) الفَرْقُ بين الفِرَقِ ص ٢٣٣ و ٢٥٥ والبَدْءُ والتَّارِيخُ ج ٥ ص ١٢٥ والتَّبصِيرُ فِي الدِّينِ ص ١٠٣ والفَصْلُ لابْنِ حَزْمٍ ج ٥ ص ٣٦ والمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣٨٥. وانظر: فِرَقِ الشَّيعة لِلنَّبُوخْتِيِّ ص ٢٢ ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ٢ ص ٣٦.

والبيانية: حيث زعم بيان بن سمعان أنه كان إلهاً<sup>(١)</sup>.

والعميرية: أتباع عمير بن بيان العجلي، الذين عبدوا جعفر الصادق، وسموه رباً<sup>(٢)</sup>.

والأبو مسلمية: أتباع أبي مسلم الخراساني، الذين زعموا أن أبا مسلم صار إلهاً بحلول روح الإله فيه<sup>(٣)</sup>.

والحلمانية: أتباع أبي حلمان الدمشقي الفارسي، الذين قالوا بحلول الإله في الأشخاص الحسنة، وكان مع أصحابه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها، يوهمون أن الإله قد حل فيها<sup>(٤)</sup>.

والشريعة: أتباع الشريعي، الذي زعم أن الله حل في خمسة أشخاص، وهم: النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وزعموا أن هؤلاء الخمسة آلهة<sup>(٥)</sup>.

والمقنعية: وراء نهر جيحون، الذين ادعوا أن المقنع إله<sup>(٦)</sup>.

والعدافرة: الذين قالوا بإلهية ابن أبي العذافر<sup>(٧)</sup>.

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٣٧. وفي ص ٢٤٣ أن منهم الحربية حيث زعموا أن زعيمهم عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي إله. والتبصير في الدين ص ١٠٤.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٤٩.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٥٧.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٥٩ والتبصير في الدين ص ١١٠.

(٥) الفرق بين الفرق ص ٢٥٢ ومقالات الإسلاميين ج ١ ص ٨٣ والتبصير في الدين ص ١٠٧.

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢٢٦ والتبصير في الدين ص ١٠٩ واعتقادات فرق المسلمين ص ١٢٣.

(٧) الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ والتبصير في الدين ص ١١٢.



والإسماعيلية: الذين يقولون بوقف الحُلُول على الأئمة، لذلك يخاطب الشاعر ابن هانئ الأندلسي الخليفة الفاطمي المعز لدين الله:

ما شئتَ لا ما شئتَ الأقدارُ فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القَهَّارُ<sup>(١)</sup>

٣- التناسخ: وهو ردّ الروح إلى بدن غير البدن الأول<sup>(٢)</sup>.

ومن فرق الغلاة القائلين به:

البَيَانِيَّة: أتباع بيان بن سَمْعَانَ، القائل: إن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة، حتى صارت إلى أبي هاشم عبد الله بن مُحَمَّد بن الحَنَفِيَّة، ثم انتقلت إليه منه - يعني نفسه - فادعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحُلُولِيَّة<sup>(٣)</sup>.

والجَنَاحِيَّة: أتباع عبد الله بن مُعَاوِيَةَ بن عبد الله بن جَعْفَر بن أبي طَالِب، الذي زعم أنه رَبٌّ، وأن روح الإله كانت في آدم، ثم في شيت، ثم دارت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى عَلِيِّ، ثم دارت في أولاده الثلاثة، ثم صارت إلى عبد الله بن مُعَاوِيَةَ<sup>(٤)</sup>.

والقائلون بالتناسخ يُنكرون يوم الحساب، ويقولون: (ليس قيامة ولا آخرة، وإنما هي أرواح تتناسخ في الصُّور، فمن كان مُحْسِنًا جُوزِيَ بأن يُنقل روحه إلى جسد لا يلحقه فيه ضرر ولا ألم، ومن كان مُسِيئًا جُوزِيَ بأن يُنقل روحه إلى أجساد يلحق الروح في كونه فيها الضرر والألم، وليس شيء غير ذلك، وأن الدنيا لا تزال أبدًا هَكَذَا)<sup>(٥)</sup>.

(١) تَبَيَّن المعاني في شَرْح ديوان ابن هاني ص ٣٦٥.

(٢) الغُلُو والفرق الغالية ص ١٢٩ نَقْلًا عن ابن سينا. وانظر: الكُلِّيَّات لأبي البَقَاء ص ٣٠٥ وكَشَاف اصطِلَاحَات الفُنُون ج ١ ص ٥١٢.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٣٧.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٤٦.

(٥) مَقَالَات الإسلاميين ج ١ ص ١١٩.

## ٤- البداء: وله معانٍ:

- البداء في العلم: هو أن يظهر له تعالى خلاف ما علم.
  - البداء في الإرادة: هو أن يظهر له تعالى صواباً على خلاف ما أراد وحكم.
  - البداء في الأمر: هو أن يأمر بشيء، ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك<sup>(١)</sup>.
- قال الغلاة: (إن الله تبدو له البداوات، وأنه يريد أن يفعل الشيء في وقت من الأوقات، ثم لا يحدثه، لما يحدث له من البداء)<sup>(٢)</sup>.
- والمختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي كان خارجياً، ثم صار زبيرياً، ثم صار شيعياً وكيسانياً، قال بإمامة محمد بن الحنفية بعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقيل: بعد الحسن والحسين رضي الله عنهما. وإنما صار المختار إلى القول بالبداء، لأنه كان يدعي علم ما يحدث من الأحوال إما بوحي يوحى إليه، وإما برسالة من قبل الإمام. فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة، فإن وافق كونه قوله، جعله دليلاً على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بدا لربكم<sup>(٣)</sup>.

وحين أخرج جيشه لقتال مضعب بن الزبير وعدهم بالنصر، لكن حين انهزم جيشه، وقتل أكثر قواده، قالوا له: لماذا تعدنا بالنصر على عدونا؟ فقال: إن الله تعالى كان قد وعدني ذلك، لكنه بدا له. واستدل بالآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ - الرعد ٣٩. قال البغدادي: فهذا سبب قول الكيسانية بالبداء<sup>(٤)</sup>.

#### ٥- التأويل: وهو صرف الكلام عن ظاهره إلى وجه يحتمله، أوجه برهان قطعي في القطعيات وظني في الظنيات.

- (١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٤٨ طبعة محمد سيد كيلاني.
- (٢) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١١٣.
- (٣) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٤٥-١٤٧. وانظر: الكامل للمبرّد ج ٣ ص ٢٦٤.
- (٤) الفرق بين الفرق ص ٥١.

والتفسير: هو بيان معنى اللفظة القريبة أو الخفية<sup>(١)</sup>.

وطريقة التأويل بشرطها هي الأقرب إلى الحق، كما رأى العزّ بن عبد السلام. ويعني بشرطها أن يكون على مقتضى لسان العرب<sup>(٢)</sup>.

أما التأويل الذي ذهب إليه كثير من فرق الغلاة، تأييداً لدعواها مع اصطدامها بالأصول التي وردت في ظاهر القرآن والسنة، فهو التأويل المرفوض.

ومنه:

تأول الخطابية قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ - ص ٧٢، قالوا: فهو آدم ونحن ولده. وعبدوا أبا الخطاب، وزعموا أنه إله، وزعموا أن جعفر الصادق إلههم أيضاً، إلا أن أبا الخطاب أعظم منه وأعظم من علي<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو منصور العجلي: إن الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر وغير ذلك من المحارم حلال، وقال: لم يحرم الله ذلك علينا، ولا حرم شيئاً تقوى به أنفسنا، وإنما هذه الأشياء أسماء رجال حرم الله سبحانه ولايتهم، وتأول في ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ - المائدة ٩٣، وأسقط الفرائض، وقال: هي أسماء رجال أوجب الله ولايتهم<sup>(٤)</sup>.

٦- نزعات الإلحاد والإباحية والتحلل من الأخلاق والدين: فحمزة بن عمارة نكح ابنته، وأحل جميع المحارم، وقال: من عرف الإمام فليصنع ما شاء، فلا إثم عليه<sup>(٥)</sup>.

(١) تهذيب الأسماء واللغات م ٢ ص ١٥.

(٢) المسامرة بشرح المسامرة ص ٣٧.

(٣) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٧٧.

(٤) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٧٥.

(٥) فرق الشيعة للنوبختي ص ٢٨ والمقالات والفرق للقمي ص ٣٤.

وَالْمَعْمَرِيَّةَ مِنَ الْخَطَايَا اسْتَحَلُّوا الْخَمْرَ وَالزَّانَا وَسَائِرَ الْمَحْرَمَاتِ، وَتَرَكُوا الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ، مَتَأَوَّلِينَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ - النساء ٢٨، وقالوا له: خفف يا أبا الخطاب وَضَعْنَا الْأَغْلَالَ وَالْأَصَارَ، يريدون الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ. فَمَنْ عَرَفَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْإِمَامَ فَلْيَصْنَعْ مَا أَحَبَّ<sup>(١)</sup>.

وَالْجَنَاحِيَّةَ كَفَرُوا بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَاسْتَحَلُّوا الْخَمْرَ وَالْمَيْتَةَ وَالزَّانَا وَاللُّوَاطَ وَسَائِرَ الْمَحْرَمَاتِ، وَأَسْقَطُوا وَجُوبَ الْعِبَادَاتِ.

وَقَالُوا الْعِبَادَاتُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ هِيَ كُنَايَاتُ عَمَلٍ تَجِبُ مَوَالِيهِمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ عَلِيٍّ.

وَالْمَحْرَمَاتُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ هِيَ كُنَايَاتُ عَنْ قَوْمٍ يَجِبُ بَغْضُهُمْ كَأَيُّ بَكْرٍ وَعُمَرَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَعَائِشَةَ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي رِسَالَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْقَيَّرَوَانِيِّ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ الْجَنَابِيِّ: إِنِّي أُوصِيكَ بِتَشْكِيكِ النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ وَالتَّوْرَةِ وَالزَّبُورِ وَالْإِنْجِيلِ، وَبَدْعُوهُمْ إِلَى إِبْطَالِ الشَّرَائِعِ، وَإِلَى إِبْطَالِ الْمَعَادِ وَالنَّشُورِ مِنَ الْقُبُورِ، وَإِبْطَالِ الْمَلَائِكَةِ فِي السَّمَاءِ، وَإِبْطَالِ الْجَنِّ فِي الْأَرْضِ<sup>(٣)</sup>.

وَأَبُو مَنْصُورٍ الْعِجْلِيُّ صَاحِبُ فِرْقَةِ الْمَنْصُورِيَّةِ يَقُولُ: إِنَّ الرِّسْلَ لَا تَنْقُطُ أَبَدًا،

(١) فِرْقَةُ الشَّيْعَةِ لِلنُّوْبُخْتِيِّ ص ٤٢-٤٣. وانظر: الْمَقَالَاتُ وَالْفِرَقُ لِلْقَمِّيِّ ص ٥١. وانظر أيضاً: مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٧٨ وَالْفِرَقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٤٨.

(٢) الْفِرَقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٤٦. وانظر: الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٨٦.

(٣) الْفِرَقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٩٦ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ١٢٠.

وَعُبَيْدُ اللَّهِ هُوَ جَدُّ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ الْعُبَيْدِيَّةِ (الْفَاطِمِيَّةِ) بِمِصْرَ، مَاتَ سَنَةَ ٣٢٢ هـ. وَالْجَنَابِيُّ الْقَرْمِطِيُّ قَالَعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ سَنَةَ ٣١٧ هـ. / هَامِشُ التَّبَصُّيرِ فِي الدِّينِ.

والرسالة لا تنقطع<sup>(١)</sup>.

وسُميت هذه الفرق بالغلالة أو الغالية، لأنهم غلّوا في عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقالوا فيه قولاً عظيماً<sup>(٢)</sup>.

وقد كفرتهم فرق المسلمين جميعاً، لخروجهم عن الإسلام بشكل سافر، حتى أن ابن بابويه القميّ الشيعيّ الإماميّ قال فيهم: (اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفّار بالله جلّ اسمه، وأنهم شرٌّ من اليهود والنصارى والمجوس).

وحكم الشيخ المفيد من الإماميّة أيضاً بضلالهم وكفرهم وخروجهم عن الإسلام. وقال بعده: حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالكفر والقتل والتحريق بالنار، وقضت الأئمة عليهم السلام بالإكفار والخروج عن الإسلام<sup>(٣)</sup>.

وأصل دعوة الغلاة مبني على إبطال الشرائع، وذلك:

لأن الغيارية، وهم طائفة من المجوس راموا تأويل الشرائع، حين سادت شوكة الإسلام، على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم، فاجتمعوا وتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك، وقالوا لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك، لكننا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا، ونستدرج به الضعفاء منهم، فإن ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم<sup>(٤)</sup>.

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٨٢.

(٢) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٦٦.

(٣) دراسات في الفرق ص ٧٦ نقلاً عن عقائد الإماميّة لابن بابويه - باب نفي الغلو، وتوضيح عقائد الإماميّة للشيخ المفيد - باب الغلو والتفويض. وانظر مقدمة فرق الشيعة للنوبختي التي كتبها محمد صادق آل بحر العلوم.

(٤) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٨٩. وانظر نحو ذلك: الفصل لابن حزم ج ٢ ص ٢٧٣ وتليّس إبليس ص ١٠٣ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٦٢ والمنية والأمل ص ٩٦ وردّ محمد عبده على هانوتو - الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج ٣ ص ٢١٠.

### ● الصنف الثاني من أصناف الشَّيْعَةِ: الزَّيْدِيَّةُ:

وهم أتباع زَيْد بن عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بنِ الْحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الذين قالوا بِإِمَامَتِهِ<sup>(١)</sup>.

وكان زَيْد قد بايعه خمسة آلاف من أهل الكُوفَةِ، فقاتل بهم أَمِيرَ الكُوفَةِ يُوسُفَ بنَ عُمَرَ الثَّقَفِيَّ عاملَ هِشَامِ بنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فسمع فيهم من يطعن بِأبي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَأَنكَرَ زَيْدُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَتُنِيَّ عَلَيْهِمَا جَدِّي عَلِيٌّ. فخرجوا عليه، ورفضوه، فسموا رافضة، وهجروه كلهم، ولم يبقَ مع زَيْدٍ إِلَّا نَضْرُ بنُ خُرَيْمَةَ الْعَبْسِيِّ، وَمُعَاوِيَةَ بنِ إِسْحَاقَ بنِ زَيْدٍ بنِ حَارِثَةَ، مع مقدار مائتي رجل، فقتلوا جميعاً مع زَيْدٍ، وَذَلِكَ سنة ١٢٢ هـ = ٧٣٨ م. وهرب ابنه يَحْيَى بنُ زَيْدٍ إِلَى خُرَاسَانَ، وصار إِلَى نَاحِيَةِ جُوزْجَانَ، وخرج عَلَى نَضْرُ بنِ سَيَّارٍ وَالْيَحيى خُرَاسَانَ، فبعث نَضْرُ إِلَيْهِ قَائِدَهُ سَلْمَ بنَ أَحْوَزَ الْمَازَنِيَّ فِي ثَلَاثَةِ آلافٍ مَقَاتِلٍ، فَاسْتَشْهَدَ يَحْيَى بنُ زَيْدٍ، وَذَلِكَ سنة ١٢٦ هـ، وَقَبْرُهُ بِجُوزْجَانَ<sup>(٢)</sup>.

(١) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٣٦ وَالتَّنْبِيْهُ وَالرَّدُّ ص ٣٣ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢٢ وَالتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٢٥ وَشَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٣٥ وَالْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٥٣ وَاعْتِقَادَاتُ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ ص ٧٧ وَالْمُنْبَةِ وَالْأَمَلُ ص ٨٩ وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٩١ وَالْفِرَقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكَرْمَانِيِّ ص ٥٧ وَخَطَطُ الْمُقْرِئِيِّ ج ٢ ص ٣٥٢ وَمُقَدِّمَةُ ابْنِ خَلْدُونٍ ص ١٨٤ وَالزَّيْدِيَّةُ لِلْأَكْوَاعِ ص ١٤ نَقْلًا عَنْ فَهْرَسْتِ ابْنِ النَّدِيمِ، وَالْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لابْنِ الْمُرتَضَى، وَالرَّحِيقُ لِلْجَنْدَارِيِّ، وَأَوَائِلُ الْمَقَالَاتِ لِلشَّيْخِ الْمُفِيدِ.

(٢) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٣٧ وَالتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٢٦. وَانظر: الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٣٥ وَالْعُنْيَةُ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ج ١ ص ٩٨ وَالْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٥٥ وَشَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٣٨ وَاعْتِقَادَاتُ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ السَّابِقِ.

وَانظر: الزَّيْدِيَّةُ لِلْأَكْوَاعِ السَّابِقِ ص ١٨، وَنَقَلَ نَصَوْصًا عَنْ عُلَمَاءِ الزَّيْدِيَّةِ كَالْإِمَامِ الْهَادِي، وَالْمَقْبِلِيِّ، وَأَيْضًا عَنْ عِيْسَى بنِ يُوسُفَ، وَغَيْرِهِمْ، فِي إِطْلَاقِ زَيْدٍ اسْمَ (الرَّافِضَةِ) عَلَى مَنْ تَبَرَأَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. وَنَقَلَ الْإِجْمَاعَ عَلَى هَذِهِ التَّسْمِيَةِ: مَجْدُ الدِّينِ الْمُؤَيَّدِيُّ مَفْتِي الْيَمَنِ فِي تَقْدِيمِهِ

## فِرَقُ الزَّيْدِيَّةِ:

انقسمت الزَّيْدِيَّةُ إلى فِرَقٍ عديدة، اختلف الباحثون في عدِّها<sup>(١)</sup>، أشهرها:

١- الجَارُودِيَّة: أتباع أبي الجَارُودِ زِيَاد بن المُنْذِرِ العَبْدِيِّ الكُوفِيِّ الهَمْدَانِيِّ، الأعمى. وهو الذي سماه الإمام الباقر (سُرحوباً)، وفَسَّره بأنه شيطان يسكن البحر، توفي سنة ١٥٠ هـ وقيل سنة ١٦٠ هـ، وزعموا: أن النَّبِيَّ ﷺ نَصَّ على عَلِيِّ بن أبي طَالِب

لكتاب الزَّيْدِيَّةِ لِعلي بن عبد الكريم الفضيل صفحة هـ. وانظر أيضاً هَذِهِ التسمية وسببها هَذَا في المَصَابِيح لأبي العَبَّاسِ أَحْمَد بن إِبْرَاهِيمَ من عُلَمَاء الزَّيْدِيَّة ص ٣٩٠-٣٩٢ وأورد عدة روايات في ذَلِكَ، وأيضاً في المُنِيَّة والأَمَل لابن المُرْتَضَى ص ٩٣-٩٤ وتاج العروس مادة (رفض).  
(١) اختلف الباحثون في عدد فرق الزَّيْدِيَّة على النحو الآتي:

ثلاث فِرَق وهي: الجَارُودِيَّة، والسُّلَيْمَانِيَّة (الجَرِيرِيَّة)، والبُتْرِيَّة (الأبْترِيَّة، الصَّالِحِيَّة): وهو قول البَغْدَادِيِّ في الفِرَق بين الفِرَق ص ٢٢ والإسْفَرَايْنِي في التَّبْصِير في الدِّين ص ٢٤ والشَّهْرَسْتَانِي في الملِك والنَّحْل ج ١ ص ١٥٧ والرَّازِي في اعتقادات فِرَق المُسْلِمِينَ ص ٧٧ والإيجِي في المَوَاقِف ج ٨ ص ٣٩١ والكَرْمَانِي في الفِرَق الإسلاميَّة ص ٥٧ ونَشْوَان في شَرْح الحُور العَيْن ص ٢٠٧.

أربع فِرَق: الجَارُودِيَّة، والجَرِيرِيَّة، والبُتْرِيَّة، واليَعْقُوبِيَّة. وهو قول المَقْرِيْزِي في الخِطَط ج ٣ ص ٤١١.

ست فِرَق: الجَارُودِيَّة (افترقت فرقتين وثلاث فِرَق)، والسُّلَيْمَانِيَّة، والبُتْرِيَّة، والنَّعِيمِيَّة، وفرقة ذكر رأيها دون اسمها، واليَعْقُوبِيَّة. وهو قول الأشْعَرِي في مَقَالَات الإسلامِيَّين ج ١ ص ١٤٠-١٤٥. وذكر ابن المُرْتَضَى في المُنِيَّة والأَمَل ص ٨٩ أنهم ست فِرَق. وانظر: الغُنِيَّة للشيخ عبد القَادِر ج ١ ص ٩٨.

ثمانِي فِرَق: الجَارُودِيَّة، والمرثديَّة، والأبْرَقِيَّة، واليَعْقُوبِيَّة، والعَمِيمِيَّة، والأبْترِيَّة، والجَرِيرِيَّة، واليَمَانِيَّة. وهو قول أبي عيسى مُحَمَّد بن هَارُون الوراق وغيره، على ما ذكره المَسْعُودِي في مَرُوج الذَّهَب، نقله مُحَمَّد مُحْيِي الدِّين عبد الحميد في هامش مَقَالَات الإسلامِيَّين للأشْعَرِي.

بالوصف الذي لا يوجد إلا فيه كإيتاء الزكاة حال الركوع، لا بالتسمية، فكان هو الإمام من بعده، وأن الصَّحَابَةَ كفروا بتركهم بيعة عَلِيٍّ، وبتنصيبهم أبا بَكْرٍ.

ثم الحَسَن من بعد عَلِيٍّ هو الإمام، ثم الحُسَيْن هو الإمام من بعد الحَسَن<sup>(١)</sup>.

٢- السُّلَيْمَانِيَّة (الجَرِيرِيَّة): أتباع سُلَيْمَانَ بْنِ جَرِيرِ الزَّيْدِيِّ، الذي قال: إن الإمامة شُورَى، وإنها تصلح بعقد رجلين من خيار المُسْلِمِينَ.

وأجاز إمامة المفضول وإن كان الفاضل أفضل في كل حال. وأثبت إمامة أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وزعم سُلَيْمَانُ أَنَّ الأُمَّة تركت الأصلح في البيعة لهما، لأن عَلِيًّا أَوْلَى بِالْإِمَامَةِ منهما، إلا أن الخطأ في بيعتهما لم يوجب كفرًا ولا فسقًا.

وَكَفَّرَ سُلَيْمَانُ عُثْمَانَ بِالْأَحْدَاثِ الَّتِي نَقَمَهَا النَاقِمُونَ مِنْهُ<sup>(٢)</sup>.

٣- البُتْرِيَّة (الأبْتَرِيَّة): أتباع رجلين: أحدهما: الحَسَنُ بْنُ صَالِحِ بْنِ حَيٍّ، والآخر: كثير النَّوَاءِ الْمُلقَّبُ بِالْأَبْتَرِ.

(١) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٤٠ وهامشها، والفرق بين الفرق ص ٣٠ والمِلَل والنحل للشَّهْرَشْتَانِيِّ ج ١ ص ١٥٧. والفصل لابن حَزْم ج ٤ ص ١٥٧ والمُنْبِية والأمل ص ٩٠ والزَّيْدِيَّة لِلْأَكْوَع ص ٢٤ والمصادر السَّابِقَة.

(والشُّرْحُوبُ: ابن آوى أو شيطان أعمى يسكن) في (البَحْر)، وهو (لقب أبي الجَارُودِ إِمَامِ) الطائفة (الجَارُودِيَّة)، من غَلَاةِ الزَّيْدِيَّة، يتجاهرون بسبِّ الشَّيْخَيْنِ، بَرَأَهُمَا اللهُ مِمَّا قَالُوا، وهم موجودون بَصْنَعَاءِ الْيَمَنِ، (لقبه به) الإمام أبو عبد الله مُحَمَّدُ (الباقر). / تاج العروس شَرَحَ الْقَامُوسَ الْمُحِيط - مادة (سرحب)، طَبْعَةُ الْكُوَيْتِ.

وانظر تَلْقِيبَ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ أبا الجَارُودِ بِالشُّرْحُوبِ فِي: فِرْقِ الشَّيْعَةِ لِلنُّوْبَخْتِيِّ ص ٥٥.

(٢) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٤٣ والفرق بين الفرق ص ٣٢ والتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٢٥ والمِلَل والنحل للشَّهْرَشْتَانِيِّ ج ١ ص ١٥٩ وشرح الحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٠٧ واعتقادات فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ ص ٧٨ والمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٩٢ والفرق الإسلامية للكُرْمَانِيِّ ص ٥٩ وخطط المَقْرِزِيِّ ج ٢ ص ٣٥٢ والزَّيْدِيَّة لِلْأَكْوَع ص ٢٧. وانظر: فِرْقِ الشَّيْعَةِ لِلنُّوْبَخْتِيِّ ص ٩.



وقولهم كقول سُلَيْمَانَ بْنِ جَرِيرٍ، إِلَّا أَنَّهُمْ تَوَقَّفُوا فِي عُثْمَانَ، وَلَمْ يُقَدِّمُوا عَلَى ذِمِّهِ وَلَا عَلَى مَدْحِهِ<sup>(١)</sup>.

وفرقنا السُّلَيْمَانِيَّةَ وَالْبُتْرِيَّةَ تُكْفِرَانِ فِرْقَةَ الْجَارُودِيَّةِ، لِأَنَّ الْجَارُودِيَّةَ تُكْفِرُ أَبَا بَكْرَ وَعُمَرَ. وَالْجَارُودِيَّةُ تُكْفِرُ السُّلَيْمَانِيَّةَ وَالْبُتْرِيَّةَ، لِتَرْكِهَا تَكْفِيرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ<sup>(٢)</sup>.

### آراء الزَيْدِيَّةِ:

١ - أَجْمَعَتِ الزَّيْدِيَّةُ عَلَى أَنَّ أَصْحَابَ الْكِبَائِرِ كُلَّهُمْ مُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ، مُخَلَّدُونَ أَبَدًا، لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا<sup>(٣)</sup>. فَهَمُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ كَالْخَوَارِجِ<sup>(٤)</sup>، وَالْقَدَرِيَّةِ<sup>(٥)</sup>.

٢ - أَجْمَعُوا عَلَى تَصْوِيبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي حَرْبِهِ، وَعَلَى تَخْطِئَةِ مَنْ خَالَفَهُ<sup>(٦)</sup>. وَأَنَّ عَلِيًّا كَانَ مُصِيبًا فِي تَحْكِيمِهِ الْحَكَمَيْنِ<sup>(٧)</sup>.

(١) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٤٤ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٣٢ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٢٥ وَشَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٠٧ وَالْفَرْقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكَرْمَانِيِّ السَّابِقِ ص ٦٠ وَالْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ٩٠. وَذَكَرَهُمُ النَّوْبَخْتِيُّ فِي فِرْقِ الشَّيْعَةِ ص ١٣. وَذَكَرَ فِي ص ٥٧ أَنَّهُمْ يَنْتَقِصُونَ عُثْمَانَ.

وَجَعَلَهَا الشَّهْرَسْتَانِيُّ فِي الْمَلِكِ وَالنَّحْلِ ج ١ ص ١٦١ فِرْقَتَيْنِ: (الصَّالِحِيَّةُ أَصْحَابُ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحِ بْنِ حَيٍّ، وَالْبُتْرِيَّةُ أَصْحَابُ كَثِيرِ النَّوَاءِ الْأَبْتَرِ، وَهُمَا مُتَّفَقَانِ فِي الْمَذْهَبِ).

وَسَاهَا الرَّازِيُّ فِي اعْتِقَادَاتِ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ ص ٧٨: الصَّالِحِيَّةُ. وَفِي الْمَوَاقِفِ لِلْإِيْجِيِّ ج ٨ ص ٣٩٢: بَتِيرِ الثُّومِيِّ. وَخَطَطَ الْمُقْرِئِيُّ ج ٢ ص ٣٥٢. وَانْظُرْ: الزَّيْدِيَّةُ لِلْأَكْوَعِ ص ٢٧.

(٢) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٣٤ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ السَّابِقِ.

(٣) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ١٤٩ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٣٤ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٢٥.

(٤) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ، وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ، السَّابِقَانِ.

(٥) التَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ السَّابِقِ.

(٦) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ السَّابِقِ.

(٧) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ السَّابِقِ ص ١٥٠.

٣- أجمعوا على محاربة أئمة الجور، وإزالة الظلم، وإقامة الحق<sup>(١)</sup>. واعتبر زيد الخروج شرطاً في كون الإمام إماماً<sup>(٢)</sup>.

٤- مع اعتقادهم بأن الإمام علياً هو أفضل الصحابة، إلا أنهم يقولون بشرعية خلافة أبي بكر وعمر، ولم يتبرؤوا منهما، لا اعتقادهم بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، عدا الجارودية منهم<sup>(٣)</sup>.

٥- لا يشترط أن يكون الإمام معصوماً، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غير أولاد فاطمة رضي الله عنها، فأجازوا أن يكون إماماً كل فاطمي، سواء كان من أولاد الحسن أم الحسين، إذا كان عالماً زاهداً شجاعاً سخيّاً<sup>(٤)</sup>.

٦- يرجع زيد في أصول الدين إلى الاعتزال، لأن زيدا رضي الله عنه تتلمذ لواصل بن عطاء شيخ المعتزلة<sup>(٥)</sup>، ولم يخالفه إلا في أصل (المنزلة بين المنزلتين)<sup>(٦)</sup>.

(١) مقالات الإسلاميين السابق، والمنية والأمل ص ٨٩.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٥٥.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٥٤ و ١٥٧ والزيدية للأكوع ص ١٦-٢٢. وانظر: المنية والأمل ص ٨٩.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٥٣. وانظر: المنية والأمل السابق.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٥٤، والمواقف ج ٨ ص ٣٩٢ قال: (وأكثرهم في زماننا مقلدون، يرجعون في الأصول إلى الاعتزال، وفي الفروع إلى مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة). والزيدية للأكوع ص ١٥ ونقل عن طبقات المعتزلة للإمام المهدي بن المرتضى رواية في ذلك، وهي واردة عند القاضي عبد الجبار في فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، والحاكم أيضاً.

(٦) الزيدية للأكوع هامش ص ١٥، وفيه: (قال ابن يزداد: كان زيد بن علي لا يخالف المعتزلة إلا في المنزلة بين المنزلتين).

وَرَدَ هَذَا الْقَوْلُ الْإِمَامَ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْوَزِيرِ<sup>(١)</sup>، وَعَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْفَضِيلِ<sup>(٢)</sup>.

أما في الْفُرُوعِ الْفَقْهِيَّةِ فَإِنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَّا فِي مَسَائِلَ قَلِيلَةٍ<sup>(٣)</sup>. وقد يكون سببه أن أبا حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَفْتِي سِرّاً بِوُجُوبِ نَصْرِ الْإِمَامِ زَيْدٍ، وَحَمَلَ الْمَالَ إِلَيْهِ<sup>(٤)</sup>.

### ● الصنف الثالث من أصناف الشَّيعة: الإمامية:

وسبب هذه التسمية هو: إجماع فِرَقِهِمْ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَصَّ عَلَى اسْتِخْلَافِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِاسْمِهِ، وَأَظْهَرَ ذَلِكَ وَأَعْلَنَهُ.

وَأَنَّ أَكْثَرَ الصَّحَابَةِ ضَلُّوا بِتَرْكِهِمُ الْاِقْتِدَاءَ بِهِ، بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٥)</sup>،

(١) نقل هَذَا الرَّدَّ الْأَكْوَعُ فِي الزَّيْدِيَّةِ هَامِشُ ص ١٦ عَنْ كِتَابِ الْوَزِيرِ الْعَوَاصِمِ وَالْقَوَاصِمِ، وَفِيهِ قَالَ الْوَزِيرُ: (فَهَذَا مِنَ الْأَبَاطِيلِ بِغَيْرِ شَكٍّ، وَلَعَلَّهُ مِنْ أَكَاذِيبِ الرِّوَاغِضِ).

(٢) الزَّيْدِيَّةُ لِعَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ ص ٢١ وَذَكَرَ أَنَّ زَيْدًا لَمْ يَكُنْ مُعْتَزِلِيًّا وَلَا أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ وَاصِلٍ، وَإِنَّمَا أَخَذَهُ عَنْ أَبِيهِ وَأَخِيهِ الْبَاقِرِ وَعُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ الْمُتَوَرِّةِ، وَإِذَا نَسَبَ إِلَى فِرْقَةٍ فَهِيَ فِرْقَةُ (الْعَدْلِيَّةِ) الْقَائِلَةُ بِالْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ وَنَفْيِ الْجَبْرِ وَالتَّشْبِيهِ، الَّتِي نَسَبَ إِلَيْهَا الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ وَابْنُ الْمُرْتَضَى كُلُّ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

(٣) الْمَوَاقِفُ السَّابِقُ.

(٤) دَرَأَاتُ فِي الْفِرَقِ ص ٦٦ نَقْلًا عَنْ الْكَشَافِ لِلزَّمْخَشَرِيِّ ج ١ ص ٦٤ وَنَقْلَ نَحْوِهِ عَنْ أَبِي الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيِّ فِي مَقَاتِلِ الطَّالِبِيِّينَ ص ١٠٧. وَانْظُرْ: تَارِيخَ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ٤٣، وَفِي ص ٣٦٤ أَشَارَ إِلَى الْمَنَاقِبِ لِلْبَرْزَازِيِّ.

وَانْظُرْ فِي الزَّيْدِيَّةِ أَيْضًا: تَارِيخَ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْغُرَابِيِّ ص ٢٨٩ وَفِي عِلْمِ الْكَلَامِ - الزَّيْدِيَّةُ لِأَحْمَدَ مَحْمُودَ صَبْحِي ج ٣ ص ٦٠.

(٥) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٨٩ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٣٥ وَتَبَصُّرَةُ الْأَدَلَّةِ ج ٢ ص ٨٢٨ وَمَا بَعْدَهَا. وَشَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٠٦ وَالْمَلَكُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٦٣ وَاعْتِقَادَاتُ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ ص ٨٥ وَالْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْكَرْمَانِيِّ ص ٦١ وَشَرْحُ الْمَوَاقِفِ لِلْسَّيِّدِ الشَّرِيفِ

فكفروا<sup>(١)</sup>.

وهم فرّق كثيرة من أشهرها: الإسماعيلية، والإمامية الاثنا عشرية.

أولاً: الإسماعيلية (السبعية):

سُميت هذه الفرقة بالإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق<sup>(٢)</sup>.

والإسماعيلية يقولون بأن الإمام جعفر الصادق قد نصّ على أن إسماعيل هو الإمام بعده، وجعل الوصية إليه، وذلك لأن إسماعيل هو أسنُّ أولاده وآثرهم عنده<sup>(٣)</sup>.

واختلفت الإسماعيلية في وفاة إسماعيل في حياة أبيه على أقوال منها:

القول الأول: إن إسماعيل حيّ لم يمت، ولا يموت حتى يملك الأرض، ويكون

ج ٨ ص ٣٩٢ والمُنية والأمل ص ٩٥ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥١ وكشاف اصطلاحات الفنون ج ١ ص ٢٦٠.

(١) المصادر السابقة عدا: مقالات الإسلاميين، وتبصرة الأدلة، وشرح الحور العين.

(٢) فرق الشيعة للنوختي ص ٦٧ ومقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٠٠ والفرق بين الفرق ص ٦٢ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٧٠ والتبصير في الدين ص ٣٣ وشرح الحور العين ص ٢١٦ واعتقادات فرق المسلمين ص ٨١ والفرق الإسلامية للكرماني ص ٥٢ ومقدمة ابن خلدون ص ١٨٨ وكشاف اصطلاحات الفنون ج ١ ص ١٨٩ و٩٢٧.

ومن أسماهم أيضاً: الباطنية: لقولهم إن لكل ظاهر باطناً، والسبعية: لاعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة، والتعليمية: لإبطاهم النظر والاكتفاء بتعليم الإمام المعصوم. / الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٩٩ وما بعدها. وفصائح الباطنية ص ١٧ ويان مذهب الباطنية وطلانه للذيلمي ص ٢١ والمواقف ج ٨ ص ٢٨٨ والفرق الإسلامية للكرماني ص ٤٩ وكشاف اصطلاحات الفنون السابق، والإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٩٩-١٠٠.

(٣) شرح الحور العين السابق، ودراسات في الفرق ص ٦٦-٦٧.

إماماً بعد أبيه، وأظهر موته تقيّة من خلفاء بني العباس، حتى لا يُقصد بالقتل.

**القول الثاني:** إن موت إسماعيل صحيح، وإن النص لا يرجع القهقري، والفائدة من النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره، فلا تكون إلّا في الأعقاب، ولا تنتقل من أخ إلى أخيه بعد الحسن والحسين عليهما السلام. وهو قول المباركية.

وعليه فإن الإمام برأيهم بعد جعفر هو حفيده محمد بن إسماعيل، بوصية من جدّه جعفر، فصار محمد ولي عهد جده جعفر، دون عمومه، فلما مات جعفر استحق محمد الإمامة بعده بذلك<sup>(١)</sup>.

ثم افترقت الإسماعيلية إلى شعبتين رئيسيتين هما<sup>(٢)</sup>:

**الشعبة الأولى:** وقفت في موت محمد بن إسماعيل الملقب بالمكتوم، أي المستور، وقالت برجعته بعد موته، وانتظرته مهدياً يبعث، وهؤلاء هم القرامطة، نسبة إلى رئيس لهم من الأنباط يلقب (قرمطويه)<sup>(٣)</sup>، ومن آرائهم:

(١) الملل والنحل للشهرستاني، وشرح الحور العين، السابقان. وانظر: فرق الشيعة للنوبختي، ومقالات الإسلاميين، والفرق بين الفرق، السابقة.

والمباركية: نسبة إلى رئيسهم (المبارك) مولى إسماعيل بن جعفر. قاله النوبختي في فرق الشيعة ص ٦٨-٦٩. وانظر: مقالات الإسلاميين ص ١٠١ والفرق بين الفرق ص ٦٤ والملل والنحل للشهرستاني ص ١٧٠-١٧١ و٢٠٠ وشرح الحور العين ص ٢١٦.

(٢) دراسات في الفرق ص ٦٧.

(٣) ذكر ابن الجوزي في كتابه تلبس إبليس ص ١١٠ قولين في سبب هذه التسمية هما:

١- أن رجلاً من ناحية خوزستان، قدم الكوفة، ودعا إلى إمام من أهل البيت، ونزل على رجل اسمه (كرميّة)، ومعناه بالنبطيّة حاذ العين، فسمي باسم من نزل عنده (كرميّة)، ثم خفف فقيل: قرمط.

٢- نسبة إلى رجل يقال له: حمدان قرمط، أحد دعاتهم. وقيل: إنما عرف حمدان هذا بقرمط، من أجل قصر قامته وقصر رجليه وتقارب خطوه. وكان ابتداء أمره سنة ٢٦٤ هـ.

- ١- لا يكون بعد النبي مُحَمَّد ﷺ إلا سبعة أئمة هم: عَلِي بن أَبِي طَالِب وهو إمام رَسُول، والحسن، والحسين، وعَلِي بن الحسين، ومُحَمَّد بن عَلِي، وجَعْفَر بن مُحَمَّد، ومُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن جَعْفَر وهو الإمام القائم المَهْدِيّ وهو رَسُول.
- ٢- أن النبي مُحَمَّد ﷺ انقطعت عنه الرِّسَالَة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بنصب عَلِي بن أَبِي طَالِب للناس بغدير خُم، فصارت الرِّسَالَة في ذَلِكَ اليوم في عَلِي.
- ٣- مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل حَيٌّ لم يمت، وأنه في بلاد الرُّوم، وأنه القائم المَهْدِيّ، ومعنى القائم عندهم أنه يُبعث بالرِّسَالَة وبشريعة جديدة يَنسخ بها شريعة مُحَمَّد ﷺ.
- ٤- مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل من أولي العِزَم من الرُّسل، وهم عندهم سبعة: نُوح، وإِبْرَاهِيم، ومُوسَى، وعِيسَى، ومُحَمَّد، وعَلِي، ومُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل.
- وأن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل هو خاتم النبيّين، والذي حكاه الله عَزَّ وَجَلَّ.
- ٥- الله تعالى جعل لِمُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل جنة آدم، ومعناها عندهم الإباحة للمحارم، وجميع ما خلق في الدنيا.
- ٦- استحلوا استعراض الناس بالسَّيف وقتلهم، وأخذ أموالهم، والشهادة عليهم بالكفر، واستحلوا سبي النساء وقتل الأطفال.
- ٧- أوجبوا قتل من قال بالإمامة ممن ليس على قَوْلهم، وخاصة من قال بِإِمَامَة مُوسَى بن جَعْفَر وولده من بعده<sup>(١)</sup>.

وانظر: هامش ص ٧٢ من فِرَق الشَّيْعَة لِلنُّوْبُخْتِيّ نُقْلًا عن ابن الجَوْزِيّ، والفهرست لابن

النَّدِيم ص ٢٦٥.

(١) فِرَق الشَّيْعَة لِلنُّوْبُخْتِيّ ص ٧٢-٧٦.

وانظر عن القَرَامِطَة: مَقَالَات الإسلاميين ج ١ ص ١٠٠-١٠١ والتَّائِيه والردّ ص ٢٠

والفرق بين الفرق ص ٢٨٢.

والشعبة الثانية: سادت الإمامة من بعد إسماعيل في أئمة مستورين، أولهم ابنه مُحَمَّد المَكْتُوم، إلى أن ظهر الإمام الشرعي في شخص عبيد الله المهدي، مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب، الذي هو أول الأئمة الظاهريين<sup>(١)</sup>، المُتَوَفَّى سنة ٣٢٢هـ<sup>(٢)</sup>.

وخلال القرن الخامس الهجري صارت الإسماعيلية فرقا مُخْتَلِفَةً:

فكان الانشقاق الأول سنة ٤١١هـ = ١٠٢١م عندما أعلن الحاكم بأمر الله بأن التجسد الإلهي قد حلّ فيه، ثم اختفى، وقيل: إنه مات مقتولاً.

لكن أتباعه وهم الدرّوز يعتقدون بأنه لم يموت، وأنه سيعود، فهو الإمام المنتظر عندهم.

ثم كان الانشقاق الآخر بعد وفاة المستنصر بالله سنة ٤٨٧هـ = ١٠٩٤م، حيث أكره ابنه الأكبر نزار على التخلي عن الإمامة، على خلاف عقيدة الإسماعيلية في لزوم تولية ابنه الأكبر، وذلك بتدبير من وزير المستنصر الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي، الذي بادر بإجلاس ابن المستنصر الأصغر المستعلي، لكونه ابن اخت له، وأجلسه على عرش الخلافة، وكان بين الأخوين محاربات، انتهت بالقبض على نزار، وسجنه، ومات في السجن.

فانشقت الإسماعيلية إلى فرعين رئيسين:

أولهما: المستعلية، نسبة إلى المستعلي أبي القاسم أحمد، المُتَوَفَّى سنة ٤٩٥هـ. وانتقل مركز دعوتها بعد سقوط الدولة الفاطمية في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي، إلى اليمن، ثم إلى الهند، وحدث لها انشقاقات عديدة. ومنها فرقة (البهرة) الموجودون الآن في الهند<sup>(٣)</sup>.

(١) مُقَدِّمَةُ ابن خَلْدُون ص ١٨٨ ودراسات في الفرق ص ٦٧.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ١٠١-١٢١ في ترجمة المهدي.

(٣) دراسات في الفرق ص ٧٠، والإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ١٥٨ وفيها ترجمة

الفرع الثاني: النزارية. وكان بعد مقتل نزار واعتلاء أخيه المستعلي العرش، نُقل ابنه القاصر المهدي من قبل أتباعه إلى بلاد فارس، فنشأ خفية على يد كبير الدعاة الحسن بن الصباح.

وبقية هذه الفرقة تعرف اليوم في الهند بالخوجا، أو المولى، وزعيمهم الأغاخان، ومن أسلافهم الحشاشون<sup>(١)</sup>.

وأهم الرجال الذين قامت على أيديهم دعوة الإسماعيلية، وأوجدوا عقائدها، وصارت أساساً لاتباع الإسماعيلية فيما بعدهم:

أبو الخطّاب مُحَمَّد بن أبي زَيْنب مقلّص الأجدع، مولى بني أسد، الذي ادّعى أنه قيّم الإمام جعفر الصادق ووصيه من بعده، وأتباعه هم الخطّابية.

وميمون القدّاح بن ديصان الثنويّ الأهوازي، وابنه عبد الله بن ميمون، وكلهم من الغلاة، تستروا بالتشيع والعلم، وصار لهم دعاة، وظهر منهم التعطيل والإباحة<sup>(٢)</sup>. وقد تبرأ منهم الأئمة جعفر الصادق وغيره.

---

المستعلي، وكذا في ص ٧٣٥ وأشار إلى اتعاظ الحنفا للمقرّيزي، والنجوم الزاهرة، وتاريخ ابن إياس، والكامل لابن الأثير.

(١) دراسات في الفرق ص ٧١. وانظر: الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ١٥٩ نُقلًا عن النجوم الزاهرة و ص ٧٣٦ نُقلًا عن اتعاظ الحنفا للمقرّيزي. وانظر أيضاً: دائرة المعارف الإسلامية - ترجمة: أحمد الشنتناوي ورفاقه ج ٢ ص ١٨٧-١٩٥ مادة (الإسماعيلية).

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٨٤ ونقل في ص ١٧٢ عن ابن النديم. وانظر: بيان مذهب الباطنية وطلانه للدليمي ص ٢٠.

كان إسماعيل بن جعفر قد خدعته آراء الخطّابية، فسلّك مسلكهم، روى الكشي والمامقانيّ والهمدانيّ من علماء الإمامية: أنه كان يشرب معهم الخمر، وكان أبو الخطّاب يُكنى بأبي إسماعيل، لذا تبرأ الإمام جعفر الصادق منه ومن أبي الخطّاب والخطّابين. / الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٥٦-٦٢.



### عَقَائِدُ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ:

الكتابة في عَقَائِدِ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ أمر عسير، لأن كتبهم نوعان:

١ - كتب الظَّاهِر، وهي التي كتبت للناس عامةً، إِسْمَاعِيلِيَّين وغيرهم، وهذه ميسورة متداولة، وهي لا تمثل عَقَائِدَهُم الحقيقية.

٢ - كتب البَاطِن، وهي التي لا يَطَّلَع عليها إِلَّا الخاصة المتعمقون في فهم عقيدتهم، بل إن هُؤُلَاءِ المتعمقين لا يسمح لهم باقتنائها إِلَّا بعد أخذ العهود والمواثيق على أن لا يعطوها لأحد، ولا يُخْبِرُوا بما فيها<sup>(١)</sup>.

والفرق بينهما كَبِير، ومن الأمثلة على ذَلِكَ أن الداعي الإِسْمَاعِيلِيَّ المطلق إِدْرِيسَ عِمَادِ الدِّينِ ذكر في كتابه الظَّاهِرِيَّ: أن مُحَمَّدَ بن إِسْمَاعِيلَ لما مات أبوه إِسْمَاعِيلَ بن جَعْفَرٍ كان عُمره ستاً وعشرين سنة<sup>(٢)</sup>.

لَكِنَّه في كتابه السَّرِّيَّ يقول بأن عُمره كان ثلاث سنين<sup>(٣)</sup>.

وَبَيَّان عقيدتهم فيما يأتي:

١ - عقيدتهم في الله تعالى:

التَّوَحُّيد عندهم هو تَجَرِيدُ الله عن جميع الأسماء والصفات، فالله تعالى لا يوصف

(١) الإِسْمَاعِيلِيَّةُ لإحسان إلهيَّ ظَهِير ص ٢٦٨ وضرب أمثلة من تلك العهود من كتاب المبدأ والمعاد للداعي الإِسْمَاعِيلِيَّ حُسَيْن بن عَلِيٍّ بن الوليد، وذكر في ص ١٠ نماذج منها من كتاب الأنوار اللَّطِيفَةُ للداعي الإِسْمَاعِيلِيَّ طاهر بن إِبْرَاهِيمَ الحَارِثِيَّ الْمُتَوَفَّى سنة ٥٤٨هـ، ومن صاحب مَسَائِلَ مجموعة من الحَقَائِقِ العَالِيَةِ والدَّقَائِقِ والأسرار السَّامِيَةِ لداعِ إِسْمَاعِيلِيَّ كَبِير، والمُؤَيَّد الشَّيرَازِيَّ الْمُتَوَفَّى سنة ٤٧٠هـ، وطاهر سَيْف الدِّينِ الداعي المطلق لفرقة البُهَرَة.

(٢) الإِسْمَاعِيلِيَّةُ لإحسان إلهيَّ ظَهِير ص ٢٠ وأشار إلى عِيُونِ الإخبار ص ٣٥١ للداعي إِدْرِيس.

(٣) الإِسْمَاعِيلِيَّةُ لإحسان إلهيَّ ظَهِير ص ٢١ وأشار إلى زهر المعاني ص ٤٧ من المنتخب.

بوصف، ولا يسمى باسم.

والله عز وجل ليس بموجود ولا معدوم<sup>(١)</sup>. وهذا النفي دعاهم إلى اختراع آلهة أخرى لإطلاق الأسماء والصفات الواردة في القرآن والسنة عليها، فقالوا: (إن جميع صفات الشرف والجلالة وما يعبر به في جميع اللغات من الإشارات بنعوت الإلهية فإنها واقعة على العقل الأول)<sup>(٢)</sup>.

والعقل الأول يقال له: العقل الكلي، والموجود الأول، والمبدء الأول، والسابق، والقلم، والكلمة، وهذا متصف بصفات الخالق والرازق والمصور والباري... ويأثله في العالم السفلي: الناطق، وهو النبي.

والعقل الثاني يطلق عليه: النفس الكلية، واللوح، والمبدء الثاني، والتالي. ويأثله: الأساس، وهو الوصي<sup>(٣)</sup>.

قال الحامدي بأن علياً رضي الله عنه هو الله الخالق البارئ المصور<sup>(٤)</sup>.

وزعموا أن علياً رضي الله عنه قال عن نفسه: (أنا أحيي وأميت، وأخلي وأرزق، وأبرئ الأكمه والأبرص، وأنبتكم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم)<sup>(٥)</sup>. وغير ذلك من الأقوال

(١) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٧٧. ونقل ذلك عن المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة الإسماعيلية للإمام الإسماعيلي المستنصر في كتابه الباطني المجلس المؤيدية، ونقل عنه إبراهيم بن الحسين الحامدي في كتابه الباطني كنز الولد، والكرماني أحمد حميد الدين في كتابه راحة العقل وغيرهم.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٨٥. نقلاً عن رسالة المبدأ والمعاد للحسين بن علي ابن الوليد، ونحوه عن الصوري وطاهر الحارثي، والكرماني، وغيرهم من دعاة الإسماعيلية.

(٣) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٨٦-٢٨٨، وأورد نصوصاً عن النعمان القاضي والحامدي والسجستاني.

(٤) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٩٨ نقلاً عن كنز الولد للحامدي ص ٢٢١.

(٥) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٩٩ نقلاً عن زهر المعاني للداعي المطلق إدريس

الكثيرة المماثلة لها.

والشرك عندهم هو الدعوة إلى غير الإمام، لا إلى غير الله تعالى<sup>(١)</sup>.

## ٢- عقيدتهم في النَّبِيِّ:

النَّبِيُّ عندهم هو الناطق، ويتحلَّى باثنتي عشرة خَصْلَة هي أن يكون:

تام الأعضاء، جيد الفهم، جيد اللفظ، فَطْنًا ذكيًا، حَسَنَ العبارة، محبًّا للعلم والإفادة، محبًّا للصدق، غير شَرِه في الأكل والشرب والنكاح، كَبِير النفس، زَاهِدًا في الدنيا، محبًّا للعدل، قَوِيَّ العزيمة.

قالوا: إذا اجتمعت هذه الخصال في وَاحِد من البشر في وقت من الزمان، فإن ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان.

فالنُّبُوَّة عندهم مكتسبة، والإنسان يستطيع أن يكون نَبِيًّا بالرياضات والمُجَاهَدَة<sup>(٢)</sup>.

وقالوا: القرآن من كلام الرُّسُول المركب من خطرات النفس<sup>(٣)</sup>.

وَرَدَ عليهم يَحْيَى بن حَمْزَة العَلَوِيّ بأن قولهم في النُّبُوَّة قريب من مَذْهَب الفلاسفة، ولكنهم ضعفوا عن مَعْقُول كلام الفلاسفة فخبطوا فيه، وفَصَّل القول في

(١) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٢٨٩ نَقْلًا عن الكَشَف لجَعْفَر بن مَنْصُور اليَمَن ص ١٦٦.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٢١-٣٢٢ نَقْلًا عن رَسَائِل إخوان الصفا ج ٤ ص ١٢٩ و ١٣٥.

(٣) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٢٩-٣٣٨ ونقل في ذلك نصوصاً عديدة من دعاة الإسماعيلية، مثل: الحارثي اليماني في الأنوار اللطيفة ص ١٢٦ و ١٦٠-١٦١ والحامدي في كنز الولد ص ٢٠٦-٢٠٧ و ٢١٧ و ٢١٩ وجعفر بن منصور اليماني في سرائر النطقاء ص ٢٠٩ مخطوط، والسيرازي في المجالس المؤيدية ص ١٥٢.

الرد عليهم<sup>(١)</sup>.

### ٣- عقيدتهم في الوصاية والوصي:

يقول الإسماعيلية بأن لكل نبي وصياً، ووصي رسول الله محمد ﷺ هو علي رضي الله عنه. واختلفوا فيهما على قولين:

أ- المساواة بين النبي والوصي، بدون تفضيل واحد على آخر. فرووا عن علي رضي الله عنه قوله: (أنا ومحمد من نور واحد، من نور الله تعالى، أمر الله ذلك النور أن ينشق إلى نصفين، فقال للنصف الأول: كن محمداً، وللنصف الثاني: كن علياً)<sup>(٢)</sup>.

ب- الوصي أفضل من النبي، فعلي أفضل من محمد ﷺ، لأنه هو مقصود الدعوة ومُرادها، ولم تكن دعوة الرسول محمد ﷺ إلا إليه، كما لم يؤخذ الميثاق من جميع الأنبياء والمرسلين إلا للإقرار به وبوصايته وولايته، ولا تقبل العبادة إلا باتباعه وبإقرار ولايته<sup>(٣)</sup>.

### ٤- عقيدتهم في الإمامة (ويعبر عنها أحياناً بالولاية):

يرى الإسماعيلية أن الإمامة فرض من الله سبحانه وتعالى، فلا يتم الدين إلا به، ولا يصح الإيمان بالله والرسول إلا بالإيمان بالإمام<sup>(٤)</sup>.

(١) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٤٤-٣٤٧.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٥٠ ونقل رواية علي عن الحارثي في الأنوار اللطيفة، وذكر نصوصاً في ذلك عن علي بن الوليد في تاج العقائد، وداعي الدعاة إدريس عماد الدين في زهر المعاني، والحسين بن علي بن الوليد في المبدأ والمعاد، وأبي يعقوب السجستاني في إثبات النبوات، والداعي حاتم بن عمران، والكرماني في راحة العقل، وهبة الله الشيرازي.

(٣) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٦٠، ونقل ذلك عن جعفر بن منصور اليماني، والحسن بن نوح الهندي، والحامدي، وغيرهم.

(٤) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٦٧ ونقل في ذلك نصوصاً عن القاضي

ومن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية<sup>(١)</sup>.

ولا تخلو الأرض من إمام أبداً، ظاهراً كان أم مستوراً<sup>(٢)</sup>.

قال قاضيهم النعمان بن محمد: لا يكون أحد إماماً إلا من أولاد عليّ، الحسن والحسين، ثم في أولاد الحسين، لا في أولاد الحسن، ثم في أولاد إسماعيل بن جعفر، لا في أولاد أحد غيره<sup>(٣)</sup>.

وكان الإسماعيلية يخاطبون أئمتهم مخاطبة العبد لربه، قال ابن هانئ الأندلسي يخاطب المعز الإسماعيلي:

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ فاحكمُ فأنْتَ الواحدُ القهارُ<sup>(٤)</sup>

٥- والإسماعيلية يقولون بالحلول والتناسخ، وهو عين ما يعتقد الهندوس. وما ذكروا في ذلك: (أن كل دابة في الأرض وفي السماء قد كانت أمماً قبلكم، وأن عدونا ليمسخ في كل شيء خالف الصورة الإنسانية، حتى إذا عاد أحدهم يقتل ألف قتلة، ويذبح ألف ذبحة، ويموت ألف ميتة، وأما أولياء الله وأتباعهم المؤمنون فقد خلصهم

النعمان بن محمد في الدعائم وتأويل الدعائم، وشرف عليّ الإسماعيلي في عيون المعارف، وأحمد حميد الدين الكرمانلي في المصابيح في إثبات الإمامة، والمؤيد الشيرازي، وجعفر بن منصور اليماني، وغيرهم.

(١) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٧٣ نقلاً عن المجالس المؤيدية للشيرازي ص ١١٩.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٧٤ نقلاً عن تاج العقائد لعليّ بن محمد بن الوليد المتوفى سنة ٦١٢هـ، ونقل نحوه من قول حسن بن نوح، وحاتم بن إبراهيم، وأبي يعقوب السجستاني، وغيرهم من دعاة الإسماعيلية.

(٣) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٧٥ نقلاً عن دعائم الإسلام للقاضي النعمان.

(٤) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٣٨٤ ونقل في ذلك نصوصاً كثيرة في هذا المعنى عن دعاة الإسماعيلية.

الله من المسوخية، وجعل ذلك عقوبة لأعدائهم...<sup>(١)</sup>.

٦- والإسماعيلية يعتقدون بتحريف القرآن الكريم. ومن أمثلة ذلك: ما قال جعفر بن منصور اليماني: (وقد خاب من حمل ظلماً ظلم آل محمد) هكذا أنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

٧- والإسماعيلية يقولون بتكفير الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان<sup>(٣)</sup>.

٨- والإسماعيلية يعتقدون بأن محمد بن إسماعيل نسخ شريعة محمد ﷺ، وهذا ما صرح به المعز لدين الله الإمام الإسماعيلي الرابع في دور الظهور، وذلك في دعائه يوم السبت الذي يقول به: (... وعلى القائم بالحق والناطق بالصدق، التاسع من جده الرسول، والثامن من أبيه الكوثر، السابع من آبائه الأئمة من البررة... الذي شرفته وعظمته وكرّمته، وختمت به عالم الطبائع، وعطّلت بقيامه ظاهر شريعة محمد...). والمعزّ إمام معصوم حسب زعمهم، وحائز على مرتبة الألوهية<sup>(٤)</sup>.

(١) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٤١٨-٤٤١ وأورد نصوصاً كثيرة عن دعاة الإسماعيلية من أقوالهم بالتناسخ. وهذا النص في ص ٤٣٩.

(٢) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٤٦٥ نقلاً عن كتاب الكشف لجعفر بن منصور ص ٧٨ ونقل قولهم بتحريف القرآن من أساس التأويل للقاضي النعمان.

(٣) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٤٦٦ ونقل نصوصاً عن جعفر اليماني في كتابيه الكشف ص ١٢٥ وسرائر النطقاء، والقاضي النعمان في أرجوزته ص ٩٩ وكتابه المجالس والمسائرات ص ٣٧٩، والمؤيد الشيرازي في المجالس المؤيدية ج ٢ ص ١٣٦، والكرماني في راحة العقل ص ٥٠٠، والحامدي في كنز الولد ص ٩٩، وحسن بن نوح الهندي في الأزهار ص ٢٢١، والسجستاني في إثبات النبوءات ص ١٥٩، وضياء الدين في مزاج التسليم ص ٣٣٥.

(٤) الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير ص ٥٥٠-٥٥٢ نقلاً عن أدعية الأيام السبعة للمعز لدين الله.

لذَلِكَ عطل الإِسْمَاعِيلِيَّةُ الشَّرِيعَةَ، ورفعوا التكاليف، وأسقطوا الظَّاهِرَ كالصلاة والزكاة والحج والصوم والجِهَاد<sup>(١)</sup>، وأباحوا المحرمات، وسبُّوا الأنبياء، وقتلوا المُسْلِمِينَ<sup>(٢)</sup>.

لذا أَقْبَى العُلَمَاءُ بارتدادهم وزندقتهم كما قال القاضي عِيَّاض: (أجمع العُلَمَاءُ بِالْقَيْرَوَانَ أَن حَالِ بْنِ عُبَيْدٍ حَالُ الْمُتَرَدِّينَ وَالزَّانِقَةِ)<sup>(٣)</sup>.

وقال البَغْدَادِيُّ: (والذي صح عندي من دين الباطنية - وهو من أسماء الإِسْمَاعِيلِيَّةِ - أنهم دَهْرِيَّةٌ زنادقة، يقولون بِقَدَمِ الْعَالَمِ، وينكرون الرَّسُولَ والشرائع

(١) وَأَوَّلُوا ما ورد من نصوص في الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حسب رأيهم، فقالوا: القيامة هي قيام القائم، والأنهار أمثال ما يجري من العُلَمَاءِ من نشر الفَوَائِدِ الْعِلْمِيَّةِ في مستفيدهم، والجنة هي الْبَقَاءُ وَالْمَعْرِفَةُ في الْعَالَمِ الْمَعْقُولِ، واللذات في الْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ، والصلاة هي الطاعة لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ وَالْأَيُّمَةِ من أولاده، أو الاتصال بِالْإِمَامِ أو... / الإِسْمَاعِيلِيَّةُ لإحسان إلهي ظهير ص ٤١ وما بعدها، ونقل نصوصاً عن دعاة الإِسْمَاعِيلِيَّةِ فِي ذَلِكَ. وانظر: الثُّنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ٩٦ وما بعدها.

(٢) الإِسْمَاعِيلِيَّةُ لإحسان إلهي ظهير ص ٥٦٠-٥٦٣ نَقْلًا عَنْ سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ لِلذَّهَبِيِّ ج ١٥ ص ١٥٢ وَالْبَيَّانَ الْمَغْرِبَ لِلْمُرَّاكَشِيِّ ج ١ ص ٢١٦.

وفيه: نقل الذَّهَبِيِّ عَنْ الْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ قَوْلَهُ: (إِنَّ الْقَائِمَ أَظْهَرَ سَبِّ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَانَ مُنَادِيَهُ يَصِيحُ: الْعُنَا الْغَارَ وَمَا حَوَى، وَأَبَادَ عِدَّةً مِنَ الْعُلَمَاءِ وَكَانَ يَنَاصِرُ قَرَامِطَةَ الْبَحْرَيْنِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِإِحْرَاقِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَصَاحِفِ).

ونقل إحسان إلهي ظهير في ص ٥٦٦: رِسَالَةُ الْمُعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ إِلَى الْقُرْمُطِيِّ حَسَنِ الْأَعْصَمِ يُقَرَّرُ فِيهَا آبَاءُهُ وَأَسْلَافُهُ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْقَتْلِ وَالْفِتْنَةِ وَإِبَاحَةِ الْمَحْظُورَاتِ وَقُلْعِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ وَنَهْبِ الْحُجَّاجِ... .

(٣) الإِسْمَاعِيلِيَّةُ لإحسان إلهي ظهير ص ٥٦٤ وما بعدها نَقْلًا عَنْ تَرْتِيبِ الْمَدَارِكِ لِلْقَاضِي عِيَّاضٍ، وَسِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ج ١٥ ص ١٥١، وَفِيهَا شَهَادَاتُ الْعُلَمَاءِ نَقْلَهَا الذَّهَبِيُّ، وَأَبُو زَيْدِ الدَّبَاغِ فِي كِتَابِهِ مَعَالِمُ الْإِيمَانِ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ فِي الْمُلَخَّصِ، وَالْمُرَّاكَشِيُّ صَاحِبُ الْبَيَّانِ الْمَغْرِبِ.

كلها، لملها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع).

وكتب الإمام الغزالي كتابه فضائح الباطنية، ردّ فيه على مقالاتهم، وأوجب تخطئهم وتضليلهم، وألزم تكفيرهم والتبري منهم، وكذلك مُحَمَّد بن الحسن الديلمي في كتابه بيان مذهب الباطنية وبطلانه<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الإمامية الاثنا عشرية:

وهم أكثرية الشيعة. ويختصون بأرائهم الآتية:

١ - الإمامة واجبة مستمرة:

الإمامة أصل من أصول الدين، ولا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، وهي استمرار للنبوّة. والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول.

ولا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة، منصوب من الله تعالى، سواء أطاعه الناس أم لم يطيعوه، وسواء كان حاضراً أم غائباً عن أعين الناس. ولا فرق بين طول الغيبة وقصرها<sup>(٢)</sup>.

٢ - عصمة الإمام:

الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها

(١) دراسات في الفرق ص ٧٢-٧٤. وقول البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق ص ٢٩٦، وكتابا الغزالي والديلمي مطبوعان متداولان.

(٢) عقائد الإمامية ص ٦٥-٦٦. وأصل الشيعة وأصولها ص ٥٨-٥٩.

والإمامة أصل من أصول الدين ورؤيته وهو قول عامة الإمامية الاثني عشرية، ويترتب عليه أن من ينكرها يخرج من الدين.

لكن ذهب بعض الإمامية إلى اعتبارها أصلاً من أصول المذهب، ويترتب عليه أن من ينكرها يخرج من المذهب فلا يكون شيعياً، ولكنه يبقى على إسلامه. وسيأتي هذا في الأصل الديني والأصل المذهبي.



وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمداً وسهواً. كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان، لأن الأئمة حفظوا الشرع، فحالفهم في ذلك حال النبي<sup>(١)</sup>.

ولما كان الإمام كالنبي، فيجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال من شجاعة وكرم وعفة وصدق وعدل وتدبير وحكمة....

ويتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله، وإذا استجد شيء لا بد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه، فإن توجهه إلى شيء وشاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي لا يخطأ فيه ولا يشبهه، ولا يحتاج إلى البراهين العقلية، ولا إلى تلقيات المعلمين<sup>(٢)</sup>.

فهم أولو الأمر، والشهداء على الناس، وأبواب الله، وأمرهم هو أمر الله تعالى، ونهيهم نهي، فطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته<sup>(٣)</sup>.

ويترتب على القول بالعصمة أمران:

أ- إثبات أن الإمامة ليست من المصالح الدنيوية التي تفوض إلى نظر الأمة، بل هي ركن الدين، ولا يجوز لنبي إغفالها ولا تفويضها إلى الأمة، بل يجب أن يعين الإمام لها عن طريق الوحي أو الإلهام الموجب للعلم اليقيني.

ب- هذا القول يتضمن إبطال خلافة الراشدين الثلاثة الذين سبقوا علياً رضي الله عنهم، لأنهم لم يتصفوا بالعصمة بالإجماع.

لذا حاول علماء الشيعة الدفاع عن عصمة الأئمة بكل ما أوتوا من حجج.

(١) عقائد الإمامية ص ٦٧. والباب الحادي عشر، وعليه شرح النافع ص ٤١ ومفتاح الباب ص ١٨٢، وتجريد الاعتقاد وشرحه كشف المراد ص ٣٩٠ والمنية والأمل ص ٩٥. وانظر: عصمة الأئمة عند الشيعة لأنور الباز.

(٢) عقائد الإمامية ص ٦٧-٦٨.

(٣) عقائد الإمامية ص ٦٩-٧٠.

ولم يشذَّ عن هذا الرأي سوى ابن بابويه القمي، المتوفى سنة ٣٨١هـ، ومحمد بن الحسن بن حمد بن الوليد، المتوفى سنة ٣٤٣هـ، حيث أجازا صدور الخطأ عن الإمام سهواً. وقد رده أئمة الشيعة بقوة، منهم الشيخ المفيد إذ ألف رسالة ردّها على من زعم أن النبي أو الإمام يسهو<sup>(١)</sup>.

### ٣- النص والتعيين:

وعندهم أن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله، وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس. وفي الحديث: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)<sup>(٢)</sup>.

لأن الإمامة مشروطة بالعصمة، وكل ما هو مشروط بالعصمة يجب أن يكون منصوباً عليه، فالإمامة يجب أن يكون منصوباً عليها<sup>(٣)</sup>.

وهم يقولون بأن الأئمة اثنا عشر إماماً، وهم على التسلسل الآتي:

علي بن أبي طالب المتوفى سنة ٤٠هـ، ثم الحسن بن علي المتوفى سنة ٥٠هـ، ثم الحسين بن علي المتوفى سنة ٦١هـ، وبعده في ولده دون الحسن، وهم: علي زين العابدين بن الحسين المتوفى سنة ٩٥هـ، ثم محمد الباقر بن علي المتوفى سنة ١١٤هـ، ثم جعفر الصادق بن محمد المتوفى سنة ١٤٨هـ، ثم موسى الكاظم بن جعفر المتوفى سنة ١٨٣هـ، ثم علي رضا بن موسى المتوفى سنة ٢٠٣هـ، ثم محمد الجواد بن علي المتوفى سنة ٢٢٠هـ، ثم علي الهادي بن محمد المتوفى سنة ٢٥٤هـ،

(١) دراسات في الفرق ص ٤٧-٤٩.

(٢) عقائد الإمامية ص ٦٦ وانظر ص ٧٤. وانظر: أصل الشيعة وأصولها ص ٥٨ والباب الحادي عشر، وعليه شرح النافع ص ٤٣ ومفتاح الباب ص ١٨٦، وتجريد الاعتقاد وشرحه كشف المُرَاد ص ٣٩٢.

(٣) مفتاح الباب السابق. وانظر: النافع، وتجريد الاعتقاد وشرحه كشف المُرَاد، السابقة.

ثم الحسن العسكري بن عليّ المُتوفَّى سنة ٢٦٠هـ، ثم مُحَمَّد المَهديّ المُنتظر بن الحسن المولود سنة ٢٥٦هـ. ومُحَمَّد المَهديّ هو الحُجّة في عَصْرنا، الغائب المُنتظر، وهو لا يزال حيّاً، وسيخرج يملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جوراً وفساداً<sup>(١)</sup>.

وهم يقولون بالرَّجعة، وهي:

أن الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيُعزّز فريقاً ويُدلّ فريقاً آخر، وذلك عند قيام المَهديّ المُنتظر.

ولا يرجع إلّا من علت درجته في الإيثار أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت، ومن بعده إلى النشور<sup>(٢)</sup>.

٤- وهم يقولون بالتَّقِيّة، وقد رووا عن الإمام الصّادق قوله: (التَّقِيّة ديني ودين آبائي) و(من لا تَقِيّة له لا دين له).

والتَّقِيّة هي: أن كل إنسان إذا أحسّ بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر مُعتقده أو التّظاهر به لا بد أن يتكتم ويتّقي في مواضع الخطر، وذلك دفعاً للضرر عنه وعن أتباعه وحقناً لدمهم.

وللتَّقِيّة أحوال، من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر، المذكورة في أبواب الفقه، وليست هي واجبة على كل حال، بل يجب خلافها أحياناً، كما في إظهار الحق والتّظاهر به خدمة للإسلام<sup>(٣)</sup>.

(١) عقائد الإماميّة ص ٧٦ و٧٨. وانظر: الباب الحادي عشر، وعليه: شرح النافع ص ٥٠ ومفتاح الباب ص ٢٠٠، وكشف المُراد في شرح تجرِيد الاعتقاد ص ٤٢٢.

(٢) عقائد الإماميّة ص ٨٠.

(٣) عقائد الإماميّة ص ٨٤-٨٥. وانظر: أصل الشَّيعة وأصولها ص ١٥٠ ودراسات في الفرق ص ٥٤-٦٣.

### المُرَجَّة

- المُرَجَّة لفظ مأخوذة من الإرجاء، يقال: أَرَجَيْتُهُ وَأَرَجَأْتُهُ. وللإرجاء معنيان:
- المعنى الأول: التَّأخِيرُ والإمهال، قال تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ - الأعراف ١١١، أي: أمهله وأخره. وسميت المُرَجَّة بِذَلِكَ لما يأتي:
- أ- لأنهم يؤخرون صاحب الكَيِّرَةِ إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار<sup>(١)</sup>.
- ب- أو لأنهم يؤخرون العَمَل عن النية والعقد<sup>(٢)</sup>.
- ج- أو لأنهم يؤخرون عَليّاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الدرجة الأولى إلى الرابعة<sup>(٣)</sup>.
- المعنى الثاني: إعطاء الرجاء، وذلك:
- أ- لأنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة<sup>(٤)</sup>. فهم يرجون لأصحاب المعاصي الثواب من الله تعالى<sup>(٥)</sup>.

- 
- (١) المِلَل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٣٧. ونحوه في: خِطَطُ الْمُقْرِيزِي ج ٢ ص ٣٤٩ والمُنِيَّة والأمل ص ١١٣ وشرح الحُور العَيْن ص ٢٥٧.
- (٢) المِلَل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي السَّابِق، وفي الفَرْق بين الفَرْق ص ٢٠٢: (لأنهم أخرجوا العَمَل عن الإيمان). ونحوه قال الإسْفَرَايِينِي في التَّبْصِير في الدِّين ص ٨٣. وانظر أيضاً: شَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٣٩٦ والفَرْق الإسلاميَّة للكَرْمَانِي ص ٨١.
- (٣) المِلَل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي السَّابِق.
- (٤) المِلَل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي السَّابِق، وشرح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيف السَّابِق قال: (وعلى هذا ينبغي أن لا يهزم لفظ المُرَجَّة)، والفَرْق الإسلاميَّة للكَرْمَانِي، وخِطَطُ الْمُقْرِيزِي، السَّابِقَان. وانظر: التَّبْصِير في الدِّين ص ٨٣.
- (٥) خِطَطُ الْمُقْرِيزِي السَّابِق. قال النَّسَفِي في تَبْصِرَةِ الأدْلَة ج ٢ ص ٧٦٦: (زعمت المُرَجَّة أن أحدًا من المُسْلِمِينَ لا يعاقب على شيء من الكبائر، وكما أن الحَسَنَة لا تنفع مع الكفر، فالسيئة لا

ب- أو لأنهم جعلوا الفاسق راجياً للغفران، ولم يُؤَيِّسوه من الرحمة، حيث مات على فسقه. قال ابن المُرْتَضَى: فهذا عندي هو الوجه في تسميتهم مُرَجَّة<sup>(١)</sup>.

### نشأة المُرَجَّة

نواة هذه الفرقة كانت بين الصَّحَابَةِ الأوائل الذين امتنعوا عن الدخول في النزاع أواخر عهد عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثل: أَبِي بَكْرَةَ، وعبد الله بن عُمَرَ، وعِمْرَان بن الْحُصَيْن. رَوَى أَبُو بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (ستكون فِتْنٌ، القاعد فيها خَيْرٌ من الماشي، والماشي فيها خَيْرٌ من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فَلْيَلْحَقْ بِإبله، ومن كان له غنم فَلْيَلْحَقْ بغنمه، ومن كان له أرض فَلْيَلْحَقْ بِأرضه. قال: فقال رجل: يا رَسُولَ اللَّهِ من لم تكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: يَعْمِدْ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقْ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثم لينجُ إن استطاع النجاة)<sup>(٢)</sup>.

تضرع مع الإيمان).

(١) المُنِيَّةُ وَالْأَمَلُ السَّابِقُ. وَرَدَّ فِيهِ عَلَى تَفْسِيرِ الشَّهْرَسْتَانِيِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ - الأعراف ١١١، قال: (التَّحْقِيقُ أَنَّ قَوْلَكَ أَرْجُ زَيْدًا أَيْ اجْعَلْهُ رَاجِيًا، كَمَا تَقُولُ: أَصْلَحْ كَذَا، أَيْ: اجْعَلْهُ صَالِحًا، لَا بِمَعْنَى اعْطِهِ رَجَاهُ كَمَا ذَكَرَ الشَّهْرَسْتَانِيُّ، فَيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: اجْعَلْهُمَا رَاجِيَيْنِ لِلْإِجَابَةِ مِنْكَ، وَخِذْ فِي الْعَمَلِ فِي إِبْطَالِ حُجَّتِهِمَا فِي مَدَّةِ رَجَائِهِمَا).

أقول: الشَّهْرَسْتَانِيُّ أورد الآية شاهداً على المعنى الأول: التَّأخِيرُ، ولم يوردها على الثاني.

(٢) فجر الإسلام ص ٢٨٠ وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١٩.

وأورد د. حُسَيْنَ عَطْوَانَ فِي الْفِرْقِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ ص ١٦-٢٢ الروايات: عن عبد الله بن عُمَرَ نَقْلًا عَنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ وَتَذَكُّرَةِ الْحُفَّاطِ، وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ نَقْلًا عَنْ طَبَقَاتِ ابْنِ سَعْدٍ، وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ الثَّقَفِيِّ نَقْلًا عَنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ. وَنَقَلَ رَوَايَاتٍ أُخْرَى فِي ذَلِكَ.

وَحَدِيثُ أَبِي بَكْرَةَ بَلْفِظَ آخَرُ فِي: الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ص ٢٨٧ وَفِيهِ: (أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَالْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَهُوَ صَحِيحٌ).

ولما ظهرت الفتن والحروب بين المسلمين في صدر الإسلام، رأى قوم أن لا يغمسوا أيديهم فيها، ولا يحكموا بتخطئة أحد منهم أو تصويبه.

روى ابن عساكر في توضيح رأيهم: (أنهم هم الشكك الذين شكوا وكانوا في المغازي، فلما قدموا المدينة بعد قتل عثمان، وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحد ليس بينهم اختلاف، قالوا: تركناكم وأمركم واحد، ليس بينكم اختلاف، وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون، فبعضكم يقول: قتل عثمان مظلوماً، وكان أولي بالعدل أصحابه، وبعضكم يقول: كان علي أولي بالحق وأصحابه، كلهم ثقة وعندنا مصدق، فنحن لا نتبرأ منهما ولا نلعنهما، ولا نشهد عليهما، ونرجى أمرهما إلى الله، حتى يكون الله هو الذي يحكم بينهما).

وكان الخوارج: قد كفروا علياً وعثمان والقائلين بالتحكيم. والشيعه: كفروا أبا بكر وعمر وعثمان ومن ناصرهم. وكلاهما كفر الأمويين. والأمويون قاتلوا الفريقين، ورأوا أنهم مبطلون.

فظهرت فرقة المرجئة تسالم الجميع، ولا تكفر طائفة منهم، فهي تقول: بأن الخوارج والشيعه والأمويين مؤمنون، وبعضهم مخطئ وبعضهم مصيب، ولنا نستطيع أن نعين المصيب، ولكن نترك أمرهم جميعاً إلى الله تعالى الذي يعرف سرائر الناس ويحاسبهم على ما اقترفوا<sup>(١)</sup>.

قيل: أول من وضع الإرجاء أبو محمد الحسن بن محمد المعروف بابن الحنفية بن علي بن أبي طالب، وتكلم فيه.

وكان الحسن بن محمد بن الحنفية يكتب كتبه إلى الأمصار، يدعو إلى الإرجاء، إلا أنه لم يؤخر العمل عن الإيمان كما قال بعضهم، بل قال: أداء الطاعات وترك المعاصي ليس من الإيمان لا يزول بزوالها.

(١) فجر الإسلام ص ٢٧٩-٢٨٠. وانظر: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١٩.

وقال ابن قُتَيْبَةَ: أول من وضع الإرجاء بالبَصْرَةِ حَسَّان بن بِلَال بن الحَارِث المَزْنِيّ.

وذكر بعضهم أن أول من وضع الإرجاء أبو سُلْتُ السَّمَّان، ومات سنة اثنتين وخمسين ومائة<sup>(١)</sup>.

وَحُجَّةُ المُرَجِّئَةِ عَلَى إرجاء أهل الكبائر من مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى الله تعالى، ولا يقطعون عَلَى العفو عنهم ولا عَلَى تعذيبهم هي:

أ- قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُوكَ مُرَجَّوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ - التوبة ١٠٦.

ب- إخلاف الوعد كذب، وإخلاف الوعيد عفو وتفضُّل وكرم.

فلو تهدد رجل بالعذاب أحد رعيته أساء إليه، ثم عفا عنه وأخلف وعيده، ما كان يسمى كاذباً عند العرب، واحتجوا بقول الشاعر عامر بن الطفيل:

ولا يَرْهَبُ ابْنُ العَمِّ مَنِي صَوْلَتِي      ولا إْحْنَتِي من قوله المتهدّد  
وَإِنِّي إِذَا أَوْعَدْتُهُ وَوَعَدْتُهُ      لَمْخَلْفٌ مِيعَادِي وَمُنْجِزٌ مَوْعِدِي

قالوا: فجائز أن يخلف الله وعيده في القرآن، ولا يعذب أحداً من أهل الكبائر من المُسْلِمِينَ، ويجوز أن يعذبهم بقدر ذنوبهم، وأرجوا الأمر في ذَلِكَ إِلَى الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

(١) خَطَطُ المَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٥٠. والقول بأن الحَسَن بن مُحَمَّد أول من تكلم في الإرجاء في شَرْحِ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ ج ٥ ص ٢٩٠. وفي ص ٢٨٩: عن قَتَادَةَ قال: إنها حدث هَذَا الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث. وانظر: تاريخ الفِرَقِ الإِسْلَامِيَّةِ لِلْعُرَابِيِّ ص ٢٠.

(٢) شَرْحُ الحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٥٧. وانظر: مَقَالَاتُ الإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٢٢٨.

الصَّوْلَةُ: السطوة والقهر في الحَرْبِ ونحوها. الإْحْنَةُ: الحقد والغضب.

### فِرْقِ الْمُرْجئة

افترقت الْمُرْجئة إلى اثنتي عشرة فِرقة، وهو ما قاله الأشعري<sup>(١)</sup>، والمَلطي<sup>(٢)</sup>.  
ولكُتَّابُ الْفِرَقِ تقسيمات أخرى مثل:  
الْمُرْجئة ثلاثة أصناف:

١- قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر (الاختيار في الأعمال) على مذهب القدرية الْمُعْتزلة، مثل: غيلان، وأبي شمر، ومحمد بن شبيب البصري، وصالح قبة.  
٢- قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالجبَر في الأعمال على مذهب الجهمية أتباع جهم بن صفوان.

٣- قالوا بالإرجاء المحض، لا يقولون بالجبَر ولا بالقدر، فهم الْمُرْجئة الخالصة. وهم خمس فرق: اليُونسية، أتباع يونس بن عون النُميري. والغسانية، أتباع غسان المُرَجى. والتَّومنية، أتباع أبي مُعَاذ التَّومني. والثَّوبانية، أتباع أبي ثوبان المُرَجى. والمَرِيسية، أتباع بشر بن غياث المَرِيسي، المُتوفى سنة ٢١٨هـ<sup>(٣)</sup>.

(١) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢١٣.

(٢) التَّنبيه والردّ ص ١٤٦.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٠٢ والتبصير في الدين ص ٨٣. وأشار نَشوان في شرح الحُور العين ص ٢٥٧ إلى الصنفين الأولين.

وذكر الشَّهْرستاني في الملل والنحل ج ١ ص ١٣٧: الْمُرْجئة أربعة أصناف: مُرْجئة الْخَوارج، ومُرْجئة الْقَدَرية، ومُرْجئة الْجَبَرية، والمُرْجئة الْخالصة. وذكر أقسام الْمُرْجئة الْخالصة الخمسة، لكن ذكر: الْعَبْدِيَّة أصحاب عُبَيْد الْمُكْتَب، بدلاً من الْمَرِيسية.

ولْعُبَيْد الْمُكْتَب ترجمة في تهذيب التهذيب.

وذكر الإيجي في المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٩٦ أقسام الْمُرْجئة الْخالصة



وَعَدَّ بَعْضُ أَصْحَابِ الْمَقَالَاتِ الْإِمَامَ أَبَا حَنِيفَةَ مِنْ مُرَجَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ. وَالسَّبَبُ

فيه:

١ - أن الإمام أبا حنيفة كان يقول: الإيمان هو التَّصَدِّيقُ بالقلب، وهو لا يَزِيدُ ولا ينقص، فظنوا به أنه يؤخر العمل عن الإيمان، وليس كذلك إذا عرف عن الإمام أبي حنيفة المبالغة في العمل والاجتهاد فيه.

٢ - أن الإمام أبا حنيفة كان يخالف القَدَرِيَّةَ والمُعْتَزِلَةَ في الصدر الأول، والمُعْتَزِلَةَ والوعيدية من الخوارج كانوا يلقبون كلَّ من خالفهم في القدر مُرَجِّئاً<sup>(١)</sup>.

كتقسيم الشَّهْرَسْتَانِيّ، لكن فيه: عُبِّدَ المكذب. وورد في الفِرَقِ الإسلامية للكُرْمَانِيّ ص ٨١-٨٦ مثل ما ذكره الإيجي.

وذكر الرَّازِيّ في اعتقادات فِرَقِ المُسْلِمِينَ ص ١٠٧ أقسام المُرَجَّةِ الخالصة كتقسيم البَغْدَادِيّ لكنه ذكر الخالدية بدلاً من المَرِيسِيَّة.

أما المَقْرِيْزِيّ في الخَطَط ج ٢ ص ٣٥٠ فقد ذكر أن المُرَجَّةَ بعد الحَسَن بن مُحَمَّد بن الحَنَفِيَّة صارت أربعة أنواع: مُرَجَّةُ الْخَوَارِجِ، ومُرَجَّةُ الْقَدَرِيَّةِ، ومُرَجَّةُ الْجَبَرِيَّةِ، ومُرَجَّةُ الصَّالِحِيَّةِ.

وذكر السَّفَارِينِيّ في لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٨٩ ست فرق هي: الْيُونُسِيَّةُ، وَالْعُبَيْدِيَّةُ (أتباع عُبَيْدِ الْمُكْتَبِ)، وَالْغَسَّانِيَّةُ، وَالتَّوْبَانِيَّةُ، وَالتَّوْمِنِيَّةُ، وَالنَّجَارِيَّةُ.

(١) الْمِلَلُ وَالنَّحَلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيّ ج ١ ص ١٣٩. ونقله السَّيِّدُ الشَّرِيفُ فِي شَرْحِ الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣٩٧ عن الْأَمْدِيّ. ونقله أَبُو زُهْرَةَ عَنِ الشَّهْرَسْتَانِيّ فِي تَارِيخِ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٢٢. وانظر تَعْلِيْقُ مُحَمَّدٍ مُحَبِّي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَلَى مَقَالَاتِ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٢١٩-٢٢٠. وانظر قول بعض من أسند الإرجاء إلى الإمام أبي حنيفة في شَرْحِ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٥ ص ٢٨٤.

وفي الْمَوَاقِفِ وشرحه للسَّيِّدُ الشَّرِيفُ ج ٨ ص ٣٩٧: (إِنْ غَسَّانَ الْمُرَجِّعُ كَانَ يَنْقُلُ الْإِرْجَاءَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَيَعُدُّهُ مِنَ الْمُرَجَّةِ. وَهُوَ افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ، قَصْدُ بِهِ غَسَّانَ تَرْوِيجَ مَذْهَبِهِ بِمُوَافَقَةِ رَجُلٍ كَبِيرٍ مَشْهُورٍ).

فمن قال إن الإمام أبا حنيفة من المُرَجَّة، أراد المعنى اللغوي من الإرجاء وهو التأخير، لأنه يؤخر العمل عن الإيمان، ولم يرد المعنى العرفي المصطلح عليه في علم الكلام<sup>(١)</sup>، لأن أبا حنيفة ممن يقول بعدم القطع بالعقاب، وبتفويض الأمر إلى الله، يغفر

(١) تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد السابق، وفيه:

الذي أطلق على أبي حنيفة لفظ الإرجاء فريقان:

أولهما: بعض المحدثين، وذلك لأنه يخالفهم في تحديد معنى الإيمان، فهم يجعلون الإيمان مؤلفاً من ثلاثة أركان هي: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالجوارح. أما أبو حنيفة فيقصر الإيمان على الركن الأول وهو التصديق، فسموه مُرَجَّئاً، بمعنى أنه أخر العمل في المرتبة. والفريق الثاني: جمهور المعتزلة، وذلك لأنه كان يخالفهم في حكم مرتكب الكبيرة من المؤمنين، فهم يحكمون على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار جزماً. أما أبو حنيفة فلا يحكم عليه بشيء، ويقول: إن أمره مفوض إلى الله، فسموه مُرَجَّئاً، لأنه أخر الحكم عليه ولم يجزم بعقابه.

وقال الشيخ ظفر التهانوي في قواعد في علوم الحديث ص ٢٣٣-٢٣٥ معلقاً على ما نقله عن ابن حجر في مقدمة الفتح: (لا يخفى أن الإرجاء بمعنى تأخير القول في الحكم في تصويب إحدى الطائفتين اللتين تقاتلوا بعد عثمان ليس من الضلالة في شيء، بل هو والله الورع والاحتياط، والسكوت عما جرى في الصحابة وشجر بينهم أولى، فليس كل من أطلق عليه الإرجاء متهماً في دينه وخارجاً عن السنة، بل لا بد من الفحص عن حاله، فإن كان لإرجائه أمر الصحابة - الذين تقاتلوا فيما بينهم - إلى الله، وتوقفه عن تصويب إحدى الطائفتين فهو من أهل السنة ومن حزب الورعين حتماً. ومن أطلق عليه ذلك التأخير لقوله بعدم إضرار المعاصي فهو الذي يتهم في دينه). ثم أورد كلام التفتازاني في شرح المقاصد، وابن حجر المكي في الفصل السابع والثلاثين من كتابه الخيرات الحسان، والأمدي، ثم قال: (قلت: وإطلاق الإرجاء من المحدثين على من لا يقول بزيادة الإيمان ونقصانه، ولا بدخول العمل في حقيقته، كثير، وهو ليس بطعن في الحقيقة على ما لا يخفى على مهرة الشريعة، فإن النزاع في ذلك لفظي، كما حققه المحققون من الأولين والآخرين).

وانظر في الإرجاء: الرفع والتكميل للكنوي ص ٣٥٢ وما بعدها، وتعليق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة على كتاب قواعد في علوم الحديث ص ٢٣٥-٢٣٩.

إن شاء ويعذب إن شاء، وهو إرجاء بمعنى أنه تأخير للأمر وعدم جزمٍ بالعقاب أو الثواب، وهو مذهب أهل الحق<sup>(١)</sup>.

فإرجاء العمل من أن يكون من أركان الإيمان الأصلية هو السُّنَّة، وأما الإرجاء الذي يُعدُّ بدعةً فهو قول من يقول: لا تضر مع الإيمان معصية. وأصحابنا أبرياء من مثل هذا القول<sup>(٢)</sup>.

### آراء المُرَجَّة

١ - إن الإيمان هو التَّصَدِيقُ بالقلب فقط، أما الأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ فليست جزءاً من الإيمان. فمن آمن بالله ورسله وارتكب الكَبِيرَةَ وترك الفرائض فهو مُؤْمِنٌ.

بل غلبا بعض المُرَجَّة فقالوا: (الإيمان الاعتقاد بالقلب وإن أعلن الكفر بلسانه، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية والنصرانية في دار الإسلام، وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الإسلام، ومات على ذلك، فهو مُؤْمِنٌ كَامِلٌ الإيمان عند الله عزَّ وجلَّ، وليُّ الله عزَّ وجلَّ، من أهل الجنة).

فهم لا يجزمون بكفر النَّصَارَى واليهود، لأن الإيمان محله القلب، ولا يطلع عليه إلا الله، وذلك يدعو إلى مسالمة الناس جميعاً<sup>(٣)</sup>.

(١) شَرَحَ الْمَقَاصِدَ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ١٥٦ ونقله التَّهَانَوِيُّ فِي قَوَاعِدِ عُلُومِ الْحَدِيثِ ص ٢٣٤. قَالَ النَّسْفِيُّ فِي تَبْصِرَةِ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٧٦٦: (كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَسْمَى مُرَجِّئاً لِتَأْخِيرِهِ أَمْرَ صَاحِبِ الْكَبِيرَةِ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ. وَالْإِرْجَاءُ هُوَ التَّأْخِيرُ).

(٢) تَأْنِيبُ الْخَطِيبِ لِلْكَوْثَرِيِّ ص ٩١ ونقله عنه التَّهَانَوِيُّ فِي قَوَاعِدِ عُلُومِ الْحَدِيثِ ص ٢٣٨.

(٣) فَجَّرَ الْإِسْلَامَ ص ٢٨١ ونقل قول غُلَاةِ الْمُرَجَّةِ عَنْ ابْنِ حَزْمٍ، ونقله أَبُو زُهْرَةَ فِي تَارِيخِ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٢٠ عَنْ الْفَصْلِ لابن حَزْمٍ، وَقَوْلُ ابْنِ حَزْمٍ فِي الْفَصْلِ ج ٥ ص ٧٣.

ومن المُرَجَّة من يقول: من قال لا إله إلا الله مُحَمَّد رَسُول الله، وَحَرَّمَ ما حرم الله، وَأَحَلَّ ما أَحَلَّ الله، دخل الجنة إذا مات، وإن زنى وإن سرق وقتل وشرب الخمر وقذف المَحْصَنات، وترك الصلاة والزكاة والصيام، إذا كان مُقِرّاً بها يُسَوِّفُ التوبة، لم يضره وقوعه على الكبائر وتركه للفرائض وركوبه الفواحش.

وإن فعل ذَلِكَ استحلالاً كان كافراً بالله مُشْرِكاً، وخرج من إيمانه وصار من أهل النار. بدليل:

أ- قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ - النساء ٤٨ و١١٦، فقالوا: الكافر وحده لا يغفر له، وما دون الكفر مَغْفُورٌ لأهله.

قال الشاعر ثَابِتُ قُطْنَةَ، وهو من اشتهر عنه القول بالإرجاء، في قصيدته التي نقلها أَحْمَدُ أَمِين في فجر الإسلام ص ٢٨٢ عن كتاب الأغاني لأبي الفَرَج الأَصْبَهَانِي:

المُسْلِمُونَ على الإسلام كُلُّهُمْ  
والمُشْرِكُونَ اسْتَوَوْا في دينهم قَدَدًا

قال المَلَطِيّ في التَّنْبِيهِ والرَّدِّ ص ١٤٦: (من المُرَجَّة من يقول: من شَهِدَ شهادة الحق دخل الجنة وإن عَمَلَ أي عَمَلَ، كما لا ينفع مع الشرك حَسَنَةً، كَذَلِكَ لا يضر مع التَّوْحِيدِ سيئة. وزعموا أنه لا يدخل النار أبداً وإن ركب العظائم، وترك الفرائض، وعَمَلَ الكبائر). وذكر المَلَطِيّ ردوداً على هَذَا القول.

وقال أيضاً في ص ١٤٩: (ومنهم من قال: إن الإيمان مَعْرِفَةٌ بالقلب، لا فعلُ اللِّسان، ولا عَمَلٌ بالبدن، ومن عرف الله بقلبه أنه لا شيء كمثلته، فهو مُؤْمِنٌ وإن صلى نحو المشرق أو المَغْرِب وربط في وسطه زُنَّاراً).

وذكر الشاعر ثَابِتُ قُطْنَةَ، أن الذنب مهما عظم لا يذهب بالإيمان، قال:

ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً  
م الناسِ شركاً إذا ما وَحَّدُوا الصَّمداً

فجر الإسلام ص ٢٨٢ عن كتاب الأغاني لأبي الفَرَج الأَصْبَهَانِي.

ب- وقوله ﷺ: (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق وقتل)<sup>(١)</sup>.

وكل المُرَجَّة يقولون: إنه ليس في أحد من الكفار إيمان بالله عز وجل<sup>(٢)</sup>.

وأكثر المُرَجَّة لا يكفرون أحداً من المتأولين، ولا يكفرون إلا من أجمعت الأمة على إكفاره<sup>(٣)</sup>.

وقد ردَّت الفرق الأخرى عليهم، حتى قال الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: (أبرأ من المُرَجَّة الذين أطمعوا الفُسَّاق في عفو الله تعالى)<sup>(٤)</sup>.

٢- الإيمان لا يزيد ولا ينقص. وإيمان الملائكة والأنبياء والأئم وعلماء الناس وجهالهم واحد، لا يزيد منه شيء على شيء أصلاً<sup>(٥)</sup>.

قال بعضهم: إن إيمانهم قائم أبداً، لا يزيد، وإن عمل الحَسَنَات العظام وورع في الدُّنْيَا وترك الحرام وحج البيت دائماً وصلّى أبداً أو صام.

ولا ينقص، وإن عمل السيئات والكبائر والفواحش وركب الحرام جاهراً، أو ترك الصلاة ولم يصم ولم يحجَّ أبداً<sup>(٦)</sup>.

(١) التَّنْبِيْهِ والرَّدَّ ص ٤٣، وانظر ص ١٤٦.

وفي الجامع الصغير للسيوطي ص ٥٣٦: (من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة)، رواه البزار عن أبي سعيد. وصحَّحه السيوطي.

(٢) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٢٢.

(٣) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٢٥. وانظر الخلاف في ذلك في: ص ٢٣٢.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٢٢. وانظر: فجر الإسلام ص ٢٩٣.

(٥) التَّنْبِيْهِ والرَّدَّ ص ٤٣. وهو قول غيلان الدمشقي. / الفرق بين الفرق ص ٢٠٧. أما غسان

المُرَجِّي فقال: يزيد ولا ينقص. / الفرق بين الفرق ص ٢٠٣ والمِلل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٣٩.

(٦) التَّنْبِيْهِ والرَّدَّ ص ١٥٤ وحكى أقوالاً أخرى لبعض أصنافهم.

٣- لا يُسْفِك دم أحد من المُسْلِمِينَ إِلَّا دَفَاعاً عَنْ نَفْسِهِ، قالوا: وإذا اشتبهت الأمور، وكفّرت كل طائفة أُخْتَهَا فيما فعلت، أرجأنا أمرهم جميعاً إلى الله تعالى، يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

أما الجور البين والأعمال الظاهرة فنصدر أحكامنا عليها في صراحة، ونبين الخطأ فيها من الصواب، فالحجّار أجحظوا إذ حكموا على عليّ وعثمان بالكفر، فإنها عبادة لله لم يشركا به منذ عرفاه، ولكن كان بينهما شغب لم يخرج بهما عن الإيمان، فترك أمرهما لله يقدر عملهما ويكافئ عليه.

وهذا ما قاله الشاعر ثابت قطنة في قصيدته<sup>(١)</sup>.

(١) فجر الإسلام ص ٢٨٢ وأورد قصيدة ثابت قطنة من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، منها:

يا هَندُ فاستمعي لي إن سیرتنا	أن نعبُد الله لم نُشرك به أحداً
نرجي الأمور إذا كانت مُشبّهة	ونصدّق القول فيمن جاز أو عنداً
لا نسفكُ الدم إلا أن يُراد بنا	سفكُ الدماء طريقاً واحداً جَداً
من يتّق الله في الدنيا فإن له	أجر التّقّي إذا وفّى الحساب غداً
كلّ الحجّار مجخط في مقالته	ولو تعبّد فيما قال واجتهداً
أما عليّ وعثمان فإنّهما	عبدان لم يُشركا بالله مُذ عبداً
وكان بينهما شغبٌ وقد شهدا	شقّ العصا وبعين الله ما شهدا
يجزي عليّاً وعثماناً بسعيهما	ولست أدري بحقّ أية ورّداً
الله يعلم ماذا يحضران به	وكلّ عبد سيلقى الله منفرداً

## القَدَرِيَّة

القَدَرِيَّة: فِرقة تقول بالقَدَر، أي: إسناد أفعال العِبَاد إلى قَدَرهم<sup>(١)</sup>، فالعِبَاد هم الذين يخلقون أفعالهم ويختارونها.

### مصدر آرائهم

اختلفوا فيه على قولين:

١- مصدر خارجي، وذلك لأن القَدَرِيَّة نقلوها عن الأفكار النَّصْرَانِيَّة والفلسفة الرُّومَانِيَّة، وذكر أنهم أخذوا من كتابات يوحنا الدَّمَشْقِيَّ في اللاهوت والفلسفة. وهو قول بعض المستشرقين وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

٢- مصدر داخلي، وهو النَّظَر في نصوص القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة.

فقد وردت آيات ظاَهرها الجَبَر مثل:

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ

(١) تَفْسِير القَدَر للسَّيِّد الشَّرِيف في: شَرْح المَوَاقِف ج ٨ ص ٣٧٨. وعَرَفه الأَشْعَرِيَّ في الإِبَانَة ص ١٩٧ بقوله: (القَدَرِيَّ هو من يثبت القَدَر لنفسه دون ربه عَزَّ وَجَلَّ، وأنه يَقْدَر أفعاله دون خَالِقِهِ، وكذلك هو في اللُّغَة).

(٢) الفِرَق الإسلاميَّة في بلاد الشَّام ص ٢٧ وأشار إلى سِيل، وكارل بروكلمان، وغورديه، واوليري، وفيليب حتي، وأَسَد رستم. وبهذا الرأي قال الغُرَابِيَّ في تاريخ الفِرَق الإسلاميَّة ص ٣٦.

ويوحنا الدَّمَشْقِيَّ هو سرجون بن مَنْصُور الرُّومِيَّ، من مَوَالِي مُعَاوِيَة بن أَبِي سُفْيَان، تَوَلَّى ديوان الخَرَج لمُعَاوِيَة ولابنه يَزِيد ولمُعَاوِيَة بن يَزِيد، ولمَرْوَان بن الحَكَم ولابنه عبد الملك، وفي أيامه مات. / الفِرَق الإسلاميَّة في بلاد الشَّام ص ٢٧-٢٨.

رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ - هود ٣٤.

وقوله ﷺ في حديث جابر عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: (لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشره، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه).

وفي القرآن آيات ظاهرها الاختيار، وأن الإنسان مسؤول عن عمله مثل:

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ - الكهف ٢٩.

وهذا التفكير في هذه النصوص هو الذي أدى إلى ظهور هذه المشكلة والنقاش فيها. وهذا قول أحمد أمين<sup>(١)</sup>.

### سبب تسمية القَدَرِيَّة

القَدَرِيَّة نسبة إلى القَدَر. وسبب هذه النسبة، مع أنهم نفوا القَدَر (بمعنى العلم والتقدير) عن الله تعالى، هو:

١- لأنهم حين نفوا القَدَر عن الله تعالى، أثبتوه للعبد، فجعلوا كل شيء لإرادة الإنسان وقدرته المستقلة عن إرادة الله تعالى، فكأنهم أعطوا الإنسان سُلْطَانًا على القَدَر.

فمَعْبَدُ الْجَهَنِّي وهو رأسهم ردَّ على من تعلل في المعصية بالقدر بقوله: (لا قَدَر والأمرُ أنْفٌ)، أي: أن الأمور يستأنف العلم بها، وبالتالي تستأنف إرادتها، وبهذا نفى الإرادة الأزلية والعلم الأزلي، ليخرج فعل الإنسان عن نطاق القدرة الإلهية<sup>(٢)</sup>.

(١) فجر الإسلام ص ٢٨٣-٢٨٤. ونقله د. حسين عطوان في المصدر السابق ص ٢٩.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١٠-١١١.

في صحيح مسلم، أول كتاب الإيمان: (عن ابن بُرَيْدَةَ، عن يَحْيَى بن يَعْمَر، قال: كان أول من قال في القَدَر بالبصرة مَعْبَدُ الْجَهَنِّي، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو مُعْتَمِرَيْن، فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القَدَر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفتنا أنا وصاحبي، أحمداً



٢- القَدَرِيَّة من قبيل النسبة إلى الضدِّ، إذ قد يسمَّى الشيء بضده<sup>(١)</sup>، كتسمية الأعمى بالبصير، فهم نُسبوا إلى القَدَر وهم نُفأته.

### رَجَالُ القَدَرِيَّة

رُوِيَ عن الأَوْزَاعِيِّ: أن أول من نطق في القَدَر رجل من أهل العِراق، يقال له: سُوسن، كان نَصْرَانِيًّا فأسلم، ثم تَنَصَّر، فأخذ عنه مَعْبَدُ الجُهَنِيِّ، وأخذ غِيْلَان عن مَعْبَد<sup>(٢)</sup>.

فكان مَعْبَد أول من تكَلَّمَ في القَدَر<sup>(٣)</sup>

عن يمينه والآخر عن شماله، فظننتُ أن صاحبي سَيَكِلُ الكلام إليَّ، فقلتُ: أبا عبد الرَّحْمَنِ إنه قد ظهر قِبَلَنَا ناسٌ يقرؤون القرآن وَيَتَفَقَّرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قَدَر، وأنَّ الأمر أُنْفٌ. قال: فإذا لَقِيتُ أُولَئِكَ فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وأنهم بُراءٌ مِنِّي. والذي يحلف به عبدُ الله بن عُمَر، لو أن لأحدهم مثلُ أُحُدٍ ذهباً فأنفقه، ما قَبِلَ اللهُ منه حتى يؤمن بالقَدَر، ثم قال: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بنُ الحَطَّابِ (...)، وساق حَدِيثَ جَبْرِيلَ في الإيَّان والإسلام والإحسان، وفيه: (وتؤمن بالقَدَر خَيْرُهُ وشرُّهُ).

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١١.

(٢) تَهْذِيبُ الكَمَالِ ج ٧ ص ١٦٩ وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ ج ٤ ص ١١٦. ونحوه ما ذكره ابنُ نُبَاتَةَ في سَرَحِ العُيُونِ ص ٢٩٠. ونقله عن ابنِ نُبَاتَةَ كُلُّ من: أَحْمَدُ أَمِين في فجر الإسلام ص ٢٨٥ ومُحَمَّدُ أَبُو زُهْرَةَ في تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١١.

وقال المَزِّيُّ في تَهْذِيبِ الكَمَالِ: (مَعْبَدُ الجُهَنِيِّ البَصْرِيُّ، يقال: إنه ابن عبد الله بن عَكِيم الجُهَنِيِّ، ويقال: ابن عبد الله بن عُويْمِر، ويقال: ابن خالد. والصَّحِيحُ أنه لا يُنسَب).

(٣) تَهْذِيبُ الكَمَالِ السَّابِق، وفيه: هو قول أبي حَاتِمٍ وأبي زُرْعَةَ والغَسَّانِيِّ. وفي هامشه: نقله مُحَقِّقُهُ عن البُخَارِيِّ في الضعفاء الصَّغِيرِ وابنِ جَبَّانٍ في المجروحين، والدَّهَبِيِّ في المِيزَانِ.

وزاد ابن حَجَرٍ في تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ج ٤ ص ١١٦-١١٧ عن الدَّارِقُطْنِيِّ. وَتَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ ص ٥٣٩ والدَّهَبِيِّ: الكاشف ج ٢ ص ٢٧٩ والمَعَارِفُ لابن قُتَيْبَةَ ص ٤٨٤ في ترجمة غِيْلَان. ونسبه إلى القَدَرِيَّة: ابن قُتَيْبَةَ أيضاً في المَعَارِفِ ص ٥٤٧ و٦٢٥.

بِالْبَصْرَةِ<sup>(١)</sup>. وهو من التَّابِعِينَ<sup>(٢)</sup>، ثِقَّةٌ فِي الْحَدِيثِ<sup>(٣)</sup>، لَكِنَّهُ كَانَ رَأْسًا فِي الْقَدَرِ<sup>(٤)</sup>، فَحَذَّرَ الْعُلَمَاءُ مِنْهُ<sup>(٥)</sup>. قَتَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِدِمَشْقَ سَنَةَ ٨٠ هـ<sup>(٦)</sup>.

وَعَيَّلَانَ الدَّمَشْقِيِّ<sup>(٧)</sup>، كَانَ وَالِدُهُ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ<sup>(٨)</sup>.

أَخَذَ الْقَوْلَ بِالْقَدَرِ عَنْ مَعْبَدِ الْجُهَنِيِّ كَمَا قَدَمْنَا آتِفًا عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ<sup>(٩)</sup>.

(١) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ السَّابِقِ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، وَكَذَا تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ، وَتَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ، وَالْكَاشَفُ، السَّابِقَةُ.

فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، أَوَّلُ كِتَابِ الْإِيمَانِ: عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدُ الْجُهَنِيِّ.

(٢) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ السَّابِقِ عَنْ ابْنِ سَعْدٍ، وَكَذَا فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ السَّابِقِ عَنْ ابْنِ سَعْدٍ وَالْعَجَلِيِّ.

(٣) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ السَّابِقِ، وَفِيهِ: وَثَّقَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: كَانَ صَدُوقًا فِي الْحَدِيثِ. وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ج ٤ ص ١١٧: قَالَ الْعَجَلِيُّ: ثِقَّةٌ كَانَ لَا يَتَّهِمُ بِالْكَذِبِ. وَفِي تَقْرِيبِ التَّهْذِيبِ ص ٥٣٩: صَدُوقٌ مُبْتَدِعٌ. وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي الْكَاشَفِ ج ٢ ص ٢٧٩: صَدُوقٌ.

(٤) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ السَّابِقِ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، وَفِي هَامِشِهِ: عَنِ الْجَوْزْجَانِيِّ فِي أَحْوَالِ الرِّجَالِ. وَنَقَلَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ج ٤ ص ١١٧ عَنِ الْجَوْزْجَانِيِّ.

(٥) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ السَّابِقِ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَطَاوُسٍ وَغَيْرِهِمَا. وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ السَّابِقِ.

(٦) تَهْذِيبُ الْكَمَالِ السَّابِقِ عَنِ الْعَسَانِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ كَثِيرٍ وَغَفِيرٍ، وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ، وَالْكَاشَفُ، السَّابِقَانِ.

(٧) الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ ج ٥ ص ٢٦٣ وَفِيهِ: أَنَّ اسْمَ أَبِيهِ يُؤْنَسُ أَوْ مُسْلِمٌ. وَكُنْيَةُ عَيَّلَانَ هِيَ أَبُو مَرْوَانَ. وَسَرَحَ الْعِيُونُ ص ٢٨٩ وَفِيهِ: عَيَّلَانَ بْنُ يُؤْنَسَ. وَالْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ١٣٧ وَفِيهِ: إِنَّ اسْمَ أَبِيهِ هُوَ: مُسْلِمٌ أَوْ مَرْوَانَ. وَفِي الْمَعَارِفِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ ص ٤٨٤: كَانَ يُكْنَى أَبَا مَرْوَانَ.

(٨) سَرَحَ الْعِيُونُ، وَالْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ، السَّابِقَانِ.

(٩) قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ ص ٤٨٤: (كَانَ قَدَرِيًّا لَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ فِي الْقَدَرِ قَبْلَهُ وَدَعَا إِلَيْهِ إِلَّا

اختاره عبد الملك بن مَرْوَان مؤدِّباً لولده سَعِيد.

وقُرِّبه عُمَر بن عبد العَزِيز، واستمع إلى مواعظه، لَكِن عُمَر جفاه حين ظهرت مقالته بالقَدَر، بعد أن ناقشه واستتابه، فأمسك عن الكلام فيه.

ثم كان من خاصَّة هِشَام بن عبد الملك، وفي أيامه رجع إلى القول بالقَدَر، ودعا إليه، وكان يُنكِر سِياسة بني أُمَيَّة، فقتله هِشَام أَخيراً<sup>(١)</sup>، وذلك بعد سنة ١٠٥هـ<sup>(٢)</sup>.

قال الأَوْزَاعِي: قدم علينا غَيَّلَان القَدْرِيَّ في خِلَافَةِ هِشَام بن عبد الملك، فتكلم غَيَّلَان وكان رجلاً مُفَوَّهاً، ثم أَكْثَرَ النَّاسُ الوَقِيعَةَ فيه والسَّعَايَةَ بسبب رأيه في القَدَر، وأحفظوا هِشَام بن عبد الملك عليه، فأمر بقطع يديه ورجليه وقلته وصلبه<sup>(٣)</sup>.

وقدَّمنا أن من رِجال المُرْجئة القَدْرِيَّة مع غَيَّلَان أيضاً: أبو شَمِر، ومُحَمَّد بن

---

مَعْبَد الجُهَنِّي... وَرَوَى بسنده عن الأَوْزَاعِي أَنَّهُ قال: أول من تكلم في القَدَر مَعْبَد الجُهَنِّي، ثم غَيَّلَان بعده).

وفي المُنِيَّة والأَمَل السَّابِق: أخذ المَذْهَب عن الحَسَن بن مُحَمَّد بن الحَنْفِيَّة. قال ابن نُباتة في سَرَح العُيُون ص ٢٨٩: وغَيَّلَان أول من تكلم في القَدَر.

(١) الفِرَق الإسلامية في بلاد الشَّام ص ٣٥. وانظر: الكَامِل ج ٥ ص ٢٦٣.

وأورد مناقشة عُمَر بن عبد العَزِيز لَغَيَّلَان وصاحبه: المَلَطِيَّ في التَّنْبِيهِ والرَّد ص ١٦٨ وابن نُباتة السَّابِق ص ٢٩٠، ونحوها في فجر الإسلام ص ٢٨٥ وتاريخ المَذاهب الإسلامية ص ١١٢. وأشار إليها الغُرَابِيَّ في تاريخ الفِرَق ص ٤٠ تَقْلاً عن ابن نُباتة.

وبعض الروايات تشير إلى أن سبب قتله هو قوله بالقَدَر، وتشير روايات أخرى إلى أن قتله كان سياسياً كرواية ابن المُرتَضَى في المُنِيَّة والأَمَل.

وذكر ابن قُتَيْبَةَ في المَعَارِف ص ٤٨٤ مقتلَه على يد هِشَام بن عبد الملك.

(٢) الأَعْلَام لِلزَّرْكَليِّ ج ٥ ص ١٢٤. وذكر أن المصادر لم تُورِّخ مقتلَه، وحدد هذا التاريخ بناءً على أن الذي صلبه هو هِشَام بن عبد الملك، وخلافته كانت سنة ١٠٥هـ.

(٣) فجر الإسلام ص ٢٨٥.

شَيْب، وصالح قُبَّة.

كان غِيلَان الدَّمَشَقِيّ وصالح بن سُويْد من زعماء القَدَرِيَّة، بَشْرًا بالمَذْهَب وانتصرا له. فقاد القَدَرِيَّة بعدهما رؤساء كثيرين في خِلَافَةِ الْوَلِيد بن يَزِيد بن عبد الملك، وانتصر لهم يَزِيد بن الْوَلِيد بن عبد الملك، واستوعبهم، وجنّدهم لعزل ابن عمه الْوَلِيد بن يَزِيد وخلعه.

قال الشَّافِعِيّ: (لما ولي يَزِيد بن الْوَلِيد دعا الناس إلى القَدَر، وحملهم عليه، وقرب أصحاب غِيلَان).

واعتنق مَذْهَب القَدَرِيَّة جماعات من القبائل الرَّبِيعِيَّة واليَمَانِيَّة الشَّامِيَّة المخالفة لبني أُمَيَّة، لأنهم أبعدوا عن المناصب السياسية الكَبِيرَة.

لكنهم بعد موت يَزِيد بن الْوَلِيد تقلّص سُلْطَانُهم، وضيق عليهم مَرْوَان بن مُحَمَّد، لاغتقاده أنهم هم الذين قتلوا الْوَلِيد بن يَزِيد، وفرّ منهم البعض وانضم إلى الدعوة العبَّاسِيَّة<sup>(١)</sup>.

ونقل المؤرخون بعض المناقشات معهم:

فحاور عُمَر بن عبد الْعَزِيز غِيلَان وصالحاً.

وحاور إِيَّاس بن مُعَاوِيَةَ الْفَقِيه الْبَصْرِيّ غِيلَان في مجلس عُمَر بن عبد الْعَزِيز.

وجادل هِشَام بن عبد الملك غِيلَان، واستعان ببعض الْفُقَهَاء عليه مثل: مَيْمُون بن مِهْرَان فقيه الجزيرة، والأَوْزَاعِيّ فقيه الشَّام. وجادله رِبِيعَةُ الرَّأْي فقيه المَدِينَة، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٦هـ.

وردّ عليهم الْعُلَمَاء، وكتب عُمَر بن عبد الْعَزِيز بلزوم استتابتهم، فإن تابوا خلّو

(١) الْفَرَق الْإِسْلَامِيَّة في بلاد الشَّام ص ٤١ وما بعدها، وأورد أسماء عدد كَبِير من زعماء تلك القبائل.

سَبِيلَهُمْ وَلَا تُفَوَّضُوا مِنْ دِيَارِ الْمُسْلِمِينَ.

واستحسن فقهاء الشام قتل غيلان، منهم: رجاء بن حيوة، وعبدادة بن نسي، ونُمَيْر بن أوس الأشعري<sup>(١)</sup>.

### آثار القَدَرِيَّة

وبعد مكافحة الخلفاء لهم، ومحاربة علماء أهل السنة إياهم، هل ذابت آثارهم؟ في ذلك قولان:

١- ذابت آثارهم، ولم تبقى لهم شخصية مستقلة، لكن بقيت آراؤهم في أفكار المعتزلة، وكثيراً ما يسمى المعتزلة بالقَدَرِيَّة. وهو قول أحمد أمين<sup>(٢)</sup>.

٢- إن هذا المذهب لم يمت ولم يذُبْ في غيره، بل دام بعد ذلك بين أهل البصرة قروناً طويلاً، وتحول عند طائفة منهم إلى ما يشبه مذهب الثنوية الذين جعلوا العالم محكوماً بقوتين: النور والظلمة، وجعلوا الخير إلى النور، والشر إلى الظلمة.

فالقَدَرِيَّة نَسَبُوا إلى الله فعل الخير، ولأنفسهم فعل الشر، من غير أن يكون لله إرادة، بل معاندين ذلك إرادته. وهو قول الشيخ أبي زهرة<sup>(٣)</sup>.

(١) الفرق الإسلامية في بلاد الشام ص ٥٧ وما بعدها.

في سرح العيون لابن نباتة ص ٢٩٠: (روي أن غيلان وقف يوماً على ربيعة، فقال له: أنت الذي تزعم أن الله يجب أن يعصى؟ فقال له ربيعة: أنت الذي تزعم أن الله يعصى قسراً).

وأورد ابن نباتة بعض أخباره مع عمر بن عبد العزيز ومكحول وهشام بن عبد الملك والأوزاعي.

(٢) فجر الإسلام ص ٢٨٧، ونقله عنه د. حسين عطوان في: الفرق الإسلامية في بلاد الشام ص ٧٩.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١٥.

ويُدلّ على هذا القول تلك المناظرة التي ذكرها ابن قيّم الجوزيّة المتوفى سنة ٧٥١هـ، وإن كانت صورية، والتي ذكرها في كتابه شفاء العليل، والتي يقرر بها رأي شيخه ابن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ أن أفعال العبد تسند إليه، وأن الخالق لها هو الله تعالى<sup>(١)</sup>.

### آراء القدرية

لرجال القدرية آراء ذكرتها كتب المقالات والفرق، يختلف بعضهم عن الآخر فيها، ومن أشهرهم غيلان، ومن آرائه:

١- القدر خير وشره من العبد<sup>(٢)</sup>.

فهو يقول بالاختيار، أي: أن العبد قادر على أفعال نفسه، فهو الذي يأتي الخير بإرادته وقدرته، ويترك الشر، أو يفعله باختياره أيضاً، وليس للقدر سلطان عليه<sup>(٣)</sup>.

لذلك ذهب القدرية إلى إثبات القدرة للعبد في إثبات الخلق والإيجاد، وأنه لا يحتاج في ذلك إلى معاونة من جهة الله تعالى<sup>(٤)</sup>. فهو مخير غير مُسير.

ويوافقه المعتزلة بهذا القول.

٢- الإيمان هو المعرفة الثانية بالله (أي: المعرفة المكتسبة، أي: الناشئة عن النظر والاستدلال)، والمحبة والخضوع له والإقرار بما جاء به الرسول ﷺ وبما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١١٦. وانظر: كتاب شفاء العليل لابن القيّم ص ٢٨٢.

وأشار إليها مُحَمَّد سَلَام مَدْكُور في مناهج الاجتهاد ص ٤٩٣.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٤٠ وقدّمنا أن غيلان من مُرجئة القدرية.

(٣) تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٣٣.

(٤) خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٩.

أما المعرفة الأولى فهي فطرية ضرورية كعلمه بأن للعالم صانعاً، وهذه المعرفة لا تسمى إيماناً<sup>(١)</sup>.

وعبلاً تابِع قول أبي ثوبان المُرَجِي وأتباعه، كما قال الشَّهْرَسْتَانِي<sup>(٢)</sup>.

فالعبد إذا حقق الإيمان بالقول والمعرفة فلا يكون مطالبًا بعد هذا بالعمل، إلا على سبيل التراخي، وأن هذا التراخي لا يضر إيمانه، لأنه تحقق بالقول والمعرفة<sup>(٣)</sup>. وهو يوافق المُرَجِيَّة بهذا القول.

٣- الإيمان لا يزيد ولا ينقص، ولا يتفاضل الناس فيه<sup>(٤)</sup>. وهذا هو قول المُرَجِيَّة.

٤- القرآن مخلوق<sup>(٥)</sup>، وليس قديماً. وبهذا قال المُعْتَزِلَة.

(١) المِلَل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٤٣.

(٢) المِلَل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٤٠.

ومقالة أبي ثوبان هي: أن الإيمان هو الإقرار والمعرفة بالله وبرسله وبكل ما يجب في العقل فعله، وما جاز في العقل أن لا يفعل فليست المعرفة به من الإيمان. / الفرق بين الفرق ص ٢٠٤ ومقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢١٦ والمِلَل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ١٣٩ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٧ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٠.

فأوجب الإيمان بالعقل قبل ورود الشرع بوجوبه. / الفرق بين الفرق، وخطط المقرئ، السابقان.

وأخر العمل كله عن الإيمان. / المِلَل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي، والمواقف، السابقان.

(٣) تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٣٣-٣٤.

(٤) الفرق بين الفرق ص ٢٠٧.

(٥) سرح العيون ص ٢٨٩ وفيه: وعبلاً أول من تكلم في القدر وخلق القرآن في الإسلام. والفرق الإسلامية في بلاد الشام ص ٣٧ عن ابن بُنَّاتَة، وتاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص ٣٤.

٥- نفى الصفات<sup>(١)</sup> الثُّبُوتِيَّة، كالعلم والقدرة والإرادة، أي: أن هَذِهِ الصفات عَيْنُ الذات وليست غيرها.

لذا سماه الْأَشَاعِرَةَ بِالْمَعْطَلِّ، والتعطيل عند الْأَشَاعِرَةِ هو نفى الصفات.  
أما الْمُعْتَزَلَةُ فهم يقولون بأنه من القائلين بتَوْحِيدِ اللَّهِ وَعَدْلِهِ، ومعْنَى التَّوْحِيدِ عند الْمُعْتَزَلَةِ هو عدم القول بأن الصفات الثُّبُوتِيَّة غير الذات، بل هي عينها<sup>(٢)</sup>.  
ونفى الصفات هو قول الْمُعْتَزَلَةِ.

٦- الإمامة تَصْلُحُ في غير فُرَيْش، وكل من كان قائماً بالكتاب والسُّنَّة كان مستحقاً لها، وإنها لا تثبت إِلَّا بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ<sup>(٣)</sup>. وَعَيْلَان يوافق الْخَوَارِجَ بهذا القول.

(١) المصادر السَّابِقَةُ.

(٢) تاريخ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْغُرَابِيِّ السَّابِقِ. وذكر قوله بِالْعَدْلِ والتَّوْحِيدِ ابنُ الْمُرْتَضَى في الْمُنْيَةِ وَالْأَمَلِ ص ١٣٧ وأشار إِلَيْهِ الْغُرَابِيُّ بِالْهَامِشِ.

التعطيل: اصطلاح وضعه السَّلَفُ وَصَماً لِلْمُعْتَزَلَةِ وسالفيهم، ومعناه: إنكار الصفات القديمة القائمة بالذات. / نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ١ ص ٣٣١.

(٣) الْمَلِكُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ١٤٠ وتاريخ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْغُرَابِيِّ السَّابِقِ.



## الجبرية

الجبر: هو نفي الفعل حقيقةً من العبد، وإضافته إلى الرب تعالى<sup>(١)</sup>.

والجبرية: هم القائلون بأن الإنسان مُسَيَّرٌ غير مُخَيَّر.

وأشهر رجال الجبرية هو: الجعد بن درهم، وهو من التابعين<sup>(٢)</sup>، الموالى<sup>(٣)</sup>. أصله من خراسان<sup>(٤)</sup>، وقيل من أهل حران<sup>(٥)</sup>. كان يسكن دمشق<sup>(٦)</sup>، ويُعلم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، فنسب إليه، ف قيل له: مروان الجعدي<sup>(٧)</sup>. ويُروى أن أم مروان كانت أمّة، وكان الجعد أخاها<sup>(٨)</sup>.

والجعد أول من تكلم بخلق القرآن من أمّة محمد ﷺ بدمشق، فطلبه بنو أمية،

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٢ واعتقادات فرق المسلمين ص ١٠٣ والفرق الإسلامية للكرماني ص ٨٩. وقال الإيجي في المواقف ج ٨ ص ٣٩٨: (الجبر: إسناد فعل العبد إلى الله).

(٢) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٣٩٩ ونقله ابن حجر في لسان الميزان ج ٢ ص ١٠٥.

(٣) قيل: هو مولى سويد بن غفلة. / الأنساب للسمعاني ج ٣ ص ٢٦٥ واللباب لابن الأثير ج ١ ص ٢٨٢.

وقيل: هو مولى بني مروان بن الحكم. / سرح العيون ص ٢٩٣ والبداية والنهاية ج ٩ ص ٣٥٠.

(٤) البداية والنهاية السابق.

(٥) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: ابن منظور ج ٦ ص ٥٠.

(٦) مختصر تاريخ دمشق، وسرح العيون، والبداية والنهاية، والأنساب للسمعاني، السابقة.

(٧) سرح العيون السابق. وانظر: الأنساب للسمعاني، ومختصر تاريخ دمشق، والبداية والنهاية، السابقة، والفهرست لابن النديم ص ٤٧٢.

(٨) سرح العيون السابق.

فهرب من دِمَشق وسكن الكُوفَة، فلقه جَهْم بن صَفْوَان، وأخذ عنه القول بخلق القرآن<sup>(١)</sup>.

أخذ الجَعْدُ بن ذَرَهَم بدعته من بَيَان بن سَمْعَان، وأخذها بَيَان عن طالوت ابن أُخْت لَيْد بن أَصَم زوج ابنته، وأخذها لَيْد بن أَصَم السّاحر الذي سحر رَسُول الله ﷺ عن يَهُودِيٍّ بِالْيَمَن<sup>(٢)</sup>. وقيل أخذها من الصّابئة الفلاسفة من أهل حَرَّان<sup>(٣)</sup>.

قتله خالد بن عبد الله القَسْرِيّ، وَالِي هِشَام بن عبد الملك على العِراق، يوم الأضحى سنة ١٢٤ هـ<sup>(٤)</sup>، بالكُوفَة<sup>(٥)</sup>، وقيل بواسط<sup>(٦)</sup>. وهما بلدان قد يذكر أحدهما فيراد به الآخر، لتقاربهما.

وكان ذَلِكَ بعد استفتاء عُلَمَاء زمانه من السّلف الصّالح<sup>(٧)</sup>.

ومن آراء الجَعْد بن ذَرَهَم:

١ - قوله بخلق القرآن<sup>(٨)</sup>، قالوا: هو أول من قال بذلك من أمة مُحَمَّد ﷺ

(١) سَرَحُ العِيُون، ومُختَصَر تاريخ دِمَشق، والبداية والنّهاية، السّابقة. وذكر عبد الرّحمن بن أبي حاتم عن أبيه أن الجَعْد أول من أتى بخلق القرآن سنة نيّف وعشرين ومائة. / سَرَحُ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٣ ص ١٦.

(٢) البداية والنّهاية ج ٩ ص ٣٥٠ نقلاً عن ابن عسّاكر وغيره. وانظر: مُختَصَر تاريخ دِمَشق ج ٦ ص ٥١ وفيه: أَبَان بن سَمْعَان.

(٣) سَرَحُ الْعَقِيدَةِ الطّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٧٩٥.

(٤) مُختَصَر تاريخ دِمَشق السّابق. وانظر: الأنساب للسّمْعَانِيّ، واللُّبَاب لابن الأثير، وسَرَحُ العِيُون، والبداية والنّهاية، والفهرست لابن النّديم، السّابقة، وشذرات الذهب ج ١ ص ١٦٩.

(٥) مُختَصَر تاريخ دِمَشق، وسَرَحُ العِيُون، والبداية والنّهاية، السّابقة.

(٦) الأنساب للسّمْعَانِيّ، وشذرات الذهب، السّابقان.

(٧) سَرَحُ الْعَقِيدَةِ الطّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٧٩٤.

(٨) مُختَصَر تاريخ دِمَشق ج ٦ ص ٥٠ وسَرَحُ العِيُون ص ٢٩٣ والبداية والنّهاية ج ٩ ص ٣٥٠. وفي الكَامِل لابن الأثير ج ٥ ص ٢٦٣: أظهر مقالته بخلق القرآن أيام هِشَام بن عبد الملك.

بِدَمْشَق<sup>(١)</sup>.

٢- قوله بنفي الصفات، قالوا: الجَعْدُ من أول من نفى الصفات<sup>(٢)</sup>.

فزعم أن الله تعالى لم يتخذ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، ولم يكلم مُوسَى تَكْلِيمًا<sup>(٣)</sup>. وكان الجَعْدُ يكثر من سؤال وَهْب بن مُنْبَهٍ عن صفات الله تعالى، فحذره وَهْب قائلاً له: إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله في كتابه أن له يداً ما قلنا ذَلِكَ، وأن له عيناً ما قلنا ذَلِكَ...<sup>(٤)</sup>.

قال غِيْلَان الدَّمَشَقِيُّ: كَلَّمْتُ جَعْدًا فوجدته مُعْطَلًا<sup>(٥)</sup>.

لذَلِكَ: عُدَّ مبتدعاً ضالًّا<sup>(٦)</sup>، وضالًّا مُضِلًّا<sup>(٧)</sup>.

ولم يبقَ للجَعْدِ من الآراء إلا القليل.

ولكن تلميذه الجَهْم بن صَفْوَانَ هو الذي نسبت إليه آراء الجبرية، حتى أطلقوا اسم (الجَهْمِيَّة) على الجبرية.

(١) سَرَحُ الْعُيُونِ السَّابِقِ.

(٢) شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ج ١ ص ١٦٩.

(٣) الْأَنْسَابُ لِلِسَمْعَانِيِّ ج ٣ ص ٣٩٣ ومُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشَقِ ج ٦ ص ٥١ وَالْكَامِلُ ج ٥ ص ٢٦٣ وَسَرَحُ الْعُيُونِ ص ٢٩٤ وَمِيزَانُ الْأَعْتِدَالِ ج ١ ص ٣٩٩ ونقله عنه ابن حَجَرٍ فِي لِسَانِ الْمِيزَانِ ج ٢ ص ١٠٥. وذكر ابن كَثِيرٍ فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ج ٩ ص ٣٥٠ ذَلِكَ عَنِ الْبُخَارِيِّ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنِ بَيْهَقٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ وَابْنُ عَسَاكِرٍ. وانظر: شَذَرَاتُ الذَّهَبِ السَّابِقِ.

(٤) الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ السَّابِقِ.

(٥) الْفِرْقُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي بِلَادِ الشَّامِ ص ٨٦ نَقْلًا عَنْ أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ.

وَتَقَدَّمَ فِي آراءِ الْقَدَرِيَّةِ مَعْنَى التَّعْطِيلِ وَهُوَ نَفْيُ الصِّفَاتِ.

(٦) مِيزَانُ الْأَعْتِدَالِ السَّابِقِ، ونقله عنه ابن حَجَرٍ فِي لِسَانِ الْمِيزَانِ السَّابِقِ.

(٧) مُغْنِي الضَّعْفَاءِ ج ١ ص ١٣١ رَقْم ١١٢٨ ونقله عنه ابن الْعِمَادِ فِي شَذَرَاتِ الذَّهَبِ ج ١

وجهم بن صفوان الراسبي، كنيته أبو محرز، وهو مولى بني راسب من الأزد<sup>(١)</sup>.  
ولقب بالسمرقندي<sup>(٢)</sup>، والخزري<sup>(٣)</sup>، والترمذي<sup>(٤)</sup>. قيل: إنه من أهل بلخ ظهرت  
بدعته بترمذ<sup>(٥)</sup>.

أخذ مقالته من الجعد بن درهم<sup>(٦)</sup>.

وقيل: اشتق كلامه من كلام السمنية، وهم صنف من العجم بناحية خراسان،  
وكانوا شككوه في دينه حتى ترك الصلاة أربعين يوماً، وقال: لا أصلي لمن لا أعرفه، ثم  
اشتق هذا الكلام، وبنى عليه من بعده<sup>(٧)</sup>.

(١) الفصل لابن حزم ج ٢ ص ٢٩٦ وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٦ والبداية والنهاية ج ١٠  
ص ٢٦ ولسان الميزان ج ٢ ص ١٤٢.

(٢) الفصل لابن حزم السابق، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٢٦، ونقله عنه ابن حجر في لسان  
الميزان السابق، وسير أعلام النبلاء السابق، والمغني في الضعفاء ج ١ ص ١٣٨ رقم ١٢٠١.

(٣) البداية والنهاية ج ٩ ص ٣٥٠.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ج ٦ ص ٥١ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ١٤٦ وتبصرة الأدلة ج ٢  
ص ٥٩٤ والتمهيد للإمامي ص ٩٧ وشرح الحور العين ص ٢٠٠ و٣٠٩ واعتقادات فرق  
المسلمين ص ١٠٣ والبداية والنهاية السابق، وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٩ وشرح المواقف  
للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٩٨.

(٥) الأنساب للسمعاني ج ٣ ص ٣٩٢، وفي الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٣: ظهرت  
بدعته بترمذ.

(٦) سرح العيون ص ٢٩٣ ومختصر تاريخ دمشق ج ٦ ص ٥٠ والبداية والنهاية ج ٩ ص ٣٥٠  
وشذرات الذهب ج ١ ص ١٦٩ والأنساب للسمعاني ج ٣ ص ٣٩٣ نقلاً عن قتيبة بن سعيد،  
واللباب لابن الأثير ج ١ ص ٣١٧.

(٧) التنبيه والرد ص ٩٩. وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج ٣ ص ١٢ وشرح  
العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٧٩٥.

ونفى صحة هذه الرواية الشار في كتابه نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ١ ص ٣٣٥  
ورأى أنها من وضع الحشوية عليه، لأن جهماً غالى في التنزيه، وأعداؤه الحشوية غالوا في التشبيه  
والتجسيم.

أقام الجَهْم بِلَخ، وكان يصلي مع مُقاتِل بن سُلَيْمَانَ، المفسّر المشهور، في مسجده، ويتناظران، حتى نفي إلى تَرَمِذ<sup>(١)</sup>.

وكان مُقاتِل مَثَباً للصفات، وجَهْم نافياً لها<sup>(٢)</sup>.

اتخذَه الحَارِث بن سُرَيْج التَّمِيمِي كاتِباً له وداعياً. ولما اشتد الخلاف بين الحَارِث وبين نَصْر بن سَيَّار أَمِير مَرَوْ بَخْرَاسَانَ، أُرْسِلَ نَصْرُ سَلَمَ بن أَحْوَز المَازِنِي لقتاله، فقتل جَهْم في المعركة، وقيل: بل وقع أسيراً، فأوقف بين يدي سَلَمَ بن أَحْوَز، فطلب جَهْم العَفْو، فقال له سَلَمَ: (لو ملأت هذه الملاءة كواكب، وأنزلت عيسى بن مريم، ما نجوت، والله ولو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك)، فقتله، وكان ذلك في سنة ١٢٨ هـ<sup>(٣)</sup>.

قتله بَمَرَوْ<sup>(٤)</sup>، على شطّ نهر بِلَخ<sup>(٥)</sup>، وقبره بَمَرَوْ<sup>(٦)</sup>.

- (١) البِدَايَة والنّهَايَة ج ٩ ص ٣٥٠.
- (٢) تاريخ الفرق الإسلامية للغرّابيّ ص ٢٢.
- (٣) البِدَايَة والنّهَايَة ج ١٠ ص ٢٦-٢٧. وعزا ابن حَجَر في لِسَان المِيزَان ج ٢ ص ١٤٢ جواب سَلَمَ إلى نَصْر بن سَيَّار.

- وذكر خبر مقتل جَهْم على يد سَلَمَ في: مَقَالَات الإسلاميين ج ١ ص ٣٣٨ والفرق بين الفرق ص ٢١٢ والفصل لابن حَزَم ج ٢ ص ٢٩٧ والتبصير في الدين ص ٩١ والبَدْء والتاريخ ج ٥ ص ١٤٦ والملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٧٣ وشرح الحُور العَيْن ص ٣٠٩ والمُنِيَّة والأمل ص ١٠٧ والأنساب للسَّمْعَانِي ج ٣ ص ٣٩٢ واللُّبَاب لابن الأثير ج ١ ص ٣١٧ ومُخْتَصَر تاريخ ابن عَسَاكِر ج ٦ ص ٥١ عن الغَسِيلِي، وشرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ج ٣ ص ١٢ و١٤ و١٥ وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٧.
- (٤) مَقَالَات الإسلاميين، والبَدْء والتاريخ، والملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي، وشرح الحُور العَيْن، والبِدَايَة والنّهَايَة، والأنساب للسَّمْعَانِي، السَّابِقَة، والفرق الإسلامية للكرَمَانِي ص ٩٠.

- (٥) شرح الحُور العَيْن السَّابِق.
- (٦) مُخْتَصَر تاريخ دِمَشْق ج ٦ ص ٥١ عن الغَسِيلِي.

وقيل: قتله سلم بأصبهان<sup>(١)</sup>.

قال ابن المرتضى: وكان واصل بن عطاء بعث إليه تلميذاً له يناظره فقطعه، وأظهر الرجوع عن مذهبه، ولما رجع إلى البصرة عاد جههم إلى أقواله الفاسدة<sup>(٢)</sup>. وقال فيه الذهبي: الضال المبتدع زرع شراً عظيماً<sup>(٣)</sup>. وقال فيه أيضاً بأنه: أس الضلالة<sup>(٤)</sup>.

### آراء الجبرية

يمثل جههم بن صفوان وأستاذه الجعد بن درهم آراء فرقة الجبرية الخالصة، وهذه الآراء هي:

١- زعم جههم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وأن الكفر هو الجهل بالله فقط<sup>(٥)</sup>. والإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون غيره من الجوارح.

فإذا عرف الإنسان الله، ثم جحدته بلسانه، لا يكفر بجحدته، وعمل الجوارح ليس

(١) مختصر تاريخ دمشق، والبداية والنهاية، السابقان، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج ٣ ص ١٢.

(٢) الثنية والأمل السابق.

(٣) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٢٦ ونقله عنه ابن حجر في لسان الميزان ج ٢ ص ١٤٢ وفي المغني في الضعفاء ج ١ ص ١٣٨: المبتدع.

(٤) سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٦.

(٥) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٣٨ و ٢١٤ والفرق بين الفرق ص ٢١١. وانظر: الغنية

للشيخ عبد القادر ج ١ ص ١٠٢. وقال المقدسي في البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٤٦: (والإيمان

بالمعرفة والقلب فقط دون الإقرار والعمل). وقال نشوان في شرح الحور العين ص ٣١٠:

(الإيمان هو المعرفة دون الإقرار ودون سائر الطاعات). وقال ابن المرتضى في الثنية والأمل

ص ١٠٧: (زعموا أن الإيمان المعرفة فقط). وقال المقرئ في الخط ج ٢ ص ٣٤٩: (إن من

عرف الله ولم ينطق بالإيمان لم يكفر، لأن العلم لا يزول بالصمت وهو مؤمن مع ذلك).

من الإيمان<sup>(١)</sup>.

قال ابن حزم: قال جهم: الإيمان عقد بالقلب فقط، وإن أظهر الكفر والتلث بلسانه، وعبد الصليب في دار الإسلام بلا تقيّة<sup>(٢)</sup>.  
ورّد:

بأن هذا القول يعني أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، لأنهم عرفوا الله وجحدوه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ - النمل ١٤، وأن إبليس كامل الإيمان، لأنه عرف الله، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ - الحجر ٣٦<sup>(٣)</sup>.

٢- قال جهم: الإيمان لا يتبعّض، أي: لا ينقسم إلى عقد وقول وعمل، ولا يتفاضل أهله فيه<sup>(٤)</sup>، فإيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط واحد، إذ المعارف لا تتفاضل<sup>(٥)</sup>.  
٣- قال جهم بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها<sup>(٦)</sup>.

(١) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢١٤ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٤.

(٢) الفصل لابن حزم ج ٢ ص ٢٦٦ وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٧ نقلًا عن ابن حزم.

قال ابن حزم: قال جهم: الإيمان عقد بالقلب، وإن أعلن الكفر بلسانه بلا تقيّة، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الإسلام، وعبد الصليب، وأعلن التلث في دار الإسلام، ومات على ذلك، فهو مؤمن كامل الإيمان عند الله عزّ وجلّ، وليّ الله تعالى، من أهل الجنة. / الفصل لابن حزم ج ٥ ص ٧٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٤٦٠-٤٦١.

(٤) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢١٤ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٤.

(٥) الملل والنحل للشهرستاني السابق.

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢١١ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٣ والأنساب

للسمعاني ج ٣ ص ٣٩٣ واعتقادات فرق المسلمين ص ١٠٤ والمواقف وشرحه ج ٨ ص ٣٩٨ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٩.

فلا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده. فالله سُبْحَانَهُ هو الفاعل، وإن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على المجاز، كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس، وإنما فعل ذلك بالشجرة والفلك والشمس الله سُبْحَانَهُ، إلا أنه خلق للإنسان قوة كان بها الفعل، وخلق له إرادة للفعل واختياراً له منفرداً بذلك، كما خلق له طولاً كان به طويلاً، ولوناً كان به متلوناً<sup>(١)</sup>.

فالإنسان مُسَيَّرٌ غير مُخَيَّرٍ، أي: أن الإنسان مجبور لا اختيار له ولا قدرة، وأنه لا يستطيع أن يعمل غير ما عمل، وأن الله قَدَّرَ عليه أعمالاً لا بد أن تصدر منه، وأن الله يخلق فيه الأفعال كما يخلق في الجماد.

والله قَدَّرَ لفلان فعل كذا وقَدَّرَ له أن يثاب، وقَدَّرَ على الآخر المعصية وقَدَّرَ أن يعاقب<sup>(٢)</sup>.

وأكفرت القَدَرِيَّةُ جَهْمًا في قوله بأن الله تعالى خَالِقُ أَعْمَالِ الْعِبَاد<sup>(٣)</sup>.

(١) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٣٣٨. وانظر: الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ ص ٢١١ وَأَصُولُ الدِّينِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ٣٣٣ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٩٠ وَتَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٥٩٤ وَالتَّمْهِيدُ لِلْأَمَشِيِّ ص ٩٧ وَالْمَلِكُ وَالتَّحَلُّ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ السَّابِقِ، وَالبَدْءُ وَالتَّارِيخُ ج ٥ ص ١٤٦ وَشَرْحُ الْحَوَرِ الْعَيْنِ ص ٣١٠ وَالمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ١٠٧.

قال جَهْمٌ: إن الإنسان ليس يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وينسب إليه الأفعال مجازاً كما ينسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس، وغربت، وتغيمت السماء، وأمطرت، وأزهرت الأرض، وأنبئت، إلى غير ذلك. والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال جبر، قال: وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضاً كان جبراً. / الملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِيِّ السَّابِقِ، وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٠٢ نَقْلًا عَنِ الْمَلِكِ وَالتَّحَلُّ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ.

(٢) فجر الإسلام ص ٢٨٦. وانظر: مناهج الاجتهاد في الإسلام ص ٤٩١.

(٣) الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ ص ٢١٢ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٩١ وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٤٩.



وقد ردّ العلماء على القول بالجبر، بحجة: أنه يدعو إلى التعطيل، وترك العمل والركون إلى القدر<sup>(١)</sup>، وأنه لو صح الجبر لبطلت الشرائع، وبطل الأمر والنهي، ويلزم من بطلان ذلك بطلان الثواب والعقاب<sup>(٢)</sup>.

ورسالة عبد الله بن عباس التي خاطب بها جبرية أهل الشام، ورسالة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما التي بعثها إلى قوم من أهل البصرة ادّعوا الجبر، صريحتان في الرد على من يقول بالجبر<sup>(٣)</sup>، وتبعهما العلماء يردون على آرائهم بالتفصيل.

٤- قال جهم بنفي الصفات الإلهية<sup>(٤)</sup>، التي تؤدي إلى تشبيهه بمخلوقاته.

قال جهم: لا أقول: إن الله سبحانه شيء، لأن ذلك تشبيه له بالأشياء<sup>(٥)</sup>.

وامتنع من وصف الله تعالى بأنه حي أو عالم أو مُريد، وقال: لا أصفه بوصف يجوز إطلاقه على غيره كشيء وموجود وحي وعالم ومُريد ونحو ذلك.

(١) فجر الإسلام ص ٢٨٧.

(٢) شفاء العليل لابن القيم ص ٢٦٢، ونقله مُحَمَّد سَلَام مَدْكُور في مناهج الاجتهاد في الإسلام ص ٤٩٢. وانظر: تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٥٩٦ وفيه أدلة أخرى.

(٣) الرسالتان ذكرهما ابن المُرْتَضَى في المُنْيَةِ والأَمَل ص ١٢٩-١٣٠ وذكرهما أبو زُهْرَةَ في تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٠٣.

ولابن القيم في كتابه شفاء العليل ص ٢٦٢-٢٨١ مُنَاطَرَةٌ متصوّرة بين جبري وسُنِّي، فيها إلزامات واضحة للجبرية. ذكر بعض فقراتها أبو زُهْرَةَ في تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٠٦.

(٤) المِلْك والنَحْل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٧٣ وسِير أَعْلَام النُّبَلَاء ج ٦ ص ٢٦ وخطط المَقْرِيَزِي ج ٢ ص ٣٤٩ و٣٥١ وفجر الإسلام ص ٢٨٧.

(٥) مَقَالَاتُ الإِسْلَامِيَّين ج ١ ص ٣٣٨ والْفَرْقُ بَيْنَ الْفَرْقِ ص ٢١١ والتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٩٠ والأَنْسَابُ لِلْسَّمْعَانِي ج ٣ ص ٣٩٢-٣٩٣ والبَدْءُ والتَّارِيخُ ج ٥ ص ١٤٦ وشرح الحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٠٠ وقال المَقْدِسِيّ وَشَوَّان: (ولكنه منشيء الشيء). واعتقادات فرق المسلمين ص ١٠٤.

لَكِنْ وصفه بأنه قَادِرٌ، وموجد، وفاعل، وخالق، ومُحْيِي، ومُمِيت، لأن هذه الأوصاف مُخْتَصَّة به وحده<sup>(١)</sup>.

فأثبت لله صفتي الفعل والخلق فقط، ولا يَصِحُّ أن تتصف المخلوقات بهاتين الصفتين، وإذا انتفى عن المخلوقات هاتان الصفتان لا يكونون مُخْتَارِينَ بل مَجْبُورِينَ في أفعالهم، وهذا أساس قوله بالجبر<sup>(٢)</sup>.

وبهذا القول وافق القَدَرِيَّة، ووَافَقَهُ الْمُعْتَزِلَةُ.

٥- قال جَهْم: الْقُرْآنُ مخلوق<sup>(٣)</sup>.

لأنه قال بحدوث كلام الله تعالى، ولم يسم الله تعالى متكلماً به<sup>(٤)</sup>. وكان يقول: كلام الله حادث، وَلَكِنْ لا يجوز أن يسمى متكلماً بكلامه<sup>(٥)</sup>.

فنفى أن يكون سُبْحَانَهُ متكلماً، لأن الكلام من صفات المخلوقات، فلا يوصف الله به لهذا، وأيضاً يلزم من اتصافه بصفة الكلام أن تكون له آلة الكلام، فيكون مشابهاً للحوادث، ومحال على الله مشابته الحوادث، ولما كان الْقُرْآنُ كلاماً وهو مضاف إلى الله سُبْحَانَهُ، فلا تكون إضافته له إلا على معنى أنه مخلوق له لا كلام له، لأن هذا يؤدي إلى المشابهة المستحيلة عليه، وإذن يكون الْقُرْآنُ مخلوقاً لله<sup>(٦)</sup>. وهو قول القَدَرِيَّة والمُعْتَزِلَةُ، والجَعْد بن دِرْهَم من الجَبَرِيَّة.

(١) الفَرْق بين الْفِرَق، والتَّبْصِير في الدِّين، السَّابِقَان، والمِلَل والنَّحْل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٧٣. وانظر: الْأَنْسَاب لِلْسَّمْعَانِي السَّابِق، واللُّبَاب لابن الْأَثِير ج ١ ص ٣١٧ والمَوَاقِف ج ٨ ص ٣٩٨ وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِي السَّابِق ص ٣٤٩. وانظر: فجر الإسلام السَّابِق.

(٢) تاريخ الْفِرَق الْإِسْلَامِيَّة لِلْغُرَابِيِّ ص ٢٥، وانظر ص ٣٢.

(٣) مَقَالَات الْإِسْلَامِيِّين السَّابِق، والمِلَل والنَّحْل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٧٤ والمَوَاقِف ج ٨ ص ٣٩٩ وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِي ج ٢ ص ٣٤٩ و ٣٥١ وسِير أَعْلَام النُّبَلَاء ج ٦ ص ٢٧.

(٤) الْفَرْق بين الْفِرَق ص ٢١٢.

(٥) التَّبْصِير في الدِّين ص ٩١.

(٦) تاريخ الْفِرَق الْإِسْلَامِيَّة لِلْغُرَابِيِّ ص ٢٥.

٦- قال جَهْم: علم الله سُبْحَانَهُ حَادِثٌ<sup>(١)</sup>.

ولا يقال: إن الله سُبْحَانَهُ لم يزل عالماً بالأشياء قبل أن تكون<sup>(٢)</sup>. فهو تعالى لا يعلم ما يكون حتى يكون<sup>(٣)</sup>.

٧- تفرد جَهْم بالقول بأن الجنة والنار تبيدان وتغنيان<sup>(٤)</sup>، ويفنى أهلها<sup>(٥)</sup>.

قال الغُرَابِيُّ: وأظن أنه ذهب إلى هذا الرأي، لأن إثبات البقاء الدائم للنَّعِيم والعذاب الأخرين فيه مشاركة لله في اتصافه بصفة البقاء، وبما أن مشاركة شيء من المخلوقات في صفة من صفاته محال فبقاء نعيم الآخرة وعذابها محال<sup>(٦)</sup>.

(١) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ السَّابِقِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢١١ وَالْفَصْلُ لَابْنِ حَزْمٍ ج ٢ ص ٢٩٣ وَج ٥ ص ٧٣ وَالتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٩٠ وَالْبَدْءُ وَالتَّارِيخُ ج ٥ ص ١٤٦ وَقَالَ نَشَوَانٌ فِي شَرْحِ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٢٠٠: (زَعَمُوا أَنَّ الْعَالَمَ مُحْدَثٌ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ. وَفِي كِتَابِ اعْتِقَادَاتِ فِرَقِ الْمُسْلِمِينَ ص ١٠٤: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُحْدَثٌ) فَسَقَطَ لَفْظُ (عِلْمٌ) بَعْدَ (إِنْ). وَالْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٣٩٨ وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٤٩.

(٢) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ السَّابِقِ.

(٣) التَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٩٠ وَالْفَصْلُ لَابْنِ حَزْمٍ ج ٥ ص ٧٣. وَانْظُرْ: الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ ج ١ ص ٧٣ وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٩٨.

(٤) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ السَّابِقِ. وَالتَّنْيِيهِ وَالرَّدُّ ص ٩٨ وَفِيهِ مَقَالَاتُ أُخْرَى لِلجَهْمِيَّةِ وَص ١٤٠ وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ٢١١ وَالْفَصْلُ لَابْنِ حَزْمٍ ج ٤ ص ١٤٥ وَج ٥ ص ٧٣ وَالتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٩٠ وَالْبَدْءُ وَالتَّارِيخُ ج ٥ ص ١٤٦ وَالْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرِسْتَانِيِّ ج ١ ص ٧٤ وَشَرْحُ الْحُورِ الْعَيْنِ ص ٣١٠ وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٩٩ وَالْفَرْقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكُرْمَانِيِّ ص ٩١ وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٤٩.

(٥) الْفَصْلُ لَابْنِ حَزْمٍ، وَالْمَوَاقِفُ، وَالْفَرْقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكُرْمَانِيِّ، وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ، السَّابِقَةُ.

(٦) تَارِيخُ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلْغُرَابِيِّ ص ٢٥.

وَأَشَارَ إِلَى هَذِهِ الْآرَاءِ أَيْضاً: أَبُو زُهْرَةَ فِي تَارِيخِ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٠٥ وَد. حُسَيْنُ عَطْوَانٍ فِي الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي بِلَادِ الشَّامِ ص ٨٣ وَمَا بَعْدَهَا.

٨- كان جَهْم يتحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(١)</sup>.

فَحَمَل السلاح وقاتل السُّلْطَان، وخرج مع الحَارِث بن سُرَيْج على نَصْر بن سَيَّار، فقتله سَلْم بن أَحْوَز المَازِنِي<sup>(٢)</sup>. ويبدو أن قتله كان سياسياً.

قال البَغْدَادِيّ: وأتباعه اليوم بنَهَاوْنَد، وخرج إليهم في زماننا إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم بن كبوس الشَّيرَازِيّ الدِّيْلِيّ، فدعاهم إلى مَذْهَب شيخنا أبي الحَسَن الأشْعَرِيّ، فأجابه قوم منهم، وصاروا مع أهل السُّنَّة يداً وَاحِدَةً، والحمد لله على ذَلِكَ<sup>(٣)</sup>.

وقال الإِسْفَرَايْنِيّ: وأكثر أتباعه اليوم بنواحي تَرْمِذ<sup>(٤)</sup>.

وأهل السُّنَّة يكفُّرونهم لقولهم: بأن علم الله حادث، وأنه لا يعلم ما يكون حتى يكون، وأن كلامه حادث<sup>(٥)</sup>.

وكفره أهل السُّنَّة بنفي الصفات وخلق القرآن ونفي الرؤية<sup>(٦)</sup>.

قال ابن المُرْتَضَى: انقطع أثره بموته، حتى أحيأ بعض المتأخرين من المجبرة بعض ذَلِكَ، وليس للجَهْمِيَّة أتباع الآن<sup>(٧)</sup>.

(١) مَقَالَات الإسلاميين ج ١ ص ٣٣٨ وشرح الحُور العين ص ٣٠٩. قال المَقْرِيْزِيّ في الخِطَط ج ٢ ص ٣٤٩: انفرد بجواز الخروج على السُّلْطَان الجائر.

(٢) الفَرْق بين الفِرَق ص ٢١٢ والتَّبْصِير في الدِّين ص ٩١.

(٣) الفَرْق بين الفِرَق ص ٢١٢.

(٤) التَّبْصِير في الدِّين ص ٩١.

(٥) التَّبْصِير في الدِّين السَّابِق.

(٦) خِطَط المَقْرِيْزِيّ ج ٢ ص ٣٤٩ و٣٥١. وورد في المِلَل والنَّحَل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج ١ ص ٧٤ والمَوَاقِف للإيجي وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٣٩٩: وافقوا الْمُعْتَزِلَةَ في نفي الرؤية، وإثبات خلق الكلام، وإيجاب المَعَارِف بالعقل قبل ورود الشَّرْع.

(٧) المُنِيَّة والأَمَل ص ١٠٧.

## الْمُعْتَزَلَةُ

### تسميتهم

اختلفوا في سبب تسميتهم بِالْمُعْتَزَلَةِ على أقوال أهمها:

١- حين سُئِلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١١٠ هـ، عن صاحب الكِبِيرَةِ هل يكفر؟ تفكّر الحَسَنُ، وقبل أن يجيب قال وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣١ هـ: أنا لا أقول إن صاحب الكِبِيرَةِ مُؤْمِنٌ مطلق، ولا كافر مطلق، بل هو في مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، لا مُؤْمِنٌ ولا كافر.

فاعتزل إلى أُسْطُوَانَةٍ من أُسْطُوَانَاتِ الْمَسْجِدِ يقرر ما أجاب به، فقال الحَسَنُ: اعتزل عنا وَاصِلُ. فسمي هو وأصحابه مُعْتَزَلَةً<sup>(١)</sup>.

وفي رِوَايَةٍ: المعتزل هو وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ وانضمَّ إليه عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٤٤ هـ، فسمي أتباعهما بِالْمُعْتَزَلَةِ<sup>(٢)</sup>.

(١) الْمَلِكُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ٤٢.

وذكر هَذَا السَّبَبُ فِي: الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ ص ١١٨ وَالتَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ ص ٥٨ وَالبَدْءُ وَالتَّارِيخُ ج ٥ ص ١٤٢ وَالتَّمْهِيدُ لِلْأَمَشِيِّ ص ١٢٢ وَالْغُنْيَةُ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ج ١ ص ١٠٣ وَالْأَنْسَابُ لِلسَّمْعَانِيِّ ج ١١ ص ٣٩٢ مَادَّةُ (الْمُعْتَزَلِيَّ)، وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٧٧ وَالفَرْقُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِلْكَرْمَانِيِّ ص ٦ وَالمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ١٢٢ وَنَقَلَ عَنِ الْمَلِكِ وَالنَّحْلِ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ. وانظر: خَطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٤٦.

(٢) شَرَحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ١٣٨ وَالفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ، وَالتَّبْصِيرُ، وَالْمَلِكُ وَالنَّحْلُ، وَالمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ ص ١٢٣ عَنِ الْمَلِكِ وَالنَّحْلِ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ، وَالْأَنْسَابُ لِلسَّمْعَانِيِّ ج ١١ ص ٣٩٣.

وفي رواية أخرى: أن معتزل مجلس الحسن البصري هو عمرو بن عبيد<sup>(١)</sup>.  
وفي رواية أخرى: أن واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد لما أحدثا مذهباً اعتزلا  
حلقة الحسن البصري وجلسا ناحية في المسجد<sup>(٢)</sup>.

وهذه التسمية عادية لا تدل في أول إطلاقها لا على مدح ولا على ذم، ولا تدل  
على اتصالها بمبدأ معين من مبادئ المعتزلة، لكنها أصبحت فيما بعد صفة ذم بعد أن  
أظهروا آراءهم.

وإنما شاعت لأنها صدرت من الحسن البصري ذي المنزلة العظيمة في نفوس  
تلاميذه خاصة والمسلمين عامة، وكلمة العظيم تكتسب الشهرة دائماً<sup>(٣)</sup>.

وهذا السبب هو المشهور في تسميتهم بالمعتزلة.

وقيل: إن تسميتهم بذلك حدثت بعد الحسن، وذلك أن عمرو بن عبيد، لما مات  
الحسن وجلس قتادة مجلسه، اعتزله في نفر معه، فسماهم قتادة: المعتزلة<sup>(٤)</sup>.

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٤٨٣ وفيه: (كان عمرو بن عبيد يرى رأي القدر ويدعو إليه، واعتزل الحسن هو وأصحاب له، فسموا المعتزلة)، والأنساب للسمعاني السابق، وشرح الحور العين ص ٢٥٩ عن المعارف لابن قتيبة، وفي خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٦: (قال ابن منبّه: اعتزل عمرو بن عبيد وأصحاب له الحسن، فسموا المعتزلة).

(٢) اعتقادات فرق المسلمين ص ٢٨-٢٩. ونقله ابن المُرّضى في المُنْيَة والأمل ص ١٢٢ عن المعارف. لكنني لم أجد لواصل ذكراً في المعارف المطبوع.

(٣) تاريخ الفرق الإسلامية للغزالي ص ٥١.

(٤) خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٦. وفي المُنْيَة والأمل ص ١٢٣: (قيل: لقول قتادة، وكان من أصحاب الحسن: ما يصنع المعتزلة؟ فكان تسميتهم بالمعتزلة). وذكر في ص ١٢٤ رواية عن عثمان الطويل عن قتادة.

قال أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد، فدخل مسجد البصرة، فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري، وحلقوا وارتفعت

٢- سبب هذه التسمية سياسي، إذ أُطلقت على من اعتزل علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وامتنع من محاربته والمحاربة معه بعد دخولهم في بيعته والرضا به، مثل: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وعبد الله بن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، الذين قالوا: لا يحل قتال عليٍّ ولا القتال معه.

فُسِمِي هَؤُلَاءِ بِالْمُعْتَزِلَةِ، وصاروا أسلاف الْمُعْتَزِلَةِ<sup>(١)</sup>.

وقيل: هم جَمَاعَةٌ من أصحاب عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سموا أنفسهم مُعْتَزِلَةً، عندما بايع الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَسَلَّمْ إِلَيْهِ الْأَمْرَ، فاعتزلوا الحَسَنَ وَمُعَاوِيَةَ وَجَمِيعَ النَّاسِ، وَلَزَمُوا مَنَازِلَهُمْ وَمَسَاجِدَهُمْ، وَقَالُوا: نَشْتَغِلُ بِالْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، فَسَمَوْا بِذَلِكَ مُعْتَزِلَةً<sup>(٢)</sup>.

٣- إِنْ الْمُعْتَزِلَةُ الْأَوَائِلُ كَانُوا مِنَ الزَّهَادِ الَّذِينَ اعْتَزَلُوا النَّاسَ. وَهُوَ رَأْيُ كَوْلْدَزِيهِر<sup>(٣)</sup>.

أصواتهم، فَأَمَّهُمْ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا حَلَقَةُ الْحَسَنِ، فَلَمَّا صَارَ مَعَهُمْ عَرَفَ أَنَّهَا لَيْسَتْ هِيَ، فَقَالَ: إِنَّهَا هَؤُلَاءِ الْمُعْتَزِلَةُ، ثُمَّ قَامَ عَنْهُمْ، فَمُنْذُ يَوْمِئِذٍ سُمُوا (الْمُعْتَزِلَةُ). / وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٤ ص ٨٥.

وذكر الحادثة د. عِرْفَانُ فِي دَرَسَاتِ فِي الْفِرْقِ ص ١٠٥ نَقْلًا عَنْ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ - تَرْجُمَةُ (قِتَادَةَ)، وَعُيُونُ الْأَخْبَارِ، وَالْجَرْحُ وَالتَّعْدِيلُ ٣ / ٢ / ١٣٣، وَالْمُنْيَةُ وَالْأَمَلُ.

(١) الْمَقَالَاتُ وَالْفِرْقُ لِلْقُمِّيِّ ص ٤ وَفِرْقُ الشَّيْعَةِ لِلنَّبَوَيْخِيِّ ص ٥.

وهذا قريب مما ذكره الشيخ عبد القادر في الغنية ج ١ ص ١٠٣ إذ قال: (وقيل لاعتزالهم أقاويل المسلمين، لأن الناس كانوا مختلفين في مرتكب الكبيرة، فقال بعضهم: هم مؤمنون بما معهم من الإيمان، وقال بعضهم: هم كافرون، فأحدث وأصل بن عطاء قولاً ثالثاً، وفارق المسلمين واعتزل المؤمنين، فقال: ما هم بمؤمنين ولا كافرين، فسُموا بذلك الْمُعْتَزِلَةَ).

(٢) التَّنْيِهُ وَالرَّدُّ ص ٣٦.

(٣) دراسات في الفرق ص ١٠٨ نَقْلًا عَنْ الْعَقِيدَةِ وَالشَّرِيعَةِ فِي الْإِسْلَامِ لَكَوْلْدَزِيهِر.

وذكرت هذه الأسباب وغيرها في: فجر الإسلام ص ٢٨٨ وتاريخ الفرق الإسلامية

### أُصُولُ الْمُعْتَزَلَةِ الْخَمْسَةِ

قال أبو الحُسَيْن الخِطَّاطُ الْمُعْتَزَلِيُّ: (وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأُصُولَ الخمسة: التَّوْحِيدُ، والعَدْلُ، والوعد والوعيد، والمَنْزِلَةُ بين المَنْزِلَتَيْنِ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو مُعْتَزَلِيٌّ)<sup>(١)</sup>.

#### ● الأصل الأول: التَّوْحِيدُ.

التَّوْحِيدُ في اصطلاح المتكلمين: هو (العلم بأن الله تعالى وَاحِدٌ لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا على الحد الذي يستحقه، والإقرار به).

ولا بد من اعتبار هَذَيْنِ الشرطين: العلم، والإقرار جميعاً، لأنه لو علم ولم يُقَرَّ، أو أقر ولم يعلم، لم يكن موحدًا<sup>(٢)</sup>.

وقد بنى الْمُعْتَزَلَةُ على هذا الأصل ما يأتي:

١ - نفي الصفات الإلهية (صفات المعاني) القديمة القائمة بذاته تعالى، فقالوا بإثبات ذات هي بعينها صفة، أو صفة هي بعينها ذات، دفعاً للقول بتعدد الآلهة.

للغُرَابِيِّ ص ٤٨ وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٢٥ ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ٢ ص ٣٧٣ وفي علم الكلام - الْمُعْتَزَلَةُ ص ١٠٥ وإسلام بلا مذاهب ص ٣٩٩ والمُعْتَزَلَةُ لِعَوَّاد الْمُعْتِقِ ص ١٤. وانظر: الغنية للشيخ عبد القادر ج ١ ص ١٠٣.

(١) الانتصار ص ١٢٦-١٢٧. ونقله عنه: أبو زُهْرَةَ في تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٢٥ و د. عِرْفَان في دراسات في الفرق ص ١١٣ و د. أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ صَبْحِي في الْمُعْتَزَلَةُ ص ١١٩.

وانظر قول الْمُعْتَزَلَةَ بهذه الأُصُولَ الخمسة في: مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٣٧-٣٣٨ والتنبية والرد ص ٣٦ وشرح الأُصُولَ الخمسة ص ١٢٣ والبذء والتاريخ ج ٥ ص ١٤٢.

(٢) شرح الأُصُولَ الخمسة ص ١٢٨.



ومنها قولهم بخلق القرآن، لأن صفة الكلام مخلوقة عندهم.

٢- استحالة رؤية الله عزَّ وجلَّ في الآخرة من قِبَلِ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(١)</sup>.

وسياقي تفصيل القولين في هاتين المسألتين عند كلامنا عن الصفات الإلهية والرؤية.

وردوا بهذا الأصل على من خالف في التَّوْحِيد، ونفى عن الله تعالى ما يجب إثباته، وأثبت ما يجب نفيه عنه، واعتبروه كافراً<sup>(٢)</sup>.

لذا قالوا: بتكفير المُلْحِدة، والمُعْطَلة، والدَّهْرِيَّة، والمُشَبَّهة<sup>(٣)</sup>، والثَّنَوِيَّة.

● الأصل الثاني: العَدْل<sup>(٤)</sup>.

العَدْلُ الإلهيُّ هو ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة<sup>(٥)</sup>.

والمُرَاد من وصف الله تعالى بأنه عَدْلٌ هو:

أن أفعاله كلها حَسَنَةٌ، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يُخِلُّ بها هو واجب عليه<sup>(٦)</sup>.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٢٧.

(٢) شَرْحُ الْأُصُولِ الخمسة ص ١٢٥.

(٣) شَرْحُ الْأُصُولِ الخمسة ص ١٢٤.

(٤) سُمِّيَ الْمُعْتَزِلَةُ بِالْعَدْلِيَّةِ أو أهل العَدْل، لقولهم بهذا الأصل. / نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ١ ص ٤٣٢.

(٥) المِلَلُ والنَّحْلُ للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٣٧.

(٦) شَرْحُ الْأُصُولِ الخمسة ص ١٣٢. وورد هذا التعريف في ص ٣٠١ بلفظ: (إنه لا يفعل القبيح أو لا يختاره، ولا يُخِلُّ بها هو واجب عليه، وأن أفعاله كلها حَسَنَةٌ). وانظر: الفَائِقُ في أُصُولِ الدِّينِ ص ١١٩.

وهذا يعني عند الْمُعْتَزِلَة: أن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لا يفعل القبيح<sup>(١)</sup>، ولا يريد<sup>(٢)</sup>.

وتَحْرِيرُ دلالة القول (لا يفعل القبيح) كما قال القاضي عبد الجبار الْمُعْتَزِلِي: هو أنه تعالى عالم بقبح القبيح، ومستغن عنه، وعالم باستغنائه عنه، ومن كان هُذِه حاله لا يختار القبيح بوجه من الوجوه. وذكر أدلة ذلك على النحو الآتي:

الدليل على أن الله تعالى عالم بقبح القبيح، هو: أنه عالم لذاته، ومن حق العالم لذاته أن يعلم جميع المَعْلُومَات على الوجوه التي يَصِحُّ أن تعلم عليها، ومن الوجوه التي يَصِحُّ أن يعلم المَعْلُوم عليه قبح القبائح، فيجب أن يكون القديم تعالى عالماً به. والدليل على أنه تعالى مستغن عن القبيح، هو: أنه تعالى غني لا تجوز عليه الحاجة أصلاً.

والدليل على أنه تعالى عالم باستغنائه عنه، هو ما تقدم من الأدلة.

والدليل على أن من كان حاله هُذِه فلا يختار القبيح بوجه من الوجوه، هو: أنا نعلم ضرورة في الشاهد، أن أحداً إذا كان عالماً بقبح القبيح، مستغنياً عنه، عالماً باستغنائه عنه، فإنه لا يختار القبيح البتة، وإنما لا يختاره لعلمه بقبحه، وبغناه عنه، حتى لو انخرم شرط من هُذِه الشروط لجاز أن يختاره....

وهذه العلة بعينها قائمة في حق القديم تعالى، فيجب أن لا يختاره البتة، لأن طرق الأدلة لا تختلف شاهداً وغائباً<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح الأصول الخمسة ص ١٣٢ و ٣٠١.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٤٥٩ و ٤٦٢. وقول الْمُعْتَزِلَة: (لا يفعل القبيح ولا يريد) في: المنية والأمل ص ٢٦.

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٣٠٢-٣٠٣ وذكر ذلك كله عَوَاد المُعْتَق في الْمُعْتَزِلَة ص ١٥٧ عن شرح الأصول الخمسة. وانظر: المُحِيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار ص ٢٥٤ والفائق

وذكر القاضي عبد الجبار أيضاً أدلة القول بأن (الله سبحانه وتعالى لا يريد القبيح)<sup>(١)</sup> منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ - غافر ٣١.

فقوله (ظلمًا) نكرة، والنكرة في النفي تعم، فظاهر الآية يقتضي أنه تعالى لا يريد شيئاً مما وقع عليه اسم الظلم.

٢- قوله تعالى بعد عده الفواحش والمعاصي: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ - الإسراء ٣٨.

فبين أن المعاصي كلها مكروهة عنده، ولن تكون كذلك إلا وهو كاره لها، ولا يكون كارهاً لها إلا وهو غير مريد لها، إذ لو كان مريداً لها مع الكراهة لكان حاصلاً على صفتين ضدين، وذلك مستحيل<sup>(٢)</sup>.

فالمُعْتَزِلَةُ يقولون بأن الله تعالى لا يفعل القبيح، ولا يريده، وأن أفعاله كلها لا بد أن تكون حسنة، وأنه لا يُخِلُّ بها هو واجب عليه.

وناقش أهل السنة قول المُعْتَزِلَةِ: (إن الله لا يفعل القبيح، وأفعاله كلها حسنة) بما يأتي:

هَذَا مما نوافقكم عليه، فخلقه وفعله وقضاؤه وقدره تعالى خير كله، بدليل:

١- أنه تعالى نَزَّهَ نفسه عن الظلم، قال تعالى: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْعَمِيدِ﴾ - ق ٢٩. وهذا يدل على أنه لا يفعل القبيح، بل أفعاله كلها حسنة.

٢- أسماؤه الحُسْنَى تشهد بذلك، فإن منها الْقُدُّوسُ، وَالْقُدُّوسُ هو الْمُنَزَّهُ عن

في أَصُولِ الدِّينِ ص ١٤٩.

(١) انظر قوله هَذَا في: شَرْحِ الْأُصُولِ الخمسة ص ٤٥٩ و ٤٦٢.

(٢) شَرْحِ الْأُصُولِ الخمسة ص ٤٦٠-٤٦١.

كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير واللغة<sup>(١)</sup>.

وناقش أهل السنة أيضاً قول المعتزلة: (إنه تعالى لا يُخَلِّبها هو واجب عليه) بما يأتي:

إن كان المراد بالواجب على الله شيء أوجبه غيره عليه، فهذا لا نوافق عليه، وذلك:

- ١- لأنه يلزم أن لا يكون الله تعالى فاعلاً مُخْتَاراً، وهو باطل بالأدلة الدالة على أن له تعالى التصرف المطلق فيما شاء من مخلوقاته، ككونه تعالى رباً خالقاً مَالِكاً مَحْمُوداً.
- ٢- لأنه يلزم أن يكون هناك موجب فوق الله أوجب عليه، ولا موجب عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وإن كان المراد بالواجب على الله ما أوجبه الله تعالى على نفسه، فهذا نوافق عليه، ونصّ عليه بعض أهل السنة.

لكن أهل السنة لا يعتبرون هذا الواجب متحتماً عليه بحيث لو لم يفعله تعالى لأخلّ بها هو واجب عليه، لأن هذا الواجب تفضّل من الله تعالى، والمتفضل مُخْتَار بما تفضل به.

أي: أن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة، وحرّم الظلم على نفسه، لا أن العبد مستحق على الله شيئاً.

فالحق الذي لعباده هو من فضله وإحسانه، لا من باب المعاوضة، ولا من باب ما أوجبه غيره عليه، فإنه سُبْحَانَهُ يَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

(١) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ١٥٩ عن شفاء العليل لابن القيم، ومجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية.

(٢) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ١٦١-١٦٢ ونقل عن شفاء العليل ومدارج السالكين وكلاهما

فإن قيل: كيف يَصِحُّ القول بأن أفعاله تعالى كلها حَسَنَةٌ، مع أنه هو الفاعل لهذه الصور القبيحة المُنكَرَةُ؟

أُجيب: بأن الْمُعْتَزِلَةَ لا يريدون بأنه يحسن من جهة المرأى والمنظر حتى يستحليه كل أحد، وإنما يريدون أنه يحسن من جهة الحكمة، وهذه الصور كلها حَسَنَةٌ من جهة الحكمة، لأنه يمكن أن يكون الفعل حَسَنًا من جهة المرأى والمنظر، قبيحاً من جهة الحكمة، مثل: من مشى مشية حَسَنَةً في سعاية بمسلم إلى سُلْطَان جائر.

ويمكن أن يكون الفعل قبيحاً من جهة المرأى والمنظر، حَسَنًا من جهة الحكمة، مثل: من مشى مشية عرجاء في إنقاذ محبوس مظلوم<sup>(١)</sup>.

ومن قول الْمُعْتَزِلَةَ بأصل العَدْل تكلموا في الأمور الآتية:

وجوب تَعْلِيل أفعال الله تعالى، والتَّحْسِين والتَّفْخِيم العقليين، وأن العِبَاد يَخْلُقُونَ أفعالهم، ووجوب اللطف الإلهي، ووجوب الصَّلاح والأصلح، ووجوب بعثة الرسل على الله تعالى.

تَعْلِيل أفعال الله تعالى:

الفعل: هو ما وجد من الحوادث، وكان الغير قَادِرًا عليه<sup>(٢)</sup>.

اختلفت الفِرَق الإسلامية في تَعْلِيل أفعال الله تعالى على أقوال:

١- وجوب تَعْلِيل أفعاله تعالى ومنها أَحْكَامُهُ، وأنه لا يصدر عنه فعل إلا لأغراض ومقاصد، من أجلها فعل ذَلِكَ الفعل، وهو قول الْمُعْتَزِلَةَ<sup>(٣)</sup>.

لابن القيم، واقتضاء الصراط المستقيم لابن تَيْمِيَّة.

(١) شَرْح الأُصُول الخمسة ص ١٣٢.

(٢) شَرْح الأُصُول الخمسة ص ٣٢٤.

(٣) تَعْلِيل الأحكام ص ٩٧ وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٢.

وحجتهم:

أ- الله تعالى حَكِيم لا يصدر عنه جُزافاً، بل قَدَّر كل شيء تقديرًا<sup>(١)</sup>.

ب- أن أفعاله تعالى لو لم تكن مُعَلَّلة للزم العَبَث عليه تعالى، وهو منفي بالاتفاق<sup>(٢)</sup>.

والمُعْتَرِلة يَصِلُونَ مِنْ هَذَا إِلَى الْقَوْلِ بِوَجوب الصَّلَاح والأصلح.

فإنه بِمُقْتَضَى أن الأشياء لها حُسْن ذاتي وقبح ذاتي، وبِمُقْتَضَى أن الله تعالى لا يفعل إلَّا ما يكون حكمة، فمستحيل أن يأمر بغير الصالح، وينهى عن الصالح، فيجب له الصَّلَاح، ويجب له الأصلح<sup>(٣)</sup>.

٢- نفي التَّعْلِيل من جهة أنه تعالى فاعل غير مُخْتَار في أفعاله، والغرض إنما يكون في فعل الفاعل المُخْتَار. وهو مَذْهَبُ جُمْهُورِ الفلاسفة. ورُدُّ: بأنه قول بَيِّنُ الفساد، لأن سلب الاختيار عن الباري عَزَّ وَجَلَّ مما تكرهه بداهة العُقُول<sup>(٤)</sup>.

٣- أفعال الله تعالى لا تعلل. وهو قول الأشاعرة.

٤- أفعاله تعالى تكون على مُقْتَضَى الحكمة، ولكنّه قصدها غير مُجْبَر عليها، لأنه سُبْحَانَهُ مُخْتَار. وهو قول الماتريدية.

وسياتي تفصيل ذلك في بيان آراء الأشاعرة والماتريدية.

فالماتريدية والمُعْتَرِلة اتفقوا على أن أفعال الله تكون لحكمة قَدَّرها وأرادها، ولا

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية السابق.

(٢) تعليل الأحكام ص ٩٩.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٢.

(٤) تعليل الأحكام ص ٩٧.

يمكن أن تكون عِبَثًا، لَكِنِ الخلاف بينهما هو في التعبير عما اتفقوا عليه، فالمُعْتَزَلَةُ عبروا عنه بالواجب، واستبعده الماتريدية.

أما الخلاف بين الْمُعْتَزَلَةِ والأشاعرة فهو جوهرى، مبني على الخلاف في التَّحْسِين والتَّقْبِيحَ العقليين<sup>(١)</sup>.

### التَّحْسِينُ والتَّقْبِيحُ العقليان:

الحُسْنُ والقُبْحُ يطلق بثلاثة اعتبارات:

- الاعتبار الأول: ما يلائم الطبع وينافره، كحُسْنِ إنقاذ الغريق، وقُبْحِ اتهام البريء<sup>(٢)</sup>، وحُسْنِ الحلوى، وقُبْحِ المر<sup>(٣)</sup>.

- والاعتبار الثاني: صفة الكَمَالِ والنقص، كحُسْنِ العلم، وقُبْحِ الجهل<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٣.

(٢) تَشْنِيفُ الْمَسَامِعِ بِجَمْعِ الْجَوَامِعِ ج ١ ص ٤٥.

قال الشَّرْبِزِينِي في حاشيته على جَمْعِ الْجَوَامِعِ - حَاشِيَةِ الْعَطَارِ ج ١ ص ٨٠: عبر عنه ابن الحَاجِبِ بموافقة الغرض ومخالفته، وبعض الكتب باشتماله على المصلحة والمفسدة. ومآل المعاني الثلاثة وَاحِدٌ، فإن الموافق للغرض فيه مصلحة لصاحبه، ملائم لطبعه لميله إليه بسبب اعتقاد النفع، ومخالفه مفسدة له غير ملائم لطبعه. وليس المراد بالطبع المزاج حتى يرد أن الموافق للغرض قد يكون مغايراً للطبع كالدواء الكريه للمريض، بل الطبيعة الإنسانية المائلة إلى جلب المنافع ودفع المضار. وقال: كذا في عبد الحكيم على المُقَدِّمات. وانظر كلام العطار في الحَاشِيَةِ ص ٨١.

(٣) شَرَحَ الْجَلَالُ الْمَحَلِّيُّ على جَمْعِ الْجَوَامِعِ - حَاشِيَةِ الْعَطَارِ السَّابِقِ، والمُحَصَّلُ لِلرَّازِي ص ٢٠٢.

(٤) تَشْنِيفُ الْمَسَامِعِ، والسَّابِقَانِ. ونقل العطار في حاشيته ص ٨١ عن السيِّدِ الشَّرِيفِ على المَوَاقِفِ: (أي: كون الصفة صفة كَمَالٍ، وكون الصفة صفة نقصان، يقال: العلم حَسَنٌ، أي: لمن اتصف به كَمَالٌ وارتفاع شأن، والجهل قبيح، أي: لمن اتصف به نقصان واتضاع حال).

والْحُسْنُ وَالْقُبْحُ بِهِذَيْنِ الاعتبارين هما عقليان بلا خلاف، أي: يستقل العقل بإدراك الْحُسْنِ وَالْقُبْحِ فِيهِمَا، فلا حاجة في إدراكهما إلى الشَّرْعِ.

- والاعتبار الثالث: ما يوجب المدح أو الذم الشَّرْعِيَّ عاجلاً، والثواب أو العقاب آجلاً. وهذا هو محل النزاع بين الْمُعْتَزَلَةِ وغيرهم.

فذهب الْمُعْتَزَلَةُ ومعهم الإمامية والزَيْدِيَّةُ إلى أن الْحُسْنَ وَالْقُبْحَ عقلي، أي: يستقل العقل بإدراكه دون الشَّرْعِ، إما لذات الفعل، أو لصفة عائدة إلى الْأَحْكَامِ، أو لوجوه واعتبارات على خلاف بينهم<sup>(١)</sup>.

فالمُعْتَزَلَةُ يقولون بسلطة العقل وقدرته على مَعْرِفَةِ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ، لأن للشيء صفة فيه جعلته حَسَنًا أو قَبِيحًا، فالصدق فيه صفة ذاتية جعلته حَسَنًا، والكذب فيه صفة ذاتية جعلته قَبِيحًا، لذا يشترك العقلاء، مُؤْمِنِينَ وَمُلْحِدِينَ، في تَحْسِينِ إِنْقَاذِ الْغَرِيقِ وَتَقْبِيحِ إِيْلَامِ الْبَرِيِّ، ولو لم يصلهم شرع في ذَلِكَ.

وأمر الشَّرْعِ بالشيء هو لِحُسْنِهِ، ونفيه عنه هو لِقُبْحِهِ، ولا يستطيع الشَّرْعُ أن يعكس، لأن أمره ونفيه تابعان لما في الشيء ذاته من حُسْنٍ وَقُبْحٍ<sup>(٢)</sup>.

(١) تَشْنِيفُ الْمَسَامِعِ، وَالْمُحَصِّلُ، السَّابِقَانِ. وانظر قول الإمامية في: النَّافِعِ شَرْحُ الْبَابِ الْحَادِي عَشَرَ ص ٢٦. وقول الزَيْدِيَّةِ في: الْأَسَاسُ ص ٥١، وفي ص ٥٠ نفى الخلاف عن الاعتبارين الأولين.

والقول بأن العقل يستدل به حُسْنُ الْأَفْعَالِ وَقَبْحُهَا، على معنى أنه يجب على الله الثواب والثناء على الفعل الْحَسَنِ، ويجب عليه الملام والعقاب على الفعل الْقَبِيحِ هو قول الْمُعْتَزَلَةِ وَالتَّنَوُّيَّةِ وَالتَّنَاسُخِيَّةِ وَالْبَرَاهِمَةِ وَالْخَوَارِجِ وَالْكَرَامِيَّةِ. / نِهَايَةُ الْإِقْدَامِ ص ٣٧١.

(٢) فجر الإسلام ص ٢٩٨. وانظر: النَّافِعِ السَّابِقِ.

قال الأستاذ مُحَمَّدٌ سَلَامٌ مَذْكُورٌ في مناهج الاجتهاد في الإسلام ص ٤٩٩: (أسرف الْمُعْتَزَلَةُ في تقدير سُلْطَانِ الْعَقْلِ وحدود العلم الإنساني... فهم يرون أن العقل البشري منح من السلطة ما يمكنه من إقامة الْبُرْهَانِ حتى على ما يتعلق بالله، فلا حدود للعقل إِلَّا بِرَاهِينِهِ، ولا زلل ولا خطأ متى صح الْبُرْهَانُ، ويتأولون الْقُرْآنَ على مُقْتَضَى ذَلِكَ).



فما رآه العقل حَسَنًا فهو مطلوب لله فعله ويثاب فاعله من الله. وما رآه العقل قبيحاً فهو مطلوب لله تركه ويعاقب فاعله من الله.

وبناءً عليه قالوا: إن من بلغتهم دعوة الرسل وشرائع الله مكلفون من الله بما تقضي به هذه الشرائع، ومن لم تبلغهم شرائع الله مكلفون من الله بما تهديهم إليه عُقُوبُهُمْ، فعليهم أن يفعلوا ما تستحسنه عُقُوبُهُمْ، لأنهم يثابون على فعله، وأن يتركوا ما تستقبحه عُقُوبُهُمْ، لأنهم يعاقبون على فعله<sup>(١)</sup>. أي: أن ما يدرك العقل حُسْنه يكون واجب الفعل بتكليف العقل، وما يدرك العقل قبحه يكون منهيًا عنه به<sup>(٢)</sup>.

أما الأشاعرة فقد ذهبوا إلى أن الشرع هو الذي يُحَسِّنُ وَيُقَبِّحُ، لا العقل. فلا يثاب الإنسان على فعل شيء ولا يعاقب على تركه إلا إذا بلغته دعوة رَسُول.

وذهب الماتريدية إلى أن العقل يُحَسِّنُ وَيُقَبِّحُ، لكن الثواب والعقاب متوقف على الشرع. وسيأتي تفصيل رأي الأشاعرة والماتريدية عند ذكر آرائهما.

فالمُعْتَزَلَةُ أرادوا من قولهم بأصل العدل تنزيه الله تعالى عن الظلم وعدم نسبته إليه، فارتفعوا بالإرادة الإنسانية وجعلوها مسؤولة عن عملها.

بينما رأى الأشاعرة أن لا ظلم في الحقيقة، لأن الله تعالى فاعل على الحقيقة، وهو عدل، بمعنى أنه متصرف في ملكه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. والقول بأن الإنسان مسؤول عن عمله في خلقه لفعله هو تضيق من قدرة الله تعالى، لذا قالوا: الأفعال مخلوقة من الله عزَّ وجلَّ مكسوبة من العبد<sup>(٣)</sup>.

وهذا الخلاف في التَّحْسِينِ والتَّقْبِيحِ لا يترتب عليه أثر إلا بالنسبة لمن لم تبلغهم شرائع الرسل، فإنهم مكلفون عند الْمُعْتَزَلَةِ، وغير مكلفين عند أهل السُّنَّةِ

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خَلَّاف ص ٩٨-٩٩.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٢.

(٣) تعليق د. عبد الكريم عثمان في هامش ص ١٣١ من شرح الأصول الخمسة.

والجماعة<sup>(١)</sup>.

### أفعال العباد:

لما نزه المَعْتَزِلَةَ الله سُبْحَانَهُ عن القبيح رتبوا عليه قولهم بأن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وهم المُحْدِثُونَ لها<sup>(٢)</sup>.

وأفعال العباد هي الأفعال المباشرة الاختيارية<sup>(٣)</sup>، كتصرفهم وقيامهم وقعودهم<sup>(٤)</sup>.

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خَلَّاف ص ٩٩ وتعليق د. شَعْبَان مُحَمَّد إسماعيل على إرشاد الفحول ج ١ ص ٥٤.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٣٢٣ و ٣٤٠ والفائق في أصول الدين ص ١٣٠. وانظر: تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٥٩٤.

(٣) أفعال العباد عند المَعْتَزِلَةِ نوعان:

النوع الأول: أفعال العباد المباشرة الاختيارية، وهي كل فعل لا يتهياً وقوعه إلا بقصد، ويحتاج كل جزء منه إلى تجديد وعزم وقصد إليه وإرادة له، وقد اتفق المَعْتَزِلَةُ على أنها مخلوقة للعباد، ما عدا ضرار بن عمرو وحفص الفرد اللذين وافقا أهل السنة في أنها مخلوقة لله تعالى.

النوع الثاني: أفعال التولد، وهي كل فعل يتهياً وقوعه على الخطأ دون القصد إليه والإرادة له. وقد اختلف المَعْتَزِلَةُ فيها، ولم يضيفوا إلى الإنسان منها إلا ما تولد من الحي، كما قاله بشر بن المعتز والقاضي عبد الجبار وغيرهما.

المَعْتَزِلَةُ لعواد المعتز ص ١٦٨ وأشار إلى مصادره، ونقل تعريف أفعال العباد بنوعها عن الإسكافي عن مقالات الإسلاميين في المَعْتَزِلَةَ السابق ص ١٨٤. وانظر قول الإسكافي وغيره في: مقالات الإسلاميين ج ٢ ص ٩٣ وقول ضرار وحفص في ص ٩١. وانظر القول في المثلوكات والخلاف فيها في: الفائق في أصول الدين ص ١٤١.

وذهب أهل السنة إلى أن هذين النوعين من الأفعال هي كلها خلق الله تعالى. / تَهْنِئِدُ الأوائل ص ٣٣٤ وأصول الدين للغزالي ص ١٦٩ والمَعْتَزِلَةُ لعواد المعتز ص ١٩١ عن ابن حزم وابن تيمية.

(٤) المَعْتَزِلَةُ لعواد المعتز ص ١٦٩ عن المغني للقاضي عبد الجبار.

فَاللهُ سُبْحَانَهُ لَا يَخْلُقُ أَفْعَالُ النَّاسِ، وَإِنَّمَا هُمْ الَّذِينَ يَخْلُقُونَ أَفْعَالَهُمْ. وَلَيْسَ ذَلِكَ عِزًّا مِنْهُ، تَعَالَى اللهُ عَنِ الْعِزِّ، وَلَكِنْ أَوْدَعَ عِزًّا وَجَلَّ الْقُدْرَةُ فِيهِمْ عَلَى خَلْقِ الْأَفْعَالِ، فَهُوَ الْمُعْطَى، وَلَهُ الْقُدْرَةُ التَّامَةُ عَلَى سَلْبِ مَنْ أَعْطَى، وَإِنَّمَا أَعْطَى مَا أَعْطَى لِيَتِمَّ التَّكْلِيفُ<sup>(١)</sup>، وَتَحْقِيقُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

وَرَدَّ الْمُعْتَزِلَةُ بِقَوْلِهِمْ هَذَا عَلَى الْجَبَرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبُورٌ غَيْرُ مُخْتَارٍ فِي أَفْعَالِهِ، وَاعْتَبَرُوهُمْ كُفَّارًا، لِأَنَّهُمْ خَالِفُونَ فِي أَصْلِ الْعَدْلِ حِينَ أَضَافُوا إِلَى اللهِ تَعَالَى الْقَبَائِحَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ... فَكَفَرُوا<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ وَاصِلَ بْنَ عَطَاءٍ أَرْسَلَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ إِلَى خُرَاسَانَ لِمُبَاحَثَةِ جَهْمِ (الْجَبَرِيِّ) وَمُجَادَلَتِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَمِنْ أَدْلَتِهِمْ:

١- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿صُنِعَ اللهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ - النمل ٨٨. قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ الْمُعْتَزِلِيُّ: بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى أَنَّ أَفْعَالَهُ كُلَّهَا مُتَقَنَةٌ، وَالْإِتْقَانُ يَتَضَمَّنُ الْإِحْكَامَ وَالْحُسْنَ جَمِيعًا، فَلَوْ كَانَ الْفِعْلُ مُحْكَمًا وَلَكِنَّهُ غَيْرَ حَسَنٍ فَعِنْدُنَا لَا يُوصَفُ بِالْإِتْقَانِ. أَلَا تَرَى أَنَّ أَحَدَنَا لَوْ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ فَصِيحٍ يَشْتَمِلُ عَلَى الْفَحْشِ وَالْخَنَاءِ، فَإِنَّهُ وَإِنْ وَصَفَ بِالْإِحْكَامِ لَا يُوصَفُ بِالْإِتْقَانِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ مَا يَشْتَمِلُ عَلَى التَّهَوُّدِ وَالتَّنَصُّرِ وَالتَّمَجُّسِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مُتَقَنًا، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَى خَالِقًا لَهَا<sup>(٤)</sup>.

٢- إِنْ فِي أَفْعَالِ الْعِبَادِ مَا هُوَ ظَلَمٌ وَجَوْرٌ، فَلَوْ كَانَ اللهُ تَعَالَى خَالِقًا لَهَا لَوَجِبَ أَنْ

(١) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٢٧، وَانْظُرْ ص ١٨٤.

(٢) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ١٢٤-١٢٥.

(٣) فَجَرُ الْإِسْلَامِ ص ٢٩٧.

(٤) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٣٥٨. وَفِيهِ أَدَلَّةٌ أُخْرَى مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

يكون ظالماً جائراً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً<sup>(١)</sup>.

أما الأشاعرة والماتريدية فذهبوا إلى أن أفعال العباد مخلوقة من الله تعالى، وهي مكتسبة للعبد، وبهذا الكسب يكون الثواب والعقاب.

وسيأتي تفصيل معنى الكسب عند عرض آراء الأشعرية والماتريدية.

### اللفظ الإلهي:

المقصود باللفظ كل ما يوصل الإنسان إلى الطاعة ويبعده عن المعصية، ولما كان الله عادلاً في حكمه رؤوفاً بخلقه ناظراً لعباده لا يرضى لعباده الكفر ولا يريد ظهماً للعالين، فهو لم يدخر عنهم شيئاً مما يعلم أنه إذا فعله بهم أتوا الطاعة والصلاح<sup>(٢)</sup>.

والمُعْتَزَلَةُ يقولون بوجوب اللفظ على الله تعالى، إذا كان متأخراً عن التكليف، سواء كان لطفاً في فريضة أو نافلة<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٣٤٥. وذكر عَوَّاد المُعْتَق في المُعْتَزَلَةِ ص ١٧١ وما بعدها حجج المُعْتَزَلَةِ ومناقشات العلماء لها.

(٢) في علم الكلام - المُعْتَزَلَةُ ص ١٤٥ ونقل عن المَلِك والنَّحْل للشَّهْرَسْتَانِي. وقال المُقَدَّاد في النَّافِع ص ٣٢: (اللفظ هو ما يُقَرَّبُ العبد إلى الطاعة ويُبعَدُ عن المعصية).

وفي نَهَايَةِ الإِقْدَام للشَّهْرَسْتَانِي ص ٤٠٦: (عند المُعْتَزَلَةِ اللفظ هو وجه التَّيَسُّير إلى الخير، وهو الفعل الذي علم الرب تعالى أن العبد يطيع عنده، وليس في مقدور الله تعالى لطفٌ وفعلٌ لو فعله لآمن الكفار).

وفي الإِزْشَاد للجُوَيْنِّي ص ٣٠٠: (اللفظ عند المُعْتَزَلَةِ هو الفعل الذي علم الرب تعالى أن العبد يطيعه عنده... فيجب على الله تعالى أقصى اللفظ بالمكلفين، وليس في مقدور الله تعالى لطفٌ لو فعله بالكفرة لآمنوا... وأما أهل الحق فاللفظ عندهم خلق قدرة على الطاعة، وذلِكَ مقدورٌ لله تعالى أبداً). وانظر: تَبْصَرَةُ الأَدِلَّة ج ٢ ص ٧٢٣ والتَّمْهِيدُ لِلْأَمَشِيِّ ص ١١٥.

(٣) المُعْتَزَلَةُ لِعَوَّاد المُعْتَق ص ١٩٤ نَقَلًا عن المُغْنِي للقَاضِي عبد الجَبَّار وفيه: إن اللفظ إذا كان متقدماً على التكليف لا يجب، لأن اللفظ يتضمن إزاحة عِلَّة المكلف، ولا تكليف هناك.

ومثلهم الإمامية القائلون بوجوب اللطف على الله تعالى<sup>(١)</sup>.

أما أهل السُّنَّة فإنهم أثبتوا اللطف من الله تعالى لمن شاء من خلقه، لكنهم لا يعتبرونه واجباً، بل تفضلاً منه سُبحَانَهُ، وهو ما يسمى بالتوفيق إلى فعل الخير واجتناب الشر، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ - النساء ٨٣، فهذا الفضل هو اللطف الذي كان سبباً في عدم اتباعهم الشيطان<sup>(٢)</sup>.

وردوا على الْمُعْتَزِلَةِ بأن الإيجاب على الله تعالى محال، لاستحالة مُوجبٍ فوقه يوجب عليه شيئاً<sup>(٣)</sup>.

### الصَّالِح والأَصْلَح:

الصَّالِح: هو الفعل المتوجه إلى الخير من قوام العالم، وبَقَاء النوع عاجلاً، والمؤدي إلى السَّعَادَةِ السَّرْمَدِيَّةِ آجلاً.

والأَصْلَح: هو إذا كان صَلاحاً وخيراً، فكان أحدهما أقرب إلى الخير المطلق، فهو الأصْلَح<sup>(٤)</sup>.

وكذلك إذا كان اللطف مقارناً فلا يجب اللطف.

وانظر اختلاف الْمُعْتَزِلَةِ في اللطف في: الفَائِق في أُصُول الدِّين ص ٢٥١ ومَقَالَات الإسلاميين ج ١ ص ٣١٣.

(١) الباب الحادي عشر والنَّافِع عليه ص ٣٢ ومِفْتَاح الباب ص ١٦٥.

(٢) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِق ص ١٩٦، وأشار إلى مدارج السالكين، والإبَانَةُ، واقتضاء الصراط المُسْتَقِيم.

(٣) التَّبْصِير في الدِّين ص ٧٢، وأيضاً: ص ٦١. وانظر: الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِق السَّابِق نَقْلاً عن الإسْفَرَايِينِي.

(٤) نَهَايَةُ الإِقْدَام ص ٤٠٦.

ذهبت الْمُعْتَرِزَةُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَفْعَلُ إِلَّا الصَّلَاحَ وَالْخَيْرَ، وَيَجِبُ مِنْ حَيْثُ الْحِكْمَةُ رَعَايَةَ مَصَالِحِ الْعِبَادِ<sup>(١)</sup>.

أَمَّا الْأَصْلَحُ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ عَلَى قَوْلَيْنِ:

- ١- تَجِبُ رَعَايَتُهُ كَرَعَايَةِ الصَّلَاحِ. وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُعْتَرِزَةِ.
- ٢- لَا تَجِبُ، إِذَا الْأَصْلَحُ لَا نِهَايَةَ لَهُ، فَلَا أَصْلَحُ إِلَّا وَفَوْقَهُ مَا هُوَ أَصْلَحُ مِنْهُ. وَهُوَ قَوْلُ بَشْرِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ الْمُعْتَرِزِيِّ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي شَرْحِ الْبَاجُورِيِّ عَلَى الْجَوْهَرَةِ ص ١٨٢: (وَجُوبُ الصَّلَاحِ: الْمُرَادُ بِهِ مَا قَابِلُ الْفُسَادِ، كَالْإِيمَانِ فِي مُقَابَلَةِ الْكُفْرِ، فَيَقُولُونَ: إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا الصَّلَاحُ وَالْآخَرُ فُسَادٌ وَجِبَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ الصَّلَاحَ مِنْهُمَا دُونَ الْفُسَادِ. وَوَجُوبُ الْأَصْلَحِ: الْمُرَادُ بِهِ مَا قَابِلُ الصَّلَاحِ، كَكُونِهِ فِي أَعْلَى الْجَنَانِ مُقَابَلَةً كَوْنِهِ أَسْفَلُهَا، فَيَقُولُونَ: إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا صَالِحٌ وَالْآخَرُ أَصْلَحُ مِنْهُ وَجِبَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ الْأَصْلَحَ مِنْهُمَا دُونَ الصَّلَاحِ. ثُمَّ اخْتَلَفَتْ الْمُعْتَرِزَةُ: فَذَهَبَ الْمُعْتَرِزَةُ بَعْدَادَ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِرَاعَاةَ الصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ لِعِبَادَةِ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا. وَذَهَبَ الْمُعْتَرِزَةُ الْبَصْرَةُ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ تَعَالَى مِرَاعَاةَ الصَّلَاحِ وَالْأَصْلَحِ لَهُمْ فِي الدِّينِ فَقَطْ. ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي الْمُرَادِ بِالْأَصْلَحِ، فَعِنْدَ الْبَعْدَادِيَّةِ: هُوَ الْأَوْفَقُ فِي الْحِكْمَةِ وَالتَّدْبِيرِ، وَعِنْدَ الْبَصْرِيَّةِ: الْأَنْفَعُ).

(١) الْمِلْكُ وَالتَّحَلُّ لِلشَّهْرِ سِتَانِي ج ١ ص ٣٩.

(قَالَ النَّظَّامُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ بَعِبَادَهُ خِلَافَ مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْقُصَ مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ذَرَّةً، لِأَنَّهُ نَعِيمُهُمْ صَلَاحُهُمْ، وَالنَّقْصَانُ مِمَّا فِيهِ الصَّلَاحُ ظَلَمٌ عِنْدَهُ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ مِنْ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ ذَرَّةً، وَلَا عَلَى أَنْ يَنْقُصَ مِنْ عَذَابِهِمْ شَيْئًا...)/

الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ١٣٣. وَانْظُرْ: الْمِلْكُ وَالتَّحَلُّ لِلشَّهْرِ سِتَانِي ج ١ ص ٤٧-٤٨ وَالتَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ ص ٦١.

(٢) نِهَايَةُ الْإِقْدَامِ ص ٣٩٧-٣٩٨ وَعِزَا كَلَّامًا مِنَ الْقَوْلَيْنِ إِلَى بَعْضِ الْمُعْتَرِزَةِ. لَكِنْ هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى جُمْهُورِ الْمُعْتَرِزَةِ وَبَشَرٍ فِي: مَقَالَاتِ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٣١٣. وَقَوْلُ بَشَرٍ وَحِجَّتُهُ فِي: الْمِلْكُ وَالتَّحَلُّ لِلشَّهْرِ سِتَانِي ج ١ ص ٥٧ أَيْضًا. وَنَقَلَ عَوَادَ الْمُعْتَقِ فِي الْمُعْتَرِزَةِ ص ١٩٨ الْقَوْلَيْنِ عَنْ نِهَايَةِ الْإِقْدَامِ وَالْمَقَالَاتِ.

وَانْظُرِ الْقَوْلَ فِي الْأَصْلَحِ فِي الدُّنْيَا فِي: الْفَائِقُ فِي أَصُولِ الدِّينِ ص ٢٩١.

وقال أهل السُّنَّة: بأن الله سُبحَانَهُ يفعل بالعِبَاد ما فيه صَلَاحُهُم تفضلاً، لا على سَبِيلِ الوجوب، وتقدم آنفاً قول الإِسْفَرَايِينِي بأن الإيجاب على الله تعالى محال، لاستحالة مُوجِبٍ فوقه، يوجب عليه شيئاً<sup>(١)</sup>.

قال الأستاذ مُحَمَّد سَلَام مَدْكُور: أفرط الْمُعْتَزِلَةُ في قياس الغائب على الشاهد، فأخضعوا الله جل شأنه لقوانين هذا العالم، فالزموه بالعدل كما يتصوره الإنسان. وفاتهم أن معنى العدل نسبي، يتغير تصوره بتغير الزمان، وكذلك الشأن في قولهم في الحُسن والقُبْح، والصَّلاح والأصلح<sup>(٢)</sup>.

وجوب بعثة الرسل على الله تعالى:

وذلك لأن الله سُبحَانَهُ إذا علم أن صَلَاحنا يتعلق بهذه الشَّرْعِيَّات، فلا بد من أن يُعَرِّفَناها، لكي لا يكون مخللاً بما هو واجب عليه، ومن العدل أن لا يخل بما هو واجب عليه<sup>(٣)</sup>.

(١) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَاد الْمُعْتِق ص ١٩٩-٢٠٢ ونقل عن الإِسْفَرَايِينِي والغَزَالِي وابن تَيْمِيَّة. وانظر كلام الإِسْفَرَايِينِي في: التَّبْصِير في الدِّين ص ٧٢. وانظر قول المَاتَرِيْدِيَّة في: أُصُول الدِّين للغَزْنَوي ص ١٧٢.

قال الدَّرْذِير في شَرْح الخَرِيْدَة ص ٨٩: إذ لو وجب عليه تعالى ما هو الأصلح في حق العبد ما وقعت محنة، وما خلق الله تعالى الكافر الفقير المعذب دنيا وأخرى، وما حصل ألم لطفل لا تكليف عليه، ولما كانت بعض البهائم والطيور في غَايَة الضعف والبلاء، ولما كان لطلب الهداية وكشف الضر معنى لوجوب إيصال ما هو الأصلح للعبد، ولما بقي في قدرة الله تعالى بالنسبة إلى مصالح العِبَاد شيء آخر، إذ قد أتى على ما في وسعه من الأصلح الواجب. قال الدَّرْذِير في الخَرِيْدَة:

وَمَنْ يَقْلُ فَعِلُ الصَّلَاحِ وَجِبَا عَلَى الْإِلَهِ قَدْ أَسَاءَ الْأَدْبَا

وانظر: شَرْح البَاجُورِي على الجَوْهَرَة ص ١٨٣.

(٢) مناهج الاجتهاد في الإسلام ص ٤٩٩.

(٣) شَرْح الْأُصُول الخمسة ص ٥٦٣، وانظر ص ٥٦٤.

فمن عدّله تعالى وجوب بعثته الرسل، ولو لم يفعل لأخل بها هو واجب عليه.

قال الغزالي: وقالت الْمُعْتَزِلَةُ: إن بعثة الأنبياء واجبة<sup>(١)</sup>.

وجعل أبو عليٍّ مُحَمَّد بن عبد الوهَّاب الجُبَّائِي وابنه أبو هاشم عبد السَّلام، وهما من مُعْتَزِلَةِ البَصْرَةِ، التكاليف كلها أُلْطافاً، وبعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسَّلام وشرع الشرائع والتَّنبُّيه على الطريق الأُصوب كلها أُلْطافاً<sup>(٢)</sup>.

أما أهل السُّنَّة والجماعة فيرون أن بعثة الرسل فضل من الله على العباد، قال التَّفْتَّازَانِي: والبعثة لتضمنها مصالح لا تحصى لطف من الله تعالى، ورحمة يختص بها من يشاء من عباده، من غير وجوب عليه، خلافاً للمُعْتَزِلَةِ<sup>(٣)</sup>.

### ● الأصل الثالث: الوعد والوعيد<sup>(٤)</sup>.

الوعد: هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير، أو دفع ضرر عنه في المستقبل.

والوعيد: هو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير، أو تفويت نفع عنه في المستقبل.

والمقصود بهذا الأصل هو: أن يعلم أن الله تعالى وَعَدَ الْمُطِيعِينَ بالثواب، وتَوَعَّدَ العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخُلف ولا

(١) الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ٢٠٤ ونقل عن الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي. وهو في الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٠٤.

(٢) الملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٦٨.

(٣) شرح المقاصد للتَّفْتَّازَانِي ج ٥ ص ٥ وذكر رأي الْمُعْتَزِلَةِ. وانظر: الْمُعْتَزِلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ٢٠٦ نُقْلًا عَنِ السَّفَّارِينِي.

(٤) سُمِّيَ الْمُعْتَزِلَةُ بِالْوَعْدِيَّةِ وَالْوَعِيدِيَّةِ، لقولهم بهذا الأصل. / نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ١ ص ٤٣٦.



## الكذب<sup>(١)</sup>.

فهم يقولون بالوعد، أي: أن الله يجب أن ينفذ وعده، وأن الثواب يجب على الله للعبد عن طريق الاستحقاق<sup>(٢)</sup>، فإذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض والتفضيل<sup>(٣)</sup>.

ويقولون بالوعد، أي: إذا خرج المؤمن من الدنيا من غير توبة عن كِبيرة ارتكبتها استحق النار مخلداً فيها، لكن عقابه أخف من عقاب الكافر<sup>(٤)</sup>.

وردَّ الْمُعْتَزِلَةُ بأصل (الوعد والوعد) على المُرَجَّة وكفروهم<sup>(٥)</sup>، وهم الذين قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، إذ لو صح قولهم لكان وعيد الله تعالى في مقام اللغو<sup>(٦)</sup>.

وَبَنَى الْمُعْتَزِلَةُ عَلَى هَذَا الْأَصْل، إنكارهم شفاعَةَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وَقَصَرُواهَا عَلَى التَّائِبِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لأن إثبات الشفاعَةِ لأهل الكبائر ينافي مبدأ الوعد<sup>(٧)</sup>.

أما أهل السُّنَّة فقالوا في الوعد: إن الله تعالى إذا وعد عباده بشيء كان وقوعه واجباً

(١) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ١٣٤-١٣٦ وفيه: (الكذب: هو كل خبر، لو كان له مخبر، لكان مخبره لا على ما هو به. والخُلْف: هو أن يخبر أنه يفعل فعلاً في المستقبل ثم لا يفعله). وانظر: الْفَائِقُ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ٣٩٦.

(٢) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٦١٤، ونقل عنه عَوَّادُ الْمُعْتَقِ فِي: الْمُعْتَزِلَةُ ص ٢١٢. وانظر: الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ٣٩.

(٣) الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ السَّابِق.

(٤) الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ السَّابِق.

(٥) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ١٢٤-١٢٥.

(٦) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٢٨.

(٧) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٦٨٨-٦٩١ وَمَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ٢ ص ١٦٦.

بحكم وعده، لا بحكم الاستحقاق، فإن العبد لا يستحق بنفسه على الله شيئاً<sup>(١)</sup>.

فإذا وعد الله المؤمنين الجنة لا يتخلف شرعاً قطعاً، لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ - الحج ٤٧، فلو تخلف إعطاء الموعود به لزم الكذب والسفه والخلف، وهو باطل. فالخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله عنه، وهذا متفق عليه عند الأشاعرة والماتريدية<sup>(٢)</sup>.

وقالوا في الوعيد: يجوز أن يعفو الله عن المذنب، وأن يخرج أهل الكبائر من النار، فلا يخلد فيها من أهل التوحيد أحداً<sup>(٣)</sup>.

فالأصل في هذا أن الله يجوز أن يخلف الوعيد، وإن كان لا يجوز أن يخلف الوعد<sup>(٤)</sup>. فيجوز الخلف في الوعيد عند الأشاعرة، لأن الخلف فيه لا يعد نقصاً، بل يعدّ كرمًا

(١) المعتزلة لعواد المعتق ص ٢١٧ نقلاً عن منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٣١٥.

(٢) شرح الجوهر للباجوري ص ١٧١.

(٣) المعتزلة لعواد المعتق ص ٢٣٣ نقلاً عن منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٣٢٨.

جاء في العقيدة الطحاوية: (وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم مؤحدون، وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله عارفين. وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿وَنَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ - النساء ٤٨ و ١١٦، وإن شاء الله عذبهم في النار بعذله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته). قال ابن أبي العزّ شارحاً قول الطحاوي: في هذا ردّ لقول الخوارج والمعتزلة، القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار، لكن الخوارج تقول بتكفيرهم، والمعتزلة بخروجهم من الإيمان لا بدخولهم في الكفر، بل لهم منزلة بين المنزلتين... إلخ. / شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٥٢٤.

(٤) المعتزلة لعواد المعتق السابق، نقلاً عن تفسير الوسيط للواحدي لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ - النساء ٩٣.

يُمْتَدَحُ بِهِ، وَهُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ:

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَمْخُلْفُ إِيْعَادِي وَمُنْجَزُ مَوْعِدِي<sup>(١)</sup>

أَمَّا الْمَآثِرُ يَدِيَّةٌ فَقَالُوا بِأَنَّ الْوَعِيدَ يَمْتَنِعُ أَنْ يَتَخَلَفَ كَمَا يَمْتَنِعُ تَخَلُّفُ الْوَعْدِ، وَبِهَذَا وَافَقُوا الْمُعْتَزَلَةَ<sup>(٢)</sup>.

وَدَلِيلُ إِثْبَاتِ الشَّفَاعَةِ لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ:

١ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ - النساء ٤٨.

فَأَهْلُ الْكِبَائِرِ فِي مَشِيئَتِهِ، إِنْ شَاءَ غُفِرَ لَهُمْ بِفَضْلِهِ، وَإِنْ شَاءَ عَذِبَهُمْ بِعَذَلِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ<sup>(٣)</sup>.

٢ - قوله ﷺ: (شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي)<sup>(٤)</sup>.

(١) شَرَحَ الْجَوْهَرَةُ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٧١. وَانْظُرْ: تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ٤٠١. وَتَقْدِمُ الْبَيْتِ فِي: نَشَأَةُ الْمُرْجَةِ.

(٢) شَرَحَ الْجَوْهَرَةُ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٧٢. قَالَ الْبَاجُورِيُّ: وَيَنْبَنِي عَلَى الْخِلَافِ بَيْنَ الْأَشَاعِرَةِ وَالْمَآثِرِ يَدِيَّةٍ أَنَّهُ يَصِحُّ عَلَى قَوْلِ الْأَشَاعِرَةِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعَ ذُنُوبِهِمْ، وَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ عَلَى كَلَامِ الْمَآثِرِ يَدِيَّةٍ. فَظَهَرَ أَنَّ الْخِلَافَ حَقِيقِي وَإِنْ جَعَلَهُ بَعْضُهُمْ لَفْظِيًّا. / شَرَحَ الْجَوْهَرَةُ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٧٢.

(٣) الْمُعْتَزَلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتَقِ ص ٢٣٤، وَأَشَارَ إِلَى شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ.

(٤) الْمُعْتَزَلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتَقِ ص ٢٣٨.

وَحَدِيثُ: شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي. رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ جَبَّانَ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، عَنْ جَابِرٍ. وَالتَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالْخَطِيبُ فِي التَّارِيخِ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍو عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٣٠١.

### ● الأصل الرابع: المَنَزلة بين المَنَزَلَتَيْن (منزلي الإيمان والكفر).

وهي مَسْأَلَة حكم مرتكب الكَبِيرَة <sup>(١)</sup> إذا مات من غير توبة، التي اعتزل بسببها واصل بن عطاء عن مجلس الحسن البصري.

(١) الكَبِيرَة: هي ما ترتب عليها حدٌّ، أو تُوعَد عليها بالنار أو اللعنة أو الغضب. والصَّغِيرَة: ما ليس فيها حدٌّ في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة. / شَرَح العَقِيدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العزّ ص ٥٢٥. وانظر: البعد الحضاريّ ص ٥٤٣ عن البرّادي وغيره.

واختلفت الفِرَق الإسلاميّة في تحديد كبائر الذنوب وصغائرها على أقوال، هي:

أ- جميع الذنوب صغائر لا تضر مرتكبها ما دام على الإسلام. وهو قول المُرْجِئَة.

ب- جميع الذنوب كبائر، وكل كَبِيرَة كفرٌ. وهو قول الخوارج.

ج- جميع الذنوب كبائر، ولكن لا يكفر مرتكبها إلّا بما هو كفرٌ منها، كسجودٍ لصنم، ورمي المصحف في القاذورة.

شَرَح الجَوْهَرَة للباجوريّ ص ٣١٨.

وهو قول أبي إسحاق الإسفرايينيّ وأبي بكر الباقلانيّ وإمام الحرميّين في الإرشاد وابن القُشَيْريّ في المرشد، وحكاها ابن فُورْكَ عن الأشاعرة، واختاره في تَفْسِيرِه.

وإنما يقال لبعضها صَغِيرَة وكَبِيرَة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها.

وهؤلاء كرهوا تسمية معاصي الله تعالى صَغِيرَة نظراً إلى عظمة الله تعالى وشدة عقابه، إجمالاً له عزّ وجلّ عن تسمية معصيته صَغِيرَة، لأنّها بالنظر إلى عظمته كَبِيرَة وأيّ كَبِيرَة. / مُقَدِّمَة الزواج عن اقرار الكبائر لابن حجر الهيتمي. ونقل عنه السالويّ في مَسَارِق أنوار العُقُول ج ٢ ص ٢٦٦. وانظر: لَوَامِع الأنوار البهيّة ج ١ ص ٣٦٥.

د- الذنوب قسمان: صغائر وكبائر. وهو قول جُمهُور أهل السُنّة بدليل جُمْلَة من الآيات الكَرِيمَة والأحاديث الشَّرِيفَة. / شَرَح الجَوْهَرَة للباغوريّ ص ٣١٨. وانظر كتابنا الشُّورَى بين النُّظَرِيَّة والتَّطْبِيق ص ١١٤.

والصَّغِيرَة قد تعطى حكم الكَبِيرَة بالإصرار عليها، لا أنّها تنقلب كَبِيرَة، كما قاله ابن حجر الهيتميّ في شَرَح الأربعين النوويّة، وإن وقع في عبارة بعضهم أنّها تنقلب كَبِيرَة بالإصرار عليها. / شَرَح الجَوْهَرَة للباغوريّ ص ٣١٨ ولَوَامِع الأنوار البهيّة ج ١ ص ٣٦٦.

- ويسمى هذا الأصل بِمَسْأَلَةِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَحْكَامِ.
- واختلفت الْفِرَقُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِيهَا عَلَى أَقْوَالٍ هِيَ:
- ١- ذهب الْخَوَارِجُ إِلَى أَنَّ مَرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ.
  - ٢- وَذَهَبَتِ الْمُرْجِئَةُ إِلَى أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، عَلَى التَّفْصِيلِ الْمُتَقَدِّمِ.
  - ٣- وَذَهَبَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مُنَافِقٌ. وَنَحْوُهُ قَوْلُ الْإِبَاضِيَّةِ.
  - ٤- وَذَهَبَ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ، وَتَبِعَهُ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ، وَهُمَا شَيْخَا الْمُعْتَزِلَةِ، إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ وَلَا مُنَافِقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ فَاسِقٌ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ: الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ<sup>(١)</sup>. لَكِنْ لَا مَانِعَ مِنْ إِطْلَاقِ اسْمِ الْمُسْلِمِ أَوْ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْفَاسِقِ تَمَيِّزًا لَهُ عَنِ الْغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، لَا مَدْحًا وَتَكْرِيماً<sup>(٢)</sup>. وَقَوْلُ الْمُعْتَزِلَةِ هَذَا هُوَ مَذْهَبُ الرَّيْدِيَّةِ<sup>(٣)</sup>.
  - ٥- وَذَهَبَ الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَآثِرِيَّةُ إِلَى أَنَّ مَرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ مُؤْمِنٌ، لَا تُخْرِجُهُ كَبِيرَتُهُ عَنِ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ بِفُسْقه ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ<sup>(٤)</sup>.

(١) سَرَحَ الْأُصُولُ الْخَمْسَةُ ص ١٣٧-١٣٨. وَانْظُرْ: الْفَائِيقُ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ٥٢٨ وَالتَّنْبِيْهُ وَالرَّدُّ ص ٣٦-٣٧ وَالْفَرَقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ١١٧ وَالْفَصْلُ لِابْنِ حَزْمٍ ج ٤ ص ٧٩ وَتَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٧٦٦ وَفِيهِ تَفْصِيلُ أَقْوَالِ أَهْلِ الْفِرَقِ وَأَدْلَتُهُمْ، وَدِرَاسَاتُ فِي الْفِرَقِ ص ١١٤.

وَقَوْلُ الْإِبَاضِيَّةِ هُوَ نَحْوُ قَوْلِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، فَفِي سَرَحِ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ لِأَطْفَيْشٍ ص ١٩٦: (وَاعْلَمْ أَنَّ مَرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ عِنْدَنَا مَعْشَرُ الْإِبَاضِيَّةِ الْوَهْبِيَّةِ كَافِرٌ كَفَرَ نِفَاقٍ وَكَفَرَ فَسَقٍ وَكَفَرَ نِعْمَةً وَكَفَرَ جَارِحَةً، كُلُّ ذَلِكَ مَعْنَى وَاحِدٍ. وَهُوَ مَذْهَبُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَلَا يَقَالُ لَهُ مُؤْمِنٌ وَلَا مُسْلِمٌ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِ مُؤْمِنٌ وَمُسْلِمٌ بِمَعْنَى مُوَحَّدٍ).

(٢) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٢٨ نَقْلًا عَنْ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ الْمُعْتَزِلِيِّ.

(٣) الْمَعَالِمُ الدِّينِيَّةُ ص ١١٩.

(٤) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٧٠ وَ١٨٨ وَالتَّوْحِيدُ لِلْمَآثِرِيَّةِ ص ٤٥ م وَ ٣٣٥ وَتَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٧٦٦. وَسَيَأْتِي رَأْيُهُمْ عِنْدَ ذِكْرِ فِرْقَةٍ كُلِّ مِنْهُمْ.

ومثل قول الأشاعرة قول الإمامية<sup>(١)</sup>.

وتقرير قول المعتزلة هو أن مرتكب الكبيرة:

أ- ليس مؤمناً، لأن المؤمن من اجتمعت فيه خصال الخير، والمؤمن اسم مدح.

ب- وليس منافقاً، لأن المنافق لم يستجمع خصال الخير، ولا استحق اسم المدح، فلا يسمى مؤمناً.

ج- وليس كافراً مطلقاً، لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه، لا وجه لإنكارها.

فإذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو فاسق من أهل النار خالداً فيها، إذ ليس في الآخرة إلا الفريقان ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ - الشورى ٧، لكنه يخفف عنه العذاب، وتكون دركته فوق دركة الكفار<sup>(٢)</sup>.

فمرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر اسماً، وإن كان كالكافرين في تأييد العذاب<sup>(٣)</sup>.

(١) قال الطوسي في تجريد الاعتقاد: (والفاسق مؤمن لوجود حده فيه)، وشرحه العلامة الحلي في كشف المراد ص ٤٥٤ بقوله: (اختلف الناس ههنا، فقالت المعتزلة: إن الفاسق لا مؤمن ولا كافر، وأثبتوا منزلة بين المنزلتين. وقال الحسن البصري: إنه منافق. وقالت الزيدية: إنه كافر كفر نعمة. وقالت الخوارج: إنه كافر. والحق ما ذهب إليه المصنف - أي: الطوسي - وهو مذهب الإمامية والمُرَجَّة وأصحاب الحديث وجماعة الأشعرية من أنه مؤمن. والدليل عليه: أن حدَّ المؤمن وهو المصدق بقلبه ولسانه في جميع ما جاء النبي به موجود فيه فيكون مؤمناً).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٤٢. وفيه سمى المنافق فاسقاً، وفي إثباته اسم المنافق موافقة مع تسمية القاضي عبد الجبار آنفة الذكر. والمعتزلة قسموا الذنوب إلى صغائر وكبائر، واستحقاق الخلود في النار مختص بالكبائر، بخلاف الخوارج فإن جملة الذنوب عندهم هي كبائر يستحق مرتكبها الخلود في النار. / الإرشاد للجويني ص ٣٨٦.

(٣) المختار من كنوز السنة النبوية ص ٧٥.

وقد يكون وراء هذا الرأي أمور سياسية:

فالخَوَارِجُ يُكْفَرُونَ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُمَا الَّذِينَ رَضُوا بِالتَّحْكِيمِ، فلم يعترفوا بخلافتهم، وكانوا حَرْبًا عَلَيْهِمْ.

والمُرْجِئَةُ يرون أن الكل مُؤْمِنُونَ، لذا لم يكونوا أعداء للسلطة ولا خارجين عليها أو ناقمين منها.

أما الْمُعْتَزِلَةُ فتوسطوا بين الخَوَارِجِ والمُرْجِئَةِ، فلم ينحازوا إلى عُثْمَانَ أو قاتليه، ولا إلى عَلِيٍّ أو عَائِشَةَ في حَرْبِ الْجَمَلِ، ولا إلى عَلِيٍّ أو مُعَاوِيَةَ في حَرْبِ صِفِّينَ، واختلفوا في الذي يعد منهم بحق فاسقاً<sup>(١)</sup>.

وقال الْمُعْتَزِلَةُ: المخالف في أصل المَنْزِلَةِ بين المَنْزِلَتَيْنِ:

إذا قال: حكم صاحب الكِبِيرَةِ حكم عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ، فإنه يكون كافراً، لأنه خالف دين مُحَمَّدٍ ﷺ بالضرورة.

وإذا قال: حكمه حكم الْمُؤْمِنِينَ فِي التَّعْظِيمِ والمَوَالَاةِ فِي اللَّهِ تَعَالَى، فإنه يكون فاسقاً، لأنه أنكر ما يعلم من الدِّينِ بالضرورة.

وإذا قال: ليس حكمه حكم الْمُؤْمِنِ وَلَا حكم الكافر، وَلَكِنْ أَسْمِيهِ مُؤْمِناً، فإنه يكون مَخْطِئاً<sup>(٢)</sup>.

● الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر: هو قول القائل لمن دونه في الرتبة: افعل.

والنهي: هو قول القائل لمن دونه في الرتبة: لا تفعل.

والمعروف: كل فعل عَرَفَ فاعله حُسْنَهُ أو دَلَّ عليه.

(١) فجر الإسلام ص ٢٩١ وما بعدها.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ١٢٦.

والمُنْكَر: كل فعل عَرَفَ فاعله قُبْحُهُ أو دَلَّ عليه<sup>(١)</sup>.

والمقصود بالأمر بالمعروف وإيقاع المعروف، وبالنهي عن المُنْكَر زوال المُنْكَر. فإذا ارتفع الغرض بالأمر السَّهْل لم يجوز العدول عنه إلى الأمر الصَّعْب، وهذا مما يعلم شرعاً وعقلاً<sup>(٢)</sup>.

وقد أجمعت الْمُعْتَزَلَةُ إِلَّا الْأَصَمَّ عَلَى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر، مع الإمكان والقدرة باللسان واليد والسيِّف، كيف قدرُوا عَلَى ذَلِكَ<sup>(٣)</sup>.

ولا خلاف بين الأُمَّة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر. بدليل:

قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ - آل عمران ١١٠.

وقوله ﷺ: (ليس لعين ترى الله يُعْصِي فتطْرِف حتى تُغَيِّرَ أو تنتقل).

وانعقد الإجماع عَلَى ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.

(١) شَرَحَ الْأُصُولُ الْخَمْسَةُ ص ١٤١. وانظر: الْفَائِقُ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ٥٤٢.

(٢) شَرَحَ الْأُصُولُ الْخَمْسَةُ ص ١٤٤ وبعد ذَلِكَ قال: (أما عقلاً فلأن الواحد منا إذا أمكنه تَحْصِيلُ الغرض بالأمر السَّهْل لا يجوز العدول عنه إلى الأمر الصَّعْب، وأما الشَّرْع فهو قوله تعالى: ﴿وَلَنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَنَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَقَّ نَفْسِي إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ - الْحُجُرَات ٩، فالله تعالى أمر بإصلاح ذات البين أولاً، ثم بعد ذَلِكَ بما يليه، ثم بما يليه، إلى أن انتهى إلى المقاتلة). وانظر: ص ٧٤١.

(٣) مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ ج ١ ص ٣٣٧.

(٤) شَرَحَ الْأُصُولُ الْخَمْسَةُ ص ١٤٢ و ٧٤١. وانظر: التَّنْبِيهِ وَالرَّدَّ ص ٣٧.

قال القاضي عبد الجبار: (أما من خالف في الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر أصلاً، وقال: إن الله تعالى لم يكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المُنْكَر أصلاً، فإنه يكون كافراً، لأنه ردّ ما هو معلوم ضرورة من دين النبي ﷺ ودين الأُمَّة، فإن قال: إن ذَلِكَ مما ورد به التكليف ولكنه مشروط بوجود الإمام - وهم الإمامية - فإنه يكون مخطئاً). / شَرَحَ الْأُصُولُ الْخَمْسَةُ ص ١٢٦ وانظر ص ١٢٤ و ٧٤١.



وَالْمُعْتَزَلَةُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ عَلَى الْكَفَايَةِ<sup>(١)</sup>.

لَكِنَّ الْخِلَافَ بَيْنَ الْمُعْتَزَلَةِ فِي أَنَّ وَجوب الأمر والنهي هَذَا هل يعلم عقلاً أو سمعاً على قولين:

١- يعلم عقلاً وسمعاً، وهو قول أبي عليّ.

٢- يعلم سمعاً إلا في موضع واحد، وهو أن تشهد واحداً يظلم غيره، فيلحق قلبك بذلك مَضْضٌ، فيلزمك النهي عنه دفعاً لتلك المضرة عن النفس، وبه قال أبو هاشم، وهو الصحيح من المذهب<sup>(٢)</sup>.

وَعَايَةُ الْمُعْتَزَلَةِ بِهَذَا الْأَصْلُ هُوَ التَّطْبِيقُ الْعَمَلِيُّ لِمَبَادِئِ الْعَدَالَةِ وَالْحَرِيَةِ فِي السُّلُوكِ الْاجْتِمَاعِيِّ، فَالْعَدَالَةُ عِنْدَهُمْ لَا تَنْحَصِرُ فِي تَجَنُّبِ الْأَذَى وَالظُّلْمِ لِلَّذِينَ يَصِيبَانِ الْفَرْدَ، بَلْ هِيَ عَمَلُ الْجَمَاعَةِ كُلِّهَا فِي سَبِيلِ إِيجَادِ جَوْ مِنْ الْمَسَاوَةِ وَالْانْسِجَامِ الْاجْتِمَاعِيِّ، إِذْ بَفَضْلِ ذَلِكَ يَتَسَنَّى لِكُلِّ فَرْدٍ أَنْ يَحْقُقَ كُلَّ مَوَاهِبِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَبِهَذَا الْأَصْلُ تَصْدَى الْمُعْتَزَلَةُ لِلزَّنَادِقَةِ وَالْمَبْطِلِينَ، ذَائِدِينَ عَنِ الْإِسْلَامِ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ، وَمُنَاطَرَاتِهِمْ وَكُتَابَاتِهِمْ فِي التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ خَيْرٌ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.

وَاتَّخَذُوا مِنَ الْوَسَائِلِ الْفِكْرِيَةِ مَا مَكْنَهُمْ مِنْ ذَلِكَ التَّصْدِي.

فَكَانُوا أَسْرَعَ الْفِرَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ اسْتِفَادَةً مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَةِ وَصَبْغَهَا صَبْغَةً إِسْلَامِيَّةً، وَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ تَسَلَّحَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِسِلَاحِ خُصُومِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ

(١) الْمُعْتَزَلَةُ لِعَوَادِ الْمُعْتِقِ ص ٢٧٠ نَقْلًا عَنْ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ.

(٢) شَرْحُ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ١٤٢ و ٧٤٢.

(٣) دَرَاثَاتُ فِي الْفِرَاقِ ص ١١٦ نَقْلًا عَنْ كُورْبَانَ.

(٤) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٢٩.

والأفكار الفلسفية، فجادلوههم جدالاً علمياً، وردوا هجمات القائلين بالجبر والمنكرين لله، وما أثار اليهود والنصارى والمجوس من شكوك<sup>(١)</sup>.

لكن أبغض المعتزلة كثيرون، لأسباب منها:

١- أنهم خالفوا أهل الحديث في كثير من آرائهم، فحمل عليهم المحدثون حملات عنيفة.

٢- أنهم حولوا العقيدة الإسلامية البسيطة إلى عقيدة فلسفية عميقة.

٣- أنهم في أيام سلطتهم في عهد المأمون والمعتصم لم يكتفوا بالنقاش والمناظرة، بل اتخذوا التنكيل بالعلماء وسجنهم وضرهم سبباً لهم، كما حدث مع الإمام أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة في مسألة خلق القرآن. وكان ذلك سبباً في زوال دولتهم<sup>(٢)</sup>.

### فرق المعتزلة

انقسم المعتزلة إلى عشرين فرقة على ما ذكره المَلَطِي<sup>(٣)</sup>، والبَغْدَادِي<sup>(٤)</sup>، والإسْفَرَايِينِي<sup>(٥)</sup>، والإِنْجِي<sup>(٦)</sup>، والكُرْمَانِي<sup>(٧)</sup>، والمَقْرِيْزِي<sup>(٨)</sup>، والسَّفَارِينِي<sup>(٩)</sup>.

(١) فجر الإسلام ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٢) فجر الإسلام ص ٣٠١.

(٣) التنبيه والرد ص ٣٦.

(٤) الفرق بين الفرق ص ١١٤.

(٥) التبصير في الدين ص ٥٧.

(٦) المواقف ج ٨ ص ٣٧٨.

(٧) الفرق الإسلامية للكُرْمَانِي ص ٧.

(٨) خطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٥.

(٩) لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٧٦.

وذكر الرَّايزِي أَنَّهُمْ سَبْعَ عَشْرَةَ فِرْقَةً<sup>(١)</sup>.

وعدّد منهم الشَّهْرَسْتَانِيّ ثِنْتِي عَشْرَةَ فِرْقَةً<sup>(٢)</sup>، والمَقْدِسِيّ خَمْسَ فِرْقٍ<sup>(٣)</sup>، وذكرَ الخَوَارِزْمِيّ<sup>(٤)</sup> والشيخ عبد القادر أَنَّهُمْ سِتَ فِرْقٍ<sup>(٥)</sup>.

ومن كتب في طبقاتهم، ابن المُرتَضَى في كتابه (المُنِيَّة والأَمَل في شَرْح المِلَل والنُّحُل).

ومن أشهر فِرَقهم:

الوَاصِلِيَّة: أَتباع وَاصِل بن عطاء الغَزَّال، المُتَوَفَّى سنة ١٣١ هـ، الذي أخذ عن أبي هاشم عبد الله بن مُحَمَّد بن الحَنَفِيَّة. واعتزله يدور على أربع قَوَاعِد، هي: نفي الصفات، والقول بالقَدَر، والقول بالمنزلة بين المنزلتين، وأوجب الخلود في النار على مرتكب الكبيرة<sup>(٦)</sup>.

والعَمَرَوِيَّة: أصحاب عَمْرُو بن عُبيد<sup>(٧)</sup>، المُتَوَفَّى سنة ١٤٢ هـ.

(١) اعتقادات فِرَق المُسْلِمِينَ ص ٣٠.

(٢) المِلَل والنُّحُل للشَّهْرَسْتَانِيّ ج ١ ص ٤٠-٧٢.

(٣) البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٤٢.

(٤) مفاتيح العلوم ص ١٨.

(٥) الغنية للشيخ عبد القادر ج ١ ص ١٠٤.

(٦) خِطَطُ المَقْرِيزِيّ السَّابِق. وانظر: الفِرَق بين الفِرَق، والمِلَل والنُّحُل للشَّهْرَسْتَانِيّ، والتَّبصِير في الدِّين، والمَوَاقِف، والفِرَق الإسلامية للكرمانلي، السابقة.

والقول بالقَدَر معناه: إسناد أفعال العباد إلى قَدَرهم. / شَرْح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيف السَّابِق. وقد تقدّم.

(٧) عَمْرُو بن عُبيد بن بَاب، مَوْلَى بني تَمِيم، البَصْرِيّ، الرَّاهِد، العابد، كان جدّه من سَبِي كَابُل. ومنه تبرأ الشاعر إِسْحَاق بن سُوَيْد العَدَوِيّ ومن صاحبه وَاصِل بن عطاء الغَزَّال ومن الخَوَارِج وعُلاة الشَّيْعَة بقوله:

والبُشَيْرِيَّة: أتباع بِشْرِ بْنِ الْمُعْتَمِر، المُتَوَفَّى سنة ٢١٠ هـ.  
 والنَّظَّامِيَّة: أتباع إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَيَّارِ النَّظَّام، المُتَوَفَّى سنة ٢٣١ هـ.  
 والهَذَلِيَّة: أتباع أَبِي الهَذِيلِ مُحَمَّدَ بْنِ الهَذِيلِ العَلَّاف، المُتَوَفَّى سنة ٢٣٥ هـ.  
 والجَاحِظِيَّة: أتباع أَبِي عُثْمَانَ عَمْرُو بْنِ بَحْرِ الجَاحِظ، المُتَوَفَّى سنة ٢٥٥ هـ.  
 والجُبَّائِيَّة: أتباع أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الوَهَّابِ الجُبَّائِي، المُتَوَفَّى سنة ٣٠٣ هـ.  
 والبَهْشَمِيَّة: أتباع أَبِي هَاشِمِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدَ الجُبَّائِي، المُتَوَفَّى سنة ٣٢١ هـ.  
 ولكلٌّ من هَذِهِ الفِرَقِ وَغَيْرِهَا آراءٌ تَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا.

---

بَرِئْتُ مِنَ الْخَوَارِجِ لَسْتُ مِنْهُمْ      مِنْ الْغَزَّالِ مِنْهُمْ وَابْنِ بَابٍ  
 وَمَنْ قَوْمٍ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا      يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَى السَّحَابِ

انظر: الفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ ص ١١٩-١٢٠ وهامش ص ٢٠. وذكر مُحَقِّقُهُ أَنَّ الْمُبَرِّدَ رَوَى فِي الْكَامِلِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَذَكَرَ بَعْدَهُمَا:

وَلَكِنِّي أَحَبُّ بِكُلِّ قَلْبِي      وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَاكَ مِنَ الصَّوَابِ  
 رَسُولَ اللَّهِ وَالصَّدِيقَ حُبًّا      بِهِ أَرْجُو غَدًا حُسْنَ الثَّوَابِ

وانظر ترجمة عَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ فِي: تَهْذِيبِ الْكَمَالِ لِلْمِزِّي ج ٥ ص ٤٣٦.

## الأشاعرة «الأشعرية»

### شيخ المذهب

الأشاعرة هم أتباع الإمام أبي الحسن الأشعريّ عليّ بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق. ولقب بالأشعريّ لأن نسبه ينتهي إلى الصّحابيّ أبي موسى الأشعريّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>.

ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ<sup>(٢)</sup>. وسكن بغداد إلى أن توفي بها

(١) نسب الإمام الأشعريّ ذكر في: تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٤٦ وتبيين كذب المفتري ص ٣٤ عن الخطيب وغيره و ص ١٠٢، والأنساب للسمعانيّ ج ١ ص ٢٧٣.

وانظر: الفهرست لابن النديم ص ٢٥٧ والمُنْتَظَم لابن الجوزيّ ج ١٤ ص ٢٩ واللباب لابن الأثير ج ١ ص ٦٤ والكمال ج ٨ ص ٣٩٢ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٤ وسير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٨٥ والعبر ج ٢ ص ٢٣ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكيّ ج ٣ ص ٣٤٧ والجواهر المضية ج ٢ ص ٥٤٤ و ج ٤ ص ٣٣ وخطط المقرئيّ ج ٢ ص ٣٥٩ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٠٣ وإتحاف السادة ج ٢ ص ٣.

والأشعريّ: نسبة إلى (أشعر)، وهي قبيلة مشهورة باليمن، منهم أبو موسى الأشعريّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. / الأنساب للسمعانيّ ج ١ ص ٢٧٣ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٥ عن السمعانيّ، واللباب لابن الأثير ج ١ ص ٦٤ وتبيين كذب المفتري ص ١٠٢.

(٢) تاريخ بغداد عن بعض البصريّين، والأنساب للسمعانيّ، ونقله ابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص ١٤٦ عن الورّان، وقال ابن عساكر أيضاً: لا أعلم في تاريخ مولده لهذا مخالفاً، وابن الجوزيّ عن الورّان، وابن الأثير في الكامل، وابن خلكان في وفيات الأعيان، والذهبيّ في السير، والسبكيّ في طبقات الشافعية الكبرى، السابقة. ونقله أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨٧ ونقل في ص ٢٠٤ عن ابن الأثير، ونقل في ص ٢٠٦ عن ابن الجوزيّ، ونقله القرشيّ في الجواهر المضية ج ٢ ص ٥٤٥ والزبيديّ في إتحاف السادة السابق، قال: وهو

سنة ٣٢٤هـ<sup>(١)</sup>.

الأشهر.

وقيل ولد سنة ٢٧٠هـ. / اللُّبَاب لابن الأثير، وَفَيَات الأَعْيَان، وَسِير أَعْلَام النُّبَلَاء، السَّابِقَة. وَالبِدَايَة وَالنَّهَآيَة ج ١١ ص ١٨٧ والجَوَاهِر الْمُضِيَّة، وَخَطَطُ الْمُقْرِئِي، وَإِتْحَاف السَّادَة، السَّابِقَة.

وجاء في خَطَطُ الْمُقْرِئِي أَيضاً: ست وستين وستائة، وهو تحريف ظاهر.

(١) تاريخ بَغْدَاد عن ابن حَزْم.

وذكر سنة وفاته ابن عَسَاكِر في تَبْيِين كَذِب الْمُفْتَرِي ص ٥٦ عن ابن حَزْم وابن فُورَك، وَرَأه الأَصَح، وَانظر ص ١٤٧ عن الخَطِيب وابن فُورَك وَغيرهما. وَذكرها النَّسْفِي في تَبْصِرَة الأدْلَة ج ١ ص ٣٦٠ وابن خَلْكَان في وَفَيَات الأَعْيَان، وَالدَّهْبي في الْعَبَر عن ابن حَزْم، وَسِير أَعْلَام النُّبَلَاء، السَّابِقَة، وَهو الأقرب عند السُّبْكِ في طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الْكَبْرَى ج ٣ ص ٣٥٢. وَنقل تَصْحِيح ابن عَسَاكِر له وَذكر ابن فُورَك. وَذكرها ابن كَثِير في الْبِدَايَة وَالنَّهَآيَة ج ١١ ص ١٨٧ وَصَحَّحُه في ص ٢٠٤، وَالْقُرَشِي في الْجَوَاهِر الْمُضِيَّة ج ٢ ص ٥٤٥ وَنقل في ج ٤ ص ٣٤ عن أَبِي الْمُعِين النَّسْفِي في تَبْصِرَة الأدْلَة. وَالْمُقْرِئِي في الْخَطَط، وَنقله ابن الْعِمَاد في شَذَرَات الذَّهَب عن ابن حَزْم، وَالرَّبِيدِي في إِتْحَاف السَّادَة ج ٢ ص ٣ عن الخَطِيب، وَفي ص ٥ تاريخ وفاته عن ابن فُورَك وَالْحَافِظ أَبِي يَعْقُوب إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم الْقَرَّاب وَأَبِي مُحَمَّد بن حَزْم، وَذكر تَصْحِيح ابن عَسَاكِر له، وَذكر أَيضاً أَنه الأشهر.

وذكر المؤرخون في وفاته أقوالاً أخرى:

- سنة ٣٣٠هـ. / السَّمْعَانِي في الْأَنْسَاب، وابن الأثير في الْكَامِل ج ٨ ص ٣٩٢ وَالدَّهْبي في الْعَبَر ج ٢ ص ٢٣ وابن كَثِير في الْبِدَايَة وَالنَّهَآيَة ج ١١ ص ١٨٧ وَنقل في ص ٢٠٤ عن ابن الأثير، وابن خَلْكَان، وابن الْعِمَاد، وَالرَّبِيدِي، السَّابِقَة.

- سنة ٣٣١هـ. / ابن الْجَوَزي في الْمُنتَظَم ج ١٤ ص ٢٩ وابن كَثِير في الْبِدَايَة وَالنَّهَآيَة ج ١١ ص ٣٠٦ عن الْمُنتَظَم.

- سنة نَيْف وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِينَ. / الخَطِيب في تاريخ بَغْدَاد عن بعض الْبَصْرِيِّين، وَالسَّمْعَانِي، وابن عَسَاكِر في تَبْيِين كَذِب الْمُفْتَرِي ص ٥٦ وَقَالَ: لَا أَرَاهُ صَحِيحاً. وَنقله عن الْوَزَّان في ص ١٤٦، وابن الْجَوَزي عن الْأَهْوَازِي، وابن الأثير في اللُّبَاب، وَالسُّبْكِ في طَبَقَات الشَّافِعِيَّة الْكَبْرَى ج ٣ ص ٣٥٢، وابن خَلْكَان،

من شيوخه:

أبو إسحاق المروزي، الفقيه الشافعي، كان يجلس أيام الجمع في حلقاته في جامع المنصور ببغداد<sup>(١)</sup>. وابن سريج الشافعي<sup>(٢)</sup>. وأبو خليفة الجمحي<sup>(٣)</sup>. وزكريا بن يحيى الساجي، وأخذ عنه الحديث<sup>(٤)</sup>. وسهل بن نوح<sup>(٥)</sup>. ومحمد بن يعقوب

والقرشي في الجواهر المضية ج ٢ ص ٥٤٥ ونقل في ج ٤ ص ٣٤ عن السمعاني، والزبيدي السابق.

- بعد الثلاثين. / الذهبي في العبر، وابن العماد في شذرات الذهب.

- بضع وثلاثين. / ابن كثير في البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨٧ والمقرئ في الخطط.

- ثلاث وثلاثين. / ابن خلكان عن ابن عساكر في التبيين عن بعض البصريين وصححه ابن عساكر. وقال الذهبي في السير ص ٩٠: ويقال: بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة.

- بين العشرين والثلاثين بعد الثلاثمائة. / الخطيب في تاريخ بغداد ص ٣٤٧ وابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص ٥٦ و١٤٧ عن الخطيب، وصححه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٣٥٢.

- سنة ٣٢٠هـ. / القرشي في الجواهر المضية ج ٤ ص ٣٤ نقلاً عن السمعاني. وهو مخالف لما ورد في الأنساب للسمعاني المطبوع، والزبيدي السابق.

- بعد سنة ٣٢٠هـ. / السمعاني في الأنساب، وابن الأثير في اللباب، السابقان.

(١) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٤٧ والأنساب للسمعاني ج ١ ص ٢٧٤ واللباب لابن الأثير ج ١ ص ٦٤ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٤ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٦٧ والبداية والنهاية ج ١١ ص ١٨٧ عن ابن خلكان، وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٩ عن الخطيب، وإتحاف السادة ج ٢ ص ٣-٤.

(٢) البداية والنهاية السابق.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٨٦ وخطط المقرئ السابق.

(٤) البداية والنهاية السابق، وسير أعلام النبلاء السابق، والعبر ج ٢ ص ٣ وخطط المقرئ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٠٣.

(٥) سير أعلام النبلاء، وخطط المقرئ، السابقان.

المُقَرَّرُ<sup>(١)</sup>. وعبد الرَّحْمَنُ بن حَلَفِ الضَّبِّي الْمِصْرِيُّ<sup>(٢)</sup>. وَرَوَى عَنْهُمْ فِي تَفْسِيرِهِ كَثِيرًا<sup>(٣)</sup>.

ومن شيوخه أيضاً: أَبُو عَلِيٍّ الْجُبَّائِيُّ مُحَمَّدُ بن عبد الوَهَّابِ بن سَلَامٍ، الْمُتَوَفَّى سنة ٣٠٣هـ، شيخ الْمُعْتَزَلَةِ، زوج أمِّه، أخذ عنه علم الجَدَل والنَّظَر، فصار من أئمة الْمُعْتَزَلَةِ<sup>(٤)</sup>.

قال الحُسَيْنُ بن مُحَمَّدٍ العَسْكَرِيُّ: كان الْأَشْعَرِيُّ تلميذاً للجُبَّائِيِّ، وكان صاحب نظر وذا إقدام على الخصوم، وكان الجُبَّائِيُّ صاحب تصنيف وقلم، إلا أنه لم يكن قوياً في المناظرة، فكان إذا عرضت مُناظرة قال للأشعري: نُب عني<sup>(٥)</sup>.

وبقي يدافع عن الْمُعْتَزَلَةِ أربعين عاماً<sup>(٦)</sup>، ثم رجع عن أقوالهم، ورقي كرسياً في

(١) خِطَطُ الْمُقَرَّرِيِّ السَّابِقِ.

(٢) خِطَطُ الْمُقَرَّرِيِّ السَّابِقِ.

(٣) سِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ، وَخِطَطُ الْمُقَرَّرِيِّ، السَّابِقَانِ.

(٤) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ ص ٩١ عن العَسْكَرِيِّ بِالْأَهْوَازِ. وَسِيرَ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ج ١٥ ص ٨٦ والعَبَرِ ج ٢ ص ٢٣ والْمُنْتَظَمُ لابن الجَوْزِيِّ ج ١٤ ص ٢٩-٣٠ وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلشُّبْكِيِّ ج ٣ ص ٣٤٧ والجَوَاهِرُ الْمُضِيَّةُ ج ٢ ص ٥٤٥ وفيه: قال مَسْعُودُ بن سَبِيَّةٍ في كتاب التَّعْلِيمِ: كان حَنْفِيَّ المَذْهَبِ مُعْتَزَلِيَّ الكَلَامِ، لَأَنَّهُ كان رَبِيبَ (زوج أمِّه) أَبِي عَلِيٍّ الْجُبَّائِيِّ، وهو الذي رَبَّاه وَعَلَّمَهُ الكَلَامَ، ونحوه في ج ٤ ص ٣٣ وَخِطَطُ الْمُقَرَّرِيِّ ج ٢ ص ٣٥٩ وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ج ٢ ص ٣٠٣.

(٥) طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلشُّبْكِيِّ ج ٣ ص ٣٤٩. وانظر: تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ ص ٩١.

قال ابن عَسَاكِرٍ: أما ما ذُكِرَ عنه من رداءة التصنيف... فإنما أريد بذلك حالته في الابتداء، لا بعد ما مَنَّ اللهُ عليه به من الاهتداء، فإن تصانيفه مُستَحْسَنَةٌ مُهَدَّبَةٌ، وتَوَلَّيْفُهُ وعباراته مستجادة مستصوبة. / تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ ص ٩١-٩٢.

(٦) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ ص ٣٩ عن ابن عَزْرَةَ و ص ٩١ عن العَسْكَرِيِّ، والْمُنْتَظَمُ لابن الجَوْزِيِّ ج ١٤ ص ٢٩-٣٠ عن الْوَرَّانِ وَالْأَهْوَازِيِّ وَالشُّبْكِيِّ السَّابِقِ، وَالبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ج ١١ ص ٢٠٦ عن الْمُنْتَظَمِ.



المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعالها، وأنا تائب مُقْلِعٌ مُعْتَقِدٌ للردّ على المُعْتَزِلَةِ.... وأخذ من حينئذٍ في الرد عليهم<sup>(١)</sup>.

رُوي عن أبي بكر الصيرفي أنه قال: كانت المُعْتَزِلَةُ قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٥٧ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٥ وسير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٨٦ و٨٩ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٤٧-٣٤٨ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٩ وأشار إليه ابن كثير في البداية والنهاية ج ١١ ص ١٨٧. وانظر: إتحاف السادة ج ٣ ص ٣.

ونقل ابن الجوزي في المنتظم ج ١٤ ص ٣٠ عن الأهوازي أنه قال: سمعت أبا عليّ الحُمُراني سنة ٣٧٥ هـ يقول: لم نشعر يوم جمعة، وإذا بالأشعريّ قد طلع على منبر الجامع بالبصرة بعد صلاة الجمعة، ومعه شريط فشده على وسطه، ثم قطعه، وقال: اشهدوا أني تائب مما كنت فيه من القول بالاعتزال.

وانظر هذه الرواية في تبیین ابن عساکر ص ٤٠ وقال: الحُمُراني مجهول.

وقال ابن عساکر في التبیین ص ٣٩: سئل أبو بكر إسماعيل بن أبي مُحمّد بن إسحاق الأزديّ القيروانيّ المعروف بابن عزرة رَحِمَهُ اللهُ، عن أبي الحسن الأشعريّ رَحِمَهُ اللهُ، فقال: الأشعريّ شيخنا وإمامنا ومن عليه مُعَوَّلُنَا، قام على مذاهب المُعْتَزِلَةِ أربعين سنة، وكان لهم إماماً، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر، وقال: معاشر الناس، إني إنما تغيت عنكم في هذه المدة، لأنني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق على باطل ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى، فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه، ورمى به، ودفع الكتب إلى الناس، فمنها: كتاب (اللمع)، وكتاب أظهر فيه عوار المُعْتَزِلَةِ ساء بكتاب (كشف الأسرار وهتك الأستار)....

وانظر نحو ذلك في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٤٧-٣٤٨.

الله تعالى الأشعري، فحجزهم في أقماع السَّمْسِم<sup>(١)</sup>.

وسبب رجوع أبي الحسن الأشعري عن آراء المُعْتَزِلَةِ هو أنه: لما تَبَحَّرَ في كلام الاعتزال، كان يورد الأسئلة على أستاذه في الدرس، ولا يجد فيها جواباً شافياً، فتَحَيَّرَ في ذَلِكَ، فحُكِيَ عنه أنه قال: وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد، فقممت وصليت ركعتين، وسألت الله تعالى أن يهديني الطريق المُسْتَقِيم، ونمت. فرأيت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ في المنام، فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر، فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: عليك بسنتي، فانتبهت وعارضت مَسَائِلَ الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار، فأثبتته ونبذت ما سواه ورائي ظَهْرِيًّا<sup>(٢)</sup>.

ونقلوا لنا المُنَاطَرَةَ المشهورة بين الشيخ أبي الحسن الأشعري وشيخه أبي عليّ الجُبَّائِي، في قوله: يجب على الله أن يفعل الأصلح، فقال الأشعري: بل يفعل ما يشاء<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٤٧ والأنساب للسَّمْعَانِي ج ١ ص ٢٧٤ وتَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ٩٤ وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَان ج ٣ ص ٢٨٦ وسِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاء ج ١٥ ص ٨٦ وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّة الكبرى للسُّبْكِي ج ٣ ص ٣٤٩ وَخَطَطُ الْمُقْرِئِي ج ٢ ص ٣٥٩.

(٢) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ٣٨-٣٩ وأورد روايات لهذه الرؤيا في ص ٣٨-٤٣. وانظر: طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّة الكبرى للسُّبْكِي ج ٣ ص ٣٤٨ وتاريخ الفرق الإسلامية للغُرَابِي ص ٢٢١ ونقل عن ابن عساکر والسُّبْكِي.

وذكر مفارقة الأشعري لشيخه الجُبَّائِي في: المِلَل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٢٨.

(٣) سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاء ج ١٥ ص ٨٩.

وهذه المُنَاطَرَةُ وَرَدَتْ في: وَفَيَاتُ الْأَعْيَان لابن خَلَّكَان ج ٤ ص ٢٦٧-٢٦٨ في ترجمة أبي عليّ الجُبَّائِي، باللفظ الآتي:

(سأل أبو الحسن الأشعري أستاذه أبا عليّ الجُبَّائِي عن ثلاثة إخوة: أحدهم كان مُؤْمِنًا بَرًّا تَقِيًّا، والثاني كان كافرًا فاسقًا شَقِيًّا، والثالث كان صَغِيرًا، فماتوا، فكيف حالهم؟

فقال الجُبَّائِي: أما الزَاهِد ففي الدَّرَجَات، وأما الكافر ففي الدَّرَكَات، وأما الصَّغِير فمَنْ أَهْلُ السَّلَامَةِ.

وهذه المناظرة دالة على أن الله تعالى خص من شاء برحمته، وخص آخر بعذابه، وأن أفعاله غير مُعلَّلة بشيء من الأغراض.

قال ابن خَلَّكان: ثم وجدتُ في تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ تصنيف الشيخ فخر الدِّين الرَّازِي في سورة الأنعام: أن الأشعري لما فارق مجلس الأستاذ الجبائي وترك مذهبه

فقال الأشعري: إن أراد الصَّغير أن يذهب إلى درجات الزَّاهد هل يُؤذَن له؟

فقال الجبائي: لا، لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات.

فقال الأشعري: فإن قال ذلك الصَّغير: التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة.

فقال الجبائي: يقول الباري جَلَّ وعلا: كنتُ أعلمُ أنك لو بقيت لعصيت، وصرت مستحقاً للعذاب الأليم، فراغتُ مصلحتك.

فقال الأشعري: فلو قال الأخ الكافر: يا إله العالمين، كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيتُ مصلحته دوني؟

فقال الجبائي للأشعري: إنك مجنون.

فقال: لا، بل وقف حِمَارُ الشَّيْخ في الْعَقَبَةِ. فانقطع الجبائي).

وعَقَّبَ ابنُ خَلَّكان بعد ذكره هذه المناظرة بقوله: (وهذه المناظرة دالة على أن الله تعالى خَصَّ من شاء برحمته، وخصَّ آخر بعذابه، وأن أفعاله غير مُعلَّلة بشيء من الأغراض).

وذكر هذه المناظرة: الدَّهَبِيُّ في سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ السَّابِقِ بلفظ آخر، ونقلها ابنُ الْعِمَادِ في شَذَرَاتِ الدَّهَبِ ج ٢ ص ٣٠٣ عن ابن خَلَّكان، والسُّبْكِيُّ في طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى ج ٣ ص ٣٥٦ وقال: وحكاها الدَّهَبِيُّ.

وذكر الإسفراييني في التَّبَصُّيرِ في الدِّينِ ص ٦١ هذه المناظرة بلفظ آخر راداً بها على النَّظَامِ القائل: يجب على الله تعالى أن يفعل بالعبد ما فيه صلاح العبد، مبيناً أن الوجوب على الله محال.

ونقلها الغُرَّابِيُّ في تاريخ الفرق الإسلامية ص ٢٢٢ عن السُّبْكِيِّ وابن خَلَّكان، وأشار إلى الإسفراييني.

وكثر اعتراضه على أقاويله عظمت الوحشة بينهما<sup>(١)</sup>.

ورأى الأستاذ الغُرَابِيُّ أن ترك الأشْعَرِيِّ الاعتزال ومبادئه أمرٌ غامض، لأن تلمذة الأشْعَرِيِّ أربعين عاماً للمُعْتَزِلَةِ تجعل من الصَّعْب أن نصدِّق أن الأشْعَرِيِّ ترك الاعتزال لمجرد مُناظَرته أستاذه الجُبَّائِيَّ، وأن أستاذه لم يجبه الجواب المُقْنِع.

فقد يختلف الأستاذ وتلميذه في الكثير من المسائل، لكنهما يقيان في إطار المذهب، كما اختلف النظام مع أبي الهذيل، واختلف أبو عليّ الجُبَّائِيَّ مع أبي الهذيل.

ومن الصَّعْب استخلاص الحقيقة بسهولة، لأن أصحاب الفرق يتعصب كل واحد منهم لأصحاب مذهبه، فيخفض من شأن خصومه، ويرفع من شأن أصحاب مذهبه<sup>(٢)</sup>.

فارق أبو الحسن الأشْعَرِيُّ شيخه أبا عليّ الجُبَّائِيَّ، وانضم إلى ابن كُلاب أبي مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن سَعِيد بن كُلاب القُطَّان، وبنى على قواعده، وسلك بعض طريقه<sup>(٣)</sup>.

وتنشق من أصول المُعْتَزِلَةِ، واتخذ مذهباً لنفسه، وردَّ على المُعْتَزِلَةِ.

ولما دفع الأشْعَرِيُّ كتبه إلى الناس، بعد خروجه على المُعْتَزِلَةِ، ككتاب اللُّمَع وكشف الأسرار، قرأها أهل الحديث والفقه من أهل السُّنَّة والجماعة، فأخذوا بما فيها وانتحلوه، واعتقدوا تقدمه، واتخذوه إماماً حتى نسب مذهبهم إليه<sup>(٤)</sup>.

فالتأم عليه جماعة، كالباقلاني، وابن فُورك، وأبي الحسن الطُّبري.

وعن ابن الباقلاني وابن فُورك أخذ جماعة من أصحاب الشافعي كالإسفراييني

(١) وفیات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٧-٢٦٨ في ترجمة أبي عليّ الجُبَّائِيَّ.

(٢) تاريخ الفرق الإسلامية للغُرَابِيِّ ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) خُطَطُ الْمُقَرَّبِيَّ ج ٢ ص ٣٥٩.

(٤) تبيين كذب المُفْتَرِي ص ٣٩.

وغيره، وهم رؤساء الأشاعرة، وعنهم انتشر مذهبه<sup>(١)</sup> الكلامي.

### مذهبه الكلامي:

ذهب العلماء إلى أن مذهب الإمام الأشعري هو على ما كان عليه أهل السلف أهل السنة والجماعة.

قال ابن عساكر: لم يُحدث الأشعري في دين الله حديثاً، ولم يأت فيه ببدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين فنصرها بزيادة شرح وتبيين...، فكان في بيانه... نصره أقاويل من مضى من الأئمة كأبي حنيفة وسفيان الثوري من أهل الكوفة، والأوزاعي وغيره من الشام، ومالك والشافعي من الحرمين والحجاز، وأحمد بن حنبل من أهل الحديث والليث بن سعد وغيره، والبخاري ومسلم من حفاظ السنن<sup>(٢)</sup>.

قال الشبكي: إن أبا الحسن لم يُبدع رأياً، ولم يُنشِ مذهباً، وإنما هو مقرر لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ.

(١) الجواهر المضية ج ٤ ص ٣٣-٣٤.

(٢) تبين كذب المفتري ص ١٠٣.

كتب أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري كتاباً فيه: اتفق أهل الحديث أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث، ومذهبه مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول الديانات على طريقة أهل السنة، ورد على المخالفين من أهل الزيغ والبدعة، وكان على المعتزلة والروافض والمبتدعين من أهل القبلة والخارجين من الملة سيفاً مسلولاً، ومن طعن فيه أو قدح أو لعنه أو سبه فقد بسط لسان سوء في جميع أهل السنة. بذلنا خطوطنا طائعين بذلك في هذا الذكر، في ذي القعدة سنة ست وثلاثين وأربعمائة.

وفيه خطوط أبي عبد الله الحَبَازِي المَقْرِي، والإمام أبي مُحَمَّد الجَوِينِي... وآخرين.

وبينوا أن طريقته هي طريقة أهل السنة والجماعة، ودينه واعتقاده مرضي مقبول. / تبين كذب المفتري ص ١١٣-١١٤.

فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقاً، وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به في ذلك، السالك سبيله في الدلائل، يسمى أشعرياً....

وقد ذكر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة، ووافق على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب، وشيخ الحنفية جمال الدين الحصري<sup>(١)</sup>. وأقره على ذلك التقي السبكي فيما نقله عنه ولده التاج<sup>(٢)</sup>.

والإمام أبو الحسن الأشعري من أعلام أهل السنة، وهو الذي صار شجى في حلوق القدرية<sup>(٣)</sup>.

### مذهبه الفقهي:

لما كثرت تواليفه، ونصر مذهب السنة، ورد فيها على المعتزلة، تعلق بها

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٦٥، وانظر: ص ٣٧٣ وفيها أيضاً قوله: ومن كلام ابن عساكر حافظ هذه الأمة الثقة الثبت: هل من الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية إلا موافق الأشعري؟ ونقله الزبيدي في إتحاف السادة ج ٢ ص ٥.

(٢) إتحاف السادة السابق.

وقال المائري: لم يكن أبو الحسن أول متكلم بلسان أهل السنة، إنما جرى على سنان غيره، وعلى نصره مذهب معروف، فزاد المذهب حجة وبيانا، ولم يتدع مقالة اخترعها، ولا مذهباً انفرده، ألا ترى أن مذهب أهل المدينة نسب إلى مالك، ومن كان على مذهب أهل المدينة يقال له: مالكي، ومالك إنما جرى على سنان من كان قبله، وكان كثير الاتباع لهم، إلا أنه لما زاد المذهب بياناً وبسطاً عزى إليه، كذلك أبو الحسن الأشعري، لا فرق، ليس له في مذهب السلف أكثر من بسطه وشرحه وتواليفه في نصرته. / طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٦٧ في معرض ذكر تقرير المائري المالكي للشيخ أبي الحسن الأشعري. وذكره الزبيدي في إتحاف السادة السابق.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٣٦٤.

أهل السنة من المالكية والشافعية وبعض الحنفية، لذا نُسب إلى المالكية، وإلى الشافعية<sup>(١)</sup>، والحنفية.

ف قيل: إنه كان حنفي المذهب<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إنه شافعي المذهب، تفقه على أبي إسحاق المروزي<sup>(٣)</sup>.

وقيل: إنه مالكي<sup>(٤)</sup>.

وبين الكوثري سبب تجاذب أصحاب المذاهب إياه: هو أنه كان ينظر في فقه المذاهب، ولا يتحزب لبعضها على بعض، بل يُنسب إليه القول بتصويب المجتهدين في الفروع، وهذا مما سهل له جمع كلمة أهل السنة حول دعوته الحق، بل كان يقول

(١) تبين كذب المفتري ص ١١٧.

(٢) الجواهر المضية ج ٢ ص ٥٤٥ عن مسعود بن شيبه في كتاب التعلیم، وأيضاً في ج ٤ ص ٣٣. وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٥٩ عن مسعود بن شيبه في كتاب التعلیم. وتعليق الكوثري على تبين كذب المفتري ص ١١٧ الهامش.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٥٢ ورجحه، وقال: نص على ذلك الأستاذ أبو بكر بن فورك في طبقات المتكلمين، والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني فيما نقله عنه الشيخ أبو محمد الجويني في شرح الرسالة.

وقال السبكي أيضاً في ج ٣ ص ٣٦٧: وقد ذكر غير واحد من الأثبات أن الشيخ كان يأخذ مذهب الشافعي عن أبي إسحاق المروزي، وأبو إسحاق المروزي يأخذ عنه علم الكلام، ولذلك كان يجلس في حلقة. وانظر: إتحاف السادة ج ٢ ص ٤.

(٤) تبين كذب المفتري السابق، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٥٢ وقال: ليس بصحيح، و ص ٣٦٦ ورد عليه. وكلاهما نقلاً عن المايرقي الكلاعي من أئمة المالكية.

وذكر الزبيدي في إتحاف السادة ج ٢ ص ٤ أن من قال إنه مالكي: القاضي عياض في كتابه المدارك، والكلاعي اليورقي من أئمة المالكية، وفيه توجيهه.

للحنابلة: أنا على مذهب أحمد كما في الإبانة<sup>(١)</sup>.

قال الزبيدي: ولم لا يكون الشيخ عارفاً بالمذهبين يفتي بهما كما كان ابن دقيق العيد وغيره من جهابذة العلماء، ويكون دعوى كل من الفريقين صحيحاً<sup>(٢)</sup>؟

تصانيفه:

كان عجباً في الذكاء وقوة الفهم، له تصانيف جمّة تقضي له بسعة العلم<sup>(٣)</sup>.

ذكر ابن حزم أنها خمسة وخمسون تصنيفاً<sup>(٤)</sup>.

لكن ذكر ابن عساكر: أن ابن حزم ترك من عدد مصنّفاته أكثر من مقدار النصف، وذكرها ابن فورّك مسماة تزويد على الضعف<sup>(٥)</sup>.

(١) تبين كذب المُفترّي، هامش ص ١١٧.

والأشعريّ في هذه المسألة يقول بتصويب المجتهدين في الفرّع، وبهذا يخالف الإمام الشافعيّ. / تبين كذب المُفترّي ص ١١٥.

وقول الأشعريّ أنه على قول أحمد بن حنبل في كتابه الإبانة، حيث قال في الإبانة: (قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عزّ وجلّ ويسنة نبينا مُحَمَّد ﷺ، وما روي عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك مُعتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل نُصّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته، قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين وزرع الزائعين وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مُقدّم، وجليل معظّم، وكبير مُفهم). / الإبانة للأشعريّ ص ٢٠-٢١.

(٢) إتحاف السادة ج ٢ ص ٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٨٦-٨٧.

(٤) تاريخ بغداد، والأنساب للسمعانيّ، وتبين كذب المُفترّي، ووفيات الأعيان، والعبر، والبداية والنهاية، وخطط المقرئيّ، وشذرات الذهب، السابقة.

(٥) تبين كذب المُفترّي ص ٩٢.



قال أبو الحسن الأشعري في كتابه (العمد في الرؤية): صنفْتُ: الفُصُول في الردّ على الملحدين، وهو اثنا عشر كتاباً، وكتاب الموجز، وكتاب خلق الأعمال، وكتاب الصفات وهو كبير تكلمنا فيه على أصناف المُعْتَزَلَة والجَهْمِيَّة، وكتاب الرؤية بالأبصار... وكتاب إِيضاح البُرْهَان، وكتاب اللُّمَع في الردّ على أهل البدع، وكتاب الشُّرْح والتفصيل، وكتاب النقض على الجُبَّائِي... وكتاباً في الصفات هو أكبر كتبنا نقضنا فيه ما كنا أَلْفناه قديماً فيها على تَصْحِيح مَذْهَب المُعْتَزَلَة، لم يؤلف لهم كتاب مثله، ثم أَبَانَ الله لنا الحق فَرَجَعْنَا، وَتَفْسِيرُ الْقُرْآن...<sup>(١)</sup>.

وله كتاب الإِبَانَة، ومَقَالَاتُ الإِسْلَامِيَّين، وكلاهما مطبوع متداول.

وهذه الكتب رد بها على: الملحدة، والمُعْتَزَلَة، والرَّافِضَة، والجَهْمِيَّة، والخَوَارِج، وسائر أصناف المبتدعة<sup>(٢)</sup>.

علمه:

قال الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَمَّد الإسفَرَايِينِي الفقيه الأُصُولِي: كنتُ في جنب الشيخ أبي الحسن البَاهِلِي كقطرة في البحر. وقال الشيخ أبو الحسن البَاهِلِي: كنتُ أنا في جنب الشيخ الأشعري كقطرة في جنب البحر<sup>(٣)</sup>.

وقيل لأبي بكر بن الطَّيِّب البَافِلَانِي: كلامك أفضل وأبين من كلام أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللهُ، فقال: والله إن أفضل أحوالي أن أفهم كلام أبي الحسن رَحِمَهُ اللهُ<sup>(٤)</sup>.

(١) تَبَيَّن كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ١٢٨ وما بعدها، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ السَّابِق. وذكر بعض هذه الكتب: ابن النَّدِيم، وابن خَلِّكَان، والمَقْرِزِي. وذكر ابن كثير في البِدَايَة والنَّهَايَة ج ١١ ص ١٨٧ الموجز فقط.

(٢) تاريخ بَعْدَاد ج ١١ ص ٣٤٦-٣٤٧ وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَان ج ٣ ص ٢٨٥.

(٣) تَبَيَّن كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ١٢٥ وإِتْحَافُ السَّادَةِ ج ٢ ص ٤ عن ابن كثير.

(٤) تَبَيَّن كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ١٢٥-١٢٦ وأشار إليه الذَّهَبِي في السَّيَر ج ١٥ ص ٨٦ والزَّيْبِدِي السَّابِق.

وَعُدَّ الْمَجْدُّ عَلَى رَأْسِ الْمِئَةِ الثَّالِثَةِ، الْمَشَارِ إِلَى الْحَدِيثِ: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا). وَصَوَّبَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ بِحُجَّةٍ: أَنَّ قِيَامَهُ بِنَصْرَةِ السُّنَّةِ إِلَى تَجْدِيدِ الدِّينِ أَقْرَبُ، فَهُوَ الَّذِي انْتَدَبَ لِلرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ وَسَائِرِ أَصْنَافِ الْمُبْتَدِعَةِ<sup>(١)</sup>.

عِيشَتُهُ:

كَانَ قَانِعًا مَتَعِفًّا<sup>(٢)</sup>. وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْ غَلَّةِ صَيعَةٍ وَقَفَهَا جَدُّهُ بِلَالُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ عَامِرُ بْنُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ عَلَى عَقِبِهِ<sup>(٣)</sup>. وَكَانَتْ نَفَقَتُهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ سَبْعَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا<sup>(٤)</sup>، كُلُّ شَهْرٍ دِرْهَمٌ وَشَيْءٌ يَسِيرٌ<sup>(٥)</sup>. وَكَانَ فِيهِ دُعَابَةٌ وَمَرْحٌ كَبِيرٌ<sup>(٦)</sup>.

(١) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ ص ٥٣، وانظر: ص ١٠٣.

وَحَدِيثٌ: إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ... إلخ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْمَعْرِفَةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ١١٥.

(٢) الْعَبْرُ ج ٢ ص ٢٣ وَشَذَرَاتُ الذَّهَبِ ج ٢ ص ٣٠٣ عَنْ الْعَبْرِ.

(٣) تَارِيخُ بَغْدَادَ ج ١١ ص ٣٤٧ نَقْلًا عَنْ خَادِمِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ، وَالْأَنْسَابُ لِلْسَّمْعَانِيِّ ج ١ ص ٢٧٤ وَتَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ ص ١٤٢ وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٣ ص ٢٨٦ عَنْ الْخَطِيبِ، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ ج ١٥ ص ٨٩ وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسُّبْكِيِّ ج ٣ ص ٣٥١ وَخَطَطُ الْمَقْرِزِيِّ ج ٢ ص ٣٥٩ وَإِتْحَافُ السَّادَةِ ج ٢ ص ٤.

(٤) تَارِيخُ بَغْدَادَ، وَالْأَنْسَابُ لِلْسَّمْعَانِيِّ، وَتَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِيِّ، وَطَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسُّبْكِيِّ، وَخَطَطُ الْمَقْرِزِيِّ، وَإِتْحَافُ السَّادَةِ، السَّابِقَةُ.

وَوُرِدَ فِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ ج ٣ ص ٢٨٦: (فِي كُلِّ يَوْمٍ) نَقْلًا عَنْ الْخَطِيبِ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ، إِذْ الْوَارِدُ فِي الْخَطِيبِ وَغَيْرِهِ: (فِي كُلِّ سَنَةٍ).

وَوُرِدَ فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ج ١١ ص ١٨٧: (سَبْعَةُ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٥) طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسُّبْكِيِّ ج ٣ ص ٣٥١ وَإِتْحَافُ السَّادَةِ السَّابِقُ.

(٦) الْفَهْرُسْتُ لَابْنِ النَّدِيمِ ص ٢٥٧ وَوَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ ج ٣ ص ٢٨٥ وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ عَنْ ابْنِ خَلِّكَانَ، وَالْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ، وَخَطَطُ الْمَقْرِزِيِّ، السَّابِقَةُ.

### عبادته:

واجتهاد الشيخ في العبادة أمر غريب.

رَوَى ابن عَسَاكِر بسنده إلى أبي الحُسَيْن السَّرَوِيِّ أنه قال: كان الشيخ أبو الحسن - يعني: الأشعري - قريباً من عشرين سنة يصلي صلاة الصبح بوضوء العتمة، وكان لا يحكي عن اجتهاده شيئاً إلى أحد<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى أيضاً عن خادمه أنه قال: خدمتُ الإمام أبا الحسن بالبصرة سنين، وعاشرته ببغداد إلى أن توفي رَحِمَهُ اللهُ، فلم أجد أروع منه، ولا أغص طُرفاً، ولم أر شيخاً أكثر حياءً منه في أمور الدنيا، ولا أنشط منه في أمور الآخرة<sup>(٢)</sup>.

### آراء الأشعري

ذكر الشيخ الأشعري آراءه في كتبه، وأهمها مقالات الإسلاميين، والإبانة، واللمع، ونقلها عنه تلاميذه وشيوخ مذهبه. ومن تلك الآراء:

١ - أثبت الصفات الإلهية الواردة بالقرآن والسنة.

وصفاته تليق بذاته تعالى، لا تشبه صفات المخلوقين، فالله سبحانه قادر بقدره ليست كقدرة المخلوق، وعالم بعلم ليس كعلم المخلوق، وسميع بسمع ليس كسمع المخلوق...<sup>(٣)</sup>.

(١) تبين كذب المفتري ص ١٤١. وانظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٣٥١، ونقله الزبيدي في إتحاف السادة ج ٢ ص ٤ عن بُندار خادمه.

(٢) تبين كذب المفتري السابق.

(٣) تبين كذب المفتري ص ١٤٩ عن أبي المعالي بن عبد الملك، والمثل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٢.

وصفاته أزلية، قائمة بذاته تعالى، فلا يقال: هي هو، ولا هي غيره، ولا لا هي هو، ولا لا غيره<sup>(١)</sup>.

فكان وسطاً بين نفاة الصفات المعطّلة، وبين المجسّمة القائلين بأن الله علماً كالعلوم، وقُدرةً كالقُدَر، وسمِعاً كالأَسْمَاع<sup>(٢)</sup>.

لِذَلِكَ سُمِّيَ الْأَشَاعِرَةُ بِالصِّفَاتِيَّةِ، لِإِثْبَاتِهِمْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الْقَدِيمَةِ<sup>(٣)</sup>.

٢- الله سُبْحَانَهُ هو الْخَالِقُ حَقِيقَةً، لا يشاركه في الخلق غيره، وجميع أفعال الْعِبَاد مخلوقة مُبْدَعَةٌ من الله تعالى، وهي مكتسبة للعبد<sup>(٤)</sup>. وبالكسب يكون التكليف، ويكون الثواب والعقاب<sup>(٥)</sup>.

والكسب عنده هو الاقتران بين الفعل الذي هو مخلوق لله تعالى، واختيار العبد، من غير أن يكون للعبد تأثير في هَذَا الكسب<sup>(٦)</sup>. فالله تعالى قد أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته، لا بقدرة العبد وإرادته<sup>(٧)</sup>.

وعلى هَذَا يكون الكسب مخلوقاً لله تعالى كالفعل نفسه. وقد قرر الْعُلَمَاءُ أَنَّ ذَلِكَ

(١) الْمَلِكُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ السَّابِقِ، وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٥٩.

(٢) تَبْيِينُ كَذِبِ الْمُفْتَرِيِّ السَّابِقِ.

(٣) الْمَلِكُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ ج ١ ص ٨١ وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٦٠.

(٤) خِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٦٠. وانظر: تَبْيِينُ كَذِبِ الْمُفْتَرِيِّ ص ١٤٩ وَالْإِنْصَافُ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ٤٥ وَتَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ٣٤١. وقول الْأَشْعَرِيِّ فِي خَلْقِ الْأَعْمَالِ وَأَدْلَتِهِ مِنَ النُّقْلِ وَالْعَقْلِ فِي كِتَابِهِ اللَّمْعُ ص ٦٩ وما بعدها.

(٥) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٨٤.

(٦) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ السَّابِقِ. قال الْمَقْرِيزِيُّ فِي الْخِطَطِ ج ٢ ص ٣٦٠: الْكَسْبُ عبارة عن الفعل القائم بمحل قدرة العبد.

(٧) دراسات في الفرق ص ٢٦٩ عن المواقف، والإنصاف للباقلاني، وإحياء علوم الدين، والتبصير في الدين.

يؤدي إلى الجبر لا محالة<sup>(١)</sup>.

فكان الأشعري وسطاً بين الجهمية الجبرية القائلين بأن العبد مُجبر لا يقدر على إحداث شيء ولا على كسب شيء، وبين المعتزلة القائلين بأن العبد يقدر على إحداث الفعل وكسبه<sup>(٢)</sup>.

٣- الحُسن والقُبْح شرعيّ، أي: لا يعلم استحقاق المدح أو الذم، ولا الثواب أو العقاب شرعاً على الفعل إلا من جهة الشرع<sup>(٣)</sup>.

فالحسن عند الأشاعرة حسن لأن الله أمر به، والقبيح قبيح، لأن الله تعالى نهى عنه<sup>(٤)</sup>.

فلا يمكن للعقل أن يعرف حكم الله تعالى في أفعال المكلفين إلا بواسطة رسله وكتبه، لأن العقول تختلف، فبعضها يحسن بعض الأفعال، وآخر يقبّحها، وكثيراً ما يكون التحسين والتقييح مبنياً على الهوى. فمقياس الحُسن والقُبْح عند الأشاعرة هو الشرع لا العقل.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية السابق.

(٢) تبين كذب المفتري السابق.

(٣) تَشْنِيفُ الْمَسَامِع ج ١ ص ٤٥، وذكر الأشاعرة باسم أهل السنة.

قال ابن السبكي في جَمْعِ الْجَوَامِع: (والحسن والقبيح بمعنى ملاءمة الطبع ومنافرتة، وصفة الكمال والنقص، عقلي، وبمعنى ترتب الذم عاجلاً والعقاب أجلاً شرعياً، خلافاً للمعتزلة).

وانظر كلام الرّازي في المَحْصُول ج ١ ص ١٢٣ وما بعدها، عن هذه الأقوال التي ذكرها ابن السبكي، وانظر أيضاً: إرشاد الفحول للشوكاني ج ١ ص ٥٤، والإنصاف للباقلاني ص ٥٠ وفيه: (جميع قواعد الشرع تدل على أن الحسن ما حسنه الشرع وجوزّه وسوغه، والقبيح ما قبحه الشرع وحرّمه ومنع منه لا من حيث الصورة).

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٢.

وبناءً عليه: لا يثاب الإنسان على فعل شيء، ولا يعاقب على تركه، إلا إذا بلغته دعوة رَسُولٌ تُعَرِّفُهُ ما يجب عليه فعله وما يجب عليه تركه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ - الإسراء ١٥. فمن عاش في عزلة تامة لم تبلغه دعوة رَسُولٌ ولا شرعه فهو غير مكلف من الله بشيء، ولا يستحق ثواباً ولا عقاباً. ومثلهم أهل الفترة، وهم من عاشوا بعد موت رَسُولٍ وقبل مبعث رَسُولٍ، فهؤلاء غير مكلفين بشيء من الله تعالى<sup>(١)</sup>.

٤- أفعال الله تعالى لا تُعَلَّلُ<sup>(٢)</sup>. فالأشاعرة ذهبوا إلى منع التعليل<sup>(٣)</sup>.

ومن حججهم:

أ- قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ - الأنبياء ٢٣<sup>(٤)</sup>.

ب- لو كان الفعل لغرض، للزم أن يكون الفاعل ناقصاً في نفسه، مستكملاً في غيره، ويتعالى الله سبحانه عن ذلك<sup>(٥)</sup>.

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خالف ص ٩٧-٩٨.

ومن المحققين من رد هذا القسم إلى الأول، وقال: إنه في الحقيقة راجع إلى الألم واللذة.

ولهذا سلم الرازي في آخر عمره ما ذكره في كتابه نهاية العقول: إن الحُسن والقُبْح العقليين

ثابتان في أفعال العباد، لأن معناهما يؤول إلى اللذة والألم. / تصنيف المسامع ج ١ ص ٤٥.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٢.

(٣) تعليل الأحكام ص ٩٧.

(٤) تعليل الأحكام ص ١٠٢ واستبعد الاستدلال بها، وتاريخ المذاهب الإسلامية السابق.

(٥) نظرية المقاصد للريسوني ص ٢٢٧ عن الشبكي في الإيهام ج ٣ ص ٦٢. ونظرية المقاصد

أيضاً ص ٢٢٨ عن ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ج ١ ص ٣٨٠. وذكره شلبي في تعليل

الأحكام ص ٩٧ وفي ص ١٠٠ ورده.

ج- إذا كان الفعل لغرض، كان الغرض سبباً يقتضي عجز الفاعل<sup>(١)</sup>. أي: أن الغرض مُحْتَاج إلى غرض آخر، والآخر إلى آخر، وهذا يلزم التسلسل، وهو باطل<sup>(٢)</sup>.

واختلفت عبارات الأشاعرة في بيان معنى منع التعليل، هل هو استحالة التعليل، أو عدم وجوبه؟

فقال بعضهم باستحالة التعليل.

وقال الآخرون: حقيقة مذهب الأشاعرة أنه لا يجب التعليل، لأنه في مقابلة قول المعتزلة بالوجوب، ومقتضى هذا القول أنه يجوز، وهو ما عبر بعضهم عنه بأن أفعال الله سبحانه مُعلَّلة بالمصالح تفضلاً وإحساناً<sup>(٣)</sup>.

٥- كل موجود يصح أن يرى، والله تعالى موجود، فيصح أن يرى، وقد صح السمع بأن المؤمنين يرونه في الآخرة في القرآن والسنة<sup>(٤)</sup>.

لكن يرى من غير حُلُول ولا حدود ولا تكييف<sup>(٥)</sup>، أي: لا يجوز أن يرى في مكان وصورة ومقابلة واتصال شعاع، فذلك كله محال<sup>(٦)</sup>.

(١) التحرير والتنوير السابق، ورد هاتين الحجتين. ونقل الريسوني في نظرية المقاصد الرد على هذا القول عن ابن الهمام وصدر الشريعة.

(٢) تعليل الأحكام ص ١٠٠ وأورد حججاً أخرى ورد عليها.

(٣) تعليل الأحكام ص ٩٧.

قال السبكي في الإبهاج ج ٣ ص ١٥٣٣: (المتكلمون - يريد الأشاعرة - لم يقولوا بتعليل الأحكام بالمصالح، لا بطريق الوجوب ولا الجواز، وهو اللائق بأصوهم...، وقد قالوا: لا يجوز أن تعلل أفعال الله تعالى). ونقله عنه الريسوني في: مقاصد الشريعة ص ٢٢٧.

(٤) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٧ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٦٠. وانظر قول الأشعري هذا في كتابه الإبانة ص ٥١ وكلامه عن الرؤية في اللمع ص ٦١ وما بعدها.

(٥) تبين كذب المفتري ص ١٤٩.

(٦) الملل والنحل للشهرستاني، وخطط المقرئ، السابقان.

فكان وسطاً بين المُشَبَّهَةِ القائلين بأن الله تعالى يرى مُكَيِّفاً محدوداً كسائر المراتب، وبين المُعْتَرِزَةِ والجَهْمِيَّةِ وموافقيهم القائلين بأن الله لا يرى بحال من الأحوال<sup>(١)</sup>.

٦- في الألفاظ الواردة في القرآن والسُّنَّة الموهمة للتشبيه مثل:

اليد في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ - الفتح ١٠.

والوجه في قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ - الرحمن ٢٧.

والاستواء في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ - طه ٥.

والتَّزَوُّوْلُ في قوله ﷺ: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كلَّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له، ومَنْ يسألني فأعطيه، ومَنْ يستغفرني فأغفر له)<sup>(٢)</sup>.

له قولان:

القول الأول: عدم التأويل، فله سُبْحَانُهُ يد تليق بذاته الكَرِيْمَةِ، لكن ليست يدًا جارحة كأيدي المخلوقين، فيده تعالى يد صفة، وكذلك وجهه وجه صفة كالسمع والبصر<sup>(٣)</sup>. فاليد والوجه صفات خبرية وَرَدَ السمع بها فوجب الإقرار به<sup>(٤)</sup>، وكذلك

(١) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي السَّابِقِ.

(٢) حَدِيث: ينزل ربنا... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ١٩ كتاب التهجد، ١٤ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم ١١٤٥ بهذا اللفظ. وفي: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ١٤ باب الدعاء نصف الليل، رقم ٦٣٢١. وفي: ٩٧ كتاب التَّوْحِيد، ٣٥ باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ - الفتح ١٥، رقم ٧٤٩٤.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٦ كتاب صلاة المسافرين، ٢٤ باب التَّوَعُّبِ في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم ٧٥٨. وكل هذه الروايات عن أبي هُرَيْرَةَ.

(٣) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ١٥٠.

(٤) الْمَلِكُ وَالتَّحَلُّ لِلشَّهْرِ سِتَانِي ج ١ ص ٨٨ وَخِطَطُ الْمَقْرِيزِيِّ ج ٢ ص ٣٦٠.



الاستواء والنُّزُول، هما صفة من صفاته، وفِعْلٌ فَعَلَهُ في العرش يسمى الاستواء<sup>(١)</sup>.

وهذا هو الذي قرره في كتابه الإبانة<sup>(٢)</sup>. وهي طريقة السلف<sup>(٣)</sup>.

فكان وسطاً بين الْمُعْتَرِكة الذين يقولون بالتأويل، فاليد معناها يد القدرة والنعمة، والاستواء بمعنى الاستيلاء، والنُّزُول بمعنى نُزُول بعض آياته وملائكته، وبين المُشَبَّهَة الذين يقولون بأن يده تعالى هي يد جارحة، ووجهه هو وجه الصورة، والاستواء جلوس على العرش وحُلُول فيه، والنُّزُول نُزُول ذاته بحركة وانتقال من مكان إلى مكان...<sup>(٤)</sup>.

قال الذَّهَبِيُّ: رَأَيْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ أَرْبَعَةَ تَوَالِيْفٍ فِي الْأُصُولِ، يَذْكُرُ فِيهَا قَوَاعِدَ مَذْهَبِ السَّلَفِ فِي الصِّفَاتِ، وَقَالَ فِيهَا: تُمَرُّ كَمَا جَاءَتْ. ثُمَّ قَالَ: وَبِذَلِكَ أَقُولُ، وَبِهِ أَدِينُ، وَلَا تَوَوَّلُ<sup>(٥)</sup>.

القول الثاني: التأويل، أي: تأويل كل لفظ منها على وجوه يحتملها ذَلِكَ اللفظ.

(١) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي السَّابِقِ.

(٢) قَالَ الْأَشْعَرِيُّ فِي الْإِبَانَةِ ص ٢١-٢٢: (وَأَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي قَالَهُ وَبِالْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ، اسْتَوَاءً مَنْزَهاً عَنِ الْمَاهِيَةِ وَالِاسْتِقْرَارَ وَالتَّمَكُّنَ وَالْحُلُولَ وَالِانْتِقَالَ... وَأَنَّ لَهُ سُبْحَانَهُ وَجْهاً بِلَا كَيْفٍ، كَمَا قَالَ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ - الرَّحْمَنُ ٢٧، وَأَنَّ لَهُ سُبْحَانَهُ يَدَيْنِ بِلَا كَيْفٍ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ - ص ٧٥، وَكَمَا قَالَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ - الْمَائِدَةُ ٦٤، وَأَنَّ لَهُ سُبْحَانَهُ عَيْنَيْنِ بِلَا كَيْفٍ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ - الْقَمَرُ ١٤)، وَانْظُرْ ص ١٠٨ أَيْضاً وَمَا بَعْدَهَا وَفِيهِ تَفْصِيلٌ.

وَقَالَ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى أَهْلِ الثَّغْرِ ص ٢٣٣: (وَلَيْسَ اسْتَوَاهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتِيْلَاءٌ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْقَدَرِ).

(٣) الْمَلَلُ وَالنَّحْلُ لِلشَّهْرَسْتَانِيِّ السَّابِقِ.

(٤) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي السَّابِقِ.

(٥) سِيرَ أَعْلَامُ النَّبَلَاءِ ج ١٥ ص ٨٦.

فَأَوَّلَ الْيَدَ بِالْقُدْرَةِ كَالْمُعْتَزَلَةِ<sup>(١)</sup>.

لِذَلِكَ افْتَرَقَ الْأَشَاعِرَةُ فِي تِلْكَ الْأَلْفَاظِ إِلَى قَوْلَيْنِ: أُولَاهَا لَا يؤول، والثاني يؤول<sup>(٢)</sup>.

٧- الإيمان هو التَّصَدِّيقُ بِالْقَلْبِ.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٧٠ وذكر أن هذا هو الذي قرره في (اللُّمَع). لكنني لم أجده في كتاب اللُّمَع المطبوع.

وذكر الشَّهْرَسْتَانِي فِي الْمِلَلِ وَالنَّحَلِ ج ١ ص ٨٨ أن للأشعري قولاً بجواز التأويل.

وذكر الإيجي في المواقف ج ٨ ص ١١٠ و ١١١ أن التأويل أحد قولي الشيخ الأشعري.

ونقله الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ج ٢ ص ٤ عن ابن كثير القائل: (ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام. وتأويل الجزئية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك.

والحال الثالث: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخراً، وشرحها الباقلاني، ونقلها ابن عساكر، وهي التي مال إليها الباقلاني وإمام الحرميين وغيرهما من أئمة الأصحاب المتقدمين في أواخر أقوالهم والله أعلم.

ونقله د. عبد الرحمن بن صالح المحمود في كتابه موقف ابن تيمية من الأشاعرة ج ١ ص ٣٩١-٣٩٢ عن الزبيدي، وقال بعده: (هذا النقل غير دقيق، إذ ليس للأشعري في الصفات الخبرية كالوجه واليدين قول بتأويلها).

أقول: القول بأن: (هذا النقل غير دقيق) هو قول مردود بها ذكره هؤلاء العلماء، والأشاعرة أعلم الناس بقول شيخهم الأشعري، وقد يكون نقلهم عنه من بعض كتبه المفقودة الآن، والذي وصل إلينا منها يسير جداً، كما قدمناه.

(٢) خِطَطُ الْمُقْرِئِي ج ٢ ص ٣٦٠. وانظر: المُسَامَرَةُ ص ٣٧.

أما الإقرار باللسان والعمل بالأركان فهما فُرُوع الإيمان.

فمن صدق بالقلب أي: أقر بوحدانية الله تعالى واعترف بالرسول تصديقاً لهم فيما جاءوا به فهو مؤمن<sup>(١)</sup>. وهو المشهور من مذهب أبي الحسن الأشعري<sup>(٢)</sup>.

٨- المؤمن الموحد صاحب الكِبيرة إذا خرج من الدنيا من غير توبة فحكمه إلى الله إما أن يغفر له برحمته أو يشفع له رسول الله ﷺ وإما أن يعذبه بعدله ثم يدخله الجنة برحمته، ولا يخلد في النار مؤمن<sup>(٣)</sup>.

والفاسق من أهل القبلة مؤمن بإيمانه، فاسق بفسقه وكبيرة<sup>(٤)</sup>.

٩- للرسول ﷺ شفاعة مقبولة في المؤمنين المستحقين للعقوبة، يشفع لهم بأمره تعالى وإذنه، ولا يشفع إلا لمن ارتضى.

فهو وسط بين المعتزلة القائلين بأن الرسول ﷺ لا شفاعة له بحال، وبين الرافضة القائلين بأن للرسول ﷺ ولعلي رضي الله عنه شفاعة من غير أمر الله تعالى ولا إذنه، حتى لو

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٨ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٩٠. وانظر قول الإمام الأشعري في كتابه اللمع ص ١٢٢.

(٢) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧٩٩ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٨ ومصادر أخرى ذكرت في بحثي: مفهوم الإيمان عند الفرق الإسلامية ص ٣٠.

لكن صرح الأشعري في الإبانة: أن الإيمان قول وعمل. / الإبانة ص ٢٧.

وذهب بعض الأشاعرة إلى أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان دون غيرهما من الجوارح. / انظر بحثي: مفهوم الإيمان السابق ص ٢٨ وفيه مصادره.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني، وخطط المقرئ، السابقان، وتبيين كذب المفتري ص ١٥١.

(٤) اللمع للأشعري ص ١٢٢.

شفعا في الكفار قبلت<sup>(١)</sup>.

١٠- لَا يُكْفَرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

قال أبو الحسن الأشعري في كتابه الإبانة: وندين بأن لا نُكْفِرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ يَرْتَكِبُهُ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، كالزنا والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بِذَلِكَ الْخَوَارِجُ، وزعمت أنهم كافرون، ونقول: إن من عَمِلَ كَبِيرَةً مِنْ هَذِهِ الْكِبَائِرِ مِثْلَ الزَّنا وَالسَّرْقَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا مُسْتَحِلًّا لَهَا غَيْرُ مُعْتَقِدٍ لِتَحْرِيمِهَا كَانَ كَافِرًا<sup>(٢)</sup>.

ورَوَى ابن عَسَاكِرَ بِسَنَدِهِ عَنِ الْبَيْهَقِيِّ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ عُمَرَ بْنَ أَحْمَدَ الْعَبْدَوِيَّ الْحَافِظَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ زَاهِرَ بْنَ أَحْمَدَ السَّرْحَسِيِّ يَقُولُ: لَمَّا قَرَّبَ حُضُورَ أَجْلِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ فِي دَارِي بَيْغَدَادَ، دَعَانِي فَاتَيْتُهُ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَيَّ أَنِّي لَا أَكْفُرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقِبْلَةِ، لِأَنَّ الْكُلَّ يَشِيرُونَ إِلَى مَعْبُودٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا هَذَا كُلُّهُ اخْتِلَافُ الْعِبَارَاتِ<sup>(٣)</sup>.

قال الذَّهَبِيُّ: وَبَنَحُوا هَذَا أَدِينًا، وَكَذَا كَانَ شَيْخُنَا ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ يَقُولُ: أَنَا لَا أَكْفُرُ أَحَدًا مِنَ الْأُمَّةِ، وَيَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا يَحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ)، فَمَنْ لَازَمَ الصَّلَاةَ بِوُضُوءٍ فَهُوَ مُسْلِمٌ<sup>(٤)</sup>.

(١) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ١٥١. وانظر في الشفاعة: الإبانة ص ٢٤١.

(٢) الإبانة ص ٢٦.

(٣) تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ١٤٨-١٤٩. وَسِيرَ أَعْلَامُ النُّبَلَاءِ ج ١٥ ص ٨٨ وَقَالَ: رَأَيْتُ لِلْأَشْعَرِيِّ كَلِمَةً أَعْجَبْتَنِي وَهِيَ ثَابِتَةٌ رَوَاهَا الْبَيْهَقِيُّ، وَذَكَرَهَا.

(٤) سِيرَ أَعْلَامُ النُّبَلَاءِ السَّابِق. وانظر من أقوال ابن تَيْمِيَّةَ فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى ج ٣ ص ٢٨٢، وَج ١٢ ص ٤٦٦، وَج ٣٥ ص ١٠٠.

وَحَدِيثُ: لَا يَحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ، هُوَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ: (اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تَحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يَحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ)، رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ، عَنْ ثَوْبَانَ. وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ أَيْضًا وَالطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

١١ - مَنَهَجُ الْأَشْعَرِيَّةِ فِي الِاسْتِدْلَالِ عَلَى الْعَقَائِدِ يَتَضَحُّ فِي أَخْذِهِم بِالنَّقْلِ وَالْعَقْلِ مَعًا.

فلم يتخذوا العقل حاكماً على النصوص ليؤولوها كالمُعْتَرِلة، ولم يقفوا عند ظواهر النصوص كبعض الفقهاء والمُحَدِّثِينَ، وإنما اتخذوا العقل خادماً لظواهر النصوص<sup>(١)</sup>.

### أَعْيَانُ مَذْهَبِهِ

وانتسب إلى مَذْهَبِهِ أَعْيَانُ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ:

أبو الْحَسَنِ الْبَاهِلِيُّ الْبَصْرِيُّ. وأبو بَكْرُ الْقَفَّالُ الشَّاشِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٣٦٥ هـ. والقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ بْنِ الْبَاقِلَانِيِّ الْبَصْرِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٠٣ هـ. وأبو عَلِيٍّ الدَّقَّاقُ النَّيْسَابُورِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٠٥ هـ. والْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْبَيْعِ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٠٥ هـ. وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ فُورَكٍ الْأَصْبَهَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٠٦ هـ. وَالْأَسَازُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِيَّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤١٨ هـ...<sup>(٢)</sup>.

عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ. وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ. وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٦٦.

(١) مَنَاهِجُ الْاجْتِهَادِ فِي الْإِسْلَامِ ص ٥٠٥.

(٢) وَمِنْهُمْ أَيْضاً: أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٣٠ هـ. وَأَبُو ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ الْحَافِظُ عَبْدُ بْنُ أَحْمَدَ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٣٤ هـ. وَأَبُو جَعْفَرٍ السَّمْنَانِيُّ الْحَنْفِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ قَاضِي الْمَوْصِلِ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٤٤ هـ. وَأَبُو الْفَتْحِ سُلَيْمُ بْنُ أَيُّوبَ الرَّازِيَّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٤٧ هـ. وَالْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٥٨ هـ. وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٦٣ هـ. وَأَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنِ هَوَازِنَ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٦٥ هـ. وَأَبُو الْمُظَفَّرِ الْإِسْفَرَايِينِيُّ شَاهِفُورُ بْنُ طَاهِرٍ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٧١ هـ. وَأَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْرَازِيُّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٧٦ هـ. وَأَبُو الْمَعَالِي الْجَوِينِيُّ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٧٨ هـ. وَالْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ، الْمُتَوَفَّى سنة ٥٠٥ هـ. / تَبَيَّنَ كَذِبُ الْمُفْتَرِي ص ١٧٧-٣٣١ وفيه تَرَاجُمُ أشهر الأعلام من الأشاعرة إلى زمنه. وذكر أسماء هؤلاء السُّبُكِيِّ في طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى ج ٣ ص ٣٦٨-٣٧٢ وغيرهم عن ابن عَسَاكِر.

وذكر السُّبُكِيُّ عدداً كبيراً من طَبَقَاتِ الأشاعرة الذين ذكرهم ابن عَسَاكِر، وزاد عليهم آخرين، منهم:

أبو بَكْرٍ الْأَبْهَرِيُّ. وأبو مُحَمَّدٍ عبد الله بن أَبِي زَيْدٍ عبد الرَّحْمَنِ الْقَيَّرَوَانِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٣٨٦ هـ. وأبو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بن عبد الله الْقَلَانِسِيُّ. وأبو الْوَفَاءِ بن عَقِيلٍ الْحَنْبَلِيُّ. وقَاضِي الْقُضَاةِ الدَّمَاعَانِيُّ الْحَنْفِيُّ أبو عبد الله مُحَمَّدُ بن عَلِيٍّ. وقَاضِي الْقُضَاةِ أبو بَكْرٍ النَّاصِحُ الْحَنْفِيُّ. وأبو الْوَلِيدِ الْبَاجِيّ سُلَيْمَانُ بن خَلْفٍ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٧٤ هـ. وأبو عُمَرَ بن عبد الْبَرِّ الْحَافِظُ يُوسُفُ بن عبد الله، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٦٣ هـ. وأبو الْقَاسِمِ بن عَسَاكِرِ عَلِيٍّ بن الْحَسَنِ، الْمُتَوَفَّى سنة ٥٧١ هـ. وَالْحَافِظُ أبو سَعْدٍ بن السَّمْعَانِيِّ عبد الْكَرِيمِ بن مُحَمَّدٍ، الْمُتَوَفَّى سنة ٥٦٢ هـ. وَالْحَافِظُ أبو طَاهِرِ السَّلَفِيِّ عِمَادُ الدِّينِ أَحْمَدُ بن مُحَمَّدٍ، الْمُتَوَفَّى سنة ٥٧٦ هـ. وَالْقَاضِي عِيَاضُ بن مُحَمَّدٍ الْيَحْصَبِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٥٤٤ هـ. وَالْإِمَامُ أبو الْفَتْحِ الشَّهْرَسْتَانِيُّ مُحَمَّدُ بن عبد الْكَرِيمِ، الْمُتَوَفَّى سنة ٥٤٨ هـ. وَالْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيّ مُحَمَّدُ بن عُمَرَ، الْمُتَوَفَّى سنة ٦٠٦ هـ. وَسَيْفُ الدِّينِ الْأَمْدِيُّ أبو الْحَسَنِ عَلِيٍّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٦٣١ هـ. وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ عَزَّ الدِّينُ عبد الْعَزِيزُ بن عبد السَّلَامِ، الْمُتَوَفَّى سنة ٦٦٠ هـ. وَالشَّيْخُ أبو عَمْرٍو بن الْحَاجِبِ الْمَالِكِيُّ عُثْمَانُ بن عُمَرَ، الْمُتَوَفَّى سنة ٦٤٦ هـ. وَجَمَالُ الدِّينِ الْحَصِيرِيُّ الْحَنْفِيُّ. وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ تَقِيُّ الدِّينِ بن دَقِيقِ الْعَيْدِ مُحَمَّدُ بن عَلِيٍّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٠٢ هـ. وَالشَّيْخُ عَلِيُّ بن عبد الْكَافِي السُّبُكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٥٦ هـ. وَالشَّيْخُ صَفِيُّ الدِّينِ الْهِنْدِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٥٠ هـ. وَالْقَاضِي عَضُدُ الدِّينِ الْإِنْجِيُّ الشَّيرَازِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٥٦ هـ. / طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى لِلْسُّبُكِيِّ ج ٣ ص ٣٧٢-٣٧٣ مُسْتَدْرَكاً عَلَى ابن عَسَاكِر.

وتتابع على ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ عَلَى مَذْهَبِهِ مَنْ يَشُقُّ إِحْصَاءَهُمْ.

## الماتريدية

### شيخ المذهب

الماتريدية هم أتباع الإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي<sup>(١)</sup>، الحنفي<sup>(٢)</sup>، الملقب بإمام الهدى<sup>(٣)</sup>.

والماتريدي نسبة إلى ماتريد، ويقال لها ماتريت، وهي محلة بسمرقند<sup>(٤)</sup>، أو

(١) الجواهر المضية ج ٣ ص ٣٦٠ رقم الترجمة ١٥٣٢ وتاج التراجم ص ٢٤٩ رقم الترجمة ٢١٧ والفوائد البهية ص ٣١٩ رقم ٤١٢ وكشف الظنون ص ٢٦٢ و ٣٣٥ و ٥١٨ و ٥١٩ و ١٤٠٦ و ١٤٠٨ و ١٥٧٣ و ١٧٨٢. وإتحاف السادة ج ٢ ص ٥ وأشار الزبيدي إلى ترجمة القرشي في الجواهر المضية، والإمام مجد الدين أبي الندى إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الكنايني البلبيسي الفاهري في كتاب الأنساب، وذكر أنه يوجد بعض أحواله في انتساب كتب المذهب، وأورد حاصل ما ذكره، ونقل كلام القرشي. وهديّة العارفين ص ٣٦ والفكر السامي ج ٢ ص ١٠٨ والأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٩ ومُعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ ج ٣ ص ٦٩٢ ومُقدِّمة كتابه التَّوْحِيدُ الذي حَقَّقَهُ: د. فتح الله خُلَيْف.

(٢) كشف الظنون ص ٢٦٢ و ٣٣٥ و ٥١٨ وإتحاف السادة، وهديّة العارفين، السابِقان.

(٣) الجواهر المضية، وتاج التراجم، وإتحاف السادة، وهديّة العارفين، السابِقة.

(٤) إتحاف السادة ج ٢ ص ٥ والفوائد البهية ص ٣٢٠ وضبط الكلمة بالحروف ونقله عن السمعاني. وفي الأنساب للسمعاني ج ١١ ص ٥٥: محلة من حائط سمرقند، قال السمعاني: مضيت إليها غير مرة. وفي الباب لابن الأثير ج ٣ ص ١٤٠: محلة من سمرقند. وفي الفكر السامي للحجوي ج ٢ ص ١٠٩: (وماتريدي بضم المثناة فوق، نسبة إلى محلة بسمرقند، خلافاً للكمال بن أبي شريف حيث ضبطها بالفتح. صح من الفوائد البهية). والأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٩.

قَرِيَّةَ بِهَا<sup>(١)</sup>.

ومن شيوخه:

١- أبو نَصْرٍ العِيَاضِيُّ الذي تخرج به<sup>(٢)</sup>، وهو أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْحُسَيْنِ،  
ينتسب إلى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، الفقيه السَّمَرْقَنْدِيِّ الْوَرَعِ الْمُجَاهِدِ<sup>(٣)</sup>.

كان الشيخ أبو نَصْرٍ لا يتكلم في مجالسه ما لم يحضر تلميذه الشيخ أبو مَنْصُورَ  
- الْمَأْتَرِيْدِي -، فكان كلما رآه من بعيد نظر إليه نظر المتعجب، وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا  
يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ - القصص ٦٨<sup>(٤)</sup>.

٢- أبو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ صَالِحِ الْجُوزْجَانِيِّ، صاحب الفرق  
والتَّمْيِيزِ<sup>(٥)</sup>.

٣- نَصِيرُ بْنُ يَحْيَى الْبَلْخِيِّ، المْتُوفَى سنة ٢٦٨ هـ.

وذكر الرِّبِيدِيُّ: أن هؤلاء المشايخ الثلاثة تفقَّهوا على الإمام أبي سُلَيْمَانَ مُوسَى بْنِ  
سُلَيْمَانَ الْجُوزْجَانِيِّ، وهو على الإمامين أبي يُوسُفَ ومُحَمَّدَ بْنِ الْحَسَنِ<sup>(٦)</sup>.

٤- مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلِ الرَّازِيِّ، قَاضِي الرَّيِّ.

قال الرِّبِيدِيُّ: تفقَّه مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلِ وَنَصِيرُ بْنُ يَحْيَى أَيْضاً على الإمامين أبي

(١) إتحاف السادة السابق.

(٢) الجواهر المضئية ج ٣ ص ٣٦٠ وتاج التراجم ص ٢٤٩ وإتحاف السادة ج ٢ ص ٥.

(٣) إتحاف السادة السابق، ونقل ترجمته عن تاريخ سمرقند للإدريسي. وترجم له النسفي في  
تبصرة الأدلة ج ١ ص ٣٥٦.

(٤) تبصرة الأدلة ج ١ ص ٣٥٩.

(٥) إتحاف السادة السابق، قال الکنوي في الفوائد البهية ص ٣١٩: تفقَّه على أبي بَكْرٍ أَحْمَدَ  
الْجُوزْجَانِيِّ عن أبي سُلَيْمَانَ الْجُوزْجَانِيِّ عن مُحَمَّدٍ.

(٦) إتحاف السادة السابق. وفيه: (نصير) يقال له (نصر) أيضاً.



مطيع الحَكَم بن عبد الله البلخي، وأبي مقاتل حَفْص بن مُسْلِم السَّمَرْقَنْدِيّ. وأخذ مُحَمَّد بن مقاتل أيضاً عن مُحَمَّد بن الحَسَن، وأخذ هؤلاء الشيوخ الأربعة عن الإمام أبي حَنِيفَةَ<sup>(١)</sup>.

ومن تلاميذه:

أبو أَحْمَد العِيَاضِيّ تَفَقَّه عليه في أنواع العُلُوم<sup>(٢)</sup>. والحَكِيم القاضي إِسْحَاق بن مُحَمَّد السَّمَرْقَنْدِيّ. وَعَلِيّ الرُّسْتَغْفَنِيّ. وأبو مُحَمَّد عبد الكريم بن مُوسَى البَزْدَوِيّ<sup>(٣)</sup>.

مُصَنَّفَاتُه:

صنف التصانيف الجَلِيلَة، ورد أكاذيب أقوال أصحاب العقائد الباطلة<sup>(٤)</sup>، منها: كتاب التَّوْحِيد<sup>(٥)</sup>. وكتاب المَقَالَات<sup>(٦)</sup>. وكتاب ردّ أوائل الأدلّة للكعبي<sup>(٧)</sup>.

(١) إتحاف السادة السابق. وذكر أن الذهبي في الميزان ترجم لمُحَمَّد بن مُقاتِل، وقال: حَدَّثَ عن وَكِيع وطبقته.

(٢) تبصرة الأدلة ج ١ ص ٣٥٩.

(٣) الفوائد البهية ص ٣١٩. وذكر النسفي في التبصرة السابق: أبا الحسن الرُّسْتَغْفَنِيّ.

(٤) الفوائد البهية ص ٣١٩ والفكر السامي ج ٢ ص ١٠٨.

(٥) تبصرة الأدلة ج ١ ص ٣٥٩ والجواهر المضية ج ٣ ص ٣٦٠ وتاج التراجم ص ٢٤٩، والفوائد البهية، والفكر السامي، والأعلام للزركلي وفيه: أنه مخطوط. وسماه حاجي خليفه في كشف الظنون ص ١٤٠٦ وإسماعيل باشا في هدية العارفين ص ٣٦: كتاب التَّوْحِيد وإثبات الصفات. وطُبعَ بتحقيق: د. فتح الله خليف.

(٦) تبصرة الأدلة، والجواهر المضية، وتاج التراجم، والفوائد البهية، وهدية العارفين، السابقة، وكشف الظنون ص ١٧٨٢.

(٧) تبصرة الأدلة، والجواهر المضية، وتاج التراجم، السابقة.

وكتاب بَيَانِ وَهْمِ الْمُعْتَرِلةِ<sup>(١)</sup>. وكتاب تأويلات القرآن<sup>(٢)</sup> وهو المسمَّى بتأويلات أهل السنة، قال النَّسْفِيُّ: (هو كتاب لا يوازيه في فنه كتاب، بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن. وما أَحْسَنَ ما قال بعض بلغاء الكُتَّابِ فيه: وكتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فَتَقَّ عَنْ الْمَشْكِلِ أَكْثَمَهُ، وَقَشَعَ عَنْ الْمُشْتَبِهِ غَمَامَهُ، وَأَبَانَ بِأَبْلَغِ الْوَصْفِ وَأَتَقَنَ الرَّصْفِ أَحْكَامَهُ وَحَلَّالَهُ وَحَرَامَهُ، لِقَاءَ اللَّهِ تَحِيَّتَهُ وَسَلَامَهُ)<sup>(٣)</sup>. وكتاب شَرْحِ الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ الْمُنْسُوبِ لِلْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ<sup>(٤)</sup>. وكتاب رد تَهْذِيبِ الْجَدَلِ

(١) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ، وَالْجَوَاهِرُ الْمُضِيَّةُ، وَتَاجُ التَّرَاجُمِ، وَهَدْيَةُ الْعَارِفِينَ، وَمُعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ، السَّابِقَةُ، وَكَشَفُ الظُّنُونِ ص ٢٦٢. وفي الفَوَائِدُ الْبَهِيَّةُ وَالْفِكْرُ السَّامِيُّ وَالْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ: كتاب أوهام الْمُعْتَرِلةِ.

(٢) وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ (تَأْوِيلَاتُ الْقُرْآنِ) فِي: تَبْصِرَةِ الْأَدِلَّةِ، وَالْجَوَاهِرِ الْمُضِيَّةِ، وَتَاجِ التَّرَاجُمِ، السَّابِقَةِ. وَوَرَدَ بِاسْمِ (تَأْوِيلَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ) فِي كَشَفِ الظُّنُونِ ص ٣٣٥ وَنَقَلَ فِيهِ حَاجِي خَلِيفَةُ وَصَفَ الْقُرْشِيَّ لَهُ فِي الْجَوَاهِرِ الْمُضِيَّةِ. وَذَكَرَهُ الْبَغْدَادِيُّ فِي هَدْيَةِ الْعَارِفِينَ بِاسْمِ (تَأْوِيلَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ). وَقَالَ الزَّرْكَلِيُّ فِي الْأَعْلَامِ: (لَهُ تَأْوِيلَاتُ الْقُرْآنِ، وَهُوَ مَخْطُوطٌ، وَلَهُ تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ طَبَعَ الْجُزْءَ الْأَوَّلَ مِنْهُ). وَذَكَرَ عُمَرُ رَضًا كَحَالَةَ أَنْ لَهُ: (تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَتَأْوِيلَاتُ الْقُرْآنِ). وَيَلَاظُ أَنْ الزَّرْكَلِيَّ وَكَحَالَةَ اعْتَبَرَاهُ كِتَابَيْنِ، وَالصَّوَابُ أَنَّهَا كِتَابٌ وَاحِدٌ بِاسْمَيْنِ، بِدَلَالَةِ أَنْ حَاجِي خَلِيفَةُ ذَكَرَهُ بِاسْمِ (تَأْوِيلَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ) وَنَقَلَ وَصَفَهُ عَنِ الْقُرْشِيِّ فِي الْجَوَاهِرِ الْمُضِيَّةِ الَّذِي ذَكَرَهُ بِاسْمِ (تَأْوِيلَاتِ الْقُرْآنِ).

وَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنَ الْكِتَابِ مَطْبُوعٌ بِاسْمِ (تَأْوِيلَاتِ أَهْلِ السُّنَّةِ) بِتَحْقِيقِ د. إِبْرَاهِيمَ عَوْضِينَ وَالسَّيِّدَ عَوْضِينَ، وَقَالَا فِي الْمُقَدِّمَةِ: إِنَّهُ يُسَمَّى (تَأْوِيلَاتِ الْقُرْآنِ)، طَبَعَهُ الْمَجْلِسُ الْأَعْلَى لِلشُّوْنِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ سَنَةَ ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م. فَكِتَابُ (تَأْوِيلَاتِ الْقُرْآنِ) هُوَ (تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ).

(٣) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ السَّابِقِ، وَذَكَرَ الْقُرْشِيُّ فِي الْجَوَاهِرِ الْمُضِيَّةِ أَوَّلَهُ إِلَى قَوْلِهِ: ذَلِكَ الْفَنُ.

(٤) الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ وَذَكَرَ أَنَّهُ مَطْبُوعٌ، وَمُعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ، السَّابِقَانِ. قَالَ أَبُو زُهْرَةَ فِي تَارِيخِ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٧٨: (وَلَكِنْ بِالتَّحْقِيقِ الْعِلْمِيِّ ثَبَتَ أَنَّ ذَلِكَ الشَّرْحَ لِأَبِي اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيِّ الْفَقِيهِ الْحَنْفِيِّ الْمَعْرُوفِ).

للكعبي<sup>(١)</sup>. وكتاب رد كتاب الكعبي في وعيد الفساق<sup>(٢)</sup>. وكتاب رد الأصول الخمسة لأبي عمر الباهلي<sup>(٣)</sup>. وكتاب رد كتاب الإمامة لبعض الروافض<sup>(٤)</sup>. وكتاب الرد على أصول القرامطة<sup>(٥)</sup>. وكتاب الرد على فروع القرامطة<sup>(٦)</sup>. وكتاب مآخذ الشرائع في أصول الفقه<sup>(٧)</sup>. وكتاب الجدال في أصول الفقه<sup>(٨)</sup>. وكتاب الدرر في أصول الدين<sup>(٩)</sup>. وكتاب عقيدة المأثريديّة<sup>(١٠)</sup>.

قال النسفي: (ومن رأى تصانيفه... ووقف على بعض ما فيها من الدقائق وغرائب المعاني وإثارة الدلائل عن مكانها واستنباطها عن مظانها ومعادنها، واطلع على ما راعى من شرائط الإلزام والالتزام، وحافظ من آداب المجادلة الموضوعية لفسخ عقائد المغترين بأفهامهم، وقرن بكل مسألة من البرهان الموضوع لإفادة تلج الصدور

(١) تبصرة الأدلة السابق، وتاج التراجم ص ٢٥٠ وكشف الظنون ص ٥١٨ وهديّة العارفين ص ٣٦.

(٢) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، السابقان.

(٣) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، والفوائد البهيّة وفيه: لأبي محمد الباهلي.

(٤) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، والفوائد البهيّة، السابقة.

(٥) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، السابقان. وورد في الفوائد البهيّة والأعلام للزركلي باسم: الرد على القرامطة.

(٦) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، السابقان.

(٧) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، والأعلام للزركلي، ومُعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ، السابقة، وكشف الظنون ص ١٥٧٣ وهديّة العارفين ص ٣٧. وورد في الفوائد البهيّة والفكر السامي باسم: مآخذ الشرائع في الفقه.

(٨) تبصرة الأدلة، وتاج التراجم، والفوائد البهيّة، والفكر السامي، السابقة، وكشف الظنون ص ١٤٠٨. وورد في هديّة العارفين والأعلام للزركلي باسم: الجدال.

(٩) كشف الظنون ص ٧٥١ وهديّة العارفين السابق.

(١٠) هديّة العارفين السابق.

وَبَرَدَ الْيَقِينَ، لَعَرَفَ أَنَّهُ الْمَخْصُوصُ بِكَرَامَاتٍ وَمَوَاهِبٍ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، الْمُؤَيَّدُ بِمَوَادِّ التَّوْفِيقِ وَلَطَائِفِ الْإِرْشَادِ وَالتَّسْدِيدِ مِنَ الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ، وَأَنَّ مَا اجْتَمَعَ عِنْدَهُ وَحْدَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ الْمِلِّيَّةِ وَالْحِكْمِيَّةِ لَنْ يَجْتَمَعَ فِي الْعَادَاتِ الْجَارِيَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُبَرِّزِينَ (المَحْصُلِينَ) <sup>(١)</sup>.

### ثَنَاءُ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِ:

نُعِتَ الْمَاتَرِيدِيُّ بِأَجَلِّ الْأَوْصَافِ وَأَعْلَاهَا.

قَالَ النَّسَفِيُّ: هُوَ الَّذِي غَاصَ فِي بَحُورِ الْعُلُومِ فَاسْتَخْرَجَ دُرَرَهَا، وَأَتَى حُجْجَ الدِّينِ، فَزَيَّنَ بِفَصَاحَتِهِ وَغَزَارَةِ عُلُومِهِ وَجُودَةِ قَرِيحَتِهِ غُرَرَهَا، حَتَّى أَمَرَ الشَّيْخُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَكِيمُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ حِينَ تَوَفَّى: (هَذَا قَبْرُ مَنْ حَازَ الْعُلُومَ بِأَنْفَاسِهِ، وَاسْتَنْفَدَ الْوَسْعَ فِي نَشْرِهِ وَإِقْبَاسِهِ، فَحُمِدَتْ فِي الدِّينِ آثَارُهُ، وَاجْتَنَى مِنْ عُمُرِهِ ثَمَارَهُ) <sup>(٢)</sup>. ثُمَّ قَالَ النَّسَفِيُّ: وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُ بُلْغَاءِ الْكِتَابِ فِي وَصْفِهِ: كَانَ مِنْ كِبَرَاءِ الْأُئِمَّةِ، وَأَوْتَادِ الْمِلَّةِ <sup>(٣)</sup>.

### (١) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٣٥٩.

وَقَالَ ابْنُ الْبَيْضَانِيِّ فِي إِشَارَاتِ الْمَرَامِ: (وَحَقَّقَ الْمَاتَرِيدِيُّ تِلْكَ الْأَصُولَ فِي كِتَابِهِ بِقَوَاعِدِ الْأَدِلَّةِ، وَأَتَقَنَ التَّفَارِيعَ بِلَوَامِعِ الْبَرَاهِينِ الْيَقِينِيَّةِ). / إِشَارَاتُ الْمَرَامِ ص ٢٣.

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ زَاهِدُ الْكُوْثَرِيِّ فِي تَقْدِيمِهِ لِكِتَابِ (إِشَارَاتِ الْمَرَامِ): (وَكَانَتْ بِلَادُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ سَلِيمَةً مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْبَدْعِ، لِسُلْطَانِ السُّنَّةِ عَلَى النُّفُوسِ هُنَاكَ مِنْ غَيْرِ مَنَازِعٍ، بِتَنَاقُلِ تِلْكَ الْأَثَارِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، إِلَى أَنْ جَاءَ إِمَامُ السُّنَّةِ فِيهَا وَرَاءَ النَّهْرِ أَبُو مَنْصُورُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَاتَرِيدِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِإِمَامِ الْهَدْيِ، فَتَفَرَّغَ لِتَحْقِيقِ مَسَائِلِهَا وَتَدْقِيقِ دَلَالَتِهَا، فَأَرْضَى بِمَوْلَفَاتِهِ جَانِبِي الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ فِي آيٍ وَاحِدَةٍ). / إِشَارَاتُ الْمَرَامِ - مُقَدِّمَةُ الْكُوْثَرِيِّ ص ٦ وَتَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ١٧٨ نَقْلًا عَنْ إِشَارَاتِ الْمَرَامِ وَمُقَدِّمَتِهِ.

### (٢) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٣٥٨.

### (٣) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٣٥٩.

وُنِعِتَ أَيضاً بِأَنَّهُ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ<sup>(١)</sup>، وَإِمَامِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَمُصَحِّحِ عَقَائِدِ الْمُسْلِمِينَ<sup>(٢)</sup>.

وكان إماماً جليلاً مناضلاً عن الدين، موطداً لعقائد أهل السنة، قطع المعتزلة وذوي البدع في مناظراتهم، وخصمهم في محاوراتهم حتى أسكتهم، فهو ناصر السنة، وقامع البدعة، ومُحيي الشريعة.

قال الزبيدي: ووجدت في كلام بعض الأجلاء من شيوخ الطريقة: أنه كان مهدياً هُذِهِ الْأُمَّةُ فِي وَقْتِهِ<sup>(٣)</sup>.

وفاته:

توفي سنة ٣٣٣هـ<sup>(٤)</sup> = ٩٤٤م، بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل<sup>(٥)</sup>، وقبره بِسَمَرْقَنْدِ<sup>(٦)</sup>.

(١) الجواهر المضية ج ٣ ص ٣٦٠.

(٢) الفوائد البهية ص ٣١٩. وفي الفكر السامي ج ٢ ص ١٠٨: إمام المتكلمين. وفي الأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٩: من أئمة علماء الكلام.

(٣) إتحاف السادة ج ٢ ص ٥.

(٤) الجواهر المضية ج ٣ ص ٣٦١ وتاج التراجم ص ٢٥٠ والفوائد البهية ص ٣٢٠ وكشف الظنون ص ٢٦٢ و٣٣٥ و٥١٨ و١٤٠٨ و١٥٧٣ و١٧٨٢ وهديّة العارفين ص ٣٦ والفكر السامي ص ١٠٩ والأعلام للزركلي ج ٧ ص ١٩ ومُعْجَمُ الْمُؤَلَّفِينَ ج ٣ ص ٦٩٢ والتاريخ الميلاديّ منها.

لكن ورد في كشف الظنون ص ١٤٠٦ أن وفاته سنة ٣٣٢هـ اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وهو خطأ، ولعله خطأ مطبعي.

(٥) تبصرة الأدلة ج ١ ص ٣٦٠ والجواهر المضية السابق.

(٦) الجواهر المضية للقرشي السابق، ثم قال القرشي بعدها: كذا وجدته بخط شيخنا أبي الحسن عليّ الحنفي، ورأيت بخط شيخنا قُطْبُ الدِّين عبد الكريم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

### مَذْهَبُ الْمَاتَرِيدِيِّ مَذْهَبُ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ

الْمَاتَرِيدِيَّةُ أَخَذُوا مَذْهَبَهُمْ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(١)</sup>. قَالَ ابْنُ الْبَيْاضِيِّ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَاتَرِيدِيَّةِ: وَلَيْسَ الْمَاتَرِيدِيُّ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَشْعَرِيِّ لَكُونَهُ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَمَا ظَنَّ، لِأَنَّ الْمَاتَرِيدِيَّ مُفْصَّلٌ لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ الْمُظْهِرِينَ قَبْلَ الْأَشْعَرِيِّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ<sup>(٢)</sup>.

وَالْمَاتَرِيدِيُّ بَنَى كِتَابَهُ عَلَى مَسَائِلَ أَخَذَهَا مِنْ نصوص الإمام أبي حنيفة وهي في خمسة كتب: الفقه الأكبر، والرِّسالة، والفقه الأبسط، والعالم والمتعلم، والوصية المنسوبة إلى الإمام، واستفادها منها إمّا من: العبارة، أو الإشارة، أو الدلالة، أو الاقتضاء، أو مفهوم المخالفة<sup>(٣)</sup>.

### أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

إِذَا أُطْلِقَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَالْمُرَادُ بِهِمُ الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَاتَرِيدِيَّةُ. قَالَ الْخِيَالِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى شَرْحِ الْعَقَائِدِ: الْأَشَاعِرَةُ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، هَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ فِي دِيَارِ خُرَّاسَانَ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَأَكْثَرِ الْأَقْطَارِ. وَفِي دِيَارِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ يُطْلَقُ ذَلِكَ عَلَى الْمَاتَرِيدِيَّةِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَبِي مَنْصُورٍ.

وِإِتِّحَافُ السَّادَةِ ج ٢ ص ٥ نَقْلًا عَنِ الْقُرَشِيِّ، وَذَكَرَ الْحَافِظُ قُطُبُ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ الْمُنِيرِ الْحَلَبِيِّ الْحَنْفِيَّ.

وَوُرِدَ (مَاتَ بِسَمَرْقَنْدَ) فِي: تَاجِ التَّرَاجُمِ، وَهَدِيَّةِ الْعَارِفِينَ، وَالْأَعْلَامِ لِلزَّرْكَوَلِيِّ، وَمُعْجَمِ الْمُؤَلِّفِينَ، السَّابِقَةِ.

(١) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٣١٠.

(٢) إِتِّحَافُ السَّادَةِ ج ٢ ص ٥.

(٣) إِتِّحَافُ السَّادَةِ ج ٢ ص ١٣.

وقال الكسطلي في حاشيته عليه: المشهور من أهل السنة في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار هم الأشاعرة أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري أول من خالف أبا علي الجبائي ورجع عن مذهبه إلى السنة أي: طريق النبي ﷺ، والجماعة أي: طريقة الصحابة رضي الله عنهم. وفي ديار ما وراء النهر الماتريدية أصحاب أبي منصور الماتريدي تلميذ أبي نصر العياضي تلميذ أبي بكر الجوزجاني صاحب أبي سليمان الجوزجاني صاحب محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام أبي حنيفة<sup>(١)</sup>.

وأضاف السفاريني إليهم: الأثرية، وإمامهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه<sup>(٢)</sup>.

### الخلافا بين الأشاعرة والماتريدية

بين الطائفتين اختلاف في بعض الأصول كمسألة التكوين، ومسألة الاستثناء في الإيمان، ومسألة إيمان المقلد.

والمحققون من الفريقين لا ينسب أحدهما الآخر إلى البدعة والضلالة<sup>(٣)</sup>.

وذهب التقي السبكي إلى أن الاختلاف بين الفريقين هو في ثلاث مسائل فيما استنبطه من عقيدة أبي جعفر الطحاوي.

وزاد ولده التاج ثلاثة أخرى استخرجها من كتاب الماتريدية.

(١) إتحاف السادة ج ٢ ص ٦. وانظر ذلك أيضاً في: حاشية الخيالي أحمد بن موسى، المتوفى سنة ٨٦٠هـ على شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ٢١. وحاشية الكسطلي مصلح الدين مصطفى، المتوفى سنة ٩٠١هـ على شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٧.

(٢) لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٧٣. ووردت في الهامش ردود مفادها أن أهل السنة والجماعة هم الأثرية فقط.

(٣) إتحاف السادة السابق، والروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية لابن أبي عذبة ص ٢٣.

وزاد غيره سبعة أخرى.

وأورد الفاضل عبد الرّحيم بن عليّ الحنفيّ في كتابه نظم الفرائد وجمع الفوائد أربعين مسألة ببراہينها وحججها، وأطال الكلام فيها جداً. وكذا العلامة ملا عليّ القاري في شرح الفقه الأكبر.

وذكر العلامة البياضيّ في كتابه إشارات المرام من عبارات الإمام، خمسين مسألة خلافة في التفاريع الكلامية، مختصرة وجامعة لما تشتت من الأقوال<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ محمد أبو زهرة: (كان كثيرون يعتقدون أن الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية ليس كبيراً، حتى أن الأستاذ الشيخ محمد عبده قرر في تعليقه على العقائد العنصرية أن الخلاف بين الماتريدية والأشاعرة لم يتجاوز عشر مسائل، الخلاف فيها لفظي).

ولكن عند الدراسة العميقة لآراء الماتريدي وآراء الأشعري في آخر ما انتهى إليه، نجد ثمة فرقاً في التفكير وفيما انتهى إليه الإمامان<sup>(٢)</sup>.

وستعرض لبعض تلك الخلافات في ثنايا بحوث العقيدة من هذا الكتاب، عند مقارنة الآراء في المذاهب المختلفة.

(١) إشارات المرام ص ٥٣-٥٦. وانظر: إتحاف السادة ج ٢ ص ١٢-١٣ وسرد المسائل الخمسين. وكتاب نظم الفرائد وجمع الفوائد للعلامة عبد الرّحيم بن عليّ الشهير بشيخ زاده، المتوفى سنة ٩٤٤هـ=١٥٣٧م، مطبوع بمصر سنة ١٣١٧هـ. وألف ابن أبي عذبة حسن بن عبد المحسن، المتوفى بعد سنة ١١٧٢هـ=١٧٥٨م كتابه (الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية)، ذكر في الفصل الأول منه المسائل المختلف فيها اختلافاً لفظياً وعددها سبع مسائل، وفي الفصل الثاني منه ذكر المسائل المختلف فيها اختلافاً معنوياً وعددها سبع مسائل أيضاً.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٧٩.



## آراء الإمام أبي منصور الماتريديّ

من أهم آرائه:

١- في معرفة الله عز وجلّ:

يرى الماتريديّ أن معرفة الله سبحانه يمكن أن يدرك العقل وجوبها، لأن العقل لو خلا من الهوى والتقليد، ونظر في ملكوت السماوات والأرض كما أمر الله تعالى في الآيات الكثيرة، لوصل إلى الإيمان بالله عز وجلّ.

فالماتريديّ يرى أن العقل يمكن أن يستقل بمعرفة الله تعالى، إلا أنه يرى أنه لا يستقل بمعرفة الأحكام التكليفية، وهذا رأي الإمام أبي حنيفة.

أما المعتزلة فيرون أن معرفة الله تعالى يمكن أن يدرك العقل وجوبها، ولكن الوجوب لا يكون ممن يملك الإيجاب وهو الله تعالى.

والأشاعرة يرون أن معرفة الله واجبة بالشرع<sup>(١)</sup>.

٢- أثبت الماتريديّ صفات المعاني لله تعالى، وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام، والحياة. لكنه قال: إنها ليست شيئاً غير الذات، فهي ليست صفات قائمة بذاتها، ولا منفكة عن الذات، فليس لها كينونة مستقلة عن الذات.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٧٩-١٨٢.

قال الشيخ عليّ القاري في شرح الفقه الأكبر ص ٢٣٧-٢٣٨: (فالصبي العاقل عند الماتريديّ وكثير من مشايخ العراق تجب عليه معرفة الله تعالى، لعموم قوله ﷺ: رفع القلم عن ثلاث: الصبي حتى يبلغ، أي: يحتلم... وعند الأشاعرة لا تجب عليه معرفة الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ - الإسراء ١٥. وثمرة الخلاف تظهر في حق من لم تبلغه الدعوة أصلاً بأن نشأ ولم يسمع رسولاً، ومات ولم يؤمن بالله، فإنه يُعَذَّب عند الماتريديّة ولا يُعَذَّب عند الأشاعرة. وكذا من مات في أيام الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ ولم يؤمن بالله). وانظر: الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريديّة ص ٩٧.

فالماتريدي يقرر أن الصفات ليست شيئاً مغايراً للذات، وبهذا يكاد يتفق مع المُعْتَرِلة القائلين بأنه لا شيء غير الذات<sup>(١)</sup>.

٣- النصوص الواردة في القرآن الكريم والأخبار المشتملة على الأوصاف الخبرية الموهمة للتشبيه، التي تذكر أن الله سبحانه وجهاً ويداً وعيناً... إلخ، وقف منها الماتريدي موقف التأويل.

ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ - الأعراف ٥٤، قال: يحتمل أن يكون قصد إليه وخلقه سوياً مُستقيماً مستقراً.

وفسر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ - ق ١٦، بأنه إشارة إلى سُلْطانه وكمال قدرته.

وبذلك يوافق المُعْتَرِلة، وكذلك يوافق الأشاعرة القائلين بالتأويل<sup>(٢)</sup>.

٤- الله تعالى مُنَزَّه عن العبث، وأفعاله سبحانه تكون على مُقتضى الحكمة، لأنه الحَكِيم العَلِيم كما وصف نفسه.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٧.

سيأتي في بحث (النصوص الموهمة للمشابهة): أن القول بالتوقف في الاستواء هو قول الماتريدي في كتابه التوحيد ص ٧٤ وذكره مُحَقِّقُهُ في مُقَدِّمته ص ٤١، وذهب إليه الغزنوي من الماتريدي في كتابه أصول الدين ص ٧٥ بقوله: (استواؤه على العرش حقٌ وصدقٌ، ونحن نؤمن ونعتقد على الوجه الذي أَرَادَهُ ولا نشتغل بكيفيته).

والذي يبدو أن للماتريدي قولين في ذلك، ذكرهما اللامشي في التمهيد ص ٦٤ حيث قال: (إن بعض مشايخنا قالوا بالإيمان بها - المتشابهات - وبترك الاشتغال بتأويلها، وبعضهم قالوا نحمل ذلك على ما لا يؤدي إلى التناقض في حجج الله تعالى. ووجه ذلك: أن الاستواء قد يُذكر ويُراد به الاستقرار، وقد يُذكر ويُراد به الاستيلاء، فيُحمل على الاستيلاء دفعاً للتناقض).

ومعنى الاستيلاء في: بحر الكلام ص ٥٠ واستدل بقول الشاعر:

قد استوى بِشْرٌ على العِراق...، يعني: استولى.

والله سُبْحَانَهُ في أفعاله قصد هذه الحكمة، وَلَكِنَّه قصدُها غير مُجْبَرٍ عليها، لأنه مُخْتَارٌ وفَعَّالٌ لما يريد، فلا يقال: إنه يجب عليه فعل الصَّلاح أو الأَصْلَح، لأن الوجوب ينافي الإرادة، ويستلزم أن غيره حقاً عليه، والله سُبْحَانَهُ لا يُسْأَلُ عما يَفْعَلُ، والوجوب عليه يقتضي أن يُسْأَلَ عما يَفْعَلُ<sup>(١)</sup>.

٥- القبح ثابتٌ بالعقل، أما العقاب فمتوقف على الشرع.

وقول الماتريدية هذا حكوه عن أبي حنيفة، وبه قال سعد بن علي الزنجاني الشافعي من الأشاعرة، وأبو الخطّاب من الحنابلة<sup>(٢)</sup>.

ورجّحه عبد الوهاب خلاف وقال: هو مذهب وسط معتدل<sup>(٣)</sup>.

فالماتريدية يرون أن للأشياء حسناً ذاتياً وقُبْحاً ذاتياً، والعقل يستطيع أن يدرك حُسْنَ بعض الأشياء وقُبْحَها، لكن العقل لا يمكن أن يستقل بالتكليف الديني قط، إذ الحاكم في التكليف الديني هو الله سُبْحَانَهُ<sup>(٤)</sup>، لأن العقول مهما نضجت قد تُخْطِئُ، فلا تلازم بين أحكام الله وما تدركه العقول<sup>(٥)</sup>.

وذلك: لأن منهج الماتريدي يتميز بأن للعقل سلطاناً كبيراً فيه من غير إسراف، فهو لا يصل إلى الدرجة التي اعتمدها المعتزلة.

فالإمام الماتريدي يرى أن العقل مصدر من مصادر المعرفة، لكنه يخشى عليه

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٣. وذكر القول شلبي في تعليل الأحكام ص ٩٧ وقال: هو أعدل الأقوال وأبعدها عن المغالاة. وانظر: نظم الفرائد وجمع الفوائد للعلامة عبد الرّحيم بن علي الشهير بشيخ زاده ص ٣١.

(٢) تشنيف المسامع ج ١ ص ٤٦ وسمى الماتريدية بالحنفية. ونقله عواد المعتق في المعتزلة ص ١٦٧ عن مدارج السالكين لابن القيم ج ١ ص ٢٣١.

(٣) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٩٩.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٢.

(٥) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف السابق.

من الزلل، فاتخذ الوقاية من الزلل بالاعتماد على المَنْقُول بجوار المَعْقُول قال: (من أنكر ذَلِكَ - أي: الاحتياط بالنقل - وأراد اكتناه ما استتر عن العقل وقصد الإحاطة بجميع حكمة الربوبية بعقله الناقص المحدود بدون إشارة منه - أي: الرَّسُول - فهو يظلم العقل، ويحمله ما لا يحتمله).

ونتيجة هذا القول هي: أنه يأخذ بحكم العقل فيما لا يخالف الشرع، فإن خالف الشرع فلا بد من الخضوع لحكم الشرع.

ومن هنا كان يرى أن مصدر طلب علم العقائد هو النقل والعقل معاً. لذلك: كانت آراؤه بين الْمُعْتَزَلَةِ وَالْأَشَاعِرَةِ<sup>(١)</sup>.

٦- أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، لأن الله تعالى خالق الأشياء كلها، قال سُبْحَانَهُ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ - الصافات ٩٦<sup>(٢)</sup> وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ - الزمر ٦٢.

ورأى الماتريدي كالأشعري: أن العبد له الكسب، وهو مُخْتَار فيه، وبهذا الكسب يكون الثواب والعقاب.

لكن الكسب عند الماتريدي يكون بقدرة أودعها الله تعالى العبد، فالعبد عنده يستطيع أن يكسب الفعل بقدرة مخلوقة فيه، ويستطيع أن لا يكسبه بهذه القدرة، فهو حر مُخْتَار في هذا الكسب، إن شاء فعل واقرن بالفعل الذي هو مخلوق لله تعالى، وإن شاء ترك، وبذلك يكون العقاب.

فالماتريدي توسط بين الْمُعْتَزَلَةِ وَالْأَشَاعِرَةِ.

فالمُعْتَزَلَةُ قرروا أن خلق الفعل بقدرة أودعها الله تعالى العبد.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٧٩-١٨١ ونقل عن الكوثري قوله: (إن الأشاعرة بين الْمُعْتَزَلَةِ وَالْمُحَدِّثِينَ، والماتريديين بين الْمُعْتَزَلَةِ وَالْأَشَاعِرَةِ). وانظر: مناهج الاجتهاد في الإسلام ص ٥٠٥.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٤.

والأشاعرة قرروا أن لا قدرة للعبد في الفعل، ولكن له الكسب، والكسب لا يكون إلا بالاقتران لا بتأثير من العبد.

والماتريديّ قرر أن الكسب بقدرة العبد وتأثيره<sup>(١)</sup>.

٧- الإيمان هو التصديق بالقلب فقط.

وقول أبي منصور الماتريديّ هذا هو مروي عن الإمام أبي حنيفة، وهو المشهور من مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري<sup>(٢)</sup>. وقد تقدم في آراء الأشعريّ.

وبناءً على قول الماتريديّة والأشاعرة بأن العمل ليس جزءاً من الإيمان، فإنهم يرون أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من دائرة الإيمان، وإن كان له حساب وعقاب، وقد يتغمده الله برحمته.

وقد نصّ الماتريديّ على أن: (الحق في أصحاب الذنوب من المؤمنين تفويض أمرهم إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنهم فضلاً منه وإحساناً ورحمة، وإن شاء عذبهم بقدر ذنبهم، فلا يخلدّون في النار، فيكون أهل الإيمان بين الرجاء والخوف، فيجوز له تعالى العقاب على الصغيرة والعفو عن الكبيرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ - النساء ٤٨)<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية السابق. وانظر: التوحيد للماتريديّ ص ٤١ وأصول الدين للغزنويّ ص ١٦٦ و ٢٩٧.

(٢) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧٩٩ والتمهيد للأمشي ص ١٢٨ والكليات للكفويّ ص ٢١٣. وقد نصّ الماتريديّ على هذا القول في كتابه التوحيد ص ٣٧٣ وانظر مقدّمته ص ٤٦. وانظر مصادر أخرى ذكرتها في بحثي: مفهوم الإيمان عند الفرق الإسلامية ص ٣٠.

وذهب بعض الماتريديّة إلى أن الإيمان هو تصديق بالقلب وإقرار باللسان دون غيرها من الجوارح. / انظر: بحثي مفهوم الإيمان السابق ص ٢٧ وفيه مصادره.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٨-١٨٩.

## السلفية

السلف في أصل اللغة: سلف يسلف سُلُوفاً: مضى وانقضى.

وسلف وسلاف: جمع مفرد سالف، مثل: خدام وخدام: جمع مفرد خادم. ثم جمع السلف على أسلاف، مثل: سبب وأسباب<sup>(١)</sup>.

والسلف: كل من تقدمك من آبائك وقربائك<sup>(٢)</sup>. ومنه قوله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: (... ولا أراني إلا قد حصر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك)<sup>(٣)</sup>.

والسلف في الاصطلاح هم: الصحابة، والتابعون، وأتباع التابعين<sup>(٤)</sup>.

وهذا مأخوذ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...) <sup>(٥)</sup>.

(١) المصباح المنير مادة (سلف) ص ٢٨٥. وفي القاموس المحيط مادة (سلف) ص ١٠٦٠: (السلف: جمعه: سلاف وأسلاف).

فسلاف: قد يكون جمعاً لسالف أو لسلف.

(٢) القاموس المحيط السابق.

(٣) حديث: ولا أراني إلا قد حصر أجلي... إلخ، في: صحيح مسلم في: ٤٤ كتاب فضائل الصحابة، ١٥ باب فضائل فاطمة، رقم ٢٤٥٠، عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) شرح الجوهرة للصاوي ص ٤٣٠ وشرح الجوهرة للباجوري ص ٣٤٣ والسراج الوهاج لصديق حسن خان ج ١٠ ص ١٢. وانظر أيضاً: لوائح الأنوار البهية ج ١ ص ٢٠.

(٥) حديث: خير الناس قرني... إلخ. بهذا اللفظ، في: صحيح البخاري في: ٥٢ كتاب الشهادات، ٩ باب لا يشهد على شهادة جور، رقم ٢٦٥٢، عن عبد الله بن مسعود. وللحديث ألفاظ وطرق عديدة عن عمران بن الحصين وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما في: ٥٢ كتاب

فالنَّوَوِيُّ بعد أن ذكر أقوالاً عديدة في تحديد القرن قال: والصَّحِيحُ أن قرَّنه ﷺ الصَّحَابَةُ، والثاني التابعون، والثالث: تابعوهم<sup>(١)</sup>.

وذهب الجُمَّهُورُ إلى أن فضيلة الصَّحْبَةِ لا يَعْدِلُهَا عَمَلٌ، لمشاهدة رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وأما من اتفق له الذَّبُّ عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة وضبط الشرع المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده فإنه لا يَعْدِلُ أَحَدٌ مَنْ يَأْتِي بعده، لأنه ما من خَصْلَةٍ من الخصال المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر من عَمِلَ بها من بعده، فظهر فضلهم<sup>(٢)</sup>.

وترى كل فِرْقَةٍ من الفِرَقِ الإسلامية عموماً أن آراءها تنتمي إلى رِجالِ السَّلَفِ الصالح.

لَكِنِ السَّلَفِيُّينَ اتَّخَذُوا مِنْ اسْمِ (السَّلَفِ) عَلَماً لَهُمْ، وَهُمْ مِنَ الْحَنَابِلَةِ، ظَهَرُوا فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ، وَتَكَلَّمُوا فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّأْوِيلِ وَالتَّشْبِيهِ.

وَأَرَأَوْهُمْ كَمَا يَقُولُونَ تَنْتَهَى إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي أَحْيَا عَقِيدَةَ

---

الشهادات، و٦٢ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، و٨١ كتاب الرِّقَاق، و٨٣ كتاب الأيمان والنذور، وأرقام أَحَادِيثِهَا هي: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَقْم ٢٦٥١ و٣٦٥٠ و٦٤٢٨ و٦٦٩٥ وعن عبد الله بن مَسْعُودٍ رَقْم ٣٦٥١ و٦٤٢٩ و٦٦٥٨.

وَالْحَدِيثُ فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٤٤ كتاب فضائل الصَّحَابَةِ مِنْ طُرُق: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَقْم ٢٥٣٥، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَقْم ٢٥٣٣، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَقْم ٢٥٣٤، وَعَائِشَةَ رَقْم ٢٥٣٦.

وَفِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ص ٢٤٦: رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ خَرَّابٍ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ.

(١) شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ (الْمِنْهَاجِ) ص ١٨٢٠. وَانْظُرْ: فَتْحُ الْبَارِي ج ٧ ص ٨ وَإِرْشَادُ السَّارِي ج ٤ ص ٣٨٤ وَج ٦ ص ٨٠ و٨١.

(٢) فَتْحُ الْبَارِي ج ٧ ص ٩.

السلف، وذاد عنها<sup>(١)</sup>.

وكانت آراء بعضهم كالقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الحنبلي البغدادي، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ، وابن الزاغوني علي بن عبيد الله الحنبلي، المتوفى سنة ٥٢٧ هـ، مثار انتقاد شديد من الحنابلة أنفسهم، وأنكروا نسبتها إلى الإمام أحمد.

فابن الجوزي عبد الرحمن بن علي البكري الحنبلي، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ، ألف كتاب (دفع شبه التشبيه) رد فيه تلك الآراء، وقال بعض فقهاء الحنابلة: (لقد شان أبو يعلى الحنابلة شيئاً لا يغسله ماء البحار). وقال بعضهم: (لابن الزاغوني في كتاب الإيضاح من غرائب التشبيه ما يحار فيه النبيه).

وأدى استنكار هؤلاء الحنابلة وأمثالهم تلك الآراء إلى استتارها في القرنين الخامس والسادس<sup>(٢)</sup>.

ثم تجدد ظهور هذا المذهب على يد شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ، وتلميذه ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٥١ هـ.

ثم تجدد أخيراً في الجزيرة العربية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ.

وما زال الوهابيون يتحمسون لآرائهم، ووافقهم بها بعض علماء المسلمين من أرجاء البلاد الإسلامية<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٠.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٧. وانظر من هذا الكلام ونحوه في كتاب ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه بألف التنزيه ص ١٤ وما بعدها.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٠.



### آراء السلفية

١ - يرى السلفيون أن العقائد وأدلتها والأحكام وما يتصل بها إجمالاً وتفصيلاً لا تؤخذ إلا من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وليس للعقل سلطان في تأويل القرآن الكريم وتفسيره إلا بالقدر الذي تؤدي إليه العبارات، وما تضافرت عليه الأخبار.

وسُلطان العقل بعد ذلك هو في التصديق والإذعان، وبَيان تَقَرُّبِ المَنقُول من المَعقُول وعدم المنافرة بينهما.

فالعقل مقرر ومؤيد للنصوص لا ناقض ولا رافض، وسائر وراء النقل يُقوِّيه، ولا يستقل بالاستدلال، وذلك لأن العقل يضل.

أما الأساليب العقلية التي اتخذها الفلاسفة والمتكلمون كالمُعْتَزَلَة والأشاعرة والماتريدية، التي خالطتها المناهج الفلسفية ومنطق اليونان، فلم تكن معروفة عند الصحابة والتابعين. لأن القول بأنها أساليب ضرورية لفهم العقائد يؤدي إلى أن الرسول ﷺ والسلف لم يكونوا يفهمون العقائد على وجهها ولا يدركون أدلتها، وهذا باطل.

وهذا ما بينه ابن تيمية الذي ضبط منهاجهم<sup>(١)</sup>.

٢ - قسموا التوحيد كما ذكر ابن تيمية إلى ثلاثة أنواع هي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

النوع الأول: توحيد الربوبية (وحدانية التكوين):

ومعناه: الإقرار بأن الله تعالى خالق كل شيء وربُّه<sup>(٢)</sup>، فيُقرُّ العبد أنه لا خالق ولا

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٢. وانظر: مناهج الاجتهاد في الإسلام ص ٥٠٨ وموقف ابن تيمية من الأشاعرة ج ١ ص ٥٤ و ٦٩.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ٥٠. وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ج ٣ ص ٩٧٤.

رازق ولا معطي ولا مانع إلا الله وحده<sup>(١)</sup>.

بدليل:

- قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ - لقمان ٢٥ والزمر ٣٨.

- وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٤ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٨٥ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ٨٦ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْفِوُكَ﴾ ٨٧ ﴿قُلْ مَن يَدْعُو مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٨٨ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ﴾ ٨٩ ﴿- الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

- وقوله ﷺ: اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد<sup>(٣)</sup>.

وهذا النوع من التوحيد أقر به جميع الكفار المشركين، فهم مقررون بالرب الحق الذي ليس له مثل في: ذاته، وصفاته، وجميع أفعاله، ولكنهم مع هذا مشركون به في

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٤ ص ٣٧٩.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ٥١.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٤ ص ٣٧٦.

وحدوث: اللهم لا مانع لما أعطيت... إلخ، في: صحيح البخاري في: ١٠ كتاب الأذان، ١٥٥ باب الذكر بعد الصلاة، رقم ٨٤٤، عن المغيرة بن شعبة بهذا اللفظ. وورد بهذا اللفظ أيضاً في صحيح البخاري في: ٨٠ كتاب الدعوات، ١٨ باب الدعاء بعد الصلاة، رقم ٦٣٣٠ و ٨٢ كتاب القدر، ١٢ باب لا مانع لما أعطى الله، رقم ٦٦١٥ و ٩٦ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ٣ باب ما يكره من كثرة السؤال، رقم ٧٢٩٢.

وهو بهذا اللفظ أيضاً في صحيح مسلم في: ٥ كتاب المساجد، ٢٦ باب استحباب الذكر بعد الصلاة، رقم ٥٩٣، عن المغيرة بن شعبة.

ألوهيته، بأن يعبدوا معه آلهة أخرى، يتخذونها شفعاء أو شركاء<sup>(١)</sup>. وهذا لا يختلف فيه أحد من المسلمين أيضاً.

وتوحيد الربوبية الذي أقرّ به الخلق، وقرره أهل الكلام، لا يكفي وحده، بل لا بد من توحيد الألوهية، وهو حق الله على عباده، بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً كما ورد في الحديث الصحيح<sup>(٢)</sup>.

ورأى ابن تيمية بعد ذلك: أن أفعال العبد تُنسب إليه لقدرة فيه، وتُنسب إلى الله تعالى باعتبار أن الله خلق هذه القدرة فهو مسبب الأسباب<sup>(٣)</sup>.

وبذلك يلتقي ابن تيمية مع المعتزلة إلى حد كبير، لكنه يختلف عنهم في أمرين:

أولهما: يرى المعتزلة أن هناك تلازماً بين أمر الله تعالى وإرادته، فالله تعالى لا يأمر بشيء إلا إذا كان يريده، ولا ينهى عن شيء إلا إذا كان لا يريده، فالله سبحانه لا يريد المعاصي ولذلك لا يأمر بها.

أما ابن تيمية فيرى أن لا تلازم بين أمر الله تعالى وإرادته، فالله تعالى يريد الطاعات ويأمر بها، ولا يريد معاصي البشر وينهى عنها<sup>(٤)</sup>.

الأمر الثاني: يفرق ابن تيمية بين الرضا والمحبة وبين الإرادة، فالله تعالى لا يحب المعاصي ولا يرضاها، ولكنه يريدها.

وذكر ابن تيمية بأن هذا هو قول جمهور أهل السنة وكثير من أصحاب الأشعرية،

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ٥٠-٥١.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١ ص ٢٣.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٢.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٣.

وهو قول السلف قاطبة<sup>(١)</sup>.

وقول ابن تيمية في أن الله تعالى خلق في العبد قدرة يكون بها التأثير في الأشياء، قريب من مذهب الماتريدي، لكن ابن تيمية يرى أن التأثير في الأشياء يكون بفعلها. أما الماتريدي فيرى أن التأثير في الأفعال الذي يكون بهذه القوة المودعة، لا يتجاوز التأثير في الكسب للفعل<sup>(٢)</sup>.

تعليل أفعال الله تعالى: أي: هل أن الله تعالى فعل ما فعل، وخلق ما خلق، لغير باعث؟

تقدم فيما سبق:

- قول الأشاعرة وهو أن الله تعالى خلق الأشياء لا لعلّة ولا لباعث، لأن في ذلك تقييد لإرادة الله تعالى، وهو سبحانه لا يسأل عما يفعل.

وقول المعتزلة وهو أن الله تعالى في أفعاله وأوامره ونواهيه لا يفعل إلاّ الحسن ولا يأمر إلاّ بالحسن، ويجتنب القبيح ولا يأمر بالقبيح. وهذان القولان رفضهما ابن تيمية.

- وقول الماتريديّة أن الله سبحانه خلق الخلق، وأمر بالمأمورات، ونهى عن المنهيات، لحكمة محمودة، وهذه الحكمة ليست أمراً ملزماً له تعالى، لكنها لبيان خلق الله تعالى.

وهذا القول هو الذي ارتضاه ابن تيمية وذكر أنه قول السلف، وبه قالت طوائف

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية السابق، وأشار إلى: منهاج السنة ج ١ ص ٢٢٦ ومجموعة الرسائل والمسائل ج ٥ ص ١٠٢.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية السابق.

من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم، وطوائف من علماء الكلام<sup>(١)</sup>.

النوع الثاني: توحيد الألوهية (الوحدانية في العبادة):

والمراد به: عبادة الله تعالى وحده لا شريك له<sup>(٢)</sup>. بدليل:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ - الأنبياء ٢٥.

- وقوله تعالى: ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبُدُونَ﴾ - الزخرف ٤٥.

- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ - النحل ٣٦<sup>(٣)</sup>.

وردَّ العلماء على تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فقالوا بأنها واحد لا فرق بينهما، بدليل:

- قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ - الأعراف ١٧٢، ولم يقل: ألسْتُ بِالْهَكُم؟ فاكْتَفَى مِنْهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَمَنْ أَقَرَّ بِالرُّبُوبِيَّةِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْأُلُوهِيَّةِ، إِذْ لَيْسَ الرَّبُّ غَيْرَ الْإِلَهِ، بَلْ هُوَ الْإِلَهُ بَعِيْنُهُ.

- وقوله ﷺ: (إِنَّ الْمَلَائِكِينَ يَسْأَلَانِ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ، يَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟) ولم

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٣-٢٠٤. وانظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ج ٣ ص ١٣١٠.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ٥٠-٥١ وج ١٤ ص ٣٧٨.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١١ ص ٥٢.

يقول له: مَنْ إِلَهكَ؟ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ هُوَ تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن تَيْمِيَّةَ أَنَّ تَوْحِيدَ الْأُلُوهِيَّةِ يَقْتَضِي أَمْرَيْنِ:

أولهما: أَنْ لَا يَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَمَنْ أَشْرَكَ فِي الْعِبَادَةِ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ شَخْصاً أَوْ شَيْئاً فَقَدْ أَشْرَكَ، وَذَلِكَ:

لأنَّ مُشْرِكِي الْعَرَبِ كَانُوا مُقَرِّرِينَ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ - لقمان ٢٥ والزمر ٣٨، وَمَعَ ذَلِكَ سُمُّوا مُشْرِكِينَ لِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ.

الأمْرُ الثَّانِي: أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِمَا شَرَعَهُ عَلَى أَلْسُنِ رُسُلِهِ.

قال ابن تَيْمِيَّةَ: (والدعاء من جُمْلَةِ الْعِبَادَاتِ، فَمَنْ دَعَا الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْمَوْتَى وَالْغَائِبِينَ وَاسْتَغَاثَ بِهِمْ... كَانَ مُبْتَدِعاً فِي الدِّينِ، مُشْرِكاً بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، مُتَّبِعاً غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ بِالْمَخْلُوقِينَ، أَوْ أَقْسَمَ عَلَيْهِ بِالْمَخْلُوقِينَ كَانَ مُبْتَدِعاً بِدَعَا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)<sup>(٢)</sup>.

(١) الدُّرَرُ السَّيِّئَةُ لِأَحْمَدَ بْنِ زَيْنِي دَحْلَانَ ص ٣٧.

وَحَدِيثُ الْمَلَكَيْنِ فِي: مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ج ٣٠ ص ٤٩٩، أَوَّلُ مُسْنَدِ الْكُوفِيِّينَ مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَقْم ١٨٥٣٤، وَفِيهِ: (... فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامَ...).

قال مُحَقِّقُ الْمُسْنَدِ الشَّيْخُ شُعَيْبُ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. ثُمَّ خَرَّجَهُ مِنْ كُتُبٍ كَثِيرَةٍ.

وَلِلْحَدِيثِ رَوَايَاتٌ أُخْرَى فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ.

(٢) تَارِيخُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ ص ٢٠٥ وَأَشَارَ إِلَى (قَاعِدَةِ جَلِيلَةٍ فِي التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ) لِابْنِ تَيْمِيَّةَ. وَانْظُرْ ذَلِكَ فِي: قَاعِدَةِ جَلِيلَةٍ فِي التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ، فِي: مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى ج ١ ص ٣١١-٣١٢.

وقد بنى ابن تيمية على قوله بتوحيد الألوهية الأمور الآتية:

#### ١ - منع التقرب إلى الله سبحانه بالصالحين والأولياء.

فبعض الصالحين وإن كانوا أصحاب كرامات، فهم عباد مكلفون شرعاً، وتلك الكرامة لا تجعل صاحبها وسيلة يتقرب بها إلى الله تعالى، قال رحمه الله: (يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشترؤا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمّة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سلمي ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً)<sup>(١)</sup>.

#### ٢ - منع الاستغاثة والتوسّل بالموتى وغيرهم.

رأى ابن تيمية أن الاستغاثة لا تكون إلا بالله تعالى، أما الاستغاثة بغير الله تعالى فهي ممنوعة مطلقاً. بدليل:

أن منافقاً كان يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر رضي الله عنه: قوموا نستغث برسول الله

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٦.

وانظر ذلك في: قاعدة جليّة في التوسّل والوسيلة، المتضمنة في الجزء الأول من مجموع الفتاوى من ص ١٤٢-٣٦٨.

وحديث: يا معشر قريش... إلخ بهذا اللفظ في: صحيح البخاري في: ٥٥ كتاب الوصايا، ١١ باب هل يدخل النساء والوكد في الأقارب، رقم ٢٧٥٣، عن أبي هريرة.

والحديث بلفظٍ مقارب في: صحيح البخاري في: ٦١ كتاب المناقب، ١٣ باب من انتسب إلى آباءه في الإسلام والجاهلية، رقم ٣٥٢٧، عن أبي هريرة. و ٦٥ كتاب التفسير، ٢ باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ - الشعراء ٢١٤، رقم ٤٧٧١، عن أبي هريرة.

وهو في صحيح مسلم في: ١ كتاب الإيمان، ٨٧ باب قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ - الشعراء ٢١٤، رقم ٢٠٤، عن أبي هريرة.

ﷺ من هذا المناق. فقال له النَّبِيُّ ﷺ: (إنه لا يُستغاثُ بي، وإنما يُستغاثُ بالله).

ونقل ابن تَيْمِيَّةَ عن أَبِي يَزِيدَ الْبَسْطَامِيِّ قوله: (استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق).

وكذلك لا يتقرب إلى الله تعالى بالأموات، ولا يستغاث بهم. قال ابن تَيْمِيَّةَ: (إننا ليس لنا أن نطلب من الأنبياء والصَّالِحِينَ شيئاً بعد موتهم، وإن كانوا أحياء في قبورهم). وحجته هي:

(أنه لم يفعل ذلك أحد من السَّلف، ولأن ذلك ذَرِيعَةٌ إلى الشرك وعِبَادَتِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

قال: (وهذا بخلاف الطلب من أحدهم في حياته، فإنه لا يُفْضَى إلى الشرك). وكذلك لا يجوز النَّذْرُ للقبور أو لسكان القبور. قال ابن تَيْمِيَّةَ: (ومن اعتقد أن للقبور نفعاً أو ضرراً فهو ضال جاهل).

وقال أيضاً: (إن من يعتقد أن هذه النذور باب الحوائج إلى الله تعالى، وأنها تكشف الضَّرَّ، وتفتح الرزق، وتحفظ المِصْرَ، فهو مُشْرِكٌ يجب قتله)<sup>(١)</sup>.

وردَّ الْعُلَمَاءُ عَلَى ابن تَيْمِيَّةَ، فقالوا:

إِنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هُوَ أَنَّ التَّوَسُّلَ بِجَاهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالصَّالِحِينَ مَشْرُوعٌ جَائِزٌ، لَا فَرْقَ بَيْنَ كَوْنِهِمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا. وَيَتَبَرَّكُ بِهِمْ لَكُونِهِمْ أَحْبَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى، أَمَا

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٦-٢٠٧ ونقل عن مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٥٥ لابن تَيْمِيَّةَ.

وانظر الاستغاثة بغير الله وبالأموات في: قاعدة جَلِيلَةٌ فِي التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ، في: مجموع الفتاوى ج ١ ص ١٤٢-٣٦٨.

وَحَدِيث: (إنه لا يُستغاثُ بي... إلخ، في: الْمُعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبْرَانِيِّ).



النفع والضرر والخلق فهو الله تعالى وحده لا شريك له<sup>(١)</sup>. ومن أدلة أهل السنة والجماعة:

- عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر، أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك. قال: فادع. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي، اللهم فشفعه في.

- وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك... إلخ.

وهذا توسل بكل عبد مؤمن، وبه كان يدعو الصحابة إذا خرجوا إلى الصلاة<sup>(٢)</sup>.

(١) رسالة فيما يتعلق بأدلة جواز التوسل بالنبي وزيارته ﷺ لأحمد بن زيني دحلان ص ١٨٠-١٨١.

(٢) رسالة فيما يتعلق بأدلة جواز التوسل بالنبي وزيارته ﷺ لأحمد بن زيني دحلان ص ١٧٤.

وحديث عثمان بن حنيف بهذا اللفظ رواه الترمذي في سننه في: ٤٤ كتاب الدعوات، ١١٨ باب، رقم ٣٥٧٨، ص ٥٦٢. وقال: حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر. وصححه الألباني.

ورواه ابن ماجه في سننه مع اختلاف لفظي يسير في: ٥ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، ١٨٩ باب ما جاء في صلاة الحاجة، رقم ١٣٨٥، ج ١ ص ٤٤١ وفيه بعده: قال أبو إسحاق: هذا حديث صحيح. وقال الشيخ شعيب في تحقيقه سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٣٩٥: إسناده صحيح.

وهذا الحديث رواه أيضاً النسائي (في الكبرى) والبيهقي والطبراني بإسناد صحيح عن عثمان بن حنيف، وخرجه أيضاً البخاري في تاريخه والحاكم في المستدرک بإسناد صحيح. / رسالة فيما يتعلق بأدلة جواز التوسل بالنبي وزيارته ﷺ لأحمد بن زيني دحلان ص ١٧٥-١٧٦.

والحديث في مسند أحمد ج ٢٨ ص ٤٧٨ رقم ١٧٢٤٠، طبعة مؤسسة الرسالة، وقال

- وعن أَنَسٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بَنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ<sup>(١)</sup>.

- وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا تَوَسُّلُ الصَّحَابَةِ وَتَبَرُّكُهُمْ بِعَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَعْرِهِ وَفَضْلَةِ مَاءِ وَضُوئِهِ.

وَأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ أُخْرَى فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرَهُمَا<sup>(٢)</sup>.

وَلَا يُعْلَمُ أَيُّ نِقَاشٍ دَارَ حَوْلَ ذَلِكَ فِي عَصْرِ السَّلَفِ، وَظَلَّ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جَاءَ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ، فَفَرَّقَ بَيْنَ التَّوَسُّلِ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي حَالِ حَيَاتِهِمْ وَبَعْدَ مَمَاتِهِمْ، فَأَجَازَهُ حَالُ الْحَيَاةِ وَحَرَّمَهُ بَعْدَ الْمَمَاتِ، مَعَ أَنَّ النُّصُوصَ لَمْ تَفْرُقْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ.

الْمُحَقِّقُ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، رِجَالُهُ ثِقَاتٌ. وَذَكَرَ مَخْرَجَهُ. وَلِلْحَدِيثِ طَرِيقَانِ آخِرَانِ فِيهِ بِرَقْمِ ١٧٢٤١ وَ ١٧٢٤٢.

وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ، فِي: ٤ كِتَابِ الْمَسَاجِدِ وَالْجَمَاعَاتِ، ١٤ بَابِ الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ، رَقْمُ ٧٧٨، ج ١ ص ٢٥٦. وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَهَ ج ١ ص ٤٩٨: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، لَضَعْفِ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ. وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ حَسَّنَهُ الْحَافِظُ فِي نَتَائِجِ الْأَفْكَارِ. ثُمَّ ذَكَرَ مُخَرَّجِيهِ. وَرَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيحِهِ.

وَالْحَدِيثُ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ ج ١٧ ص ٢٤٧ رَقْمُ ١١١٥٦، طَبْعَةُ مَوْسَسَةِ الرِّسَالَةِ، مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ، قَالَ فِيهِ الْمُحَقِّقُ شُعَيْبٌ: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَقَدْ رَوَى مَوْقُوفاً وَهُوَ أَشْبَهُهُ. وَخَرَّجَهُ.

(١) رِسَالَةٌ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَدِلَّةِ جَوَازِ التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ وَزِيَارَتِهِ ﷺ لِأَحْمَدَ بْنِ زَيْنِي دَحْلَانَ ص ١٧٨.

وَحَدِيثُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، فِي: ١٥ كِتَابِ الاسْتِسْقَاءِ، ٣ بَابِ سُؤْلِ النَّاسِ الْإِمَامَ الْاسْتِسْقَاءَ إِذَا قَحَطُوا، رَقْمُ ١٠١٠، ص ٢١٦. وَفِي: ٦٢ كِتَابِ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ١١ بَابِ ذِكْرِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَقْمُ ٣٧١٠، ص ٧٨١.

(٢) السَّلَفِيَّةُ لِمُحَمَّدٍ سَعِيدٍ رَمَضَانَ الْبُوطَيْ ص ١٥٤.

وَمِنَ الْكُتُبِ الَّتِي بَحِثَتْ مَسْأَلَةَ التَّوَسُّلِ: شِفَاءُ السَّقَامِ فِي زِيَارَةِ خَيْرِ الْأَنْامِ لِلْإِمَامِ تَقِيِّ الدِّينِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْكَافِي السُّبْكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٥٦هـ، وَشَوَاهِدُ الْحَقِّ فِي الاسْتِغَاثَةِ بِسَيِّدِ الْخَلْقِ ﷺ لِلشَّيْخِ يُوسُفَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ النَّبْهَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م.

وهذه المسألة اجتهادية، لا توجب خلافاً بين المسلمين، ولا تستدعي تفسيراً الآخر أو نسبته إلى البدعة، فضلاً عن نسبته إلى الشرك والمروق من الدين، ما دام الجميع يتفقون على أن التوسل هو بمكانة الرسول ﷺ والصالحين عند الله تعالى لا بأجسامهم المادية<sup>(١)</sup>.

### ٣- منع زيارة قبور الصالحين والأنبياء للتيمن والتقديس.

رأى ابن تيمية أن زيارة قبور الصالحين بقصد التبرك والتقرب إلى الله تعالى لا تجوز. أما إذا كانت الزيارة بقصد العظة والاعتبار فهي جائزة، بل مندوب إليها.

ورأى كذلك: أن زيارة قبر النبي ﷺ للتبرك لا تجوز، بحجة:

أن النبي ﷺ قال: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد. اشتد غضبُ الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

وأن النبي ﷺ دُفن في بيت السيدة عائشة على غير ما اعتاد الناس لكي لا يتخذ قبره مزاراً.

وأن الصحابة كانوا إذا سلموا على النبي ﷺ بعد مماته، وأرادوا الدعاء، دعوا مستقبلين القبلة<sup>(٢)</sup>.

وقد خالف ابن تيمية جمهور علماء المسلمين في زيارة الروضة الشريفة، لأنهم رأوا أن منع الزيارة في الحديث كان خشية الوثنية، ولا خشية منها بعد تركز أصول الإسلام في النفوس.

(١) السلفية لمحمد سعيد رمضان البوطي ص ١٥٤-١٥٦.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٧-٢٠٨.

وانظر: قاعدة جليئة في التوسل والوسيلة، في: مجموع الفتاوى، الجزء الأول ص ١٤٢-

وإذا كان فيها تَقْدِيسٌ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فهو تَقْدِيسٌ للوحدانية والمعاني التي بعث من أجلها.

ثم إن في زيارة الرَوْضَةِ الشَّرِيفَةِ تذكيراً بِمَوَاقِفِ النَّبِيِّ ﷺ في الجهاد والصبر، والعمل على رفع شأن التَّوْحِيدِ والدِّينِ.

قال نافع مولى عبد الله بن عمر، كان ابن عمر يُسَلِّمُ على القبر، رأته مئة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر، ورؤي واضعاً يده على مقعد النَّبِيِّ ﷺ من المنبر، ثم وضعها على وجهه.

وروى ابن تيمية: أن الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يتجهون إلى الرَوْضَةِ الشَّرِيفَةِ إذا أرادوا سفراً أو قدموا من سفر.

لذلك رأى الشيخ أبو زهرة: (أن التبرك بزيارة قبر النَّبِيِّ ﷺ مُسْتَحْسَنٌ، وليس هذا التبرك عبادة أو قريباً منها، إنما هو التذكر والاعتبار بسيرته وهديه...، والدعاء عند القبر دعاء والقلب خاشع، والعقل خاضع، والنفس مخلص، والوجدان مستيقظ، وإن ذلك أبرك الدعاء)<sup>(١)</sup>.

### النوع الثالث: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ:

والمُرَادُ به: أن يوصف الله عز وجل بما وصف به نفسه وبما وصفه به رُسُوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. وهذا ما قاله ابن تيمية في بيان مذهب السلف<sup>(٢)</sup>.

فأثبت لله المحبة والسخط، والغضب والرضا، والنداء، والكلام، والنزول إلى الناس في ظلل من الغمام، والاستقرار على العرش، والوجه، واليد، كما ورد في القرآن والسنة، من غير تأويل ولا تفسير بغير الظاهر.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٥ ص ٢٦.

لَكِنْ لَيْسَتْ يَدُهُ كَيْدَ الْحَوَادِثِ، وَلَا تُزُولُهُ كَنْزُورُهُمْ، وَلَا وَجْهَهُ كَوُجُوهَهُمْ، وَيَرَى  
أَنْ هَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن تيمية روايات عن مالك بن أنس وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة  
والليث بن سعد والأوزاعي وغيرهم حين سئلوا عن الأخبار التي جاءت في الصفات،  
فقالوا كلهم: أمرؤها كما جاءت، أو: أمرؤها كما جاءت بلا كيف<sup>(٢)</sup>.

ونقل عن ابن عبد البر: أن أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة  
كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا  
يكتفون شيئاً من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة<sup>(٣)</sup>.

إلا أن هذا القول قد سبقه به الحنابلة في القرن الرابع الهجري، وقالوا: إن هذا هو  
مذهب السلف.

لَكِنْ رَدَّ عَلَيْهِمْ عُلَمَاءُ أَجَلَاءَ مِنَ الْحَنَابِلَةِ كَابْنِ الْجَوَازِيِّ، وَنَفَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ  
مَذْهَبُ السَّلَفِ، وَأَثَبَتْ أَنْ قَوْلَهُمْ يُؤَدِّي إِلَى التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ لَا مُحَالَةَ<sup>(٤)</sup>.

وذهب هؤلاء وغيرهم إلى تأويل هذه النصوص المؤهمة للمشابهة، كتأويل اليد  
بالقوة أو النعمة، وتأويل الاستواء بالاستيلاء...، لأن اللغة تتسع لهذا التفسير، وأن  
التأويل أولى من تفسيرها بمعانيها الظاهرة الحرفية والجهل بكيفياتها<sup>(٥)</sup>.

وسياتي أن تأويل النصوص المؤهمة للمشابهة هو مذهب المعتزلة والأشاعرة  
والماتريدية والزيديّة والإماميّة وعامة أهل الإسلام.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٥ ص ٣٩ و ٨٦.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ٥ ص ٨٧.

(٤) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٦. وأشرنا آنفاً إلى قول ابن الجوزي.

(٥) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٩٨.

## المبحث الثالث

### أصول الدين عند المذاهب الإسلامية

بعد عرض المذاهب الإسلامية في العقائد تبين أن هناك اختلافات بينها في أصول الدين. ويقصد بأصول الدين: الأسس التي يرتكز عليها الإيمان، فإذا فقد أحدها لا يكون إيمان.

وقد اختلفت المذاهب الإسلامية في تعداد هذه الأصول، مما قد يؤدي إلى الظن بأن هناك اختلافات جوهرية بينها فيها. وسأقتصر على بيان أصول الدين عند ثلاثة من تلك المذاهب وهي: أهل السنة والجماعة، والشيعة الإمامية، والمعتزلة، والتي ترجع إليها عامة الفرق الأخرى، مبيناً حقيقة ذلك الاختلاف بينهم.

#### ١- أصول الدين عند أهل السنة والجماعة

أصول الدين عندهم ستة، وهي ما ورد في حديث جبريل عليه السلام حين سأل النبي ﷺ عن الإيمان، فقال رسول الله ﷺ: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورأسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)<sup>(١)</sup>.

(١) حديث جبريل عليه السلام في صحيح البخاري في: ٢ كتاب الإيمان، ٣٧ باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان... رقم ٥٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه. وورد عن أبي هريرة أيضاً في رقم ٤٧٧٧.

وفي صحيح مسلم في: ١ كتاب الإيمان، أول باب بيان الإيمان والإسلام... رقم ٨ (٢)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. واللفظ لمسلم.

### ● الأصل الأول: الإيمان بالله:

وهو الاعتقاد بأن الله تعالى مُوجِد المخلوقات، وأنه وَاحِد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له ولا شبيه له، ومتصف بصفات الكمال والجلال من قدرة وعلم وعدل...، ومنزه عن كل نقص من ظلم وعَبَث....

### ● الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة:

الملائكة أجسام نورانية ليست أجساماً مادية، ووجودهم ثابت بقوله تعالى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ - البقرة ٢٨٥.

وأوجب الله علينا الإيمان بهم، وجعل إنكار وجودهم كفراً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ - النساء ١٣٦.

أما أوصافهم فلسنا مكلفين بتتبعها إلا من النص القطعي. ومن تلك الأوصاف: ١- هم معصومون عن الخطأ. قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ - التحريم ٦.

٢- لهم أجنحة مثنى وثلاث ورباع. قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ - فاطر ١.

٣- قادرون على التمثل بصورة البشر. قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ﴾ (١٧) - مريم.

وأعمالهم التي وكلهم الله تعالى بها كثيرة منها:

١- الاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۖ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ

الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ - غافر.

٢- حمل عرش الرحمن. قال سبحانه: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾ - الحاقة ١٧.

٣- كتابة أعمال البشر. قال تعالى: ﴿إِذْ يَنْفُلُ الْمَلَكُ الْأَمِينُ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِيدٌ ﴿١٨﴾ - ق.

٤- رعاية البشر والمحافظة عليهم. قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ - الرعد ١١.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ - الانفطار.

٥- إنزال الكتب السماوية. قال سبحانه: ﴿وَلَنُزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٤﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١١٥﴾ - الشعراء.

٦- قبض الأرواح. قال تعالى: ﴿قُلْ يَتُوقُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ - السجدة ١١.

٧- حراسة الجنة ورعاية أهلها. قال تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿١٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿١٤﴾ - الرعد.

٨- حراسة النار وتعذيب أهلها. قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ - الزمر ٧١.



وغير ذلك من الأوصاف والوظائف الواردة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

### ● الأصل الثالث: الإيمان بالكتب السماوية:

أمر الله سبحانه أن نصدق بالكتب السماوية إجمالاً، ونؤمن بأنها نزلت بالحق. قال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ - المائدة ٤٤.

وقال عز وجل: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ - المائدة ٤٦.

وخص القرآن الكريم بمزايا كثيرة منها:

أنه سبحانه تكفل بحفظه، قال عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ - الحجر ٩.

وأنه لا يطرأ عليه من الباطل شيء، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ - فصلت.

لذلك لم يرد عليه تحريف كما ورد على الكتب السماوية السابقة.

وألزمنا سبحانه العمل به، لأنه متضمن جميع التعاليم الإلهية: قال سبحانه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ - المائدة ٤٨.

### ● الأصل الرابع: الإيمان بالأنبياء والمرسلين:

وهؤلاء صفوة الخلق، اختارهم الله تعالى مبشرين ومُنذرين، قال سبحانه: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ - فاطر ٢٤.

وجميع الأنبياء والرسل الذين ذكرت أسماؤهم في القرآن الكريم أو لم تذكر يجب أن نؤمن بهم إجمالاً، ونؤمن أن إنكار نبوة أحد منهم كفر، قال تعالى: ﴿لَا نَفَرُ بَيْنَكَ أَحَدٌ مِّن رُّسُلِهِ﴾ - البقرة ٢٨٥.

ونؤمن بأنهم يتصفون بأفضل صفات البشر، ويتزهون عن كل نقیصة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ - الأنبياء ٧٣.

ونؤمن أن مُحَمَّدًا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ - الأحزاب ٤٠.

### ● الأصل الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

وهو الاعتقاد بوجود حياة أخرى بعد الموت، يجد الإنسان فيها جزاء عمله في الدنيا، فيثاب بنعيم الجنة، أو يعاقب بعذاب النار.

قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْذَبُوا قَلِيلًا وَلَكِن لَّنْ يَلْبِغُنَّ ثُمَّ لَنُنْبِتَنَّهُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ - التغابن ٧.

ومُنكرُ هذا اليوم كافر باتفاق المسلمين، قال تعالى: ﴿قِيلُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ - التوبة ٢٩.

وبهذا الإيمان يحاسب الإنسان نفسه في الدنيا، لخوفه من حساب اليوم الآخر.

### ● الأصل السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره:

ذهب الماتريدية إلى أن القضاء هو: إيجاد الله تعالى الأشياء على وجه الأحكام والإتقان.

والقدر هو: علمه تعالى أولاً صفات المخلوقات، أي: بما تكون عليه من حسن وقبح ونفع وضرر.

وعكس ذلك الأشاعرة، فجعلوا تعريف القدر للقضاء، والقضاء للقدر.

ومعنى الإيمان بهما هو: الاعتقاد بأن ما يصيب الإنسان من خير وشر واقعٌ حسب تقدير الله تعالى وعلمه وإرادته.

ولا يعني هذا الإيمان أن الإنسان مجبرٌ على أفعاله، لأنه إذا كان مجبراً بطل الثواب والعقاب وانتفت بعثة الأنبياء. وسيأتي تفصيل ذلك في موضوع القضاء والقدر.

## ٢- أصول الدين عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية

ذهب جمهورهم إلى أن أصول الدين خمسة وهي: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة، والمعاد<sup>(١)</sup>.

### ● الأصل الأول: التوحيد:

هو الاعتقاد بأن الله سبحانه واحد في ألوهيته، فلا يعبد سواه.

وربوبيته، فلا شريك له في الخلق.

وأفعاله، فهو مستقل بالخلق والرزق والموت والحياة...

ومراتبه: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال.

### ● الأصل الثاني: العدل:

وهو الاعتقاد أن الله سبحانه وتعالى لا يظلم أحداً، ولا يفعل ما يستقبحه العقل السليم.

فهم كالمعتزلة يقولون بالتحسين والتقبيح العقلين.

(١) أصل الشيعة وأصولها ص ١٤١ وما بعدها.

وذكر النصير الطوسي في تجريد الاعتقاد ص ٣٢٧ هذه الأصول إلا أصل العدل، لكنه أدخله تحت أصل التوحيد.

### ● الأصل الثالث: النبوة:

جميع الأنبياء والمرسلين الذين نصّ عليهم القرآن الكريم عباد مكرمون، بعثهم الله تعالى لدعوة الخلق إلى الحق. وأن مُحَمَّدًا ﷺ خاتم الأنبياء وسيد الرسل، وأنه معصوم من الخطأ والخطيئة.

والقرآن الكريم أنزله الله تعالى عليه للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، والأخبار الواردة الظاهرة في نقصه أو تحريفه شاذة ضعيفة، وهي أخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، وهي إما أن تؤول أو يضرب بها الجدار، كما قال الشيخ كاشف الغطاء.

ويعتقد الإمامية أن كل من اعتقد أو ادعى نبوة بعد مُحَمَّد ﷺ أو نزول وحي أو كتاب فهو كافر يجب قتله.

### ● الأصل الرابع: الإمامة:

وهي منصب إلهي يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي، ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم باتباعه.

ويعتقدون أن الله سبحانه أمر نبيه أن ينص على علي.

ويرون وجوب وجود الإمام في كل عصر، وأن الأرض لا تخلو من حجة.

### ● الأصل الخامس: المعاد:

وهو أن يحيي الله سبحانه الخلائق بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) - الزلزلة.

ويعاد الشخص بعينه وبجسده وروحه، بحيث لو رآه الرائي لقال هذا فلان<sup>(١)</sup>.

### ٣- أصول الدين عند المعتزلة

قدمنا عند الكلام عن المعتزلة أن أصولهم خمسة، وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

#### ● الأصل الأول: التوحيد:

وهو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه، والإقرار به.

وبنوا على هذا الأصل: قولهم بنفي الصفات الإلهية، ومما يترتب عليه القول بخلق القرآن، وقولهم باستحالة رؤية الله تعالى من قبل المؤمنين في الآخرة.

#### ● الأصل الثاني: العدل:

وهو الاعتقاد بأن أفعاله تعالى كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يُحل بما هو واجب عليه.

وبنوا عليه: قولهم بوجوب تعليل أفعال الله تعالى، وبالتحسين والتقبيح العقليين، وبأن العباد يخلقون أفعالهم، وبوجوب اللطف الإلهي، ووجوب الصلاح والأصلح، ووجوب بعثة الرسل على الله تعالى.

#### ● الأصل الثالث: الوعد والوعيد:

وهو الاعتقاد بأن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب، وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف ولا الكذب.

وبنوا عليه: إنكارهم شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وقصرها على

(١) أصل الشيعة وأصولها ص ١٤١-١٥٧. وانظر: هذه الأصول أيضاً في: تجريد الاعتقاد للطوسي وشرحه كشف المراد للحلي ص ٣٠٥ وما بعدها.

التائبين من المؤمنين.

### ● الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين:

وهو أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً كما تقوله المرجئة، وليس كافراً كما تقول الخوارج، وإنما هو في منزلة بين منزلي الكفر والإيمان.

### ● الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومعنى الأمر بالمعروف إيقاع المعروف، ومعنى النهي عن المنكر زوال المنكر. وبناءً على هذا الأصل: تصدّوا للزنادقة والمبطلين، وجاهدوا من خالف حكم الله تعالى<sup>(١)</sup>.

### الأصل الديني والأصل المذهبي

أصول الدين نوعان: ديني، ومذهبي.

أ- الأصل الديني: وهو الذي يكون منكراً خارجاً عن دين الإسلام.

ب- الأصل المذهبي: وهو الذي يكون منكراً خارجاً عن دائرة المذهب، ولا يكون خارجاً عن دين الإسلام<sup>(٢)</sup>.

بعد بيان هذا نورد الأصول التي أجمعت عليها هذه المذاهب، ونورد ما نصت عليه من أصول يوهم ذكرها الاختلاف بينهم، لتبين بعد النظر فيه أن ذلك الاختلاف ليس حقيقياً.

وهذا هو هدفنا في كتابنا هذا، وهو أن نجمع ولا نفرّق بين مذاهب الأمة الإسلامية.

(١) تقدّم هذا كله مفصّلاً في كلامنا عن فرقة المعتزلة.

(٢) كتابنا: أصول الدين الإسلامي ص ٦١.

### أُصُولُ الدِّينِ الَّتِي أَجْمَعُوا عَلَيْهَا

اتفقت فِرَقُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ، وَالْمُعْتَزِّلَةِ عَلَى الْأُصُولِ الْآتِيَةِ:

١- الْإِيْمَانُ إِجْمَالاً بِوُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاتِّصَافِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَتَنْزِهِهِ عَنْ كُلِّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ.

٢- الْإِيْمَانُ إِجْمَالاً بِالنُّبُوَّةِ عَامَةً، وَنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ خَاصَةً، وَمَا بَلَغَ بِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَهَذَا الْأَصْلُ وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْهُ الْمُعْتَزِّلَةُ ضَمَّنَ أُصُولَهُمُ الْخَمْسَةَ، لَكِنَّهُ مَعْلُومٌ مِمَّا كَتَبُوهُ فِي إِثْبَاتِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَمِنْ مُنَاطَرَاتِهِمْ، وَدِفَاعِهِمْ عَنِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِبِرَاعَتِهِمْ وَحِدَّةِ عُقُولِهِمْ.

وَتَقْدَمُ قَوْلُهُمْ فِي مَوْضُوعِ التَّحْسِينِ وَالتَّقْيِيحِ الْعَقْلِيِّينَ: (إِنْ مِنْ بَلَّغْتَهُمْ دَعْوَةَ الرِّسْلِ وَشَرَائِعِ اللَّهِ مَكْلُفُونَ مِنَ اللَّهِ بِمَا تَقْضِي بِهِ هَذِهِ الشَّرَائِعُ).

٣- الْإِيْمَانُ إِجْمَالاً بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالنَّاسِ فِيهِ مُجْزِيُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ.

وَهَذِهِ الْأُصُولُ الثَّلَاثَةُ هِيَ أُصُولُ دِينِيَّةٍ عِنْدَ هَذِهِ الْفِرَقِ جَمِيعُهَا، لِأَنَّ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِأَحَدِهَا يَكُونُ كَافِرًا يُخْرَجُ عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ بِالِاتِّفَاقِ.

### أُصُولُ الدِّينِ الَّتِي اخْتَلَفُوا فِيهَا

وَرَدَتْ عِنْدَ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنَ الْفِرَقِ الثَّلَاثِ أُصُولٌ لَمْ تَذْكُرْهَا الْفِرْقَةُ الْآخَرَى، مِمَّا يُوْهِمُ أَنَّ هُنَاكَ اخْتِلَافًا بَيْنَهَا.

وَلَكِنْ عِنْدَ التَّدْقِيقِ نَرَى أَنَّ مِنْ تِلْكَ الْأُصُولِ مَا هُوَ رَاجِعٌ إِلَى أَحَدِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ الَّتِي أَجْمَعُوا عَلَيْهَا، وَمِنْهَا مَا هُوَ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ لاعتبار معين، فَيَكُونُ أَصْلًا مَذْهَبِيًّا بِمَعْنَى أَنَّ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِهِ يُخْرَجُ مِنَ الْمَذْهَبِ لَا مِنَ الدِّينِ.

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ انْفردوا بالنص على أَصُول: (الإيمان بالملائكة، وبالكتب السماوية، وبالقدر).

وَالنَّاظِرُ فِيهَا يَجِدُ أَنَّ (الإيمان بالملائكة، وبالكتب السماوية) أَصْلَانِ يَنْدُرْجَانِ تَحْتَ أَصْلِ الْإِيمَانِ بِالنُّبُوَّةِ، فَمَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ آمَنَ بِهِمَا قِطْعًا.

أَمَّا أَصْلُ (الإيمان بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ) عِنْدَهُمْ، فَإِنَّ الْقَوْلَ بِهِ يَرُدُّ عَلَى الْجَبَرِيَّةِ الْقَائِلِينَ بِالْجَبْرِ الْمَطْلُوقِ، وَعَلَى الْقَدَرِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ الْقَائِلِينَ بِحُرِّيَةِ الْإِرَادَةِ الْإِنْسَانِيَةِ الْمَطْلُوقَةِ ...

لِذَلِكَ يُمْكِنُ اعْتِبَارُ أَصْلِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ أَصْلًا مَذْهَبِيًّا وَلَيْسَ أَصْلًا دِينِيًّا.

وَالشَّيْعَةُ الْإِمَامِيَّةُ نَصُوا عَلَى (الْعَدْلِ، وَالْإِمَامَةِ).

وَالنَّاظِرُ يَجِدُ أَنَّ أَصْلَ الْعَدْلِ يَنْدُرْجُ تَحْتَ أَصْلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ<sup>(١)</sup>.

أَمَّا أَصْلُ (الْإِمَامَةِ) فَلْعُلَمَاءُ الْإِمَامِيَّةِ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَوَّلُهُمَا: إِنَّهُ رُكْنُ الدِّينِ وَأَصْلُهُ. وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَعْتَبَرُ أَصْلُ الْإِمَامَةِ أَصْلًا دِينِيًّا، فَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِهِ يُخْرَجُ عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ.

الْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّهُ رُكْنُ الْمَذْهَبِ، وَهَذَا الْقَوْلُ يَعْتَبَرُ الْإِمَامَةَ أَصْلًا مَذْهَبِيًّا، فَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِهِ لَا يُخْرَجُ عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ، لَكِنَّهُ لَا يَكُونُ شِيعِيًّا مِنَ الْإِمَامِيَّةِ الْأَثْنِي عَشَرِيَّةِ. وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ.

قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ نَاصِرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ: الْإِمَامَةُ كَمَا عَلَيْهِ مُحَقِّقُو الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ لَيْسَتْ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، أَي: أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَلَا مِنْ أَصُولِ الْإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا هِيَ

(١) تَقْدِمُ عِنْدَ ذِكْرِ أَصُولِ الْإِمَامِيَّةِ أَنَّ النَّصِيرَ الطُّوسِيَّ جَعَلَ أَصْلَ الْعَدْلِ تَحْتَ أَصْلِ التَّوْحِيدِ. وَقَالَ الشَّيْخُ كَاشِفُ الْغَطَاءِ فِي أَصْلِ الشَّيْعَةِ وَأَصُولِهَا ص ١٥٣ عِنْدَ شَرْحِهِ أَصْلَ الْعَدْلِ مِنْ أَصُولِهِمُ الْخَمْسَةِ: (وَلَيْسَ - الْعَدْلُ - فِي الْحَقِيقَةِ أَصْلًا مُسْتَقْلَالًا هُوَ مَنْدُرْجٌ فِي نَعْوَتِ الْحَقِّ... فَهُوَ شَأْنٌ مِنْ شُؤْنِ التَّوْحِيدِ).



أصل مذهبي من أصول مذهب التشيع. بمعنى أن من أنكرها لا يكون شيعياً، لأنه لا يكون مؤمناً ولا مسلماً<sup>(١)</sup>.

والمُعْتَزَلَةُ نصوا على: (العدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

والناظر يجد أن أصل (العدل) يندرج تحت أصل الإيذان بالله وتوحيده.

وكذلك (أصل الوعد والوعيد)، فإنه يندرج أيضاً تحت أصل التوحيد وأصل الإيذان باليوم الآخر.

أما أصل (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فهو ثابت عند جميع المذاهب، لأنه منصوص عليه في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ - آل عمران ١١٠.

وفي السنة النبوية، قال رسول الله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)<sup>(٢)</sup>.

وأجمع عليه المسلمون. فهو مما علم من الدين بالضرورة.

فهذه الأصول في حقيقتها ترجع إلى الأصول الدينية المتقدمة المتفق عليها بين المسلمين.

أما أصل (المنزلة بين المنزلتين) فإنه أصل مذهبي، أرادوا به الرد على الخوارج

(١) أصول الدين الإسلامي للشيخ محمد علي ناصر ص ٢٥.

(٢) وحديث: من رأى منكم منكراً... إلخ: أخرجه أحمد في مسنده ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، عن أبي سعيد. وهو صحيح. / الجامع الصغير ص ٥٢٦. وأخرجه البيهقي بسنده في شعب الإيمان السابق. والحديث في صحيح مسلم في: ١ كتاب الإيمان، ٢٠ باب كون النهي عن المنكر من الإيمان...، رقم ٤٩، عن أبي سعيد الخدري.

القائلين بكفر مرتكب الكَبِيرَةِ، وعلى المُرَجِّئَةِ القائلين بإيمانه... إلخ<sup>(١)</sup>.

بعد هذا:

يتضح أن المَذَاهِبَ المتقدمة تتفق على أن أُصُولَ الدِّينِ ثلاثة هي: الإيمان بالله تعالى وتوحيده، والإيمان بالنبوة ونبوة مُحَمَّدٍ ﷺ، والإيمان باليوم الآخر.

وهي أُصُولُ دينية يخرج جاحد أحدها عن دائرة الإسلام باتفاق المُسْلِمِينَ. أما الأُصُولُ الأخرى التي ذكرتها تلك المَذَاهِبُ، فمنها ما هو مندرج في الأُصُولُ الثلاثة المذكورة، فتعد أُصُولاً دينية.

ومنها ما هو أُصُولُ مَذَهَبِيَّةٌ تُخْرِجُ مُنْكَرَهَا عن دائرة المَذَهَبِ، ولا تُخرجه عن دائرة الإسلام، وهي: أصل (الإيمان بالقدر) عند أهل السُّنَّةِ والجماعة، وأصل (الإمامة) عند محققي الإمامية الاثني عشرية، وأصل (المنزلة بين المنزلتين) عند المعتزلة.

وبذلك يتبين أن الاختلاف المتقدم في تعداد أُصُولِ الدِّينِ عند تلك المَذَاهِبِ هو اختلاف صوري، وليس اختلافاً حقيقياً.

وبناءً على الأُصُولِ الدِّينِيَّةِ الثلاثة المُجمَع عليها قالوا:

انقسمت مباحث علم الكلام إلى ثلاثة أقسام:

الإلهيات: وهي المسائل التي يبحث فيها عما يتعلق بالإله.

والنبويات: وهي المسائل التي يبحث فيها عما يتعلق بالأنبياء.

والسمعيات: وهي المسائل التي لا تُتَلَقَّى أَحْكَامُهَا إِلَّا مِنَ السَّمْعِ<sup>(٢)</sup>.

وهذا التقسيم هو الذي سنعتمده في كتابنا هذا.

(١) انظر كتابنا: أُصُولُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ص ٥٨-٦٠.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٠٤.

# الفصل الثالث

## حَقِيقَةُ الْإِيْمَانِ وَأَهْمِيَّتُهُ فِي الْحَيَاةِ

وفيه مَبْحَثَانِ:

المَبْحَثُ الأول: حَقِيقَةُ الْإِيْمَانِ.

الْإِيْمَانُ لُغَةً وَاصْطِلَاحاً.

زِيَادَةُ الْإِيْمَانِ وَنَقْصَانُهُ.

الْإِسْلَامُ.

الْإِحْسَانُ.

المَبْحَثُ الثاني: أَهْمِيَّةُ الْإِيْمَانِ فِي الْحَيَاةِ.



## المبحث الأول

### حقيقة الإيمان

يتضح بعد عرض آراء المذاهب الإسلامية في العقائد أن أصل اختلافها كان في مفهوم الإيمان، وهذا يدعو إلى بيان حقيقته، وما يترتب على الاختلاف فيه عند أصحاب تلك المذاهب.

#### الإيمان في اللغة:

وردت معانٍ متعددة لكلمة الإيمان<sup>(١)</sup> منها:

١- التَّصْدِيقُ<sup>(٢)</sup>. وهو ما أجمع عليه أهل اللغة قاطبةً قبل بعثة النبي ﷺ، وهذا قول الباقلاني<sup>(٣)</sup>، وذهب بعض الإباضية إلى أن الإيمان لغة محصور في التصديق<sup>(٤)</sup>،

(١) مُعْجَمُ مَقَائِيسِ اللُّغَةِ ج ١ ص ١٣٣ وفيه: (أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، ومنه بيت آمن: ذو أمن. والآخر: التصديق. والمعنيان متدانيان.

(٢) الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مادة (الأمن)، وَأُصُولُ الدِّينِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ٢٤٧ وَتَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٢٥ وَتَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ٣٨٩ وَشُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٣٥ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَلِيمِيِّ، وَالْإِيمَانُ لِأَبِي يَعْلَى ص ١٥١ وَنَقَلَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَطَّةٍ، وَالتَّمْهِيدُ لِلْأَمَشِيِّ ص ١٢٧ وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٢٢ وَفَتْحُ الْبَارِيِّ ج ١ ص ٦٠ وَلَوْائِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٠٣ وَشَرْحُ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ لِأَطْفَيْشٍ ص ١٩٩ وَالْأَسَاسُ لِعَقَائِدِ الْأَكْيَاسِ ص ١٨٥.

(٣) تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ السَّابِقِ.

(٤) الْبَعْدُ الْحَضَارِيُّ ص ٤٩٢ نَقْلًا عَنْ حَاشِيَةِ عَلَى كِتَابِ الْوَضْعِ لِابْنِ أَبِي سِتَةَ.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ - يُؤَسَفُ ١٧، أي بِمُصَدِّقٍ <sup>(١)</sup> فيما حَدَّثْنَاكَ به، وفُلَانٌ يُؤْمِنُ بِكَذَا أي: يَصَدِّقُهُ ويعترف به <sup>(٢)</sup>.

٢- وقيل: هو مشتق من الأَمْن ضد الخوف <sup>(٣)</sup>.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرْجَآلًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمْنٌ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ - البقرة ٢٣٩ <sup>(٤)</sup>.

قال ابن حَجَر: وفيه نظر لتباين مَدْلُوكِي الأَمْن والتَّصْدِيقِ، إلَّا إذا لوحظ معنى مجازي، فيقال: أَمْنُهُ إذا صَدَّقَهُ، أي: أَمْنُهُ التَّكْذِيبَ <sup>(٥)</sup>.

### الإيمان في الاصطلاح:

اختلف العُلَمَاءُ في حقيقة الإيمان شرعاً، أي: فيما يقع عليه اسم الإيمان، على أقوال كثيرة، أهمها:

القول الأول: الإيمان هو التَّصْدِيقُ بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان <sup>(٦)</sup>.

(١) تَمْهِيدُ الأوائل، والإيمان لأبي يَعْلَى، والتَّمْهِيدُ لِلْأَمَشِيِّ، وَالْمَوَاقِفُ، السَّابِقَةُ. وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٠٤.

(٢) التَّمْهِيدُ لِلْأَمَشِيِّ، وَشَرْحُ الْمَوَاقِفِ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ، السَّابِقَانِ.

(٣) الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ السَّابِقُ، وَالْكُلِّيَّاتُ لِلْكَفَوِيِّ ص ٢١٢.

(٤) شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٣٥.

(٥) فَتْحُ الْبَارِي ج ١ ص ٦١.

(٦) تَبْصِرَةُ الْأَدْلَةِ ج ٢ ص ٧٩٨ ونقله عنه ابن أبي العزِّ في شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ ص ٤٥٩ و٤٦٢ وشُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٤٨ وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٢٣ وشَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ١٧٩ وَفَتْحُ الْبَارِي ج ١ ص ٦١ وَكِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ ج ١ ص ٣٨ وَالْغُنْيَةُ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ج ١ ص ٦٩.

والمُرَاد من التَّصْدِيقِ بالقلب هو: تصديق النَّبِيِّ ﷺ فيها علم مجيئه به بالضرورة، أي: فيما اشتهر كونه من الدِّين، بحيث يعلمه من غير افتقار إلى نظر واستدلال، كوحدة الصانع ووجوب الصلاة وحرمة الخمر ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

والمُرَاد بتصديق النَّبِيِّ ﷺ في ذَلِكَ هو الإذعان لما جاء به، والانقياد له، وسكون النفس إليه، واطمئنائها به، وقبولها بذلك بترك الجحد والعناد، وبناء الأعمال عليه<sup>(٢)</sup>. فالتَّصْدِيق هو اليقين الجازم بكل ما ثبت بالضرورة أنه جاء من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ﷺ.

ولا بد مع اليقين الجازم، الذي هو حكم عقلي، من أمر آخر قلبي وهو الرضا والارتياح النفساني لهذه الْعَقِيدَةِ، بحيث تكون طبق هواه وعاطفته، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ - النساء ٦٥.

وهذا التَّصْدِيق هو الجزء الأول من أجزاء الإيمان، لا غنى عنه بحال، فإذا تحقق وُجد أساس الإيمان، وكتب لصاحبه عند الله تعالى النجاة من الخلود في النار، إذا مات على ذَلِكَ، ولو لم يتحقق معه الإقرار باللسان والعمل بالأركان. وإن عدم عدمت حقيقة الإيمان، واستحق فاقده الخلود في النار.

بدليل أن فرعون وقومه كانوا مصدقين بآيات الله، لكنهم لم يرضوا بها، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ - النمل ١٤<sup>(٣)</sup>.

(١) سَرَحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ١٧٧. وانظر: الْمَوَاقِف ج ٨ ص ٣٢٢ والقَوْلُ الْفَصْل ص ١٢ وشرح الجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٩٢.

(٢) سَرَحُ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ وَحَاشِيَةُ الْكَسْتَلِيِّ عَلَيْهِ ص ١٥٢.

(٣) الْمُخْتَارُ مِنْ كُنُوزِ السُّنَنِ النَّبَوِيَّةِ ص ٨٦.

فالتَّصَدِيقُ بالقلب يفيد:

أن من تكلم بكلمة التَّوْحِيد غير مُعْتَقِد لها بقلبه فهو منافق وليس بمؤمن.  
وإن كان مصداقاً بقلبه غير ناطق بلسانه مع القدرة فليس بمؤمن عند سلف الأمة.

ومن قام بقلبه علم وتصديق وهو يجحد الرَّسُول ﷺ وما جاء به ويعاديه كاليهود وغيرهم ممن سماه الله كافراً، ولم يسمهم مؤمنين قط، ولا دخلوا في شيء من أحكام الإيمان فهم كفار<sup>(١)</sup>.

والإقرار باللسان يفيد:

أن من لم يُقَرِّ بلسانه مع القدرة لا يسمى مصداقاً، فهو ليس بمؤمن. وقد اتفق عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين<sup>(٢)</sup>.

والعمل بالأركان يفيد:

أن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان<sup>(٣)</sup>. والمراد بالأعمال هو أفعال الخير من الطاعة والعبادات مطلقاً، فيتناول البدنية والمالية وغيرهما كالصوم والصلاة والزكاة وحب الخير للمسلمين<sup>(٤)</sup>.

وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه، وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه، أنه عاصي لله ورَسُوله مستحق الوعيد<sup>(٥)</sup>.

(١) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٠٤.

(٢) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ السَّابِقِ.

(٣) جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ج ١ ص ١٠٤ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ص ٤٠٥ نَقْلًا عَنْ ابْنِ رَجَبٍ.

(٤) نُخْبَةُ اللَّائِي ص ٩٥.

(٥) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٤٦٣.



وهذا القول هو المشهور عن أهل السلف وكثير من الأئمة<sup>(١)</sup>. وبه قال الزيدية وأئمتهم<sup>(٢)</sup>. وهذا القول بأجزائه الثلاثة هو مذهب الإباضية<sup>(٣)</sup>، والخوارج والمعتزلة<sup>(٤)</sup>.

(١) شُعب الإيمان للبيهقي ج ١ ص ٤٨ وشرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني للقاضي عبد الوهاب ص ٣٤٢ وفتح الباري ج ١ ص ٦١. ونقله البيهقي أيضاً عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. / شعب الإيمان السابق.

وبه قال الشافعي، وحكى إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم. / جامع العلوم والحكم السابق.

وهو قول أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم من الأئمة. وروى عن البخاري أنه قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص. / فتح الباري ج ١ ص ٦١.

وانظر: لوائح الأنوار البهية ج ١ ص ٤١٦ عن ابن عبد البر في التمهيد، وشرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ١٤٦ عن ابن بطال. وقول أبي عبيد القاسم بن سلام في كتابه الإيمان ص ٥٣-٥٤ و٦٦. ونقله اللامشي في التمهيد ص ١٣٠ عن بعض هؤلاء. وقال يحيى بن حمزة في المعالم الدينية ص ١١٧: هو مذهب أكثر السلف.

وبه قال الأوزاعي. / جامع العلوم والحكم ج ١ ص ١٠٤.

وبه قال الليث بن سعد وداود بن علي والطبري. / لوائح الأنوار البهية ج ١ ص ٤١٦.

وهو قول ابن حزم الظاهري. / علم الكلام لابن حزم ص ٨٣.

(٢) الأساس لعقائد الأكياس ص ١٨٥.

(٣) الجامع للبسيوي ج ١ ص ٢٣٥-٢٣٦. والموجز لأبي عمّار ج ٢ ص ٧٣ وشرح عقيدة التوحيد لأطقيش ص ١٩٩، ونقل فرحات الجعبري في البعد الحضاري ص ٤٩٣ ذلك عن الشماخي والمحشي والبرادي وأطقيش.

(٤) التمهيد للامشي ص ١٣٠ والقول الفصل ص ١٦ والكليات للكفوي ص ٢١٣. وقال أبو يعلى في الإيمان ص ١٥٦: (وهو قول أكثر المعتزلة).

وفي كفاية الطالب الرباني ج ١ ص ٣٨ نسب للمعتزلة وجُهمُور المُحدِّثين والمتكلمين

إِلَّا أَنْ أَصْحَابَ الْفِرْقِ اخْتَلَفُوا فِي تَرْكِ الْعَمَلِ:

فذهب الخَوَارِجُ إِلَى أَنْ الْإِيْمَانُ هُوَ أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ، فَتَرْكُ الْعَمَلِ يُخْرِجُ صَاحِبَهُ عَنِ الْإِيْمَانِ وَيُدْخِلُهُ فِي الْكُفْرِ.

وذهب الْمُعْتَزِلَةُ إِلَى أَنْ تَرْكُ الْعَمَلِ يُخْرِجُهُ مِنَ الْإِيْمَانِ، لَكِنْ لَا يُدْخِلُهُ فِي الْكُفْرِ، فَيَكُونُ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ.

وذهب أَهْلُ الْحَدِيثِ إِلَى أَنْ تَرْكُ الْعَمَلِ لَا يُخْرِجُ صَاحِبَهُ عَنِ الْإِيْمَانِ، وَهُمْ يُجْرُونَ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

وعليه: فَإِنَّ الْعَمَلَ هُوَ شَطْرُ مِنَ الْإِيْمَانِ، أَي: جُزْءٌ مِنْهُ، وَلَيْسَ شَرْطاً لَهُ<sup>(٢)</sup>.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِ السَّلَفِ وَقَوْلِ الْمُعْتَزِلَةِ هُوَ:

أَنَّ السَّلَفَ جَعَلُوا الْأَعْمَالَ شَرْطاً فِي كَمَالِ الْإِيْمَانِ، وَمِنْ هُنَا نَشَأُ الْقَوْلُ بِزِيَادَةِ الْإِيْمَانِ وَنَقْصِهِ. أَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَإِنَّهُمْ جَعَلُوهَا شَرْطاً فِي صِحَّةِ الْإِيْمَانِ<sup>(٣)</sup>.

وَمِنْ أَدَلَّةِ دُخُولِ الْأَعْمَالِ فِي الْإِيْمَانِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

وَالْفُقَهَاءُ مِنْهُمْ ابْنُ حَبِيبٍ. وَفِي الْأَسَاسِ لِعَقَائِدِ الْأَكْيَاسِ ص ١٨٥: (أَتَمَّنَّا عَلَيْهِمُ السَّلَامَ وَجُمُوهُورُ الْمُعْتَزِلَةِ وَالشَّافِعِيِّ وَبَعْضُ الْخَوَارِجِ). وَذَكَرَ قَوْلَ الْمُعْتَزِلَةِ فِي الْإِيْمَانِ: الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ فِي شَرْحِ الْأُصُولِ الْخَمْسَةِ ص ٧٠٧ وَالرَّازِيُّ فِي الْمُحْصَلِ ص ٢٣٧. وَقَالَ الْبَاجُورِيُّ فِي شَرْحِهِ عَلَى الْجَوْهَرَةِ ص ٩٥: (ذَهَبَتِ الْمُعْتَزِلَةُ إِلَى أَنَّ الْعَمَلَ شَطْرُ مِنَ الْإِيْمَانِ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَنَّهُ الْعَمَلُ وَالنُّطْقُ وَالْإِعْتِقَادُ، فَمَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ لِفَقْدِ جُزْءٍ مِنَ الْإِيْمَانِ وَهُوَ الْعَمَلُ، وَلَا كَافِرٌ لَوْجُودِ التَّصْدِيقِ، فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَنْزِلَةٌ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، أَي: بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، وَيُخْلَدُ فِي النَّارِ وَيُعَذَّبُ بِأَقْلٍ مِنْ عَذَابِ الْكَافِرِ).

(١) الْقَوْلُ الْفَصْلُ السَّابِقُ. وَذَكَرَ الْبَغْدَادِيُّ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ٢٤٩: أَصْحَابُ الْحَدِيثِ.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٩٥.

(٣) فَتْحُ الْبَارِي ج ١ ص ٦١.

اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿٤﴾ - الأنفال ٢-٤<sup>(١)</sup>.

وذلك مما يُصِيرُ الْمُؤْمِنَ مُؤْمِنًا<sup>(٢)</sup>.

لأن المؤمنين هم الذين جمعوا هذه الأعمال، فدل ذلك على أنها من جوامع الإيمان، فالصلاة إشارة إلى الطاعات التي تقام بالأبدان خاصة، والإنفاق مما رزق الله إشارة إلى الطاعات التي تقام بالأموال، وجُلُّ القلب إشارة إلى الاستقامة من كل وجه، ويدخل فيها إقامة الطاعات والانزجار عن المعاصي<sup>(٣)</sup>.

و(إنما) للحصر، فمن ليس من أهل الآية ليس بمؤمن<sup>(٤)</sup>.

القول الثاني: الإيمان هو التَّصَدِيقُ بالقلب والإقرار باللسان، دون غيرها من الجوارح.

وهو قول الإمام أبي حنيفة<sup>(٥)</sup>، وبه قال بعض أئمة

(١) جامع العلوم والحكم ج ١ ص ١٠٤-١٠٥ ونقله عنه السَّفَّارِينِي فِي لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٠٥-٤٠٦. وانظر: الإيمان لأبي عُبَيْدِ الْقَاسِمِ ص ٦٥ والإيمان لأبي يَعْلَى ص ١٦٢ والبعد الحضاري ص ٤٩٦ نَقْلًا عَنِ الشَّمَاحِي، وَالْأَسَاسُ لِعَفَّانِدِ الْأَكْيَاسِ ص ١٨٥.

(٢) الإيمان لأبي يَعْلَى ص ١٦٢-١٦٣.

(٣) شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٤٣ وأشار إلى الْحَلِيمِيِّ.

(٤) البعد الحضاري السَّابِق.

(٥) الفقه الأكبر لأبي حنيفة - الْقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٥٨ و ص ١٥ وَالْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٣٢٣ وَشَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّغْتَارَانِيِّ ج ٥ ص ١٧٨ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٩٥. وحكاها الطَّحَاوِيُّ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ. / شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٤٦٢ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤١٦. وَفِي الْمُعْتَقَدِ الْمُتَنَقِّدِ ص ١٩٩: مَنُقُولٌ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ.

الحنفية<sup>(١)</sup>، وبعض الأشاعرة<sup>(٢)</sup>، ونسب إلى الجمهور<sup>(٣)</sup>، واختاره نصير الدين الطوسي من الإمامية في التجريد<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا: فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه ولو مرة في العمر لا يكون مؤمناً عند الله تعالى، ولا يستحق دخول الجنة ولا النجاة من الخلود في النار<sup>(٥)</sup>.

فالتصديق لا ينجي وحده من النار، وأما النطق فهو وحده نفاق، فأحدهما ليس بإيمان، إذ لا بد منهما معاً<sup>(٦)</sup>. فالنطق شرط الإيمان عندهم<sup>(٧)</sup>.

(١) العقائد النسفية وشرح التفتازاني عليها ص ١٥٣ ونخبة اللآلي ص ٨٩. وقال النسفي في تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧٩٨: وهو محكي عن كثير من أصحاب أبي حنيفة. وقال في بحر الكلام ص ٧٧: عند أكثر أهل السنة والجماعة. وفي لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤٢١ و٤٢٢: وبه قال حماد بن أبي سليمان ومن اتبعه من فقهاء الكوفة، وهو قول الفقهاء من المرجئة.

(٢) المعتقد المنتقد ص ١٩٩ وشرح الجوهرية للباجوري ص ٩٥ وشرح الجوهرية للصاوي ص ١٣٢. وذهب إليه الأبي والسنوسي في شرحهما صحيح مسلم ج ١ ص ١٠٩.

(٣) القول الفصل ص ١٥.

(٤) تجريد الاعتقاد، وشرحه كشف المراد للحلي ص ٤٥٤ ومفتاح الباب ص ٢١٢.

(٥) شرح العقائد النسفية للتفتازاني السابق. وفصل هذا القول الباجوري في شرحه على الجوهرية ص ٩٤ بقوله: (فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه لا لعذر منعه ولا لإباء، بل اتفق له ذلك، فهو مؤمن عند الله غير مؤمن في الأحكام الدنيوية. أما المعذور إذا قامت قرينة على إسلامه بغير النطق كالإشارة فهو مؤمن فيهما. وأما الأبي - أي: الممتنع - بأن طلب منه النطق بالشهادتين فأبى فهو كافر فيهما، ولو أذعن في قلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الآخرة، ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فهو مؤمن في الأحكام الدنيوية غير مؤمن عند الله تعالى، ومحل كونه مؤمناً في الأحكام الدنيوية ما لم يطلع على كفره بعلامة كسجود لصنم، وإلا جرت عليه أحكام الكفر).

(٦) شرح صحيح مسلم للأبي والسنوسي ج ١ ص ١٠٩.

(٧) نخبة اللآلي ص ٨٩ وشرح الجوهرية للباجوري ص ٩٥ وشرح الجوهرية للصاوي ص ١٣٢.

واشترط أن يكون التَّصْدِيقُ بالقلب والإقرار باللسان معاً، ولا يكفي أحدهما فيه:

﴿قَالَ التَّصْدِيقُ الْقَلْبِيُّ فَإِنَّهُ غَيْرُ كَافٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ - النمل ١٤، وقوله تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ - البقرة ٨٩، فأثبت لهم المَعْرِفَةَ والكُفْرَ.

وأما التَّصْدِيقُ اللَّسَانِيُّ (أي: الإقرار باللسان) فإنه غير كاف أيضاً لقوله تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ - الْحُجُرَات ١٤، ولا شك في أن أُولَئِكَ الْأَعْرَابَ صَدَّقُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ<sup>(١)</sup>.

ومما يؤيد رُكْنِيَّةَ الإقرار هو ذم الله تعالى المعاند أكثر من ذمه الجاهل المقصر، فالإيمان أمر واحد وإن كان مركباً وأجزاؤه متعددة<sup>(٢)</sup>.

أما الْعَمَلُ فهو - كما قال الْبَاجُورِيُّ - شرط كَمَالٍ عَلَى الْمُخْتَارِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، فمن أتى بِالْعَمَلِ فَقَدْ حَصَلَ الْكَمَالُ، ومن تركه فهو مُؤْمِنٌ لَكِنْ فَوَّتَ عَلَى نَفْسِهِ الْكَمَالَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَ ذَلِكَ اسْتِحْلَالٌ أَوْ عِنَادٌ لِلشَّارِعِ أَوْ شَكٌّ فِي مَشْرُوعِيَّتِهِ، وَإِلَّا فَهُوَ كَافِرٌ فِيهَا عِلْمٌ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ<sup>(٣)</sup>.

وعليه: فإن الْعَمَلَ شرط الإيمان، أي: خارج عن ماهِيَّتِهِ، فهو شرط لإجراء أَحْكَامِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّوَارُثِ وَالتَّنَاحُكِ وَالصَّلَاةِ خَلْفَهُ وَعَلَيْهِ، وَالدَّفْنِ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَمُطَابَقَتِهِ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَاةِ... لِأَنَّ التَّصْدِيقَ الْقَلْبِيَّ وَإِنْ كَانَ إِيمَانًا إِلَّا أَنَّهُ بَاطِنٌ خَفِيٌّ، فَلَا بَدَلَ لَهُ مِنْ عِلَامَةٍ ظَاهِرَةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ لِتَعَلُّقِ بِهِ تِلْكَ الْأَحْكَامِ<sup>(٤)</sup>.

(١) كَشَفَ الْمُرَادِ فِي شَرْحِ تَجْرِيدِ الْاِعْتِقَادِ ص ٤٥٤.

(٢) الْقَوْلُ الْفَصْلُ ص ١٥ وَجَاءَ بِهَذَا الدَّلِيلُ حِكَايَةً عَنْ أَصْحَابِ هَذَا الْقَوْلِ. أَمَّا هُوَ فَيُرَى أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ التَّصْدِيقُ بِالْقَلْبِ.

(٣) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٩٤.

(٤) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ السَّابِقِ.

### القول الثالث: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط.

وهو قول أبي منصور الماتريدي، وهو مروي عن أبي حنيفة. وبه قال الحسين بن الفضل البجلي، وهو المشهور من مذهب أبي الحسن الأشعري<sup>(١)</sup>. ونص عليه الباقلاني<sup>(٢)</sup>، وهو قول الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني، وبه قال الصالح بن ابن الراوندي من المعتزلة<sup>(٣)</sup>، والرازي<sup>(٤)</sup>، ونسبه التفتازاني إلى الجمهور<sup>(٥)</sup>.

فإذا كان أصحاب هذا القول قد جعلوا ركن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط،

(١) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧٩٩، وذكر قول الماتريدي في أصول الدين للغزوي ص ٢٥١. وعزاه البغدادي في أصول الدين ص ٢٤٨ إلى أبي الحسن الأشعري وابن الراوندي والحسين بن الفضل البجلي. وفي الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٨٨ ذكر مذهب الأشعري.

وقال الإيجي: (فهو عندنا)، وبينه السيد الشريف بقوله: (يعني أتباع الشيخ أبي الحسن) - أي: الأشعري. / المواقف ج ٨ ص ٣٢٢-٣٢٣. وقال التفتازاني في شرح العقائد النسفية ص ١٥٤: وهو اختيار الشيخ أبي منصور. وكذا قال الكفوي في الكليات ص ٢١٣.

وقال الريحاوي في نخبة اللآلي ص ٨٩: هو قول أبي منصور الماتريدي ومعظم الأشاعرة. ونحوه في المعتقد المنتقد ص ١٩٩. وقال التهانوي في كشف اصطلاحات الفنون ج ١ ص ٢٩٧: هو مختار جمهور الأشاعرة وعليه الماتريدي وأكثر الأئمة كالحسين بن الفضل ... وقال الباجوري في شرح الجوهر ص ٩٤: وهو قول محققي الأشاعرة والماتريدي.

(٢) تمهيد الأوائل ص ٣٨٩-٣٩٠ والإنصاف ص ٢٢ و ٥٥. والمواقف ج ٨ ص ٣٢٣ وكشف اصطلاحات الفنون السابق.

(٣) المواقف وشرح السيد الشريف عليه، وكشف اصطلاحات الفنون، السابقة. وفي أصول الدين للبغدادي السابق ذكر ابن الراوندي.

(٤) المحصل للرازي ص ٢٣٧.

(٥) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ١٧٧، وذكر في شرحه العقائد النسفية ص ١٥٣: جمهور المحققين. ومثله قال الريحاوي في نخبة اللآلي ص ٨٩.

فإن الإقرار باللسان والعمل بالأركان ليسا بركنين للإيمان عندهم، وإنما هما فرُوعه على ما نقله الشَّهْرَسْتَانِي عن الْأَشْعَرِيِّ<sup>(١)</sup>.

فمن صدَّق بقلبه أي: أقر بوحداية الله تعالى، وبما جاء به الرسل من عند الله تعالى، صح إيمانه، وكان مُؤْمِنًا بينه وبين الله تعالى، حتى لو مات في الحال كان مُؤْمِنًا ناجيًا، ولا يخرج من الإيمان إلَّا بإنكار شيء من ذَلِكَ<sup>(٢)</sup>.

ومن أتى بتصديق القلب وإقرار اللسان كان مُؤْمِنًا عند الله وعند الناس اتفاقاً<sup>(٣)</sup>.

ومن صدَّق بقلبه ولم يُقرِّ بلسانه، لا لعذر منعه، ولا لإباء، بل اتفق له ذَلِكَ، فهو مُؤْمِن عند الله، غير مُؤْمِن في الأحكام الدنيوية<sup>(٤)</sup>.

ومن كان معذوراً عاجزاً كالأخرس، إذا قامت قرينة على إسلامه بغير النطق كالإشارة، فهو مُؤْمِن فيهما<sup>(٥)</sup> - أي: عند الله وفي الأحكام الدنيوية -.

(١) المِلْك والنَحْل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٨٨. قال الْبَاقِلَانِي في الإنصاف ص ٥٥: (محل التَّصْدِيق القلب، وهو أن يصدِّق القلب بأن الله إله واحد وأن الرُّسُول حقٌّ، وأن جميع ما جاء به الرُّسُول حقٌّ، وما يوجد من اللسان وهو الإقرار، وما يوجد من الجوارح وهو العمل، فإنما ذَلِكَ عبارة عما في القلب ودليل عليه. ويجوز أن يسمى إيماناً حقيقةً على وجهه، ومجازاً على وجهه، ومعنى ذَلِكَ: أن العبد إذا صدَّق قلبه بما قلنا، وأقرَّ بلسانه، وعَمِلَتْ جوارحه، فهو المُؤْمِن الحقيقي عند الله وعندنا. وأما من كَذَّب بقلبه، وأقر بالوحداية بلسانه، وعَمِل الطاعات بجوارحه، فهذا ليس بمُؤْمِن حقيقةً، وإنما هو مُؤْمِن مجازاً، لأن ذَلِكَ يمنع دمه وماله في أحكام الدنيا، لأنه مُؤْمِن من حيث الظاهر، ولهذا عند الله غير مُؤْمِن).

(٢) المِلْك والنَحْل للشَّهْرَسْتَانِي السَّابِق، وَأُصُول الدِّين للغَزَوِيِّ ص ٢٥٢.

(٣) أُصُول الدِّين للغَزَوِيِّ السَّابِق، وَكِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِي وَحَاشِيَةُ الصَّعِيدِي عليه ج ١ ص ٣٨ نَقْلًا عن الْقَاضِي عِيَّاض.

(٤) شَرْح الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٩٤ وَحَاشِيَةُ الصَّعِيدِي السَّابِق.

(٥) شَرْح الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ السَّابِق، وَشَرْح الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ١٧٩ وَنُحْبَةُ اللَّالِي ص ٨٩. وفي كِفَايَةِ الطَّالِبِ الرَّبَّانِي السَّابِق عن الْقَاضِي عِيَّاض: (فمُؤْمِن على المشهور).

أما الممتنع (الآبي) بأن طلب منه النطق بالشهادتين فأبى، فهو كافر فيهما، لأن ذلك من أمارات عدم التصديق. ولو أذعن في قلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الآخرة<sup>(١)</sup>.

ومن أقرّ بلسانه ولم يصدّق بقلبه كالمنافق فهو مؤمن في الأحكام الدنيوية غير مؤمن عند الله تعالى<sup>(٢)</sup>. ومحل كونه مؤمناً في الأحكام الدنيوية ما لم يطلع على كفره بعلامة، كسجود لصنم، وإلا جرت عليه أحكام الكفر<sup>(٣)</sup>.

ومن لم يُقرّ بلسانه ولم يصدّق بقلبه فهو كافر اتفاقاً<sup>(٤)</sup>.

أما الأعمال كالصلاة والصيام والطاعات فليست هي برُكن للإيمان عند أصحاب هذا القول أيضاً<sup>(٥)</sup>.

ومن أدلة هذا القول:

١ - الآيات والأحاديث الدالة على أن القلب محل للإيمان مثل:

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ - المجادلة ٢٢.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ مُّطْمَئِنُّ بِالْإِيمَانِ﴾ - النحل ١٠٦.

وقوله ﷺ: «لَأَسَامَةَ وَقَدْ قَتَلَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: (هَلَّا شَقَقْتَ قَلْبَهُ).

فلما كان الإيمان فعل القلب وجب أن يكون عبارة عن التصديق، الذي من ضرورته

(١) شرح الجوهرة للباجوري، وشرح المقاصد للتفتازاني، ونُخبَة اللآلي، السَّابِقَة.

(٢) شرح الجوهرة للباجوري ص ٩٤ وفي كفاية الطالب الرباني ج ١ ص ٣٨ عن القاضي عياض: (وإن وجد النطق وحده فمنافق في زمن الرسول ﷺ، والآن زنديق).

(٣) شرح الجوهرة للباجوري السَّابِق.

(٤) كفاية الطالب الرباني ج ١ ص ٣٨ نقلاً عن القاضي عياض.

(٥) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٧٩٩. ونقل أبو يعلى في الإيمان ص ١٥٨ ذلك عن الأشعرية.



المعرفة. وهذا هو مفهوم الإيمان اللغوي<sup>(١)</sup>.

٢- خاطب الله تعالى باسم المؤمنين، ثم أوجب الأعمال، فقال عز وجل: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ - البقرة ١٨٣<sup>(٢)</sup>.

فالله عز وجل خاطب بوجوب الإيمان قبل وجوب الأحكام، فلو كانت الأحكام من جملة الإيمان لما ساهم بالمؤمنين قبل وجودها، ولما نزل فرضية شيء منها إلا بعد وجود الإيمان<sup>(٣)</sup>.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ - المائدة ٦.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ - النساء ١٠٣.

فساهم الله تعالى مؤمنين قبل أن يتطهروا، وقبل أن يصلوا ويصوموا<sup>(٤)</sup>.

### الخلاصة:

من خلال هذا العرض لأقوال أشهر الفرق الإسلامية في الإيمان، يتضح لنا ما يأتي:

(١) المواقف وشرح السيد الشريف عليه ج ٨ ص ٣٢٤. وانظر: شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ١٨٣ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٥٤ ومشارك أنوار العقول ج ٢ ص ١٩٩ وشرح عقيدة التوحيد لأطفيش ص ٢٠٠.

والحديث: أخرجه مسلم في: ١ كتاب الإيمان، ٣٩ باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، رقم ٩٦، ص ٦٨ بلفظ: (أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا). وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، ١٠٢ باب على ما يُقاتل المشركون، رقم ٢٦٤٣. وقال الشيخ شعيب في تحقيقه سنن أبي داود ج ٤ ص ٢٧٨: إسناده صحيح. وذكره مخرجيه.

(٢) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٨٠١.

(٣) نخبة اللائي ص ٩٦.

(٤) الإيمان لأبي يعلى ص ٢٣٩.

١- هذه الأقوال الثلاثة هي المَعَوَّل عليها اليوم في المذاهب الإسلامية، ولها أتباع، فهي تمثل السواد الأعظم من علماء الأمة وأتباعهم.

وهناك أقوال أخرى كثيرة انقرض أصحابها، ولم يبق منها إلا ما ذكر من حكاية مَقالاتهم في الكتب.

٢- جميع العلماء يتفقون على أن الإيمان هو تصديق القلب، لكنهم اختلفوا في إطلاق اسم الإيمان على الإقرار باللسان، وعلى العمل بالأركان.

٣- جميع العلماء يتفقون على وجوب جميع الطاعات المفروضة، وعلى استحباب النوافل المشروعة.

٤- خلاف أصحاب القول الثاني (الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان)، مع أصحاب القول الأول (الإيمان هو التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان)، من أهل السنة والجماعة، هو اختلاف صوري. بينه ابن أبي العز: بأن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزءاً من الإيمان، لاتفاق جميعهم على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

لذلك قال: هو نزاع لفظي لا يترتب عليه فساد اعتقاد<sup>(١)</sup>.

ومراد جمهور المحدثين والمتكلمين والفقهاء والمعتزلة من الإيمان المركب من الثلاثة هو الإيمان الكامل<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا:

فإن الأصل في الإيمان هو التصديق القلبي. وهذا متفق عليه. وهو الذي ينبغي

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٤٦٣ في بيانه للاختلاف بين أبي حنيفة وأهل السنة.

(٢) حاشية الصعدي على كفاية الطالب الرباني ج ١ ص ٣٨. وانظر: القول الفصل ص ١٦.

صاحبه من الخلود في النار.

أما الإقرار باللسان فهو شرط لإجراء الأحكام في الدنيا.

وأما العمل بالأركان فهو لبيان الإيمان الكامل، لأنهم أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه، أنه عاص لله تعالى مستحق الوعيد، كما تقدم.

فالخلاف لم يكن حقيقياً بين الأقوال الثلاثة.

### زِيَادَةُ الْإِيمَانِ وَنَقْصَانُهُ

اختلفوا في الإيمان هل يَزِيدُ وينقص؟ فمنهم من أثبتته ومنهم من نفاه. وقد جعل الإمام الرَّازِيّ وكثير من المتكلمين ذَلِكَ فرعاً عن تَفْسِيرِ الإيمان<sup>(١)</sup>.

وأيده الإيجي فذكر: أن الإيمان إذا فسر بالتَّصْدِيقِ فلا يقبلها، وإن فسر بالأَعْمَالِ فيقبلها<sup>(٢)</sup>.

القول الأول: الإيمان يَزِيدُ وينقص.

وهو مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَخَلَفِهَا<sup>(٣)</sup>.

(١) الْمُحْصَلُ لِلرَّازِيّ ص ٢٢٩ وَالْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٣٣٠ نَقْلًا عَنْ الرَّازِيّ.

(٢) الْمَوَاقِفُ السَّابِقُ، وَشَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلأَبِيِّ وَالسَّنُوسِيِّ ج ١ ص ١٠٩ و ١١١. وانظر: أَصُولُ الدِّينِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ٢٥٢.

(٣) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ ج ١ ص ١٤٦ عَنْ ابْنِ بَطَّالٍ. وَفِي ص ١٤٨ مَذْهَبُ السَّلَفِ وَالْمُحَدِّثِينَ. وَنَقْلُهُ السَّفَارِينِيُّ فِي كَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤١١ عَنْ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ إِذْ قَالَ: مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَتَفَاوَضُ، وَجُمْهُورُهُمْ يَقُولُونَ: يَزِيدُ وَينقص).

قال عبد الرزاق - في مُصَنَّفِهِ -: سمعتُ من أدركتُ من شيوخنا وأصحابنا: سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ

وذهب إليه بعض الأشاعرة والمعتزلة<sup>(١)</sup>، وبه قال

ومالك بن أنس وعبيد الله بن عمر والأوزاعي ومعمّر بن راشد وابن جريج وسفيان بن عيينة يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وهذا قول ابن مسعود وحذيفة والنخعي والحسن البصري وعطاء وطاوس ومجاهد وعبد الله بن المبارك. / شرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ١٤٦ عن ابن بطال.

وبه قال الشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو عبيد وغيرهم من الأئمة. / فتح الباري ج ١ ص ٦١ وكوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤١٦ عن التمهيد لابن عبد البر، وشرح المقاصد للفتناراني ج ٥ ص ٢١٠ والقول الفصل ص ٣٥٨.

وأورد اللالكائي أساء عدد كبير من قال بأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، من الصحابة والتابعين والفقهاء وأقوالهم في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ص ١٤٥ وما بعدها.

وهو مذهب الفقهاء والمحدثين. / كوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤٣٠. وبه قال البخاري. / صحيح البخاري، ٢ كتاب الإيمان، ١ باب قول النبي ﷺ: بني الإسلام على خمس. انظره بشرح فتح الباري ج ١ ص ٦٠. وبه قال الطبري أيضاً. / كوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤١٦ نقلاً عن التمهيد لابن عبد البر. وهو قول داود بن علي. / كوامع الأنوار البهية السابق نقلاً عن التمهيد. وتابعه ابن حزم الظاهري. / علم الكلام لابن حزم ص ٨٥. وبه قال البيهقي. / شعب الإيمان للبيهقي ج ١ ص ٦٠. واستظهره النووي. / شرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ١٤٨. وهو قول الشيخ عبد القادر. / الغنية ج ١ ص ٦٩. وقال به ابن تيمية. / كوامع الأنوار البهية ص ٤١١.

وجعله الحق كل من الإيجي والسيد الشريف. / المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٣١. وبه قال الفتناراني. / شرح المقاصد للفتناراني ج ٥ ص ٢١٠.

(١) شرح المقاصد للفتناراني ج ٥ ص ٢١٠ والقول الفصل ص ٣٥٨ والإنصاف للباقلي ص ٥٧. وفي الإرشاد للجويني ص ٣٩٩: (مال إليه القلانسي)، وفي كوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤٣٠: (ذهب إليه جماعة من محققي الأشاعرة كالقلانسي وغيره). وفي مقدمة البحر الزخار لابن المرتضى ص ٨٧ نسبته للمعتزلة.

ونسبه الباجوري في شرح الجوهر ص ١٠٠ إلى جمهور الأشاعرة.

وفي رسالة الأشعري إلى أهل الثغر ص ٢٧٢: (قال الأشعري: وأجمعوا على أن الإيمان

الزَّيْدِيَّةُ<sup>(١)</sup>. وبعض الإِبَاضِيَّةِ<sup>(٢)</sup>.

وزيادة الإيمان تكون بفعل الطاعات، ونقصانه بتركها وفعل المعاصي<sup>(٣)</sup>، قال الإمام أحمد في رواية مُحَمَّد بن موسى: (الإيمان قول وعمل، يَزِيد وينقص، وإذا عَمِلَت الحَسَن زاد، وإذا ضيعت نقص، والإيمان لا يكون إِلَّا بِعَمَل)<sup>(٤)</sup>.

### وجوه زيادة الإيمان:

لزيادة إيمان المؤمنين الذي أمر الله تعالى به وجوه منها:

١ - التَّصَدِيقُ المستلزم لَعَمَل القلب أَكْمَل من التَّصَدِيق الذي لا يستلزم عَمَله.

فالعالم الذي يَعْمَل به صاحبه أَكْمَل من العلم الذي لا يَعْمَل به.

فمن يعلم أن الله حق، ورَسُوله حق، والجنة حق، والنار حق، وعلمه هذا أوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والرَّهْبَة من النار، فعلمه أَكْمَل من الذي لم يوجب له ذَلِكَ<sup>(٥)</sup>.

٢ - أَعْمَال القلوب مثل محبة الله ورَسُوله وخشية الله تعالى ورجائه هي كلها من

يَزِيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وليس نقصانه عندنا شكاً فيما أمرنا بالتَّصَدِيق به، ولا جهلاً به، لأن ذَلِكَ كَفَرٌ، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البَيَان كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النَّبِيِّ ﷺ، وإن كنا جميعاً مؤدِّين للواجب علينا). وأشير إليه في هامش البَاجُورِيِّ السَّابِق.

(١) مُقَدِّمَةُ الْبَحْرِ الزَّخَّار لابن الْمُرتَضَى ص ٨٧.

(٢) الموجز لأبي عَمَّار ج ٢ ص ٧٨ وبَهْجَة الْأَنْوَار ص ١٢٤ والبعد الحَضَارِيِّ ص ٤٩٨ ناقلاً عن أبي عَمَّار وخيس وأبي مَهْدِي وأبي خزر.

(٣) الإيمان لأبي يَعْلَى ص ٣٩٥-٣٩٧.

(٤) الإيمان لأبي يَعْلَى ص ١٥٣. وانظر: شُعَب الإيمان للْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٦٠ والمَوَاقِف ج ٨ ص ٣٣٠ وَلَوَامِع الْأَنْوَار الْبَهِيَّة ج ١ ص ٤١٦-٤١٧.

(٥) لَوَامِع الْأَنْوَار الْبَهِيَّة ج ١ ص ٤١٤.

الإيمان، ويتفاضل الناس فيها تفاضلاً ظاهراً.

٣- الأعمال الظاهرة مع الباطنة هي من الإيمان، والناس يتفاضلون فيها.

٤- ذكر الإنسان بقلبه واستحضاره ما أمر به، بحيث لا يكون غافلاً عنه، هو أكمل ممن صدق به وغفل عنه، لأن الغفلة تنقصه، ولهذا قال عمير بن حبيب رضي الله عنه: (إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فتلك نقصانه).

وأدلة القول بزيادة الإيمان ونقصانه هي:

١- الآيات الكريمة الدالة على ذلك، منها:

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ - الأنفال ٢.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ - التوبة ١٢٤.

وقوله عز وجل: ﴿لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ - الفتح ٤.

فهذه الآيات دلت على أن الإيمان قابل للزيادة، وإذا كان قابلاً للزيادة فعُدمت الزيادة كان عدمها نقصاناً<sup>(١)</sup>.

٢- الأحاديث الشريفة الدالة على ما دل عليه القرآن الكريم، منها:

- قال رسول الله ﷺ: أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائكم.

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١ ص ٦٠. والآيات في: الإيمان لأبي يعلى ص ٤٠١-٤٠٢ وشرح الجوهر للباجوري ص ١٠٢. وفي المواقف للإيجي والسيد الشريف عليه ج ٨ ص ٣٣١: الآية ﴿وَإِذَا تُلِيتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ...﴾ قال: ونحوها. وذكر بعضها في: شرح المقاصد للفتا زاني ج ٥ ص ٢١٣ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٤٧٩ والقول الفصل ص ٣٥٨ وبحر الكلام ص ٨٥.

قال الحليمي: دل هذا القول على أن حُسن الخلق إيمان، وأن عدمه نقصان إيمان، وأن المؤمنين متفاوتون في إيمانهم، فبعضهم أكمل إيماناً من بعض<sup>(١)</sup>.

- قال رسول الله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)<sup>(٢)</sup>.

ووجه الدلالة به أن الإنكار بالقلب هو أضعف الإيمان، يقابله التغيير باليد وهو أكمل الإيمان، الذي يليه الإنكار باللسان.

٣- الآثار عن الصحابة والتابعين الدالة على أن الطاعات من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن أهل الإيمان يتفاضلون في الإيمان. منها:

قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم)<sup>(٣)</sup>.

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ربما أخذ بيد الرجل والرجلين يقول: (تعالوا نزادوا إيماناً)<sup>(٤)</sup>.

وورد نحو هذا القول في شعب البيهقي وغيره عن علي بن أبي طالب ومعاذ بن

(١) شعب الإيمان للبيهقي ج ١ ص ٦٠-٦١.

وحديث: أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً... إلخ: أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه، عن أبي هريرة. / الجامع الصغير للسيوطي ص ٨٩ وصححه.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ج ١ ص ٦١.

(٣) شعب الإيمان للبيهقي ج ١ ص ٦٩ ورواه بسنده. وانظر: شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٢١٣ والقول الفصل ص ٣٥٩ وشرح الجوهرة للباجوري ص ١٠٢.

(٤) شعب الإيمان للبيهقي ج ١ ص ٧٠ ورواه بسنده، ونقله السفاريني في لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤١٢ عن ابن تيمية بلفظ مقارب من رواية الإمام أحمد عن أبي ذر. وهو في: الإيمان لأبي يعلى ص ٤٠٤ وفي شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٤٨١.

جَبَل وعبد الله بن مَسْعُود وعبد الله بن رَوَاحَة وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٤- الدليل العقلي على زِيَادَة الإيمان ونقصانه هو: أن الإيمان لو لم يتفاوت، لكان إيمان آحادِ الأُمَّة، بل المنهمك في الفسق، مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة، واللازم وهو المساواة باطل قطعاً<sup>(١)</sup>.

### القول الثاني: الإيمان لا يَزِيد ولا ينقص:

الإيمان هو التَّصَدِيقُ، وهو في نفسه مما لا يتزايد، وما لا يتزايد لا نقصان له إلا بالعدم، ولا زِيَادَة عليه إلا بانضمام مثله إليه. فلا زِيَادَة للإيمان بانضمام الطاعات إليه، ولا نقصان بارتكاب المعاصي، إذ التَّصَدِيقُ في الحالين على ما كان قبلهما.

وهو قول أبي حَنِيفَةَ<sup>(٢)</sup>، وأصحابه<sup>(٣)</sup>، وبه قال الماتُرِيدِيَّةُ<sup>(٤)</sup>، وبه قال أكثر المتكلمين<sup>(٥)</sup>، وهو اختيار إمام الحَرَمَيْنِ<sup>(٦)</sup>، وقال به بعض الأشاعرة<sup>(٧)</sup>، والبسيوي من

(١) شَرَحَ الْمَقَاصِدَ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢١٣ والقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٥٨ وَشَرَحَ الْجَوْهَرَةَ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٠٢.

(٢) الْفَقْهَ الْأَكْبَرُ لِأَبِي حَنِيفَةَ - شَرَحَهُ الْقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٥٨-٣٥٩ وَشَرَحَهُ لِعَلِيِّ الْقَارِي ص ١٤٤ وَشَرَحَ الْجَوْهَرَةَ لِلْبَاجُورِيِّ السَّابِقُ. وَنَصَّ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ فِي الْفَقْهِ الْأَكْبَرِ - شَرَحَ عَلِيُّ الْقَارِي هُوَ: (إِيمَانُ أَهْلِ السَّاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ جِهَةِ الْمُؤْمِنِ بِهِ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ مِنْ جِهَةِ الْيَقِينِ وَالتَّصَدِيقِ). وَتَبَصَّرَ الْأَدِلَّةُ ج ٢ ص ٨٠٩ وَبَحَرَ الْكَلَامَ ص ٨٤ وَشَرَحَ الْمَقَاصِدَ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢١١ وَلَوَائِعَ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٣١.

(٣) شَرَحَ الْمَقَاصِدَ لِلتَّفْتَازَانِيِّ، والقَوْلُ الْفَصْلُ، وَلَوَائِعَ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ، وَبَحَرَ الْكَلَامَ، السَّابِقَةَ.

(٤) التَّمْهِيدُ لِلْأَمَشِيِّ ص ١٣٤ وَأَصُولُ الدِّينِ لِلغَزَنَوِيِّ ص ٢٥٤.

(٥) شَرَحَ صَحِيحَ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ ج ١ ص ١٤٨.

(٦) الْإِرْشَادُ لِلْجَوْنِيِّ ص ٣٩٩ وَشَرَحَ الْمَقَاصِدَ لِلتَّفْتَازَانِيِّ، والقَوْلُ الْفَصْلُ، السَّابِقَانِ.

(٧) الْمُحْصَلُ لِلرَّازِيِّ ص ٢٣٩. وَقَالَ الرَّيْحَانِيُّ فِي نُحْبَةِ اللَّالِي ص ٩٧: (الإيمان عندنا لا يَزِيد ولا ينقص، لكنه يقوى ويضعف).



الإباضية<sup>(١)</sup>.

ومن حجج هذا القول:

أن الزيادة والنقص شك، والشك كفر<sup>(٢)</sup>.

وأول أصحاب هذا القول النصوص الواردة في الزيادة والنقصان تأويلات منها:

أن معنى الزيادة عليه هو أن يزداد نوره وضيائه في القلوب بالأعمال الصالحة، ويتنقص ذلك بالمعاصي، إذ الإيمان له نور وضياء، على ما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ ليطفئوا نورَ اللَّهِ بأفواههم﴾ - الصف ٨، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ - الزمر ٢٢.

أما الإيمان في ذاته فلا يحتمل الزيادة والنقصان<sup>(٣)</sup>.

القول الثالث: الإيمان يزيد ولا ينقص.

وهو قول الإمام مالك، في إحدى الروايتين عنه.

وعلة ذلك: أنه لو نقص لذهب كله، فيقع في مذهب الخوارج المكفرين بالذنوب<sup>(٤)</sup>.

وهو القول الراجح عند المشاركة من الإباضية<sup>(٥)</sup>، وبه قال الساليمي منهم<sup>(٦)</sup>.

(١) الجامع للبيسي ج ١ ص ٢٣٧. وانظر: بهجة الأنوار ص ١٢٤ (بعض قومنا).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ١٤٨ ونقل الأبي والسنوسي السابقان ذلك عن الأمدّي.

(٣) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٨٠٩.

(٤) شرح صحيح مسلم للأبي والسنوسي ج ١ ص ١١٢.

(٥) البعد الحضاري ص ٥٠٠.

(٦) مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ٢٠٤. وفي بهجة الأنوار ص ١٢٤: وذهب أصحابنا.

## الإسلام

الإسلام في أصل اللُّغة: الانقياد والاستسلام<sup>(١)</sup>.

وفي الاصطلاح: اختلف العلماء هل أن الإسلام هو الإيمان بمعنى التصديق بما ورد عن الله سبحانه ورَسُولُهُ ﷺ، أو هو الانقياد في الظاهر؟

يتضح هَذَا في بَيَان الاختلاف في كون الإسلام والإيمان بمعنى وَاحِدٍ أو أَنهما متغايران، وَذَلِكَ فيما يَأْتِي:

القول الأول: الإيمان والإسلام شيء وَاحِد. فلاسمان من قبيل الأسماء المترادفة، وكل مُؤْمِن مُسْلِم، وكل مُسْلِم مُؤْمِن<sup>(٢)</sup>.

وبه قال الإمام أبو حنيفة<sup>(٣)</sup> وهو قول النسفي معبراً عن رأي أبي منصور الماتريدي<sup>(٤)</sup>، وبه قال المعتزلة<sup>(٥)</sup>، وذهب إليه التفتازاني<sup>(٦)</sup>، ونقله عن الجمهور<sup>(٧)</sup>،

(١) القاموس المحيط مادة (السلم). وفي معجم مقاييس اللغة ج ٣ ص ٩٠: (سلم) السين واللام والميم، معظم بابه من الصحة والعافية، ومنه: الإسلام وهو الانقياد، لأنه يسلم من الإباء والامتناع.

(٢) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٨١٧ وأصول الدين للغزنوي ص ٢٦١-٢٦٣.

(٣) الفقه الأكبر لأبي حنيفة - شرحه القول الفصل ص ٣٦١ وشرحه لعلبي القاري ص ١٤٩.

(٤) تبصرة الأدلة السابق. وانظر: أصول الدين للغزنوي ص ٢٦١ والكفاية للصائبي - القول الفصل ص ٣٦٢.

(٥) شرح الأصول الخمسة ص ٧٠٥ وذكر في: الإيمان لأبي يعلى ص ٤٣٦ والمواقف ج ٨ ص ٣٢٦ ومقدمة البحر الزخار لابن المرتضى ص ٨٦.

(٦) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٢٠٧.

(٧) شرح المقاصد للتفتازاني السابق. ونقل عن الجمهور أيضاً في: القول الفصل ص ٣٦٢.

وهو قول البَيْهَقِيِّ<sup>(١)</sup>، ونسبه إلى جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ: مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرْوَزِيِّ، وابن عبد البرِّ. وَرُويَ هَذَا الْقَوْلُ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ بِهِ الرَّيْحَاوِيُّ<sup>(٣)</sup> وابن حَزْمٍ الظَّاهِرِيُّ<sup>(٤)</sup> وَالزَّيْدِيُّ<sup>(٥)</sup> وَالْإِبَاضِيُّ<sup>(٦)</sup>.

وَحُجَّةُ هَذَا الْقَوْلِ:

١- قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ - آلِ عِمْرَانَ ١٠٢<sup>(٧)</sup>. فَأُثْبِتَ الْإِسْلَامَ لِلْمُؤْمِنِينَ.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ - آلِ عِمْرَانَ ٨٥. وَالْإِيمَانُ دِينٌ، فَلَوْ كَانَ الْإِيمَانُ غَيْرَ الْإِسْلَامِ لَكَانَ يَنْبَغِي أَلَّا يَقْبَلَ مِنْ مُبْتَغِيهِ<sup>(٨)</sup>.

٣- قوله تعالى في قصة لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٩)</sup> فَوَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(١٠)</sup> - الذَّارِيَاتِ. فَسَاهَمَ مَرَّةً «مُؤْمِنِينَ» وَمَرَّةً «مُسْلِمِينَ»، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَمْيِيزَهُمْ عَنْ غَيْرِهِمْ بِأَدْيَانِهِمْ، فَصَحَّ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ اسْمَانِ لِدِينٍ وَاحِدٍ<sup>(٩)</sup>.

(١) شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٥٠.

(٢) جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ ج ١ ص ١٠٧.

(٣) نُخْبَةُ اللَّائِي ص ٩٨.

(٤) عِلْمُ الْكَلَامِ لِابْنِ حَزْمٍ ص ٨٢ و ٨٥.

(٥) مُقَدِّمَةُ الْبَحْرِ الزَّخَّارِ لِابْنِ الْمُزَنِّ ص ٨٦.

(٦) الْجَامِعُ لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٢٤٤ وَبَهْجَةُ الْأَنْوَارِ ص ١٢٤.

(٧) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٨١٨ وَشَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢٠٩.

(٨) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٨١٨ وَأُصُولُ الدِّينِ لِلْعَزَنَوِيِّ ص ٢٦٣ وَالْقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٦٢ نَقْلًا عَنْ التَّبَصُّرَةِ. وَذَكَرَهَا الْإِنِيجِيُّ فِي الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣٢٦ حِينَ ذَكَرَ حُجَجَ الْمُعْتَرِلَةِ. وَانْظُرْهُ فِي شَرْحِ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢٠٨.

(٩) شُعَبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ ج ١ ص ٥٠. وَذَكَرَ النَّسْفِيُّ الْآيَةَ فِي تَبْصِرَةِ الْأَدِلَّةِ ج ٢ ص ٨١٨.

٤- لو كان الاسمان لمتغيرين لَتُصَوَّرَ وجود أحدهما بدون الآخر، وَلَتُصَوَّرَ مُؤْمِنٌ ليس بِمُسْلِمٍ، ومُسْلِمٌ ليس بِمُؤْمِنٍ.

ولو كان كَذَلِكَ فما هو القول في مُؤْمِنٍ ليس بِمُسْلِمٍ، أو مُسْلِمٍ ليس بِمُؤْمِنٍ في أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟

فإن أُثْبِتَ لأحدهما حكم ليس للآخر ظهر ضلاله، وإن لم يثبت ظهر بطلان قوله<sup>(١)</sup>.

### القول الثاني: الإسلام والإيمان متغيران.

فالإسلام: هو الانقياد والاستسلام، وكل طاعة انقاد العبد بها لربه تعالى واستسلم فيها لأمره فهي إسلام<sup>(٢)</sup>. والإيمان: هو خَصْلَةٌ من خصال الإسلام، وكل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيماناً<sup>(٣)</sup>. فالمُسْلِمُ قد يكون مُؤْمِنًا في بعض الأحوال، ولا يكون مُؤْمِنًا في بعضها، والمُؤْمِنُ مُسْلِمٌ في جميع الأحوال، فكل مُؤْمِنٍ مُسْلِمٌ، وليس كل مُسْلِمٍ مُؤْمِنًا. وأصل الإيمان التَّصَدِيقُ، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلمًا في الظَّاهِرِ غير منقاد في البَاطِنِ، وقد يكون صَادِقًا في البَاطِنِ غير منقاد في الظَّاهِرِ<sup>(٤)</sup>.

وهو قول الخَطَّابِيِّ وَصَحَّحَهُ<sup>(٥)</sup>، وقال به أبو عمرو بن الصَّلَاح، وذكر أنه

وذكرها أيضاً الخَطَّابِيُّ في مَعَالِمِ السُّنَنِ ج ٤ ص ٣١٥ وهذه الآية أوردها ابن حَزْم في علم الكلام ص ٨٢ والرَّيْحَانِيُّ في نُحْبَةِ اللَّالِي ص ٩٨.

(١) تَبْصِرَةُ الْأَدْلَةِ ج ٢ ص ٨١٩. وأشير إليه في: الْقَوْلُ الْفَضْلُ ص ٣٦٢ نَقْلًا عَنِ التَّبَصُّرَةِ.

(٢) تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ٣٩٢. وفي الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ مادة السِّلْمِ: أَسْلَمَ: انقاد.

(٣) تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ السَّابِقِ، وَالْإِنْصَافُ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ٥٨.

(٤) مَعَالِمِ السُّنَنِ لِلخَطَّابِيِّ ج ٤ ص ٣١٥ ونقله عنه النَّوَوِيُّ في شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ج ١ ص ١٤٥.

(٥) مَعَالِمِ السُّنَنِ السَّابِقِ، ونقله عنه النَّوَوِيُّ في شَرْحِ مُسْلِمٍ السَّابِقِ.

موافق لجماهير العلّماء من أهل الحديث وغيرهم<sup>(١)</sup>. ونقل هذا التفريق عن كثير من السلف<sup>(٢)</sup>. وهو قول الباقلاني<sup>(٣)</sup>، ونسبه النسفي إلى بعض الحشوية<sup>(٤)</sup>. وقال بتغاير الإسلام والإيمان أيضاً: أبو يعلى<sup>(٥)</sup>، والإيجي والسيد الشريف من الأشاعرة<sup>(٦)</sup>، وبعض المعتزلة<sup>(٧)</sup>. وبعض الإمامية<sup>(٨)</sup>.

وحجّة هذا القول:

١ - قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ - الحُجَرَات ١٤. فنفي عن الأعراب الإيمان، وأثبت لهم الإسلام، أي: الانقياد والاستسلام<sup>(٩)</sup>.

- (١) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ١٤٨ نقلاً عن أبي عمرو بن الصلاح.
- (٢) جامع العلوم والحكم ج ١ ص ١٠٧، وفيه ذكر ابن رجب منهم: قتادة، وداود بن أبي هند، وأبو جعفر الباقر، والزُّهري، وحماد بن زيد، وابن مهدي، وشريك، وابن أبي ذئب، وأحمد بن حنبل، وأبو خيثمة، ويحيى بن معين، وغيرهم. على اختلاف بينهم في صفة التفريق بينهما. وكان الحسن وابن سيرين يقولان: مسلم، وبهان: مؤمن.
- (٣) تمهيد الأوائل ص ٣٩٢.
- (٤) تبصرة الأدلة ج ١ ص ٨١٧. وفي شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٢٠٩: هو قول الحشوية. وكذا في القول الفصل ص ٣٦١.
- (٥) الإيمان لأبي يعلى ص ٤٣٧.
- (٦) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٢٧.
- (٧) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٢٠٩.
- (٨) مقدمة البحر الزخار لابن المرتضى ص ٨٦.
- (٩) تمهيد الأوائل ص ٣٩٢ والإنصاف للباقلاني ص ٥٩ وتبصرة الأدلة ج ٢ ص ٨١٧ حاكياً حجة بعض الحشوية. وكذلك في القول الفصل ص ٣٦١، وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٢٠٩ عن الحشوية وبعض المعتزلة. وهذه الآية هي حجة الزُّهري كما ذكره الخطابي في معالم السنن ج ٤ ص ٣١٥.

٢- عطف أحدهما على الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ - الأحزاب ٣٥.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ - الأحزاب ٢٢<sup>(١)</sup>.

فعطفَ الإيمانَ على الإسلام في الآية الأولى، والشيء لا يعطف على نفسه<sup>(٢)</sup>. وكذلك العطف في الآية الثانية.

٣- خبر جبريل عليه السلام، حيث سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

وسأله عن الإسلام فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت.

ففرقت السنة النبوية بين الأمرين، فالأول مؤمن، والثاني مسلم<sup>(٣)</sup>.

فالحديث بين أصل الإيمان وهو التصديق الباطن، وبين أصل الإسلام وهو الاستسلام، والانقياد الظاهر.

قال أبو عمرو بن الصلاح: الإيمان والإسلام مجتمعان ويفترقان، وأن كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٢٠٩ عن الحشوية وبعض المعتزلة، والقول الفصل ص ٣٦١ عن بعض الحشوية.

(٢) الإيمان لأبي يعلى ص ٤٣٧.

(٣) تبصرة الأدلة ج ٢ ص ٨١٧ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٢٠٩ والإيمان لأبي يعلى ص ٤٣٧-٤٣٨ ونخبة اللآلي ص ٩٨ والقول الفصل ص ٣٦١ والإنصاف للباقلاني ص ٥٥ والغنية للشيخ عبد القادر ج ١ ص ٧٠.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ج ١ ص ١٤٨ نقلاً عن أبي عمرو بن الصلاح.

القول الثالث: إن قُرْنَ بين الإسلام والإيمان كان بينهما فرق.

فالإيمان جنس تصديق القلب، والإسلام جنس العمل. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ - الأحزاب ٣٥.

وقوله ﷺ: (الإسلام علانية، والإيمان في القلب).

وإذا انفرد أحدهما بالذكر، شمل معنى الآخر وحكمه، فلا فرق بينهما.

فالإسلام والإيمان لفظان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فهما كلفظي الفقير والمسكين، فقوله تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ - المائدة ٨٩، شامل للمقل والمُعْدَم معاً.

وهو قول ابن رجب<sup>(١)</sup>، وابن أبي العز<sup>(٢)</sup>.

### الإحسان

الإحسان: مصدر الفعل أَحْسَنَ، ويُستعمل لمعنيين:

١ - متعدّ بنفسه، كقولك: أَحْسَنْتَ كَذَا، إِذَا حَسَّنْتَهُ وَكَمَّلْتَهُ.

٢ - متعدّ بحرف الجر، كقولك: أَحْسَنْتَ إِلَى فُلَانٍ، أَي: أَوْصَلْتَ إِلَيْهِ النِّفْعَ.

والإحسان الوارد في حَدِيثِ جَبْرِيلَ وهو (قال - أي: جَبْرِيلَ - فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ - أَي: النَّبِيُّ ﷺ -: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)، هو

(١) جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ج ١ ص ١٠٧-١٠٨. وفي هامشه:

حَدِيثُ: الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةٌ... إلخ، فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ عَنْ أَنَسٍ. وَرَوَاهُ أَيْضاً ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو يَعْلَى وَابْنُ أَبِي عُبَيْدٍ فِي الْإِيمَانِ. قَالَ مُحَقِّقُهُ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ: وَفِي إِسْنَادِهِ عَلِيُّ بْنُ مَسْعُودَةَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَانْظُرْ: مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ ج ١ ص ٥٢.

(٢) سَرَحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٤٩٠ و٤٩٢-٤٩٣.

بالمعنى الأول، لا الثاني، إذ إنه يرجع إلى إثنان العبادات ومراعاة حقوق الله تعالى<sup>(١)</sup>.

والإحسان في حديث جبريل شامل للمقامات الثلاثة في العبادة وهي:

المقام الأول: أن يفعل العبادة مستكملاً شروطها وأركانها، فيكون قد أدى ما عليه من التكاليف الشرعية<sup>(٢)</sup>.

المقام الثاني: وهو المراد بقوله ﷺ في حديث جبريل: (أن تعبد الله كأنك تراه)، فهو يعبد الله وكأنه يراه، وهذا مقام المشاهدة. وهو مقام الرسول ﷺ، كما قال: (وجعلت قرة عيني في الصلاة)، لحصول التلذذ بالطاعة<sup>(٣)</sup>.

المقام الثالث: وهو المراد بقوله ﷺ: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، فهو يعبد الله تعالى وقد غلب عليه أن الله تعالى يشاهده.

وهذا هو مقام المراقبة<sup>(٤)</sup>، أو مقام الإخلاص<sup>(٥)</sup>. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِ ۖ﴾ - الشعراء<sup>(٦)</sup>.

وكل من المقامات الثلاثة إحسان، لكن الإحسان الذي هو شرط في صحة العبادة إنما هو المقام الأول.

(١) الْمُفْهِمُ لِلْقُرْطُبِيِّ ج ١ ص ١٤٢-١٤٣ وعُمْدَةُ الْقَارِي ج ١ ص ٢٨٨.

وَحَدِيثُ جَبْرِئِيلَ هُوَ حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَأَمَارَاتِ السَّاعَةِ، الْمُتَقَدِّمُ أَنْفَاءً.

(٢) إِرْشَادُ السَّارِي ج ١ ص ١٤٠.

(٣) إِرْشَادُ السَّارِي السَّابِق. وَذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ ج ١ ص ١٤٣ وَالْعَيْنِيُّ فِي عُمْدَةِ الْقَارِي ج ١ ص ٢٨٨.

(٤) إِرْشَادُ السَّارِي، وَالْمُفْهِمُ، وَعُمْدَةُ الْقَارِي، السَّابِقَةُ.

(٥) جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ج ١ ص ١٢٩.

(٦) الْمُفْهِمُ لِلْقُرْطُبِيِّ السَّابِقِ.



أما المقامان الآخران فهما من صفة الخواص، ويتعذران على الكثير<sup>(١)</sup>.

وهذا التفسير (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)، يشير إلى أن العبد يعبد الله مستحضراً قربته كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبه والتعظيم ومراعاة الأدب ما دام في عبادته، ويوجب النصيح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها<sup>(٢)</sup>.

وقد أوصى النبي ﷺ أصحابه بمثل هذا:

فقد ورد عن أبي ذر قال: أوصاني خليلي ﷺ أن أخشى الله كأني أراه، فإن لم أكن أراه فإنه يراني.

ويروى من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً وموقوفاً: (كن كأنك ترى الله، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك).

ويروى أن رجلاً قال: يا رسول الله، حدثني بحديث، واجعله موجزاً، فقال: (صل صلاة مودّع، فإنك إن كنت لا تراه فإنه يراك)<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث الشريف: (أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت).

وفي الحديث القدسي: (يقول الله عز وجل: أنا مع عبدي إذا ذكرني، وتحركت بي

(١) إرشاد الساري ج ١ ص ١٤٠.

(٢) جامع العلوم والحكم ج ١ ص ١٢٦-١٢٧.

(٣) جامع العلوم والحكم، السابق. وفي هامش جامع العلوم والحكم ج ١ ص ١٢٧:

(حديث زيد بن أرقم رواه أبو نعيم في الحلية ج ٨ ص ٢٠٢ بلفظ: اعبد الله كأنك تراه....

وحديث: صل صلاة مودّع... إلخ: أخرجه الطبراني عن أنس في الأوسط، كما في مجمع

الزوائد ج ١٠ ص ٢٢٩، وهو من حديث ابن عمر لا من حديث أنس كما قال الهيثمي وغيره.

وقال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهم).

شفتاه).

وفي الحديث القدسي أيضاً: (يقول الله عز وجل: أنا مع ظنّ عبدي بي، وأنا معه حيث ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة).

ومن كان يستحضر هذا في حال ذكره الله تعالى وعبادته استأنس بالله عز وجل. قال إبراهيم بن أدهم: (أعلى الدرجات أن تنقطع إلى ربك، وتستأنس إليه بقلبك وعقلك وجميع جوارحك، حتى لا ترجو إلا ربك، ولا تخاف إلا ذنبك). وقال معروف الكرخي لرجل: (توكل على الله حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك)<sup>(١)</sup>.

---

(١) جامع العلوم والحكم ج ١ ص ١٣٠-١٣٤، وخرج مُحَقِّقُهُ تلك الأحاديث في هامش ص ١٣١ وذكر:

حديث: أنا مع عبدي إذا ذكرني... إلخ: رواه من حديث أبي هريرة، أحمد في مسنده والبخاري في خلق أفعال العباد وابن ماجه وصححه ابن حبان، والحاكم ووافقه الذهبي.

وحديث: يقول الله عز وجل: أنا مع ظنّ عبدي بي... إلخ: رواه من حديث أبي هريرة: أحمد في مسنده والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وصححه ابن حبان.

## المبحث الثاني

### أهمية الإيمان في الحياة

للإيمان بالله تعالى ورُسُوله ﷺ آثار عَظِيمَةٌ على حياة المُسْلِم. تنقله من الظلمات إلى النُّور، وتميز حياته عن حياة الملحد والمُشْرِك. تتجلى في ما يأتي:

١- الإيمان بالله تعالى، وبأنه وَاحِدٌ يَمْكُنُ المرءَ من العلم بأن السماوات والأرض لها رب يكلؤها برعايته، ويرعى من فيها بعنايته، فيرزقهم ويربيهم، ويعلمه بأن ليس في هذا الكون شيء يقوم بنفسه.

أما المُشْرِك والمُلحد فلا يقول بمثل هذا.

٢- الإيمان بالله ووحْدانيته ينشئ في الإنسان العزة والأنفة. فالله هو القَوِيُّ، ولا ضَارٌّ ولا نَافِع ولا مُخَيِّ ولا مُمَيِّت إلَّا هو، فلا يطأطئ رأسه لأحد، ولا يتضرع إليه، ولا يرتعب من كبريائه.

أما المُشْرِك والمُلحد فيرى غيره قَادِرًا على نفعه وضره، فيتضرع إليه، ويرتعب منه.

٣- الإيمان ينشئ في المرء التواضع. فلا تراه يفخر بهاله وعزته وكفاءته، وإنما يقول: هي هِبَةٌ من الله تعالى.

بخلاف الملحد الذي يبطر إذا حدث له نعمة عاجلة، ويشمخ بأنفه على غيره.

٤- المُؤْمِن بالله ووحْدانيته يرى أن النجاة والفلاح لا تكون إلَّا بِتَزَكِيَةِ النفس، والعَمَلِ الصالح، والبر، والتَّقَى.

أما المُشْرِك فيقول: إنَّ ابن الله قد أصبح كفارة عن ذنوبنا، أو نحن أبناء الله وأحباؤه، فلن يعذبنا بذنوبنا، أو نستشفع بكبرائنا وأتقيائنا، أو بتقديم النذور والقرايين إلى الألهة.

والملحد يقول: لا نُسأل عن أَعْمَالنا، فالشهوات النفسية هي آهتهم.

٥- الْمُؤْمِن لا يتسرب إليه اليأس، بل هو مطمئن مملوء سَكِينَةً وأَمَلًا. ولو أُهين، ولو أُوذِي.

أما المُشْرِك والملحد فلا يقوى قلبه على الوقوف بالمحن، وقد يفضي اليأس بهم إلى الانتحار.

٦- الْمُؤْمِن على قوة عَظِيمَةٍ من العزم والإقدام، والصبر والثبات، والتوكل، فإذا كان حَاكِمًا لا يبتغي إلا مرضاة الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يهيمه إلا إقامة العَدْل، لأن وراءه قوة علوية، تكلؤه، وترعاه، وتأخذ بيده.

أما المُشْرِك والملحد فلا ينتظر مثل هذه القوة، فلا يملك عندئذٍ من العزم والتوكل ما يملكه الْمُؤْمِن.

٧- الْمُؤْمِن على قدر كَبِيرٍ من الشَّجَاعَةِ والجرأة. لأن الذي يوهن عزم الإنسان، أمران، هما:

أ- حبه للنفس والمال والأهل.

ب- اعتقاده بأن هناك أحداً يُميت غير الله، وأنه قَادِر على أن يدرأ عن نفسه الموت بحيلة من الحيل.

فالمُؤْمِن يؤمن بأن مَالِك النفس والمال والأهل هو الله تعالى، وأن المُمِيت هو الله وحده بالأجل المحتوم المخصص، فلا يخشى عندئذٍ رجلاً أو حَرْباً، فلا يكون أجراً ولا أشجع من الْمُؤْمِن الحق.

بخلاف الملحد والمُشرك الجبان، الذي يخشى زحف الجيوش وقوة العدو.

٨- الإيمان يرفع قدر الإنسان، وينشئ فيه: الترفع والقناعة والاستغناء، ويظهر قلبه من الطمع واللؤم، والعواطف السافلة، والصفات القبيحة الأخرى، فالرزق لا يكون إلا بيد الله وحده، فلا نجاح ولا خسران إلا بيده تعالى.

أما الملحد والمُشرك فهو عبد الطمع والشره، وهُمه الكسب بالسُّبُل المشروعة وغير المشروعة.

٩- الإيمان يجعل الإنسان مُتَقَيِّدًا بِقَانُونِ الله، ومحافظاً عليه. فهو إن خلا بنفسه ليلاً ونهاراً، يعلم أن عليه رَقِيْبًا، يحاسبه على كل صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، فتراه يُسَارِعُ إِلَى الْخَيْرَاتِ، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر. فوازعه النفسي يحضه على الخير، وينهاه عن كل رذيلة.

أما الملحد والمُشرك فلا يرى شيئاً من هذا<sup>(١)</sup>.



# الفصل الرابع

## الإلهيات

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَثُ الأول: وجود الله تعالى وأدلته.

المصادقة، سبب الإلحاد.

المَبْحَثُ الثاني: الأسماء الحُسْنَى.

المَبْحَثُ الثالث: الصفات الإلهية، وما يترتب عليها.

أولاً: ما يجب في حقه تعالى من الصفات:

الصفة النَّفْسِيَّة: وهي الوجود.

الصفات السَّلْبِيَّة: القَدَم، البَقَاء، مخالفة الحوادث،

القيام بالنفس، الوحدانية.

صفات المعاني: القدرة، الإرادة، السمع، البصر،

العِلْم، الكلام، الحياة.

ثانياً: ما يستحيل في حقه تعالى.

ثالثاً: ما يجوز في حقه تعالى: رؤية الله تعالى.

القضاء والقدر.





## المبحث الأول

### وجود الله تعالى وأدلة

الإيمان بالله سبحانه وتعالى هو الركن الأول من أركان الإيمان الوارد في حديث جبريل: (أن تؤمن بالله...)، وهو الركن الأول من أركان الإسلام الوارد في الحديث المذكور: (أن تشهد أن لا إله إلا الله...)، فهو أساس مسائل العقيدة جميعاً.

وهنا نبحت مسألة وجود الله تعالى وصفاته، متخذين طريقين ينتهيان إلى اليقين الذي لا شك فيه:

الطريق الأول: اعتماد الدليل النقلي من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة الثابتة عن الرسول ﷺ، مُعرضين عن الأحاديث الضعيفة.

والطريق الثاني: النظر العقلي السليم، إذ هو عمدة دراستنا في العقائد.

وبذلك تبني العقيدة الإسلامية في النفوس على أساس متين، يعتمد البراهين اليقينية التي لا تقبل الجدل.

### وجود الله سبحانه وتعالى

آمن جمهورُ الناس بوجود الله عز وجل، بعد أن تفكروا في الكون ودقائقه، وحكموا عقولهم، وجنبوها الهوى.

وأنكره الضالّون، مدّعين حرية العقل، بحجة أن الحواس لم تدركه، والغيب لا يُعوّل عليه في إثبات وجوده.

لذلك رد العلماء على المنكرين بأدلة نقلية وعقلية صريحة كثيرة، تثبت للعاقل

المتمحص وجود الله تعالى، وأنه مُوجد الكون.

وفيما يأتي أهم تلك الأدلة.

### أدلة وجود الله تعالى

استدل العلماء على وجود الله تعالى بأدلة كثيرة منها: دليل الحدوث، ودليل الوجوب، ودليل العناية والاختراع، والدليل الوجودي، والدليل الأخلاقي.

#### الدليل الأول: دليل الحدوث

بنى المتكلمون هذا الدليل على المُقَدِّمَتَيْن الآتيتين:

المُقَدِّمة الأولى: العالم حادث.

المُقَدِّمة الثانية: كل حادث لا بد له من مُحدث.

النتيجة: العالم لا بد له من مُحدث<sup>(١)</sup> يُحدثه، أي: يرجع وجوده على عدمه<sup>(٢)</sup>،

(١) شرح الخريدة للدردير ص ٤٤.

وهاتان المُقَدِّمتان في: إحياء علوم الدين للغزالي، انظره بشرحه إتحاف السادة للزبيدي ج ٢ ص ٩٠ والمواقف ج ٨ ص ٢ والمُسَايَرَة لابن الهمام، وشرحه المُسامرة لابن أبي شريف ص ١٧ وشرح الجوهرية للباجوري ص ١٠٤. وانظر: المطالب العالية للرازي ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) المُسامرة لابن أبي شريف السابق.

العالم: هو كل ما عدا الله سبحانه وتعالى من الموجودات.

والحادث: هو ما كان معدوماً ثم وجد. وسمي حادثاً لأنه حدث وظهر لعلّة أوجدته بعد أن لم يكن. / المُسامرة لابن أبي شريف، وإتحاف السادة، السابقان.

وتعريف العالم هذا في: العقيدة النظامية للجويني ص ١٢٩ والإنصاف للباقلاني ص ٣٠ والتمهيد للأمشي ص ٤٥ وتبصرة الأدلة ج ١ ص ٤٤.

وهو الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولكي تظهر لنا صحة هذه النتيجة يجب أن نقيم الدليل على صحة كل من المُقَدِّمَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ.

**الدليل على أن العالم حادث:**

هو تغيّره من حال إلى حال، ويمكن صياغته على النحو الآتي:

العالم متركب من جواهر وأعراض.

وكل من الجواهر والأعراض متغير.

فالعالم متغير<sup>(١)</sup>. والتغير دليل الحدوث.

(١) شَرَحَ الْخَرِيدَةُ لِلدَّرْدِيرِ ص ٤٤-٤٥. وانظر: الْمُسَايَرَةُ لابن الهمام، وشرحه الْمُسَامَرَةُ لابن أبي شَرِيف ص ١٨. وذكر أبو الْمُعِين النَّسْفِي: (إن العالم عند عامة المتكلمين أقسام ثلاثة: جواهر وأجسام وأعراض. ولم يَرْضَ الإمام أبو مَنْصُور الْمَآثِرِيُّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ لِأَن فِيهَا تَدَاخُلًا، فَقَالَ: الْعَالَمُ قِسْمَانِ: أَعْيَانٌ وَأَعْرَاضٌ. وَالْأَعْيَانُ قِسْمَانِ: غَيْرٌ مُتْرَكِبَةٌ وَهِيَ فِي عَرَفِ الْمُتَكَلِّمِينَ الْجَوَاهِرُ، وَمُتْرَكِبَةٌ وَهِيَ فِي عَرَفِهِمُ الْأَجْسَامُ، قَالَ: وَبِهَذَا يَعْرِفُ أَنَّ كُلَّ جِسْمٍ جَوْهَرٌ). / تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٤٤-٤٥.

الجوهر: ما قام بنفسه.

وَالْعَرَضُ: ما قام بغيره. وبعض الأعراض تدرك بالحواس الظاهرة: كالحلاوة، والصوت، والألوان، والروائح، والبرودة، والخشونة. وبعضها يدرك بالعقل: كالقدرة، والإرادة، والعلم. / شَرَحَ الْخَرِيدَةُ لِلدَّرْدِيرِ ص ٤٣ وَشَرَحَ الصَّائِي عَلَيْهِ.

وذكر الْجَوْنِي فِي الْإِرْشَادِ ص ١٧: (الجوهر هو المتحيّز، وكل ذي حجم متحيّز، والعَرَضُ هو المعنى القائم بالجوهر كالألوان والطعوم والروائح والحياة والموت والعُلُومُ والإرادات والقُدَرُ القائمة بالجواهر). وقال أيضاً فِي الْإِرْشَادِ ص ٢٣: (الجواهر في اصطلاح الملحة - الفلاسفة - تسمى الهوى، والأعراض تسمى الصورة).

والأعراض حادثة، بدليل:

أ- تغيرها من عدم إلى وجود، ومن وجود إلى عدم، وذلك:

إما بالمشاهدة كالحركة بعد السكون، والضوء بعد الظلمة، والسواد بعد البياض، والحرارة بعد البرودة، إلى غير ذلك، وبالعكس.

وإما بالدليل، وذلك لأن ما شوهه سكونه مثلاً على الدوام كالجبال، جازت عليه الحركة بزلزال<sup>(١)</sup>.

ب- احتياجها إلى مخصص يُخصّصها بوقت حدوثها دون ما قبله وما بعده، فلا بد من مرجح لوقوعه في ذلك الوقت، لأن الترجيح من غير مرجح محال.

ج- افتقارها إلى جسم تقوم به<sup>(٢)</sup>.

والجواهر حادثة أيضاً، وذلك:

لأنها ملازمة للأعراض لا تنفصل عنها، فهي لا تخلو عن الحركة والسكون والألوان...، والأعراض حادثة كما تقدم، وكل ما لا ينفك عن الحادث فهو حادث.

فإذا ثبت أن الجواهر والأعراض حادثة لزم أن يكون العالم المكوّن منهما

والجسم: هو المؤلف المركب من جوهرين فأكثر. / المُسامرة لابن أبي شريف السّابق. وانظر: تمهيد الأوائل ص ٣٧ والإنصاف للباقليّ ص ١٦ والإرشاد للجوينيّ ص ١٧ والتمهيد للأشعريّ ص ٤٦.

وقد يعبر بعضهم مثل ابن الهمام عن الجواهر بالأجسام، وهما في اللغة بمعنى واحد. / المُسامرة لابن أبي شريف ص ١٨.

(١) شرح الخريدة للدردير، والمسامرة لابن أبي شريف، السّابقان. وانظر: تمهيد الأوائل والإنصاف السّابقين، وشرح الجوهرة للباقريّ ص ٨٨ وشرح أم البراهين للسّنوسيّ والدسوقيّ عليه ص ١٥١.

(٢) المُسايرة لابن الهمام، وشرحه المُسامرة لابن أبي شريف، السّابقان.

حادثاً<sup>(١)</sup>.

وبذلك تسلم المُقدِّمة الأولى (العالم حادث).

الدليل على أن كل حادث لا بد له من مُحدث يُحدثه:

هو أن المصنوع لو حدث بلا صانع، للزم أن يكون المصنوع قد حدث بنفسه، فيلزم ترجيح أحد الأمرين المتساويين - أي: الوجود والعدم - على مساويه بلا سبب، وهو محال<sup>(٢)</sup>.

فلو حدث حادث بلا مُحدث، للزم أن يترجح وجوده على عدمه بلا مرجح، وهو مستحيل بالبدهة.

ومعنى الرجحان بدون مرجح هو: أن يكون الشيء جارياً على نسق معين، ثم يتحول عن نسقه بدون وجود أي مغير.

وهذا واضح البطلان لأن جميع العقلاء يعلمون أن لا بد لتحويل الشيء عن حاله السابقة من محوّل، يفرض عليه هذا الوضع الجديد، وينسخ حاله القديمة. فإنك لو تركت كفتي ميزان متساويتين، لا ثقل في أحدهما، وزعمت أن إحداهما قد ترجحت، دون أي مؤثر خارجي، كنفخة هواء أو سقوط حَجَر... ولو زعمت للناس أن جهاز المذياع أوصل إليك أخبار العالم دون أن تدير صمامه لضحكوا منك وأشفقوا عليك.

وعلى ذلك نقول: كان العدم هو المنبسط محل العالم قبل وجوده، فالعدم أرجح من الوجود لسبقه، ولكن حين خُلق هذا العالم ترجح وجوده على العدم، والوجود والعدم أمران متساويان في الأصل، وترجح أحد هذين الأمرين المتساويين على الآخر

(١) شرح الخريذة للذريير ص ٤٥.

(٢) شرح الخريذة للذريير ص ٤٥ وقال: (هذا هو البرهان المشهور بينهم في بيان حدوث العالم وافتقاره إلى صانع)، وانظر: ص ٥١ وحاشية الصاوي عليه.

بلا مرجح مستحيل وباطل بالبدهة.

فالقول بأن العدم قد تحوّل إلى وجود العالم دون مسبب لهذا الوجود، باطل ومستحيل استحالة دعوى صاحب الميزان والمذيع<sup>(١)</sup>.

وبذلك تسلم لنا المقدّمة الثانية، وهي: (كل حادث لا بد له من مُحدث).  
فإذا سلمت المُقدّمتان سلمت النتيجة، وهي: العالم لا بد له من مُحدث يُحدثه.

### الدليل الثاني: دليل الوجوب

موجد هذا الكون إما أن يكون: مستحيلاً، أو ممكناً، أو واجباً، لأن كل أمر لا بد أن يتصف بواحد من الأمور الثلاثة السَّابِقة ولا رابع لها، لأنها أقسام الحكم العقلي<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: كبرى اليقنيات الكونية ص ٨١ و ٨٣ وشرح الخريدة للذّرير ص ٤٥. وانظر الرجحان بلا مرجح في: المطالب العالية للرازي ج ١ ص ٧٥ وما بعدها.

(٢) الحكم: هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه، بواسطة: الشرع، أو العادة، أو العقل. فهو ثلاثة أقسام:

- ١- الحكم الشرعيّ: وهو الذي تكون وسيلة إثباته الشرع، كإثبات الوجوب للصلاة.
- ٢- الحكم العادي: وهو الذي تكون وسيلة إثباته العادة والتجربة، كإثبات الإحراق للنار.

٣- الحكم العقلي: وهو الذي تكون وسيلة إثباته العقل، كإثبات الزوجية للعدد (٢) و(٤)...، والحكم العقلي هو عمدة دراستنا في العقائد.

الحكم العقلي: ينقسم إلى ثلاثة أقسام: واجب، ومستحيل، وممكن (جائز).

- ١- الواجب: وهو الثابت الذي لا يقبل الانتفاء، أو هو ما لا يتصور في العقل عدمه. كوجوب القدرة لله تعالى، وكوجوب الزوجية للعدد (٤).

٢- المستحيل: هو المنفي الذي لا يقبل الثبوت فلا يمكن وجوده، ولا يتصور حدوثه مطلقاً،

١- فلا يجوز أن يكون مُوجد العالم مستحيلاً، لأن المستحيل لا يُتصور وجوده مطلقاً، فهو عدم مُحض، فلا يمكن أن يوجد غيره، إذ إن (فاقد الشيء لا يعطيه)، فكيف يكون المستحيل مصدراً للوجود؟

٢- كما لا يجوز أن يكون مُوجد العالم ممكناً، لأن الممكن لا يوجد إلا إذا وجد سبب وجوده، وهذا السبب إن كان ممكناً فعندئذٍ يحتاج إلى سبب آخر... إلخ وهكذا. وهذا يلزم منه الدُّور أو التسلسل، وكلاهما باطل، كما سيأتي بيانه بعد قليل، فما أدى إليهما فهو باطل. فلزم أن لا يكون موجد الكون ممكناً.

٣- ولما ثبت أن مُوجد العالم ليس بمستحيل ولا بممكن، وجب أن يكون مُوجد العالم واجب الوجود. فلا يحتاج وجوده إلى سبب، بل هو سبب وجود العالم<sup>(١)</sup>.

أو هو ما لا يُتصور في العقل وجوده. كإثبات شريك لله، وكتقدم الابن على أبيه في الوجود.

٣- الممكن (الجازئ): هو الذي يقبل الثبوت تارة والنفي تارة أخرى على التعاقب. أي: يمكن وجوده إذا وجد السبب الذي يرجح وجوده. أو هو ما يصح في العقل وجوده وعدمه على السواء، ولا يوجد إلا بمرجح، كوجود الجنة الآن، وكوجودك الآن في هذه الغرفة.

السُّنُوسِيَّة وشرحها للْبَاجُورِيِّ ص ٣٤ وشرح أم البراهين للسُّنُوسِيِّ وحاشية الدُّسُوقِيِّ عليه ص ٣٠ وشرح الخريدة للدردير وحاشية الصاوي عليه ص ٢٩-٣٣-٣٨-٤١ والمُعْتَقَدُ الْمُتَقَدِّمُ ص ١٣-١٥ والكُلِّيَّات للكَفَوِيِّ ص ٣٨٠.

(١) انظر: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٤ وحاشية الدَّوَانِيِّ والكَلَنْبُورِيِّ عليه ج ١ ص ٢٢٧ وشرح الجوهرة للْبَاجُورِيِّ ص ١٠٤ ونهاية الإقدام ص ١٥ والرازِي مفسراً ص ٢٨٢.

معنى واجب الوجود: هو أنه لا يجوز عليه العدم، فلا يقبل العدم لا أزلاً ولا أبداً. / شرح الجوهرة للْبَاجُورِيِّ ص ١٠٤ وشرح الخريدة للدردير ص ٥٠.

وذكر الرازي أن المتكلمين فسروا واجب الوجود لذاته بأمر ثلاثة:

معنى الدور ودليل بطلانه:

الدور: هو أن يكون شيئان، كل منهما علة للآخر<sup>(١)</sup>. كقولك: زيد أوجد عمراً، وعمرو أوجد زيدا.

فكل من زيد وعمرو، يتوقف وجود أحدهما على الآخر. وهو الدور الباطل<sup>(٢)</sup>، وكل منهما يظل معدوماً حتى يأتي مؤثر خارجي.

دليل بطلان الدور:

هو أن يستلزم أن يكون كل واحد منهما سابقاً صاحبه، ومتأخراً عنه، في وقت واحد. وهذا يعني استلزام تقدم الشيء على نفسه وهو تناقض<sup>(٣)</sup>.

(أ) - إنه هو الذي يستحق الوجود من ذاته. وهذا يفيد أن ذاته علة لوجود نفسه.

ب- إنه هو الذي لا يقبل العدم، أو إنه الذي لا يصح عليه العدم.

ج- إنه هو الذي لا يتوقف وجوده على سبب منفصل، أو الذي لا يكون وجوده معللاً بسبب منفصل). / المطالب العالية للرازي ج ١ ص ٢٨١.

(١) المواقف ج ٤ ص ١٥٠.

(٢) شرح الجوهر للباجوري ص ١٠٥.

الدور باطل سواء كان:

من مرتبة واحدة: (ويسمى الدور المصريح)، كما يتوقف أ على ب، وبالعكس.

أو من مراتب متعددة: (ويسمى الدور المضمّر)، كما يتوقف أ على ب، وب على ج، وج على أ.

انظر: التعريفات ص ٩٤ كلمة (الدور). وبهذا المعنى: مقاصد الطالبيين وشرحه للفتاواني ج ٢ ص ١١٢ ومفتاح الباب ص ٨٦.

(٣) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٤ ص ١٥١ والمقاصد للفتاواني ج ٢ ص ١١٢ وشرح الحريزة للذردير ص ٥٦ وشرح الجوهرة للباجوري ص ١٠٥ وشرح أم البراهين



فَعَمَرُوا يَتَوَقَّفُ وجوده على زَيْدٍ، وَزَيْدٌ يَتَوَقَّفُ وجوده على عَمْرٍو. وهذا يعني أن عَمَرًا يَتَوَقَّفُ وجوده على عَمْرٍو، بعد حذف الحد الأوسط (زَيْد).

وهذا يستلزم تقدم الشيء على نفسه، أي: يلزم أن يتقدم عَمْرٍو على عَمْرٍو، لأنه سابق ومسبوق، فيلزم أن يكون عَمْرٍو موجوداً قبل أن يُوجَد، وهذا باطل<sup>(١)</sup>.

ومثال بطلان الدَّور:

وجود البيض متوقف على وجود الدجاج. ووجود الدجاج متوقف على وجود البيض. فلو فرضنا أن لا وسيلة إلى وجود هذا ولا ذاك إلا عن هذا الطريق فإن من البديهي أن كلاً من الأمرين يظنان مَعْدُومَيْنِ حتى يأتي مؤثر خارجي، يُوجِد البيض ويُوجِد الدجاج، فينتهي الدَّور عندئذٍ.

فإذا قيل:

إنَّ سببَ حدوثِ العالم هو: التفاعل الذاتي في الموجودات بتأثير الضغط والحرارة والبرودة بمرور الزمان.

أُجيب: بأنَّ هذا هو الدَّور الباطل، لأنه يعني: أن وجود العالم متوقف على بعضه (الضغط والحرارة والبرودة...)، وبعضه متوقف في وجوده على العالم. وهذا يعني: تقدم الشيء على نفسه، وهو باطل كما تقدم<sup>(٢)</sup>.

معنى التسلسل ودليل بطلانه:

التسلسل: هو أن يستند الممكن في وجوده إلى عِلَّة مؤثرة فيه، وتستند تلك العِلَّة

للسُّنُوسِيِّ ص ١٥٥ والمَطَالِبِ العالية للِرَّازِيِّ ج ١ ص ١٣٦ والمُحَصِّلِ للِرَّازِيِّ ص ١٤٩ وكَشَفُ المُرَاد ص ١١٧ والوسيلة في شَرْحِ الفضيلة ص ٤٦١.

(١) انظر: شَرْحُ الجَوْهَرَةِ للِبَّاجُورِيِّ ص ١٠٥.

(٢) كبرى اليقينيّات الكونية ص ٨٩-٩٠.

المؤثرة إلى عِلَّةٍ أُخْرَى مؤثرة فيها، وهَلُمَّ جَرًّا إلى ما لا نِهَايةً<sup>(١)</sup>.

فالتسلسل يعني: أَنَّ المخلوقات متوالدة عن بعضها، إلى ما لا نِهَايةً، بحيث يكون كل واحد منها معلولاً لما قبله، وعِلَّةٌ لما بعده، دون أن تنبع هذه السلسلة من عِلَّةٍ واجبة الوجود<sup>(٢)</sup>.

دليل بطلان التسلسل:

١- إنه يؤدي إلى وجود آلهة لا نِهَاية لها، كُلُّ منها متصفٌ بالحدوث والعجز والافتقار، وهو باطل قطعاً، لأنه منافٍ لمقام الألوهية من القدرة والغنى المطلق، إذ العَاجِزُ الْفَقِيرُ لا يَصِحُّ أن يكون خَالِقاً لِلْعَالَمِ الْبَدِيعِ الْإِتْقَانِ<sup>(٣)</sup>.

٢- التسلسل منقوض بالحس والمشاهدة، ذَلِكَ لِأَن هُنَاكَ مَخْلُوقَاتٌ انْقَرَضَتْ. فلو صحَّ أَنَّ الموجودات تتسلسل إلى ما لا نِهَاية - بأن تكون كُلُّ حلقةٍ فيها معلولاً لما قبلها، وعِلَّةٌ تامةٌ لما بعدها - لما انقرضت هذه الموجودات، لِأَن الحلقةَ الْأَخِيرَةَ فيها معلولة فقط، وليست بعِلَّةٍ كسابقتها<sup>(٤)</sup>.

٣- بُرْهَانُ التَّطْيِيقِ وهو أشهر أدِلَّةِ المتكلمين وهو:

أَنَّكَ لو فرضتَ سلسلتين، وجعلتَ إحداهما من الآن إلى ما لا نِهَاية. والأخرى من الطوفان إلى ما لا نِهَاية. وطبقتَ بينهما بأن قابلتَ بين أفرادهما من أولهما.

فكلما طَرَحْتَ مِنَ الْآنِيةِ (نسبة إلى الآن، أي: الوقت الحاضر) حلقةً وَاحِدَةً، طَرَحْتَ فِي مَقَابِلَتِهَا مِنَ الطُوفَانِيةِ (نسبة إلى الطوفان) وَاحِدَةً وَهَكَذَا....

(١) الْمَوَاقِفُ وشرحه للشيخ الشَّيْخِ الشَّرِيفِ ج ٤ ص ١٦٠.

(٢) كبرى اليقينية الكونية ص ٨٤.

(٣) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٥٦. وانظر: الْمُحَصِّلُ لِلرَّازِي ص ١٤٩.

(٤) كبرى اليقينية الكونية ص ٨٤ وما بعدها. وأشار إلى كتاب: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين للأستاذ الشيخ مُصْطَفَى صبري ج ٢ ص ١٨٢.

فلا يخلو:

إما أن يفرغا معاً، فيكون كل منهما له نِهَايةٌ، وهو خلاف الفرض.

وإن لم يفرغا - كما فرضنا -، لزم مساواة الناقص للكامل، وهو باطل.

وإن فرغت الطوفانية دون الآنية، كانت الطوفانية متناهية، والآنية أيضاً كذلك، لأنها إنما زادت على الطوفانية بقدر متناهٍ وهو ما من الطوفان إلى الآن، ومن المعلوم أن الزائد على شيء مُتَنَاهٍ بقدر مُتَنَاهٍ يكون متناهياً بالضرورة<sup>(١)</sup>.

ومثال بطلان التسلسل:

١- إذا رأيت رقماً حسابياً طَوِيلاً، يتراصف إلى جانبه عدد كبير من الأصفار، فإنك تسرع لتنظر قبل كل شيء إلى الرقم العددي الأول، وما لم تقع عينك على ذلك الرقم، فإنك لا تعطي قيمة للأصفار الكثيرة، ما لم تستند إلى رقم ذاتي قبلها، لأن الرقم الذي يملك قيمة ذاتية في داخله، هو الذي يضيفي الحياة والقيمة على الأصفار المتسلسلة التي عن يمينه، فسلسلة الأصفار التي لم تنته إلى رقم عددي هي خالية عن أية قيمة، وافترض التسلسل اللانهائي فيها لا يجعل لها أية قيمة.

٢- لو ادعيتُ أمامك حقيقةً عِلْمِيَّةً، وحين سألتني عن الدليل أجبتُك ببُرْهَانٍ يتوقفُ على بُرْهَانٍ آخر. وحين سألتني عن بُرْهَانٍ أجبتُك ببُرْهَانٍ يتوقف على آخر... وهكذا، فإنك تكذبني في دعواي، بل تكذب وجودها أصلاً.

فكلُّ من هُذِه البراهين المتسلسلة، التي فرضنا أنه لا نِهَايةَ لها، ليست إلا ظلالاً تنتظر أصلها الأول. فإن لم يوجد ذلك الأصل، فهذه الظلال نفسها غير موجودة، ومن

(١) شَرَحَ الجَوْهَرَةُ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٠٥. وانظر: المَوَاقِفَ وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٤ ص ١٦٧ وما بعدها، والمَقَاصِدَ وشرحه للفتَّازاني ج ٢ ص ١٢٠ وما بعدها، وكَشَفَ المُرَاد ص ١١٩ والوسيلة في شَرَحِ الفضيلة ص ٤٦١-٤٦٥.

ثم فإن الحقيقة المدعاة أيضاً تكون غير موجودة<sup>(١)</sup>.

وإذا بطل الدَّور والتسلسل، بطل ما أدَّى إليهما، وهو كون موجد العالم ممكناً، وعندئذٍ وجب أن يكون الموجد واجب الوجود.

ولا يخرج عن هذين الدليلين الدليل الذي ذكره بعض فلاسفة الغرب، وهو أقوى الأدلة وأبسطها لديهم، المسمى بـبرهان الخلق، أو الدليل الكوني<sup>(٢)</sup>.

### الدليل الثالث: دليل العناية والاختراع (البرهان العلمي)

وهذا الدليل هو أجل الأدلة على وجود الله تعالى وأوضحها. وهو الذي ذكره ابن رشد في مناهج الأدلة باسم العناية والاختراع، وذكر أنه يمكن أن يتخذه:

أ- الجُمهُور طريقاً لإثبات وجود الله تعالى، فيقتصرون منه على ما هو مدرك بالمعرفة الأولى المبنية على الحس.

ب- والعلماء، فيزيّدون على ما يُدرك من هذه الأشياء بالحس ما يُدرك بالبرهان.

(١) كبرى اليقينية الكونية السابق.

(٢) وملخص هذا الدليل: هو أن الموجودات لا بد لها من موجد، لأننا نرى كل موجود منها يتوقف على غيره، ويرى غيره هذا يتوقف على موجود آخر، دون أن نعرف ضرورة توجب وجوده لذاته.

انظر: الكلام عن هذا الدليل في: (الله) للعقاد ص ١٩٢-١٩٣ وعرض لأحد طرقه وهو: دليل الحركة (برهان المحرك الذي لا يتحرك) وفحواه: أن المتحرك لا بد له من محرك، وأن هذا المحرك لا بد أن يستمد الحركة من غيره، وهكذا إلى أن يقف العقل عند محرك واحد، لا تجوز عليه الحركة، لأنه قائم بغير حدود من المكان أو الزمان. وهذا هو الله.

وانظر: دراسات في الفرق ص ١٩٠ وما بعدها، وعرض لطريقتين من طرق الخمسة المشهورة التي لخصها القديس توما الأكويني وهما: برهان الحركة، وبرهان المكان والوجوب.

وهذا الدليل هو الذي نبه عليه القرآن الكريم، واعتمده الصحابة رضي الله عنهم. وبيان هذا الدليل بشطريه فيما يأتي:

### الأول: دليل العناية:

وهذا يظهر في العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله. وبينى على أصلين هما:

- ١- إن جميع الموجودات التي ههنا موافقة لوجود الإنسان.
  - ٢- إن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق.
- والموافقة تحصل باعتبار موافقة الليل والنهار والشمس والقمر لوجود الإنسان، وكذلك موافقة الزمان والمكان الذي هو فيه أيضاً، والحيوان والنبات والجماد والأمطار والأنهار والبحار والنار والهواء....
- وكذلك أيضاً تظهر العناية في أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان. أي: كونها موافقة لحياته ووجوده.

ومن آيات القرآن الكريم التي بينت هذا الدليل:

- قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ - الفرقان ٦١.

- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۖ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۖ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۖ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِّبَاسًا ۖ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۖ وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۖ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۖ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۖ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۖ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۖ﴾ - النبا.

- قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۖ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۖ

﴿٢٦﴾ فَأَلْبَنَّا فِيهَا جَبًا ﴿٢٧﴾ وَعَنَابًا وَقَضَبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَنَكِهَةً وَأَبَا ﴿٣١﴾ مَنَعًا لَكُمْ وَلَا نَعْمَكُمْ ﴿٣٢﴾ - عَبَسَ.

### الثاني: دليل الاختراع:

وهو ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات. كاختراع الحياة في الجماد، والإدراكات الحسية، والعقل. ويدخل فيه: وجود الحيوان كله، ووجود النبات، ووجود السماوات.

وهذا الدليل يبنى على أصلين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس هما:

١- أن هذه الموجودات مختَرَعة، فإننا نرى أجساماً جمادية، ثم تحدث فيها الحياة، فنعلم قطعاً أن ههنا موجداً للحياة ومُنعماً بها، وهو الله تبارك وتعالى.

وأما السماوات، فنعلم من قبل حركتها التي لا تفر، أنها مأمورة بالعناية بها ههنا ومسخرة لنا، والمسخر المأمور مخترع من قبل غيره ضرورة.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ الْذِي تَدْعُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ - الحج ٧٣.

ب- إن كل مخترع فله مخترع، فعلى من أراد معرفة الله حق معرفته، أن يعرف جواهر الأشياء، ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات، لأن من لم يعرف حقيقة الشيء، لم يعرف حقيقة الاختراع.

- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ - الأعراف ١٨٥.

- وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ - الطارق.

- وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ - الغاشية ١٧.

وأما الآيات القرآنية التي تجمع بين هذين الدليلين فمنها:

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ - البقرة.

فقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، تنبيه على دلالة الاختراع.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾، تنبيه على دلالة العناية.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيلَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ - آل عمران ١٩١<sup>(١)</sup>.

والدليل العلمي هو الذي أكد عليه العلماء في العصر الحاضر خاصة، بعد أن اتسع نطاق العلم، وظهرت المخترعات الحديثة التي كانت سبباً في استكشاف آفاق الفضاء، والوقوف على أسرار الطبيعة، ومعرفة خفاياها، مما دعا رجال العلم في مختلف ميادينها إلى أن يتحدثوا بقدرة الله تعالى وإبداعه وعظمته وحيرة العقل الإنساني أمام تلك الأسرار في كل مخلوق.

وما نذكره هنا من نظرات في بعض ميادين العلم، ووقوف العلماء على بعض أسرار الكون، ما هي إلا مفتاح للذهن، يدفعه للتفكير في أمر هذا الكون المترامي الأطراف، ولا ريب فإن كل جزئية فيه ناطقة بربوبية (خالقية) الله تعالى ووحدانيته.

فيا عَجَباً كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ      أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَا حِدُ  
وفي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ      تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ  
ومن هذه الأمثلة:

١ - النجوم عبارة عن كتل ملتهبة بعيدة عن الأرض.

(١) مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد ص ١٥١-١٥٥ ونقله الدكتور عرفان عبد الحميد في: دراسات في الفرق ص ١٧٥.

فأقرب نجم إلينا يساوي أربع سنوات وربع من السنين الضوئية<sup>(١)</sup>. وألمع نجم نراه في السماء هو نجم الشَّعْرَى الْيَمَانِيَّة، والذي عَبْدُهُ فَرِيقٌ من الْعَرَب قبل الإسلام، يبعد عنا ثمانى سنوات ونصف من السنين الضوئية<sup>(٢)</sup>.

وأعلن الفلكيون عن رصدهم نجماً يبعد عنا اثني عشر ونصف بليون (والبليون يساوي مليون مليون) سنة ضوئية<sup>(٣)</sup>.

ودرجات حرارة سطوحها متفاوتة. لذا اختلفت ألوانها من أَحْمَر دَاكِن إلى أَحْمَر فاتح إلى برتقالي إلى أصفر إلى أبيض إلى أزرق، فالنجوم الزرقاء تصل درجة حرارة سطوحها عشرات الألوف من الدرجات.

ودرجة حرارة سطح نجم الشَّعْرَى الْيَمَانِيَّة تبلغ أحد عشر ألف درجة مئوية.

أما حجومها، فمنها ما يقدر بحجم الشمس، ومنها ما ينقص عنها أو يزيد عليها بعشرات أو مئات بل آلاف وملايين المرات.

٢- الْمَجَرَّات: يقول الأستاذ (جامو): إِنَّ (هبل) مدير مرصد مونت ولسن، نظر بمرصده إلى مسافة تقرب من ٥٠٠ مليون سنة ضوئية، وأحصى من الْمَجَرَّات الخارجية نحو ١٠٠ مليون مَجَرَّة، وأنه يحتمل وجود مَجَرَّات أُخْرَى على مسافات أعظم لم يشاهدها هبل. ويقول: إِنَّ مَجَرَّتَنَا يبلغ قُطْرُهَا مئة ألف سنة ضوئية، وسمكها عشرة آلاف سنة ضوئية، وهي تجري بسرعة عَظِيمَة جداً.

٣- يتمدد الفضاء بشكل عَظِيم. وقدَّروه - كما يقول السير جيمس جينز - بنحو

(١) السنة الضوئية: هي المسافة التي يقطعها الضَّوُّ خلال سنة وَاحِدَة، وذلك نحو ستة ملايين مليون ميل، علماً بأن الضَّوُّ يسير مقدار (١٨٦) ألف ميل بالثانية الواحدة.

(٢) التَّفْسِير الْعِلْمِيّ لِلآيَات الْكُونِيَّة فِي الْقُرْآن ص ٥٦ و ٥٩ و ٦٢.

(٣) النشرة الفلكية الأخبارية من مديرية الرعاية الْعِلْمِيَّة بِبَغْدَاد.



مائة وخمسة أميال في الثانية الواحدة، لكل بُعد قدره مليون سنة ضوئية<sup>(١)</sup>.

٤- وشمسنا هذه يبلغ حجمها نحو مليون وثلاثمائة قدر حجم الأرض. وهي كتلة من صخور، ومعادن سائلة، وغازات محترقة، تبلغ درجة حرارة سطحها ستة آلاف درجة مئوية، ودرجة حرارة مركزها تبلغ عشرين مليون درجة مئوية.

وطاقتها الحرارية - ومثلها النجوم المشعة - ناتجة عن تفاعلات نووية حرارية تحدث في مراكزها، حين تتحطم الذرة في باطن الشمس، تحت وطأة الحرارة العالية جداً.

ويبلغ لسان اللهب ١٤٠ كم في الأحوال العادية، أما في الانفجارات المستمرة، فيبلغ بعد قذائفها آلاف الأميال<sup>(٢)</sup>.

٥- القمر تابع للأرض، يبعد عنها ٢٨٦ ألف ميل، فلو بُعد عنها ٥٠ ألف ميل، لغطى الماء في المد الأرض كلها، ويكون عمقه بمعدل ميل ونصف، والمد في الهواء يحدث الأعاصير كل يوم... إلخ. لأن جاذبية القمر - في الوضع الحالي - تجذب مياه المحيط إلى ستين قدماً في بعض الأماكن، وتحني قشرة الأرض مرتين نحو الخارج يومياً، مسافة عدة بوصات<sup>(٣)</sup>.

٦- تدور الأرض حول الشمس بسرعة ١٨,٥ ميل في الثانية تقريباً، في فلك طوله

(١) التفسير العلمي للآيات الكونية ص ٥٦-٦٩.

(٢) التفسير العلمي للآيات الكونية ص ٦٥-٦٨ و ٧٣ و ٧٥ و ٨٥ والعلم يدعو للإيمان طبعة ٤

ص ٥٥ ومع الله في السماء ص ١٤٦.

(٣) العلم يدعو للإيمان ص ٥٧-٥٨.

يجري القمر في فلكه بمقدار ٢٣٠٠ ميل بالساعة، ويلف حول نفسه مرة في كل دورة في فلكه شهرياً، ولذلك يواجه الأرض بجانب واحد دائماً، فنرى أوجه الضياء المختلفة، من هلال إلى بدر وبالعكس. / التفسير العلمي للآيات الكونية ص ٦٧-٦٨.

٦٠٠ مليون ميل.

وتدور الأرض حول نفسها بسرعة قدرها ١٠٠٠ ميل بالساعة (أي: مرة كل ٢٤ ساعة).

فلو فرضنا أنها تدور حول نفسها بمُعَدَّل ١٠٠ ميل بالساعة، فعندئذ يكون نهارنا وليلنا أطول مما هو عليه الآن عشر مرات، فتحرق الشمس النباتات نهاراً وتتجمد ليلاً. ولو فرضنا أنها تدور حول الشمس بسرعة ٦ أميال في الثانية أو ٤٠ ميلاً، لكان قربنا وبعدها عن الشمس يجعل حياتنا مستحيلة<sup>(١)</sup>.

٧- والماء الذي يكوّن أربعة أخماس الكرة الأرضية، يتكون من غاز: ذرتين هيدروجين وذرة أُوكسجين:  $H_2O$ ، والهواء يتكون من عناصر، بنسب معينة عَظِيمَة الأهمية للحياة، إذا اختلت لم تستقم الحياة.

٨- وملح الطعام الذي تستحيل حياة الإنسان بدونه، يتكون من أخطر عنصرين هما: الصوديوم الذي يدخل في تَرْكِيب المتفجرات، والكلور الغاز الخانق القاتل:  $NaCl$ .

(١) التَّفْسِيرُ الْعِلْمِيّ لِلآيَاتِ الْكُونِيَّةِ ص ٦٧ والعلم يدعو للإيمان ص ٥٥.

ولو كانت قشرة الأرض أسمك عشرة أقدام، لنفد الأوكسجين، وانعدمت الحياة. ولو كانت البحار أعمق بضعة أقدام مما هي عليه الآن، لانجذب الأوكسجين وثاني أُوكسيد الكربون فاستحالت الحياة.

ولو كان جو الأرض أرقّ مما هو عليه، لتهافت النيازك فأحرقت الأرض. / الإسلام يتحدى ص ٥٩.

لأن النيازك والشهب تنهاوى في كل يوم بالملايين في الهواء الخارجي، وهي تسير بسرعة ستة أميال إلى أربعين ميلاً في الثانية، فلو لم يكن ذلك مانعاً لأحرقت الأرض ومن فيها، إذ إن الإنسان إن اصطدم بشهاب ضئيل يسير بسرعة تفوق سرعة الرصاصة تسعين مرة، كان يمزقه إرباً من مجرد حرارة مروره. / العلم يدعو للإيمان ص ٦٥.

٩- إذا نظرت في المجهر إلى قطرة من المياه الأسنة، تجد عالماً من الأحياء فيه العجائب<sup>(١)</sup>.

١٠- الزُّنبور حين يصيد الجُنْدُب، يَحْدُّره، فيحمله، ليتغذى عليه صغاره حين يولدون<sup>(٢)</sup>.

١١- لو أن ذبابتين توالدتا، ولم يأت الموت عليهما وعلى خَلَفهما، فإنه بعد خمس سنوات، يتكون من الذباب ما يمكن أن يشكل طبقة حول الكرة الأرضية، ارتفاعها ٥ سم. وهذا جنس واحد، فكيف بال مخلوقات جميعاً، إذا لم يأت عليها الموت؟<sup>(٣)</sup>.

١٢- والإنسان ذلِكَ اللغز المحير للعقل، يتكون من عناصر تساوي: برميلاً صَغِيراً من الماء. مع عناصر معدنية تكون مسماراً صَغِيراً، ورأس عود ثقاب من الكبريت، وكمية من الكلس يمكن أن يُطلى بها جدار، وعناصر أخرى قليلة جداً لا تساوي قيمتها نصف دينار، والسر لا يكمن في نوعية المواد، وإنما يكمن في تَرَكيبها، وتكوين ذرات الخلية، ثم التَّركيبات الحيوية المتولدة في الجسم<sup>(٤)</sup>.

- فالإنسان يَتِمَّ سَماعه بدخول الصوت إلى الصيوان، ثم إلى داخل الأذن، ويمر

(١) هذه من الأمور الأولية التي يدرسها الطُّلاب في علم الكيمياء.

(٢) الله: سَعِيدُ حوى ص ٧٦.

- عَشَّ بعض العناكب يكون على شكل منطاد تحت الماء، ينفخ بفقااعات الماء، التي تحملها في شعر تحت جسمها، وعندئذٍ تلد صغارها، لا يؤثر عليها هبوب الرياح. / العلم يدعو للإيمان ص ١١٩.

- يطير الخفاش ليلاً، وهو الضعيف البصر، ولا يصطدم بحاجز، لأنه يرسل اهتزازات ترجع إليه إذا اصطدمت بجسم أمامه، فيحس به دون أن يراه، وهذا شبيه بالرادار. / الله: سَعِيدُ حوى ص ٩٨.

(٣) الله: سَعِيدُ حوى ص ٩٢.

(٤) الطب محراب للإيمان ص ٥٩.

بجزء فيه ٤٠٠٠ حنية (قوس)، تشبه سُلماً موسيقياً، تنقل إلى المخ بشكل ما<sup>(١)</sup>، أما كيف يحصل فهم المسموع؟ وكيف يَتَمَّ تَمَيُّز الأصوات العديدة جداً عن بعضها البعض؟ وأين تقع خزائن الذاكرة للمسموعات...؟ فهذه لم يُتَوَصَّل إليها<sup>(٢)</sup>.  
وهكذا في بقية الحواس الأخرى.

- في جسم الإنسان ألف مليون مليون خلية، ويستهلك الجسم من خلاياه حوالي ١٢٥ مليون خلية في الثانية الواحدة. وعدد خلايا الجُمْلَة العَصْبِيَّة المركزية (المخ والمخيخ والجذع الدماغى) يقدر بحوالى ١٤ مليار (المليار يساوي ألف مليون) خلية عَصْبِيَّة، تسيطر على نشاط البدن وفعاليته، ويكمن فيها النشاط الفكرى والشخصية الإنسانية<sup>(٣)</sup>.

- بصمة الإصْبَع لأي شخص امرأة أو طفل أو رجل، لا تشبه بصمة أي شخص آخر، ولذا تتخذ التَّحْقِيقَات الجنائية بصمات الأصابع دليلاً على كَشَف هوية المجرمين.

- أما العَمَلِيَّات المحيرة الدقيقة التي تجري في البصر، وسائر الحواس، والتخلق الإنسانى، وتكوُّن الخلايا، ووزارات الجسم وغيرها، فإنه ليعجز عن وصفها القلم، وكلها أَلْغاز محيرة وأسرار مدهشة، بقي الكثير منها طي الكتمان، حتى يحين الوقت لكَشَف شيء منه.

(١) العلم يدعو للإيمان ص ١١٩.

(٢) الطب محراب للإيمان ص ١٩١-١٩٢.

(٣) الطب محراب للإيمان ص ٩٤ وما بعدها و ص ٤٠-٤٢. ذكر الرَّازِيّ في المَطَالِب العالية ج ١ ص ٢١٨ وما بعدها الاستدلال على وجود الإله الحَكِيم الرَّحِيم بكيفية تولد الإنسان من النطفة. و ص ٢٣٣ وما بعدها بناء العالم على الوجه الأصلح وعجائب المخلوقات، وأقوال الأكابر في ذَلِكَ.

وبعد هَذَا نَقُولُ: هَذِهِ أَمْثَلَةُ يَسِيرَةِ<sup>(١)</sup> مما ذكره العُلَمَاءُ من نظرات في أرجاء هَذَا الكون الفسيح، الذي يقف أمامها الإنسان مشدوهاً حائراً، نتساءل فيه: من دَبَّرَهُ؟ ومن كَوَّنَهُ؟ ومن سَيَّرَهُ على هَذَا الشكل البَدِيع المتناسق، الذي يكشف العلم يوماً بعد آخر عجائب هَذَا النِّظَام الذي يجري عليه هَذَا الكون؟ أهَذَا من صنع الإنسان الذي يعجز عن أن يدفع عنه المكروه، ويعجز عن أن يغير ما في الطبيعة من ظروف قاهرة كالمطر والفيضان والرياح... إلخ؟

إِنَّ العاقل ليدرك أَنَّ تَأْلَفَ هَذِهِ الجزيئات على هَذَا النِّحْو، الذي تتجلى فيه صورة الحياة، واستمرار هَذَا التَأْلَفِ والحياة مدى الأزمان، لا يتخلف ولا يترث، لم يكن من صنع الطبيعة الصماء العمياء.

إِنَّ التَّفْسِيرَ الحقيقي لِهَذَا النِّظَام، هو أن تؤمن بقدره خارقة، وقوة جَبَّارَة، وعظمة إِلَهِيَّة، بسطت يديها، فسيرت الكون على النِّحْو العجيب الذي نراه.

ودليل العِنَايَةِ والاختراع هو الذي ذكره بعض فَلَاسِفَةِ الغرب باسم الدليل الغَائِيّ أو بُرْهَانِ الغَايَةِ، الذي يتخذ من المخلوقات دليلاً على وجود الخَالِق. وهَذِهِ المخلوقات تدل على قصد في تكوينها، وحكمة في تسييرها وتديرها، فالنِّظَام والقصد والانسجام والحكمة الظَّاهِرَة في الطبيعة ومظَاهِرِهَا الْمُخْتَلِفَة المتنوعة، طريقٌ ظَاهِرَة لإثبات وجود الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر أمثلة أُخْرَى في: الكتب التي أشرنا إليها، وكتاب الله يتجلى في عَصْرِ العلم لَجَمَاعَةِ من العُلَمَاء، ومع الله في السماء للدكتور أَحْمَد زَكِيّ، والإنسان ذَلِكَ المجهول للدكتور الكسيس كارل، وكُتِبَ عبد الرزاق نوفل، وقصة الإيمان للشيخ نديم الجسر، والطريق إلى النجوم لفان درويت ولي ترجمة الدكتور عُمَر فروخ، والنجوم في مَسَالِكهَا للدكتور جيمس جينز.

(٢) الله: العقد ص ١٩٦-١٩٧ ودراسات في الفِرَق ص ١٧٩.

### الدليل الرابع: الدليل الوجودي

ويسمى بُرْهَانُ الاستِغْلَاءِ والاستِكْمَالِ، أو بُرْهَانُ المِثْلِ الأعلى.

وقد صاغه القديس أنسلم في صورته الأولى، وقد صدر عن مبدأ معترف به من المؤمنين والملحدين جميعاً، وهو: أنَّ فكرة الإله موجودة في العقول، فالملحدون لا يحددون تصورهم للألوهية، وإنما يحددون وجود الإله.

ونقح هذا الدليل اللاحقون بأنسلم، حتى بلغ كماله في فلسفة ديكرت، وأوشك أن ينسب إليه، وفحواه في صورته الجامعة:

أنَّ العقل الإنساني كلما تصور شيئاً عظيماً، تصور ما هو أعظم منه، لأن الوقوف عند مرتبة قاصرة يحتاج إلى سبب، والعقل الإنساني لا يعرف سبب القصور، فما من شيء كامل إلا والعقل الإنساني متطلع إلى أكمل منه، ثم أكمل منه، إلى نهاية النهايات، وهي غاية الكمال المطلق التي لا مزيد عليها ولا نقص فيها. وهذا الوجود الكامل موجود لا محالة، لأن وجوده في التصور أقل من وجوده في الحقيقة، فهو في الحقيقة موجود. لأن الكمال المطلق يتنفي عنه بسبب عدم الوجود، ولا يبقى له شيء من الكمال، بل نقص مطلق، وهو عدم الوجود. فمجرد تصور هذا الكمال مثبت لوجوده<sup>(١)</sup>.

### الدليل الخامس: الدليل الأخلاقي

وقد صاغ هذا الدليل الفيلسوف الألماني كنت. وصورته هي:

أنَّ علامة الوازع الأخلاقي، أو علامة الواجب، أو علامة الضمير، لا توجد في النفس الإنسانية بغير وجود إله، إذ كيف يدين الإنسان نفسه بالحق، إن لم يكن في الكون

(١) الله: العقد ص ٢٠٠. وانظر: دراسات في الفرق ص ١٨٦ وما بعدها، وفيه رأي أنسلم وديكرت وسبينوزا وغيرهم.

قسطاس للحق يغرس في نفسه هذا الوجوب؟ وكيف تقرر في طبع الإنسان، أنَّ الواجب الكريه لديه أَوْلَى به من طاعة الهوى المحبب إليه، وإن لم يطلع على دخيلة سره أحد؟

فإن قيل:

إنَّ العادة الاجتماعية هي التي رسخت في النفس، حتى استحالت إلى رغبة مقبولة، أُجيب:

بأنَّ مَعْرِفَةَ السبب لا تقضي بإبطال الغاية أو بفقدان الحكمة، فنحن نعلم أنَّ القطار يتحرك بغليان المَرَجَل فيه. وأنَّ المُهَنْدِس قد مد قضبانه، لأنه يكافأ على مداها بأجر يحتاج إليه. وأنَّ نَظَّارَ المحطات يسيِّرون حركة القطار، لأنهم مجزيون على ذلك، أو معاقبون على إهماله.

ولكن ذلك كله، لا يُبْطَلُ الغاية، ولا يقضي بمسير القطار لغير حكمة، وقيام العمل كله بغير تدبير<sup>(١)</sup>.

### المصادفة

قالوا: إنَّ المصادفة هي التي أوجدت، ودبرت ما في الكون على هذا الشكل.

والجواب: لا بد من التفريق بين أمرين:

أولهما: خلق الشيء. وفكرة المصادفة تُستبعد منه، لأنه يؤدي إلى الدَّور الباطل كما تقدم.

ثانيهما: تَرْتِيبُ الشيء وتَرْكِيبه. وهي محل النَّظَر والبحث.

صيغة قَانُونُ المصادفة الحرفية هي: (أنَّ حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص، بنسبة معكوسة مع عدد الإمكانيات المتكافئة المزدحمة).

(١) انظر: الله: العقاد ص ٢٠٠-٢٠١. وانظر تفصيل هذا القول في: دراسات في الفرق

لَكِنْ تَطْبِيقُ هَذَا الْقَانُونِ، إِنَّمَا يَتِمُّ عَلَى الْمَادَّةِ غَيْرِ الْحَيَّةِ، فَدِرَاسَةُ الْإِحْتِمَالِ عَلَى ضَغْطِ غَازٍ فِي وَعَاءٍ أَوْ خَلِيطٍ مِنْ غَازَاتٍ قَدْ يَصِحُّ، وَلَكِنْ عَلَى الْخَلِيَّةِ وَالْأَحْيَاءِ الْآخَرَى فَإِنَّهُ يَقِفُ، لِأَنَّ التَّرَابُطَ فِي الْخَلِيَّةِ مَعَ ظَاهِرَةِ الْحَيَاةِ مُعْجَزٌ وَمُحِيرٌ، إِلَى حَدٍّ يُجْعَلُ هَذَا الْقَانُونُ غَيْرَ سَارِي الْمَفْعُولِ فِي هَذَا الْمَجَالِ<sup>(١)</sup>.

ولكي نفهم هَذَا الْقَانُونُ وَعَدَمَ سَرِيَانِهِ لَا بَدَّ مِنَ الْأَمْثَلَةِ، مِنْهَا:

١- يَقُولُ الْأُسْتَاذُ كَرِيسِي مَوْرِيسُون: ضَعْ عَشْرَةَ بَنَسَاتٍ مَرْقُمَةٍ مِنْ ١-١٠ فِي كَيْسٍ وَابْدَأْ بِسَحْبِهَا، تَرَى أَنَّ:

فِرْصَةُ سَحْبِ رَقْمِ ١ هِيَ بِنِسْبَةِ ١ إِلَى ١٠، لِأَنَّ كُلَّ رَقْمٍ قَدْ يَكُونُ لَهُ الْحِظُّ بِالسَّحْبِ.

وَفِرْصَةُ سَحْبِ رَقْمِ ٢ أَوْ ٣ مُتَتَابِعِينَ هِيَ بِنِسْبَةِ ١ إِلَى ١٠٠.

وَفِرْصَةُ سَحْبِ رَقْمِ ١ أَوْ ٢ أَوْ ٣ مُتَتَابِعَاتٍ هِيَ بِنِسْبَةِ ١ إِلَى ١٠٠٠.

وَفِرْصَةُ سَحْبِ رَقْمِ ١ أَوْ ٢ أَوْ ٣ أَوْ ٤ مُتَتَابِعَاتٍ هِيَ بِنِسْبَةِ ١ إِلَى ١٠٠٠٠.

وَهَكَذَا... حَتَّى تُصْبِحَ فِرْصَةُ سَحْبِ الْأَرْقَامِ مِنْ ١ إِلَى ١٠ مُتَتَابِعَةً، هِيَ بِنِسْبَةِ ١ إِلَى ١٠ مِلْيَارَاتٍ<sup>(٢)</sup>.

٢- لَوْ فَارَضْنَا أَنَّكَ تَمْلِكُ عِدَدًا هَائِلًا مِنَ الْحُرُوفِ، إِذَا حَاوَلْتَ آلَافَ الْمَرَّاتِ سَحْبَ حَرْفٍ بَعْدَ حَرْفٍ مِنْ هَذِهِ الْمَجَامِيعِ الْكَبِيرَةِ، وَسَطَرْتَهَا وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ، فَهَلْ يَظْهَرُ لَكَ، مَهْمَا كَرَّرْتَ عَمَلِيَّةَ السَّحْبِ، دِيَوَانُ الْمُتَنَبِّي أَوْ إِيَاذَةُ هُومِيروس أَوْ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ...؟

٣- يَقُولُ الْأُسْتَاذُ فَرَانِكُ أَلْن: الْبُرُوتِينَاتُ مِنَ الْمُرَكَّبَاتِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي جَمِيعِ الْخَلَايَا الْحَيَّةِ. تَتَكُونُ مِنْ خَمْسَةِ عُنَاصِرٍ هِيَ: الْكَرْبُونُ وَالْإِيدُرُوجِينُ وَالنِّيْتْرُوجِينُ وَالْأُوكْسِجِينُ

(١) الطَّبْ مَحْرَابٌ لِلْإِيْمَانِ ص ١٤.

(٢) الْعِلْمُ يَدْعُو لِلْإِيْمَانِ ص ٥١ وَالطَّبْ مَحْرَابٌ لِلْإِيْمَانِ ص ١٥.



والكبريت.

ويبلغ عدد الذرات في الجُزَيء البروتيني الواحد ٤٠٠٠٠ ذرة، ولما كان عدد العناصر الكيميائية في الطبيعة ٩٢ عنصراً، موزعة كلها توزيعاً عشوائياً، فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة، لكي تكون جزيئاً من جزيئات البروتين، يمكن حسابه، لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن تخلط خلطاً مستمراً، لكي تؤلف هذا الجُزَيء، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة، لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجُزَيء الواحد.

وقد قام العالم الرياضي السويسري شارلس يوجين جاي بحساب هذه العوامل جيداً، فوجد:

أنَّ الفرصة لا تنتهى عن طريق المصادفة لتكوين جُزَيء بروتيني واحد، إلا بنسبة ١ إلى (١٠)<sup>١٦٠</sup> (أي بنسبة ١ إلى الرقم ١٠ مضروباً في نفسه ١٦٠ مرة)، وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات.

وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جُزَيء واحد أكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات.

ويتطلب تكوين هذا الجُزَيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة مدة (١٠)<sup>٢٤٣</sup> (أي عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين).

وقد حسب العالم الإنجليزي ج. ب. ليشر الطرق التي يمكن أن تتألف بها الذرات في أحد الجزيئات البسيطة البروتينات فوجد أن عددها (١٠)<sup>٤٨</sup>.

وعلى ذلك فإنه من المحال عقلاً أن تتألف كل هذه المصادفات لكي تبني جزيئاً بروتينياً واحداً. ولكن البروتينات ليست إلا مواد كيميائية عديمة الحياة، ولا تدب فيها الحياة إلا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب، الذي لا ندري من كُنْه شَيْئاً، إنه العقل

اللانهائي، وهو الله وحده<sup>(١)</sup>.

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ٩-١٠.

وقال الأستاذ ليثر في خطاب الرئاسة السنوي بقسم الفيزيولوجي في جامعة أكسفورد عام ١٩٣٦م ما فحواه: إن كل خلية من البروتين تتألف من سلسلة فيها بضع مئات من الحلقات، وإن كل حلقة منها هي تركيبة من ذرات، قوامها حمض من الأحماض النشادرية، وهي أحماض يبلغ المعروف منها نحو العشرين، ويجوز أن يقع كل منها موقعه على اختلاف في النسبة والترتيب، ولكننا لا نراها في بعض الأنسجة إلا على ترتيب واحد ونسبة واحدة بغير شذوذ ولا اختلاف. فهل تستطيع أن تتخيل مبلغ الدقة في هذه الإصابة بين احتمالات الخطأ التي لا تحصى أرقامنا المألوفة؟

يكفي لتقريب هذه الدقة من الخيال، أن نذكر أن الحروف الأبجدية في لغات البشر كافة، لا تتجاوز الثلاثين، ويتألف من تراكيبها المتغيرة كل ما تلفظ به الأمم من الكلمات والعبارات، فإذا كانت خلية البروتين في حجمها الخفي قابلة لأضعاف ذلك التكرار، ثم لا نشاهد فيها إلا كلمة واحدة في ترتيب واحد لا يتغير، فقد عرفنا على التقريب معنى تلك الإصابة في التوثيق والترتيب.

يقول الأستاذ ليثر لتقريب هذا الخيال: إن الضوء يصل من طرف المجرة إلى الطرف الآخر في ثلاثمائة ألف سنة، فإذا أردنا أن نشبه إصابة الخلية في تركيبها بمثل مفهوم، فهذه الإصابة تضارع إصابة الرصاصة التي تنطلق من الأرض، فتصيب هدفاً في نهر المجرة بحجم عين الثور ولا تخطئه مرة من المرات، وهذا على فرض أن حلقات الخلية خمسون فقط، وليست بضع مئات. / الله: العقاد ص ٢٠٦-٢٠٧.

وقال العالم جون كليفلاند كوثران: وقد أثبت اكتشاف تركيب الذرة، أن التفاعلات الكيميائية التي نشاهدها، والخواص التي نلاحظها ترجع إلى وجود قوانين خاصة، وليست محض مصادفة عمياء....

ومع ما يبدو من التعقيد في تركيب كل ذرة من ذرات العناصر العديدة، فإنها تتكون جميعاً من نفس الأنواع الثلاثة من الجزيئات الكهربائية، وهي البروتونات الموجبة والإلكترونات السالبة والنيوترونات، والتي يعتبر كل منها ناشئاً عن اتحاد بروتون واحد مع إلكترون واحد.

٤- يقول العلماء بأن الإلكترون في الذرة يدور حول البروتون بسرعة ١ من ١٠٠ من سرعة الضوء، ولكن لا يمكن بالضبط معرفة أين توجد الإلكترونات في لحظة معينة؟

ووزن أجزاء الذرة كما يأتي:

وزن البروتون: هو جزء من مليون مليار مليار من الغرام تقريباً.

ووزن النيوترون: يقترب بالوزن من البروتون.

أما وزن الإلكترون: فإن البروتون يساوي ١٨٣٧ مرة وزن الإلكترون.

وأبعاد أجزاء الذرة كما يأتي:

الذرة تشبه شكلاً كروياً يساوي قطرها جزءاً من مئة مليون من السنتيمتر. وقطر النواة أصغر من الذرة بعشرة آلاف مرة.

فهناك فراغ هائل بين البروتونات والإلكترونات، يدعو إلى الدهشة والحيرة، ولو أن عشرة ملايين ذرة اجتمع بعضها بجانب بعض، فإنها تبلغ طولاً قدره مليمتر واحد.

والغرام الواحد من الهيدروجين فيه ٦٠٠ ألف مليار مليار ذرة<sup>(١)</sup>.

٥- يقول الدكتور واين أولت: هل تم اختراع جهاز الراديو نتيجة للمصادفة، أم

وجميع البروتونات والنيوترونات التي بالذرة تقع في نواة مركزية، أما الإلكترونات فإنها تدور حول محاورها، في مدارات مُختلفة حول النواة، وعلى أبعاد شاسعة منها، مكونة ما يشبه مجموعة شمسية مصغرة. وعلى ذلك فإن معظم حجم الذرة، يعتبر فراغاً، كما هي الحال في المجموعة الشمسية.

والفرق بين ذرة عنصر معين وعنصر آخر، يرجع إلى الفرق في عدد البروتونات والنيوترونات التي بالنواة، وإلى عدد وطريقة تنظيم الإلكترونات التي في خارج النواة. / الله يتجلى في عصر العلم ص ٢٣-٢٤.

(١) الطب محراب للإيمان ص ٢٥ وما بعدها، وفيه الكلام عن الذرة وبنائها ووزنها وأبعادها وأسرارها المدهشة.

عن طريق التصميم والاختراع؟

ثم هل تم تكوين جهاز الرادار الموجود بجسم الطوايط، والذي لا يحتاج من الحيوان إلى انتباه، ولا يتطلب منه إصلاحاً، والذي يستطيع أن يورثه لذريته عبر الأجيال؟

نقول: هل تم كل ذلك عن طريق المصادفة، أم عن طريق التصميم والإبداع؟ إنَّ الخبرة العلميَّة للإنسان تقوم على التصميم وعلى إدراك الأسباب، وعلى ذلك فإنَّ المشتغل بالعلوم هو أول من يجب عليه التسليم منطقياً بوجود عقل مُبدع، لا حدود لعلمه أو قدرته، موجود في كل مكان، يحيط مخلوقاته برعايته<sup>(١)</sup>. ولذلك:

قال الرياضي الكبير جوزيف برترند: إنَّ المصادفة ليس لها وجدان ولا ذاكرة<sup>(٢)</sup>.

وقال بول كلارنس ابرسولد: إنَّ هذا النظام الرائع المعقول الذي يسود هذا الكون، يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان، وإنَّ معجزة واحدة في حد ذاتها لها بداية، كما أنَّ وراءها توجيهاً وتديراً خارج دائرة الإنسان<sup>(٣)</sup>.

وقال أحد كبار علماء الطبيعة: إنَّ العلم لا يملك أي تفسير للحقائق، والقول بأنه حدث (اتفاقاً) إنما يعتبر تحدياً وتصادماً مع الرياضيات<sup>(٤)</sup>.

وقال شادفاش: إنَّ من الممكن أن نسأل أي رجل مؤمناً بالله كان أو مُنكراً له، نسأله أن يُثبت، كيف يمكن أن يكون هذا التوازن في صالحه، إذا كان الكون قد وجد بمحض الصدفة؟<sup>(٥)</sup>.

وقد عدَّ أفلاطون من أوائل الفلاسفة القائلين بوجود الله تعالى، وبأنه الخالق

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ١٣٢.

(٢) الطب محراب للإيمان ص ١٤.

(٣) الله يتجلى في عصر العلم ص ٣٨.

(٤) الإسلام يتحدى ص ٦٠.

(٥) الإسلام يتحدى ص ٥٦.

للعالم، والمدير لأمره. وبرهن على ذلك بعدة براهين أهمها: بُرْهَانُ النَّظَامِ، حيث قال: إِنَّ الْعَالَمَ آيَةٌ فِي الْجَمَالِ وَالنَّظَامِ. ولا يمكن أبداً أن يكون هَذَا نتيجة علل اتفاقية (مصادفة)، بل هو صنع عاقل كامل، توخى الخَيْر، ورتب كل شيء عن قصد وحكمة<sup>(١)</sup>.

وقد تناقلت وكالات الأنباء ومنها وكالة تاس السوفيتية سنة ١٩٥٩ م ما يأتي: أعلن الكسندر أوبارين رئيس معهد الكيمياء الحيوية في روسيا، بعد أن ظل يبحث ٣٧ عاماً في أصل الحياة، وعما إذا كان من الممكن إيجاد الخلية الأولى عن طريق تفاعل كيميائي قائلاً: (إنَّ الحياة لا يمكن أن تبدأ من العدم، أو أن تتولد من التفاعل الكيميائي والتوالد الذاتي، وإن العلم لا يمكن أن يخوض فيما وراء حدود المادة)<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذا كله نقول:

بعد أن انتفت المصادفة في خلق هذا الكون، وفي ترتيب مخلوقاته، وبعد إقامة الدليل على أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون ومدير أمره، ثبت بالدليل العقلي والعلمي الذي لا يقبل الريب، أن الله تعالى واجب الوجود وأنه مؤجد الكون ومبدأ المخلوقات.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)﴾ - سورة الإخلاص.

وقال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝﴾ - البقرة ٢٥٥.

(١) قصة الإيمان ص ٤٠. ودراسات في الفرق ص ١٩٥ نقلًا عن قصة الإيمان. وانظر:

الأديان لد. رشدي عليان ود. سعدون الساموك ص ٧٧.

(٢) كبرى اليقينية الكونية ص ١٣١.

## لا محل للإلحاد في الذهن المتفتح

قال الدكتور جون كليفلاند كوثران: قال لورد كيلفي: وهو من علماء الطبيعة البارزين في العالم - هذه العبارة القيّمة: (إذا فُكِّرَتْ تفكيراً عميقاً، فإنَّ العُلُومَ سوف تضطرك إلى الاعتقاد في وجود الله)، ولا بد أن أعلن موافقتي كل الموافقة على هذه العبارة<sup>(١)</sup>.

ويقول الفيلسوف الإنجليزي بيكون: (إنَّ قليلاً من الفلسفة يقربُ الإنسان من الإلحاد، أما التعمق في الفلسفة فيردُّه إلى الدِّين)<sup>(٢)</sup>.

وقال الدكتور وتز عميد كُليَّة الطب بباريس وعضو أكاديمية العُلُوم وكميائي: (إذا أحسست في حين من الأحيان أنَّ عقيدتي بالله قد تزعزعت، وجهتُ وجهي إلى أكاديمية العُلُوم لتثبيتها).

وقال باسكال: (صنفان فقط من الناس يجوز أن نسميهم عقلاء: الذين يعرفون الله، والذين يجدُّون في البَحْث عنه، لأنهم لا يعرفونه).

وقال انشتاين: (إنَّ الإيمان هو أقوى وأنبَل نتائج البحوث العلميَّة).

وقال أيضاً: (إنَّ الإيمان بلا علم، ليمشي مشية الأعرج. وإنَّ العلم بلا إيمان، ليتلمس تلمس الأعمى).

وقال ادمون هربرت، وهو جيولوجي ذائع الصيت، ومدرس بجامعة السوربون: (العلم لا يمكن أن يؤدي إلى الكفر، ولا إلى المادية، ولا يفضي إلى التشكيك)<sup>(٣)</sup>.

(١) الله يتجلّى في عَصْرِ العلم ص ٢١ وقريب من هَذَا ما قاله العالم الطبيعي (أوليفر وندل) ص ٥٢.

(٢) الله يتجلّى في عَصْرِ العلم ص ٣٥.

(٣) الطب محراب للإيمان ص ٢٥٧ وروح الدِّين الإسلامي ص ٦١.

هَذَا هُوَ الصَّوَابُ، لِأَنَّ الْحَقَّ لَا يَنْطَلِي عَلَى الْعُلَمَاءِ الْمُتَنَوِّرِينَ، الَّذِينَ يَدْرِكُونَ الْأَدِلَّةَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا آنِفًا، وَالَّتِي تَثْبِتُ وَجُودَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أَمَّا الَّذِينَ يَنْكُرُونَ وَجُودَ اللَّهِ، بِحُجَّةٍ أَنَّهُمْ لَمْ يَدْرِكُوهُ، بِحَوَاسِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ يَتَصَوَّرُونَ بِأَنَّ الْحَوَاسَ هِيَ طَرِيقُ الْمَعْرِفَةِ.

إِنْ وَاقَعَهُمْ يَكْذِبُهُمْ فَهَمَّ يُؤْمِنُونَ بِالْجَازِبِيَّةِ وَالْمَغْنَاطِيْسِيَّةِ وَالْكَهْرِبَائِيَّةِ، وَبِوُجُودِ الْإِلِكْتَرُونَ وَالْبَرُوتُونَ وَالنِّيتَرُونَ، وَبِوُجُودِ الْعَقْلِ، وَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا مِنْهَا، بَلْ رَأَوْا آثَارَهَا فَقَطْ.

فَمَنْ أَنْكَرَ وَجُودَ اللَّهِ تَعَالَى بِحُجَّةٍ أَنَّهُ لَمْ يَرِهِ، وَآمَنَ بِمَا ذَكَرْتُ، فَمَا هُوَ إِلَّا مُخَادِعٌ لِنَفْسِهِ، لِأَنَّ الْعَقْلَ هُوَ الَّذِي أَدْرَكَ هَذِهِ الْأُمُورَ وَغَيْرَهَا وَلَيْسَتْ الْحَوَاسُ، لِأَنَّهَا خَادِعَةٌ أَحْيَانًا، وَمَا الْحَوَاسُ إِلَّا آلَاتُ أُعْطِيَ الْعَقْلَ أَدْوَاتِ الْحُكْمِ لِيَصْدُرَ حُكْمُهُ.

### خداع الحواس

لَا يُمْكِنُ الْاعْتِمَادُ عَلَى الْحَوَاسِ، لِأَنَّهَا تَخْدَعُ صَاحِبَهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ. وَأَمَثَلُهُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

### خداع البصر:

- ١ - الْعَصَا الْمُسْتَقِيمَةُ الْمَغْمُورَةُ فِي الْمَاءِ تَبْدُو لِلنَّازِرِ مَكْسُورَةً.
- ٢ - لَا تَرَى الْعَيْنُ الزَّجَاجَةَ الصَّافِيَّةَ، مَعَ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ مَنْظُورَةٌ.
- ٣ - يَرَى الْمَرِيضُ أَشْبَاحًا لَا يَرَاهَا غَيْرُهُ.

### خداع الأذن:

لَا تَسْمَعُ الْأُذُنُ الْأَصْوَاتَ الْخَافِتَةَ، كَمَا لَا تَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ الشَّدِيدَةَ، كَصَوْتِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ، وَمِثْلَهَا تَفْجَرُ الْقَنَابِلُ الدَّرِّيَّةُ الَّتِي لَا تَسْمَعُ الْأُذُنُ مِنْهَا إِلَّا الصَّيْحَةُ الْأُولَى، أَمَّا الْانْفِجَارَاتُ الَّتِي تَلِيهَا، فَلَا تَسْمَعُهَا الْأُذُنُ، مَعَ أَنَّ آلَاتِ التَّسْجِيلِ تَسْجَلُ

أرقاماً عالية جداً، وذلك لأن أوتار كورتى في الأذن، تسمع ذبذبة معينة محدودة، لا تسمع ما دونها، ولا ما فوقها.

### خداع اللمس:

لو وضعت في ثلاث أوانٍ ماءً حاراً ودافئاً وبارداً، ونقلت يدك من الماء الحار إلى الدافئ، تجده بارداً. وإذا نقلتها من الدافئ إلى البارد، تحسه بارداً جداً. وهذا من خداع اللمس.

### خداع الذوق:

١ - إذا تذوقت مادةً شديدة الحلاوة، ثم انتقلت بعدها إلى مادةٍ أقل حلاوة من الأولى، تجدها خالية من الحلاوة.

٢ - لا تستطيع حاستا اللمس والذوق معرفة الحوامض والمركبات الكيميائية المحرقة<sup>(١)</sup>.

هذه الأمثلة وغيرها تبين لنا أن الحواس كثيراً ما تخدع، فلا يصح الاعتماد عليها في كشف الحقائق، لذلك كان العقل هو الحاكم على الحواس. وهذه أدوات لا غير. فلا يقال عندئذ: بأن الله سبحانه لم يدرك بالحواس، فلا ينبغي الإيمان به. هذا لا يقوله إلا جاهل.

### سبب الإلحاد

الاعتقاد بوجود الله تعالى، هو الفطرة التي فطر الناس عليها، أما الإلحاد فهو طارئ على الفطرة. وقد حدد القرآن الكريم أسبابه، بما يأتي:

١ - الكبر: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ۝١١﴾ يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ



## لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٢﴾ - الْفُرْقَان ٢١-٢٢.

ففي الآية بيان: أن الكبّر وحده هو الذي دفعهم إلى أن يتصوروا أن الحياة هي كل شيء، وليس وراءها إلا العدم.

٢- الانحراف: قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُجُ الْأَسْبَابَ ٣٦﴾ (٣٦) أَتْلُجُ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كُذِّبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴿٣٧﴾ - غافر ٣٦-٣٧.

ففي الآية بيان: أن طريق فرعون طريق خاطئ، دفعه إليه انحرافه عن الطريق السوي، الذي يعرف به الله سبحانه وتعالى.

٣- الظلم: قال تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ١٥٣﴾ - النساء ١٥٣.

فكلمة ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ تبين أن الذي دفعهم إلى أن يطلبوا مثل هذا الطلب، هو الظلم، ظلم النفوس للحق، إذ تعرفه وتتكبر له.

وهذا الظلم (غير العدل) هو الذي دفع الكفار إلى اتهام المؤمنين بالله بأنهم: متوهمون وكاذبون وعاطفيون... وهذا ما نراه اليوم من اتهاماتهم بأنهم: غير علميين، وغير صادقين، مشوشون، مخدوعون.

٤- الجهل: قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ - البقرة ١١٨.

ففي الآية بيان أن هذا القول كلام جهال غير عالمين، وأنه ليس بجديد، بل هو منطق الكافرين دائماً، لتشابه قلوبهم، وقررت أن الطريق إلى الله هي آياته وآثاره الدالة عليها<sup>(١)</sup>.

### العلم داعية الإيمان

لم يدعُ العلم في يوم ما إلى الكفر والإلحاد، لأنه يتبع المنهج السليم في الوصول إلى حقائق الوجود ومظاهر الكون.

ولم يقل في يوم: إنَّ هذا النظام الذي يجري عليه العالم قد نشأ صدفة، لأن الصدفة فوضى. والعالم الذي حلل في المختبر، أو عاش مع المنظار والمرصد، أو تعامل مع الأعداد... لا يعترف إلا بالنظام، وربط الأسباب بالمسببات، والمقدمات بالنتائج، ويقطع متيقناً بأن قوانين الطبيعة كالجاذبية والكهرباء واللاسلكي... وغيرها من ملايين الصور، ما هي إلا آثار تدل على المؤثر وهو الله سبحانه وتعالى... وقد أكد العلماء هذا الجانب بشكل جلي.

يقول د. ماريت شانلي كونجندن، أحد كبار علماء الطبيعة في العالم: (إنَّ جميع ما في الكون يشهد بوجود الله، ويدلُّ على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراساتها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية، فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته).

وعندما كان انشتاين جالساً في مكتبة الجامعة، التي يدرس فيها، سأله صحفي: أمن العلم أن تؤمن بالله، وهذه العقيدة فكرة غيبية، غير خاضعة لمختبر العلم؟ فأجابه: انظر إلى هذه المكتبة بكتبها الملايين، أليس لكل كتاب مؤلف؟ قال: نعم. قال: فإن دخل طفل إلى المكتبة، فهل يدرك ما في هذه المكتبة من العلوم والمعارف؟ قال: لا.

قال: فهل يعرف مؤلفيها؟ قال: لا.

قال: فهل عدم إدراك الطفل للكتب ومؤلفيها، يقوم دليلاً علمياً على عدم وجودها؟ قال: لا.

قال: فكذلك الكون بما فيه من صور ومشاهد وقوانين. فإنَّ عدم إدراك العقول السطحية الجاهلة التي لا تتأمل خالقه، لا يقوم دليلاً علمياً على نفي وجوده. ثم أخذ

يشرح له دقة النّظام الذي لاحظته في الوجود، مما لا يدعُ مجالاً للشك في وجود الله تعالى. وقد يذهب البعض إلى القول بأن هُذِهِ نماذج من أقوال، لم تكن إلا من أنفار، لا يلتفت إليهم، إزاء الأعداد الكَبِيرَة من الملحدِين.

لَكِن الحق هو أن السواد الأعظم من العُلَمَاء يذهبون هَذَا المَذْهَب، وأنهم أكدوا أن العلم هو طريق الإِيمان، فقد نشر العالم الدكتور (دينرت) الألمانِي بحثاً، حلل فيه آراء أكابر العُلَمَاء في القرون الأربعة الأَخِيرَة، ودرس عقيدتهم فتبين له من دراسة ٢٩٠ عالماً أن:

٢٤٢ عالماً أعلنوا في كتبهم ودراساتهم الإِيمان بالله.

٢٨ عالماً لم يصلوا إلى عَقِيدَة ما.

٢٠ عالماً كانوا ملاحظة لم يبالوا بالناحية الدِّينِيَّة.

فهذا يعني أن ٩٢٪ منهم مُؤْمِنون بالله تعالى.

وإذا راجعتَ كتاب (الله بحث في نشأة العَقِيدَة الإِلَهِيَّة) للعَقَّاد، و(عَقَائِد المفكرين في القرن العشرين) للعَقَّاد أيضاً، و(العلم يدعو للإِيمان) لكريسي موريسون، و(الله يتجلى في عَصْر العلم) لمجموعة من العُلَمَاء، و(قصة الإِيمان) للشيخ نديم الجسر، وجدتُ أسماء كثيرة جداً من العُلَمَاء الأَعْلَام، يؤكّدون عَقِيدَة الإِيمان بالله تعالى.

ثم إن كثيراً ممن اتُّهِمَ بالإلحاد لم يكن ملحداً حقاً بنظر العلم، وإنما هو ملحد بنظر الكنيسة التي كانت تحكم على من يخالفها بالإلحاد، فتولستوي مثلاً كان ملحداً في نظر الكنيسة، ولكنّه مُؤْمِن عميق بالإِيمان بالله تعالى. كما هو واضح في كتابه (اعترافات تولستوي).

والعُلَمَاء الذين كفروا بالله تعالى، لم يكن كفرهم نتيجة بحثٍ عِلْمِيٍّ دقيق، وإنما كان لأُمُور منها:

١ - موقف الكنيسة التعسفي من العُلَمَاء وعدم تشجيعها الفكر الحر، إذ حكمت على المخالفين منهم بالكفر والزندقة، ونفذت بكل همجية حكم الإحراق والتمثيل والقتل بالعشرات منهم، وأحرقت كتبهم، وهددت بالقتل كل من وجدت بحوزته.

وفي كتاب (قصة النزاع بين الدين والفلسفة) للدكتور توفيق الطويل قوائم بأسماء العلماء الذين أعدموا بهمجية تفوق الخيال، حتى استقر في ذهن بعض العلماء أنَّ الدعوة إلى الإلحاد أمر ضروري، لإنقاذ العلماء من تلك الوحشية.

والحقُّ أنَّ إلحاد هؤلاء لم يكن مبدأً، وإنما كان موقفاً اتخذوه أمام الكنيسة، حتى إذا زال ذلك الكابوس تراجعوا إلى القول بالإيمان، بدليل أنَّ عدد المؤمنين بالله من العلماء الآن يتزايد يوماً بعد آخر.

٢- موقف الكنيسة الظالم من الكادحين والأرقاء والمظلومين، وكونها بجانب الملوك المستبدين من الإقطاعيين، وكون البابوات هم أصحاب السلطة الحقيقية وأصحاب المال وأصحاب صكوك الغفران....

هَذَا الموقف دفع الكثير من المفكرين إلى الدعوة إلى نبذ الكنيسة، وإلى الإلحاد لإنقاذ المغلوب على أمرهم، مما يعانون به من شقاء وعَنَتٍ.

٣- تغلغل اليهودية العالمية عن طريق الماسونية، التي كانت تتبنى الإلحاد لهدم مقاومة المجتمع المسيحي والسيطرة عليه، وهذا الاتجاه الماسوني الملحد ظهر واضحاً في جماعة (الانسكلوبيديا) وأتباعهم وتلامذتهم، وقد قامت الثورة الفرنسية على أكتاف هؤلاء.

٤- الإلحاد في كل زمان ومكان طريق للإباحية والتملُّص من المثل العالية، لذلك كان ملاذ أصحاب الشهوات والمنحرفين عن الخلق الرفيع. ومُجْمَل القول:

فالإلحاد لم يكن موقفاً أصيلاً للعلم وإنما أحدثته ظروف خاصة، أما المنهج العلمي فهو منطلق الإيمان بالله عزَّ وجلَّ ومعرفة وتقديره حق قدره<sup>(١)</sup>.

(١) العلم ليس كافراً ص ٨ وما بعدها. وانظر: إحصائية دينرت في كتاب روح الدين الإسلامي ص ٦٠، والطب محراب للإيمان ص ٢٥٦.

## المبحث الثاني

### الأسماء الحُسنى

وردت لفظة الأسماء الحُسنى في القرآن الكريم بأربعة مواضع هي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ - الأعراف ١٨٠.

٢- قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ - الإسراء ١١٠.

٣- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ - طه ٨.

٤- قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ - الحشر ٢٤.

سبب نزول الآية:

هو أن رجلاً دعا الله في صلاته ودعا الرَّحْمَنَ، فقال أبو جهل: أليس يزعم مُحَمَّدٌ وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو ريين اثنين؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ - الأعراف ١٨٠ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ وَنَحْوَهُ، فدعا النَّبِيُّ ﷺ الرجل، فقال: ادعُ الله، أو ادعُ الرَّحْمَنَ، رغماً لأنف المُشْرِكِينَ<sup>(١)</sup>.

واختلف المُفَسِّرُونَ في معنى الدعاء الوارد في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا

(١) بَحْرُ الْعُلُومِ لِلْسَمَرْقَنْدِيِّ ج ١ ص ٥٨٤. وانظر: تَفْسِيرُ الْكَشَافِ ج ٢ ص ٤٧٠ عن ابن عَبَّاسٍ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ ج ٦ ص ١٥٣. وكلهم ذكروا هذا السبب في نزول آية الأعراف ١٨٠: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾.

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ - الأسراء ١١٠ على أقوال:

القول الأول: الدعاء بمعنى التسمية (أي: سمّوا) لا بمعنى النداء، فالفعل (ادْعُ) يتعدى إلى مفعولين، تقول: دعوته زيداً، ثم ترك أحدهما استغناء عنه، فيقال: دعوت زيداً، و(أو) للتخير، فيكون المعنى: أَي هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ سَمَّيْتُمْ وَذَكَرْتُمْ ﴿٢﴾ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٣﴾، لأنه إذا حُسِنَتْ أَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حَسُنَ هَذَانِ الْاسْمَانِ لَأَنَّهُمَا مِنْهَا. وهذا هو قول الزَّمَخْشَرِيِّ<sup>(١)</sup>.

فالدعاء بمعنى (سمّوا)، وهو يتعدى إلى مفعولين، والتقدير: سَمُّوا رَبَّكُمْ اللَّهُ، أو سَمُّوهُ الرَّحْمَنَ، وحذف المفعول الأول وأبقى الثاني، لدلالة المقام<sup>(٢)</sup>.

القول الثاني: الدعاء بمعنى النداء:

لأن الظاهر من أسباب النزول أن الدعاء هنا قوله يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ، أو يا الله يا رَحْمَنُ. والمعنى: إن دعوتكم الله فهو اسمه، وإن دعوتكم الرَّحْمَنَ فهو صفته. وبه قال: ابن حَيَّان<sup>(٣)</sup>.

القول الثالث: إن كانت الآية رداً على المُشْرِكِينَ فالدعاء بمعنى التسمية، وإن كانت رداً على اليَهُودِ فهو بمعنى النداء<sup>(٤)</sup>.

والأسماء: جمع اسم، واختلفوا في المراد بها في الآية على ما يأتي:

(١) تَفْسِيرُ الْكَشَّافِ ج ٢ ص ٤٧٠ ونقله الرَّازِي في تَفْسِيرِهِ ج ٢١ ص ٧١ وابن حَيَّان في الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ج ٦ ص ٨٦. وانظر: روح المعاني ج ٩ ص ١٢١ ونقله عن الزَّمَخْشَرِيِّ في ج ١٥ ص ١٩٢.

(٢) التَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ج ١٥ ص ٢٣٧.

(٣) الْبَحْرِ الْمُحِيطِ لابن حَيَّان ج ٦ ص ٨٦. وانظر: روح المعاني ج ٩ ص ١٢١ ونقله عن ابن حَيَّان وغيره في ج ١٥ ص ١٩٢ وَالتَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ج ١٥ ص ٢٣٧.

(٤) روح المعاني ج ١٥ ص ١٩٢ وعبر عنه بـ(قيل).

القول الأول: هي الألفاظ المصنوعة الدالة على المعاني المختلفة.

وهو قول الإمام الغزالي<sup>(١)</sup>، وبه قال الرازي<sup>(٢)</sup> وابن عطية<sup>(٣)</sup> ومحمد أطفيش<sup>(٤)</sup> وجمهور العلماء<sup>(٥)</sup>.

وذلك: لأن (الحُسنى) تدل على أن أسماء الله تعالى هي أحسن الأسماء وأجلُّها، لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها<sup>(٦)</sup>.

القول الثاني: الأسماء هي الصفات، كالألوهية والرحمة والعلم والخلق، ونحو ذلك من صفات الذات وصفات الفعل.

ويكون ذلك من قولهم: طار اسمه في البلاد، أي: صيته ونعته، أو شاع ذكره بالمحاسن كالجود والشجاعة<sup>(٧)</sup>.

### الحُسنى

اختلفوا في تفسيرها على أقوال منها:

القول الأول: الحُسنى: تأنيث الأحسن، وصفت بها الأسماء لأن حكمها حكم المؤنث كقولك: الجماعة الحُسنى<sup>(٨)</sup>.

(١) المقصد الأسنى للغزالي ص ٣٠ وروح المعاني ج ٩ ص ١٢٠ نقلًا عن الغزالي.

(٢) تفسير الرازي ج ١٥ ص ٧٠.

(٣) تفسير ابن عطية ج ٦ ص ١٥٣ ونقل الإجماع عليه.

(٤) تيسير التفسير لأطفيش ج ٤ ص ٢٦٣ وصححه.

(٥) روح المعاني ج ٩ ص ١٢١.

(٦) روح المعاني ج ٩ ص ١٢٠-١٢١.

(٧) روح المعاني ج ٩ ص ١٢١ وتيسير التفسير لأطفيش ج ٤ ص ٢٦٤.

(٨) تفسير الكشاف ج ٢ ص ٥٣٠. وانظر: تفسير ابن عطية ج ٦ ص ١٥٤ وتفسير النسفي ج ٢

ص ٣٥٧ والبحر المحيط لابن حيان ج ٦ ص ٢١٥ وروح المعاني ج ٩ ص ١٢٠ وج ١٦ ص ١٦٤

والتخريج والتنوير ج ٩ ص ١٨٦.

القول الثاني: الحُسْنَى: جمع الأَحْسَن<sup>(١)</sup>.

القول الثالث: الأَسْمَاءُ الحُسْنَى: الصفات العلى<sup>(٢)</sup>. وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق<sup>(٣)</sup>.

وحُسْنُ الأَسْمَاءِ كان بأمرين معاً:

أولهما: تَحْسِينُ الشَّرْعِ لإطلاقها والنص عليها<sup>(٤)</sup>.

والثاني: دلالتها على معاني التَّمَجِيدِ والتَّقْدِيسِ والتَّعْظِيمِ والربوبية والأفعال التي هي النِّهَايَةُ في الحُسْنِ، والتي لا يمكن صدورها إلا منه عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٥)</sup>.

#### أقسام أسماء الله تعالى

لأَسْمَاءِ الله تعالى تقسيمات من وجوه مُخْتَلَفَةٍ منها:

التقسيم الأول: من حيث إطلاقها على غير الله تعالى، تنقسم إلى قسمين:

أولهما: ما يجوز إطلاقها على غير الله تعالى، ومنه: قولنا: الكَرِيمُ، الرَّحِيمُ، الْعَزِيزُ، اللَّطِيفُ، الْكَبِيرُ، الْخَالِقُ.

فهذه الألفاظ يجوز إطلاقها على العباد، وإن كان معناها في حق الله تعالى مغايراً

(١) تَفْسِيرُ الْمَنَارِ ج ٩ ص ٤٣١.

(٢) بَحْرُ الْعُلُومِ لِلْسَّمَرْقَنْدِيِّ ج ١ ص ٥٨٤ و ج ٢ ص ٢٨٧ و ٣٣٧ و ج ٣ ص ٣٤٨ و تَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ ج ٣ ص ٤٦٤ والنُّورُ لِلْأَصْمِ ص ٣٨٩.

(٣) تَفْسِيرُ الْكَشَافِ ج ٢ ص ١٣٢ و شَرَحُ أَسْمَاءِ الله الحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ٤٥.

(٤) تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ ج ٦ ص ١٥٤.

(٥) تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ السَّابِقِ، وَتَفْسِيرُ الْكَشَافِ ج ٢ ص ١٣٢ و ٤٧٠ و ٥٣٠ وَتَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ج ٢١ ص ٧١ وَتَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ ج ٢ ص ٢٨٣ وَالْبَحْرُ الْمُحِيطُ لابن حَيَّان ج ٦ ص ٢١٥. وانظر: روح المعاني ج ١٥ ص ١٩٣ وَتَبْيِيسُ التَّفْسِيرِ لِأَطْفَيْشٍ ج ٧ ص ٢٧٩ وَتَفْسِيرُ الْمَنَارِ ج ٩ ص ٤٣٢ وَالْأَسْمَاءُ الحُسْنَى لِمُحَمَّدٍ حَسَنِينَ خُلُوف ص ١٨.



لمعناها في حق العباد.

لكن قد تقيّد بقيود مخصوصة بحيث لا يمكن إطلاقها إلا في حق الله تعالى، مثل قولنا: يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، ويا خالق السماوات والأرضين. والثاني: لا يجوز إطلاقها على غير الله تعالى، كقولنا: الله، الرَّحْمَنُ<sup>(١)</sup>.

التقسيم الثاني: من حيث ذكره وحده، تنقسم إلى قسمين:

أولهما: منها ما يباح ذكره وحده، كقولنا: يا الله، يا رَحْمَن، يا حي، يا حَكِيم، وأكثر الأسماء الحُسنى.

الثاني: ما لا يكون كذلك، كقولنا: مُمِيتٌ وَضَارٌّ. فلا يجوز إفراده بالذكر، بل يجب أن يقال: يا مُحْيِي يا مُمِيت، يا ضَارٌّ يا نَافِع<sup>(٢)</sup>. تأدباً في حقه تعالى، وتفادياً من إيهام ما لا يليق بجلاله تعالى<sup>(٣)</sup>.

فإذا قيل:

ما هي الحكمة في أنه نهى عباده عن مدح أنفسهم بقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ﴾ - النجم ٣٢، مع أنه مدح نفسه بهذه الأسماء الحُسنى؟  
أُجِب:

بأن العبد وإن كان فيه خصال الخير فهو ناقص، وإن كان ناقصاً فلا يجوز له أن يمدح نفسه، والله سُبْحَانَهُ تام الملك والقدرة فيستوجب به المدح، فمدح نفسه ليعلم عباده فيمدحوه<sup>(٤)</sup>.

(١) تَفْسِيرُ الرَّازِي ج ١٥ ص ٧١. وانظر: روح المعاني ج ٩ ص ١٢٣ وَتَيْسِيرُ التَّفْسِيرِ لِأَطْفَيْش ج ٤ ص ٢٦٣.

(٢) تَفْسِيرُ الرَّازِي، وروح المعاني، السَّابِقَان.

(٣) الأسماء الحُسنى لِمُحَمَّدٍ حَسَنَيْنِ مخلوف ص ١٩.

(٤) بَحْرُ الْعُلُومِ لِلْسَمَرْقَنْدِيِّ ج ٣ ص ٣٤٩.

## عدد أسماء الله تعالى

في الحديث الصحيح: قال رسول الله ﷺ: (إن لله تسعة وتسعين اسماً، مئة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة)<sup>(١)</sup>.

وهذا العدد التسعة والتسعون اسماً هو المراد من الأسماء الحسنى الواردة بالآية<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي حديث أبي هريرة الذي فيه عدد تلك الأسماء وهو:

(٣٥٠٦- حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ حَمَّادٍ الْبَصْرِيُّ. حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ سَعِيدٍ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا: مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ.

قال يونس: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(١) حَدِيث: إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا... إلخ، في: صحيح البخاري في: ٥٤ كتاب الشروط، ١٨ باب ما يجوز من الاشتراط والثنية في الإقرار، رقم ٢٧٣٦، بهذا اللفظ. وفي: ٨١ كتاب الرقاق، ٦٨ باب لله مائة اسم...، رقم ٦٤١٠. وفي: ٩٧ كتاب التوحيد، ١٢ باب إن لله مائة اسم إلا واحداً، رقم ٧٣٩٢. وكل هذه الروايات عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي صحيح مسلم في: ٤٨ كتاب الذكر والدعاء، ٢ باب في أسماء الله تعالى...، رقم ٢٦٧٧، عن أبي هريرة. وفيه: وزاد همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: (إِنَّهُ وَتُرْجَبُ الْوُتْرُ).

وسنن الترمذي في: ٤٤ كتاب الدعوات، ٨٢ باب، رقم ٣٥٠٦، ص ٥٥٢ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا سَيَأْتِي، وَلَفْظُهُ (... مِائَةً غَيْرَ وَاحِدٍ...). وَأَفَاضَ ابْنُ حَجَرٍ فِي تَخْرِيجِهِ فِي فَتْحِ الْبَارِي ج ١١ ص ٢١٨ وما بعدها.

(٢) تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ ج ١٠ ص ٦ و ج ١٤ ص ٣٩٤.

٣٥٠٧- حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَعْقُوبَ الْجُوزْجَانِي، حَدَّثَنِي صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ اسْمًا مِثْلَ غَيْرِ وَاحِدٍ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهِيمُنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيزُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِي، الْمُعِيدُ، الْمُخَيِّي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاحِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخَّرُ، الْأَوَّلُ، الْآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنتَقِمُ، الْعَفْوُ، الرَّؤُوفُ، مَالِكُ الْمُلْكِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ.

قال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، حَدَّثَنَا بِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ، وَلَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ صَفْوَانَ بْنِ صَالِحٍ، وَهُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ.

وَقَدْ رَوَيْ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا نَعْلَمُ فِي كَبِيرِ شَيْءٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ لَهُ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ ذَكَرَ الْأَسْمَاءُ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ<sup>(١)</sup>.

وهناك أسماء وردت في القرآن الكريم بصيغة الاسم لم تذكر في رواية الترمذي وهي سبعة وعشرون اسماً:

(١) سَنَّ التِّرْمِذِيُّ فِي: ٤٤ كِتَابَ الدَّعَوَاتِ، ٨٢ بَابٍ، رَقْمَ الْحَدِيثِ ٣٥٠٦-٣٥٠٧،

الرب، الإله، الْمُحِيط، الْقَدِير، الكافي، الشاكر، الشديد، القائم، الْحَاكِم، الفاطر،  
الغافر، القاهر، الْمَوْلَى، النَّصِير، الغالب، الْخَالِق، الرفيع، المليك، الْكَفِيل، الْخَلَّاق،  
الْأَكْرَم، الْأَعْلَى، الْمُبِين، الْحَفِي، القريب، الْأَحَد، الحافظ.

وقد ورد بعضها بالإضافة مثل: الشديد من قوله تعالى: ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ - البقرة  
١٩٦، والرفيع من قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ - غافر ١٥، والعالم من قوله تعالى:  
﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ - الحشر ٢٢.

وذلك مثل بعض الأسماء الْوَارِدَةِ فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ مثل: الْمُحْيِي من قوله تعالى:  
﴿لَمْحِي الْمَوْتِ﴾ - الرُّوم ٥٠، وَالْمَالِك من قوله تعالى: ﴿مَلِكُ الْمُلْكِ﴾ - آل عِمْرَان  
٢٦، وَالنُّور من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - النُّور ٣٥.

والأسماء التي تقابل هذه مما وقع في رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ مما لم تقع في الْقُرْآن بصيغة  
الاسم وهي سبعة وعشرون اسماً:

الْقَابِض، الْبَاسِط، الْخَافِض، الرَّافِع، الْمُعِزُّ، الْمُدِلُّ، الْعَدْل، الْجَلِيل، الْبَاعِث،  
الْمُخْصِي، الْمُبْدِي، الْمُعِيد، الْمُمِيت، الْوَاحِد، الْمَاجِد، الْمُقَدِّم، الْمُؤَخَّر، الْوَالِي،  
ذو الْجَلَال وَالْإِكْرَام، الْمُفْسِط، الْمُغْنِي، الْمَانِع، الضَّارُّ، النَّافِع، الْبَاقِي، الرَّشِيد،  
الصَّبُور.

قال ابن حَجَر: فإذا اقتصر من رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ عَلَى مَا عدا هَذِهِ الْأَسْمَاء، وَأُبْدِلَتْ  
بِالسَّبْعَةِ وَالْعَشْرِينَ الَّتِي ذَكَرْتَهَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْماً وَكُلُّهَا فِي الْقُرْآن وَارِدَةٌ  
بصيغة الاسم، ومواقعها كلها ظَاهِرَةٌ مِنَ الْقُرْآن، إِلَّا قَوْلَهُ (الْحَفِي) فَإِنَّهُ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ  
فِي قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ - مَرْيَمَ ٤٧.

قال: وَقُلَّ مِنْ نَبَأٍ إِلَى ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

واختلف العلّماء في العدد الوارد بالحديث، هل المراد به حصر الأسماء الحُسنى في هذا العدد أو أنها أكثر من ذلك؟ على قولين:

**القول الأول:** الأسماء الحُسنى محصورة بهذا العدد. وهو قول ابن حزم، بدليل:

ظاهر الحديث، فقد صحَّ أنها تسعة وتسعون اسماً فقط، ولا يحلُّ لأحد أن يُجيز أن يكون له اسمٌ زائدٌ، لأنه عليه السّلام قال: (مائة غير واحد)، فلو جاز أن يكون له تعالى اسمٌ زائدٌ لكانت مائة اسمٍ، ولو كان هذا لكان قوله ﷺ: (مائة غير واحد) كذباً، ومن أجاز هذا فهو كافر<sup>(١)</sup>.

**القول الثاني:** الأسماء أكثر من هذا العدد المذكور، وهو قول الجُمهور، ونص عليه الخطّابي والباقلاني وابن العربي، ونقل النووي اتفاق العلّماء عليه، وذكر أنه ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث هو أن من أحصى هذه الأسماء دخل الجنة، فالمراد بالإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء. بدليل:

أ- حديث ابن مسعود: (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك).

ب- أكثر الأسماء صفات، وصفات الله لا تنهاى<sup>(٢)</sup>.

(١) علم الكلام لابن حزم ص ٦٧ وفتح الباري ج ١١ ص ٢٢٤ والأسنى للقرطبي ص ٣٦.

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٢٢٣-٢٢٤. وانظر كلام النووي في شرحه على صحيح مسلم ج ١٧ ص ٨، ومثله في تحفة الأخوذ ج ٢ ص ٢٦٠ والمقصد الأسنى للغزالي ص ١٤٧-١٤٨. وإلى هذا القول ذهب أطفيش في تيسير التفسير ج ٤ ص ٢٦٤. ورَجَّح هذا القول الألوسي في روح المعاني ج ٩ ص ١٢٣-١٢٤. وانظر: الأسنى للقرطبي السابق.

وحديث ابن مسعود: أسألك بكل اسم... إلخ: أخرجه أحمد وصحّحه ابن حبان. / فتح الباري السابق.

وورد في معنى قوله ﷺ: (أحسابها) أقوال منها:

١ - عَدَّهَا وحفظها، وتضمن ذلك الإيمان بها والتَّعْظِيمُ لها والرغبة فيها والعبرة في معانيها.

وهو ما ورد في إحدى روايات حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ<sup>(١)</sup>: (... لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة...) ورواية لمُسْلِمٍ: (... من حفظها دخل الجنة...).  
وصَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ<sup>(٢)</sup>. وهو قول أكثر المحققين<sup>(٣)</sup>.

٢ - عَدَّهَا حتى استوفاهما، أي: أن لا يقتصر على بعضها لكن يدعو الله بها كلها، ويثني عليه بجميعها.

٣ - أطاقتها، أي: من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها، وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها.

فإذا قال العبد: (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) علم أنه لا يجد الرحمة إلا منه،  
وإذا قال العبد: (الملك)، علم أن كل الممكنات ملكه، ويعامل ربه كما يعامل العبد  
الذليل الملك العزيز.  
وإذا قال العبد: (الرازق)، علم أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو المتكفل برزقه فيثق  
بوعده.

وإذا قال العبد: (الْمُنْتَقِمُ)، يستشعر الخوف من نقمته، وهكذا سائر الأسماء.

(١) تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ ج ٦ ص ١٥٦. ونقله ابن حَجَرٍ في فَتْحِ الْبَارِي ج ١١ ص ٢٢٩.  
وَرِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ فِي حَدِيثٍ رَقْم ٦٤١٠، وَرِوَايَةُ مُسْلِمٍ فِي حَدِيثٍ رَقْم ٢٦٧٧، وَتَقَدَّمَا  
آزِفًا.

(٢) شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ ج ١٧ ص ٨.

(٣) تَيْسِيرُ التَّفْسِيرِ لِأَطْفَيْشٍ ج ٤ ص ٢٦٤ وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ج ٢ ص ٢٦٠.

٤- أحاط بمعانيها<sup>(١)</sup>.

فإذا وصف العبد ربه بأنه (الملك) استحضر في عقله أقسام ملك الله تعالى وملكوته.

وإذا قال العبد: (الْقُدُّوس) استحضر في عقله كونه مقدساً في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه عن كل ما لا ينبغي... وهَكَذَا<sup>(٢)</sup>.

٥- عَمِلَ بها، فإذا قال: (الْحَكِيم) مثلاً سَلَّمَ جميع أوامره، لأن جميعها على مُقْتَضَى الحكمة.

قال الأَصِيلِيّ: ليس المُرَاد بالإحصاء عدّها فقط، لأنه قد يعدّها الفاجر، وإنما المُرَاد العَمَل بها<sup>(٣)</sup>.

### التوقيف في أسماء الله تعالى

اتفق العُلَمَاء على جواز إطلاق الأسماء والصفات على الباري عزّ وجلّ إذا ورد بها الإذن من الشارع.

وعلى امتناعه إذا ورد المنع منه.

واختلفوا حيث لا إذن ولا منع في جواز إطلاق ما يتصف الله سبحانه بمعناه، ولم

(١) فَتَحُ الْبَارِي ج ١١ ص ٢٢٨-٢٢٩، وَشَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ السَّابِق. وانظر: شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِي ص ٧٩-٨٠ وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ج ٢ ص ٢٦٠ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ١٢٧.

(٢) شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِي ص ٧٩.

(٣) فَتَحُ الْبَارِي ج ١١ ص ٢٢٩ وسرد أقوالاً أخرى. وانظر: أَصُولُ الدِّينِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ١٢١ وَشَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ السَّابِق، وَتَبْسِيرُ التَّفْسِيرِ لِأَطْفَيْشٍ ج ٤ ص ٢٦٤ وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ج ٢ ص ٢٦٠ وَالْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى لِمُحَمَّدٍ حَسَنِينَ مَخْلُوف ص ٢١. وانظر معاني (أحصاها) أيضاً في: الْأَسْنَى لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٢ و ١٠١.

يكن من الأسماء الأعْلَامِ الموضوعة في سائر اللُّغَات، ولم يكن إطلاقه موهماً نقصاً بل كان مشعراً بالمدح<sup>(١)</sup>.

أي اختلفوا في الأسماء الحُسْنَى هل هي توقيفية؟ بمعنى أنه لا يجوز لأحد أن يشتق من الأفعال الثَّابِتة لله أسماء، إلا إذا ورد نص في الكتاب والسُّنَّة<sup>(٢)</sup>، على أقوال منها:

القول الأول: إنها توقيفية.

وهو ما ذهب إليه الإمام أبو الحسن الأشعري<sup>(٣)</sup>، وهو المذهب عند الأشاعرة<sup>(٤)</sup>، وصوّبه ابن عطية<sup>(٥)</sup>، ونقل عن أبي القاسم القشيري والزجاج<sup>(٦)</sup>، ورجحه ابن حجر<sup>(٧)</sup>، وبه قال أبو منصور الماثريدي<sup>(٨)</sup>، والماثريدي<sup>(٩)</sup>،

(١) روح المعاني ج ٩ ص ١٢١، ونقل فيه أيضاً ما يفيد هذا عن أبنكار الأفكار للأمدي.

(٢) فتح الباري ج ١١ ص ٢٢٦.

قال السفاريني في لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ١٢٥: (التوقيفي: ما ورد به كتاب، أو سُنَّةٌ صَحِيحَةٌ أو حَسَنَةٌ، أو إجماع، لأنه لا يخرج عنهما، أما السُّنَّةُ الضعيفة والقياس فلا يثبت بهما، لأنَّ الْمَسْأَلَةَ مِنَ الْعِلْمِيَّاتِ). وأورد الباجوري ذلك، وفسر الْعِلْمِيَّاتِ بقوله: (أي: الاعتقاديَّاتِ بحيث يعتقد أن ذلك الاسم من أسمائه تعالى). / شرح جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ للباجوري ص ١٥٤.

(٣) الْمُقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ١٥٤ وَتَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ ج ٦ ص ١٥٤ وَالتَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ج ٩ ص ١٨٨ عن ابن عطية.

(٤) شَرَحَ أَسْمَاءَ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ٣٣ وفيه: (مذهب أصحابنا). ونقله عنه ابن حجر في فَتْحِ الْبَارِيِّ ج ١١ ص ٢٢٦ بلفظ: (المشهور عن أصحابنا).

(٥) تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ السَّابِقِ.

(٦) فَتْحُ الْبَارِيِّ ج ١١ ص ٢٢٦.

(٧) فَتْحُ الْبَارِيِّ السَّابِقِ.

(٨) التَّوْحِيدُ لِلْمَاثَرِيْدِيِّ ص ٣٨ و ٣٨.

(٩) أَصُولُ الدِّينِ لِلْغَزَالِيِّ ص ١٨٠ وفيه: (وأسماء الله عزَّ وجلَّ تؤخذ توقيفاً، ولا يجوز أخذها قياساً).



والجُمْهُور<sup>(١)</sup>، والفُقهاء<sup>(٢)</sup>، وبه قال الإباضية<sup>(٣)</sup>.

قال صاحب الجَوْهَرَة:

وَاخْتِيرَ أَنَّ اسْمَهُ تَوْقِيفِيهِ كَذَا الصِّفَاتُ، فَاحْفَظِ السَّمْعِيَةَ<sup>(٤)</sup>

وَحُجَّةَ هَذَا الْقَوْل:

أ- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ - الأعراف ١٨٠، وهو يدلُّ على أنه تعالى حصلت له أسماء حَسَنَة، وأنه يجب على الإنسان أن يدعو الله بها<sup>(٥)</sup>.

ب- يجوز أن يقال: يا جواد، ولا يجوز أن يقال: يا سَخِيَّ، ويجوز أن يقال: يا عَالِم، ولا يجوز أن يقال: يا عاقل يا طبيب يا فقيه<sup>(٦)</sup> يا فاهم يا لَبِيب يا عارف، مع أنها مُرَادِفَة لعَالِم في اللُّغَة، وهذا يفيد أن الاسْتِعْمَال تَوْقِيفِي متوقف على الإِذْن به<sup>(٧)</sup>.

ج- الشرط في جواز إطلاق الاسم على الله تعالى - وهو أن يكون مدحاً خالصاً لا شبهة فيه ولا اشتراك - أمرٌ لا يحسنه إلا الأقل من أهل العُلُوم، فإذا أُبِيح ذلك تسوّر عليه من يظن بنفسه أنه يحسن وهو لا يحسن، فعندئذ يدخل في أسماء الله تعالى ما لا يجوز بالإجماع<sup>(٨)</sup>.

(١) تَفْسِير ابن عطية ج ٦ ص ١٥٤ ولَوَامِع الأنوار البهية ج ١ ص ١٢٥ وشرح الجَوْهَرَة للْبَاجُورِي ص ١٥٤.

(٢) تَفْسِير ابن عطية السَّابِق، ونقله أيضاً عن القَاضِي أَبِي مُحَمَّدٍ فِي ج ٩ ص ٢٢٠.

(٣) تَيْسِير التَّفْسِير لِأَطْفَيْش ج ٤ ص ٢٦٤ وَمَشَارِق أنوار العُقُول ج ١ ص ٣٤٠، ونقله الجَعْبَرِي فِي البُعْد الحَضَارِي ص ٢٢٢ عن التَّلَاقِي والمُحَشِّي.

(٤) شَرَح الجَوْهَرَة للْبَاجُورِي ص ١٥٤.

(٥) تَفْسِير الرَّازِي ج ١٥ ص ٧٤.

(٦) تَفْسِير الرَّازِي السَّابِق.

(٧) شَرَح أسماء الله الحُسنى لِلرَّازِي ص ٣٣.

(٨) تَفْسِير ابن عطية ج ٦ ص ١٥٤.

القول الثاني: إذا دل العقل على أن معنى اللفظ ثابت في حق الله تعالى جاز إطلاقه على الله.

وهو قول الْمُعْتَزَلَةِ وَالْكَرَامِيَّةِ<sup>(١)</sup>. وَالْفَلَّاسِفَةِ<sup>(٢)</sup>. ومال إليه القاضي أبو بكر الباقلاني بحجة:

شروع إطلاق نحو خدا (وهو الله تعالى بالفارسية)، وتكري (وهو الله بالتركية) من غير نكير فكان إجماعاً<sup>(٣)</sup>.

فأهل كل لغة يسمونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِاسْمٍ مُخْتَصٍّ بِلُغَتِهِمْ، كَقَوْلِهِمْ (خدای)، وشاع من غير نكير.

وردّ هذا: بأنه لو ثبت لكان كافياً في الإذن الشرعي<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح الباري ج ١١ ص ٢٢٦ وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ص ٣٣ وروح المعاني ج ٩ ص ١٢١ وتفسير المنار ج ٩ ص ٤٤٤. وانظر: لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ١٢٥ وشرح الجوهرية للباقر ص ١٥٤ وكلاهما عن المعتزلة.

(٢) تفسير المنار السابق.

(٣) روح المعاني ج ٩ ص ١٢١-١٢٢ وشرح أسماء الله الحسنى للرازي ص ٣٣ و٣٦ وروى الألوسي عن الباقلاني أيضاً التوقف، ونقل تفصيلاً لقوله عن شرح المواقف بما يخالف المعتزلة.

إلا أن ابن حجر في فتح الباري ج ١١ ص ٢٢٦ نقل قول الباقلاني مثل قول الغزالي وهو التفصيل. لكن الغزالي في المقصد الأسنى ص ١٥٤ ذكر أن الذي مال إليه القاضي أبو بكر أن الصفات والأسامي المطلقة على الله تعالى تجوز بطريق العقل إلا ما منع منه الشرع أو أشعر بما يستحيل معناه على الله تعالى. فأما ما لا مانع فيه فإنه جائز.

وأشار إلى ميل الباقلاني: السفاريني في لوامع الأنوار البهية ج ١ ص ١٢٥ والباقر في شرح الجوهرية ص ٨٩.

(٤) لوامع الأنوار البهية السابق.

القول الثالث: التفصيل. وهو قول الغزالي. فجاز إطلاق الصفة وهو ما دل على معنى زائد على الذات، وامتنع إطلاق الاسم وهو ما يدل على نفس الذات<sup>(١)</sup>. وقال الرازي: هو المُختار<sup>(٢)</sup>.

وحجة هذا القول هي:

الاتفاق على أنه لا يجوز لنا أن نسمي رسول الله ﷺ باسم لم يسم به أبوه ولا سمي به نفسه وكذا كل كبير من الخلق، قال: فإذا امتنع ذلك في حق المخلوقين فامتناعه في حق الله أولى<sup>(٣)</sup>.

معنى الإلحاد في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ - الأعراف

: ١٨٠

الإلحاد لغة: الانحراف والميلان، ومنه: لحَدُ القبر: المائل إلى أحد شقيه<sup>(٤)</sup>.

والإلحاد في أسماء الله تعالى يقع على عدة أوجه منها:

١ - إطلاق أسماء الله تعالى المقدسة على غير الله تعالى، كتسمية الكفار أو ثنائهم بالآلهة.

وتسميتهم الأصنام بـ(اللات) حيث اشتقوها من الإله، و(العزى) من العزير،

(١) المقصد الأسنى للغزالي ص ١٥٤. وذكر قول الغزالي في: روح المعاني ج ٩ ص ١٢٢ وتفسير المنار ج ٩ ص ٤٤٤ وأشار إلى الألويسي، وكوامع الأنوار البهية ج ١ ص ١٢٥ وشرح الجوهرة للباجوري ص ١٥٤.

(٢) شرح أسماء الله الحُسنى للرازي ص ٣٣ قال: (واختيار الشيخ الغزالي أن الأسماء موقوفة على الإذن، وأما الصفات فغير موقوفة على الإذن، وهذا هو المختار).

(٣) فتح الباري ج ١١ ص ٢٢٦.

(٤) بحر العلوم للسمرقندي ج ١ ص ٥٨٥ وشرح أسماء الله الحُسنى للرازي ص ٤٥ وتفسير ابن عطية ج ٦ ص ١٥٦-١٥٧ وروح المعاني ج ٩ ص ١٢١.

و(مَنَاءة) من المَنَان.

وكان مُسَيِّلَمَةً يسمي نفسه بـ(الرَّحْمَنُ)<sup>(١)</sup>.

٢- أن يسموا الله تعالى بما لا يجوز تسميته به، كتسميته بما يوهم معنى فاسداً، مثل: يا أبيض الوجه، يا سَخِيٍّ، ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>. فلا يطلق عليه:

الزارع، وإن ورد فيه قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَتَنْهَوْنَ الزَّارِعُونَ﴾ - الواقعة ٦٤. والرامي، وإن ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَكُنَّ اللَّهُ رَمِيًّا﴾ - الأنفال ١٧. والمستهزئ، وإن ورد فيه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ - البقرة ١٥. والماكر، وإن ورد فيه قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ - آل عمران ٥٤<sup>(٣)</sup>.

فيقول: يا جواد، ولا يقول: يا سَخِيٍّ، لأنه لم يسم به نفسه.

ويقول: يا قَوِيٍّ، ولا يقول: يا شُجَاعٍ<sup>(٤)</sup>.

ويقول: يا عالم، ولا يقول: يا عارف، يا فقيه، يا عاقل، يا كَبِيب، يا فَطِن، يا مُدْرِك، مع أنها مُرَادِفَةٌ لُغَةً لعالم<sup>(٥)</sup>.

(١) تَفْسِيرُ الرَّازِي ج ١٥ ص ٧٥ وشرح أسماء الله الحُسنى للرازي ص ٤٦ وتفسير ابن عطية السابق، وتفسير التفسير لأطفيش ج ٤ ص ٢٦٥ وتفسير المنار ج ٩ ص ٤٤٢ ولَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّة ج ١ ص ١٢٨.

(٢) روح المعاني ج ٩ ص ١٢١. وهو في تفسير الكشاف ج ٢ ص ١٣٢. وانظر: تفسير النسيبي ج ١ ص ٦٢٠.

(٣) روح المعاني ج ٩ ص ١٢٢.

(٤) بَحْرُ الْعُلُومِ لِلْسَمَرْقَنْدِيِّ ج ١ ص ٥٨٥ ونقل رأي الزجاج. وانظر: تفسير الرازي ج ١٥ ص ٧٤ والنور للأصم ص ٤٥٤.

(٥) الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى لِمُحَمَّدٍ حَسَنِينَ مخلوف ص ٢٢.

لأن اسم (جواد، وقوي، وعالم) وردت ضمن الأسماء الحُسنى، أما ما قبلها من الأسماء فلم يسم الله بها نفسه.

وما ورد في اصطلاح المتكلمين من أسماء يطلقونها على الله تعالى مثل: (الواجب، واجب الوجود، الوجود، الصانع، المتقن، المذكور، الذات، المعلوم، الحقيقة، الشيء، الثابت...)، فهي ليست من أسماء الله الحُسنى، وفي الإخبار بها عن الله تعالى تفصيل:

أ- إن كان المقصود أنه تعالى في نفسه واجب وذات... إلخ فهو كذلك بلا شك ولا شبهة، فنقول: إن الله واجب الوجود، وذات، وموجود، وهو صانع كل شيء، ومتقن لكل ما خلقه....

وعليه يجوز الإخبار بهذه الصفات عنه تعالى.

ب- وإن كان المقصود هو المناداة بهذه الألفاظ، فلا يجوز ذلك في الدعاء والنداء. لأن السلف كانوا يقولون: يا الله، يا رَحْمَن، يا رَحِيم... إلى سائر الأسماء الشريفة، ولم يُسمع أن أحداً منهم قال: يا ذات، يا حقيقة، يا مَعْلُوم، يا مفهوم، اغفر لي.

فكان الامتناع عن مثل هذه الألفاظ في معرض النداء والدعاء واجباً لله تعالى<sup>(١)</sup>.

### معاني بعض أسماء الله الحُسنى

الله: اتفق العلماء الذين تكلموا في معاني أسماء الله الحُسنى، أن ما سوى لفظة (الله) من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو من باب الصفات المشتقة.

واختلفوا في اشتقاق لفظة (الله) على قولين:

أولهما: إنها لفظة غير مشتقة من شيء أصلاً، بل هو اسم عَلِمَ انفراد به الحق سُبْحَانَهُ،

(١) تَفْسِيرُ الرَّازِي ج ١٥ ص ٧٣ وَتَفْسِيرُ الْمَنَارِ ج ٩ ص ٤٤٣. وذكر الألويسي في روح المعاني ج ٩ ص ١٢٢: (ومن الثابت بالإجماع: الصانع والموجود والواجب والقديم، قيل: والعلة...).

كأسماء الأعلام. وهو قول: الشافعي وأبي حنيفة والحسين بن الفضل البجلي والقفال الشاشي والخطابي وأبي يزيد البلخي والغزالي وأكثر المحققين، واختاره الرازي. وهو أحد قولي الخليل، وسبويه، والمبرد<sup>(١)</sup>، وبه قال الإباضية<sup>(٢)</sup>، وصححه الجويني<sup>(٣)</sup>.

ومن حجج هذا القول:

قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ - مريم ٦٥، أي: ليس في الوجود شيء يسمى باسم الله إلا الله، فثبت أن هذا اللفظ اسم، ولو كان مشتقاً لما كان اسماً بل كان صفة. ومن العرف، أن يقال: الملك القدوس السلام اسماً لله تعالى، ولا يقال: الله اسم للملك الخالق الباري<sup>(٤)</sup>.

القول الثاني: هي لفظة من الأسماء المشتقة.

وهو قول جمهور المعتزلة وكثير من الأدباء<sup>(٥)</sup>.

ومن حججهم:

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ - الأعراف ١٨٠، فيه الحكم بأن أسماءه موصوفة بالحسن، والاسم إنما يكون حسناً إذا كان المسمى به كذلك، والمسمى إنما يكون حسناً بحسب صفاته لا بحسب ذاته، فوجب أن تكون جميع أسماء الله تعالى دالة على صفاته لا على ذاته.

(١) شرح أسماء الله الحسنى للرازي ص ١٠٦. وانظر قول الغزالي في كتابه المقصد الأسنى ص ٦٠.

(٢) الثور للأصم ص ٢٨٩ قال: وأظن هذا الذي يذهب إليه أصحابنا.

(٣) الإرشاد للجويني ص ١٤٤.

(٤) شرح أسماء الله الحسنى للرازي ص ١٠٧. وانظر: الثور للأصم السابق.

(٥) شرح أسماء الله الحسنى للرازي ص ١٠٦.

وأُجيب بما يأتي:

إن الأسماء في الآية أُضيفت إلى الله تعالى، فوجب أن يكون هذا الاسم خارجاً عنها.

والاسم إنما يحسن لأن مسماه شريف، فهذا الاسم المسمى به هو الذات، فوجب أن يكون أشرف الأسماء<sup>(١)</sup>.

وأصحاب هذا القول اختلفوا في اشتقاق لفظة (الله) على أقوال منها:

١ - مشتقة من أَلِه الرجل إلى الرجل يَأْلُهُ إليه، إذا فَرَعَ إليه من أمر نزل به. وأَلَّههُ أي: أَجَارَهُ وآمَنَهُ، فيسمى إلهاً كما يسمى الرجل إماماً إذا أَمَّ الناس.

ولما كان اسماً لِعَظِيم، فَخَمَّوه بأل التعريف فقالوا: الإلاه، ثم استثقلوا الهمزة في كلمة يكثر استِعْمَالُهم لها، لأن للهمزة في وسط الكلمة ضغطة شديدة، فحذفوها، فصار الاسم (الله) كما نزل في القرآن.

وهو قول الحارث المُحَاسِبِيِّ وغيره.

٢ - مشتقة من لاه يلوه إذا ارتفع، والحق سُبْحَانُهُ مرتفع لا بالمكان.

٣ - مشتقة من التَّأَلُّه وهو التعبد، يقال: أَلِه يَأْلُهُ إلهة، أي: عَبْدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً. ولما كان الباري مَعْبُوداً حَقِيقَةً سُمِّيَ إلهاً<sup>(٢)</sup>.

وثمره هذا الاسم في الإنسان هي التَّأَلُّه، أي أن يكون مستغرق القلب والهمة بالله

(١) شَرَحَ أسماء الله الحُسنى للِرَّازِي ص ١٠٨-١٠٩.

(٢) شَرَحَ أسماء الله الحُسنى للِرَّازِي ص ١٠٩-١١٧ وفيه ذكر وجوهاً أخرى لاشتقاق اللفظة. وانظر: الإرشاد للجويني ص ١٤٥ والتُّور للأصم ص ٢٨٩ والقَامُوسُ الْمُحِيط، والمِصْبَاحُ الْمُنِيرُ، وكلاهما في مادة (أله)، والأَسْنَى للقرطبي ص ٢٨٨.

تعالى، لا يرى غيره، ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه<sup>(١)</sup>.

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ: اسمان مشتقان من الرحمة<sup>(٢)</sup>، وهما من أبنية المبالغة<sup>(٣)</sup>.

والرَّحْمَنُ أخص من الرَّحِيمِ، ولذلك لا يسمى به غير الله تعالى، والرَّحِيمُ قد يطلق على غيره، فيقال: رجل رَحِيمٌ، ولا يقال: رَحْمَنٌ.

فهو من هذا الوجه قريب من اسم الله الجاري مجرى العَلَمِ، وإن كان هذا مشتقاً من الرحمة، ولذلك جمع الله بينهما بقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ - الإسراء ١١٠<sup>(٤)</sup>.

وقيل: الرَّحْمَنُ هو رَحْمَنُ بجميع الخلق في الدنيا والآخرة، والرَّحِيمُ: بالمؤمنين خاصة<sup>(٥)</sup>.

وثمره اسم الرَّحْمَنُ في الإنسان هي أن يرحم عباد الله الغافلين فينصحبهم باللطف، وأن ينظر إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الإيذاء، وأن لا يألو جهداً في إزالة المعاصي رحمة بالعصاة.

وثمره اسم الرَّحِيمِ فيه أن لا يدع فاقةً لمحتاجٍ إلا يسدها بقدر طاقته بماله أو جاهه، فإن عجز عن ذلك فيعينه بالدعاء، ويعطف عليه حتى يبدو أنه مساهم في دفع ضره<sup>(٦)</sup>.

(١) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٦٠.

(٢) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٦١. وانظر: شرح أسماء الله الحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ١٥٠ - ١٦٩.

(٣) تُحْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ ج ٢ ص ٢٦٠.

(٤) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ السَّابِق. وانظر: النُّورُ لِلأَصْمِ ص ٢٩١ وتُحْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ السَّابِق.

(٥) النُّورُ لِلأَصْمِ السَّابِق.

(٦) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٦٢.



الْقُدُّوس: الطاهر المنزه عن العيوب، وفُعُول من أبنية المبالغة<sup>(١)</sup>.

المُؤْمِن: هو الذي يُعْزَى إليه الأمن والأمان بإفادته أسبابه، وسده طرق المخاوف.

والمُؤْمِن المطلق هو الذي لا يتصور أمن وأمان إلا ويكون مُسْتَفَاداً من جهته، وهو الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

وهو مأخوذ من:

أ- الإيمان بمعنى التَّصْدِيق، أي: صدَّق أنبياءه بإظهار المعجزة، وصدق عباده ما وعدهم به من الثواب.

ب- الإيمان بمعنى الأمان والأمن ضد الخوف، أي: يؤمنهم يوم القيامة من عذابه<sup>(٣)</sup>.

المُهِيمِن: القائم على خلقه بأَعْمَالِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ وَآجَالِهِمْ، وإنما قيامه عليهم باطلاعه، واستيلائه، وحفظه. والاطلاع يعود إلى العلم، والاستيلاء إلى كَمَالِ القدرة، والحفظ إلى العقل، والجَامِع بين هَذِهِ المعاني اسمه المُهِيمِن، ولن يجمع ذَلِكَ على الكَمَال إِلَّا الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

فالمُهِيمِن هو الرَّقِيبُ المبالغ في المُرَاقَبَةِ والحفظ<sup>(٥)</sup>.

أو هو الشَّاهد، لأنه تعالى شَاهد على خلقه بما يصدر منهم من قول أو فعل. أو هو

(١) تُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ السَّابِق. وهو في شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ١٨١، وقارن بما قاله الإمام الْغَزَالِيُّ فِي الْمَقْصَدِ الْأَسْنَى ص ٦٥ وَالْقُرْطُبِيُّ فِي الْأَسْنَى ص ٢٢٩.

(٢) الْمَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٦٧.

(٣) تُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ج ٢ ص ٢٦٠ وَشَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ١٨٥ وَالنُّورُ لِلْأَصْم ص ٢٩٧.

(٤) الْمَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ٦٩.

(٥) تُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ج ٢ ص ٢٦٠.

الحَدِيدُ المشفق<sup>(١)</sup>.

العَزِيزُ: الغالب الذي لا يُغلب. ومنه قول العَرَبِ: من عَزَّ بَزَّ، أي: من غلب سلب<sup>(٢)</sup>.

وقال الغَزَالِيُّ: هو الذي يقل وجود مثله، وتشتد الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه. فما لم يجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العَزِيز<sup>(٣)</sup>.

الرَّزَّاقُ: هو الذي خلق الأرزاق، وأعطى الخلائق أرزاقها.

والرزق نوعان: رزق ظاهر: وهو الأقوات والأطعمة، وهي للأبدان. ورزق باطن: وهو المعارف والعُلُوم، وهي للقلوب<sup>(٤)</sup>.

الحَكَمُ: هو الحاكم الذي لا رادَّ لحكمه، ولا معقَّب لقضائه.

وثمره هذا الاسم في الإنسان هي أن يعلم أن القلم قد جفَّ بما هو كائن، وأن الأسباب قد توجهت إلى مسبباتها.

فإنه قدَّر المسبَّب وقدر له سببه، فإذا جرى سببه كان حصول المسبَّب واجباً، بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص.

فإذا علم الإنسان أن المقدور كائن، أصبح في رزقه مُجْمِلاً في الطلب، مطمئن النفس، غير مُضْطَرِّب القلب<sup>(٥)</sup>، ويصير مشغول القلب بأنه ما يصيبه إلا الذي جرى

(١) شَرَحَ أسماء الله الحُسْنَى للِرَّازِي ص ١٨٨. وانظر: تُحْفَةُ الأَخَوَدِيِّ السَّابِق، والنُّور للأصم ص ٢٩٨.

(٢) أسماء الله الحُسْنَى للِرَّازِي ص ١٩٠ وتُحْفَةُ الأَخَوَدِيِّ ج ٢ ص ٢٦١ والنُّور للأصم ص ٢٩٩.

(٣) المَقْصَدُ الأَسْنَى للغَزَالِيِّ ص ٦٩. وانظر: الأَسْنَى للَقُرْطُبِيِّ ص ٢٠٤.

(٤) المَقْصَدُ الأَسْنَى للغَزَالِيِّ ص ٧٩ وتُحْفَةُ الأَخَوَدِيِّ السَّابِق. وانظر: شَرَحَ أسماء الله الحُسْنَى للِرَّازِي ص ٢٢١.

(٥) المَقْصَدُ الأَسْنَى للغَزَالِيِّ ص ٨٥-٨٩ وتُحْفَةُ الأَخَوَدِيِّ ج ٤ ص ٢٦١.

في الأزل، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (من عرف سرَّ الله في القَدَر هانت عليه المصائب)<sup>(١)</sup>.

**اللَّطِيف:** هو الذي يعلم دَقَائِقِ المصالح وغوامضها، ويوصلها إلى مستحقِّها بطريق الرفق دون العنف.

فإذا اجتمعت الدقة في العلم، مع الرفق في الفعل، تَمَّ معنى اللطف، ولا يتصور كَمَالُ ذَلِكَ في العلم والفعل إِلَّا الله تعالى.

وثمره هَذَا الاسم في الإنسان هي الرفق بعباد الله تعالى والتلطف بهم في الدعوة إلى الله والهداية إلى سَعَادَةِ الآخِرَةِ، من غير ازدراء وعنف، ومن غير خصام وتعصب.

وَأَحْسَنُ وجوه اللطف التحليّ بالشَّمَائِلِ والسَّيَرَةِ المرضية والعمل الصالح، فإنه أوقع في الجذب من الألفاظ الْمُزَيَّنَةِ<sup>(٢)</sup>.

**الحَلِيم:** هو الذي يشاهد معصية العصاة، ويرى مخالفة الأمر، ثم لا يستفزّه غضب، ولا يسرع في الانتقام، مع غَايَةِ الاقتدار.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهِمَا مِنْ ذَابِكَةٍ﴾ - فاطر ٤٥.

وثمره هَذَا الاسم في الإنسان مَعْلُومَةٌ، وهي أن الحلم من مَحَاسِنِ خصال العِبَاد<sup>(٣)</sup>.

(١) شَرَحَ أسماء الله الحُسنى للِرَّازِي ص ٢٣٧.

(٢) المَقْصِدُ الأَسْنَى للغَزَالِيِّ ص ٩٢. وانظر: شَرَحَ أسماء الله الحُسنى للِرَّازِي ص ٢٤٠ وأشار إلى الغَزَالِيِّ، وَتُحْفَةُ الأَخُوذِيِّ ج ٤ ص ٢٦١.

يقال: لَطَفَ بِهِ وله يَلُطِفُ (كنصر) لُطْفًا: رَفَقَ بِهِ. وَلَطَفَ يَلُطِفُ (ككرم): صَغُرَ وَدَقَّ. / الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مادة (لطف) وَتُحْفَةُ الأَخُوذِيِّ السَّابِقِ.

(٣) المَقْصِدُ الأَسْنَى للغَزَالِيِّ ص ٩٤. وانظر: شَرَحَ أسماء الله الحُسنى للِرَّازِي ص ٢٤٢ - ٢٤٤ وَتُحْفَةُ الأَخُوذِيِّ السَّابِقِ، وَالنُّورُ للأَصْمِ ص ٣١٤.

المُقَيَّت: هو خَالِقُ الْأَقْوَاتِ وَمَوْصِلُهَا إِلَى الْأَبْدَانِ وَهِيَ الْأَطْعَمَةُ، وَإِلَى الْقُلُوبِ وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ.

أو هو المستولي على الشيء، القادر عليه. والاستيلاء يَتِمُّ بالقدرة والعلم. قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا﴾ - النساء ٨٥، أي: مطلعاً قَادِراً. فمعناه يعود إلى اجتماع القدرة والعلم معاً<sup>(١)</sup>.

أو هو الحَفِظُ<sup>(٢)</sup>.

الحَسِيب: هو الكافي. الذي كفا الإنسان حين خلق طعامه وشرابه وما حوله من أجل أن يَعِيشَ<sup>(٣)</sup>.

وثمرته في الإنسان أن يجتهد في أن يصير سبباً في الظَّاهِرِ لِكِفَايَةِ حَاجَاتِ الْمُحْتَاجِينَ.

أو هو المحاسب.

وثمرته في الإنسان أن يحاسب نفسه قال ﷺ: (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا).

أو هو الشَّرِيف الذي له خصال الشَّرَف.

وثمرته في الإنسان أن يعلم أن شَرَفَهُ هو في مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ<sup>(٤)</sup>.

(١) الْمُقَصَّدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ١٠٢. وانظر: شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ج ٤ ص ٢٦١ وَالنُّورُ لِلْأَصْمِ ص ٣٣٩.

(٢) شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ، وَالنُّورُ لِلْأَصْمِ، السَّابِقَانِ، وَكِلَاهُمَا عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى، وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ السَّابِقِ.

(٣) الْمُقَصَّدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ١٠٢ وَشَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ ص ٢٦٠ وَتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ السَّابِقِ.

(٤) شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى لِلرَّازِيِّ السَّابِقِ. وَتَقَدَّمَ تَخْرِيجُ (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ...) فِي: (أَهْمِيَّةُ الْعَقِيدَةِ).

الْوَدُودُ: هو الذي يحب الخير لجميع الخلق، فيحسن إليهم.

وهذا التفسير قريب من معنى الرَّحِيم، لكن الفرق بينهما هو أن: الرحمة تستدعي مرحوماً ضعيفاً، والود لا يستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود<sup>(١)</sup>.

وثمره هذا الاسم في الإنسان أن يكون كثير التودد إلى الناس بالطرق المشروعة. ومن ذلك لما كسرت رباعية النبي ﷺ في غزوة أحد قال: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)<sup>(٢)</sup>.

والودود من الناس من يريد للآخرين ما يريده لنفسه، وأعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه. كما قال أحدهم: (أريد أن أكون جسراً على النار يعبر علي الخلق ولا يتأذون بها)<sup>(٣)</sup>.

الصَّمَد: هو المقصود إليه في جميع الحوائج<sup>(٤)</sup>.

العَفُوّ: هو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي.

وهو قريب من العَفُور، ولكنّه أبلغ منه، فإن الغفران يُنبئ عن الستر، والعَفُوّ يُنبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر.

وثمره هذا الاسم في الإنسان هي أن يعفو عمن ظلمه، بل يحسن إليه<sup>(٥)</sup>.

(١) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ١٠٩ وشرح أسماء الله الحُسنى للِرَّازِيِّ ص ٢٧٤.

(٢) شرح أسماء الله الحُسنى للِرَّازِيِّ السَّابِق.

(٣) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ السَّابِق.

(٤) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ١١٩. وانظر: شرح أسماء الله الحُسنى للِرَّازِيِّ ص ٣٠٤ وتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ ج ٤ ص ٢٦٢ والنُّورُ لِلْأَصْم ص ٣٨٦.

(٥) المَقْصَدُ الْأَسْنَى لِلْغَزَالِيِّ ص ١٢٤. وانظر: شرح أسماء الله الحُسنى للِرَّازِيِّ ص ٣٢٦ وتُحْفَةُ الْأَخْوَذِيِّ السَّابِق. وورد تفسير هذه الأسماء أيضاً في: الإرشاد للجويني ص ١٤٣-١٥٥ وأبكار الأفكار لِلْأَمْدِيِّ ج ٢ ص ٥٠٣ وما بعدها.

## المبحث الثالث

### الصفات الإلهية وما يترتب عليها

ذكر المتكلمون هنا: ما يجب في حقه تعالى، وما يستحيل، وما يجوز.

#### أولاً: ما يجب في حقه تعالى

قسم بعض علماء الكلام الصفات الإلهية الواجبة في حقه تعالى إلى ما يأتي:

١ - الصفة النفسية: وهي الوجود.

٢ - الصفات السلبيّة: وهي خمس: القدم، والبقاء، ومخالفة الحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية.

٣ - صفات المعاني: وهي سبع: القدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والكلام، والحياة. واختلفوا في صفة التكوين، على ما سيأتي بيانه في صفات المعاني<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر هذا التقسيم في: شرح الخريدة للذّدير وحاشية الصّاوي عليه ص ٥٤ وما بعدها، وفي شرح الجوهرية للباجوري ص ١٠٤ وما بعدها، وفي رسالة في التّوحيد والفرق المعاصرة للشيخ كمال الدين الطّائبي ص ٢٤ وما بعدها.

وهناك قسم رابع هو: «الصفات المعنوية» وهي: كونه تعالى: قديراً، مُريداً، سميعاً، بصيراً، عالماً، متكلماً، حياً. وفيها خلاف بين العلماء لا نريد الدخول فيه سوى أن نقول إنها نتائج لصفات المعاني.

قال الدسوقي في حاشيته على شرح أمّ البراهين ص ١١٩: (أي: فالكونية المذكورة صفة ثابتة في نفسها قائمة بالذات لازمة للقدرة. فعندنا صفتان إحدهما وجودية وهي القدرة، والثانية

## ١- الصفة النفسية: الوجود

### وجود الله عز وجل

هي صفة ثبوتية، يدل الوصف بها على نفس الذات، دون معنى زائد عليها.

#### شرح التعريف:

صفة: جنس يدخل فيه سائر الصفات.

ثبوتية: نسبة إلى الثبوت، لكونها ثابتة في الذهن. فتخرج الصفات السلبية كالعدم والبقاء....

بها: أي المشتق منها، لا بها بنفسها، لعدم صحة ذلك، فنقول: الله موجود، ولا يصح أن نقول: الله وجود.

على نفس الذات: أي أنها لا تدل على شيء زائد على الذات، فالذات نفسها لا تتعقل إلا بوجودها، ولذلك سميت نفسية. فتخرج صفات المعاني والمعنوية.

ثبوتية لا يمكن رؤيتها وهي الكون قادراً، وهكذا يقال في الباقي. واعلم أن هذه الصفات المعنوية السبع واجبة له تعالى إجماعاً على مذهب أهل السنة والمعتزلة وعلى القول بثبوت الحال وعلى القول بنفيها. والخلاف إنما هو في معنى قيامها بالذات العلية. فمن قال بنفي الحال - وأنه لا واسطة بين الوجود والعدم وهو مذهب الأشعري - قال: معنى كونه عالماً مثلاً هو قيام العلم به، وليس هناك صفة أخرى زائدة على قيام العلم بالذات، وهذه الصفة ليست موجودة بالاستقلال ولا معدومة عدماً صرفاً بل هي واسطة بين الوجود والمعدوم، أي أنها لم تبلغ درجة الوجود ولم تنحط لدرجة العدم).

دون معنى زائد عليها: تَفْسِيرُ الْقَوْلِ (على نفس الذات) <sup>(١)</sup>.

وجود الله تعالى وجود كامل ذاتي، أي: أنه موجود لذاته، لا لعلّة مؤثرة فيه، لأن

من خصائص الذاتي: أنه لا يقبل العدم.

(١) شَرَحَ الْحَرِيدَةُ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةِ الصَّاوِي عَلَيْهِ ص ٥٤، وعزا الصَّاوِي هَذَا التَّعْرِيفَ إِلَى التَّفَتَّازَانِي، وَاَنْظُرْ هَذَا التَّعْرِيفَ فِي: شَرَحَ الْجَوْهَرَةَ لِلْبَاجُورِيِّ ج ١ ص ١٠٧.

قال الشيخ السَّنُوسِي فِي شَرْحِهِ عَلَى أُمِّ الْبَرَاهِينِ ص ٧٤-٧٥: (فِي عَدِّ الْوُجُودِ صِفَةً عَلَى مَذْهَبِ الشَّيْخِ الْأَشْعَرِيِّ تَسَامُحٌ، لِأَنَّهُ عِنْدَهُ عَيْنُ الذَّاتِ، وَلَيْسَ بِزَائِدٍ عَلَيْهَا، وَالذَّاتُ لَيْسَتْ بِصِفَةٍ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْوُجُودُ تَوْصِفٌ بِهِ الذَّاتُ فِي اللَّفْظِ، فَيُقَالُ ذَاتُ مَوْلَانَا جَلٍّ وَعَزٌّ مَوْجُودَةٌ صَحَّ أَنْ يُعَدَّ صِفَةً عَلَى الْجُمْلَةِ).

وَأَمَّا عَلَى مَذْهَبِ مَنْ جَعَلَ الْوُجُودَ زَائِداً عَلَى الذَّاتِ كَالْإِمَامِ الرَّازِيِّ فَعَدَّهُ مِنَ الصِّفَاتِ صَحِيحٌ لَا تَسَامُحَ فِيهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ زَائِداً عَلَى الذَّاتِ فِي الْحَادِثِ دُونَ الْقَدِيمِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْفَلَّاسِفَةِ). وَلَخَّصَ الدُّسُوقِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى شَرَحِ أُمِّ الْبَرَاهِينِ ص ٧٥-٧٦ الْأَقْوَالَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا الشَّارِحُ السَّنُوسِيُّ فِي الْوُجُودِ بِأَنَّهَا هِيَ:

- ١- أَنْ الْوُجُودَ عَيْنُ الْمَوْجُودِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَادِثِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيِّ.
- ٢- أَنْ الْوُجُودَ زَائِدٌ عَلَى الذَّاتِ قَدِيمَةٌ كَانَتْ أَوْ حَادِثَةً، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَمْرٌ اعْتِبَارِي، وَهُوَ مَذْهَبُ الرَّازِيِّ.

٣- التَّفْصِيلُ بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْحَادِثِ، فَهُوَ عَيْنُ الْمَوْجُودِ فِي الْقَدِيمِ، وَزَائِدٌ عَلَيْهِ فِي الْحَادِثِ، وَهُوَ مَذْهَبُ الْفَلَّاسِفَةِ.

وَأَضَافَ الدُّسُوقِيُّ قَوْلَيْنِ آخَرَيْنِ هُمَا:

٤- الْوُجُودُ حَالٌ ثَابِتٌ فِي نَفْسِهَا، وَهُوَ قَوْلُ الْقَاضِي وَإِمَامِ الْحَرَمِيِّينَ.

٥- الْوُجُودُ صِفَةٌ مَعْنَى، وَهُوَ قَوْلُ الْكَرَّامِيِّ.



أما وجود غيره (كل ما سوى الله تعالى) فهو وجود ناقص تَبَعِي، أي: أنه مستمد من غيره، ومتوقف على من أوجده، لأنَّ من خصائص التَّبَعِي: أنه لا بد أن يقوم بين عَدَمين سابق ولاحق<sup>(١)</sup>.

ومَسْأَلَة وجود الله تعالى سبق الكلام عنها مُفَصَّلًا في المَبَحَث الأول (وجود الله جل جلاله).

وبعضهم لا يشاهد لغيره تعالى وجوداً، وهذا يسمى عندهم وحدة الوجود. وقد غرق فيه من غرق حتى وقع من بعض الأولياء ما يوهم الاتحاد والحُلُول، كقول الحَلَّاج: (أنا الله)، وكقول بعضهم: (ما في الجُبَّة إلا الله). وهذا اللفظ لا يجوز شرعاً لإيهامه، لكن الصُّوفِيَّة تارة تغلبهم الأحوال فيؤوِّل ما يقع منهم بما يناسبه. ومن أفتى بقتل الحَلَّاج حين قال المَقَالَة السَّابِقَة الجُنَيْدُ البَغْدَادِيّ<sup>(٢)</sup>.

## ٢- الصفات السَلْبِيَّة

وهي خمس: القِدَم، والبَقَاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية<sup>(٣)</sup>.

وتُسَمَّى هَذِهِ الصِّفَات بِمُهِمَّاتِ الْأُمَمَّات، لأنه يلزم من نفي ضِدِّ هَذِهِ الْخَمْسَةِ تنزيهه تعالى عن جميع النقائص<sup>(٤)</sup>.

(١) كبرى اليقينيّات الكونية ص ١١٣ وشرح الجوهرة للباجوري ص ١٠٧.

(٢) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٠٥. وانظر: خير القلائد ص ٣٧-٣٩ وكبرى اليقينيّات الكونية السابق.

(٣) حصرها بهذا العدد: اللَّقَائِيّ في الجوهرة، والباجوريّ في شرحها ص ١٠٥ والدردير في الخريدة وشرحها وحاشية الصّاويّ عليه ص ٥٥ والطائيّ في رسالة في التّوحيد والفرق المعاصرة ص ٢٥.

(٤) شرح الجوهرة للصّاويّ ص ١٤٥.

وليس المُرَاد بكونها سَلْبِيَّةً، أنها مسلووبة عن الله ومنفية عنه، وإلا لزم أن يثبت له الحدوث وطروءُ العدم والمماثلة للحوادث، بل المُرَاد بكونها سَلْبِيَّةً: أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا سَلَبَتْ (نَفَتْ) أَمْرًا لَا يَلِيْقُ بِهِ جَلٌّ وَعَزٌّ<sup>(١)</sup>.

فَالْقِدَمَ سَلَبَتْ (نَفَيْتِ) لِأَوَلِيَّةِ الوجود، والبقاء سَلَبَتْ لِآخِرِيَةِ الوجود... وهَكَذَا. والحق أَنَّ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةَ لَا تَنْحَصِرُ فِي هَذِهِ الْخَمْسَةِ، إِذْ مِنْ جَمَلَتِهَا: أَنَّهُ لَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا زَوْجَةَ، وَلَا بَسِيطًا، وَلَا مَرْكَبًا، وَلَا فِي مَكَانٍ، وَلَا فِي زَمَانٍ، وَلَا جِهَةً، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَى هَذِهِ الْخَمْسَةِ، لِأَنَّهَا أُمَمَّهَاتُهَا<sup>(٢)</sup>.

وَهَذِهِ الصِّفَاتُ لَمْ يَخْتَلَفْ بِهَا الْعُلَمَاءُ، بَلْ يَتَّفِقُ الْجَمِيعُ عَلَى الْقَوْلِ بِهَا<sup>(٣)</sup>.

## ١- الْقِدَمَ

الْقِدَمَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى بِمَعْنَى الْأَزَلِيَّةِ، الَّتِي هِيَ كَوْنٌ وَجُودُهُ غَيْرَ مُسْتَفْتَحٍ، فَلَيْسَ مَعْنَاهُ تَطَاوُلُ الزَّمَنِ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَصَفَ الْحَادِثَاتِ<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) حَاشِيَةُ الصَّاوِيٍّ عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ٧٠. وَانْظُرْ: شَرْحَ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٥٥.  
 (٢) حَاشِيَةُ الصَّاوِيٍّ عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ٥٥-٥٦ وَشَرْحَ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٠٧.  
 (٣) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٤ ص ٦٩.  
 (٤) الْمُسَامَرَةُ ص ٢٢ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ٧٧.

قَالَ الْبَاجُورِيُّ فِي شَرْحِ الْجَوْهَرَةِ ص ١٠٨: (فِي الْقَدِيمِ وَالْأَزَلِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْقَدِيمَ هُوَ الْمَوْجُودُ الَّذِي لَا ابْتِدَاءَ لَوْجُودِهِ، وَالْأَزَلِيُّ مَا لَا أَوَّلَ لَهُ، عَدَمِيًّا أَوْ وَجُودِيًّا. فَكُلُّ قَدِيمٍ أَزَلِي وَلَا عَكْسَ.

الثَّانِي: أَنَّ الْقَدِيمَ هُوَ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ الَّذِي لَا أَوَّلَ لَوْجُودِهِ، وَالْأَزَلِيُّ مَا لَا أَوَّلَ لَهُ عَدَمِيًّا أَوْ وَجُودِيًّا قَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ بغيرِهِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَفْهَمُ مِنْ كَلَامِ السَّعْدِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ كَلَامًا مِنْهَا مَا لَا أَوَّلَ لَهُ عَدَمِيًّا أَوْ وَجُودِيًّا، قَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ لَا. وَعَلَى هَذَا فَهِيَ

أو بعبارة أخرى: معنى 'الْقَدَم': هو أَنَّ وجود الله غير مسبوق بالعدم، فالله ليس له بِدَايَة<sup>(١)</sup>.

و ضد الْقَدَم: الحدوث.

الدليل العقلي على قَدَمه تعالى:

أَنَّ الله تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، إذ لا وسط بينهما. ولو كان حادثاً لاحتاج إلى مُحَدَّث يُحَدِّثه، ومُحَدِّثُهُ يحتاج إلى مُحَدَّث... وهكذا. فيلزم الدَّور أو التسلسل، وكلُّ منهما محال، فوجب أن يكون قديماً<sup>(٢)</sup>.

الدليل النقلي على قَدَمه تعالى:

قوله تعالى: ﴿الْأَوَّلُ﴾، في الآية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ - الحديد ٣.

تصور صفة الْقَدَم:

من السهل على الإنسان أن يفهم صفة الرحمة والعَدْل والجَلال... في ذات الله

مترادفان.

فعلى الأول: الصفات السلبية لا توصف بِالْقَدَم وتوصف بالأزلية، بخلاف الذات العلية والصفات الثُبُوتِيَّة فإنها توصف بِالْقَدَم والأزلية.

وعلى الثاني: الصفات مطلقاً لا توصف بِالْقَدَم وتوصف بالأزلية، بخلاف الذات العلية فإنها توصف بكل منهما.

وعلى الثالث: كل من الذات والصفات مطلقاً توصف بِالْقَدَم والأزلية).

(١) المُسَايَرَة، وشرحها المُسَامَرَة، وشرحها لِقَاسِم بن قُطْلُوبُغَا ص ٢٢. وفي الإرشاد للجويني ص ٣٢: القديم هو الذي لا أول لوجوده.

(٢) شَرَح المَوَاقِف للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ١٤ والمُسَامَرَة ص ٢٢ وشَرَح الخَرِيدَة للدَّرْدِير ص ٥٦ وشَرَح أمّ البراهين للسَّنُوسِي وحَاشِيَة الدُّسُوقِي عليه ص ١٥٤ وشَرَح الجَوْهَرَة للبَاجُورِي ص ١٠٧ والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٣٠ وأصول الدين للغزنوي ص ٦٥.

تعالى، لأنه يفهم آثارها، ويستطيع أن يدرك معانيها في الحياة بحواسه، إلا أنه يستحيل عليه أن يدرك صفة القِدَم أو صفة البَقَاء، لأنه لا يحتفظ بصورة لها في الحياة، لأنها خاصة بذات الله تعالى. لَكِنْ لا تعني الاستحالة الخيالية إنكار هاتين الصفتين، لأن العقل يجزم بثبوتهما، كما بينا ذلك في الدليل العقلي.

فَرُبَّ أمر يدرك العقل إمكانه أو وجوده، وهو في الوقت نفسه يعجز عن تصويره وإدراك كُنْهه، وقديماً قال الفلاسفة وعامة العقلاء: (عدم الوجدان للشيء لا يستلزم عدم وجوده في الواقع)<sup>(١)</sup>.

## ٢- البَقَاء

ومعناه: أَنَّ الله تعالى أَبَدِيٌّ، ليس لوجوده آخر، فيستحيل أن يلحقه عَدَمٌ<sup>(٢)</sup>.  
و ضد البَقَاء: الفناء.

الدليل العقلي على بقائه تعالى:

١- لو لم يكن الله تعالى بَاقِيًّا، لكان فانيًّا، ولو كان فانيًّا لكان حادثًا، ولو كان حادثًا لاحتاج إلى مُحْدَث، ومُحْدَثُهُ يحتاج إلى مُحْدَث... وهكذا، فيلزم الدَّوْر أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبت بقاؤه تعالى.

٢- لو جاز عليه تعالى العَدَم لاستحال عليه القِدَم، وهو باطل بثبوت قِدَمه تعالى<sup>(٣)</sup>. قال اللَّقَائِي في الجَوْهَرَة:

وكلُّ ما جاز عليه العَدَم عليه فَطْعاً يَسْتَحِيلُ القِدَمُ<sup>(٤)</sup>

(١) كبرى اليقينيّات الكونية ص ١١٨-١١٩.

(٢) المُسَايَرَة ص ٢٤. وفي شَرْح الجَوْهَرَة للبَّاجُورِيّ ص ٨٨: العَدَم هو الفَنَاء.

(٣) شَرْح الخَرِيْدَة للدَّرْدِير وَحَاشِيَة الصَّاوِيّ عليه ص ٥٦-٥٧ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَّاجُورِيّ ص ١٠٧. وانظر: شَرْح أمِّ البَرَاهِين للسَّنُوسِيّ وَحَاشِيَة الدُّسُوقِيّ عليه ص ١٥٧.

(٤) شَرْح الجَوْهَرَة للبَّاجُورِيّ ص ٨٨ و ١٠٨.

٣- لو جاز عدمه لاحتاج انعدامه بعد وجوده إلى عِلَّةٍ، لاستحالة الترجيح بلا مرجح.

٤- وإذا جاز انعدامه، فيما أن ينعدم:

أ- بنفسه (بأن يكون انعدامه أثراً لقدرته) وهو باطل، لأنه ثبت أنه مُوجِد الموجودات، فلا يقبل الانتفاء بحال، فيلزم بقاءه كما يلزم قدمه.

ب- بمُعْدِمٍ يُضَادُّه، وهو باطل أيضاً، لأن الضد إما:

- قديم: فيلزم انتفاء الباري سُبحَانَهُ معه من الابتداء أصلاً، لأن التضاد يمنع الاجتماع بين الشيئين اللذين اتصفا به، وقد ثبت وجوده تعالى.

- أو حادث: فيلزم اندفاع وجوده بمضاده القديم، لأن القديم أقوى من الحادث<sup>(١)</sup>.

الدليل النقلي على بقاءه تعالى:

- قوله تعالى: ﴿وَالْآخِرُ﴾ في الآية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ - الحديد ٣.

- وقوله سُبحَانَهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ - القصص ٨٨.

- وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ﴾.

### ٣- المخالفة للحوادث

معناها: أن الله تعالى ليس ممثلاً لشيء من الحوادث الموجودة والمعدومة مطلقاً. فهي عبارة عن:

(١) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص ٢٤-٢٥. وانظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٣١ وشرح المواقف للسيد الشريف ج ٨ ص ١٤.

سَلْبُ الْجَرْمِيَّةِ، وَالْعَرَضِيَّةِ، وَالْكُلِّيَّةِ، وَالْجَزْئِيَّةِ<sup>(١)</sup>، ولوازمها عنه تعالى.  
 فلازم الجَرْمِيَّةِ هو التحيز، ولازم العَرَضِيَّةِ هو القيام بالغير، ولازم الكُلِّيَّةِ هو  
 الكبر، ولازم الجزئية هو الصغر<sup>(٢)</sup>.  
 وضدها: المماثلة للحوادث.

### الدليل العقلي على مخالفته تعالى للحوادث:

- ١ - أنه تعالى لو لم يكن مخالفاً للحوادث لكان ماثلاً لها، ولو كان ماثلاً للحوادث،  
 لكان حادثاً مثلها، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى مُحدث، ومُحدثه يحتاج إلى مُحدث...  
 وهكذا فيلزم الدَّور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبتت مخالفته للحوادث.
- ٢ - كل من وجب له القَدَم، استحال عليه العَدَم، ولا شيء من الحوادث يستحيل  
 عليه العَدَم، فلا شيء منها بقديم فثبتت المخالفة<sup>(٣)</sup>.

### الدليل النقلي على مخالفته تعالى للحوادث:

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ - الشُّورَى ١١<sup>(٤)</sup>.

- (١) أي: ليس الله تعالى جِرمًا ولا عَرَضًا ولا كَلًّا ولا جزءًا.
- (٢) شَرَحَ الْجَوْهَرَةُ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١١٠ وَشَرَحَ الْخَرِيدَةُ لِلدَّرْدِيرِ ص ٥٨.
- (٣) شَرَحَ الْجَوْهَرَةُ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١١١. وانظر: شَرَحَ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةِ  
 الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ١٥٨.
- (٤) في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ - الشُّورَى ١١ سؤال مشهور، وهو أن الجمع بين  
 (الكاف ومثل) يوهم محالاً في حقه تعالى، لأن الكاف بمعنى مثل، والنفي إنما تسلط عليها. وهو  
 باطل من وجهين:

أحدهما: أن المقصود من الآية نفي مثل ذاته، لا نفي مثل مثله.

والآخر: أن نفي مثل المثل يقتضي إثبات المثل، وهو محال.

ونفي المماثلة يفيد الأمور الآتية<sup>(١)</sup>:

١ - أنه تعالى ليس بعَرَضٍ، لما يأتي:

أ - لأن العَرَضَ يحتاج إلى جسم يقوم به، فيستحيل وجود العَرَضِ قبل الجسم، وقد ثبت أن الله قبل كل شيء، وموجدُه<sup>(٢)</sup>.

وأجيب عنه بستة أجوبة:

أحدها: أن الكاف زائدة لغير تأكيد.

الثاني: أنها مؤكدة لنفي الشبيه، أي انتفى المثل انتفاءً مؤكداً، لا أنه من نفي المؤكد الذي هو مثل المثل حتى يتوهم بقاء المثل.

الثالث: أن مثل بمعنى المثل بفتحيتين، أي الصفة.

الرابع: أنه بمعنى نفس، نحو: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِ﴾ - البقرة ١٣٧.

الخامس: أنه من باب الكناية، وفيها طريقان، ثانيهما هو السادس.

وتَقْرِيرٌ أولهما: أن نفي مثل المثل أريد به نفي المثل، لأن مثل المثل لازم للمثل، ونفي اللازم يدل على نفي الملزوم.

الثاني: أنها من باب مثلك لا يبخل، بمعنى أنت لا تبخل. فالقصد نفي مثله تعالى بأبلغ وجه، إذ هي أبلغ من الصريح، لتضمنها إثبات الشيء بدليله.

حاشية الصَّاوِي على الدَّرْدِير ص ٦٠ وشرح الجَوْهَرَة للصَّاوِي ص ١٦٤ عن تَقْرِيرِ النَّفْرَاوِيِّ على المصنف. وانظر: شرح الجَوْهَرَة للْبَاجُورِيِّ ص ١٦٢-١٦٤.

(١) انظر هذه الأمور ونحوها في: المُسَايَرَة، وشرحه المُسَامَرَة، وشرحه لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٢٥-٣٧ وشرح الخَرِيدَة للدَّرْدِير وحاشية الصَّاوِي عليه ص ٥٨ و٦٧ وأبكار الأفكار للآمِدِيِّ ج ٢ ص ١٩ وما بعدها، والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ١٩ وما بعدها، وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٤ ص ٤٣ وما بعدها، وأصول الدين للغزنوي ص ٦٧ وعقائد الإمامية ص ٣٦.

(٢) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص ٢٩.

ب- لأن احتياجه إلى شيء يقوم به علامة الحدوث. وتقدم هذا في أدلة حدوث العرض.

٢- وليس بجوهر، لما يأتي:

أ- لأن من شأن الجوهر الاختصاص بحيزه، وكل مُتَحَيِّزٌ مُحتَاجٌ إلى حيزه، والإله ليس بمُحتَاجٍ<sup>(١)</sup>.

ب- لأن الجوهر ملازم للعرض، والعرض حادث، فيلزم حدوثه. وتقدم هذا في أدلة حدوث الجوهر.

٣- وليس بجسم<sup>(٢)</sup>، لأن الجسم مؤلف من جواهر وأعراض، وقد أثبتنا حدوثهما فيما تقدم.

وذلك خلافاً للمُجَسِّمَةِ الذين قالوا بأنه تعالى جسم حقيقة، لكنهم اختلفوا: فقال بعضهم: هو مركب من لحم ودم، وبعضهم: إنه نور يتلأأ كالسبيكة البيضاء، وبعضهم:

- 
- (١) المُسَايَرَةِ، وشرحه المُسَامَرَةُ، وشرحه لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٢٥.
- (٢) المُسَايَرَةِ وشرحه المُسَامَرَةُ ص ٢٧ والمَوَاقِف وشرحه لِلسَّيِّدِ الشَّرِيف ج ٨ ص ٢٥.
- وانظر الأدلة على أنه تعالى ليس بجسم في: المَطَالِبِ العَالِيَةِ لِلرَّازِي ج ٢ ص ٢٥.
- كل موجود إما أن يكون مُتَحَيِّزاً أو غير مُتَحَيِّزٍ.

فإن كان متحيزاً فهو قسمان: أولهما: الجوهر الفرد، أي: الجزء الذي لا يتجزأ، لا ائتلاف فيه. وثانيهما: الجسم، وهو الذي يتألف من جواهر فردة.

وإن كان غير مُتَحَيِّزٍ، فهو قسمان: أولهما: العرض، وهو الذي يستدعي وجوده جسماً. وثانيهما: الله تعالى، ووجوده تعالى لا يستدعي جسماً يقوم به. / سَرَحُ المُسَايَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٣٠.

فالجسم أخص من الجوهر، لأن الجسم خاص بالمركب، والجوهر صادق به وبالجوهر الفرد. / حَاشِيَةِ الصَّائِي عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ٥٨. وانظر ص ٢٧٩-٢٨٠ من هذا الكتاب.



على صورة إنسان شاب أمرد، وبعضهم: على صورة شيخ أَشْمَطُ الرأس واللحية... تعالى الله عما يقولون<sup>(١)</sup>.

٤- وليست له صورة أو لون أو رائحة أو شكل أو عوارض النفس من لذة وألم وفرح، لأن ذلك من خواص الأجسام.

خلافًا للمُشَبَّهَة الذين شبهوا الله بال مخلوقات.

أما ما ورد في الكتاب والسنة من ذكر الرضا والغضب والفرح ونحوها، فيجب التنزيه عن ظاهره على النحو الذي سيأتي في النصوص الموهمة للمشابهة<sup>(٢)</sup>.

٥- ولا يوصف تعالى بالصَّغَر أو بالكِبَر.

والكِبَر يراد به الحسي، أما الكِبَر المعنوي بمعنى العِظَم فيوصف به، كقوله تعالى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ - غافر ١٢<sup>(٣)</sup>.

٦- وليس سُبْحَانُهُ حالًا بمكان، لأن الله تعالى لو كان في مكانٍ لزم قِدَم المكان. وتقدم أن لا قديم سوى الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

وما جاء بالحديث القدسي: (ما وسعني أرضي ولا سمائي، وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن)، فيجب تأويله فيكون المراد من (وسعني) هو وسع هييتي ورحمتي<sup>(٥)</sup>.

(١) المواقف وشرحه للسيد الشريف السابق.

أَشْمَطُ: أبيض. / القَامُوسُ الْمُحِيطُ، مادة: الشمط.

(٢) المُسَايَرَة وشرحه المُسَامَرَة ص ٢٩.

(٣) حَاشِيَة الصَّاوِيَّ على الدَّرْدِير ص ٥٨.

(٤) المواقف ج ٨ ص ٢٠. وانظر: صفة القيام بالنفس.

(٥) حَاشِيَة الصَّاوِيَّ على الدَّرْدِير ص ٥٨.

٧- ولا مُخْتَصَّاً بجهةٍ، لما يأتي:

أ- لأن الله تعالى لو كان في جهةٍ لزم قَدَمُ الجهة. وتقدم أن لا قديم سوى الله تعالى<sup>(١)</sup>. فلا يقال: إنه فوق الجرم ولا تحته، ولا يمينه ولا شماله، ولا خلفه ولا أمامه<sup>(٢)</sup>.

ب- لأن الجهات الست حادثة بإحداث الإنسان ونحوه مما يمشي على رِجْلَيْنِ كالطائر، فإنَّ معنى الفُوق: ما يحاذي رأس الإنسان، أو ظَهَرَ ما يمشي على أربع من جهة العلُو، وهي جهة السماء. ومعنى السُفْل: ما يحاذي رِجْلَه من جهة الأرض.

ثم إنَّ الجهات اعتبارية غير حقيقية، فإنَّ النملة إذا مشت على سَقَف، كان الفوق بالنسبة لها جهة الأرض، لأنها تحاذي ظهرها. ولو كان كل حادث مستديراً كالكرة، لم توجد وَاحِدَةٌ من هَذِهِ الجهات.

ج- إن الله تعالى موجود في الأزل، ولم يكن شيء من المخلوقات، لأن كل ما سواه حادث، كما مرَّ دليله<sup>(٣)</sup>.

د- إن الاختصاص بجهةٍ هو اختصاص بَحِيْز، والْحَيِزُّ مُخْتَصَّ بالجوهر والجسم<sup>(٤)</sup>، وقد مر تنزيهه عنهما.

فإن قيل:

لِمَ ترفع الأيدي إلى السماء وهي جهة العلُو؟ أجيب: بأن السماء قِبلة الدعاء، كما أَنَّ الكَعْبَةَ قِبلة الصلاة<sup>(٥)</sup>.

(١) شَرَحَ الْمَوَاقِفَ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ١٩-٢٠.

(٢) شَرَحَ الْخَرِيدَةَ لِلدَّرْدِيرِ ص ٦٧.

(٣) الْمُسَايَرَةُ وَشَرْحُهَا الْمُسَامَرَةُ ص ٣٠-٣١. وانظر امتناع كونه مُخْتَصَّاً بمكانٍ وجهةٍ في: الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ لِلرَّازِي ج ٢ ص ٣٧ وَالْمُحَصِّلَ لِلرَّازِي ص ١٥٧ وَكَشَفَ الْمُرَادِ ص ٣١٩.

(٤) الْمُسَايَرَةُ وَشَرْحُهَا الْمُسَامَرَةُ ص ٣١.

(٥) الْمُسَايَرَةُ ص ٣١. وفي أَصُولِ الدِّينِ لِلْعَزَنَوِيِّ ص ٧١: (إنما ترفع - الأيدي - لأنها قِبلة

فهو تعالى غير مُخْتَصَّ بجهةٍ، خلافاً:

للكَرَامِيَّة: الذين أثبتوا لله جهةً فوق، من غير استقرار على العرش.  
والمُشَبَّهَة والمُجَسِّمَة: الذين قالوا باستقراره على العرش<sup>(١)</sup>.

وهو باطل بإجماع العقلاء.

٨- وهو تعالى ليس في زمانٍ، أي: ليس وجوده وجوداً زمانياً. ومعنى كون الوجود زمانياً هو أنه لا يمكن حصوله إلا في زمان<sup>(٢)</sup>.

الدعاء، كالوجه إلى الكعبة في الصلاة، ووضع الوجه على الأرض عند السجود، وإن لم يكن الله عز وجل في الكعبة ولا تحت الأرض).  
(١) المُسَايَرَة، وشرحه المُسَامَرَة، وشرحه لقاسم بن قُطُوبُغَا ص ٣٢-٣٣.

- يُثَبَّت كثير من الحَنَابِلَة جهة العُلُوِّ لله تعالى، واستواءه على العرش، مع قولهم بنفي التجسيم، وذكروا أن النصوص الواردة في عُلُوِّ الله على خلقه، وكونه فوق عباده، تقرب من عشرين نوعاً منها:

أ- التصريح بالفوقية مقررناً بأداة (من) المُعَيَّنَة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ - النحل ٥٠.

ب- التصريح بالعروج إليه، نحو: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ - المعارج ٤.

ج- التصريح بالصعود إليه، نحو: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ - فاطر ١٠.

د- التصريح بتنزيل الكتاب منه، نحو: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ - النحل ١٠٢.

هـ- التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا... إلخ.

انظر: شَرْح العَقِيدَة الطَّحَاوِيَّة ص ٣٧٥ وما بعدها، وكَوَامِع الأَنْوَار البَيْهِيَّة ج ١ ص ١٩٠ وما بعدها.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٢٧.

- ٩- ولا يوصف بأنه سُبْحَانَهُ متحركٌ أو ساكنٌ<sup>(١)</sup>.
- ١٠- وهو تعالى مُنَزَّهٌ عن الاتصال في الذات: بأن يكون مركباً، تتصل أجزاؤها ببعضها. أو بالغير: فهو ليس مُتَّصِلاً بالعالم، بحيث يكون حالاً، أو سارياً فيه<sup>(٢)</sup>.
- أما ما ورد مما يوهم الاتصال كما في الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: (وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ، فإذا أُحِبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يسمع به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها. وإن سألني لأُعْطِيَنَّهُ، ولئن استعاذني لأُعِيْذَنَّهُ)، فهو مؤوَّلٌ، فيكون المراد منه هو كناية عن استيلاء محبة الله على الشخص، حتى أغنته عن شهود سواه<sup>(٣)</sup>.
- ١١- وهو تعالى مُنَزَّهٌ عن الانفصال عن العالم، لأن هذه الأمور من صفات الحوادث، والله ليس بحدث<sup>(٤)</sup>.
- ١٢- وهو تعالى مُنَزَّهٌ عن الاتحاد بأحدٍ، وعن الحُلُولِ فيه. خلافاً: لِلنَّصَارَى القائلين باتحاد ذاته بجسد الْمَسِيحِ، وَلِغَلَاةِ الشَّيْعَةِ القائلين بحُلُولِهِ بَعَلِيٍّ وأولاده، وَلِغَلَاةِ الصُّوْفِيَّةِ القائلين بحُلُولِهِ أو اتحاده بالسالكين المتهين في سُلُوكِهِمْ إِلَى النِّهَايَةِ<sup>(٥)</sup>.
- والقول بنفي المماثلة المذكور هو ما ذهب إليه جميع فِرَقِ الإسلام، من مُعْتَزِلَةٍ

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٥٨.

(٢) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةُ الصَّاوِيٍّ عَلَيْهِ ص ٥٨ و ٦٧.

(٣) حَاشِيَةُ الصَّاوِيٍّ عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ٥٨.

وَحَدِيث: وما يزال عبدي... إلخ، في: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٣٨ باب التَّوَاضُّع، رقم ٦٥٠٢ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةُ الصَّاوِيٍّ عَلَيْهِ ص ٦٧.

(٥) الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٨-٣١. وانظر: شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ

وَمَا تُرِيدِيَّةً وَأَشَاعِرَةً وَإِبَاضِيَّةً وَشِيعَةً، عدا من ذكرناهم من المُشَبَّهَةِ وَالْمُجَسِّمَةِ وَأَمْثَالِهِمْ.

### النصوص المؤهِّمة للمُشَابَهَةِ:

وردت في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة نصوص، تُضيف إلى الباري عزَّ وجلَّ صفاتٍ خبرية توهم التشبيه، كالاستواء والمجيء والنزول...، التي ستأتي بعد قليل.

اختلف المسلمون فيها على أقوال ثلاثة<sup>(١)</sup>، مع اتفاقهم على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، وهي: التوقف، والتوغل في التشبيه، والتأويل.

### القول الأول: التوقف.

أي: التوقف الكامل من غير جنوح إلى التأويل أو سقوط في التشبيه، وهو مذهب السلف<sup>(٢)</sup>، فهو لاء آمنوا بهذه الصفات الخبرية، وأجروها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل، مع تغليبهم أدلة التنزيه، لكثرتها ووضوح دلالتها، وعلمهم باستحالة التشبيه. لذا قال كثير منهم: (اقرووها كما جاءت). أي: آمنوا بأنها من عند الله، ولا تتعرضوا لتأويلها ولا لتفسيرها<sup>(٣)</sup>.

لأن التأويل أمر مظنون بالاتفاق، والقول في صفات الباري عزَّ وجلَّ بالظن غير

(١) قال ابن الجوزي في دفع شبه التشبيه ص ٧٩: (واعلم أن الناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب: أحدها: إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل إلا أن تقع ضرورة، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ - الفجر ٢٢، أي: جاء أمره. وهذا مذهب السلف. والمرتبة الثانية: التأويل، وهو مقام خطر. والمرتبة الثالثة: القول فيها بمقتضى الحسن...).

(٢) دراسات في الفرق ص ٢١١ نقلاً عن ابن الجوزي.

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٤. وانظر: الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٩٢ والغنية للشيخ عبد القادر ج ١ ص ٦٣ ودراسات في الفرق ص ٢٠٥.

جائز، احترازاً من الوقوع في الزَّيغ، لذلك نفوض معانيها إلى الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وفسر الإمام مَالِك بن أَنَس الاستواء في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ - طه ٥ بقوله: (الاستواء مَعْقُول، وكيفيته مجهولة، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب)<sup>(٢)</sup>.

وعدم الاشتغال بالتأويل هو المروي عن كثير من كبار مشايخ المأثريَّة، حيث قالوا: نؤمن بتنزيلها ولا نشغل بتأويلها<sup>(٣)</sup>.

وفي ذَلِكَ يقول ابن رُشد: (إن الصدر الأول إنما صار إلى الفضيلة الكاملة والتقوى، باستعمال هذه الأقاويل، دون تأويلات فيها).

وقد ظل هذا الرأي مستمراً إلى أيام أَحْمَد بن حَنْبَل وَيَحْيَى بن مَعِين وإِسْحَاق بن رَاهَوِيَّة الذين ناصروه، إلا أنه لم يستمر طويلاً، لأنها تتضمن (الإحالة إلى مجهولات لا نفهم مؤداها ولا غاياتها)، بل اعتبرها ابن حَزْم (مدخلاً لطريق ينتهي بالتشبيه)<sup>(٤)</sup>.

### القول الثاني: التوغل في التشبيه.

وأصحاب هذا القول هم المُشَبِّهَة.

فمنهم من شبه في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه...، فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة أي التنزيه المطلق.

ومنهم من شبه في الصفات كإثبات الجهة والاستواء والنزول والصوت والحرف وأمثال ذَلِكَ. فآل قولهم إلى التجسيم، وذلك تمسكاً بظواهر الآيات والأحاديث الموهمة

(١) الملل والنحل للشَّهْرَسْتَانِي ج ١ ص ٩٣ ودراسات في الفرق ص ٢٠٩.

(٢) أصول الدين للبَغْدَادِي ص ١١٣. ولقول الإمام مَالِك أَلْفَاظ متقاربة انظر بعضها في: شَرْح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ج ٣ ص ٤٢ والإتقان للشيُوَيْطِي ص ٤٨٤ وشَرْح الجَوْهَرَة للبَاجُورِي ص ١٥٧ ودراسات في الفرق ص ٢٠٦. وفي المَوَاقِف ج ٨ ص ٢٤ رواه عن أَحْمَد.

(٣) التَّوْحِيد لِلْأَمَشِي ص ٥٨.

(٤) دراسات في الفرق ص ٢٠٧ وقول ابن رُشد في فصل المقال ص ٦٥.

للتشبيه والتجسيم<sup>(١)</sup>.

قال ابن الجوزي الحنبلي (وهو من نفاة التشبيه): (اعلم أن عموم المُحدِّثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات الباري سبحانه على مُقتضى الحس، فشبهوا، لأنهم لم يخالطوا الفقهاء، فيعرفوا حمل التشابه على مُقتضى الحكم)<sup>(٢)</sup>.

وهو لاءِ فرّق عديدة مثل: أصحاب الحديث الحشوية، ومنهم: مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠هـ المفسر، ومُشبهة الشيعة ومنهم: هشام بن الحكم المتوفى سنة ١٧٩هـ، وفرقة الكرامية أتباع ابن كرام السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ<sup>(٣)</sup>.

القول الثالث: التأويل.

وهو ما ذهب إليه المعتزلة، وأخذ به - مع تعديلات طفيفة - عامة المسلمين من شيعة وأهل سنة: ماتريديّة وأشاعرة، وبه قال الإباضية. وفي ذلك يقول الإمام الرّازي: (جميع فرّق الإسلام مُقرّون بأنه: لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار)<sup>(٤)</sup>.

وقال الباجوري: إذا ورد في القرآن أو السنة ما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو الصورة أو الجوارح، اتفق أهل الحق وغيرهم ما عدا المُجسِّمة والمُشَبَّهة على تأويل ذلك<sup>(٥)</sup>.

(١) مُقدِّمة ابن خلدون ص ٤٣٤.

(٢) تلبّيس إبليس ص ١١٣.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٩٢ وما بعدها. وانظر: دراسات في الفرق ص ٢١٣-٢١٥.

(٤) أساس التّقيّدس للرّازي ص ٦٧. وانظر رأي الإباضية في: الموجز لأبي عمّار ج ١ ص ١٢٦ وما بعدها.

(٥) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٥٧.

وقال الباجوري في حاشيته على السُّلم ص ٢٤: (اعلم أنه إذا ورد في كتاب أو سنة ما

وذلك لأنه ثبت عندهم بالدليل العقلي، أن الله تعالى مُنَزَّه عن الجسمية والجهة، ولا سبيل للقضاء على التشبيه، إلا إذا أُوتت الصفات الخبرية الواردة بالنصوص<sup>(١)</sup>.

قال الجويني: والإعراض عن التأويل حذاراً من مواجهة محذور في الاعتقاد يجرُّ إلى اللبس والإيهام، واستزلال العوام، وتطريق الشبهات إلى أصول الدين، وتعرض بعض كتاب الله تعالى لرجم الظنون<sup>(٢)</sup>.

وحين رأى العلماء أن فتح باب التأويل له أضراره الجسيمة، وضعوا له القواعد، حتى لا يؤدي إلى التلاعب بالنصوص وفق الهوى، دون الالتفات إلى أصول الشريعة ومقاصدها<sup>(٣)</sup>.

يوهم أنه تعالى له وجه أو يد أو نحو ذلك فلا بد من تأويله، بمعنى صرفه عن ظاهره، وهذا محل وفاق من السلف والخلف، غاية الأمر أنهم اختلفوا في تعيين المعنى المراد، السلف لا يعينونه بل يفوضونه إليه تعالى، فيقولون في نحو قوله تعالى: ﴿وَبَعَثَ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ - الرحمن ٢٧، وقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ - الفتح ١٠، ليس له وجه كوجهنا، ولا يد كيدنا، ولا يعلم المراد من ذلك إلا الله تعالى، والخلف يعينونه فيقولون فيما ذكر: ليس له وجه كوجهنا ولا يد كيدنا، المراد من الوجه الذات ومن اليد القدرة.

(١) شرح الجوهرية للباجوري ص ١٥٧ ودراسات في الفرق ص ٢١٩.

(٢) الإرشاد للجويني ص ٤٢، ثم جاء في ص ١٥٥ - ١٦٤ بعدة نصوص من القرآن والحديث وذكر تأويلها.

(٣) دراسات في الفرق ص ٢١٩. وانظر: المسائرة وشرحها المسامرة ص ٣٤ وما بعدها، والمواقف ج ٨ ص ٢٤ وشرح الجوهرية للباجوري ص ١٥٧.

قال اللامشي: (لهذه الألفاظ تحتل وجوهاً، فيجب حملها على وجه يوافق الدليل القطعي العقلي، والآية المحكمة وهي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ - الشورى ١١، حتى لا يقع التناقض في حُجج الله تعالى. ويبان ذلك هو أن اليد قد تذكر للنعمة والقوة والسلطنة، وقد تُذكر للحُجة، وقد تُذكر لليسر والغناء، وقد تُذكر للجراحة. وكذلك العين قد تُذكر للحفظ، وقد تُذكر للجراحة، فيحمل كل واحد منهما على ما يوافق الدليل العقلي والآية المحكمة). / التوحيد للامشي ص ٥٩ وفيه: أن هذا هو المروي عن بعض مشايخنا، أي: المأثريّة.



قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: (طريقة التأويل بشرطها، أقربها إلى الحق).  
ويعني بشرطها: أن يكون على مقتضى لسان العرب<sup>(١)</sup>.

ومن أمثلة تأويلات هؤلاء للنصوص المتشابهة بما يتفق وتنزيه الله تعالى عما لا يليق به:

### ما يوهم الجهة:

١ - ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ - طه ٥. الاستواء هو: الاستيلاء<sup>(٢)</sup> والمُلك،

(١) المُسامرة ص ٣٧، وفيه أيضاً: مال إلى التأويل أيضاً إمام الحرمين في الإرشاد، لكنه اختار في الرسالة النظامية طريق التفويض، وهي متأخرة في التأليف عن الإرشاد، فكانه رجع عن القول بالتأويل. وتوسط ابن دقيق العيد فقال: يُقبل التأويل إذا كان المعنى الذي أُولَّ به قريباً مفهوماً من تخاطب العرب، ويُتوقف فيه إذا كان بعيداً. وذهب ابن الهمام إلى التوسط بين أن تدعو الحاجة إليه لخلل في فهم العوام وبين أن لا تدعو الحاجة لذلك.

وفي شرح الفقه الأكبر لعليّ القاري ص ٧٠ نحو ما في المُسامرة.

والتأويل عند الجويني في كتابه الإرشاد السابق. وأيضاً في كتابه: غياث الأمم ص ٤٤، حيث قال فيه: (... جل جلاله، وتقدست أسماؤه، استواؤه استيلاؤه، ونزوله برّه وجباؤه، ومجيئه حكمه وقضاؤه، ووجهه بقاؤه، وتقرّبه اصطفاؤه، ومحبه آلاؤه، وسخطه بلاؤه، وبعده علاؤه، العظمة إزاره، والكبرياء رداؤه...).

والتفويض في كتابه: العقيدة النظامية ص ١٦٦.

(٢) اقتصر الغزالي في الإحياء في تفسير (استوى) على معنى الاستيلاء، وعلّق عليه الزبيدي في إتحاف السادة ج ٢ ص ١٠٦-١٠٨ وذكر أقوال العلماء. وما ذكر في ص ١٠٧: (قال ابن بطال: اختلفوا في الاستواء هنا، فقالت المعتزلة: معناه الاستيلاء بالقهر والعلبة. وقالت المجسّمة: معناه الاستقرار. وقال بعض أهل السنة: معناه ارتفع، وبعضهم: معناه علا، وبعضهم: معناه الملك والقدرة. وقيل: الاستواء التمام والفراغ من فعل الشيء. ثم ردّ قول المعتزلة والمجسّمة وصحح القول بأن معناه علا). وفيه أقوال أخرى مع الأدلة. وللأستواء تفسيرات أخرى في أصول الدين للبغداديّ ص ١١٢ والإتقان للسيوطيّ ص ٤٨٥ وكفاية الطالب الربانيّ ص ٤٩ و٥٠.

كقول الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العِراقِ      من غير سيفٍ ودمٍ مُهراقٍ<sup>(١)</sup>

٢- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ - النحل ٥٠. فالفوقية تعني: التعالي في العظمة. أي: أن الملائكة يخافون ربهم من أجل تعاليه وارتفاعه في العظمة<sup>(٢)</sup>.

وتفسيره بمعنى الاستيلاء أيضاً في: الإرشاد للجويني ص ٤٠ وغيث الأمم للجويني ص ٤٤ والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٤٠ والتمهيد للآمشي ص ٦٤ وأبكار الأفكار للآمدي ج ١ ص ٤٦٢ والمواقف ج ٨ ص ٢٤ والمسيرة، وشرحه المُسامرة، وشرحه لقاسم بن قُطْلُوبُغا ص ٣٤-٣٥ وشرح الجوهرية للباجوري ص ١٥٧ والموجز لأبي عمّار ج ١ ص ١٣٢ عن ابن عباس، ومشارك أنوار العقول ج ١ ص ٤٠٥ وشرح غاية المُرَاد ص ٤٣. وفي إتحاف السادة ج ٢ ص ١٠٦: نسبه الجاحظ أيضاً إلى ابن عباس، لكن رده ابن تيمية.

وفي الإرشاد للجويني ص ٤١-٤٢: (فإن قيل: هَلَّا أَجْرَيْتُمُ الْآيَةَ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ - طه ٥ على ظاهرها من غير تعرض للتأويل، مصيراً إلى أنها من التشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله؟ قلنا: إن رام السائل إجراء الاستواء على ما ينبت عنه في ظاهر اللسان وهو الاستقرار فهو التزام للتجسيم. وإن تشكك في ذلك كان في حكم المصمم على اعتقاد التجسيم. وإن قطع باستحالة الاستقرار فقد زال الظاهر. والذي دعا إليه من إجراء الآية على ظاهرها لم يستقم له. وإذا أزيل الظاهر قطعاً فلا بد بعده في حمل الآية على محمل مُستقيم في القول مستقر في موجب الشرع).

والقول بالتوقف في الاستواء قال به الماتريدي في التوحيد ص ٤١ و ٧٤ والغزوي من الماتريدي في أصول الدين ص ٧٥. وذكر الآمشي قولين للماتريدي هما: التوقف والاستيلاء في: التمهيد ص ٦٤، وتقدم ذلك عند ذكر آراء الماتريدي.

(١) الشاعر هو البعيث، كما قاله الصاحب إسماعيل بن عباد، أو هو الأخطل كما قاله الجوهري. وبشر هو بشر بن مروان. / إتحاف السادة ج ٢ ص ١٠٦.

والبيت في: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي، وبخر الكلام للنسفي ص ٥٠، والموجز لأبي عمّار، والمسيرة، وشرح الجوهرية للباجوري، السابقة. وفي المواقف السابق: عمرو بدلاً من بشر.

(٢) شرح الجوهرية للباجوري ص ١٥٧.

٣- ﴿ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ - فُصِّلَتْ ٣٨. فالعندية: تعني الاصطفاء والإكرام.

٤- ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ - فاطر ١٠. أي: يرتضيه، لأن الكلم عَرَض، يمتنع عليه الانتقال.

٥- ﴿ تَقْرُجُ الْمَلَكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ ﴾ - المعارج ٤. أي: العروج إلى موضع يتقرب إليه بالطاعات فيه.

٦- ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ ﴾ - المُلْك ١٦. من في السماء: أي حكمه وسُلْطانه، أو ملك موكل بالعذاب.

٧- ﴿ ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ ۖ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ - النَّجْم. الدُّنُو: قرب الرَّسُولِ إليه بالطاعة، والتقدير بقاب قوسين تصوير للمعقول بالمحسوس.

٨- قوله ﷺ للجارية الخرساء: أين الله؟ فأشارت إلى السماء، فقرر.

فأراد بالسؤال ب(أين): أن يستكشف عن مُعْتَقَدِهَا، فلما أشارت إلى السماء، علم أنها ليست وثنية، وحمل إشارتها على أنها أرادت كونه تعالى خالق السماء، فحكم بإيمانها<sup>(١)</sup>.

ما يوهم الجسمية:

١- ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ - الفجر ٢٢. أي: وجاء أمر ربك الشَّامِل للعذاب، أو عذاب

(١) المَوَاقِف ج ٨ ص ٢٤-٢٥.

اختلف العلَّماء في تكفير مُعْتَقِدِ الجَهِة على ما يأتي:

١- لا يكفر. وهو قول العزَّ بن عبد السَّلام. وقِيَّده النَّوَوِيُّ بكونه من العامة، وابن أبي جَمْرَةَ بعُسر فهم نفيها.

٢- التفصيل. فإن اعتقد جهة العلُو لم يكفر، لأن جهة العلُو فيها شَرَف رفعة في الجُمْلَة. وإن اعتقد جهة السُّفْل كفر، لأن جهة السُّفْل خِسَّة ودناءة.

شَرَحَ الجَوْهَرَةُ للبَاجُورِيِّ ص ١٦٥.

ربك<sup>(١)</sup>.

٢- ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ - البقرة ٢١٠. أي: إتيان

عذابه.

٣- قوله ﷺ: (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ)، أي: ينزل مَلَكُ رَبِّنَا فيقول عن الله<sup>(٢)</sup>.

### ما يوهم الصورة:

قوله ﷺ: (إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ). والمُرَاد بالصورة: الصفة، من سمع وبصر وحياة وعلم، فهو على صفته بالجُمْلَةِ<sup>(٣)</sup>.

(١) المَوَاقِف ج ٨ ص ٢٤ وشرح الجَوْهَرَةُ للْبَاجُورِيِّ ص ١٥٨. ونقله أبو عَمَّار في الموجز ج ١ ص ١٣٥ عن ابن عَبَّاس.

(٢) المَوَاقِف ج ٨ ص ٢٤-٢٥ وشرح الجَوْهَرَةُ للْبَاجُورِيِّ ص ١٥٨.

وَحَدِيث: ينزل ربنا... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ١٩ كتاب التهجد، ١٤ باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، رقم ١١٤٥، بهذا اللفظ، عن أبي هُرَيْرَةَ.

وورد عن أبي هُرَيْرَةَ أيضاً في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ١٤ باب الدعاء نصفَ الليل، رقم ٦٣٢١. وفي: ٩٧ كتاب التَّوْحِيد، ٣٥ باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ - الفَتْح ١٥، رقم ٧٤٩٤.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٦ كتاب صلاة المسافرين، ٢٤ باب التَّوَحُّد في الدعاء، رقم ٧٥٨ عن أبي هُرَيْرَةَ أيضاً.

وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ... وغيرهم. / شرح الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزِّ، هامش ص ٢٦٩ لِمُحَقِّقِهِ شُعَيْبُ الأَرْنَؤُوط.

(٣) شرح الجَوْهَرَةُ للْبَاجُورِيِّ ص ١٥٩.

ما يوههم الجوارح:

١- ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ - الرَّحْمَنُ ٢٧. الوجه: أي: الذات<sup>(١)</sup>.

٢- ﴿يُدْأَلُّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ - الْفَتْحُ ١٠. اليد: أي: القدرة<sup>(٢)</sup>.

٣- قوله ﷺ: (إن قلوب بني آدم كلها، بين إصبعين من أصابع الرَّحْمَن، كقلب واحد، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ). فالمراد بالإصبعين: أي صفتين من صفاته، وهما القدرة والإرادة<sup>(٣)</sup>.

وبهذا يتضح أَنَّ الْجُمْهُورَ من السَّلَفِ والخَلَفِ اتفقوا<sup>(٤)</sup> على تنزيه الله تعالى من التشبيه، إلا أنهم اختلفوا في طريقة تفسير النصوص المتشابهة تبعاً لعصورهم التي

وحديث: إذا قاتل أحدكم أخاه... إلخ، في: صحيح مسلم في: ٤٥ كتاب البر والصلة، ٣٢ باب النهي عن ضرب الوجه، رقم ٢٦١٢ (١١٥)، عن أبي هريرة. ومُسْنَدُ الإمام أحمد ج ٢ ص ٢٤٤.

(١) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٥٩ ومشارك أنوار العقول ج ١ ص ٤٠٢.

(٢) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٥٩.

(٣) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٥٩. وانظر من هذه التأويلات في: أبكار الأفكار للامدي ج ١ ص ٤٥١ وما بعدها.

وحديث: إن قلوب بني آدم... إلخ، في: صحيح مسلم في: ٤٦ كتاب القدر، ٣ باب تصريف الله تعالى القلوب، رقم ٢٦٥٤، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٤) قال الإيجي في المواقف ج ٨ ص ٢٤: (مهما تعارض دليان وجب العمل بهما ما أمكن، فتؤول الظواهر إما إجمالاً ويفوض تفصيله إلى الله... وعليه أكثر السلف...، وإما تفصيلاً كما هو رأي طائفة، فنقول الاستواء الاستيلاء...).

وفي جوهرة التوحيد:

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْ هَمِّ التَّشْبِيهِ أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضُ وَرْمِ تَنْزِيهِهَا

وشرحه الباجوري ذاكراً أنَّ:

(قوله: «النص» هو الدليل من الكتاب والسنة.

عاشوا بها، وهو خلاف شكلي بحث.

ولم يخالف في ذلك إلا المُشَبَّهة، الذين صوروا الذات الإلهية كالجسم، فأخذوا ينعتونه بصفات الأجسام، وهؤلاء لا يُعتدّ بكلامهم في ميزان النقد العلمي عند مقارنة النصوص، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ - آل عمران ٧.

#### ٤- القيام بالنفس

معنى القيام بالنفس، أمران:

وقوله: «أَوَّلُهُ» أي: أحمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد، فالمراد: أوَّلُهُ تأويلاً تفصيلياً بأن يكون فيه بيان المعنى المراد كما هو مذهب الخلف، وهم من كانوا بعد الخمسمائة، وقيل من بعد القرون الثلاثة.

وقوله: «أَوْ فَوْضٌ» أي: بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره. فبعد هذا التأويل فَوْضُ المراد من النص الموهم إليه تعالى على طريقة السلف، وهم من كانوا قبل الخمسمائة، وقيل: القرون الثلاثة الصحابة والتابعون وأتباع التابعين.

وطريقة الخلف أعلم وأحكم لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم وهي الأرجح، ولذلك قدمها المصنف «صاحب الجوهرية». وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى.

وقوله: «وَرُمَ تنزيهاً» أي: واقصد تنزيهاً له تعالى عما لا يليق به مع تفويض علم المعنى المراد.

فظهر مما قررناه اتفاق السلف والخلف على التأويل الإجمالي، لأنهم يصرفون الموهم عن ظاهره المحال عليه تعالى. لكنهم اختلفوا بعد ذلك في تعيين المراد من ذلك النص وعدم التعيين. / شرح الجوهرية للبايجوري ص ١٥٦. وانظر: شرح الخريدة للذردير ص ٦٨-٦٩.

أولهما: عدم افتقاره تعالى إلى محل. وللمحل تفسيران:

١ - الذات التي يقوم بها، لا بمعنى المكان، لأن ذلك علم من مخالفة الحوادث.

٢ - الذات والمكان معاً. قاله الغنيمي.

ثانيهما: عدم افتقاره إلى المخصّص، أي الموجد<sup>(١)</sup>.

وضدها: الاحتياج إلى غيره.

الدليل العقلي على ذلك:

١ - الدليل على عدم افتقاره إلى محل هو:

أ- أنه لو افتقر إلى محل، لكان صفة. ولو كان صفة، لم يتصف بصفات المعاني والمعنوية، وهي واجبة القيام به تعالى، للأدلة الدالة على ذلك، وذلك باطل فثبت عدم افتقاره إلى محل<sup>(٢)</sup>.

ب- المتمكّن مُحْتَاج إلى مكانه، بحيث يستحيل وجوده بدونه. والمكان مستغن عن المتمكّن لجواز الخلاء، فيلزم إمكان الواجب، ووجوب المكان، وكلاهما باطل<sup>(٣)</sup>.

٢ - الدليل على عدم افتقاره إلى مخصّص هو: أنه لو افتقر إلى مخصّص، لكان حادثاً، كيف وقد سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه ذاتاً وصفات؟

الدليل النقلي على قيامه تعالى بنفسه:

- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ - فاطر ١٥.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ - العنكبوت ٦.

(١) سُرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ج ١ ص ١١٣.

(٢) المصدر السابق، وشرح الخريدة للذّرذير ص ٥٧ وشرح أم البراهين للسّنوسي وحاشية الدسوقي عليه ص ١٥٩.

(٣) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٠.

فإن قيل:

كيف يُتصور عدم تحيُّزه تعالى في مكان؟

فالجواب هو: أن تصور المكان لأي جسم، يكون نتيجة ملاحظة واستقراء أحوال الأجسام التي نراها حالة في مكان ما، أما قياس الله تعالى على الأجسام في وجوب التحيُّز، فهو قياس باطل، ولا علة جامعة بين الأصل والفرع، وذلك:

لأن العقل البشري محدود وقاصر عن إدراك كثير من الأمور، فهو يحكم بوجود أشياء كثيرة كالروح والعقل في الجسم، والكهرباء في الأسلاك المُعدَّة لجريانها بها... إلخ، وإن لم يعرف حقيقتها أو كُنْهها ولا يدرك من سرِّها شيئاً.

فإذا كان العقل البشري قاصراً عن إدراك كثير مما فيه وحوله، فكيف يمكن أن يتصور عدم تحيُّزه تعالى في مكان؟ مع أنه قطع بوجوده تعالى، وقصر عن إدراك كُنْهه وتصوره وفهمه؟

فحسبُ الإنسان إذن أن يؤمن بوجوده تعالى وبصفاته، ثم يحار في فهمه وتصوّره. وهذه هي حقيقة الإيَّان بالغيب التي أمر الله به عباده<sup>(١)</sup>.

##### ٥- الوجدانية

معناها: عدم التعدد في الذات، أو الصفات، أو الأفعال.

فالوجدانية في الذات: تنفي (الكَمِّ المُتَّصِل) الذي هو التَّركيب، أي: تَرْكيب الذات من أجزاء، وتنفي (الكَمِّ المنفصل) الذي هو التعدد، بحيث يكون هناك إلهان فأكثر.

والوجدانية في الصفات: تنفي (الكَمِّ المُتَّصِل) الذي هو تعدد صفتين من جنس

(١) كبرى اليقينيات الكونية ص ١٢٠-١٢١.



وَاحِد كقدرتين فأكثر، وتنفي: (الكَمَّ المنفصل) الذي هو إثبات صفة لغيره تعالى تشبه صفته، كأن يكون لزيد قدرة يوجد بها ويعدم كقدرته تعالى، أو إرادة تخصص الشيء ببعض الممكنات.

والوحدانية في الأفعال: تنفي (الكَمَّ المنفصل)<sup>(١)</sup> فقط، الذي هو إثبات فعل لغيره تعالى على طريق الإيجاد والخلق<sup>(٢)</sup>.

(١) أما الكَمَّ المُتَّصِل في الأفعال: فإن صَوْرَنَاهُ بتعدد الأفعال، فهو ثابت، لا يَصَحُّ نفيه، لأن أفعاله كثيرة من خلق ورزق وإحياء... وإن صَوْرَنَاهُ بمشاركة غير الله له في فعل من الأفعال، فهو منفي أيضاً بوحدانية الأفعال. / انظر: شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١١٤ وحاشية الصَّاوِيَّ على الدُّزْدِير ص ٥٩.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١١٤. وانظر: شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدُّزْدِير ص ٥٩ وَكِفَايَةِ الطَّلَبِ الرَّبَّانِيِّ وَحَاشِيَةِ الْعَدَوِيِّ عَلَيْهَا ج ١ ص ٤٠ وَرِسَالَةُ فِي التَّوْحِيدِ وَالْفِرْقِ الْمَعَاصِرَةِ لِلطَّائِيَّ ص ٣٩-٤٢.

قَسَمَ فَرِيقٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ التَّوْحِيدَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

١- تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، ويعني: أَنْ لَا خَالِقَ وَلَا رَازِقَ وَلَا مُحْيِيَّ وَلَا مُمِيتَ وَلَا مُوجِدَ وَلَا مُعْدِمَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

٢- تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ، ويعني: إِفْرَادَهُ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالْحُبِّ وَالْإِفْتِقَارِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ تَعَالَى.

٣- تَوْحِيدُ الصِّفَاتِ، ويعني: أَنْ يُوَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ نَبِيهِ ﷺ، فَيُثَبَّتَ لَهُ مَا أُثْبِتَ لِنَفْسِهِ مِنَ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَكَذَلِكَ يَنْفَى عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ إِلْحَادٍ فِي الْأَسْمَاءِ وَلَا فِي الْآيَاتِ. / لَوَاعِمُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ١٢٨-١٢٩.

وذكر هذا التقسيم ابن أبي العزّ في شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ، وأوضح أن نفاة الصفات كالْجَهْمِ بن صَفْوَانَ وموافقيه أدخلوا نفي الصفات في مسمى التَّوْحِيدِ، فقالوا: إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب. فردّه قائلاً: هَذَا الْقَوْلُ مَعْلُومٌ بِالْفَسَادِ بِالضَّرُورَةِ، فَإِنْ إِثْبَاتُ ذَاتٍ مُجْرَدَةٍ عَنْ

وضدها: التعدد في الذات أو الصفات (اتصالاً وانفصالاً)، وفي الأفعال (انفصالاً).

### أدلة نفي الكموم الخمسة

أولاً: الدليل على نفي الكم المتصل في الذات، (أي: أنه تعالى ليس مركباً من أجزاء)، هو:

جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج... وتوحيد الربوبية لم يذهب إلى نقيضه طائفة، والمشهور عند أهل النظر إثباته بدليل التمانع. وتوحيد الإلهية الذي بينه القرآن ودعت إليه الرسل يتضمن توحيد الربوبية لا العكس، لأن المشركين من العرب كانوا يقولون بتوحيد الربوبية، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ - لقمان ٢٥، لكنهم كانوا كفاراً مشركين. / شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤ وما بعدها، وتبناه الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ورد هذا التفريق بين أنواع التوحيد كثير من العلماء، منهم: الشيخ أحمد بن زيني دحلان في كتبه: الدرر السنية في الرد على الوهابية، وفتنة الوهابية، وأدلة جواز التوسل بالنبي ﷺ. والشيخ عبد الله بن علوي الحداد في: مصباح الأنام. وإبراهيم الرفاعي الراوي في: الأوراق البغدادية في الحوادث النجدية. وأمين الحق مولانا شاه فضل رسول في كتابه: سيف الجبار المسلول. ودأود بن سليمان البغدادية في كتابه: المنحة الوهبية في رد الوهابية. وغيرهم. وهي كتب مطبوعة، وصورتها مكتبة الحقيقة بإستانبول.

ومما ذكره بعضهم: أن هذا التفريق أدى بالوهابية إلى تكفير المسلمين، وذكروا أنه لا فرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فالله تعالى يقول: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ - الأعراف ١٧٢، ولم يقل: ألسنت باللهكم. فاكتمى منهم بتوحيد الربوبية، ومن أقر بالربوبية فقد أقر بالألوهية، إذ ليس الرب غير الإله، بل هو الإله بعينه. وكذلك في الحديث: (إن الملكين يسألان العبد في قبره فيقولان: من ربك؟)، ولم يقلوا له: من إلهك؟ فالتوحيد واحد. إن الذي أوقع المشركين والكفار في الكفر ليس مجرد قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ - الزمر ٣، بل هو اعتقادهم أن غير الألوهية والعبادة غير الله تعالى. / الدرر السنية لأحمد بن زيني دحلان ص ٣٧-٣٩. وقد أشرنا إلى بعض هذا عند كلامنا عن مذهب السلفية.

أنه تعالى لو كان مركباً من أجزاء، لكان مُحتَاجاً إلى تلك الأجزاء، وإلى من يركبها، وعندئذ يكون حادثاً، وهو باطل لما تقدم من: إثبات أنه تعالى مخالف للحوادث<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الدليل على نفي الكَمّ المنفصل في الذات، (أي: أنه تعالى إله واحد لا شريك له، يشاركه التصرف في المخلوقات)، هو:

أنه لو لم يكن واحداً لكان متعددًا، بأن يكون هناك إلهان فأكثر، ولو كان هناك إلهان أو أكثر، فإما أن يتفقا، وإما أن يختلفا:

١ - فإن اتفقا<sup>(٢)</sup> على إيجاد شيء مثلاً:

أ- فإما أن يوجداه معاً، وعندئذ لزم اجتماع مؤثرين تامين على أثر واحد، وهو باطل بالبدهة.

ب- وإما أن يوجداه مرتين (بأن يوجد أحدهما ثم يوجد الآخر)، وعندئذ لزم تحصيل الحاصل، وهو باطل بالبدهة.

ج- وإما أن يوجد أحدهما دون الآخر، وعندئذ كان الموجد هو الإله، والثاني باطل.

د- وإما أن يوجد كل منهما بعض الشيء دون البعض الآخر، وعندئذ لزم عجزهما، لأنه لما تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سد على الآخر طريق تعلق قدرته به، فلا يقدر على مخالفته، وهذا عجز، وكل ذلك باطل، فبطل ما أدى إليه، وهو وجود إلهين متفقين.

وهذا البرهان يسمى: برهان التوارد، لما فيه من تواردهما على شيء.

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٤ ص ٣١ وشرح الخريدة للدردير ص ٥٩.

(٢) قال اللامسي في التوحيد ص ٥٢: (إن كانا متوافقين في تخليق الأشياء فالموافقة دليل عجزهما أو دليل عجز أحدهما، إذ الفاعل المختار لا يوافق غيره في الأمور بكل حال إلا عن عجز واضطرار، والعاجز لا يكون إلهاً).

٢- وإن اختلفا، بأن أراد أحدهما إيجاد العالم، وأراد الآخر إعدامه:

أ- فإما أن ينفذ مُرادهما معاً، وعندئذٍ لزم اجتماع الضدين، وهو باطل بالبدهة<sup>(١)</sup>.

ب- وإما أن ينفذ مُراد أحدهما فقط دون الآخر، وعندئذٍ يلزم عجز من لم ينفذ مُرادَه، والآخر مثله، لانعقاد المماثلة بينهما. وعن الباقلاني وابن رشد: أن الذي نفذ أمره هو الإله دون الآخر.

ج- وإن لم ينفذ مُراد أحدهما، لزم عجز كل منهما، ولزم ارتفاع (زوال) الضدين، وهو باطل.

فبطل ما أدى إلى ذلك، وهو وجود إلهين مختلفين. وهذا البرهان يسمى: **برهان التمانع**، لتمانعها وتخالفها.

فإذا بطل وجود إلهين متفقين أو مختلفين، وجب أن يكون الإله واحداً<sup>(٢)</sup>.

ويمكن التعبير عن هذا الدليل بما قاله الغزالي في إحياء علوم الدين: (وبرهانه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ - الأنبياء ٢٢، وبيانه: لو كانا اثنين - يتصف كل منهما بصفات الألوهية، ومنها الإرادة وتام القدرة - وأراد أحدهما أمراً: فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته، كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً، ولم يكن إلهاً قادراً، وإن كان الثاني قادراً على مخالفته ومدافعتها، كان هذا الثاني قوياً قاهراً، والأول ضعيفاً قاصراً فلم يكن إلهاً قادراً)<sup>(٣)</sup>.

(١) لأن في إتمام مُراد أحدهما عجز الآخر، لأنه تم ما لا يريد، وفي ذلك تعجيز لكل واحد منهما، والعاجز ليس بإله. / الإنصاف للباقلاني ص ٣٤ وتمهيد الأوائل ص ٤٥.

(٢) شرح الجوهر للباجوري ص ١١٥. وانظر: المقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٤ ص ٣٥- ٣٧ وشرح الخريدة للدردير وحاشية الصاوي عليه ص ٥٩- ٦٠ والتمهيد للإمامي ص ٥٢ وأصول الدين للغزالي ص ٦٤ ونهاية الإقدام للشهرستاني ص ٩٢ والوسيلة ص ٤٨٤.

(٣) إحياء علوم الدين وشرحه: إتحاف السادة ج ٢ ص ١٢٧ والمسامرة ص ٤٥ عن الغزالي.

ثالثاً: الدليل على نفي الكَمِّ المتَّصِل في الصفات، هو:

أنه تعالى لو كان له صفتان من جنس واحد كقدرتين مثلاً:

فإما أن تكون إحداهما كَامِلَةً، وعندئذ تكون الثانية عَبَثًا.

وإما أن تكونا غير كَامِلَتَيْن (ناقصتين)، وعندئذ يكون ناقصاً، وكلٌّ من العبث والنقص مُحال عليه.

وإما أن تكونا كَامِلَتَيْن، فيلزم منه اجتماع مؤثرين على أثر واحد، وهو باطل، فبطل تعدد صفتين من جنس واحد.

رابعاً: الدليل على نفي الكَمِّ المنفصل في الصفات، هو:

أنه لو كان لغيره تعالى صفة تُشابه صفاته، لكان مماثلاً للحوادث، ولو كان مماثلاً للحوادث، لكان حادثاً مثلها.

ولو كان حادثاً لاحتاج إلى مُحَدِّث، ومُحَدِّثُهُ يحتاج إلى مُحَدِّث... وهكذا، فيلزم الدَّوْر أو التسلسل، وكلاهما باطل.

فبطل القول بوجود صفة لغيره تشبه صفاته.

خامساً: الدليل على نفي الكَمِّ المنفصل في الأفعال، هو:

أنه لو كان لغيره فعل من الأفعال - على سبيل الإيجاد والإعدام - لكان له شريك،

---

قال الصَّاوِي: يُضَاح الآية، أنه لو تعدد الإله لم تتكون السماوات والأرض، لأن تكونها إما بمجموع القدرتين أو بإحدهما، والكل باطل. أما الأول فلأن شأن الإله كَمَال القدرة، فإذا توجهت لشيء أبرزته، وأما الآخر فلما مرَّ، فيلزم عجزه فلا يوجد شيء من العالم، وعدم وجود العالم محال، لأنه خلاف الحس والعيان، فيكون معنى فسدنا لم توجدنا. / حاشية الصَّاوِي على الدُّرُور ص ٦٠.

والشريك محال، كما مرّ في نفي الكم المنفصل في الذات<sup>(١)</sup>.

والدليل النقلي على وحدانية الله تعالى:

- قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

۝٢ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ - الإخلاص.

- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ كُفُوًا لَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝١٦٣

- قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۝١٩ - مُحَمَّد

- قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۝٢٢ - الأنبياء

- قوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذَّاهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ

وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ۝٩١ - المؤمنون

(١) قال أبو إسحاق الإسفراييني: أجمع أهل الحق على أن جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد يرجع إلى كلمتين: إحداهما: اعتقاد أن كل ما تصور في الأذهان فالله بخلافه. ثانيهما: اعتقاد أن ذاته تعالى ليست مُشَبَّهَةً بذاتٍ ولا خالية عن الصفات. وناهيك بسورة الإخلاص دليلاً، فإنها نفت أصول الكفر الثمانية:

الكثرة بمعنى التركيب، والعدد، انتفياً بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ - الإخلاص

والنقص بمعنى الاحتياج، والقلة بمعنى البساطة، انتفياً بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ - الإخلاص

والعلة والمعلول، انتفياً بقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ - الإخلاص

والشبيه والنظير، انتفياً بقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ - الإخلاص / حاشية الصاوي على الدردير ص ٦٠. وانظر: شرح الجوهرة للباجوري ص ١١٨.

### ٣- صفات المعاني

وهي سبع: القدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والكلام، والحياة<sup>(١)</sup>.

ومعنى كونها صفات معاني: أَنَّ كل صفة منها معنى قائم بذات الله تعالى.

وسميت ذاتية: لأنها لا تنفك عن الذات.

ووجودية: لأنها متحققة باعتبار نفسها. أي: التي لها وجود في نفسها، قديمة كعلمه

تعالى، أو حادثة كعلمنا<sup>(٢)</sup>.

(١) أضاف المأثرية إلى هذه الصفات السبع صفة (التكوين)، ويريدون بها: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، يوجد بها ويعدم بها، لكن إن تعلقت بالوجود تسمى إيجاداً، وإن تعلقت بالعدم تسمى إعداماً، وإن تعلقت بالحياة تسمى إحياء، وهكذا. فصفات الأفعال عندهم قديمة، لأنها هي صفة التكوين، وهي قديمة. ونفاها الأشاعرة، وجعلوا صفات الأفعال هي تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة. / شرح الجوهرية للباجوري ص ١٣٥.

أي: أن الإيجاد والخلق والرزق والإحياء والإماتة والإشقاء والإسعاد والتصوير وغيرها من صفات الأفعال هي بمجموعها عند محققي المأثرية عبارة عن صفة واحدة تسمى بالتكوين - المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ - يس ٨٢. وهذه الصفة عند المأثرية قديمة، لأنها صفة أزلية، بها صدور العالم وكل جزء من أجزائه. لكن إن تعلقت بوجود الشيء سميت إيجاداً وخلقاً، أو بموته سميت إماتة، أو بصورته سميت تصويراً، وهي زائدة على القدرة والإرادة.

أما عند الأشاعرة فصفات الأفعال هذه حادثة، لأنها عبارة عن تعلق القدرة بالمقدور. /

شرح الخريدة للدردير وحاشية الصاوي عليه ص ٨٨-٨٩.

وانظر الكلام عن صفة التكوين في: شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ٩٦ وشرح الفقه الأكبر لعلي القاري ص ٤٢ وأصول الدين للغزنوي ص ١١٢.

(٢) شرح الخريدة للدردير وحاشية الصاوي عليه ص ٧٠ وشرح الجوهرية للصاوي ص ١٦٥ والوسيلة ص ٤٩١.

وهذا القسم هو الذي تنازع فيه الْمُعْتَزَلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ ومن وافقَهُمْ، أما الصفة النفسية (الوجود) والصفات السلبية فلا نزاع فيها بينهم<sup>(١)</sup>.

### النزاع في صفات المعاني

يتفق الْمُسْلِمُونَ جَمِيعاً من فَلَاسِفَةٍ ومتكلمين، على أن الله تعالى وَاحِدٌ، يتصف بصفات الْكَمَالِ الثُّبُوتِيَّةِ الواجبة لذاته تعالى، والتي أطلقها الله تعالى على نفسه، إلا أنهم اختلفوا في تَفْسِيرِ صفات المعاني، على قولين:

القول الأول: وهو قول الْجُمْهُور: الْأَشَاعِرَةُ<sup>(٢)</sup> وَالْمَأْثُرِيَّةُ<sup>(٣)</sup>، وهو:

أن الله سَمِيعٌ بصفة تسمى 'سمعاً'، وَبَصِيرٌ بصفة تسمى 'بصراً'، وكذا في سائر الصفات، فهو قَدِيرٌ بقدرة، ومريد بإرادة، وَعَلِيمٌ بعلم، ومتكلم بكلام، وحي بحياة<sup>(٤)</sup>.

وهذه الصفات:

١ - أزلية. أي: ليست حادثة، لأن الله تعالى الواجب الوجود لا تقوم الحوادث بذاته.

٢ - وقائمة بذاته. أي: ليست قائمة بذاتها، أي: ليست وجوداً خارجياً مستقلاً.

٣ - وهي ليست غير الذات، ولا عَيْنُ الذات، ولكنها زائدة على مفهوم الذات<sup>(٥)</sup>.

(١) شَرَحَ الْمَقَاصِدَ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٤ ص ٦٩.

(٢) الْمَوَاقِفَ ج ٨ ص ٤٥ وَالْمُسَايِرَةَ ص ٧٠ وَشَرَحَ غَايَةَ الْمُرَادِ ص ٣٢.

(٣) الْمَقَاصِدَ وَشَرَحَهُ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٤ ص ٦٩.

(٤) الْمَوَاقِفَ ج ٨ ص ٤٥ وَشَرَحَ الْمَقَاصِدَ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٤ ص ٦٩ وَالْمُسَايِرَةَ وَشَرَحَهَا الْمُسَامَرَةَ ص ٧٠ وَشَرَحَ غَايَةَ الْمُرَادِ ص ٣٢.

(٥) الْمُسَامَرَةَ ص ٧٠ وَالْمَوَاقِفَ ج ٨ ص ٤٤-٤٥. وانظر: شَرَحَ الْمَقَاصِدَ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٤ ص ٦٩. وذكر ابن أبي شَرِيفٍ فِي الْمُسَامَرَةِ ص ٧٢: لَا نَقُولُ إِنَّهَا غَيْرُ الذَّاتِ وَلَا عَيْنُ الذَّاتِ، (لأن



أي: أَنَّ كَلَّامَ الذَّاتِ المقدسة وصفاتها لا يتصور انفكاك أحدهما عن الآخر<sup>(١)</sup> من حيث الوجود، وإن كان مفهوم الذات غير مفهوم الصفة<sup>(٢)</sup>.

وعندئذ لا تؤدي إلى تعدد وكثرة، لأنه لا غَيْرِيَّة بين الصفة والذات، ولا انفكاك بينهما ولا انتقال<sup>(٣)</sup>.

ومن أدلتهم:

١- أَنَّ اللَّهَ تعالى أطلق على نفسه هَذِهِ الْأَسْمَاءَ في كتابه وعلى لِسَانِ نبيه، والمفهوم في اللُّغَةِ من عَلِيمٍ: ذَاتٌ لَهُ عِلْمٌ، وَمِنْ قَدِيرٍ: ذَاتٌ لَهُ قُدْرَةٌ... إلخ من الأوصاف المشتقة. بل يستحيل عند أهل اللُّغَةِ: عَلِيمٌ بِلَا عِلْمٍ، كاستحالة عِلْمٍ بِلَا مَعْلُومٍ، أو كاستحالة عَلِيمٍ بِلَا مَعْلُومٍ، فلا يجوز صَرْفُهُ عَنْ مَعْنَاهُ لُغَةً إِلَّا لِقَاطَعِ عَقْلِي يوجب نفي معناه لُغَةً، ولم يوجد فيه ما يَصْلُحُ شُبْهَةً، فضلاً عن وجود دليل<sup>(٤)</sup>.

٢- لو كان العلم نفس الذات، والقدرَةُ نفس الذات، كما قالوا، لكان العلم نفس القدرَةِ، فكان المفهوم من العلم والقدرَةُ أَمْرًا وَاحِدًا، وَأَنَّهُ ضَرْوَرِي الْبَطْلَانِ، وكذا الحال في بَاقِي الصفات، التي ادَّعَى أَنَّهُا عَيْنُ الذَّاتِ<sup>(٥)</sup>.

٣- لو كان علمه ذاته، كما قالوا، لكان العلم - مثلاً - واجباً مَعْبُوداً صَانِعاً لِلْعَالَمِ

الغيرين هما المفهومان اللذان ينفك أحدهما عن الآخر في الوجود، بحيث يُتَصَوَّرُ وجود أحدهما مع عدم الآخر).

(١) الْمُسَامَرَةُ ص ٧٢ وَحَاشِيَةُ الصَّائِي عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ٨٢.

(٢) حَاشِيَةُ مُحَمَّدٍ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَلَى الْمُسَامَرَةِ ص ٧٢.

(٣) وَقَدْ لَزِمَ النَّصَارَى الْكُفْرَ، لِأَنَّهُمْ قَالُوا بِالْغَيْرِيَّةِ، وَجُوزُوا الْإِنْتِقَالَ وَالْإِنْفِكَاءَ بَيْنَ الذَّاتِ وَالصِّفَةِ. / شَرْحُ رَمْزَانَ أَفندي عَلَى شَرْحِ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ ص ١٢٢-١٢٣ وَحَاشِيَةُ الصَّائِي عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ٨٢ وَدَرَسَاتُ فِي الْفَرْقِ ص ٢٤٩.

(٤) الْمُسَايَرَةُ وَشَرْحُهُ الْمُسَامَرَةُ ص ٧١-٧٢.

(٥) الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلْسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٤٦-٤٧.

موصوفاً بالكَمالات، وهو باطل<sup>(١)</sup>.

القول الثاني: وهو مذهب الْمُعْتَزِلَة<sup>(٢)</sup>، والفَلَّاسِفة<sup>(٣)</sup>، والشَّيْعة الإِمامِيَّة<sup>(٤)</sup>، والإِباحِيَّة<sup>(٥)</sup>، والجَهْمِيَّة<sup>(٦)</sup>.

وهو نفى الصفات الزائدة على الذات.

فالله عالم بالذات بلا علم، وقادر بالذات بلا قدرة، وسَمِيع بالذات بلا سمع...<sup>(٧)</sup>، فهم قالوا: إِنَّ القديم ذاتٌ وَاحِدَة قديمة، ولا يجوز إثبات ذوات قديمة متعددة<sup>(٨)</sup>.

(١) المَقاصِد وشرحه للتَّفَتَّازَانِي ج ٤ ص ٧٢ و٧٤ وشرح قَاسِم بن قُطْلُوبُغا على المُسَايَرَة ص ٧٢.

(٢) المَوَاقِف ج ٨ ص ٤٥ و٤٧ والمَقاصِد للتَّفَتَّازَانِي ج ٤ ص ٦٩ و٧٢ والاقتِصاد في الاعتِقاد للغزالي ص ٧٥ والمُسامرة ص ٧١ وشرح قَاسِم بن قُطْلُوبُغا على المُسَايَرَة ص ٧٠-٧١ ومُشارِق أنوار العُقُول ج ١ ص ٣٤٧ وشرح غَايَة المُراد ص ٣١.

(٣) الاقتِصاد في الاعتِقاد للغزالي ص ٧٥ والمَوَاقِف ج ٨ ص ٤٥ والمَقاصِد للتَّفَتَّازَانِي ج ٤ ص ٦٩ و٧٢ والمُسامرة ص ٧٠.

(٤) المَوَاقِف ج ٨ ص ٤٥ و٤٧ والمُسامرة ص ٧٠ ومُشارِق أنوار العُقُول ج ١ ص ٣٤٧، وفيها كلها: الشَّيْعة. وعقائد الإِمامِيَّة ص ٣٩.

(٥) الموجز لأبي عَمَّار ج ٢ ص ١٤٨ ومُشارِق أنوار العُقُول ج ١ ص ٣٤٧ وشرح غَايَة المُراد ص ٣١ والبعد الحَضارِي ص ٢٢٩ وما بعدها.

(٦) التَّنْبِيه والرَّد ص ١٢١ و١٢٥ و١٣٥.

(٧) الاقتِصاد في الاعتِقاد للغزالي ص ٧٥ والمَوَاقِف ج ٨ ص ٤٥ والمُسامرة ص ٧١ والبعد الحَضارِي ص ٢٣٨.

(٨) الاقتِصاد في الاعتِقاد للغزالي ص ٧٥ وحاشية مُحَمَّد مُحيي الدِّين عبد الحميد على المُسامرة ص ٧٠.

ولكن الْمُعْتَزِلَة ناقضوا في نفى الصفات في صفتي الكلام والإرادة، فاعتبروهما معنيين وراء الذات - أي صفتين زائدتين على ذاته - . وزعموا أنها مُحَدَّثَتان قائمتان بذواتهما، غير قائمتين

واحتجوا على قولهم هذا:

بأن القول بتعدد القدماء - الذات والصفات - كفرٌ بالإجماع، وبه كفر التَّصَارِيُّ حين قالوا: الذات الإلهية أقانيم ثلاثة قديمة.

ورُدَّ: بأن الكفر إثبات ذوات قديمة، لا إثبات ذات واحدة وصفات قدماء<sup>(١)</sup>.

ثم إن نفي الصفات يجعل الألوهية فكرة مجردة. لا مضمون فيها<sup>(٢)</sup>.

قال الفخر الرازي: (المُشَبَّه يَعْبُدُ صَنَمًا، وَالْمُعْطَلُّ يَعْبُدُ عَدَمًا).

وقال ابن تيمية: (إنَّ إثباتَ حيِّ عَلِيمٍ قَدِيرٍ حَكِيمٍ سَمِيعٍ بَصِيرٍ، بلا حياة ولا علم ولا قدرة ولا حكمة ولا سمع ولا بصر، مكابرةٌ للعقل كإثبات مُصَلٍّ بلا صلاة، وصائم

بذاته تعالى، فالإرادة يخلقها في غير محل، والكلام يخلقه في جسم جهاد، ويكون هو المتكلم به. / شَرْحُ قَائِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا عَلَى الْمُسَايَرَةِ، وَحَاشِيَةُ مُحَمَّدٍ مُجِيبِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ص ٧٠-٧١. وانظر: المَوَاقِفُ وشرحه ج ٨ ص ٨٥ و٩٢ و٩٥ والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٧٥.

أما الفلاسفة فلم يتناقضوا إلا في الكلام فقالوا: إنه متكلم، بمعنى: أنه يخلق في ذات النبي ﷺ سَمَاعَ أصوات منظومة، إما في النوم أو في اليقظة، ولا وجود لتلك الأصوات في الخارج البتة، وإنما يقتصر وجودها على سماع النبي كالنائم حين يرى أشخاصاً، أو يسمع أصواتاً لا وجود لها في الخارج، وإنما وجودها في دماغه، حتى لو فرض أن بجوار النائم أشخاصاً لم يسمعوها. ورُدَّ:

أ- بأنه لو كان متكلماً بكلام غيره، لجاز أن يكون متحركاً ومصوتاً بحركة غيره وصوته، وذلك محال.

ب- وإذا أرجعنا معرفة النبي ﷺ إلى أضغاث الأحلام، فذلك لا يكون علماً، ويكون الشرع كله مردوداً، لانعدام الثقة به. / حَاشِيَةُ مُحَمَّدٍ مُجِيبِي الدِّينِ عَلَى الْمُسَايَرَةِ ص ٧٠-٧١. وانظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٧٨-٧٩.

(١) المَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٤٧-٤٨ وذكر أن هذه الحجة التي ردها هي حجة المُعْتَرِزَةِ وَالشَّيْخَةِ. وانظر: المَقَاصِدُ وشرحه للفتنَّازاني ج ٤ ص ٨٠ و٨٢ وشرح الخريدة للذَّردِيرِ وَحَاشِيَةُ الصَّاوِيَّ عَلَيْهِ ص ٨٢-٨٣.

(٢) دراسات في الفرق ص ٢٤٢ و٢٤٥.

بلا صيام، وقائم بلا قيام<sup>(١)</sup>.

وقد صَوَّرَ السَّيِّدُ الشَّرِيفُ الْجُرْجَانِيُّ مَذْهَبَ الْمُعْتَزِلَةِ وَمِنْ وَافَقَهُمْ بِقَوْلِهِ: (فَإِنْ قُلْتُ: كَيْفَ يُتَصَوَّرُ كَوْنُ صِفَةِ الشَّيْءِ عَيْنَ حَقِيقَتِهِ، مَعَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَوْصُوفِ وَالصِّفَةِ يَشْهَدُ بِمُغَايِرَتِهِ لِصَاحِبِهِ؟ وَهَلْ هَذَا إِلَّا كَلَامٌ مُخِيلٌ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُقَ بِهِ، كَمَا فِي سَائِرِ الْقَضَايَا الْمُخِيلَةِ، الَّتِي يَمْتَنَعُ التَّصَدِّيقُ بِهَا؟ فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى بَطْلَانِهِ.

قُلْتُ: لَيْسَ مَعْنَى مَا ذَكَرُوهُ، أَنَّ هُنَاكَ ذَاتًا وَلَهُ صِفَةٌ، وَهُمَا مُتَّحِدَانِ حَقِيقَةً، كَمَا تَخِيلَتُهُ، بَلْ مَعْنَاهُ: أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى يَتَرْتَبُ عَلَيْهِ مَا يَتَرْتَبُ عَلَى ذَاتٍ وَصِفَةٍ مَعًا. مِثْلًا: ذَاتُكَ لَيْسَتْ كَافِيَةً فِي انْكَشَافِ الْأَشْيَاءِ عَلَيْكَ، بَلْ تَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى صِفَةِ الْعِلْمِ، الَّتِي تَقُومُ بِكَ، بِخِلَافِ ذَاتِهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ لَا يَحْتَاجُ فِي انْكَشَافِ الْأَشْيَاءِ وَظُهُورِهَا عَلَيْهِ إِلَى صِفَةٍ تَقُومُ بِهِ، بَلِ الْمَفْهُومَاتُ بِأَسْرَها مَنكشِفَةٌ عَلَيْهِ لِأَجْلِ ذَاتِهِ تَعَالَى، فَذَاتُهُ هَذَا الْإِعْتِبَارُ حَقِيقَةُ الْعِلْمِ، وَكَذَا الْحَالُ فِي الْقُدْرَةِ، فَإِنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى مُؤَثَّرَةٌ بِذَاتِهَا، لَا بِصِفَةٍ زَائِدَةٍ عَلَيْهَا، كَمَا فِي ذَوَاتِنَا فَهِيَ هَذَا الْإِعْتِبَارُ حَقِيقَةُ الْقُدْرَةِ، وَعَلَى هَذَا تَكُونُ الذَّاتُ وَالصِّفَاتُ مُتَّحِدَةً فِي الْحَقِيقَةِ، مُتَغَايِرَةً بِالْإِعْتِبَارِ وَالْمَفْهُومِ. وَمَرْجِعُهُ إِذَا حَقَّقَ: إِلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ مَعَ حَصُولِ نَتَائِجِهَا وَثَمَرَاتِهَا مِنَ الذَّاتِ وَحْدَهَا<sup>(٢)</sup>.

وَالَّذِي أَرَاهُ:

أَنَّ هَذَا الْإِخْتِلَافَ بَيْنَ الْأَشَاعِرَةِ وَمُوَافِقِهِمْ وَبَيْنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَمُوَافِقِهِمْ يَنْتَهِي جَمِيعًا إِلَى الْقَوْلِ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَنْزِيهِهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَهَذَا الْخِلَافُ لَا يُؤْدِي إِلَى تَكْفِيرِ أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ.

(١) دراسات في الفرق ص ٢٤٢ وفيه قول الرَّازِيّ، وأورد د. عِرْفَانُ عَبْدِ الْحَمِيدِ فِي هَامِشِ ص ٢٤٦ قول ابن تَيْمِيَّةَ نَقْلًا عَنْ كِتَابِهِ الثُّبُوتَاتُ ص ٤٢. وَأورد فِيهِ أَيْضًا بَيَانَ الْفَرْقِ وَأَسَاسَهُ بَيْنَ النِّفْيِ الْمَحْضِ لِلصِّفَاتِ عِنْدَ الْفَلَّاسِفَةِ الْمُؤْدِي إِلَى التَّعْطِيلِ الْكَامِلِ، وَبَيْنَ النِّفْيِ الْمَعْتَدِلِ عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ، حِينَ أَثْبَتُوا أَنَّ صِفَاتَهُ عَيْنُ ذَاتِهِ، وَنَفَوْا زِيَادَتَهَا عَلَى ذَاتِهِ.

(٢) شَرْحُ الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٤٧.

إِلَّا أَنَّ سِيَاسَةَ الْمُعْتَزِّلَةِ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ وَالْوَائِقِ، انْتَهَجَتْ سَبِيلَ الشَّدَةِ تَجَاهِ مَخَالِفِهِمْ، فَوَسَّعَتْ شُقَّةَ الْخِلَافِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ.

وَلَكِنْ حِينَ وَضَحْتَ الْمَعَالِمَ، وَمَحَصْتَ الْأَقْوَالَ، وَهَدَأْتَ النُّفُوسَ، ذَكَرَ الْمُتَكَلِّمُونَ: بِأَنَّ هَذَا النِّزَاعَ لَا يَعْنِي تَكْفِيرَ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ.

قَالَ الْإِمَامُ الدَّوَّانِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ: (وَاعْلَمْ أَنَّ مَسْأَلَةَ زِيَادَةِ الصِّفَاتِ وَعَدَمَ زِيَادَتِهَا، لَيْسَتْ مِنَ الْأَصُولِ الَّتِي يَتَعَلَّقُ بِهَا تَكْفِيرُ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ. وَقَدْ سَمِعْتُ بَعْضَ الْأَصْفِيَاءِ أَنَّهُ قَالَ: عِنْدِي إِنْ زِيَادَةُ الصِّفَاتِ وَعَدَمُ زِيَادَتِهَا وَأَمْثَالُهَا، مِمَّا لَا يَدْرِكُ إِلَّا بِالْكَشْفِ، وَمَنْ أَسْنَدَهُ إِلَى غَيْرِ الْكَشْفِ، فَإِنَّمَا يَتَرَاءَى مِنْهُ مَا كَانَ غَالِبًا عَلَى اعْتِقَادِهِ بِحَسَبِ النَّظَرِ الْفِكْرِيِّ، وَلَا أَرَى بِأَسَافٍ فِي اعْتِقَادِ أَحَدِ طَرَفِي النِّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ<sup>(١)</sup>).

وَحَتَّى أَنْ الْإِمَامَ مُحَمَّدَ عَبْدَهُ نَهَى عَنِ الْخَوْضِ فِيهَا، لِأَنَّ الْبَحْثَ فِيهَا بَعِيدٌ عَنْ مَقْصِدِ الشَّرْعِ، فَقَالَ: (أَمَّا كَوْنُ الصِّفَاتِ زَائِدَةً عَلَى الذَّاتِ... فَمِمَّا لَا يَجُوزُ الْخَوْضُ فِيهِ، إِذْ لَا يُمْكِنُ لِعُقُولِ الْبَشَرِ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ، وَالْإِسْتِدْلَالُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ بِالْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ ضَعْفٌ فِي الْعَقْلِ وَتَغْيِيرٌ بِالشَّرْعِ، لِأَنَّ اسْتِعْمَالَ اللَّغَةِ لَا يَنْحَصِرُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَلَكِنْ انْحَصَرَ فِيهَا فَوْضَعُ اللَّغَةِ لَا تَرَاعَى فِيهِ الْوُجُودَاتُ بِكُنْهَاتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ، وَإِنَّمَا تِلْكَ مَذَاهِبُ فِلَسْفَةٍ إِنْ لَمْ يَضَلْ فِيهَا أَمْثَلُهُمْ، فَلَمْ يَهْتَدِ فِيهَا فَرِيقٌ إِلَى مُقْنَعٍ، فَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْوُقُوفُ عِنْدَ مَا تَبَلَّغَهُ عُقُولُنَا)<sup>(٢)</sup>).

وَإِنَّمَا مَرَرْنَا عَلَى هَذَا الْاِخْتِلَافِ بِسُرْعَةٍ، حَتَّى يَتَضَحَّ لِلْقَارِئِ صِحَّةُ مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ الدَّوَّانِيُّ، وَيَتَعَرَّفُ عَلَى مَنَاجِجِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي تَفْسِيرِ الصِّفَاتِ.

(١) حَاشِيَةُ الدَّوَّانِيِّ عَلَى الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ ج ١ ص ٣٠٠-٣٠١. وَانْظُرْ: خَيْرُ الْقَلَائِدِ ص ٤٥.

(٢) رِسَالَةُ التَّوْحِيدِ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدَ عَبْدَهُ ص ٥٢.

## سبب ظهور المشكلة:

اختلف الباحثون في سبب ظهور مشكلة الصفات الإلهية على قولين:  
القول الأول: ظهرت بتأثير أجنبي خارجي. لكنهم اختلفوا في هذا المصدر على أقوال:

١ - علم الكلام المسيحي. وخاصة عن طريق كتابات القديس يوحنا الدمشقي، بحجة: التشابه بين الفكرين المسيحي والإسلامي في أكثر من فكرة في معالجة هذه المشكلة، ويؤيد هذا الرأي:

ما قاله الشَّهرستاني في صدد الرد على أبي الهذيل العلاف: (وإذا أثبت أبو الهذيل هذه الصفات وجوهاً للذات، فهي بعينها أقانيم النَّصارى).  
٢ - اليهودية. بحجة:

أن قول المُعتزلة: (القرآن مخلوق)، مقتبس من قول اليهود (التوراة مخلوقة).  
قال ابن الأثير في تاريخه (الكامل): (إن أول من نشر مقالة خلق القرآن هو ليبيد بن الأعصم، ثم أخذ ابن أخته طالوت هذه المقالة عنه، وصنّف في القرآن. فكان أول من فعل ذلك في الإسلام، وكان طالوت هذا زنديقاً، فأفشى الزندقة).  
وذكر ابن قتيبة أن: (أول من قال بخلق القرآن هو المغيرة بن سعيد العجلي، وكان من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي).  
٣ - الفلاسفة:

وذلك للصلات الفكرية بين الفلاسفة والمتكلمين، وخاصة بين المعتزلة وبين الفلسفة اليونانية.

القول الثاني: ظهرت نتيجة حتمية للتطور الفكري داخل الإسلام نفسه، بحجة:

١ - أن المشكلة ظهرت نتيجة النقاش الديني، الذي دار في صفوف الخوارج حول مرتكب الكبيرة، الذي جرّ إلى بحث مشكلة القضاء والقدر، ثم مشكلة

## الصفات الإلهية.

٢- التمسك بحرفية الصفات الخبرية الواردة في القرآن الكريم، وحمل تلك الصفات على معانيها الحقيقية دون المجاز، الذي تطور من مشكلة لغوية إلى فلسفية بمعناها المصطلح<sup>(١)</sup>.

### تاريخ المشكلة:

أول من نفى الصفات الإلهية هو الجعد بن درهم، وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وقد بنى الجهم فكرته على ركنين هما:

أ- لغوي: قال جهم: المائلة هي الاشتراك في الاسم. ولذلك كان يقول: لا أصف البارئ تعالى بوصف يجوز إطلاقه على غيره كحي وعالم ومريد.... ولذا أثبت الجهم لله تعالى صفة القدرة والخلق والإيجاد، لأنه لا أحد يوصف بهذا من الخلق.

ب- فلسفي: كان الجهم جبرياً، فنفى القدرة الإنسانية والاستطاعة، فالإنسان مجبر في أفعاله جميعاً.

وجاء المعتزلة فنفوا الصفات الإلهية. ويعتبر واصل بن عطاء شيخ المعتزلة أول من نفى الصفات منهم، قال: (من أثبت معنى أو صفة قديمة فقد أثبت إلهين)<sup>(٢)</sup>.

### صفات المعاني وتعلقاتها

صفات المعاني سبع: القدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والعلم، والكلام، والحياة.

ومعنى التعلق هو: اقتضاء الصفة أمراً زائداً على قيامها بالذات، كإقتضاء العلم

(١) دراسات في الفرق ص ٢٢٧-٢٣١، وأشار إلى الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٦٣ والكامل لابن الأثير ج ٧ ص ٤٩ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ١٤٨.

(٢) دراسات في الفرق ص ٢٣٢-٢٣٦.

مَعْلُومًا يَنْكَشِفُ بِهِ، واقتضاء الإرادة مُرَادًا يَتَخَصَّصُ بِهَا، واقتضاء القدرة مقدوراً يَتَأْتِي بِهَا إِيجَادُهُ وَإِعْدَامُهُ، واقتضاء السمع مسموعاً يُسْمَعُ بِهِ، واقتضاء البصر مُبْصَراً يُبْصَرُ بِهِ، واقتضاء الكلام معنى يَدُلُّ عَلَيْهِ. أما الحياة فلا تقتضي شيئاً زائداً على الذات، لأنها صفة تصحح الإدراك لمن قامت به من غير أن تطلب أمراً زائداً على قيامها بمحلها<sup>(١)</sup>.

والمتعلق قد يتعلق بالواجب والمستحيل والممكن، وهو العلم والكلام. أو يتعلق بالممكن فقط، وهو القدرة والإرادة. أو يتعلق بالواجب والممكن، وهو السمع والبصر<sup>(٢)</sup>.

### ١- القدرة

هي صفة أزلية يَتَأْتِي بِهَا إِيجَادُ كُلِّ مُمْكِنٍ وَإِعْدَامُهُ<sup>(٣)</sup>.

وضدها: العجز.

الدليل العقلي على ذَلِكَ:

أ- هو أنه تعالى لو لم يَتَّصِفْ بِالْقُدْرَةِ، لكان عَاجِزاً.

ولو كان عَاجِزاً، لما وجد شيء من هَذِهِ الْحَوَادِثِ الْمُحْكَمَةِ الصَّنْعَةِ الْمُرْتَبَةِ الْمُتَقَنَةِ، وعدم وجود شيء من الحوادث باطل بالمشاهدة والحس<sup>(٤)</sup>.

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٧٨-٨١ وَحَاشِيَةُ الصَّاوِي عَلَيْهِ، وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلصَّاوِي ص ١٩٤-١٩٥.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٤٢.

(٣) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٧٢ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ٩٩.

(٤) انظر: حَاشِيَةُ مُحَبِّي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَلَى الْمَسَامَرَةِ ص ٥٨ وَأُصُولُ الدِّينِ لِلْغَزْنَوِيِّ ص ٩٦ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ١٦٧.



ب- الله صانع قديم، له مصنوع حادث، وكل من كان كذلك تجب له القدرة، فالله تجب له القدرة<sup>(١)</sup>. فصدور الحادث عن القديم، لا يتصور إلا بطريق القدرة.

ج- لو كان عاجزاً، لكان ناقصاً، والنقص على الإله محال.

د- لو كان عاجزاً، لكان ناقصاً.

ولو كان ناقصاً، لاحتاج إلى من يكمله، ومكمّله يحتاج إلى مكمل آخر... وهكذا، فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل.

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ - البقرة ١٠٩.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ - فاطر ٤٤.

تعلق القدرة:

١- لا تتعلق القدرة إلا بالممكن دون الواجب والمستحيل<sup>(٢)</sup>. أي: لا تؤثر القدرة إلا في الممكنات فقط، لأن الممكن هو الذي يقبل الوجود والعدم.

أما الواجب: فلا يقبل التأثير، لأن القدرة إن تعلقت بالواجب فلا يصح أن تعدمه، لأنه موجود لا يقبل العدم، ولا يصح أن توجده لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل.

وكذا المستحيل: لا يقبل التأثير أيضاً، لأن القدرة إن تعلقت بالمستحيل فلا يصح أن توجده، لأنه معدوم لا يقبل الوجود، ولا يصح أن تعدمه لأنه يلزم منه تحصيل

(١) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢٢. وانظر: المقاصد وشرحه ج ٤ ص ٩٢-٩٥.

(٢) المُسامرة ص ٦٢ وشرح الجوهرة للباجوري ص ١٢١. وانظر: المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٦٠ وشرح أم البراهين للسنوسي وحاشية الدسوقي عليه ص ٩٨.

الحاصل<sup>(١)</sup>.

فإن سأل سائل:

هل يقدر الله تعالى أن يوجد إلهاً مثله؟ أو نحو ذلك من التأثير في الواجب والمستحيل؟

فجوابه هو: أن هذا وإن ورد بصيغة السؤال، فليس بسؤال حقيقة، وإنما هو تأليف كلام فارغ، ذلك لأنه لو أوجد الله تعالى شريكاً له، لم يكن هذا الشريك واجب الوجود، لأنه مسبوق بالعدم....

فهذا السؤال كقول القائل لك: هل تتكرم عليّ بأن تكون مشاهداً أمامي وغائباً عني في لحظة واحدة؟ فهو سؤال لا معنى له، ولا فائدة من ورائه، كأني كلام مختلط، لم يقل صاحبه شيئاً يحتاج إلى جواب، إنما هو تصوّر وهمي يشبه أسئلة الطفل الفارغة التي لا معنى لها.

فالسائل هذا يحتاج إلى تعلّم ما هو المستحيل والواجب والممكن، وجوابك له يكون من قبيل تعلّم الجاهل لا جواب السائل<sup>(٢)</sup>.

قال الباجوري: ولذلك شنع السنوسي في شرح الصغرى على ابن حزم، في قوله: الله قادر أن يتخذ ولداً، وإلا كان عاجزاً<sup>(٣)</sup>.

٢- للقدرة تعلقات، منها:

أ- تعلق صلوحى قديم. أي: أن قدرة الله تعالى صالحة في الأزل لأن توجد وتعدم الممكنات فيما لا يزال، فهي صالحة أزلاً لإيجاد الممكن وإعدامه.

(١) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢١.

(٢) كبرى اليقينية الكونية ص ١٣٧-١٤٠.

(٣) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢١. وانظر التشيع المذكور في: شرح أم البراهين للسنوسي (العقيدة الصغرى) ص ١٠٤.

ب- تعلق تَنْجِيزِيّ حادث. أي: أنه تعالى يوجد الممكن ويعدمه فيما لا يزال بقدرته<sup>(١)</sup>.

٣- القدرة صفة من شأنها تنفيذ ما خصصته الإرادة، كإخراج الممكن من العدم إلى الوجود فعلاً إذا توجهت إلى إيجاده. أو صرفه من الوجود إلى العدم إذا توجهت الإرادة إلى إعدامه<sup>(٢)</sup>.

## ٢- الإرادة

صفة أزلية، تخصّص الممكن ببعض ما يجوز عليه، من وجود أو عدم، ومقدار وزمان ومكان وجهة<sup>(٣)</sup>. وترادفها المشيئة<sup>(٤)</sup>.

وضدها: الإكراه، أو الكراهية، أي: عدم الإرادة<sup>(٥)</sup>.

الدليل العقلي على ذلك:

١- الله صانع للعالم بالاختيار، وكلّ مَنْ كان كذلك تجب له الإرادة، فالله تجب له الإرادة<sup>(٦)</sup>.

٢- لو لم يكن الله تعالى مُريدًا، لكان مُكرهاً.

(١) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢٠-١٢١ وشرح السنوسية للباجوري ص ٦٣ ورسالة في التوحيد للطائي ص ٤٣.

(٢) رسالة في التوحيد للطائي ص ٤٧.

(٣) شرح الخريدة للذردير ص ٧٢.

(٤) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢٢. وهناك من فرق بين المشيئة والإرادة. / انظر: شرح الفقه الأكبر لعلّي القاري ص ٣٩.

(٥) شرح الخريدة للذردير ص ٨٦.

(٦) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٢٤ وشرح المقاصد ج ٤ ص ١٢٨.

ولو كان مُكْرَهًا، لكان عَاجِزًا.

ولو كان عَاجِزًا، لما وجد شيء من هَذِهِ المخلوقات.

وعدم وجود شيء من هَذِهِ المخلوقات باطل بالمُشاهدة، فثبتت إرادته تعالى<sup>(١)</sup>.

٣- لو لم يكن الله تعالى مريدًا، لكان مُكْرَهًا، والإكراه في حقه تعالى نقص، وهو باطل.

٤- لو كان تعالى مُكْرَهًا لما اتصف بالقدرة، لأن تعلق القدرة موقوف على تعلق الإرادة (أي القصد إلى الفعل)، فلا تتعلق القدرة إلا بما تعلقت به الإرادة.

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ - هود ١٠٧ والبروج ١٦.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ - البقرة ١٨٥.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ - يس ٨٢.

تعلق الإرادة:

الإرادة كالقدرة في التعلُّق. فهي لا تتعلق إلا بالممكن، دون الواجب والمستحيل<sup>(٢)</sup>.

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٧٣.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٢٣ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ٩٨.

وبقوله (الممكن) شمل الخير والشر، أي: أراد الله تعالى الخير والشر، خلافاً للمُعْتَرِكة القائلين بأن إرادة الله لا تتعلق بالشرور والقبائح، أي: يريد الله الخير ولا يريد الشر. / شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٢٤. وانظر: الإنصاف للباقلاني ص ١٥٢.

حُكِيَ أَنَّ الْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارَ الْهَمْدَانِيَّ أَحَدَ شُيُوخِ الْمُعْتَرِكةِ دَخَلَ عَلَى الصَّاحِبِ بْنِ

### وللإرادة تعلقان:

أ- تعلق صُلُوحِيّ قديم، وهو صلاحيتها في الأزل لتخصيص الممكن بالوجود أو بالعدم، وبالغنى أو بالفقر<sup>(١)</sup>.

ب- تعلق تَنْجِيزِيّ قديم. فالإرادة في الأزل متعلقة بتخصيص الحوادث بأوقاتها<sup>(٢)</sup>، وبالصفات التي توجد عليها في الخارج<sup>(٣)</sup>.

فالله تعالى أراد ألا: أن تكون موجوداً، وأن يبعث مُحَمَّدًا رَسُولاً.

### الإرادة لا تستلزم الرضا:

ذكر شارح العقيدة الطحاوية أن الذي عليه أهل السنة والجماعة: أن الله تعالى

عَبَاد، وعنده الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني أحد أئمة أهل السنة، فلما رأى الأستاذ قال: سُبْحَانَ من تنزه عن الفحشاء. فقال الأستاذ فوراً: سُبْحَانَ من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء. فقال القاضي: أيشاء ربنا أن يعصى؟ قال الأستاذ: أيعصى ربنا قهراً؟ فقال القاضي: أرايت إن منعني الهدى وقضى عليّ بالردى أحسن إلي أم أساء؟ فقال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء. فُبْهَتَ الْقَاضِي. / شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١١٤.

والقصة ودلالاتها في شَرْحِ الْفَقْهِ الْأَكْبَرِ لِعَلِيِّ الْقَارِي ص ٩٧ ولفظها له. وفقرتها الأوكلى إلى قوله: سُبْحَانَ من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء، في: شَرْحِ الْعَقَائِدِ النَّسْفِيَّةِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ص ١١٤ و شَرْحِ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٤ ص ٢٧٥.

(١) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٤٤.

(٢) الْمُسَايَرَةُ ص ٦٤.

(٣) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٢٣.

والتنجيز بالنسبة للإرادة هو محض تعلقها بممكن من الممكنات، سواء ظهر هذا الممكن إلى طور الوجود أم لم يظهر بعد، وقد تعلق إرادة الإنسان بعمل من الأعمال، ثم يطويه عن التنفيذ إلى ما بعد سنوات كثيرة، فتسمى إرادته هذه تنجيزية، أي: ليست مجرد قابلية محضة، بل هي توجه فعلي إلى مُرَاد معين. / كبرى اليقينيّات الكونية ص ١٢٦.

يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يُحبّه، فيشاؤه كوناً، ولا يرضاه ديناً.

وخالف في ذلك القَدَرِيَّة والمُعْتَزِلَة، وزعموا أَنَّ الله شاء الإيمان من الكافر، وَلَكِنْ الكافر شاء الكفر، فَرُّوا إِلَى هَذَا، لثلاثا يقولوا: شاء الكفر من الكافر وعذَّبه عليه، وَلَكِنْ صاروا كالمستجير من الرَّمضاء بالنار، فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيها هو شر منه، فإنه يلزمهم أَنَّ مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه - على قولهم - والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى. وهذا من أقبح الاعتقادات، وهو قول لا دليل عليه، بل هو مخالف للدليل...<sup>(١)</sup>.

رَوَى عَمْرُو بْنُ الْهَيْثَمِ قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفِينَةٍ، وَصَحِبْنَا فِيهَا قَدْرِيٍّ وَمَجُوسِيٍّ. فَقَالَ الْقَدْرِيُّ لِلْمَجُوسِيِّ: أَسْلِمَ. قَالَ الْمَجُوسِيُّ: حَتَّى يَرِيدَ اللَّهُ. فَقَالَ الْقَدْرِيُّ: إِنْ اللَّهُ يُرِيدُ، وَلَكِنْ الشَّيْطَانُ لَا يُرِيدُ. قَالَ الْمَجُوسِيُّ: أَرَادَ اللَّهُ، وَأَرَادَ الشَّيْطَانُ، فَكَانَ مَا أَرَادَ الشَّيْطَانُ. هَذَا شَيْطَانٌ قَوِيٌّ. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ قَالَ: فَأَنَا مَعَ أَقْوَاهَا.

وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى حُلُقَةٍ فِيهَا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ. فَقَالَ: يَا هُوْلَاءُ، إِنْ نَاقَتِي سُرِقَتْ، فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيَّ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تُرِدْ أَنْ تُسْرِقْ نَاقَتَهُ فَسُرِقَتْ، فَارُدُّهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا حَاجَةَ لِي فِي دَعَائِكَ. قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: أَخَافُ كَمَا أَرَادَ أَنْ لَا تُسْرِقَ فَسُرِقَتْ، أَنْ يَرِيدَ رَدَّهَا فَلَا تُرَدُّ.<sup>(٢)</sup>

وَمِنْ شَأْنِ الضَّلَالِ كَانَ مِنَ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ وَبَيْنَ الْمَحَبَةِ وَالرِّضَا. فَسَوَّى بَيْنَهُمَا الْجَبَرِيَّةَ وَالْقَدَرِيَّةَ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا:

فَقَالَتِ الْجَبَرِيَّةُ: الْكَوْنُ كُلُّهُ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، فَيَكُونُ مَحْبُوباً مَرْضِياً.

وَقَالَتِ الْقَدَرِيَّةُ: لَيْسَتْ الْمَعَاصِي مَحْبُوبَةً لِلَّهِ وَلَا مَرْضِيَةً لَهُ، فَلَيْسَتْ مَقْدَرَةً وَلَا مَقْضِيَةً، فَهِيَ خَارِجَةٌ عَنْ مَشِيئَتِهِ وَخَلْقِهِ.

(١) شَرَحَ الْعَقِيدَةَ الطَّحَاوِيَّةَ لَابْنُ أَبِي الْعِزِّ ص ٣٢١.

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ص ٣٢٣.

إِلَّا أَنْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَرَّقُوا بَيْنَ الْمَشِئَةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَاسْتَدَلُّوا عَلَى الْمَشِئَةِ وَالْإِرَادَةِ بِأَدَلَّةٍ مِنْهَا:

- ١- قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ - الإنسان ٣٠، والتكوير ٢٩.
- ٢- قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلِّهِ وَمَنْ يَشَاءِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ - الأنعام ٣٩.

٣- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ - الأنعام ١٢٥<sup>(١)</sup>.  
واستدلوا على المحبة والرضا بأدلة منها:

- ١- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ - البقرة ٢٠٥.
- ٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ - الزمر ٧.
- ٣- قوله تعالى عَقِيبَ مَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِكِ وَالظُّلْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَالْكِبَرِ: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ - الإسراء ٣٨.
- ٤- قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ).
- ٥- قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِرُخْصِهِ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ)<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ٣٢٤.

ومعنى الآية ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: أَنْ الْخَلْقُ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَحْكُمُوا فِي الْعَالَمِ ذَرَّةً أَوْ يَسْكُنُوهَا مَرَّةً بَدُونَ إِرَادَتِهِ لَمَا قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ، بَلْ وَلَا أَرَادُوا خِلَافَ مَا هُنَالِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَزَلْ مُوصُوفًا بِإِرَادَتِهِ وَمُرِيدًا فِي الْأَزَلِ وَجُودَ الْأَشْيَاءِ فِي أَوْقَاتِهَا الَّتِي قَدَرَهَا، فَوُجِدَتْ فِيهَا كَمَا عَلِمَهَا وَأَرَادَهَا وَقَدَّرَهَا مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمٍ وَلَا تَأَخُّرٍ وَتَبَدُّلٍ وَتَغْيِيرٍ. / شَرَحَ الْفَقْهُ الْأَكْبَرُ لِعَلِيِّ الْقَارِي ص ٣٩. وَانْظُرْ نَحْوَ هَذَا فِي: الْعَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ وَشَرَحَهَا لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ١٣٣.

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٥.

فإن قيل:

كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يُحبه؟ وكيف يشاءه ويكوّنه؟ وكيف يجتمع إرادته له وبُغضه وكراهته؟

أُجيب: بأن المُراد نوعان: مُراد لنفسه، ومُراد لغيره.

فالمُراد لنفسه: مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مُراد إرادة الغايات والمقاصد.

والمُراد لغيره: قد لا يكون مقصوداً للمُريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته. وإن كان وسيلةً إلى مقصوده ومُراد، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مُراد له من حيث إفضاؤه وإيصاله إلى مُراد. فيجتمع فيه الأمران: بغضه وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقهما. وهذا كالدواء الكريه، إذا عِلِمَ المتناولُ له أن فيه شفاءه، وقطع العضو المتآكل إذا عِلِمَ أن في قطعه بقاء جسده، وكقطع المسافة الشاقة إذا عِلِمَ أنها توصل إلى مُراد ومحبوبه.

بل العاقل يكتفي في إشار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف بمن لا يخفى عليه خافية.

فهو سُبْحَانَهُ يكره الشيء، ولا يُنافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمر هو أَحَبُّ إليه من فوته، من ذلك: أنه خَلَقَ إبليس الذي هو مادة فساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سببٌ لشقاوة كثير من العباد، ومع هذا فهو وسيلةٌ إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه، منها: أن تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات، ومنها: ظهور آثار أسائه القهرية مثل القهار والمُنْتَقِم،

---

وحدِيث: إن الله كره لكم ثلاثاً... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ وَأَحْمَدُ وَالدَّارِمِيِّ وَغَيْرِهِمْ.

وحدِيث: إن الله يحب أن يؤخذ برخصه... إلخ، رواه أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِسندٍ صَحِيحٍ.

انظر تَخْرِيجَ الْحَدِيثَيْنِ فِي هَامِشِ شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيِّ السَّابِقِ.



ومنها: ظهور آثار أسماؤه المتضمنة لحلمه وعَفْوه ومَغْفَرته وسِتره<sup>(١)</sup>.

### ٣، ٤- السمع والبصر

السمع: صفة أزلية شأنها إدراك كل مسموع، وإن خفي<sup>(٢)</sup>.

فهي صفة تَنَكَّشِفُ بها المسموعات من غير آلة. فلا يَغْرُبُ عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يحجب سمعه بُعْدٌ، ويسمع من غير أصمخة وأذان. وضدها: الصَّمَم.

البصر: صفة أزلية شأنها إدراك كل مُبْصَر، وإن لطف<sup>(٣)</sup>.

فهي صفة تَنَكَّشِفُ بها المرئيات من غير آلة، فلا يغيب عن بصره مرئي وإن دَقَّ، ولا يدفع رؤيته ظلام، ويرى من غير حَذَقَة وأجفان. وضدها: العَمَى.

(١) شَرَحَ الْعَقِيدَةَ الطَّحَاوِيَّةَ لابن أبي العزّ ص ٣٢٧-٣٢٩.

وفي شَرَحِ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٤ ص ١٣٧: مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ كُلَّ مَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى فَهُوَ كَائِنٌ، وَأَنَّ كُلَّ كَائِنٍ فَهُوَ مُرَادٌ لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَرْضِيّاً وَلَا مَأْمُوراً بِهِ، بَلْ مِنْهُياً عَنْهُ، وَهَذَا مَا اشْتَهَرَ مِنَ السَّلَفِ: أَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. وَخَالَفَتِ الْمُعْتَزِلَةُ ...

(٢) الْمُسَامَرَةُ ص ٦٨.

ذَكَرَ الرَّازِيُّ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، لَكِنْهُمْ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ عَلَى قَوْلَيْنِ: الْأَوَّلُ: إِنَّهُمَا صِفَتَانِ زَائِدَتَانِ عَلَى الْعِلْمِ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ وَمِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْكَرَامِيَّةِ.

الثَّانِي: إِنَّهُمَا عِبَارَةٌ عَنْ عِلْمِهِ تَعَالَى بِالْمَسْمُوعَاتِ وَالْمُبْصَرَاتِ، وَهُوَ قَوْلُ الْفَلَّاسِفَةِ وَالْكَعْبِيِّ وَأَبِي الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ.

الْمُحَصِّلُ لِلرَّازِيِّ ص ١٧١. وَانْظُرْ: كَشَفَ الْمُرَادِ ص ٣١٤.

(٣) الْمُسَامَرَةُ السَّابِقُ.

فهاتان الصفتان ليستا محدودتين. خلافاً لسمع الإنسان وبصره.

وانكشاف جميع الموجودات بالسمع والبصر يغيّر الانكشاف بالعلم، كما أن الانكشاف بإحدهما يغيّر الانكشاف بالأخرى<sup>(١)</sup>، ولكل حقيقة يُفَوِّضُ علمُها لله تعالى، وليس الأمر على ما نعهده من أن البصر يفيد بالمشاهدة وضوحاً فوق العلم، بل جميع صفاته تامةٌ كَامِلَةٌ، يستحيل عليه الخفاءُ والزِّيَادَةُ والنقصُ إلى غير ذلك<sup>(٢)</sup>.

### الدليل العقلي على ذلك:

أ- السمع والبصر صفتا كمال، وقد اتصف بهما المخلوق، فهو تعالى الأحقُّ بالتصاف بهما. وإلا لزم أن يكون للمخلوق من صفات الكمال ما ليس للخالق<sup>(٣)</sup>.

ب- هو أن الله تعالى لو لم يتصف بالسمع والبصر، لزم أن يتصف بضدهما، وإذا ثبت اتصافه بضدهما، كان ذلك نقصاً، والنقص عليه محال<sup>(٤)</sup>.

فثبت اتصافه بالسمع والبصر.

ج- لو ثبت اتصافه بالصَّمَمِ والْعَمَى، لكان ذلك نقصاً.

ولو كان ناقصاً، لاحتاج إلى من يكمله، ومكمّله يحتاج إلى مكمل آخر... وهكذا، فيلزم الدَّورُ أو التسلسل، وكلاهما باطل.

### الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ - الحج ٧٥، ولقمان ٢٨.

(١) شرح الخريدة للذّرير ص ٨١ وشرح الجوهرة للباجوري ص ١٣٢.

(٢) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٣٢.

(٣) المُسامرة ص ٦٩.

(٤) انظر: المُسامرة ص ٦٩ وشرح أمّ البراهين للسّنوسي وحاشية الدُّشوقي عليه ص ١٧٠ وأصول الدين للغزنوي ص ٩٨.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ - الشُّورَى ١١.

### تعلق السمع والبصر:

اختلف العلماء في متعلق السمع والبصر على قولين:

**القول الأول:** السمع والبصر يتعلقان بكل الموجودات: الأصوات والذوات. وهو قول السُّنُوسِيِّ<sup>(١)</sup> والدَّرْدِيرِ<sup>(٢)</sup>. فسمعه وبصره تعالى يخالفان سمعنا وبصرنا في التعلق، لأن سمعنا يتعلق ببعض الموجودات وهي الأصوات المسموعة، وبصرنا يتعلق ببعض الموجودات كالأجسام وألوانها<sup>(٣)</sup>.

وللسمع والبصر على هذا القول - إنهما يتعلقان بكل موجود - ثلاث تعلقات:

أ- تعلق تَنْجِيزِيٍّ قديم، وهو التعلق بذات الله تعالى وصفاته.

ب- تعلق صُلُوحِيٍّ قديم، وهو التعلق بنا قبل وجودنا.

ج- تعلق تَنْجِيزِيٍّ حادث، وهو التعلق بنا بعد وجودنا<sup>(٤)</sup>.

**القول الثاني:** صفة السمع تتعلق بالمسموعات، وصفة البصر تتعلق بالمبصرات.

وهو قول السَّعْدِ التَّفْتَارَانِيِّ<sup>(٥)</sup>. لكن احتمال قوله تَفْسِيرَيْن:

أ- إن مُرَادَهُ بالمسموعات في حقنا وهي الأصوات، والمبصرات في حقنا وهي الذوات والألوان. فيكون مخالفاً للسُّنُوسِيِّ ومن تبعه.

(١) شَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسُّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ١٠٩ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣١ نَقْلًا عَنْهُ.

(٢) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٨٠.

(٣) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٨١.

(٤) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٤٩.

(٥) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٢.

ب- أن يكون مُرَادُه المسموعات في حقه تعالى وهي الموجودات: الأصوات وغيرها، والمبصرات في حقه تعالى وهي الموجودات: الذوات وغيرها. فيكون موافقاً للسنوسي<sup>(١)</sup>.

أما المَعْدُومَات فلا تتعلقان بها بالاتفاق، إذ لا يعقل ذَلِكَ، وإلا كانت من قبيل الموجودات<sup>(٢)</sup>.

### ٥- العلم

صفة أزلية تَنَكِّشُفُ المَعْلُومَات عند تعلقها بها<sup>(٣)</sup>.

وضدها: الجهل وما في معناه، كالظن والشك والوهم والذهول والغفلة والنسيان والسهو<sup>(٤)</sup>.

الدليل العقلي على ذَلِكَ:

أ- الله فاعل فعلاً متقناً محكماً، وهذا ظاهر لمن نظر في الآفاق والأنفس والأحياء، ومن كان فعله متقناً كان عالماً.

لأن من رأى خَطَأً حَسَنًا يَتَضَمَّنُ أَلْفَاظاً عَذْبَةً رَشِيقَةً، تدل على معانٍ دقيقة، علم بالضرورة أن كاتبه عالم، فالنتيجة أن الله تعالى عالم<sup>(٥)</sup>.

(١) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٢، وانظر ص ١٤٨.

(٢) كبرى اليقينيّات الكونية ص ١٢٨ و ١٤٠.

(٣) شَرْحُ الْعَقَائِدِ النَّسْفِيَّةِ ص ٨٣.

(٤) رِسَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِيِّ ص ٤٨.

(٥) المَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٦٥ والمَقَاصِدُ وشرحه ج ٤ ص ١١٠. وانظر:

شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٢٧ والمُسَامَرَةُ ص ٥٩ والمَطَالِبُ الْعَالِيَةُ ج ٣ ص ١٠٧ وكَشَفُ

المُرَادِ ص ٣٠٩ والمَعَالِمُ الدِّيْنِيَّةُ ص ٦٩. وقال الشَّهْرَسْتَانِيّ فِي نَهَايَةِ الْإِقْدَامِ ص ٦٧: وَهَذِهِ

طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعريّ.

وهذا يفيد أن الله تعالى لو لم يكن عالماً، لكان جاهلاً.

ولو كان جاهلاً، لما وجد هذا العالم على هذا النظام الدقيق، الذي يدل على أن خالقه عالم بما تقتضيه مصلحته علماً كاملاً.

فثبت أن الله تعالى عالم.

ب- لو كان جاهلاً، لكان ناقصاً، لأن العلم صفة كمال، والجهل صفة نقصان، والنقص على الإله محال<sup>(١)</sup>.

ج- لو كان ناقصاً لاحتاج إلى من يكمله، ومكمّله يحتاج إلى مكمل آخر... وهكذا، فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فثبت علمه تعالى<sup>(٢)</sup>.

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ - لقمان ٢٣.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ - البقرة ٢٩.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ - المائدة ١٠٩ و١١٦.

وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ - الأنعام ٥٩.

تعلق العلم:

١ - يتعلق العلم بجميع المفهومات وجودية كانت أو عدمية. أي: بالممكنات

(١) شرح قاسم بن قطلوبغا على المسائرة ص ٦٠ وأصول الدين للغزوي ص ٩٥.

(٢) انظر: شرح الجوهرية للباجوري ص ١٢٧.

والواجبات والمستحيلات<sup>(١)</sup>، فهو يعلم أزلًا كل الأشياء وجزئياتها تفصيلًا وإجمالًا<sup>(٢)</sup>.

## ٢- تعلق العلم تَنْجِيزِي قديم:

فهو تعالى عالم بالأشياء أزلًا على ما هي عليه. وكونها وجدت في الماضي، أو موجودة في الحاضر، أو توجد في المستقبل، أطوار في المَعْلُومَات، لا توجب تغيراً في تعلق العلم. فالمتغير هو صفة المَعْلُوم لا تعلق العلم.

وليس لها تعلق صُلُوحِي، وإلا لزم الجهل، لأن الصالح للعلم ليس بعالم. ولا تعلق تَنْجِيزِي حادث، لأنه يستلزم سبق الجهل<sup>(٣)</sup>.

## ٦- الكلام

صفة تدلُّ على جميع المَعْلُومَات.

وسياق اختلاف المتكلمين في تحديد هذه الصفة.

وضدها: البَكم.

الدليل العقلي على ذلك:

هو أنه تعالى لو لم يكن متكلمًا، للزم أن يتصف بضده وهو الخرس.

واتصافه بضده نقص، وهو باطل، لأن النقص لا يرضى به المخلوق، فكيف

(١) المُسَامَرَة ص ٦٢ والمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٧٠ وشرح المَقَاصِد ج ٤ ص ١١٨ وشرح الجَوْهَرَة للبَّاجُورِي ص ١٢٦ وشرح أمِّ البَراهِين للسَّنُوسِي وَحَاشِيَة الدُّسُوقِي عليه ص ١٠٦.

(٢) شرح الجَوْهَرَة للبَّاجُورِي ص ١٢٦.

(٣) شرح الجَوْهَرَة للبَّاجُورِي ص ١٢٦ تبعاً للسَّنُوسِي وَصَحَّحَهُ، وَرِسَالَة فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ٤٨.

بالخَالِق؟ فثبت اتصافه بصفة الكلام<sup>(١)</sup>.

وأجمع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على أنه تعالى متكلم، وتواتر عنهم إثبات أنه تعالى متصف بالكلام، فقالوا: أمر تعالى بكذا ونهى عن كذا وأخبر بكذا، وكل ذلك من أقسام الكلام<sup>(٢)</sup>.

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ - النساء ١٦٤.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ - الشورى ٥١.

اختلاف المتكلمين في كلامه تعالى:

لا خلاف لأرباب الملل والمذاهب في كون الباري تعالى متكلماً، وإنما الخلاف في معنى كلامه وفي قدمه وحدوثه<sup>(٣)</sup>.

اختلف المتكلمون في كلامه تعالى على أقوال<sup>(٤)</sup>، أشهرها ما ذكره أهل السنة، والمعتزلة، والشيعة الإمامية، ومبتدعة الحنابلة، والكرامية.

١ - أهل السنة ومنهم الأشاعرة والماتريدية:

قالوا: كلامه تعالى نوعان:

أ - كلام نفسي: وهو الكلام حقيقة، المعبر عنه بالألفاظ، ليس من جنس الأصوات

(١) رسالة في التوحيد للطائي ص ٥٣. وانظر: شرح المقاصد للتفتازاني ج ٤ ص ١٤٣ - ١٤٤ وأصول الدين للغزوي ص ١٠١.

(٢) المواقف وشرحه للسيد الشريف وحاشية عبد الحكيم عليه ج ٨ ص ٩١.

(٣) شرح المقاصد ج ٤ ص ١٤٤. وانظر: المحصل للرازي ص ١٧٢.

(٤) انظر تسعة أقوال في معنى الكلام في: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ١٧٢ ونقلها عنه عليّ القاري في شرح الفقه الأكبر ص ٥٨.

والحروف، بل صفة أزلية قائمة بذاته تعالى، منافية للسكوت والآفة، كما في الخرس والطفولية، وهو بها أمرٌ ناهٍ مخبرٌ وغير ذلك<sup>(١)</sup>، وهو قديم (لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى). وهو قائم بذاته تعالى<sup>(٢)</sup>.

والكلام النفسي هو:

غير العبارات: إذ قد تختلف العبارات بالأزمنة والأمكنة والأقوام<sup>(٣)</sup>، ولا يختلف في ذلك المعنى النفسي، بل قد يدلّ عليه بالإشارة والكتابة، كما يدلّ عليه بالعبارة والطلب، الذي هو معنى قائم بالنفس، واحد لا يتغير مع تغير العبارات، ولا يختلف باختلاف الدلالات<sup>(٤)</sup>.

وغير العلم: إذ قد يخبر الرجل عما لا يعلمه، بل يعلم خلافه، أو يشك فيه<sup>(٥)</sup>.

وغير الإرادة: إذ قد يأمر الرجل بما لا يريده، كالمختبر لعبدِهِ، هل يعطيه أم لا؟<sup>(٦)</sup>.

(١) شَرَحَ الْمَقَاصِدَ ج ٤ ص ١٤٤. وانظر: الْمَوَاقِفَ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٩٣ وشرح الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٢٩.

(٢) الْمَوَاقِفَ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٩٣ و٩٥.

(٣) اختلاف العبارات بالأزمنة، لأن التعبير عن إرسال زَيْد مثلاً قبل وقوعه يكون (ترسل)، وبعد وقوعه يكون (أرسلنا).

واختلافها بالأمكنة، لأن الإشارة إليه إذا كان قريباً يكون (هَذَا)، وإذا كان متوسطاً يكون (ذَاكَ)، وإذا كان بعيداً يكون (ذَلِكَ).

واختلافها بالأقوام، لأن التعبير بالعَرَبِيِّ في الْقُرْآن، وبالسُّرْيَانِيِّ في الزُّبُور، وبالعِبْرِيِّ في التَّوْرَة، وباليُونَانِيِّ في الإنجيل. / حَاشِيَةِ عَبْدِ الْحَكِيمِ عَلَى شَرَحِ الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٩٣-٩٤.

(٤) الْمَوَاقِفَ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٩٣-٩٤.

(٥) الْمَوَاقِفَ وشرحه للسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٩٣-٩٤ والمُسامرة ص ٧٧.

(٦) الْمَوَاقِفَ وشرحه السَّابِق.



والكلام النفسي صورة للعلم الذاتي في النفس، كما أن العلم صورة للمعلوم فيها، ولذا كان كلامه تعالى لا نهاية له كعلمه<sup>(١)</sup>.

وذلك لأن الكلام النفسي ثابت لغة، لأنه شاع إطلاق اسم الكلام والقول على المعنى القائم بالنفس، يقولون: (في نفسي كلام)، و(زوّرت في نفسي مقالة)، وقال الأخطل:

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنما  
جُعِلَ اللسانُ على الفؤاد دليلاً

وفي القرآن الكريم: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ - المجادلة ٨<sup>(٢)</sup>.

ب- كلام لفظي: وهو أصوات وحروف. وهؤلاء يقولون بحدوثه وعدم قيامه بذاته تعالى، وهو القرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة<sup>(٣)</sup>.

فالقرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بحادث، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو حادث. لكنه يمتنع أن يقال: القرآن حادث، إلا في مقام التعليم، لأنه ربما أُوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى النفسي حادث. ولذلك ضرب الإمام أحمد بن حنبل، وحبس على أن يقول بخلق القرآن فلم يرض<sup>(٤)</sup>.

## ٢- المعتزلة والشيعة الإمامية:

كلامه تعالى أصوات وحروف، ولكنها ليست قائمة بذاته تعالى، بل يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ أو الملك جبريل أو النبي، وهو حادث<sup>(٥)</sup>.

(١) من تعليلات السيد محمد رشيد رضا على رسالة التوحيد لمحمد عبده ص ٤٥.

(٢) شرح المقاصد ج ٤ ص ١٥٠. وانظر: شرح الجوهر للباجوري ص ١٣٠ والإنصاف للباقلاني ص ١١٠ وتمهيد الأوائل ص ٢٨٤.

(٣) المواقف وشرحه للسيد الشريف وحاشية عبد الحكيم عليه ج ٨ ص ٩٣-٩٤.

(٤) شرح الجوهر للباجوري ص ١٣٠. وانظر: أصول الدين للغزالي ص ١٠١.

(٥) المواقف ج ٨ ص ٩٢-٩٣ وشرح المسيرة لقاسم بن قطلوبغا ص ٧٩ والمسامرة

فمعنى كونه تعالى متكلماً عندهم: أنه خالق للكلام في بعض الأجسام، لزعمهم أن الكلام لا يكون إلا بحروف وأصوات، فكلام الله تعالى عندهم حادث<sup>(١)</sup>.

فالمُعْتَزَلَةُ يقولون إن الكلام لا يكون إلا حروفاً وأصواتاً، وحينئذٍ فلا يتصف به المَوْلى بحيث يكون قائماً به، لئلا يلزم قيام الحوادث به<sup>(٢)</sup>.

وبقول المُعْتَزَلَةِ قال الإمامية<sup>(٣)</sup>، والزيديّة<sup>(٤)</sup>، والإباضية<sup>(٥)</sup>: إن الكلام قائمٌ بغيره تعالى لا بذاته.

ورَدَّ عليهم الأشاعرة:

بأن هذا القول لا ننكره، بل نقول به، ونسميه كلاماً لفظياً، ونعترف بحدوثه، وعدم قيامه بذاته تعالى، ولكننا ثبت أمراً وراء ذلك وهو الكلام النفسي، الذي نعبر عنه

---

ص ٧٧. وانظر: تمهيد الأوائل ص ٢٨٧ والشَّيْعة بين الأشاعرة والمُعْتَزَلَةِ لهاشم الحسني ص ١٨٩ نقلاً عن كشف الحق للعلامة الحلي ص ١٨ و١٩ وتوحيد الصدوق ص ٢٢٨ وأوائل المقالات للشيخ المفيد ص ١٩.

ورأي المُعْتَزَلَةِ في خلق القرآن في: شرح الأصول الخمسة ص ٥٢٧ والفائق في أصول الدين ص ١٧٩.

(١) شرح الجوهر للباجوري ص ١٣٠. وانظر: حاشية الدسوقي على شرح أمم البراهين ص ١١٤.

(٢) حاشية الدسوقي على شرح أمم البراهين ص ١١٤.

(٣) كشف المراد ص ٣١٥ والباب الحادي عشر وعليه النافع ص ١٦ ومفتاح الباب ص ١٢٤ والشَّيْعة بين الأشاعرة والمُعْتَزَلَةِ لهاشم الحسني نقلاً عن كشف الحق للعلامة الحلي ص ١٨ و١٩ وتوحيد الصدوق ص ٢٢٨ وخلاصة علم الكلام ص ١٢٣.

(٤) المعالم الدنيّة ص ٧٧ والأساس لعقائد الأكياس ص ١٤٨ وخلاصة علم الكلام السابق.

(٥) مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ٦٠ وخلاصة علم الكلام السابق.

بالألفاظ، ونَقُول هو الكلام حقيقة<sup>(١)</sup>.

لَكِن الْمُعْتَزَلَةَ قَالُوا: بَأَن هَذَا الَّذِي تَسْمُونَهُ (الكلام النفسي) رَاجِع إِلَى صِفَةِ الْعِلْمِ  
إِن كَانَ الْمَدْلُولُ خَبَرًا، وَرَاجِع إِلَى صِفَةِ الْإِرَادَةِ إِنْ كَانَ أَمْرًا أَوْ نَهْيًا<sup>(٢)</sup>.

وَحِينَ ذَهَبَ الْمُعْتَزَلَةُ إِلَى هَذَا الرَّأْيِ قَالُوا: الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.

وَذَهَبَ أَيْضًا إِلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ الْإِمَامِيَّةُ<sup>(٣)</sup>، وَالزَيْدِيَّةُ<sup>(٤)</sup>، وَالْإِبَاضِيَّةُ<sup>(٥)</sup>.

وَالْمُعْتَزَلَةُ رَأَوْا أَنَّ مَقَالََةَ أَهْلِ السُّنَّةِ، بَأَن الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، قَدْ يَتَّخِذُهُ  
النَّصَارَى حُجَّةً لِلتَّشْكِكِ، لِحَمْلِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى اعْتِقَادِ: أَنَّ الْمَسِيحَ إِلَهٌ أَوْ قَدِيمٌ قَدَمُ  
الْإِلَهِ.

رَوَى عَنْ (يُوحَنَّا الدَّمَشْقِيِّ) الَّذِي كَانَ فِي خِدْمَةِ الْأُمَوِيِّينَ إِلَى عَهْدِ هِشَامِ بْنِ  
عَبْدِ الْمَلِكِ، أَنَّهُ كَانَ يَلْقَنُ بَعْضَ الْمَسِيحِيِّينَ، لِيَجَادِلُوا الْمُسْلِمِينَ، فَيَقُولُ: (إِذَا سَأَلَكَ  
الْمُسْلِمُ: مَا تَقُولُ فِي الْمَسِيحِ؟ فَقُلْ: إِنَّهُ كَلِمَةُ اللَّهِ. ثُمَّ لِيَسْأَلِ النَّصْرَانِيَّ الْمُسْلِمُ: بِمِ  
سُمِّيَ الْمَسِيحُ فِي الْقُرْآنِ؟ وَلِيَرَفُضْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ حَتَّى يُجِيبَهُ الْمُسْلِمُ، فَإِنَّهُ سَيَضْطَرُّ إِلَى  
أَنْ يَقُولَ: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ  
مِّنْهُ﴾ - النساء ١٧١. فَلْيَسْأَلْهُ عَنْ كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ، أَمْ خَلْقُهُ هِيَ أَمْ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؟ فَإِنْ  
قَالَ مَخْلُوقَةٌ، فَلْيَرُدَّ عَلَيْهِ: بَأَنَّهُ كَانَ وَلَمْ تَكُنْ كَلِمَةً وَلَا رُوحًا. فَإِنْ قُلْتَ ذَلِكَ فَسَيُفْخَمُ

(١) الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٩٣ وَالْمُسَامَرَةُ ص ٧٧ وَشَرْحُ الْمُسَايَرَةِ  
لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٧٩.

(٢) كِبْرَى الْيَقِينِيَّاتِ الْكُونِيَّةِ ص ١٣١.

(٣) خُلَاصَةُ عِلْمِ الْكَلَامِ ص ١٣٤.

(٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

(٥) شَرْحُ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ لِأَطْفَيْشٍ ص ٢٠٥ وَمَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ٥٨ وَالْحَقُّ الدَّامِغُ  
ص ٩٧. وَذَكَرَ الْجَعْفَرِيُّ فِي الْبُعْدِ الْحَضَارِيِّ ص ٣٥٢-٣٥٤ الْخِلَافَ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْإِبَاضِيَّةِ فِي  
مَسْأَلَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ.

المُسْلِم، لأن من يرى هَذَا الرَّأْيَ زنديق في نظر المُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup>.

والمُعْتَزَلَة حين قالوا بخلق القرآن، لم يكن في الحقيقة رداً على النَّصَارَى، وإنما صدر عن مَسْأَلَة فلسفية تتضح فيما قدمناه من رأيهم في صفة الكلام. ولكن مع هَذَا رأوا: أن القول بأن القرآن غير مخلوق، قد يؤدي إلى ما يضاها قول النَّصَارَى في المَسِيح، وإلى القول بتعدد القدماء، كما هو معلوم من قولهم بنفي الصفات كما تقدم. أما الآية: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ - النساء ١٧١. فإن معنى (كلمته) فيها هو:

أنه حصل بكلمة (كن)، من غير مادة معتادة، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ - يس ٨٢. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾ - آل عمران ٥٩.

قال الإمام الغزالي: لكل مولود سبب قريب وبعيد، فالأول: المني، والثاني: قول كن. ولما دل الدليل على عدم القريب في حق عيسى عليه السلام، أضافه إلى البعيد، وهو كن، إشارة إلى انتفاء القريب. وأوضحه بقوله سبحانه: ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ - النساء ١٧١، أي: أوصلها إليها، وحصلها فيها، فجعله كالمني الذي يلتقي في الرحم<sup>(٢)</sup>.

### أَسَاسُ الْخِلَافِ بَيْنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ فِي مَسْأَلَةِ الْكَلَامِ:

قال التَّفْتَازَانِي في شَرْحِ الْمَقَاصِدِ مَبِيناً أَسَاسَ الْخِلَافِ بَيْنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ:

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٥٩ ونقل النص عن كتاب تراث الإسلام. وأشار إليه البوطي في كبرى اليقينيات الكونية السابق.

(٢) روح المعاني ج ٦ ص ٢٤، وانظر ج ٣ ص ١٦٠. وقول الغزالي في كتابه: الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ص ٥٨-٥٩.

(وهو في التَّحْقِيقِ عائد إلى إثبات كلام النفس ونفيه، وأن القرآن هو المتلوُّ هَذَا المؤلف من الحروف الذي هو كلام حسي. وإلا فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي - أي: اللفظي -، ولا لهم في قَدَمِ النفسي لو ثبت - أي: عندهم بالدليل القطعي -)<sup>(١)</sup>.

إذن فالخلاف القائم بين أهل السُّنَّة والمُعْتَزِّلَة ينحصر في تسمية الكلام النفسي.

فالمُعْتَزِّلَة يقولون: بأن الكلام النفسي لا يسمى كلاماً، وإنما هو راجع إلى صفة الإرادة إن كان المدلول أمراً أو نهياً، وراجع إلى صفة العلم إن كان خبراً.

أي: أن هناك معنى لألفاظ القرآن الكريم يتكون منه الأمر والنهي والإخبار المتوجه إلى الناس، فاسم هَذَا المعنى عند المُعْتَزِّلَة هو الإرادة إذا كان أمراً أو نهياً، والعلم إذا كان إخباراً.

أما أهل السُّنَّة فيقولون نسميه الكلام النفسي، وهو صفة زائدة على الإرادة والعلم، قائمة بذاته تعالى<sup>(٢)</sup>.

وجعل البعض الاختلافَ لفظياً<sup>(٣)</sup>.

(١) شَرَحَ الْمَقَاصِد ج ٤ ص ١٤٦. وانظر: الْمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٩٥ والمُعْتَقَدُ الْإِيمَانِيّ شَرَحَ منظومة الشَّيْبَانِيّ ص ١٥-١٦. وما بين الشرطتين من تَفْسِيرٍ هُوَ لِعَلِيّ الْقَارِي فِي شَرَحِ الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ ص ٥٢.

وقال التَّفْتَّازَانِيّ فِي شَرَحِ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ ص ٩٢: (وَتَحْقِيقُ الْخِلَافِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ يَرْجِعُ إِلَى إِثْبَاتِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ وَنَفْيِهِ، وَإِلَّا فَحُجَّتْ لَا نَقُولُ بِقَدَمِ الْأَلْفَاظِ وَالْحُرُوفِ، وَهُمْ لَا يَقُولُونَ بِحُدُوثِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ. وَدَلِيلُنَا مَا مَرَّ أَنَّهُ ثَبَتَ بِالْإِجْمَاعِ وَتَوَاتَرَ النُّقْلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُ تَعَالَى مُتَكَلِّمٌ، وَلَا مَعْنَى لَهُ سِوَى أَنَّهُ مُتَصِفٌ بِالْكَلَامِ، وَیَمْتَنِعُ قِيَامُ الْفَلِظِ الْحَادِثِ بِذَاتِهِ تَعَالَى، فَتَعَيَّنَ النَّفْسِيُّ الْقَدِيمُ...). وَنَقَلَهُ عَنْهُ عَلِيّ الْقَارِي فِي شَرَحِ الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ ص ٤٩.

(٢) انظر: كِبْرَى الْيَقِينِيَّاتِ الْكُونِيَّةِ ص ١٣١. وهو فِي الْمَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٩٥.

(٣) وَضَّحَ أَبُو يَعْقُوبَ الْوَارِثُ الْجَلَانِيّ فِي الدَّلِيلِ طَرِيقِي الْقَائِلِينَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَقَدَمَهُ. فَذَكَرَ أَنَّ

## ٣- مبتدعة الحَنَابِلَة:

كلامه تعالى عبارة عن حرف وصوت، يقومان بذاته تعالى، وهو قديم، حتى غلا بعضهم جهلاً، فقال: الجِلْد والغلاف قديمان، فضلاً: عن المُصَحَف<sup>(١)</sup>.

وهو قول باطل بالضرورة، لأن حصول كل حرف ووجوده لا يمكن تَحَقُّقُهُ إِلَّا بعد انقضاء الحرف الذي قبله، فيكون الحرف الأول منقضيّاً، ويكون الذي بعده أول. وقد علمنا أن ما ينقضي ويتناهي أو يكون له أول، لا يمكن أن يكون قديماً، فيكون حادثاً<sup>(٢)</sup>، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث.

## ٤- الكَرَامِيَّة:

وهؤلاء وافقوا الحَنَابِلَة في أن كلامه تعالى حروف وأصوات، ولكنهم سمّوا ذلك قولاً له، وسلّموا أنه حادث، وقالوا: هو قائم بذاته، لتجوزهم قيام الحوادث به وهو باطل<sup>(٣)</sup>. لأن ما يقوم به الحادث فهو حادث، وقد ثبت أن الله تعالى قديم فيما تقدم.

القائلين بخلق القرآن قصروا على القرآن المتلو المحفوظ في الصدور، وأن القائلين بقدمه قصروا على القرآن القديم الذي هو علم الله وصفته. وعلّق عليه الشيخ إبراهيم أطفيش بأن الاختلاف لفظي بين الفريقين لا غير. / البعد الحضاري ص ٣٩٥.

(١) المَوَاقِف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٩٢ والمسامرة ص ٧٧. وانظر: شرح المُسَايَرَة لِقَاسِم بن قُطْلُوبُغَا ص ٧٩ وشرح الفقه الأكبر لِعَلِيّ القَارِي ص ٣٨.

(٢) شرح المُسَايَرَة لِقَاسِم بن قُطْلُوبُغَا، والمَوَاقِف وشرحه للسيد الشريف، السَّابِقَة.

(٣) المُسَامَرَة، والمَوَاقِف، وشرح المُسَايَرَة لِقَاسِم بن قُطْلُوبُغَا، السَّابِقَة. وقال التَّفْتَازَانِي في شرح المَقَاصِد ج ٤ ص ١٤٥: (ذهب الكَرَامِيَّة إلى أن المُتَنَزَّه من الحروف المسموعة مع حدوثه قائم بذات الله تعالى، وأنه قول الله تعالى لا كلامه، وإنما كلامه قدرته على التكلم، وهو قديم).

### تعلق صفة الكلام:

تتعلق صفة الكلام بالواجبات والممكنات والمستحيلات<sup>(١)</sup>، لأن تعلقها تعلق دلالة وبيان أو أمر ونهي، وقد احتوى بَيَانُهُ تعالى وأمره ونهيه الحَدِيثُ عن الواجب والممكن والمستحيل، كما تشهد بذلك آيات القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

### ٧- الحياة

صفة أزلية توجب صحة العلم والإرادة وبأقي صفات المعاني والمعنوية<sup>(٣)</sup>. وليس معنى الحياة في حقه تعالى، ما يقوله الطبيعي من قوة الحس ولا قوة التغذية ولا القوة

(١) شَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ ص ١١٢.

(٢) كبرى اليقينيّات الكونية ص ١٣٦-١٣٧.

كلامه تعالى صفةً وَاحِدَةً لا تعدد فيها، لكن لها أقسام اعتبارية: فمن حيث تعلقه بطلب فعل الصلاة مثلاً: أمرٌ. ومن حيث تعلقه بطلب ترك الزنا مثلاً: نهْيٌ. ومن حيث تعلقه بأن فرعون فعل كذا مثلاً: خبرٌ. ومن حيث تعلقه بأن الطائع له الجنة: وعدٌ. ومن حيث تعلقه بأن العاصي يدخل النار: وعيدٌ. إلى غير ذلك. وتعلقه بالنسبة لغير الأمر والنهي تعلقٌ تَنْجِيزِيٌّ قديم. أما بالنسبة للأمر والنهي: فإن لم يُشترط فيهما وجود المأمور والمنهي فكذلك (أي: تَنْجِيزِيٌّ قديم). وإن اشترط فيهما ذلك كان التعلق فيهما صُلُوحِيًّا قبل وجود المأمور والمنهي، وتَنْجِيزِيًّا حادثاً بعد وجودهما. / شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٠.

(٣) شَرْحُ الْحَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةِ الصَّاوِيِّ عَلَيْهِ ص ٧٢.

ذكر الرَّازِيّ أن العقلاء اتفقوا على أنه حيٌّ، لكن العلماء اختلفوا في معنى كونه حيّاً على قولين:

الأول: إنه صفةٌ، وهو مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ.

الثاني: معناه هو أنه لا يستحيل أن يكون عالماً قادراً، فليس هناك إلا الذات المستلزمة لانتفاء الامتناع، وهو قول الْجُمْهُورِ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ، وأبي الحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ. / الْمُحَصَّلُ لِلرَّازِيّ ص ١٦٧. وانظر: كَشَفُ الْمُرَادِ ص ٣١٣.

التابعة للاعتدال النوعي التي تفيض عنها سائر القوى الحيوانية<sup>(١)</sup>، ثم إن حياة الله بلا روح، بخلاف حياة الحادث فإنها بالروح<sup>(٢)</sup>.

وضدها: الموت.

الدليل العقلي على ذلك:

أ- الله تعالى عالمٌ قدير، وكلُّ عالمٍ قديرٌ حيٌّ بالضرورة، فاللهُ تجبُّ له الحياة<sup>(٣)</sup>.

ب- الحياة صفة كمال، ونقيضها نقص، والله منزّه عن النقائص<sup>(٤)</sup>.

ج- اتصافه تعالى بضد الحياة، لا يجعله واهب الحياة، لأن فاقد الشيء لا يعطيه<sup>(٥)</sup>.

فوجود هذا العالم البديع صنعته لن يتصور إلا من حيٍّ قدير<sup>(٦)</sup>.

الدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ - البقرة ٢٥٥.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ - غافر ٦٥.

تعلق صفة الحياة:

صفة الحياة لا تتعلق بموجود أو معدوم، فلا تستلزم أمراً زائداً على القيام بمحلها<sup>(٧)</sup>، كما تقدم في بيان معنى التعلق.

(١) المُسامرة ص ٦٢.

(٢) حاشية الصاوي على الدردير ص ٧٢.

(٣) المواقف ج ٨ ص ٨٠ والمقاصد وشرحه ج ٤ ص ١٣٨ وشرح الجوهرة للباجوري ص ١٢٩. وانظر: المحيط بالتكليف ص ١٢٨.

(٤) شرح المسامرة لقايسم بن قطلوبغا ص ٦٢.

(٥) رسالة في التوحيد للطائي ص ٤٩.

(٦) أصول الدين للغزالي ص ٩٣.

(٧) شرح أم البراهين للسبسي وحاشية الدسوقي عليه ص ١٠٨.



### ثانياً: ما يستحيل في حقه تعالى

يستحيل على الله تبارك وتعالى أضداد الصفات الواجبة له المتقدمة التي أثبتناها وهي:

الْعَدَمُ ضد الوجود، والحدوث ضد القِدَم، والفناء ضد البَقَاء، والمماثلة للحوادث ضد المخالفة للحوادث، والافتقار إلى المحل والمخصّص ضد القيام بالنفس، والتعدد ضد الوحدانية، والعجز ضد القدرة، والكراهية ضد الإرادة، والصَّمَم ضد السمع، والعمى ضد البصر، والجهل ضد العلم، والبكم ضد الكلام، والموت ضد الحياة<sup>(١)</sup>.

الدليل على ذلك:

أن كل قابل الشيء لا يخلو عنه أو ضده.

وهو تعالى قابل لتلك الصفات الواجبة، فلو لم يتصف بها لزم أن يتصف بأضدادها، وهذه الأضداد نقائص، والنقص عليه تعالى محال. فهذه الأضداد محالة عليه تعالى<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: ما يجوز في حقه تعالى

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه<sup>(٣)</sup>، كالخلق والرحمة والعذاب والإماتة والإحياء....

فلا يجب عليه شيء، فهو الفاعل المُختار المتصرف في ملكه كيف يشاء، لا يشاركه

(١) شرح الخريدة للدردير ص ٨٦ وشرح أم البراهين للسنوسي وحاشية الدسوقي عليه ص ١٢٠ وشرح الجوهرية للباجوري ص ١٦٣-١٦٥ تبعاً للسنوسي، ورسالة في التوحيد للطائي ص ٢٧.

(٢) شرح السنوسية للباجوري ص ١١٤ وشرح الخريدة للدردير السابق.

(٣) شرح أم البراهين للسنوسي وحاشية الدسوقي عليه ص ١٤٦.

في التصرف، ولا يحول دون تصرفه أحد.

وأفعاله جميعاً جارية وفق الحكمة والعدل والصواب، سواء علمت تلك الحكمة أو جهلت<sup>(١)</sup>. وهذا ما ذهب إليه الجمهور.

وخالف في ذلك المعتزلة حين قالوا بوجوب بعض الممكنات عليه تعالى، فإنهم قالوا بوجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى.

وخالف فيه أيضاً البراهمة حين قالوا باستحالة إرسال الرسل مع أنه من الممكنات<sup>(٢)</sup>.

### الدليل العقلي على قول الجمهور:

هو أنه لو وجب عليه تعالى فعل شيء من الممكنات عقلاً، أو استحالة عليه عقلاً، لصار الممكن واجباً أو مستحيلاً، وهو باطل<sup>(٣)</sup>.

### الدليل النقل:

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ - القصص ٦٨.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُزْهِقْكُمْ أَوْ يُنْشِئْ لَكُمُ اسْمًا تَدْعُونَ﴾ - الإسراء ٥٤.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ - يونس ١٠٧.

ومن الجائز عقلاً عليه تعالى رؤيته بالأبصار من قبل المؤمنين في اليوم الآخر.

(١) رسالة في التوحيد للطائفي ص ٢٧ وغاية المرام في عقائد أهل الإسلام للحاج حمدي الأعظمي ص ٣٠.

(٢) حاشية الجوهر للباجوري ص ١٦٦ عن الأمير والشنواني.

(٣) شرح السنوسية للباجوري ص ١١٥ وفيه ذكر الباجوري أن الذي أوجب عليه تعالى شيء من الممكنات عقلاً هم المعتزلة بقولهم بوجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى. والذي قال باستحالة شيء من الممكنات عقلاً عليه تعالى هم المعتزلة بقولهم باستحالة الرؤية عليه تعالى.

## رؤية الله تعالى

### رؤية الله تعالى من قبل المؤمنين في الآخرة

اختلفت فِرَق المُسْلِمِينَ في رؤية الله سُبحَانَهُ من قبل المُؤْمِنِينَ في اليَوْمِ الآخر على قولين:

#### القول الأول:

تجوز الرؤية بالأبصار. وهو قول الأشاعرة والماتريدية وجمهور المسلمين. قالوا: يُرى بالأبصار من غير تكيف بكيفية من الكيفيات المعبرة في رؤية الأجسام، ومن غير إحاطة، بل يحار العبد في العظمة والجلال، حتى لا يعرف اسمه، ولا يشعر بمن حوله من الخلائق، فإن العقل يعجز هنالك عن الفهم، ويتلاشى الكل في جنب عظمة الله تعالى<sup>(١)</sup>.

(١) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٩٣. وانظر: شرح الخريدة للدزير وحاشية الصاوي عليه ص ٩٠-٩١. وفي المسيرة وشرحه المسامرة ص ٤٣: (إن الرؤية نوع علم خاص، يخلقه الله تعالى في الحي، غير مشروط بمقابلة ولا غيرها). وانظر أيضاً: التوحيد للماتريدي ص ٣٩ و ٧٧ وبخر الكلام للنسفي ص ٥٦ وأصول الدين للغزوي ص ١١٦ والإنصاف للباقلاني ص ١٧٦ وعلم الكلام لابن حزم ص ٧٥.

قال الإمام الأشعري في الإبانة ص ٢٥: (وندين بأن الله يرى في الآخرة بالأبصار، كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ). ونحوه في رسالته إلى أهل الثغر ص ٢٣٧.

القائلون بالرؤية من الصحابة: أبو بكر وعلي بن أبي طالب وابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري وابن عباس وابن عمر وأنس وأبو هريرة وزيد بن ثابت وحذيفة ومعاوية وعمار....

ودليله من المنقول:

١- قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۚ﴾ (٢٢) - القيامة. وناصرة: أي: جميلة، وناظرة: من النظر أي: الرؤية.  
ذَلِكَ لِأَنَّ النَّظَرَ:

يفيد الرؤية والمعاينة بالأبصار إذا تعدى بالي، كما في هذه الآية، وفي آية: ﴿أَنْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ - الأنعام ٩٩.

وفيد الانتظار إذا تعدى بنفسه، كقوله تعالى: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْيُسَ مِنْ تُورِكُمْ﴾ - الحديد ١٣.

وفيد معنى التفكير والاعتبار إذا تعدى بفي، مثل: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - الأعراف ١٨٥، ومثل: نظرت في الكتاب والأمر، أي: تفكرت واعتبرت.

وفيد معنى الرأفة إذا تعدى باللام، مثل: نظر السلطان لفلان<sup>(١)</sup>.

ومن التابعين: سعيد بن المسيب وطاوس ومجاهد وعكرمة وعبد الرحمن بن أبي ليلى وقتادة والسبيعي والضحاك بن مزاحم....

ومن الفقهاء: مالك والليث بن سعد والأوزاعي والسفيان وشريك وابن المبارك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبو ثور وإسحاق بن راهويي والطبري وابن خزيمة وعبد الرحمن ابن أبي حاتم... وغيرهم.

انظر أسماء هؤلاء وغيرهم والروايات عنهم في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج ٣ ص ١٣٢ وما بعدها.

(١) شرح العقائد العُصْديَّة للدَّوَّانِي ج ٢ ص ١٧٦ والمواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ١٣٠-١٣١ والإرشاد للجويني ص ١٨٢ وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢٠٩ وحادي الأرواح ص ٢٣٠. وانظر: أصول الدين للبغداد ص ١٠٠. وقارن بما ذكره الأشعري في الإبانة ص ٣٥.

٢- قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ - يُونُس ٢٦. والحُسْنَى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، كما ثبت بحديث صُهَيْب الصَّحِيح<sup>(١)</sup>، قال: إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ - يُونُس ٢٦، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى نادى: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يُثَقَّل موازيننا، ويُبَيِّضْ وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويُجِرْنَا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إليه، قال: فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، ولا أقر بأعينهم<sup>(٢)</sup>.

٣- قوله تعالى: ﴿لَن تَرِنِّي﴾ - الأعراف ١٤٣. والاستدلال بها على الرؤية من وجوه:

أ- إنه لا يُظَنُّ بكليم الله وَرَسُولُهُ الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته، أن يسأل ما

(١) سَرَحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٢١١ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٤١ وَشَرَحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٩١. وانظر: الغنية للشيخ عبد القادر ج ١ ص ٦٢.

قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الزيادة النظر إلى وجهه الكريم. / الإنصاف للباقلاني ص ٤٧.

(٢) سَرَحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٢١١ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٤١.

قال العلماء: كان التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي لا المرئي، والمعنى: ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك، وتتفي معها الريبة، كرؤيتكم القمر، لا ترتابون ولا تمترون. / لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٤٣.

وَحَدِيثُ صُهَيْبٍ فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ، وَاللَّفْظُ لَهُ ج ٤ ص ٣٣٣. وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ فِي: ١ كتاب الإيمان، ٧٨ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سُبْحَانَهُ، رقم ١٨١. وَسُنَنُ التِّرْمِذِيِّ فِي: ٣٥ كتاب صفة الجنة، ١٦ باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى، رقم ٢٥٥٢، ص ٤١٤. وَسُنَنُ ابْنِ مَاجَةَ فِي: الْمُقَدِّمَةِ، ١٣ باب فيما أنكرت الجهمية، رقم ١٨٧، ج ١ ص ٦٧. وقال الشيخ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ج ١ ص ١٢٩: إسناده صحيح. وَذَكَرَ مُحَرَّرِيهِ.

لا يجوز عليه، بل هو من أعظم المحال<sup>(١)</sup>، إذ لا يجوز على أحد من الأنبياء الجهل بشيء من أحكام الألوهية<sup>(٢)</sup>. فكيف يجوز للمُعْتَزَلِيّ - المُنْكَر للرؤية كما سيأتي - أن يكون أعلم من موسى، فيما يجب لله تعالى ويستحيل عليه، مع أن المقصود من بعثة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الدعوة إلى العقائد الحقّة والأعمال الصالحة؟<sup>(٣)</sup>.

ب- قال تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ - الأعراف ١٤٣، ولم يقل: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي. والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كُفٍّ حَجَرٍ، فظنه رجل طعماً، فقال: أَطْعَمْنِيهِ، فالجواب الصّحيح: أنه لا يؤكل. أما إذا كان طعماً، صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل على أن سُبْحَانَهُ مرئي، ولكن موسى لا تحتل قواه رؤيته في هذه الدار - أي: الدنيا -، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى. يوضحه قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ، فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ - الأعراف ١٤٣. فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلى في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف<sup>(٤)</sup>.

٤- قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ - الأنعام ١٠٣.

ووجه الاستدلال بها: أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدّح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، ويكون بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً، كمدحه تعالى بنفي

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٣ وحادي الأرواح ص ٢٢٣ والمسايرة وشرحه المسامرة ص ٤٠ والإنصاف للباقلاني ص ١٧٧ وتمهيد الأوائل ص ٣٠٢ وأصول الدين للبغدادي ص ٩٩ والإرشاد للجويني ص ١٨٣ وبحر الكلام للنسفي ص ٥٧.

(٢) شرح الجوهر للباقر ص ١٩٥. وانظر: المواقف ج ٨ ص ١١٧.

(٣) المسامرة ص ٤٠-٤١ وشرح العقائد العصبية للدواني ج ٢ ص ١٦٨. وانظر: الإبانة للأشعري ص ٤١.

(٤) حادي الأرواح ص ٢٢٣ وشرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٣. وانظر وجوهاً أخرى فيها غير ما ذكرت. وانظر أيضاً: الإبانة للأشعري ص ٤٣.

السَّنة والنوم المتضمن كَمَالِ الْقِيُومِيَّة. وبنفي الموت الذي يتضمن كَمَالِ الْحَيَاة. وبنفي اللُّغُوب والإعياء المتضمن كَمَالِ الْقُدْرَةِ ...

فالآية تدل على كَمَالِ عَظَمَتِهِ، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه يرى، ولكن تعاليه عن التناهي والاتصاف بالحدود والجوانب، لا يدرك بالأبصار، ولا يحاط به، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ - طه ١١٠<sup>(١)</sup>.

٥ - قوله ﷺ: (إِنَّ النَّاسَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: هل نرى ربَّنَا يوم القيامة؟ فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هل تُصَارُّونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قال: فهل تُصَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قال: فإنكم ترونه كَذَلِكَ)<sup>(٢)</sup>.

وعَدَّ ابْنُ الْقَيْمِ فِي حَادِي الْأَرْوَاحِ رُؤَاةً مِنْ رَوَى رُؤْيَا الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ. فزادوا على الحد<sup>(٣)</sup>، نحو ثلاثين صَحَابِيًّا<sup>(٤)</sup>.

وبعد أن ذكر النَّسَفِيَّ وَاحِدًا وَعَشْرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ: ابْنُ عَمْرٍو وَابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَصُهَيْبٌ وَأَنَسٌ... قال: كلهم رووا عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِثْبَاتِ الرُّؤْيَا، فَمِنْ رَدِّ هَذَا فَقَدْ قَصَدَ تَكْذِيبَ هَؤُلَاءِ<sup>(٥)</sup>.

(١) حادي الأرواح ص ٢٢٨ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٢١٤، وانظر وجوهاً أخرى فيها أيضاً. وانظر: التذكرة للقرطبي ص ٤٩٢ وما بعدها.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٢١٦ ولَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٤٣.

وحديث: إن الناس قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ... إلخ، في: صحيح البخاري، واللفظ له، في: ٩٧ كتاب التَّوْحِيدِ، ٢٤ باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٢٢) - القيامة، رقم ٧٤٣٧. وفي صحيح مسلم في: ١ كتاب الإيمان، ٧٩ باب معرفة طريق الرؤية، رقم ١٨٢. وكلاهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) حادي الأرواح ص ٢٣١ وما بعدها، ولَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٤٣.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٢١٧.

(٥) تبصرة الأدلة للنسفي ج ١ ص ٤٠٠، ونقله اللَّامِشِيَّ فِي التَّمْهِيدِ ص ٨٠.

فَالصَّحَابَةُ اتَّفَقُوا عَلَى: أَنَّ اللَّهَ يُرَى فِي الْآخِرَةِ، لَابْتِهَالِهِمْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي طَلَبِ لَذَّةِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَاعْتِقَادِهِمْ بِذَلِكَ، وَقَدْ فَهَمُوا ذَلِكَ بِقَرَائِنٍ مِنْ أَحْوَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجُمْلَةٍ مِنْ أَلْفَاظِهِ الصَّرِيحَةِ الَّتِي لَا تَدْخُلُ تَحْتَ الْحَصْرِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا حُجِبَ أَعْدَاؤُهُ فَلَمْ يَرَوْهُ تَجَلَّى لِأَوْلِيَائِهِ حَتَّى رَأَوْهُ، وَلَوْ لَمْ يَرِ الْمُؤْمِنُونَ رُبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَمْ يُعَيَّرِ الْكَافِرُونَ بِالْحُجَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ - الْمُطَفِّينَ ١٥<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَمَّا أَنَّ حُجِبَ هُوَ لَاءِ فِي السُّخْطِ، كَانَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَوْلِيَائِهِ يَرُونَهُ فِي الرِّضَا<sup>(٣)</sup>.

وَدَلِيلُ الْمَعْقُولِ:

أ- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُوجُودٌ، وَكُلُّ مُوجُودٍ يَصِحُّ أَنْ يُرَى، فَالْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ يَصِحُّ أَنْ يُرَى<sup>(٤)</sup>.

ب- كَمَا جَازَ أَنْ يُعْلَمَ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ كَيْفِيَةٍ وَصُورَةٍ، جَازَ أَنْ يُرَى مِنْ غَيْرِ كَيْفِيَةٍ وَصُورَةٍ<sup>(٥)</sup>.

(١) نَقَلَ الْبَاقِلَانِيُّ فِي الْإِنْصَافِ ص ١٨١ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ عَلَى جَوَازِ الرُّؤْيَةِ فِي الْجُمْلَةِ، أَمَّا الْإِخْتِلَافُ فَكَانَ فِي بَعْضِ الْجُزْئِيَّاتِ. وَذَكَرَ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِهِ الْاِقْتِصَادُ فِي الْاِعْتِقَادِ ص ٤٦ إِمْكَانِيَّةَ دَعْوَى الْاِجْمَاعِ لَابْتِهَالِهِمْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي طَلَبِ لَذَّةِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ. وَانْظُرْ مِنْ ابْتِهَالٍ بِالْاِعْتِقَادِ فِي: حَادِي الْأَرْوَاحِ ص ٢٥٨.

(٢) شَرَحَ الْجَوْهَرَةُ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٩١.

(٣) شَرَحَ الْعَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٢١٢ وَحَادِي الْأَرْوَاحِ ص ٢٢٨. وَانْظُرْ قَوْلَ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فِي كِتَابِهِ أَحْكَامُ الْقُرْآنِ ص ٤٠ وَفِي شَرْحِ أُصُولِ اِعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٣ ص ١٨٤.

(٤) شَرَحَ الْجَوْهَرَةُ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٩١ وَالْإِنْصَافُ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ١٨١ وَتَمْمِيْدُ الْأَوَائِلِ ص ٣٠٢.

(٥) الْمُسَامَرَةُ ص ٤٣.



### القول الثاني:

لا تجوز الرؤية بالأبصار. وهو قول الجهمية<sup>(١)</sup> والمعتزلة<sup>(٢)</sup> والخوارج<sup>(٣)</sup> والإباضية<sup>(٤)</sup> والإمامية<sup>(٥)</sup> والنجارية<sup>(٦)</sup> والزيدية<sup>(٧)</sup> والراوندية<sup>(٨)</sup>.

ودليل هذا القول من المنقول:

قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ - الأعراف ١٤٣، وقوله سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ - الأنعام ١٠٣.

ورُدَّ عليهم: بأن هاتين الآيتين دليل عليهم لا لهم كما تقدم<sup>(٩)</sup>.

وزعم الزمخشري - وهو من المعتزلة - بأن (لن) تفيد التأيد، تأييداً لما ذهبوا

(١) التَّنْبِيْهِ والرَّد ص ١١٦ والإنصاف للباقلاني ص ١٧٦ والمِلل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٤ والمواقف ج ٨ ص ٣٩٩ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٩ و ٣٥١ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٠٧.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٢ والفائق في أصول الدين ص ٥٤ والإبانة للأشعري ص ٥٥ والإنصاف للباقلاني ص ١٧٦ والتمهيد للأمشي ص ٨٢ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٠٧ والمواقف ج ٨ ص ١١٥ وشرح المسيرة لقاسم بن قطلوبغا ص ٣٧.

(٣) الإنصاف للباقلاني ص ١٧٧ والتمهيد للأمشي، وشرح المسيرة لقاسم بن قطلوبغا، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، السابقة.

(٤) مشارق أنوار العقول ج ١ ص ٣٦٢ وشرح غاية المُرَاد ص ٣٦ والحق الدامغ ص ٢٥ والبعد الحضاري ص ٣٠٢.

(٥) كشف المُرَاد ص ٣٢١ والباب الحادي عشر وشرحه النافع ص ٢٢ ومفتاح الباب ص ١٣٨. وفي خلاصة علم الكلام ص ٢٢١ نصوصُ تفيد أن الرؤية للمؤمنين في الآخرة قلبية.

(٦) الإنصاف للباقلاني ص ١٧٦ والتمهيد للأمشي ص ٨٢.

(٧) الأساس لعقائد الأكياس ص ٧٩ والمعالم الدينية ص ٨٢.

(٨) التوحيد للأمشي ص ٨٢.

(٩) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٢١٢.

إليه من استحالة الرؤية. ورُدَّ بها يأتي:

أ- أن (لن) لا تفيد التأييد، والدليل على ذلك: أن الله تعالى أخبر عن اليهود بأنهم لن يتمنوا الموت أبداً، بقوله سبحانه: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ - البقرة ٩٥، مع أنهم يتمنون الموت في الآخرة، ليتخلصوا من العذاب: ﴿وَنَادَوْا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ - الزخرف ٧٧، فلو كانت (لن) للتأييد الشامل للدنيا والآخرة كما يزعم المعتزلة لما جاز أن يتمنى اليهود الموت في الآخرة.

ب- (لن) للتوكيد، بدلالة قوله: (أبداً)، قال ابن مالك:

ومن رأى النفي بـلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضداً

وإذا أريد بها التأييد فهو على تأييد النفي في الدنيا لا بالآخرة، بدلالة (لن) في الآية المتقدمة: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ - البقرة ٩٥<sup>(١)</sup>.

والدليل على نفي الرؤية من المعقول:

أنه لو كان تعالى مرئياً، لكان مقابلاً للرأي بالضرورة، فيكون في جهة وحيز.

ورُدَّ: بأن لزوم الجهة والحيز ممنوع، لأن الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه لا يشترط

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٢١٤ والمواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ١٤٢ وشرح العقائد العُصْديّة للدّوّانيّ ص ١٨٠-١٨١ وأصول الدين للبغداديّ ص ٩٩. والرّدّ في (أ-) ورّد في بحر الكلام للنسفيّ ص ٥٩.

لم يذكر الزّمخشرّي في تفسيره ولا في كتابه (المُفَصَّل في النّحو) أن (لن) تفيد التأييد، وإنما ذكر أنها تفيد تأكيد النفي. ولكن في بعض نسخ كتابه (الأنموذج في النّحو): أن (لن) للتأييد. وفي نسخ أخرى: أنها للتأكيد، كما صرح الأرذبيليّ في شرحه على الأنموذج ص ٢٩٢.

وقال بأن (لن) للتأييد من الإباضية يؤسّف المصعبي وسعيد بن تعاريت. / البعد الحضاريّ

فيها مُقَابَلَةٌ المرئي ولا كونه في جهةٍ وَحِيٍّ ولا غير ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.  
وَأَخِيرًا:

فإن هذا الخلاف ليس بالأمر الخطير، ما دام الفريقان ينزهان الله تعالى عن الجهة والتجسيم.

فالفريق الذي ينكر الرؤية، يريد بإنكارها تنزيه الله تعالى عن الجهة والتجسيم. والفريق الذي يثبت الرؤية، رأى النصوص والأدلة صريحة بإثباتها فأثبتها، لكنه ينزه الله تعالى عن الجهة والتجسيم فقال: يُرى من غير كيفية ولا إحاطة. ثم إن الرؤية التي قالوا بها تكون في الآخرة، وأوضاع الآخرة لا تُشبه الحياة الدنيا، كما هو معلوم.

### رؤية الله تعالى في الدنيا

وانفقت الأمة على أن الله تعالى لا يراه أحدٌ في الدنيا بعينه.

إلا أنهم اختلفوا في رؤية النبي مُحَمَّد ﷺ بالعين ربه في الدنيا، فمنهم من أثبتها،

(١) شرح الجوهرة للباقر ص ١٩٢ والمسامرة ص ٤٣ و٤١ وشرح العقائد العُصْديَّة للدَّوَّانِي ج ٢ ص ١٧٨ وشرح الخريدة للدَّزْدِير ص ٩٣.

إلا أن شارح العقيدة الطحاوية، وهو ممن يشتون صفة العلو لله تعالى، بعد أن جاء بأدلة الرؤية من الكتاب والسنة، قال في ص ٢١٩: (وفيه دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تُعقل رؤية بلا مُقَابَلَة، ومن قال يُرى لا في جهة، فليراجع عقله، فإما أن يكون مكابراً لعقله أو في عقله شيء. وإلا فإذا قال: يُرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، ردَّ عليه كل من سمعه بفطرته السليمة). وانظر: حادي الأرواح ص ٢٦٩.

قال الغزالي: وهذا قول الحشوية الذين أثبتوا الجهة. / الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ٤٧.

وجواز رؤية الباري تعالى عقلاً ووجوبها سمعاً، وعرض آراء القائلين بالرؤية والمخالفين وحججهم في: نهاية الإقدام ص ٣٥٦ والإرشاد للجويني ص ١٦٦.

ومنهم من نفاها، وكل من الفريقين يستدل بالأدلة السمعية.  
ولما كان التنازع في هذه المسألة مأثوراً، فقال بكلٍّ منهما بعض الصحابة، ولما كان  
الاحتمال للقولين ممكناً، فلا يدعو عندئذٍ إلى الجزم بواحد من القولين<sup>(١)</sup>.

### القضاء والقدر<sup>(٢)</sup>

اختلف المتكلمون في تفسير القضاء والقدر على أقوال متعددة، منها: ما قاله  
المأثرية:

القضاء: هو إيجاد الله تعالى الأشياء مع زيادة الأحكام والإتقان.  
والقدر: هو تحديد الله تعالى أزل كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن وقبح  
ونفع وضرر... إلخ، أي: علمه تعالى أزلاً صفات المخلوقات.  
وعليه: فيكون القضاء حادثاً، فهو صفة فعل عندهم، لأنه عبارة عن الإيجاد،  
والإيجاد من صفات الأفعال.

ويكون القدر قديماً، لأنه راجع إلى صفة العلم، وهي من صفات الذات.  
وقال الأشاعرة بعكس ذلك، فجعلوا تعريف القضاء للقدر وتعريف القدر  
للقضاء<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٢٢٢ ونقل عن القاضي عياض. وانظر كلام  
القاضي عياض في: الشفا ص ١٩٥.

(٢) قال اللامسي في التمهيد ص ١١٣: (مسألة القضاء والقدر، ومسألة الهدى والإضلال،  
عين مسألة خلق الأفعال، لأن المعنى بقولنا: إن الكفر وغيره من المعاصي بقضاء الله وقدره، أي:  
بإحداث الله تعالى وتخليقه، لأن القضاء يذكر ويؤاد به التخليق كما في قوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ  
سَمَوَاتٍ﴾ - فصّلت ١٢).

(٣) شرح الجوهرة للباجوري ص ١٨٨-١٨٩ ولوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٣٤٥ وحاشية

فالقضاء والقدر راجعان لما تقدم من العلم والإرادة وتعلق القدرة، لكن لما كان خطر الجهل في هذا الفن عظيمًا صرح المتكلمون بهما<sup>(١)</sup>.

### الإيمان بالقضاء والقدر وعلاقته بالجبر

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان. ورد ذلك بالحديث الصحيح حين جاء جبريل يسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان يريد تعليم المسلمين أحكام دينهم. قال جبريل: (فأخبرني عن الإيمان: قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت).

والمُرَاد من الإيمان بالقضاء والقدر هو:

١- التّصديق بأنّ البارئ عزّ وجلّ عالم بالمخلوقات جميعاً في الأزل، وما يتعلق بها في المستقبل، كعلمه أزلاً بأنّ المرء يباشر الأسباب بإرادته واختياره المحض، ثم يجازيه على ما فعل.

٢- التّصديق بأنّ المخلوقات جميعاً وجدت بإرادته ووفق علمه الأزلي. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدُمُوا وَعَآثِرُهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ - يس ١٢.

وعلى ذلك فلا علاقة بين الإيمان بالقضاء والقدر، وبين الجبر والاختيار. لأن العلم كاشف عما سيقع.

العدويّ على كفاية الطّالب الرّبانيّ ج ١ ص ٥٣ عن ابن قاسم، ورسالة في التّوحيد للطّائفيّ ص ١٢٣. وتعريف الأشاعرة في شرح المواقف للسّيد الشّريف ج ٨ ص ١٨٠. وانظر قول الماتريديّة في: أصول الدّين للغزنويّ ص ١٨٤. وبمثل قول الماتريديّة فسّر السدويكشي القدر، وعمرو التّلاقي القضاء، وهما من الإباضية. وبمثل قول الأشاعرة فسّر محمّد أطفيش من الإباضية القضاء والقدر. / البعد الحضاريّ ص ٤٢١-٤٢٢.

(١) شرح الجوهرة للباجوريّ ص ١٨٩.

ذكر الإمام النَّوَوِيُّ: (قال الخطَّابِيُّ: وقد يحسب كثير من الناس أنَّ معنى القضاء والقَدَرُ إجبار الله سُبحانَهُ وتعالى العبدَ وقهره على ما قَدَرَهُ وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه: الإخبار عن تقدّم علم الله سُبحانَهُ وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه، وخلق لها خَيْرَها وشرها)<sup>(١)</sup>.

سئل عبد الله بن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَمَّنْ يرتكب الموبقات، ويقولون كان ذلك في علم الله، فغضب، وقال: كان ذلك في علمه، ولم يكن علمه يحملهم عليها<sup>(٢)</sup>، فالله تعالى يعلم بعلمه الأزلي أن الناس سيختارون طرقاً مُخْتَلِفَةً، فيَسَّرَ لهم ما يختارون، وأَقَرَّهم عليه. فعلمه تعالى لا يعني جَبَرَ الإنسان على فعل ما، فالأستاذ مثلاً يعلم مُقَدِّماً أنَّ التلميذ المهمل سيرسب في الامتحان. فهل يمكن للراسب أن يحتج على الأستاذ فيقول له: إن علمك برسوبي هو الذي رسّني؟ لا يقول بهذا أحد.

فعلم الله تعالى صفة كاشفة، ليس لها تَأْثِيرٌ كالقدرة، فلا تعني إجبار العبد على شيء ما.

### الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ وَالْإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ

والإيمان بالقضاء والقَدَر لا ينافي الأخذ بالأسباب: بل على الإنسان أن يجِدَّ ويسعى.

(١) انظر: كبرى اليقينيات الكونية ص ١٦٨-١٦٩ ورِسَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ١٢٣. وانظر: كَوَامِلُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٣٤٥.

وَحَدِيثُ جَبْرِيلَ: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ... إلخ، في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، أول باب بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ، رقم ٨، عن عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وانظر قول النَّوَوِيِّ في شرحه على صَحِيحِ مُسْلِمٍ ج ١ ص ١٩٩ بهامش إرشاد السَّارِي لِلْقَسْطِ لَأَنبِيٍّ.

(٢) رِسَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ١٢٤.

قال تعالى: ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ - المُلْك ١٥.

فلا كسل ولا تواكل.

وأمره أن لا يلقي بنفسه إلى التهلكة. قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ - البقرة ١٩٥.

وأمره أن يجاهد في سبيل الله، فقال سبحانه: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ - التوبة ٤١، وقال تعالى: ﴿حُذُّوا حَذْرَكُمْ﴾ - النساء ٧١<sup>(١)</sup>.

### ظهور مسألة القضاء والقدر

أثيرت مسألة القضاء والقدر عند علماء المسلمين، لما رأوا أن أدلة الكتاب والسنة والمعقول متعارضة بينها<sup>(٢)</sup>.

فمما يدل على أن الإنسان مجبر على فعله:

أ- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ - التوبة ٥١.

ب- قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ - الصافات ٩٦.

ج- قوله ﷺ: (الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره).

د- ومن حجج العقل: أننا لو قلنا بأن العبد مُخَيَّر وهو خالق أفعاله، لكانت قدرة الله تعالى محدودة وغير شاملة، وأن العبد شريك الله تعالى في إيجاد العالم.

ومما يدل على أن الإنسان مُخَيَّر ليس مجبوراً:

أ- قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ - المُدَّثِّر ٣٨.

(١) السابق ص ١٢٣.

(٢) قال ابن رشد في مناهج الأدلة ص ٢٢٣: (إذا تَوَمَّلْتَ دلائل السمع في ذلك وَجِدْتَ متعارضة، وكذلك حجج العقول).

ب- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ - الكهف ٢٩.

ج- ومن حجج العقل: أننا لو قلنا بأن الإنسان مُجْبَرٌ، فَقدرته لا أثر لها، وإذا لم تكن له قدرة، لم يكن للأوامر والنواهي وللثواب والعقاب معنى<sup>(١)</sup>.

### مَذَاهِبُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ

قسم العلماء الأفعال إلى قسمين:

١- أفعال اضطرارية: وهي التي لا قدرة للإنسان ولا اختيَار له فيها، كحركة ارتعاش اليد وحركة الجهاز العصبي والهضمي.

وقد اتفقت الفرق الإسلامية جميعها على أنها مخلوقة لله وليس للعبد دخل فيها، فلا تكليف فيها ولا ثواب ولا عقاب بها.

٢- أفعال اختياريّة: وهي التي للإنسان فيها قدرة واختيَار كالسير والكلام. وهذه هي محل الخلاف بين علماء الفرق الإسلامية الذين ذهبوا فيها مذاهب مُخْتَلِفَةٌ هي<sup>(٢)</sup>:

#### أولاً: مَذْهَبُ الْجَبَرِيَّةِ:

وهم أتباع الجَعْد بن دِرْهَم والجَهْم بن صَفْوَان الرَّاسِبِي، وهؤلاء نفوا القدرة والاختيَار والإرادة عن الإنسان، وقالوا: بأن الإنسان مُجْبَرٌ على جميع أفعاله، فهو كالريشة في مهبّ الريح.

(١) انظر: دراسات في الفرق ص ٢٥٥-٢٥٧.

وحديث: الشقيُّ من شقي... إلخ، في: صَحِيح مُسْلِم في: ٤٦ كتاب القَدَر، ١ باب كيفية الخلق الآدمي...، رقم ٢٦٤٥، عن عبد الله بن مَسْعُود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: شرح الجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٦٧-١٦٨ و١٧٨ وكبرى اليقينيات الكونية ص ١٦٩ ورسالة في التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ١٢٧.



وأن الله تعالى خلق في الإنسان أفعاله بنوعها الاضطرارية والاختيارية التي يخلع إلى بعضهم أنها اختيارية، ونسبتها إلى الإنسان على سبيل المجاز، كما تنسب إلى الجمادات والنباتات، فنقول: تغذى النبات، وتحرك الحجر.

وقالوا: الثواب والعقاب جبر، والتكاليف الشرعية أيضاً جبر.

واستدلوا على قولهم بالنصوص السابقة التي تفيد الجبر<sup>(١)</sup>.

ورّد:

بأن هذه النصوص يجب تأويلها كي تستقيم مع النصوص التي تعارضها، التي تثبت للعبد عملاً يستحق عليه العقاب والثواب والمدح والذم، لأن الله تعالى نفى الظلم عن نفسه، وأنه لا يحاسب إلا على العمل الذي اكتسبه العبد.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ - النحل ١١١.

وقولهم هذا يؤدي إلى أنه لا تكليف بالأوامر والنواهي، ولا معنى لإرسال الرسل، ولا فائدة من ترتيب الثواب على الطاعات والعقاب على المعاصي.

ثانياً: مذهب المعتزلة:

وهم يجمعون على أمور منها:

(١) تقدم الكلام عن رأي الجبرية ومذهبهم في مبحث الفرق الإسلامية. وانظر من المصادر التي ذكرناها: مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٣٣٨ والفرق بين الفرق ص ٢١١ وأصول الدين للبغدادي ص ٣٣٣ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٧٣ والتبصير في الدين ص ٩٠ والمواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٩٨ وخطط المقرئ ج ٢ ص ٣٤٩ وشرح الجوهرة للباجوري ص ١٧٥ ومشارك أنوار العقول ج ٢ ص ١٨٦ ودراسات في الفرق ص ٢٦٣ وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٠٢ ومقدمة مناهج الأدلة ص ١٠٥.

١- أَنَّ الْعِبَادَ هُمُ الَّذِينَ يَخْلُقُونَ أَعْمَالَهُمُ الْاِخْتِيَارِيَّةَ بِقُدْرَةِ خَلْقِهَا اللَّهُ فِيهِمْ<sup>(١)</sup>، وَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى صَنَعَ وَلَا تَقْدِيرَ فِيهَا لَا بِإِيجَادٍ وَلَا نَفْيٍ.

٢- اللَّهُ عَالَمٌ أَزَلًا بِأَفْعَالِ خَلْقِهِ، فَلَمْ يَزَلْ عَالِمًا بِمَنْ سَيُؤْمِنُ وَبِمَنْ سَيَكْفُرُ. وَهَذَا يُمَيِّزُهُمُ عَنِ الْقَدَرِيَّةِ الْخَالِصَةِ - أَتْبَاعَ مَعْبَدِ الْجُهَنِيِّ وَغَيْلَانَ الدَّمَشَقِيِّ - الَّذِينَ أَنْكَرُوا عِلْمَ اللَّهِ الْأَزَلِي، فَاللَّهُ عِنْدَهُمْ لَا يَعْلَمُ أَعْمَالُ الْفَرْدِ إِلَّا بَعْدَ وَقُوعِهَا.

٣- الْإِنْسَانُ فَاعِلٌ مُخْتَارٌ، يَعْمَلُ بِالْقُدْرَةِ الْحَادِثَةِ الَّتِي مَنْحَتَهَا إِيَّاهُ الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ، فَيُوجِّهُهَا حَسَبَ مَا يَرِيدُ.

٤- أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِرَادَتُهُ مُتَلَازِمَانِ.

فَاللَّهُ تَعَالَى يَرِيدُنَا أَنْ نُؤَحِّدَهُ، وَأَنْ نُؤْمِنَ بِرِسْلِهِ، وَنَقِيمَ الصَّلَاةَ... وَيَأْمُرُنَا بِذَلِكَ، وَلَا يَرِيدُ مِنَّا الْمَعَاصِيَ وَالْكَفْرَ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ إِرَادَةِ الْإِنْسَانِ وَاخْتِيَارِهِ وَفَعْلِهِ. وَاحْتِجَ الْمُعْتَزِلَةُ بِمَا يَأْتِي:

لَوْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى خَالِقًا لأَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَالْعِبَادُ لَا اخْتِيَارَ لَهُمْ:

أ- لَبَطَلَ التَّكْلِيفُ الشَّرْعِيُّ مِنَ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي.

ب- وَلَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ.

ج- وَلَا تَنْفَتُ فَائِدَةُ بَعْثَةِ الْأَنْبِيَاءِ<sup>(٢)</sup>.

(١) شَرَحَ الْجَوْهَرَةُ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٦٨ و ١٧٥.

(٢) تَقْدِمُ الْكَلَامَ عَنِ رَأْيِ الْمُعْتَزِلَةِ وَمَذْهَبِهِمْ فِي مَبْحَثِ الْفِرْقِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَانْظُرْ: دَرَسَاتُ فِي الْفِرْقِ ص ٢٦٨-٢٦٩ وَمَذَاهِبُ الْإِسْلَامِيِّينَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدَوِيِّ ج ١ ص ٤٨ وَمَا بَعْدَهَا، وَمُقَدِّمَةُ مَنَاهِجِ الْأَدِلَّةِ ص ١٠٦.

قَالَ الدَّرْدِيرُ فِي شَرْحِ الْخَرْبَةِ ص ٦٢-٦٣: (فَبَطَلَ قَوْلُ الْجَبَرِيَّةِ بِأَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لِلْعَبْدِ تُقَارَنُ فِعْلًا لَهُ أَصْلًا، بَلْ هُوَ مَجْبُورٌ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، كَالْخِيطِ الْمَعْلُوقِ فِي الْهَوَاءِ تُمِيلُهُ الرِّيحُ بَلَا اخْتِيَارَ لَهُ

وَرَدَّ هَذَا الْقَوْلُ:

بأن أفعال العباد الاختيارية مخلوقة لله، بدليل:

قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ - الفرقان ٢، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ - الصافات ٩٦<sup>(١)</sup>. وبما استدل به الأشاعرة على قولهم كما سيأتي.

ثالثاً: مذهب الأشاعرة:

ويرون أن أفعال الفرد الاختيارية مخلوقة لله تعالى، وليس للعبد تأثير في إيجادها، وأن الله تعالى يخلق فيه قدرة على إصدار ذلك الفعل للعبد.

فالعمل إبداع وإحداث لله وكسب للعبد<sup>(٢)</sup>.

في شيء أصلاً. وقول القدرية بتأثير القدرة الحادثة في الأفعال على طبق إرادة العبد. والجبرية كفاً قطعاً، لأن مذهبهم ينفي التكليف الذي جاء به الرسل عليهم السلام. وفي كفر القدرية خلاف، الأصح عدم كفرهم، لأنهم وإن لم يثبتوا الشريك لله تعالى إلا أنهم لما أثبتوا لله تعالى خلق العبد وقدرته وإرادته صار فعل العبد في الحقيقة مخلوقاً له تعالى).

(١) أوضح الباقلاني في الإنصاف ص ١٤٤ وما بعدها، مذهب أهل السنة والجماعة في أن الخالق هو الله تعالى وحده للأشخاص والأفعال...، ورد على قول المعتزلة والنجارية والجهمية والروافض بأن أفعال العباد مخلوقة للعباد بقدرة العباد... مع الأدلة والمناقشات. ونقل عن ابن فورك رحمه الله عنه أنه كان مع صاحب بن عباد في بستان وكان يعتقد شيئاً من ذلك، فأخذ سفر جلة وقطعها من الشجرة، وقال له: ألسنت أنا قطعت هذه السفر جلة؟ فقال له رحمه الله عنه: إن كنت تزعم أنك خلقت هذه التفرقة فيها فاخلق وصلها بالشجرة حتى تعود كما كانت. فبهت وتخير ولم يقدر على جواب.

(٢) تقدم الكلام عن رأي الأشاعرة ومذهبهم في مبحث الفرق الإسلامية. وانظر: دراسات في الفرق ص ٢٦٩ وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٨٤.

والأشاعرة مع أنهم يقولون بأن الفعل خير وشره من الله، قالوا: إن الأدب أن لا ينسب لله تعالى إلا الخير، أما الشر فإنه ينسب للنفس كسباً، وإن كان منسوباً لله إيجاداً، قال تعالى: ﴿مَا

والكسب هو اقتران قدرة العبد بفعل الله، بمعنى:

أن الإنسان إذا أراد أن يفعل فعلاً من الأفعال، فإن الله يخلق له في هذه اللحظة نفسها قدرة على هذا الفعل، وهذه الأخيرة هي التي تكتسبه، لكنها لا تخلقه<sup>(١)</sup>.

أو الكسب هو: أن العبد إذا صمم العزم فالله يخلق الفعل فيه<sup>(٢)</sup>.

فقدرة العبد مهمتها كسب الفعل، وقدرة الله مهمتها خلق الفعل. وعليه: فإن الإنسان قد منحه الله قدرة كاسبة ليس لها تأثير في خلق الفعل، وإنما يفيض الله عليها هذه القدرة الحادثة، فتكتسب الفعل بقدرة الله، وهذا القصد هو مناط التكليف والثواب والعقاب<sup>(٣)</sup>، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ - البقرة ٢٨٦، فالآية صريحة في إثبات الكسب والاكْتساب لها.

والقول بالكسب هو قول الإباضية الذين وافقوا الأشاعرة فقالوا: أفعالنا خلق لله

أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴿ - النساء ٧٩، أي: كسباً، يفسره قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾ - الشورى ٣٠. أما قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ - النساء ٧٨، فرجوعٌ للحقيقة، تأمل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ والَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٨﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ - الشعراء، فلم يقل إبراهيم عليه السلام: أمرضني، تأدباً، وإلا فالكل من الله تعالى. / شرح الجوهرة للباجوري ص ١٦٨. وانظر: الإنصاف للباقلاني ص ١٥٢.

(١) مُقَدِّمَةٌ مناهج الأدلة ص ١٠٨. قال البغدادي في أصول الدين ص ١٣٣-١٣٤: (وقد ضرب بعض أصحابنا للاكتساب مثلاً، في الحجر الكبير، قد يعجز عن حمله رجل، ويقدر آخر على حمله منفرداً به، إذا اجتماعاً جميعاً على حمله، كان حصول الحمل بأقواهما، ولا خرج أضعفهما بذلك عن كونه حاملاً. كذلك العبد لا يقدر على الانفراد بفعله، ولو أراد الله الانفراد بإحداث ما هو كسب للعبد قدر عليه ووُجد مقدوره. فوجوده على الحقيقة بقدرة الله تعالى، ولا يخرج مع ذلك المكتسب من كونه فاعلاً وإن وُجد الفعل بقدرة الله تعالى. فهذا قول معقول).

(٢) طوابع الأنوار ص ٢٠٠.

(٣) البعد الحضاري ص ٤٥٣.

عَزَّ وَجَلَّ، وهي لنا اكتسابٌ، فنُثَابٌ ونُعَاقِبُ عَلَى اكْتِسَابِنَا لَا عَلَى خَلْقِ اللَّهِ أَفْعَالِنَا<sup>(١)</sup>.  
والقول بالكسب هو قول الماتريدي<sup>(٢)</sup>. وقال بالكسب أيضاً تقي الدين بن  
تيمية<sup>(٣)</sup>.

ورأيهم هذا توسط بين الجبرية والمعتزلة<sup>(٤)</sup>.

واستدلوا بما يأتي:

أ- بقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ - الفرقان ٢. وبقوله تعالى:  
﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ - الأنعام ١٠٢ والرعد ١٦ والزمر ٦٢ وغافر ٦٢، والفعل  
من جُمْلَةِ الأشياء، فهو مخلوق لله تعالى.

ب- لو كان العبد موجداً لأفعاله بالاختيار والاستقلال، لوجب أن يعلم  
تفاصيلها، ويستحيل على الإنسان أن يحيط بجميع وجوه الفعل، إذ تصدر منه أفعال في  
غفلته وذهوله، وهي على الانسجام والانتظام وصفة الإتيان والإحكام، والعبد غير  
عالم بما يصدر منه، فوجب أن يكون مصدر ذلك هو الله تعالى<sup>(٥)</sup>.

(١) مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ١٧١. وانظر: البعد الحضاري ص ٤٦٤.

(٢) التوحيد للماتريدي ص ٤١ و ٢٢٥ وقال الغزنوي في أصول الدين ص ١٨٩: (اعلم  
أن المذهب المستقيم أن تقدير الخير والشر من الله تعالى، وفعل الخير والشر من العبد، والعبد  
مختار في فعله اختيار تمييز وتخصيل، لا اختيار مشيئة وقدرة... وليس للعبد أن يقول عاذراً  
لنفسه: بأن القضاء والقدر هكذا أجري عليّ، فما ذنبي؟ بل العبد ملزم بمراعاة الأمر والنهي...).  
وانظر رأي الماتريدي في: مقدمة مناهج الأدلة ص ١١١.

(٣) قال تقي الدين بن تيمية: (للعبد قدرة وإرادة وفعل وهبها الله له، لتكون أفعاله منه حقيقة  
لا مجازاً، فهي من العبد كسباً، ومن الله خلقاً). / خلاصة علم الكلام ص ١٦٣ عن العقيدة الواسطية لابن  
تيمية.

(٤) مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ١٧١.

(٥) دراسات في الفرق ص ٢٧٣.

وبعد عرض رأي الجبرية والقائلين بالكسب يتضح أن الفريقين يذهبان إلى أن الفعل من خلق الله تعالى، إلا أن الجبرية يقولون هو بقدره الله تعالى القديمة، والقائلين بالكسب يقولون هو بالقدرة الحادثة التي يخلقها الله في العبد عند اختياره للفعل<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: مذهب الإمامية:

يصوره لنا الشيخ المظفر بقوله: (إن أفعالنا من جهة، هي أفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية، وهي تحت قدرتنا واختيارنا، ومن جهة أخرى هي مقدورة الله تعالى ودخله في سلطانه، لأنه هو مفيض الوجود ومعطيه، فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا في عقابنا على المعاصي، لأن لنا القدرة والاختيار فيما نفعل، ولم يفرض إلينا خلق أفعالنا، حتى يكون قد أخرجها عن سلطانه، بل له الخلق والحكم والأمر، وهو قادر على كل شيء ومُحِيط بالعباد)<sup>(٢)</sup>.

وهذا معنى ما روي عن الأئمة: لا جبر ولا تفويض، ولكن أمرين أمرين<sup>(٣)</sup>.

والفرق بين قول الإمامية وقول الأشاعرة هو أن الإمامية يذهبون إلى أن الإنسان هو الذي يختار الفعل ويخلقه، ولكن بالقدرة الإنسانية التي منحها الله إياه. أما الأشاعرة فيقولون: إن الإنسان هو الذي يختار الفعل أيضاً، إلا أن الله تعالى هو الذي يخلقه عن طريق خلق القدرة الحادثة فيه المقارنة للاختيار<sup>(٤)</sup>.

(١) خلاصة علم الكلام ص ١٦٦، وفيه: ومن هنا ذهب البعض إلى القول بأن القائلين بالكسب هم جبرية.

(٢) عقائد الإمامية ص ٤٤.

(٣) عقائد الإمامية السابق، والشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة للحسيني ص ٢١٢. وانظر: أصول الدين الإسلامي لمحمد علي ناصر ص ٤٠ وما بعدها، وعقائد الإمامية الاثني عشرية للسيد إبراهيم الزنجاني ص ٣٦-٣٧.

(٤) خلاصة علم الكلام ص ١٦٥-١٦٦.

### خامساً: مذهب ابن رشد:

يرى ابن رشد أنَّ التعارض الوارد بالنصوص لم يأت عبثاً، بل كان مقصوداً من الشارع، لكي يوحى إلى العلماء القادرين على فهم الكتاب والسنة فهماً صحيحاً بالحل الذي يجب أن يذهب الشبهة، التي ربما فرقت بين أهل الجدل.

ورأى: أنَّ الجبر لا يمكن أن يكون محضاً، وأنَّ الاختيار لا يجوز أن يكون مطلقاً، بل الحق هو في التوسط بين هذين الرأيين، وذلك: بأن نقرر أن أفعال الإنسان ليست اختيارية تماماً ولا اضطرارية تماماً، وإنما تتوقف على عاملين: إرادة حرة ترتبط في الوقت نفسه بأسباب خارجية تجري دائماً على نمط واحد أودعها الله في الكون<sup>(١)</sup>.

وعليه رأى الأستاذ محمūd قاسم أنه حلُّ أقرب من أي حلٍّ آخر إلى العقل وإلى ما يرتضيه الشرع<sup>(٢)</sup>. وهو ما يميل إليه العلم الحديث، الذي لا ينفي حرية الاختيار، والذي يعترف بوجود القوانين المُطرَّدة في الطبيعة<sup>(٣)</sup>.

### أسئلة وأجوبتها

فإذا قيل:

إنَّ إيجاد الله المخلوقات على القدر المعين الذي سبق العلم به يفيد: أنَّ الإنسان مكره على أفعاله.

فالجواب هو: أن الأفعال الاضطرارية لا تكليف فيها، كما تقدم.

أما الأفعال الاختيارية فهي مخلوقة، كما مرَّ في قول الأشاعرة، ولكن هذا الخلق لا يعني إكراه الإنسان عليها، وذلك:

(١) مُقدِّمة مناهج الأدلة ص ١١٨-١١٩.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٤.

(٣) المصدر السابق ص ١١٩.

لأن الإنسان مُخْتَارٌ بوصفه كاسباً لفعله الاختياري لا بوصفه خالقاً له.

ذَلِكَ لأن كسب الفعل (أي تَلَبُّسَكَ به) يتوقف على أمرين:

أ- وجود مقومات هذا الفعل في الخارج كلها المادية والمعنوية.

ب- اكتسابك له عن طريق انبعاثك نحوه.

فأنت تريد ومُخْتَارٌ بوصفك كاسباً وَمَنْبَعُثاً إليه، لا بوصفك خالقاً وموجداً

لمقوماته وعناصره.

وإيضاح ذلك يكون بالمثال الحسي الآتي:

اليد وما فيها من شرايين وأعصاب وقدرة من خلق الله عزَّ وجلَّ.

والورق بصورته وخصائصه من خلقه عزَّ وجلَّ.

والقلم بقابليته للكتابة من خلقه تعالى أيضاً.

وتلاقي هذه العناصر كلها لترسم خطأً على الورق من خلق الله أيضاً.

فهذا معنى أن الله عزَّ وجلَّ هو الخالق لأفعال الإنسان.

ولا بد لكي توجد الكتابة منك، أن تعزم في نفسك على الكتابة، وأن تنبعث إرادتك

على التنفيذ، فحينئذ يَأْذَنُ الله تعالى للقوة التي أودعها في يدك أن تلبّي، وللشرايين

والأوردة أن تساعدك على قصدك، وللحبر أن ينساب كما تشاء، وللورق أن يتأثر بذلك

على النحو الذي تتحقق فيه الكتابة، وعندئذ تسمى كاتباً، ويُنسب إليك كسب هذا

الفعل على الرغم من أن الله عزَّ وجلَّ هو الخالق له. فالقصد والعزيمة والكسب منك،

وذلك بسر الإرادة التي ركبها الله فيك.

وخلق الفعل وأسبابه من الله تعالى، وإنما تكون المقاضاة والمحاسبة على القصد

والكسب، لا على خلق الأسباب وخلق الفعل لنفسه.

كمن يدهس بسيارته إنساناً فيقتله، لا يقاضى على الفعل لأنه ليس هو صاحب



الفعل بالذات، بل صاحب الفعل المباشر هو السيارة نفسها، ولكنه يُقاضي على الكسب.

والذي جاء بالعمّال فحفروا له في قارعة الطريق حوضاً أو بئراً لا يُعاقب على إفساده للطريق العام لأنه هو الفاعل، بل لأنه هو الكاسب.

والله عزّ وجلّ إنما يحاسب عباده على الكسب، أي على الانبعاث النفسي إلى التلبس بالفعل، بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ - البقرة ٢٨٦، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ - غافر ١٧، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَنْثَمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ - الأنعام ١٢٠. فهذه الآيات تدلّ على أن مناط الأجر والعقاب إنما هو كسب الإنسان، أي: انبعاثه نحو الشيء الذي أمر به أو نهى عنه. وإنما شاء الله تعالى أن يجعل خلقه وقدرته وفقاً لانبعاثاتهم، حتى يكون ذلك بمثابة السجل الذي تُثبت فيه هذه الانبعاثات مجسّدة في مظهر الفعل الذي ظهرت فيه.

وإذا قيل:

إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ - النحل ٩. ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ - يونس ٩٩. وهذا يثبت أن إرادة الإنسان أسيّرة في يد الله عزّ وجلّ.

فالجواب: أن معنى هذه الآيات: أن الله عزّ وجلّ لو شاء لأمدّهم بلطف من عنده، يجعلهم يختارون الإيمان والانصياع للحق، ويرفضون أهواءهم، ولكنه لم يشأ، وشاء أن يجعل الإنسان بين جانبيين يتجاذبان، وهما: النفس بشهواتها والعقل بتدبيره، ليظهر معنى التكليف ومُجاهدة النفس في سبيله تعالى، وإلا لما أعدّ الأجر والثواب للطائعين المُستقيمين على طاعته، والعقاب للعصاة المارقين عن سبيله.

وهنا جعل الله تعالى الإرادة الإنسانية بين لطف الله وعقابه. فمن آمن بالله وبرسالته

ﷺ، وصمم على عدم معاندة الحق، وجاهد نفسه ضد الشهوات، فإن الله تعالى يُوفِّقُهُ ويُعِينُهُ.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقَوَّبَهُمْ﴾ - مُحَمَّد ١٧، وقال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَهْتَدَوْا هُدًى﴾ - مريم ٧٦، وقال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ - المائدة ١٦.

أما من عاند الله ورَسُولَهُ، ولم يلب إلا شهواته وأهْوَاءَهُ، وإذا ذُكِرَ بآيات الله أَصَمَّ أُذُنُهُ عنها، فإن هُوَ لَا يَزَجُّ بِهِمْ فِي الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالِ، قال تعالى: ﴿سَاصِرُونَ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَكُرُوا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ - الأعراف ١٤٦، وقال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ - البقرة ٢٦.

وهذه السُّنَّةُ الْإِلَهِيَّةُ هِيَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ - فاطر ٨، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ بِغَيٍّ مِّنْ هَادٍ﴾ - الرعد ٣٣.

أي: أن الله لا يعجزه شيء عن أن يقذف أسباب الهداية في قلب أضل الكافرين، وأن يقذف أسباب الضلالة في قلب أصلح عباده المؤمنين.

ولكنه سُبْحَانَهُ تَفْضُلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ: أَنْ لَا يُضِلَّ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ صَرَفَ نَفْسَهُ عَنْ أَسْبَابِ الْهِدَايَةِ، وَأَنْ يَقْرُبَ أَسْبَابِ الْهِدَايَةِ لِكُلِّ عَازِمٍ عَلَى اسْتِجَابَةِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ<sup>(١)</sup>.

(١) الْهِدَايَةُ مِنَ اللَّهِ تعالى لِعِبَادِهِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى وَجْهِين:

أحدهما: مِنْ جِهَةِ إِبَانَةِ الْحَقِّ وَالِدَعَاءِ إِلَيْهِ وَإِقَامَةِ الْأَدِلَّةِ عَلَيْهِ. وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَصِحُّ إِضَافَةُ الْهِدَايَةِ إِلَى الرِّسْلِ وَإِلَى كُلِّ دَاعٍ إِلَى دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّهُمْ مَرشُدُونَ إِلَيْهِ. وَهَذَا تَأْوِيلُ قَوْلِ

### وإذا قيل:

إن قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ - التكوير ٢٩، يدل على أن الإنسان لا يملك لنفسه أي مشيئة إلا بإذن الله ومشيئته.

فالجواب: إن الآية توضح أن الإنسان ما كان ليتمتع بإرادة في كيانه يتجه بسرهما إلى

الله عز وجل في رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ - الشورى ٥٢، أي: تدعو إليه. وهذه الهداية من الله تعالى شاملة جميع المكلفين.

الثاني: من هداية الله تعالى لعباده خلقه في قلوبهم الاهتداء، كما ذكره الله عز وجل في قوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ - الأنعام ١٢٥. وهذه الهداية منه تعالى خاصة للمهتدين. وفي تحقيق ذلك نزل قول الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ - يونس ٢٥، يعني به: اهتداء القلوب الذي لا يقدر عليه غير الله عز وجل. ولهذا قال في نبيه عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ - القصص ٥٦، وقد وصفه بأنه يهدي إلى صراط مستقيم. فالهداية التي أثبتها الله تعالى للرسول ﷺ من طريق البيان والدعوة، والهداية التي نفاها عنه من جهة شرح الصدور وقبولها للحق.

والإضلال من الله عز وجل لأهل الضلال على معنى خلق الضلالة عن الحق في قلوبهم. وعلى ذلك يحمل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ - الأنعام ١٢٥، وقوله تعالى: ﴿يُضِلْ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِ مَنْ يَشَاءُ﴾ - النحل ٩٣ وفاطر ٨، فمن أضله فبعده، ومن هداه فبفضله.

والهداية من الله تعالى عند القدرة - والمعتزلة - على معنى الإرشاد والدعاء وإبانة الحق، وليس إليه من هداية القلوب شيء. وعندهم الإضلال منه تعالى على وجهين: أحدهما: أن يقال إنه أضل عبداً بمعنى أنه سواه ضالاً. والثاني: على معنى أنه جازاه على ضلالته. وخطأهم البغداديين من طريقي اللغة والمعنى.

وزعمت الثنوية أن الهداية من النور، والضلال من الظلمة.

وزعمت المجوس أن الهداية من الإله، والإضلال من الشيطان المسمى أهرمن. / أصول الدين للبغداديين ص ١٤٠-١٤٢، وانظر: ص ٨٣.

اِخْتِيَارَ مَا يَشَاءُ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ وَالْأَعْمَالِ، لَوْ لَمْ يَشَأْ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَضَعَ فِي كِيَانِهِ هَذَا السِّرَّ الْعَظِيمَ<sup>(١)</sup>.

وإذا قيل:

إن إرادة الله تعالى مطلقة وكاملة، فكيف يمكن أن نتصور للإنسان أيضاً إرادة إلى جانبها، بعد أن قررنا أن الإنسان حر مُخْتَارٌ في إرادته؟

فالجواب: أن تصرفات الإنسان الاضطرارية ليس للإنسان فيها كسب أو مشيئة، أما تصرفاته الناجمة عن اختياره وإرادته فهي مركز التكليف فيه. فإرادة الله تعالى تعلقت بأن تكون مُريداً، فَسَرَتْ إرادة الله عَزَّ وَجَلَّ إلى كل ما تريده وتختاره من الأعمال، فلا تعارض بين إرادة الله تعالى وما تختاره عن طريق إرادتك الخاصة.

فلو فرضنا أن الله غير مُريد لَعَمَلٍ قد اخترته بإرادتك، فمعنى ذَلِكَ أنه سُبْحَانَهُ غير مُريد لإرادتك التي وجهتك إلى ذَلِكَ الفعل، وهو مناقض لما ثبت من أن الله عَزَّ وَجَلَّ قد شاء لك أن تكون مُريداً، فَبَطَلَ فرض أن الله تعالى قد لا يريد العمل الذي تختاره.

ومثاله: عندك خادم تريد أن تعلم صدقه في الخدمة ومعاملته، تعطيه مبلغاً من المال، ليقضي بها الحوائج في السوق، فيتصرف به بكل حريته دون رَقِيب عليه.

فأنت بهذا قد أردت أن يكون حراً فيما يفعل ويترك، لا يستجيب إلا لنداء ضميره، فإرادتك قد تعلقت بأن يكون هذا الخادم مُريداً لما يصنع بلا قسر حتى تعلم طَوَيْتَهُ، فإذا خان الأمانة أو صانها فأنت مُريد لها تين النتيجةين معاً، سواء كنت تحبها وترضاها أم لا.

(١) كبرى اليقينيات الكونية ص ١٦٦ وما بعدها. وانظر: رسالة القضاء والقدر للشيخ مُحَمَّدٌ مُتَوَلَّى سَعْرَاوِي.

وعليه فمصير إرادة الإنسان في جنب إرادة الله هي مصير إرادة الخادم في جنب إرادة سيّده، فلا يقع في ملكه تعالى إلا ما يشاء، ولا يناقضه أنه أعطاك إرادة ومشية، تكسب بها كل ما تحب دون إكراه، لتتجلى طويّتك في سلوكك، فتستحق بذلك ثواب الله أو عقابه<sup>(١)</sup>.

#### (١) كبرى اليقينيّات الكونية ص ١٦٢.

قال الدررير في شرح الخريدة ص ٦١-٦٢: (فإن قلت: إذا لم يكن لنا قدرة على إيجاد شيء، فكيف يُنسب لنا العمل، وكيف يصح تكليفنا به ونُخاطب به، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَيَسِيرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ - التوبة ١٠٥؟ وذلك كثير في الكتاب والسنة.

قلنا: النسبة إلينا ومخاطبتنا بتخصّيله من حيث إنه كسب أو اكتساب، لا من حيث إنه إيجاد واختراع. توضّح ذلك أن قدرته تعالى أبرزت الأشياء على طبق إرادته من العدم إلى الوجود، وهذا الإبراز هو المسمى بالإيجاد والاختراع، وهو المراد بتعلق القدرة القديمة، وأما قدرتنا فقد تعلقت ببعض الأفعال وهي الأفعال الاختيارية، أي: التي لنا فيها الاختيار والميل والقصد من غير إيجاد واختراع. وهذا التعلق على طبق إرادتنا هو المسمى بالكسب والاكْتِسَاب. فتعلق قدرة الله تعالى على وفق إرادته تعلق إيجاد، وتعلق قدرتنا على طبق إرادتنا تعلق كسب، أي تعلق هو كسب لا إيجاد. فأفعالنا الاختيارية قد تعلقت بها القدرتان، القدرة القديمة والقدرة الحادثة، وليس للقدرة الحادثة تأثير، وإنما لها مجرد مقارنة. فالله تعالى يخلق الفعل عندها لا بها كالإحراق عند مماسة النار للحطب، فمن حيث إنه خلق لنا ميلاً إلى الشيء وقصداً إليه، وخلق لنا قدرة مصاحبة لخلقه تعالى، ذلك الذي قصده نُسب إلينا ذلك الفعل وطلبنا به، إذ هو في ظاهر الحال يترأى أنه فعل للعبد. وإذا نظر إلى دليل التوحيد قطع الناظر بأن الفعل ليس مخلوقاً إلا الله تعالى، وإلا لزم الشريك له تعالى عن ذلك. فعلم أن هذا التعلق عبارة عن مقارنة القدرة الحادثة من غير تأثير، وبحسبه تضاف الأفعال للعبد كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ - البقرة ٢٨٦، ويترتب الثواب والعقاب بمحض الفضل أو العَدَل. ويسمى العبد حينئذٍ مُخْتَاراً، وعند خلق الله تعالى الفعل في العبد بلا قدرة له مقارنة يسمى مجبوراً ومضطراً، وقد تفضّل الله سبحانه علينا في هذه الحالة بإسقاط التكليف، ولو شاء لكلفنا عندها أيضاً).



# الفصل الخامس

## النَّبَوِّيات

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَثُ الأول: حاجة الإنسان إلى النُّبُوَّة، مناقشة منكري النُّبُوَّات.  
المَبْحَثُ الثاني: النُّبُوَّة العامة.

النَّبِيُّ والرَّسُولُ لُغَةً واصْطِلَاحاً، حكم إرسال  
الرسول، إثبات النُّبُوَّة، القرآن الكريم والكتب  
السمائية.

صفات الرسل والأنبياء.

الوَحْي.

المعجزة.

المَبْحَثُ الثالث: النُّبُوَّة الخاصة: نُبُوَّة سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

معجزاته ﷺ، إعجاز القرآن ووجوهه.

شواهد أُخْرَى على نُبُوَّتِهِ ﷺ.

رسالته خاتمة الشرائع، عمومها.

منزله، شفاعته، أَصُولُ دَعْوَتِهِ، واجبنا نحوه ﷺ.





## الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ حاجة الإنسان إلى النَّبُوَّة

يتفق عامة العقلاء على أن العقل الإنساني أحد الطرق الموصلة إلى العلم والمعرفة.

ولكن عارض هذا الأمر فريقان:

الفريق الأول: اعترف بوجود العقل، لكنه لا يقيم وزناً لإدراكاته. وهو مذهب السُّوفسطائيين من فلاسفة اليونان، ومذهب الإسماعيلية القائلين بأنه لا بد من معونة معلم إلهي، وهو الإمام المعصوم عن الخطأ عمداً أو سهواً، وهو وحده الذي يميز الحق من الباطل، والحقيقة وقف عليه وحده.

وهو أيضاً مذهب بعض المتصوفة القائلين بأن الإلهام طريق المعرفة، لا العقل.

وردَّ العقلانيون هذا الرأي، ومنهم الغزالي في كتابه: (القسطاس المستقيم) و(مشكاة الأنوار) مبيناً أن العقل يدرك المعارف، ويفهم حقائق الأشياء المحسوسات والمعقولات، ويطلق عليها أحكاماً يقينية صادقة، كحكمه على الأعداد مهما تضاعفت.

وردَّ ابن حزم على القول بالإلهام بأنه لا يتفق اثنان منهم على ما يدعيه كل واحد منهم إلهاماً، فلو أعطي كل امرئ بدعواه المعرّاة لما ثبت حق ولا بطل باطل<sup>(١)</sup>.

(١) كتابنا أصول الدين الإسلامي ص ١٧٧ وفيه الإشارة إلى مُقَدِّمَةِ الْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ، وإلى الإحكام لابن حزم وغيرهما.

الفريق الثاني: أنكر العقل بمفهومه السابق، وذهب إلى أن الحواس هي وسائل المعرفة الوحيدة، وما يسمى بالعقل إنما يرجع إليها. وهؤلاء هم الحسيون أو التجريبيون أو الماديون. وظهر هذا المذهب في أوروبا، وأهم رجاله: فرنسيس بيكون، المتوفى سنة ١٦٢٦م، وجون لوك، المتوفى سنة ١٧٠٤م، ودفيد هيوم، المتوفى سنة ١٧٧٦م. وصار لهذا المذهب أتباع في العالم.

ورده العلماء بأبحاث علمية أثبتوا فيها قدرة العقل على الإدراك دون تدخل الحواس، ومثلوا لذلك بظاهرة (التلثائي) وهو انتقال الفكر، أو الإحساس بأفكار شخص آخر بدون تدخل الحواس، وبظاهرة (الاستشفاف، أو الجلاء البصري) وهو الإحساس بالحوادث دون تدخل الحواس. وأقرت نتائج تلك الأبحاث بمؤتمرات عديدة<sup>(١)</sup>.

أما المذاهب الإسلامية فقد اتفقت على أهمية العقل في الإدراك، لكنها قررت أن العقل لا يستقل بإدراك كثير من الأمور، مثل الاعتقاد بالله تعالى وصفاته، وما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقه عز وجل وفي حق النبي، وأحوال الآخرة، وغيرها من أحكام العقائد، ومثل الأخلاق، والأحكام العملية، وما يحسن منها وما يقبح.

وفرق السوفسطائية هي:

أ- اللا أدريّة: قالوا: نحن شاكون، وشاكون في أننا شاكون، وهلم جراً.

ب- العناديّة: قالوا: ما من قضية بديهية أو نظرية إلا ولها معارضة ومقاومة مثلها في القوة والقبول عند الأذهان.

ج- العنديّة: قالوا: مذهب كل قوم حق بالقياس إليهم، وباطل بالقياس إلى خصومهم. وقد يكون طرفا النقيض حقاً بالقياس إلى شخصين، وليس في نفس الأمر شيء بحق.

انظر هذه الفرق في: حاشية الطوسي على محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ٤٠ والفصل لابن حزم ج ١ ص ٤٣ والمعاليم الدنيّة ص ٤٩.

(١) كتابنا أصول الدين الإسلامي ص ١٧٩.

لأن أنظار الناس مُخْتَلِفَة، فقد تكون المصلحة عند قوم مفسدة عند آخرين، وقد تكون الفضيلة عند أناسٍ رذيلة عند آخرين، فلم يترك الإسلام التشريع لعُقُول الناس، لأن ذلك يؤدي إلى الفوضى. لهذا كان هَدْيُ النَّبِيِّ ضرورةً للإنسان.

### مناقشة منكري النبّوات

ذهب قومٌ إلى القول بعدم حاجة الإنسان إلى هَدْيِ النبوة، فأذكروها زاعمين أن الإنسان يستطيع أن يكتفي بعقله في تنظيم حياته.

ومُنكرو النبوة فريقان:

الفريق الأول: فريق ينكر النبّوات، لأنه ينكر الإله تعالى، ومَعْلُوم أن من ينكر وجود المُرْسَل لا بد وأن ينكر رُسُوله.

ومناقشة هذا الفريق لا تكون في إثبات النبّوات، وإنما تكون في إثبات وجود الله عزَّ وجلَّ<sup>(١)</sup>. وتقدّم الكلام عن ذلك في فصل الإلهيّات.

الفريق الثاني: يعترف بوجود الله تعالى، ويؤمن به، ولكنّه ينكر النبّوات، مكتفين بما تدركه عُقُولهم من خَيْر أو شر.

وعلى رأس هذا الفريق كثيرٌ من بَرَاهِمَةِ الهِنْد والصَّابِيَّة وبعض الفلاسفة، وقد تأثر بفلسفتهم بعض الزنادقة من المُسْلِمِينَ كأبي الحُسَيْن أَحْمَد بن يَحْيَى الرَّائِزِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٢٤٥ هـ.

ومن أدلة إنكار النبّوات:

١ - إن ما يأتي به الرُّسُول لا يخلو: إما أن يكون مما يدركه العقل، أو مما لا يدركه.

فإن جاء بما يوصل إليه العقل كان لا فائدة من بعثه، ويكون في العقل كِفَايَة، وإذا

(١) تَبْصِرَة الأدلّة ج ١ ص ٤٤٦ و ٤٤٨.

خلا عن غرض صَحِيحٌ فهو عَبَثٌ وَسَفَهٌ.

وإن جاء بما لا يَدُلُّ عليه العقل، فلا يُتَلَقَّى بالقبول، لأن المقبول هو الذي تدركه العُقُول<sup>(١)</sup>.

وأجيب: بأن هَذَا الدليل واضح البطلان، لأن كل مطلع على الرسالات السماوية يعلم أنها قد اشتملت على ما يعرفه العقل وعلى ما لا يعرفه:

فأما ما يعرفه العقل فكان لهذه الرسالات مهمة التأكيد عليه.

وأما ما لا يعرفه العقل - وهو الأكثر - فإن للرسالات السماوية دور إرشاد العقل إليه، وتَنْبِيْهه إلى ما فيه النَّافِعُ الصَّالِحُ<sup>(٢)</sup>.

٢- إن الرَّسُولَ من جنس المُرْسَلِ إليه، وجوهرهما وَاحِدٌ، وتفضيل أحد المتماثلين المتساويين على مثله ونوعه حَيْفٌ ومحاباةٌ وخروج عن الحكمة، وَذَلِكَ غير جائز على الْحَكِيمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى<sup>(٣)</sup>.

وأجيب بما يأتي:

أ- إن الله تعالى أن يخص بفضل من يشاء من خلقه، كما أن له أن يُسَوِّي بين سائرهم، فإن ذَلِكَ عَدْلٌ منه وصوابٌ من تدبيره. والله تعالى لا يفضل أحد الشخصين على الآخر المجانس له ابتداءً ولا لأجل جنسه، وَلَكِنْ لأجل أنه مستحقٌ للتفضيل بالرسالة وإخلاصه في الاجتهاد<sup>(٤)</sup>.

(١) الإرشاد للجويني ص ٣٠٣. وانظر: تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ لِلنَّسَفِيِّ ج ١ ص ٤٤٤ وهي حُجَّةُ الْبَرَاهِمَةِ. وانظر أيضاً: الْفَائِقُ فِي أَصُولِ الدِّينِ ص ٢٩٩.

(٢) كَشَفُ الْمُرَادِ ص ٣٧٥.

(٣) تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ١٢٧. وانظر: تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٤٤٤.

(٤) تَمْهِيدُ الْأَوَائِلِ ص ١٢٨-١٢٩.

ب- يلزم من قولكم أن يكون الله غير عادل، لأنه خص بعض خلقه بالعلم والقوة وكمال العقل والحواس، وخلق في بعض آخر الجهل والعمى والزمانة.

وأنتم لا تقولون بذلك، بل تقولون إن ذلك لمصلحة الطرفين وسبيل لهم إلى نفع عظيم، وهو تعالى أعلم به، لذلك فإن إرساله تعالى بعض الخلق لمصلحة للطرفين، الرسول والمرسل إليه، ولطفاً لهم في النظر في حجج العقول التي أمرهم بالرجوع إليها والعمل على موجبها<sup>(١)</sup>.

٣- لا يجوز في حكمة الله عز وجل أن يبعث رسولاً إلى من يعلم أنه يكفر به، ويردّ قوله، فوجب نفي بعث الرسل إلى هؤلاء، لأن ذلك خلاف الصواب. وأجيب: بأنه يترتب على قولكم هذا:

أ- جواز بعث الرسل إلى من يعلم قبوله منهم وانتفاعه بهم.

ب- أن لا يخلق الله سبحانه من يعلم أنه يكفر به.

ج- أن لا يحتاج الله تعالى بالعقول، وما وضعه فيها من الأدلة على من يعلم أنه يحددها ولا يستعملها<sup>(٢)</sup>.

فإن قالوا: لقد استدل بها كثير.

قيل لهم: وقد صدق بالرسول أيضاً كثير<sup>(٣)</sup>.

٤- إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس، ليخرجهم من الضلال إلى الإيمان، فقد كان أولى به في حكمته، وأتم لمُراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به.

وأجيب: بأنه يلزم من دليلكم القول بأنه كان أولى في حكمته أن لا يدعو الناس

(١) تمهيد الأوائل ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) تمهيد الأوائل ص ١٤٢. وانظر: تبصرة الأدلة ج ١ ص ٤٤٤ و ٤٦٤.

(٣) الفصل لابن حزم ج ١ ص ١٣٨.

إلى الاستدلال، لكي يؤمنوا، لا سِيَّما وأنه تعالى يعلم أن في الناس من لا يستدل، وفيهم من يغمض عليه الاستدلال.

فكان أولى به أن يضطر عَقُولَهُمْ إلى الإيمان به، ولا يكلفهم مؤونة النَّظَر والاستدلال، وأن يلطف بهم ألطافاً يختار جميعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة<sup>(١)</sup>.

٥- إن مما يُبْطِل الرِّسَالَةَ هو أنا وجدنا المدعين لها يستدلون على صدقهم بمستحيالات عقلية. مثل: فلق البحر، وخلق ناقة من صخرة، وقلب العصا حية، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والمشي على الماء، وإنطاق الذئب والحصا...، ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>.

وأجيب: بأن امتناع هذه الأمور في نظرهم، لا يخلو:

إما أن يكون في قدرة الصانع عَزَّ وَجَلَّ، أو في العادة.

فإن قالوا: إنه ممتنع في قدرة الصانع. فقد ألدوا وتركوا دينهم، لأنه يلزم أن يقولوا بامتناع خلقه تعالى لآدم وسائر المخلوقات<sup>(٣)</sup>. ولما قام الدليل على أن الله تعالى له الأمر والخلق والملك فله أن يتصرف في عباده بالأمر والنهي، وله أن يختار منهم واحداً لتعريف أمره ونبيه، فيبلغ عنه إليهم، فلا استحالة في ذلك<sup>(٤)</sup>.

فإن قالوا: بل ذلك ممتنع في العادة.

قيل لهم: وما المانع من أن ينقض الله تعالى العادات، ويظهر المعجزات على أيدي رسله<sup>(٥)</sup>، كدليل قاطع على صدقهم؟

٦- إن الإنسان يمكنه الاكتفاء بالعلم في تنظيم حياته.

(١) الفصل لابن حزم ج ١ ص ١٣٨.

(٢) تمهيد الأوائل ص ١٣٥.

(٣) تمهيد الأوائل ص ١٣٥-١٣٦.

(٤) نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٤٢١.

(٥) تمهيد الأوائل ص ١٣٦.

أُجيب: بأن العلم مع تقدمه لا يزال باعتراف أقطاب العلم عاجزاً عن استكناه الكثير من أسرار الكون وألغاز الحياة. ثم إن أغلب نظريّاته ظنية دُحِضَ منها اليوم ما كان مسلماً به بالأمس.

ولو فرضنا أن العلم بعد نضوجه وبُلُوغِهِ مَرَحَلَةَ الْكَمَالِ يستطيع أن يضمن للبشريّة سعادتها وينظم لها شؤونها. فمن المحقق أنه لن يهيمن على النفس البشريّة هيمنة النبوة والتشريعات الإلهيّة، لذلك يبقى للنبوة سُلْطَانُهَا ودورها الرئيس في تهذيب النفس وكبح جماحها، وتوجيهها نحو الخير والحب والسّلام<sup>(١)</sup>.

٧- إن النُظْمَ والتشريعات التي يضعها الإنسان من وحي تجربته، وحاجاته المتطورة تُغني عن هدي النبوة فلا حاجة للبشر إليها.

أُجيب: بأن سيطرة القوانين الوضعية على النفس هي سيطرة ظاهريّة فقط غالباً، وامتنال الفرد لها امتثالٌ شكليٌّ في الغالب، وإذا تهَرَّبَ الفردُ منها فقد لا تراه عَيْنُ الْقَانُونِ، وقد يتباهى البعض بمهارته في الانفلات من عقوبة القانون.

في حين أن الدّينَ يسيطر على نفسية الفرد المتدين ومشاعره، فيكون امتثاله حقيقياً ظاهراً وباطناً، لا اعتقاده أن الله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ - غافر ١٩، وامتنال أوامره مدعاة إلى رضوانه ونعمائه، وعصيانُه باعثٌ على سخطه وعقابه.

فالرسالات السماوية فضلٌ من الله ورحمةٌ للبشريّة. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۚ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۝١٦٤ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾ - النساء.

## المبحث الثاني

### النُّبُوَّةُ الْعَامَّةُ

#### النَّبِيُّ وَالرَّسُولُ فِي اللُّغَةِ وَالْأَصْطِلَاحِ

النَّبِيُّ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ: وردت لفظة (النَّبِيُّ) مهموزة وغير مهموزة<sup>(١)</sup>:

١- فإذا كانت اللفظة بالهمز (النَّبِيُّ) فهي:

أ- إما مشتقة من النَّبَأُ، وهو الخبر، فالنَّبِيُّ بَزَنَةٌ (فَعِيلٌ) يأتي بمعنى اسم الفاعل، أي: المُنْبِئ (المُخْبِر) عن الله تعالى. أو (فَعِيلٌ) بمعنى اسم المفعول، أي: هو المُنْبَأ (المُخْبَر)، لأن المَلَك يُنبئه عن الله بالوحي<sup>(٢)</sup>.

ب- أو أن تكون من (النَّبِيِّ)، الذي هو الطريق الواضح، لأن الأنبياء هم الطرق الموصلة إلى الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

٢- وإن كانت بلا همز (النَّبِيُّ) فهي:

أ- إما أن تكون همزتها مخففة.

ب- وإما أن تكون مشتقة من النُّبُوَّة أو النَّبَاوَة، أي: الارتفاع. وهو أيضاً (فَعِيلٌ) بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول، لأن النَّبِيَّ مرتفع الرتبة على غيره أو مرفوعها<sup>(٤)</sup>.

(١) النَّبِيُّ بالهمز قِرَاءَةٌ نَافِع، وَالنَّبِيُّ بِغَيْرِ الْهَمْزِ قِرَاءَةُ الْجُمْهُور. / الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣٢.

(٢) الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣٢. ونحوه في: لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٩.

(٣) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٤٩.

(٤) الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣٢. وانظر: الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ مَادَّةُ (النَّبَأُ)، وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١.



## والرَّسُولُ في أصل اللَّعَّة: لفظة مأخوذة:

أ- من قولهم جاءت الإبل رَسَلاً، أي: متتابعة، فالرَّسُولُ هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه<sup>(١)</sup>.

ب- من رسل اللَّبَن إذا تتابع دُرُّه، لأن الرَّسُولُ هو الذي يتتابع عليه الوحي<sup>(٢)</sup>.

## النَّبِيُّ والرَّسُولُ في الاصطلاح

جاء القرآن الكريم بهاتين الكلمتين معاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ - الحج ٥٢. وقد اختلف العلماء في بيان معناهما على أقوال أهمها:

القول الأول: النَّبِيُّ: إنسان أُوحي إليه بشرع (أي: أَحْكَام)، سواء أُمِر بتبليغه والدعوة إليه أم لا، فإن أُمِر بذلك فهو نَبِيٌّ رَسُول، وإن لم يُؤمر فهو نَبِيٌّ غير رَسُول.

فالفرق بينهما بالأمر بالتبليغ وعدمه<sup>(٣)</sup>.

فالنَّبِيُّ أعم من الرَّسُول، أي: يلزم من كونه رَسُولاً أن يكون نَبِيّاً، ولا عكس<sup>(٤)</sup>.

ص ٤٩ والمواقف ج ٨ ص ٢١٧-٢١٨ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥ وأصول الدين للبغداديّ ص ١٥٤.

(١) لسان العرب مادة (رسل).

(٢) أصول الدين للبغداديّ ص ١٥٤.

(٣) المُسامرة ص ٢٣١. وانظر: شرح الخريدة للذّردير ص ١٧ وشرح الجوهرة للباجوري ص ٣٣.

(٤) شرح الخريدة للذّردير وحاشية الصّاوي عليه ص ١٧ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ١٥٥ ولوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤٩ وج ٢ ص ٢٥٨. قال الباجوري في شرح الجوهرة ص ٣٣: (فبينهما العموم والخصوص المطلق، لأن كل رَسُول نَبِيٍّ ولا عكس). وذكر في شرح العقيدة الطحاوية ص ١٥٥ أيضاً: (ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل

وهذا القول هو المشهور<sup>(١)</sup>. وبه قال الجمهور وعامة الأشاعرة<sup>(٢)</sup> وصححه المهدي والقاضي عياض في كتابه الشفا، حيث قال: (والصحيح والذي عليه الجماعة الغفير، أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً)<sup>(٣)</sup>.

القول الثاني: النبي: إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، وكذا الرسول، فلا فرق بينهما، بل هما بمعنى واحد<sup>(٤)</sup>. وهو الذي عزاه ابن الهمام إلى بعض المحققين<sup>(٥)</sup>. وهو مذهب جمهور المعتزلة<sup>(٦)</sup>.

ورد هذا القول بما يأتي:

١- بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ - الحج ٥٢، فلو كان النبي مساوياً للرسول لما عطف عليه، لأن نفي أحد المتساويين يستلزم نفي الآخر<sup>(٧)</sup>.

٢- حديث أبي ذر في بيان عدد الرسل والأنبياء يقتضي أن الرسل هم غير الأنبياء،

الأمر بالعكس. فالرسالة أعم من جهة نفسها. وأخص من جهة أهلها). وقال الباجوري في شرح الجوهر ص ٣٣: (وجعل بعضهم الرسول أعم، لأن الرسل تكون من الملائكة).

(١) المسامرة ص ٢٣١ ولوامع الأنوار البهية ج ١ ص ٤٩ وحاشية الصاوي على الدردير ص ١٧. وفي شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ١٥٥: هو (أحسنها).

(٢) حاشية المرحاني ج ١ ص ١٢ وحاشية الكلبوي ج ١ ص ٩ وكفاية الطالب الرباني ج ١ ص ١٦.

(٣) الشفا ج ١ ص ٢٥١ وتفسير القرطبي ج ٧ ص ٤٤٧٢ نقلاً عن الشفا.

(٤) المسامرة وشرحه المسامرة ص ٢٣١ وحاشية الصاوي على الدردير ص ١٧ وأعلام النبوة للمازدي ص ٣٨ والمقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥ وشرح الجوهر للباجوري ص ٣٣ نقلاً عن السعد التفتازاني، وخير القلائد ص ١٢٠ نقلاً عن التفتازاني.

(٥) المسامرة وشرحه المسامرة ص ٢٣١.

(٦) حاشية المرحاني ج ١ ص ١٢ وحاشية الكلبوي ج ١ ص ٩.

(٧) حاشية الكلبوي على الدواني ج ١ ص ٩.

وهذا القول يقتضي اتحادهما، فهو مخالف للحديث<sup>(١)</sup>.

وهناك أقوال أخرى لا مجال لذكرها هنا<sup>(٢)</sup>.

### حكم إرسال الرسل

اختلفوا في حكم إرسال الرسل جميعهم على الأقوال الآتية:

١- الجواز. فيجوز عقلاً في حقه تعالى إرساله لجميع الرسل من آدم إلى سيدنا مُحَمَّد ﷺ. فلا يجب عليه تعالى، ولا يستحيل، بل إرساله تعالى الرسل هو بإحسانه وفضله الخالص. وهذا قول الأشاعرة<sup>(٣)</sup>.

٢- الوجوب. فيجب على الله تعالى إرسال الرسل. وهو قول المعتزلة والفلاسفة. ومبنى كلام المعتزلة على قاعدة وجوب الصّلاح والأصلح، فقالوا: النّظام المؤدي إلى صّلاح النوع الإنساني على العموم في المعاش والمعاد لا يتم إلا ببعثة الرسل. وكل ما كان كذلك فهو واجب على الله تعالى. وتقدم رد الأشاعرة على هذا القول عند الكلام على الصّلاح والأصلح عند المعتزلة<sup>(٤)</sup>.

(١) المُسامرة ص ٢٣٢ وشرح المقاصد ج ٥ ص ٦ وحاشية الكلنوي السابقة. وسيأتي حديث أبي ذر في (الإيمان بالأنبياء والرسل).

(٢) انظرها في: حاشية الكلنوي على الدواني ج ١ ص ٩ وحاشية المرحاني على الدواني ج ١ ص ١١-١٣ وأعلام النبوة ص ٣٨ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥ وتفسير القرطبي ج ٧ ص ٤٤٧٢ وتفسير البيضاوي ص ٣٣٠ والمسامرة ص ٢٣١.

(٣) شرح الجوهر للباجوري ص ١٩٨. وانظر: الإنصاف للباقلاني ص ٦١. وفي نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٤١٧: (صارت الأشعرية وجماعة من أهل السنة إلى القول بجواز وجود النبوات عقلاً ووقوعها في الوجود عياناً، وتتفي استحالتها بتحقيق وجودها كما ثبت تصورها بنفي استحالتها).

(٤) شرح الجوهر للباجوري ص ١٩٨. وفي نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٤١٧: (صارت المعتزلة وجماعة من الشيعة إلى القول بوجوب وجود النبوات عقلاً من جهة اللطف).

ومبنى كلام الفلاسفة هو على قاعدة التعليل أو الطبيعة، فيقولون: يلزم من وجود الله وجود العالم بالتعليل أو بالطبع، ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه. وردّ الأشاعرة على القول بالوجوب، بأنه تعالى فاعلٌ بالاختيار لا بطريق الإجمار<sup>(١)</sup>.

٣- الاستحالة. فيستحيل على الله تعالى إرسال الرسل. وهو قول السمنية والبراهمة. فزعموا أن إرسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم، لأن العقل يغني عن الرسل، فإن الشيء إن كان حسناً عند العقل فعله وإن لم تأت به الرسل. وإن كان قبيحاً عنده تركه وإن لم تأت به الرسل. وإن لم يكن عنده حسناً ولا قبيحاً فإن احتاج إليه فعله وإلا تركه<sup>(٢)</sup>.

وتقدّم الردّ على هذه الشبهة في موضوع (مناقشة منكري النبوات).

### طريق إثبات النبوة

لا يكون إثبات النبوة إلا باجتماع أمرين:

أولهما: ادعاء النبوة.

ثانيهما: إظهار المعجزة.

فكل من ادعى النبوة وأظهر المعجزة تصديقاً لدعواه، فهو نبي<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح الجوهرية للباجوري ص ١٩٨.

(٢) شرح الجوهرية للباجوري ص ١٩٨. وفي نهاية الإقدام للشهرستاني ص ٤١٧: (صارت البراهمة والصابئة إلى القول باستحالة النبوات عقلاً). وذكر هذه الأحكام عثمان الكليسي في خير القلائد ص ١٢٦.

(٣) المسامرة ص ٢٤٠ وشرح المواقف للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٤٣ والمقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٢٧ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٦٨ وشرح العقائد العضدية للدواني ج ٢ ص ٢٧٧ وكشف المراد ص ٣٧٧ والمعاليم الدينية ص ٩٦.

وسياقي تفصيل ذلك فيما بعد.

### النبوة اصطفاء واختيار من الله عز وجل

النبوة فضل وهبة من الله تعالى لمن يشاء من عباده، فلا تنال بالكسب، ولا بتكلف العبادة واقتحام أشق الطاعات، ولا تدرك بتهديب الروح وبتصفية النفس وتنقية البدن من رذائل الأخلاق، ولا بالوراثة، ولا أثر للذكاء فيها، ولا تأثير للمجتمع فيها<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ - الحج ٧٥.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ - يونس ١٥.

وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ - النحل ٢.

### بشرية الرسل والأنبياء

الأنبياء والرسل بشر، يأكلون ويشربون، ويمجعون ويعطشون، ويحزنون ويفرحون، وينامون، ويمرضون، ويغضبون، وينسون، ويتعبون، ويستشيرون، ويتزوجون،... ونحو ذلك من صفات البشر التي لا نقص فيها عليهم.

وإنما اختارهم الله عز وجل من جنس المرسل إليهم، ليكونوا على صلة وثيقة بهم، شاعرين بأحاسيسهم، مطلعين على ما يعانونه من آلام، مقيمين عليهم الحجة الدامغة، بإيضاح الطريق المستقيم لهم. ودليل ذلك:

(١) انظر: لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٧ وشرح الجوهرة للباجوري ص ٢١١ والمواقف وشرحه للسيّد الشريف ج ٨ ص ٢١٨ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٨٥ ونهاية الإقدام ص ٤٦٢.

أولاً: من القرآن الكريم:

أ- قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ - التوبة ١٢٨.

ب- وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ - الكهف ١١٠ وفُصِّلَتْ ٦.

ج- وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ - الأعراف ١٨٨.

د- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ - الرعد ٣٨.

هـ - وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ - الأنعام ٥٠.

ثانياً: ومن السنة النبوية:

أ- حَدِيثُ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: هَوْنٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ<sup>(١)</sup>.

ب- قوله ﷺ: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَنَسَىٰ كَمَا تَنَسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي)<sup>(٢)</sup>.

(١) حَدِيثُ أَبِي مَسْعُودٍ فِي: سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ فِي: ٢٩ كِتَابِ الْأَطْعِمَةِ، ٣٠ بَابِ الْقَدِيدِ، رَقْم ٣٣١٢ ج ٢ ص ١١٠١. وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ج ٤ ص ٤٣٠: صَحِيحٌ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

(٢) حَدِيثٌ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ... إلخ، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٨ كِتَابِ الصَّلَاةِ، ٣١ بَابِ التَّوَجُّهِ نَحْوَ الْقِبْلَةِ، رَقْم ٤٠١، بِهَذَا اللَّفْظِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٥ كِتَابِ الْمَسَاجِدِ، ١٩ بَابِ السَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ، رَقْم ٥٧٢، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ج- تواضع الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ وسيرته تشهد ببشريته، ولا مجال لأحد في إنكار ذلك.

د- عبوديته ﷺ لله تعالى الظَّاهِرَةُ في كلامه وأدعيته، كما في قوله ﷺ: (اللهم إني عبدك وابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك)<sup>(١)</sup>، وأمثاله كثير.

### فَوَائِدُ وَقُوعِ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ بِالْأَنْبِيَاءِ:

تقدم أن الأنبياء بشر، يقع عليهم من الأعراض البَشَرِيَّةِ كالابتلاء والمرض والنسيان والفقر... إلخ ما يقع على سائر الناس، إلَّا أن لوقوع هذه الأعراض بالأنبياء فَوَائِدُ تتلخص بما يأتي:

١- تَعْظِيمُ أَجْوَرِهِمْ: فالبلاء والأمراض يترتب عليه الأجر الْعَظِيمُ، لهذا قال النَّبِيُّ ﷺ: أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الْقُشَيْرِيُّ: ليس كل أحد أهلاً للبلاء، إذ البلاء للأُولِيَاءِ، وأما الأجانب فيتجاوز عنهم، ويخلي سبيلهم<sup>(٣)</sup>.

والله تعالى وإن كان قَادِرًا على أن يعظّم أجورهم من غير ابتلاء ومشقة، إلَّا أن حكمته تعالى اقتضت ترتب ذلك على الابتلاء ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ - الأنبياء ٢٣<sup>(٤)</sup>.

(١) حَدِيثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ... إلخ، رواه أَحْمَدُ في مُسْنَدِهِ ج ١ ص ٤٥٢.

(٢) شَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُّوسِيِّ ص ١٨٥-١٨٦ وَشَرْحُ السَّنُّوسِيَّةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٠. وانظر: شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠١.

وَحَدِيثُ: أَشَدُّ النَّاسِ بِلَاءً... إلخ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ، عَنْ سَعْدٍ، وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٦٩.

(٣) شَرْحُ السَّنُّوسِيَّةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٠.

(٤) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠١ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُّوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ

٢- التشريع: فسهو رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في الصلاة تشريع للناس، وتَعْلِيمٌ لَهُمْ كَيْفِيَّةُ سَجُودِ السُّهُو، لِأَنَّ دَلَالََةَ الْفِعْلِ أَقْوَى مِنْ دَلَالََةِ الْقَوْلِ<sup>(١)</sup>.

٣- التَّسْلِيُّ بِأَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ، إِذَا نَزَلَ بِنَا مَا نَزَلَ بِهِمْ: فَإِذَا نَظَرَ الْعَاقِلُ فِي أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ، مِنْ مَرَضٍ وَأَسْقَامٍ، وَقِلَّةِ مَالٍ وَأَذَى النَّاسِ لَهُمْ، مَعَ عُلُوِّ مَقَامِهِمْ وَرَفْعَةِ شَأْنِهِمْ، فَإِنَّهُ يَتَسَلَّى وَيَتَصَبَّرُ، فَلَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ بَلَاءٍ<sup>(٢)</sup>.

٤- تَنْبِيْهِ غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى خِسَّةِ قَدْرِ الدُّنْيَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، حِينَ يَرُونَ الْأَنْبِيَاءَ قَدْ أَعْرَضُوا عَنْهَا، وَانْصَرَفُوا عَنْ مَلَازِمِهَا وَمَغَانِمِهَا<sup>(٣)</sup>.

وذم الدنيا الوارد في بعض النصوص، إنما هو في الدنيا الشاغلة عن الله تعالى، وعليه يحمل قوله ﷺ: (أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالَمًا أَوْ مُتَعَلِمًا) أَي: مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ.

أما الدنيا التي لم تشغل عنه فلا ذم فيها، بل هي مَحْمُودَةٌ، وعليه يحمل قوله ﷺ: (نِعْمَ الدُّنْيَا مَطِيَّةٌ الْمُؤْمِنِ، بِهَا يَصِلُ إِلَى الْخَيْرِ، وَبِهَا يَنْجُو مِنَ الشَّرِّ). وبذلك يعلم: أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ مَحْمُودَةٌ، وَلَا مَذْمُومَةٌ لِدَاتِهَا<sup>(٤)</sup>.

ص ١٨٥-١٨٦.

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠١ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ١٨٥ وَشَرْحُ السَّنُوسِيِّ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٠.

(٢) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةُ الصَّاوِيِّ عَلَيْهِ ص ١٠١-١٠٢ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهِ ص ١٨٥ وَشَرْحُ السَّنُوسِيِّ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣١.

(٣) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠١ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ ص ١٨٥ وَشَرْحُ السَّنُوسِيِّ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣١.

(٤) شَرْحُ السَّنُوسِيِّ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٣٢ وَشَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ السَّابِقِ.

وَحَدِيثُ: (أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ... إلخ، فِي: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ فِي: ٣٣ كِتَابُ الزُّهْدِ، ١٤ بَابُ مِنْهُ، رَقْمُ ٢٣٢٢، ص ٣٨٣، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَفِيهِ: (... إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ



## عدد الأنبياء

قدَّر الله تعالى ما يحتاج إليه الناس بمجموعهم من المَوَاهِب والكفاءات المُخْتَلِفَةِ التي تهيئ لهم الحياة الرغيدة والعيش السَّعيد، فقسمها بين الأفراد بناء على حاجتهم إليها، فَرَجَالَ الجيش والنَّجَّارون والحَدَّادون والزَّرَّاعون وأصحاب المهن كثيرون جداً، بينما يقل عدد ذوي الكفاءات القيادية أو العِلْمِيَّة، ويهبط عدد مَالِكِيِّ المِهارة والحدق في لون معين، ويتضاءل عدد مَالِكِيِّ قيادة العالم الفكرية وأصحاب الهداية إلى سواء السَّبِيل وهم الأنبياء والرسل، لأن أَعْمَالَهُم تغني البشر إلى أجيال طَوِيلَةٍ.

فلو أخذنا بِحَدِيثِ الأنبياء وهم (١٢٤٠٠٠) نَبِيٍّ، والرسل منهم (٣١٣) رَسُولاً، نرى العدد ضئيلاً جداً بالنسبة لأُمَم العالم جميعاً من بدء الخليقة إلى زمن الرُّسُول مُحَمَّد ﷺ، ولا يقاس إلى تلك الأجيال القادمة<sup>(١)</sup>.

لَكِنْ لا ينبغي في الإيمان بالأنبياء القطع بحصرهم في عدد معين، لأنه:

أ- لم يرد بحصرهم دليل قطعي، وحصر عددهم يخالف ظاهر قوله تعالى: ﴿مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ - غافر ٧٨، والحديث الوارد في عددهم ضعيف، وهو: خبر واحد، لم يقترن بما يفيد القطع، وخبر الواحد لا يفيد إلا الظن، ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات.

٢- وقد يؤدي حصرهم بهذا العدد إلى أن يدخل فيهم من ليس منهم، أو يخرج من هو منهم<sup>(٢)</sup>.

وما والاهُ وعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ).

(١) مبادئ الإسلام ص ٣٣.

(٢) المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص ٢٢٥. وانظر: شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفَتَّازَانِي ج ٥ ص ٦١ -

٦٢ وَشَرْحُ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ ص ١٦٩-١٧٠ وَشَرْحُ الْخَزِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١١١ وَلَوَائِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٥٨ وَبَحْرُ الْكَلَامِ لِلنَّسَفِيِّ ص ١٨٧.

لَكِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ذَكَرَ أَسْمَاءَ خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ، وَهُمْ: آدَمُ، وَإِدْرِيسُ، وَنُوحٌ، وَهُودٌ، وَصَالِحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَلُوطٌ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ، وَيَعْقُوبُ، وَيُوسُفُ، وَشُعَيْبٌ، وَأَيُّوبُ، وَذُو الْكِفْلِ، وَمُوسَى، وَهَارُونَ، وَسُلَيْمَانُ، وَدَاوُدُ، وَإِلْيَاسُ، وَالْيَسَعَ، وَيُونُسُ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ ﷺ<sup>(١)</sup>.

### مهمة الأنبياء وبعثتهم إلى أمم العالم جميعاً

الأنبياء والرسل هداة البشر إلى الصراط المستقيم، وأهل المبادئ التهديبية التي عاجلت المشاكل المادية والروحية يبشرون بالجنة أهل التقى، وينذرون بالنار أهل الفساد والكفر، ويبينون للناس ما يحتاجون إليه من أمور الدين والدنيا.

الْحَدِيثُ الْوَارِدُ فِي عَدَدِ الْأَنْبِيَاءِ، فِي: مُسْنَدِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْهُ: (قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ: كَمْ عَدَدُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ مِائَةٌ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ عَشْرُونَ، الرِّسْلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثًا وَعِشْرُونَ وَخَمْسَةٌ عَشْرَ جَمًّا غَفِيرًا).

ورواه الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الْكَبِيرِ بِلَفْظٍ: وَأَرْبَعَةٌ وَعَشْرُونَ أَلْفًا. وَهِيَ مُصَرَّحَةٌ بِمَا أُبْهِمَ فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ.

ومدار الْحَدِيثِ عَلَى عَلِيِّ بْنِ يَزِيدٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ. / الْمُسَامَرَةُ ص ٢٢٦.

وله لَفْظٌ آخَرٌ فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ: عَدَدُ الْأَنْبِيَاءِ مِائَةٌ أَلْفٌ وَأَرْبَعَةٌ وَعَشْرُونَ أَلْفًا، الرِّسْلُ مِنْهُمْ ثَلَاثًا وَعِشْرُونَ وَثَلَاثَةٌ عَشْرُونَ. وَفِي رِوَايَةٍ: وَأَرْبَعَةٌ عَشْرُونَ. وَفِي رِوَايَةٍ: وَخَمْسَةٌ عَشْرُونَ. / كِفَايَةُ الطَّلِبِ الرَّبَّانِيِّ ج ١ ص ١٧. وانظر: لَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٥٨.

وَتَكَلَّمَ فِيهِ وَلِي الدِّينِ الْعِرَاقِيُّ، وَرَدَّ عَلَى ابْنِ حِبَّانَ جَمَاعَةً مِنَ الْحُفَاطِ، لِإِدْخَالِهِ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الصَّحِيحِ. / لَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٤. وَلِلْحَدِيثِ أَلْفَاظٌ أُخْرَى بِأَسَانِيدٍ أُخْرَى فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَابْنِ حِبَّانَ وَابْنِ الْأَوْسَطِ الَّذِي ذَكَرَ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ. / الْمُسَامَرَةُ ص ٢٢٦. وَذَكَرَ قَاسِمُ بْنُ قُطْلُوبُغَا الْخَبَرَ عَنْ رِوَايَةِ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوِيَةَ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدَ بْنَ أَبِي عُمَرَ وَأَبِي يَعْلَى. / شَرْحُ الْمُسَامَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٢٢٥.

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١١٠-١١١.

وقد أرسلهم الله تعالى إلى أُمَمِ العالم جميعاً، فكل أُمَّة لها رَسُولٌ، وإن لم يخبرنا الله بأسمائهم بدلالة قوله تعالى:

أ- ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ - فاطر ٢٤.

ب- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ - النحل ٣٦.

ج- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ - القصص ٥٩.

هذه النصوص جميعاً تدل على أن بعث الأنبياء، لا ينحصر في أُمَّة معينة، أو مكان معين كالجزيرة العربية.

### وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل

الإيمان بالأنبياء والرسل جميعهم، وتصديقهم في أخبارهم، وطاعتهم في أوامرهم ونواهيهم، فرض على كل مُسْلِم، بدليل:

أ- قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ - البقرة ١٣٦<sup>(١)</sup>.

ب- وقال سبحانه: ﴿كُلُّ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكُتِبَ لَهُ دُعَاؤُهُ لِرَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ - البقرة ٢٨٥.

ج- وجعل سبحانه للذين يؤمنون بالجميع الأجر العظيم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ

(١) لَوَامِعُ الْأَثْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٣.

ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ  
عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ - النساء ١٥٢.

تكذيب الأنبياء أو تنقيصهم كفر:

وهم جميعاً يشتركون في قدر واحد وهو: النبوة.

ولذا اتفق علماء الإسلام جميعاً على كفر من كذب نبياً معلوماً النبوة، وكذا من  
سب نبياً أو انتقصه، ويجب قتله. بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ  
وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ  
وَيُرِيدُونَ أَن يُتَّخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا  
مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ - النساء (١).

### الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالْكَتَبُ السَّمَاوِيَّةُ الْآخَرَى

أُصُولُ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيَّةِ وَعَقَائِدُهَا وَهَدَفُهَا وَاحِدٌ، وهو: توجيه البشر إلى  
طريق الصَّلاح، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ  
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ - الشُّورَى ١٣.

وقال سبحانه: ﴿فَإِن نَّزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ - النساء ٥٩.

ولذلك طلب القرآن الكريم الإيَّان بجميع الرسل، وما أنزل عليهم من كتب:

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ - البقرة ٤.

لكن الإيهان المطلوب شرعاً بالكتب السماوية - ومنها الإنجيل والتوراة والزبور -، إنما يراد به التصديق بأن هذه الكتب كانت من عند الله تعالى، وكانت صادقة، وما جاءت إلّا للغرض الذي جاء لإتمامه القرآن. فما جاء بها مخالفاً لما في القرآن الكريم فهو مُحَرَّف قطعاً، لا يعوّل عليه.

وهنا لا بد أن نبين أهم فروق القرآن الكريم عن الكتب السماوية فيما يأتي:

١ - الكتب التي نزلت قبل القرآن ضاعت نُسخُها الأصلية، ولم يبقَ منها إلّا ترجمتها.

أما القرآن فهو محفوظ بلفظه وبكلماته، التي أنزلها الله تعالى على نبيه مُحَمَّد ﷺ، ووصل إلينا بهذا الشكل متواتراً.

٢ - اختلط كلام الناس من فقهاء أو مُفسِّرين أو مؤرخين بتلك الكتب.

أما القرآن فلم يختلط به شيء حتى من كلام رَسُول الله ﷺ. ولقد منع النَّبِيُّ ﷺ من كتابة الحديث في بداية نُزُول القرآن، لئلا يختلط الحديث بالقرآن. وكتب التفسير والحديث والفقه مستقلة تماماً عن القرآن، كما هو معروف.

٣ - لم يستطع أحد أن يثبت باستناد تاريخي أن أيّاً من هذه الكتب الموجودة الآن نزل على النَّبِيِّ الذي نسب إليه ذلك الكتاب، كما لم يمكن تعيين الزمن الذي نزل به.

أما القرآن فالتاريخ قاطع بشواهد أنه نزل على مُحَمَّد ﷺ، وأن آياته منها ما عُيِّن مكان نُزُوله أو زمنه أو سببه.

٤ - لغات الكتب السماوية القديمة اندرست منذ زمن طویل، فلم نجد متكلماً بها، بل إن من يفهمها قليل جداً.

أما لُغَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فهي لُغَةٌ حَيَّةٌ يتكلم بها إلى الآن مئات الملايين من الْمُسْلِمِينَ في أَقْطَارِ الْعَالَمِ الْمُخْتَلِفَةِ.

٥- أَحْكَامُ كُلِّ مِنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ - كما يبدو من قِرَاءَتِهَا - خَاصَّةً بِالزَّمَنِ وَبِالْأُمَّةِ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا ذَلِكَ الْكِتَابُ، جَاءَتْ تَلْبِيَّةً لِحَاجَاتِهِ وَوَفَّقَ أَحْوَالَهُ.

فِي حِينٍ أَنْ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ عَامَةٌ لَجَمِيعِ النَّاسِ وَلِكُلِّ زَمَانٍ.

٦- كُلُّ مِنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْخَيْرِ وَالصَّالِحِ وَالْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْتَوْفِ الْفَضَائِلَ.

لَكِنَّ الْقُرْآنَ اسْتَوْفَى الْفَضَائِلَ كَامِلَةً، سِوَا نَصِّ عَلَيْهَا فِي الْكِتَابِ الْقَدِيمِ أَمْ لَمْ يُنَصَّ.

٧- تَسَرَّبَ إِلَى كُلِّ مِنَ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ التَّحْرِيفُ، وَالْأُمُورُ الَّتِي لَا تَوَافِقُ الْعَقْلَ، وَتَقُومُ عَلَى الظُّلْمِ، بَلْ تَحْوِي أُمُورًا مِنْ قَبِيلِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

أَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنَّهُ صَالِحٌ كُلُّهُ وَمُنَزَّهٌ عَنِ الْفَاحِشَةِ وَلَيْسَ فِيهِ مَا يَخَالِفُ الْعَقْلَ<sup>(١)</sup>.

٨- الشَّرَائِعُ الْقَدِيمَةُ اخْتَصَّتْ بِالْعِلَاجِ الرُّوحِيِّ.

أَمَّا الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فَقَدْ وَضَعَتْ الْمَبَادِئَ الْكَفِيلَةَ بِحُلِّ مَشَاكِلِ الْإِنْسَانِ وَتَلْبِيَةِ حَاجَاتِهِ الْمَادِيَةِ وَالرُّوحِيَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

هَذِهِ الْمَزَايَا الَّتِي لِأَجْلِهَا أَمَرَ النَّاسُ بِاتِّبَاعِ الْقُرْآنِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهِ.

(١) انظر: مبادئ الإسلام ص ٨٠-٨٤.

وانظر الفصل الذي كتبه العالم الجليل رحمته الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) الذي أثبت فيه تحريف الكتب السماوية التي سبقت القرآن.

### صفات الرُّسل والأنبياء

جَبَلَ اللهُ تعالى بعض الناس على مَوَاهِبٍ معينة كالقوة والشعر والفنون... يتفوق بها على الآخرين، وَهَبَ الأنبياء والرسل الكفاءة العالية لقيادة الناس وهدايتهم إلى الصراط المُستقيم، لذلِكَ امتازوا بصفات فيها جميع خصال الخَيْر، بعيدة عن جميع النقائص، التي لا تليق بهم.

وهذه الصفات الواجبة في حقهم هي: العِصْمَةُ، والتبليغ، والفتانة، والذكورة، والسَّلامَةُ من النقائص<sup>(١)</sup>.

### الصفة الأولى: العِصْمَةُ

العِصْمَةُ لُغَةً: الحفظ.

واصْطِلَاحاً: هي أن لا يخلق الله تعالى فيهم ذنباً<sup>(٢)</sup>.

(١) اختلفوا في تعداد الصفات الواجبة في حق الرسل، فذكر السُّنُوسِيُّ ثلاث صفاتٍ هي: الصدق، والأمانة، والتبليغ. / أم البراهين وشرحها للسُّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عليه ص ١٧٣.

وأضاف الدَّرْدِيرُ في شَرْحِ الخَرِيدَةِ ص ٩٦ صفةً رابعةً وهي الفتانة، بقوله:

وصف جميع الرُّسل بالأمانة والصِّدْق والتبليغ والفتانة

وهذه الصفات الأربع ذكرها اللَّقَائِي في جَوْهَرَةِ التَّوْحِيد. / انظرها في شرحها للَبَّاجُورِيِّ ص ٢٠٠.

ويعبر المتكلمون عن الأمانة بالعِصْمَةُ. / حَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ على شَرْحِ أم البراهين ص ١٧٨.

وهذا التعداد أريد به التَّوْضِيح والبيان، وفي بعض جزئياته تداخل، وما عدَّذته من الصفات مستقاة من أقوال الجُمهُور كما سيأتي، وتعدادها للتَّوْضِيح أيضاً.

(٢) شَرْحِ العقائد العُصْدِيَّةِ للدَّوَّانِيِّ ج ٢ ص ٢٧٩ والمواقف ج ٨ ص ٢٨٠ وفيه قال: (عندنا، بناءً على ما يقتضيه أصلنا من استناد الأشياء كلها إلى الفاعل المُخْتَار ابتداءً. خلافاً للفلاسفة...).

أو هي لطف من الله تعالى، يحمله على فعل الخير، ويزجره عن فعل الشر. مع بقاء الاختيار، تحقيقاً للابتلاء<sup>(١)</sup>.

والذنب إما أن يكون من الكبائر أو من الصغائر.

### النوع الأول: العِصْمَة من الكبائر

للكبائر تعريفات مُخْتَلِفَة، أرجحها:

أنَّ الكبائر هي: ما ترتب عليها حَدٌّ أو توعده عليه بالنار أو اللعنة أو الغضب.

أما الصغائر فهي: ما ليس فيها حَدٌّ في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة<sup>(٢)</sup>.

والكبائر إما كفر أو كذب أو غيرهما من الذنوب الكَبِيرَة الأخرى. وتفصيل عِصْمَة

الأنبياء عن هذه الأنواع من الكبائر هو:

### أولاً: العِصْمَة من الكفر:

اتفق جُمهُورُ المُسْلِمِينَ على أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ معصومون من الكفر قبل

الوحي وبعده، ولا يجوز الكفر عليهم في حال صغرهم تبعاً للوالدين، لأنهم مؤمنون

وفي المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص ٢٢٧-٢٢٨: (العِصْمَة تخصيص القدرة بالطاعة، فلا يخلق لمن وُصِفَ بها قدرة المعصية. ولَخَّصَ ابنُ الهُمام في التَّحْرِيرِ هَذَا التعريف، وذكر معه تعريفاً آخر فقال: العِصْمَة عدم قدرة المعصية، أو هي خلقُ مانعٍ منها غير ملجئ إلى تركها، بل يبقى معه الاختيار. والتعريف الثاني يلائم قول الإمام أبي مَنْصُور المَآثِرِي: العِصْمَة لا تزِيلُ المحنة. أي الابتلاء المقضي لبقاء الاختيار. قال صاحب البِدَايَة: ومعناه - يعني قول أبي مَنْصُور - أنها لا تجبره على الطاعة، ولا تعجزه عن المعصية، بل هي لُطْفٌ من الله تعالى يحمله على فعل الخير... للابتلاء). وانظر: التَّحْرِيرُ وشرحه التَّفْرِيرُ والتَّخْيِيرُ ج ٢ ص ٢٢٣.

(١) المُسَامَرَة ص ٢٢٩ ومِفْتَاحُ الباب ص ١٧٥.

(٢) شَرْحُ العَقِيدَة الطَّحَاوِيَّة لابن أبي العزّ ص ٣٥٦ وكتابنا: الشُّورَى بين النُّظَرِيَّة والتَّطْبِيقِ



بالله، عارفون به حقيقة، فلا يجري عليهم حكم الكفر تبعاً<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: العِصمة من الكذب:

الصدق: هو مطابقة حكم الخبر للواقع. وأنواعه ثلاثة:

١- الصدق في دعوى الرّسالة.

٢- الصدق في ما يبلغونه عن الله عزّ وجلّ إلى الناس من الأحكام الشرعيّة.

٣- الصدق في جميع ما ينطق به مما يتعلق بأُمور الدنيا<sup>(٢)</sup>.

وضده: الكذب. فيستحيل صدور الكذب عن الأنبياء فيما دَلَّ المُعْجِزُ القاطع على صدقهم فيه كدعوى الرّسالة، وما يبلغونه عن الله تعالى إلى الخلائق، على سبيل العمدة بإجماع أهل الملل والشرائع كلها، ويستحيل صدوره على سبيل السهو والنسيان عند أكثر الأئمة الأعلام. وهو المعتمد على ما أفاده المحققون<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح المُسَايَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبَغَا ص ٢٢٧-٢٢٨. ونقل الإيجي في المواقف ج ٨ ص ٢٦٤ إجماع الأئمة على عِصْمَةِ الأنبياء من الكفر قبل النّبوة وبعدها. وانظر: شرح العقائد العُصْديّة للدّوَائِي السّابِق، وشرح العقائد النّسفيّة للتفتازاني ص ١٧٠ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٤٩ ولَوَامِعُ الأَنْوَارِ البَهيّة ج ٢ ص ٣٠٤.

غير أن الأزارقة من الخوارج جَوَّزُوا عليهم الذنب، وكلّ ذنب عندهم كفرٌ، فلزمهم تجويز الكفر، بل يُحْكِي عنهم أنهم قالوا بجواز بعثة نبيّ علّم الله تعالى أنه يكفر بعد نبوته. / المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٦٤. وانظر: المقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٤٩-٥٠ والتّقرير والتّحبير ج ٢ ص ٢٢٤ ولَوَامِعُ الأَنْوَارِ البَهيّة السّابِق.

(٢) شرح الحريّة للدردير ص ٩٧ ورِسَالَةُ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ٦٧.

الصدق من الصفات الأربع عند الدردير واللقائي كما تقدّم، وأنواعه هي هذه الثلاثة، لكنهم قالوا بأن الصدق هو النوع الأولان، أما النوع الثالث منه فهو من جزئيات الأمانة. / حاشية الدُشُوقِي على شرح أم البراهين للسُّنُوسِي ص ١٧٣ وشرح الجوهرة للباجوري ص ٢٠٢.

(٣) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٦٣، وفيه: الخلاف في جواز صدور الكذب عنهم على سبيل السهو والنسيان، قال: (منعه الأستاذ أبو إسحاق وكثير من الأئمة الأعلام لدلالة

أما الكذب فيما يتعلق بغير الإرسال والتبليغ فالحقُّ أنه من عِدَاد سائر الذنوب على التفصيل الذي سيأتي<sup>(١)</sup>.

والدليل العقلي على صدق الأنبياء هو:

أ- لو جاز عليهم الكذب والافتراء، للزم الكذب في خبره تعالى، وهو مُحَال، لأنه تعالى صدَّقهم بالمعجزات<sup>(٢)</sup>.

ب- الكذب معصية، وهم معصومون منها.

ج- لو كذبوا، وعرف الناس منهم ذلك، لانتفت فائدة الرِّسالة<sup>(٣)</sup>.

المعجزة على صدقهم في تبليغ الأحكام، فلو جاز الخُلُفُ في ذلك لكان نقضاً لدلالة المعجزة وهو ممتنع. وجَوْرَةُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مَصِيرًا مِنْهُ إِلَى عَدَمِ دُخُولِهِ فِي التَّصْدِيقِ الْمَقْصُودِ بِالْمَعْجِزَةِ، فَإِنَّ الْمَعْجِزَةَ إِنَّمَا ذَكَتْ عَلَى صَدَقِهِ فِيهَا هُوَ مُتَذَكِّرٌ لَهُ عَامِدٌ إِلَيْهِ، وَأَمَّا مَا كَانَ مِنَ النِّسْيَانِ وَفَلَتَاتِ اللِّسَانِ فَلَا دَلَالَةَ لَهَا عَلَى الصِّدْقِ فِيهِ، فَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْكُذْبِ هُنَاكَ نَقْضٌ لِدَلَالَتِهَا).

وفي شَرْحِ الْعَقَائِدِ النَّسْفِيَّةِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ص ١٧٠: (الأنبياء معصومون عن الكذب خصوصاً فيما يتعلقُ بأمر الشرائع وتبليغ الأحكام وإرشاد الأمة، إما عمداً فبالإجماع، وإما سهواً فعند الأكثرين. وَعَلَّقَ الْكَسْتَلِيُّ عَلَى قَوْلِهِ: «إما عمداً فبالإجماع، وإما سهواً فعند الأكثرين» بقوله: هَذَا فِي الْكُذْبِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّبْلِيغِ وَالْإِرْسَالِ، إِذْ قَدْ ذَكَتِ الْمَعْجِزَةُ عَلَى صَدَقِهِمْ فِيهِ دَلَالَةٌ قَطْعِيَّةٌ، لَكِنْ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ خَصَّصَهَا بِمَا يَعْمَدُونَهُ وَيَتَذَكَّرُونَهُ، فَجَوَزَ صُدُورَ الْكُذْبِ عَنْهُمْ سَهْوًا أَوْ نِسْيَانًا فِي الْأُمُورِ التَّبْلِيغِيَّةِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ لَا دَلَالَةَ لِلْمَعْجِزَةِ عَلَى عَصَمَتِهِمْ عَنْ ذَلِكَ).

وانظر: شَرْحِ الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ لِلدَّوَانِيِّ ج ٢ ص ٢٧٩ وَشَرْحِ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٥٠ وَالتَّقْرِيرَ وَالتَّخْيِيرَ ج ٢ ص ٢٢٤ وَلَوَامِعَ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٣٠٧ وَالْوَسِيلَةَ ص ٦٩٥.

(١) حَاشِيَةُ الْكَسْتَلِيِّ ص ١٧٠.

(٢) الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٢٦٣ وَشَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٩٧ وَرِسَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ٦٧ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٣٠٧ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٢.

(٣) رِسَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي السَّابِقَةِ.

### والدليل النقلي على صدقهم:

أ- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿٤١﴾ - النجم<sup>(١)</sup>.

ب- قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ - يس ٥٢.

ج- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ - الحاقة.

د- في الحديث: قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ: إنك تداعبنا. قال: إني لا أقول إلا حقاً.

أما ما ظاهره الكذب في حق الأنبياء، كما في واقعة إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَام حين كسر الأصنام، وأبقى كبيرها فقط، فلما سئل ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلهَتِنَا يَا ابْنِ بَرَهْمٍ﴾ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ - الأنبياء، فإنه يؤول بأن قصده عَلَيْهِ السَّلَام التهديد والتبكي والاستهزاء، لأنه لم يكن عند الأصنام غيره، فما فائدة قولهم من فعل هذا؟<sup>(٢)</sup>.

وقيل معناه: سلوهم إن نطقوا فإنهم يصدقون، وإن لم يكونوا ينطقون فليس هو الفاعل. وفي ضمن هذا الكلام اعتراف بأنه هو الفاعل. فقوله هذا من المعارض، وفي المعارض مندوحة عن الكذب، وهو الذي صَحَّحَهُ الْقُرْطُبِيُّ<sup>(٣)</sup> وقيل غيره<sup>(٤)</sup>.

(١) شَرْحُ الْخَزِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ٩٧.

(٢) حَاشِيَةُ الصَّاوِي عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ٩٧ وَتَفْسِيرُ الْبَيْضَاوِيِّ ص ٣٢١.

وَحَدِيثُ الْمَدَاعِبَةِ، فِي: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ فِي: ٢٤ كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، ٥٧ بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمَزَاحِ،

رَقْم ١٩٩٠، ص ٣٣٢، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ج ٦ ص ٤٣٤٠.

(٤) انظر: تَفْسِيرُ الْبَيْضَاوِيِّ السَّابِقِ.

ثالثاً: العِصْمَةُ من الكبائر الأخرى:

ونبين هنا حال صدور الكِبِيرَةِ عنهم عمداً أو سهواً، قبل البعثة أو بعدها.

قبل البعثة:

الأنبياء قبل بعثتهم معصومون عن صدور الكِبِيرَةِ، التي توجب النُفْرَةَ منهم مطلقاً، كعُهر الأمهات والفجور في الآباء<sup>(١)</sup>.

أما الكبائر الأخرى فلا يمتنع صدورها عنهم عند أكثر الأشاعرة وجمع من المُعْتَزِلَةِ، إذ لا دلالة للمعجزة على امتناع الكِبِيرَةِ قبل البعثة. وبه قال الإباضية.

وقال أكثر المُعْتَزِلَةِ: يمتنع صدور الكِبِيرَةِ منهم، لأنها توجب النُفْرَةَ عمن ارتكبتها، وهي تمنع عن اتباعه، فتفوت مصلحة البعثة<sup>(٢)</sup>.

وبعد البعثة:

هم معصومون منها عمداً، وهو قول الجُمهُور من المحققين والأئمة. ومعصومون منها سهواً أو على سبيل الخطأ في التأويل، وهو المُخْتَار<sup>(٣)</sup>.

وأطلق الزيدية والإمامية المنع من وقوع الكبائر منهم، على ما سيأتي.

(١) المَوَاقِف ج ٨ ص ٢٦٥ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٧١ وشرح العقائد العُصْدِيَّة لِلدَّوَانِي ج ٢ ص ٢٧٩ نقلاً عن شرح العقائد.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٦٥. وانظر: شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٧١. وقول الإباضية في: مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ٢٥.

(٣) المَوَاقِف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٦٤-٢٦٥ وفيه: (صدور الكبائر عنهم عمداً بعد الوحي منعه الجُمهُور من المحققين والأئمة، ولم يخالف فيه إلا الحشوية. أما صدورها عنهم سهواً أو على سبيل الخطأ في التأويل فجوَّزهُ الأكثرون، والمُخْتَار خلافه). وانظر: المُسَايَرَة وشرحها المُسَامَرَة ص ٢٣٢ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٧٠-١٧١ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥١ والوسيلة ص ٦٩٥ ومشارق أنوار العقول ج ٢ ص ٢٥.

## النوع الثاني: العَصَمَة من الصغائر

الصغائر نوعان:

أ- صغائر الخِسَّة التي تلحق فاعلها بالأراذل، كسرقة حَبَّة أو لقمة والتطفيف بتمرة.

والأنبياء قبل البعثة: معصومون منها<sup>(١)</sup>.

وبعد البعثة كذلك، فلا تصدر عنهم أصلاً، لا عمداً ولا سهواً بالاتفاق<sup>(٢)</sup>.

ب- الصغائر الأخرى:

والأنبياء غير معصومين منها، قبل البعثة عمداً وسهواً.

أما بعد البعثة فهم معصومون منها عمداً، وتجاوز سهواً، لَكِنْ لَا يُصِرُّونَ عَلَيْهَا، وَلَا يُقَرُّونَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا، بَلْ يُنَبِّهُونَ فَيَتَنَبَّهُونَ. وعليه المحققون من المُحَدِّثِينَ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ<sup>(٣)</sup>، لقوله ﷺ: (إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي)<sup>(٤)</sup>. هَذَا قول الأشاعرة.

وذهب الْمُعْتَزِلَةُ إِلَى تَجْوِيزِ الصَّغَائِرِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، إِمَّا عَلَى سَبِيلِ السَّهْوِ عَلَى

(١) الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٦٥ وَشَرْحُ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ، وَشَرْحُ الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ لِلدَّوَّانِيِّ، السَّابِقَانِ، وَالْمُسَامَرَةُ ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٢) الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ، وَشَرْحُ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ، وَالْوَسِيلَةُ، وَمَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ، السَّابِقَةُ، وَالْمُسَامَرَةُ ص ٢٣٣.

(٣) شَرْحُ الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ لِلدَّوَّانِيِّ ج ٢ ص ٢٧٩ وَشَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٥١. وَاَنْظُرْ: الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٦٥ وَلَوَاعِجُ الْأَثْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٣٠٤-٣٠٥ وَالْمُسَايِرَةُ وَشَرْحُهَا الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣٢. وَهَنَّاكَ أَقْوَالُ أُخْرَى فِي هَذِهِ الْمَوَاقِفِ وَفِي شَرْحِ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ص ١٧١ وَالْوَسِيلَةُ ص ٦٩٥. وَفِي شَرْحِ الْمَقَاصِدِ السَّابِقِ: ذَهَبَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ وَأَبُو هَاشِمٍ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ إِلَى تَجْوِيزِ الصَّغَائِرِ عَمْدًا.

(٤) الْمُسَايِرَةُ وَشَرْحُهَا الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣٤. وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُ الْحَدِيثِ آنِفًا.

قول بعضهم، أو على سبيل التأويل على قول قوم منهم، أو لأنها تقع محبطة بكثرة ثوابهم<sup>(١)</sup>.

فعصمة الأنبياء عند المعتزلة هي عن الكبائر عمداً أو سهواً، والصغيرة عندهم لا تُخل بالعصمة<sup>(٢)</sup>.

وذهب الزيدية كالمعتزلة إلى تجويز الصغائر على الأنبياء، والمنع من وقوع الكبائر منهم<sup>(٣)</sup>.

وقالت الإمامية: يجب عصمتهم عن الذنوب كلها صغيرة أو كبيرة<sup>(٤)</sup>، عمداً وسهواً، قبل الوحي وبعده<sup>(٥)</sup>.

### أدلة عصمة الأنبياء

استدل العلماء على عصمة الأنبياء بأدلة كثيرة منها:

- ١- لو صدر منهم الذنب، لحرم أتباعهم فيما يصدر عنهم، مع أن أتباعهم فرض، وللإجماع، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ - آل عمران ٣١.
- ٢- لو أذنوا لردت شهادتهم، إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع، ولقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ جَاءَهُمْ قَوْمٌ مِّنْ بَنِي فَتَيْنَا﴾ - الحجرات ٦، لأن من لا تقبل شهادته في القليل الزائل من متاع الدنيا، كيف تسمع شهادته في الدين القيم؟ أي: القائم إلى يوم القيامة.
- ٣- إن صدر عنهم ذنب وجب زجرهم وتعنيفهم، لعموم وجوب الأمر

(١) كشف المُرَاد ص ٣٧٦.

(٢) خلاصة علم الكلام ص ٢٦٧.

(٣) المعالم الدنيئة ص ٩٥.

(٤) كشف المُرَاد ص ٣٧٦ والباب الحادي عشر وشرحه النافع ص ٣٧ ومفتاح الباب ص ١٧٦ وخلاصة علم الكلام ص ٢٦٧ والمواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٦٥.

(٥) المصادر السابقة، إلا كشف المُرَاد.

بالمعروف والنهي عن المُنكر، ولا شك أنّ زجرهم إيذاء لهم، وإيذاؤهم حرام إجماعاً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ - الأحزاب ٥٧.

٤- لو أذنبوا لاستحقوا العذاب واللوم والطعن، لدخولهم تحت قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ - الجن ٢٣، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ - البقرة ٤٤، لكن ذلك منتفٍ بالإجماع، ولكونه من أعظم المنفّرات.

٥- قوله تعالى في إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ - الأنبياء ٩٠، والجمع المُحلّى بالألف واللام للعموم، فيتناول جميع الخيرات من الأفعال والتروك، وقوله ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْآخِيَارِ﴾ - ص ٤٧، أي: من المصطفين الأخيار في كل الأمور، فلا يجوز صدور ذنب عنهم<sup>(١)</sup>.

٦- لو جاز عنهم أن يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو مكروه، للزم أن يكون ذلك المحرم أو المكروه طاعة، لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل، إلّا فيما ثبت اختصاصهم به، فكل ما صدر منهم فنحن مأمورون به، وكل مأمور به، فهو طاعة، لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء<sup>(٢)</sup>.

وما نقل عن الأنبياء مما يشعر بمعصية:

فما نقل بطريق خبر الأحاد فمردود، لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء.

أما ما نقل بطريق التواتر فما دام له محمل آخر حملناه عليه وصرفناه عن ظاهره

(١) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٦٥-٢٦٧ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥١-٥٢ وفيهما أدلة أخرى.

(٢) شرح الخريدة للدردير ص ٩٧ وشرح أم البراهين للسنوسي وحاشية الدسوقي عليه ص ١٧٦ وشرح السنوسية للباجوري ص ١٢٦ وشرح الجوهرة للباجوري ص ٢٠١.

لدلائل العِصْمَةِ، أما إذا لم نجد له مَحْمَلاً فنفسره على:

أنه كان قبل البعثة، أو أنه من قبيل ترك الأوَّلَى، أو أنه من قبيل صغائر صدرت عنهم سهواً<sup>(١)</sup>.

ومن النصوص التي تشعر بمعاصي الأنبياء:

أولاً: ما ورد في قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى﴾ - طه ١٢١.

والعصيان من الكبائر، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ - الجن ٢٣.

والغواية تؤكد ذَلِكَ لأنها اتباع الشيطان، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ - الحجر ٤٢. وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ - البقرة ٣٦. واستحقاق الإخراج من الجنة بسبب إزالال الشيطان لهما، يدل على أن الصادر منهما كبيرة.

وخالف آدم النهي عن الأكل من الشجرة، وارتكاب المنهي عنه ذنب. وأجيب عنها:

بأن ذَلِكَ كان قبل النبوة، لأنه لم تكن له في الجنة أُمَّة. وإنما صار نبياً بعد خروجه من الجنة، بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَحْبَبْنَاهُ رَبُّهُ﴾ - طه ١٢٢، إذ الاجتباء كان متأخراً عن الواقعة.

وكان ذَلِكَ عن نسيان، لقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ - طه ١١٥.

(١) المَوَاقِفُ وشرحه للسَّيِّدُ الشَّرِيفُ ج ٨ ص ٢٦٨. وانظر: شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٥٣ وَشَرْحُ الْعَقَائِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ وَالْخِيَالِي عَلَيْهِ ص ١٧١-١٧٢ وَشَرْحُ الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ لِلدَّوَّانِيِّ ج ٢ ص ٢٧٩ عَنْ شَرْحِ الْعَقَائِدِ.



أو كان زلة وسهواً، حيث ظن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ المنهي عنها شَجَرَةٌ بعينها، وقد قَرَّبَ فرداً آخر من جنسها<sup>(١)</sup>.

ثانياً: ما ورد في قصة مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ من قتله المِصْرِيَّ في قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ - القصص ١٥.

وقتله كان عدواناً، لقوله سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ - القصص ١٥، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ - القصص ١٦، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ - الشعراء ٢٠. أُجيب:

بأن قتله المِصْرِيَّ كان قبل النبوة.

وجاز أن يكون قتله خطأ.

وما صدر منه من أقوال، فهو محمول على التواضع وهضم النفس<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: ما ورد في حق نبينا مُحَمَّد ﷺ من نصوص، مثل:

١ - قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ - الفتح ٢، وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ - غافر ٥٥ ومُحَمَّد ١٩، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ - التوبة ١١٧، فأسند الذنب للنبي ﷺ وتاب عليه، ولا وجود للتوبة إلا مع الذنب. أُجيب:

(١) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٢٦٨-٢٦٩ وشرح المَقَاصِد لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٥٣ وشرح المُسَايِرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبَغَا ص ٢٣٢.

(٢) المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٢٧١. وانظر: شرح المَقَاصِد لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٥٥.

بأن ذلِكَ الذنب كان قبل النبوة.

أو إنه محمول على ما فرط منه من الزلة وترك الأفضل.

أو نسب إليه ذنب قومه، فإن رئيس القوم قد ينسب إليه ما فعله بعض أتباعه. والمعنى: ليغفر لأجلك ما تقدم من ذنب أمتك، وما تأخر عنه، واستغفر لذنب أمتك، وتاب الله على أمة النبي<sup>(١)</sup>.

٢- قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)﴾ - عَبَسَ. أُجيب:

بأنه محمول على أنه عتاب على ترك الأفضل والأولى مما يليق بخلقه العظيم، ومثله يُعتاب على مثله<sup>(٢)</sup>، فأخطأ في اجتهاده، فعَبَسَ في وجه الأعمى ابن أم مكتوم، حين جاء يسأله عن الدين، لأنه رأى أن مجادلة صناديد قُرَيْش قد تؤدي إلى أنهم سيميلون إليه فيسلمون، وأن الإعراض عنهم قد يزيد في حقدهم ونفرتهم عن الإسلام. لذلك انشغل بهم عن ابن مكتوم الأعمى المسلم، الذي جاء مستزيداً من الإسلام. فالأولى أن لا يعبس بوجهه، فيتولى عنه، بل يتلطف معه، لما له من منزلة الإسلام.

٣- قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ - التوبة ٤٣. أُجيب:

بأنه تلطف في الخطاب، وعتاب على ترك الأفضل، وإرشاد إلى الاحتياط في تدبيره الخيرات<sup>(٣)</sup>. فإنه ﷺ أذن لجماعة تعللوا بأعذار - كان الأولى أن لا تقبل

(١) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٧٩ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥٨.

(٢) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٧٩ وشرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥٩.

(٣) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٥٩.

منهم - فتخلفوا عن غزوة تبوك، وتارك الأفضل في أمور الحرب قد يعاقب.

٤- قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٦٧ ﴾ لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسْكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٦٨ ﴾ - الأنفال. أجب:

بأنه عتاب على ترك الأولى الذي هو الإثخان، فإن تحريم الفداء مُستفاد من هذه الآية، فقبل نُزولها لا تحريم. ومعنى قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا كَتَبَ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسْكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٦٨ ﴾ - الأنفال ٦٨: أنه لولا سبق تحليل الغنائم لعذبتكم بسبب أخذكم هذا الفداء<sup>(١)</sup>، لأن الرسول ﷺ حين استشار أصحابه في أخذ الفداء من أسرى بدر، ومنهم سبعون من أشرف قريش، وآثر أكثرهم أخذ الفداء على القتل، اجتهد بأيديهم، لأنه رِق لحالهم، ورجا أن يسلموا، أو يخرج من أصلاهم المؤمنون، وليتفع المسلمون بهال الفدية في شؤونهم، فأخطأ في اجتهاده وكان الأفضل أن لا يؤثر أخذ الفداء على نصرة الإسلام.

وبعد كل هذا:

فإن الله تعالى لم يُبق رسوله على خطأ، لأنه لو أقره على الخطأ، لتساوى الخطأ والصواب في الشرع، وفي ذلك تضليل ومدعاة إلى التشكيك في الشريعة.

وكان الرسول ﷺ يرجع إلى الصواب الذي بينه الله تعالى له، ولا يكتف من الوحي شيئاً من تسجيل الخطأ عليه، أو توجيه العتاب إليه<sup>(٢)</sup>.

(١) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٧٨. وانظر أمثلة أخرى من هذا في: شرح

المواقف، وشرح المقاصد، وشرح المسيرة لقاسم بن قطلوبغا ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) مناهل العرفان ج ٢ ص ٢٨٨.

### حكمة تسجيل زلة الأنبياء

فإن قيل: فما بال زلة الأنبياء حكيّت في القرآن، بحيث تتلى على مر الزمان، مع أن الله تعالى غَفَّارٌ ستار، وقد أمرنا بالسُّتْر على مرتكب الذنب؟  
أجيب:

بأن تسجيل زلتهم يَدُلُّ على:

- ١- صدق الأنبياء، وأن ما يبلغونه يكون بأمر الله تعالى بلا إخفاء شيء منه.
- ٢- أن الأنبياء على جَلَالَةٍ قدرهم وكثرة طاعتهم، يلجؤون إلى الله تعالى دائماً بالاستغفار والتضرع في أدنى زلة، فعلى الناس - وهم أدنى مرتبة منهم بكثير - أن يتضرعوا إلى الباري كل حين.
- ٣- أن الصغائر ليست مما يقدر في الإيوان، فلا تكفر الإنسان<sup>(١)</sup>.

### الصفة الثانية: التبليغ

هو إيصال الأحكام التي أمروا بتبليغها إلى المُرْسَل إليهم<sup>(٢)</sup>، ليرشدوهم إلى سَعَادَةِ الدنيا والآخِرَةِ، وكل منهم لم يُخَفِ عن الناس من ذَلِكَ شَيْئاً عمداً أو سهواً<sup>(٣)</sup>.  
وأقسام الموحى به ثلاثة:

- ١- قسم أمروا بكتمانه، كبعض الأسرار الإلهية، فهو خاص بينهم وبين ربهم، لم

(١) انظر: شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٦٠.

(٢) شَرْحُ الْخَرْيْدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠٠.

(٣) رِسَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ٦٨.

يُبْلَغُوا مِنْهُ حَرْفًا.

٢- قَسَمَ خَيْرًا فِيهِ بَيْنَ التَّبْلِيغِ وَعَدَمِهِ، بَلَّغُوا بَعْضُهُ وَكْتَمُوا الْبَعْضَ الْآخَرَ.

٣- قَسَمَ أَمَرُوا بِتَّبْلِيغِهِ، فَلَمْ يَكْتُمُوا مِنْهُ حَرْفًا.

وَهَذَا الْقَسَمُ (الْأَخِيرُ) هُوَ الَّذِي بَلَّغُوهُ إِلَى مَنْ أُرْسِلُوا إِلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِتَّبْلِيغِهِ، لَوْجُوبِهِ عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup>.

وَالدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ عَلَى وَجُوبِهِ:

١- أَنَّهُمْ لَوْ كَتَمُوا شَيْئًا مِمَّا أَمَرُوا بِتَّبْلِيغِهِ لِلخَلْقِ، لَأَصْبَحْنَا مَأْمُورِينَ بِكَتْمَانِ الْعِلْمِ، لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَنَا بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ، مَعَ أَنَّ الْأَحَادِيثَ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ كَاتِمَ الْعِلْمِ مُلْعُونٌ<sup>(٢)</sup>.

٢- أَنَّهُمْ لَوْ كَتَمُوا شَيْئًا مِمَّا أَمَرُوا بِتَّبْلِيغِهِ، لَكَانُوا خَائِنِينَ، مَعَ أَنَّهُمْ مُعَصِّمُونَ عَنِ الْخِيَانَةِ<sup>(٣)</sup>.

٣- أَنَّهُمْ مُبَشِّرُونَ وَمُنْذِرُونَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ - النِّسَاء ١٦٥، وَلَا يَتِمُّ التَّبَشِيرُ وَالْإِنْذَارُ إِلَّا بِالتَّبْلِيغِ.

٤- لَوْ أَنَّهُمْ كَتَمُوا مَا أَمَرُوا بِتَّبْلِيغِهِ لَكَانُوا مُلْعُونِينَ بِنَصِّ الْكِتَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَوَلَّيْنَاكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ - الْبَقَرَةُ ١٥٩<sup>(٤)</sup>.

(١) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ وَحَاشِيَةُ الصَّائِي عَلَى ص ١٠١. وَانْظُرْ: شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٣ وَرِسَالَةُ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي السَّابِقَةِ.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٣.

(٣) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠٠ وَرِسَالَةُ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ٦٩. وَانْظُرْ: لَوَاعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٣٠٨.

(٤) شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠٠-١٠١.

والدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ - المائدة ٩٩.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْفُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ - المائدة ٦٧<sup>(١)</sup>.

### الصفة الثالثة: الفطنة

هي: التَّيَقُّظُ والتَّفَقُّظُ<sup>(٢)</sup> وحِدَّةُ العقل وذكاءه<sup>(٣)</sup> وقوة الرأي<sup>(٤)</sup>.

فلا يجوز أن يكون النَّبِيُّ مُعَفَّلاً أو بليداً أو أبله<sup>(٥)</sup>.

الدليل العقلي على وجوب هذه الصفة للأنبياء:

١- لأنهم أرسلوا لإقامة الحجج وإبطال شبه المجادلين، ولا يكون ذلك من أبله ولا من مُعَفَّل<sup>(٦)</sup>.

٢- لأنهم ساسة الجميع ومرجعهم في المشكلات<sup>(٧)</sup>.

(١) شَرَحَ الْخَرِيدَةَ لِلدَّرْدِيرِ، وَرِسَالَةَ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي، السَّابِقَانِ.

(٢) شَرَحَ الْجَوْهَرَةَ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٢.

(٣) شَرَحَ الْخَرِيدَةَ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠٠.

(٤) فِي الْمَقَاصِدِ وَشَرَحَهُ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٦١: (مِنْ شُرُوطِ النُّبُوَّةِ: كَمَالُ الْعَقْلِ وَالدِّعَاءُ وَالْفِطْنَةُ وَقُوَّةُ الرَّأْيِ، وَلَوْ فِي الصَّبَا كَعِيسَى وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ). وَكَذَا فِي لَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٧.

(٥) شَرَحَ الْخَرِيدَةَ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠٠ وَشَرَحَ الْجَوْهَرَةَ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٢ وَلَوَامِعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ السَّابِقِ.

(٦) شَرَحَ الْخَرِيدَةَ لِلدَّرْدِيرِ، وَشَرَحَ الْجَوْهَرَةَ لِلْبَاجُورِيِّ، السَّابِقَانِ، وَرِسَالَةَ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ٧٠.

(٧) الْمُسَامَرَةُ ص ٢٢٦.

٣- لأننا مأمورون بالافتداء بهم في الأقوال والأفعال، والمقتدى به لا يكون بليداً.

٤- البلادة صفة نقص، تُخل بمنصبهم الشريف<sup>(١)</sup>.

والدليل النقلي عليها:

١- قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ وَكُلَّاءِ إِنَّا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ - الأنبياء ٧٩.

٢- قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾ - ص ٢٠.

٣- قوله تعالى: ﴿وَحَدِّثْ لَهُمْ يَأْتِيهِمْ بِأَلْقٍ هِيَ أَحْسَنُ﴾ - النحل ١٢٥. أي: بالطريق التي هي أرفق بهم، والجدال لا يكون إلا من فطن ذكي<sup>(٢)</sup>.

### الصفة الرابعة: الذكورة

اختلف العلماء في أن الذكورة شرط في الأنبياء على قولين:

القول الأول: الذكورة شرط في النبي، وهو الذي اتفق عليه جمهور العلماء، فلا يجوز أن تكون المرأة نبيه، بل إن بعضهم<sup>(٣)</sup> نقل الإجماع على هذا القول. ومن أدلة هذا الشرط ما يأتي:

أ- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ - يوسف ١٠٩<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح الخريدة للدردير ص ١٠٠ ورسالة في التوحيد للطائفي السابقة.

(٢) شرح الجوهر للباجوري ص ٢٠٢ ورسالة في التوحيد للطائفي السابقة.

(٣) قال الإمام جلال الدين جاز الله: اتفق أهل السنة والجماعة أن الذكورة شرط النبوة، خلافاً للأشعري. / شرح المسيرة لقاسم بن فطلوبغا ص ٢٣٠.

ونقل الإجماع على عدم نبوة النساء، الكرمانلي في شرح البخاري. / حاشية المرجاني على شرح العقائد العنصرية ج ١ ص ٩. وحكى الإجماع على عدم نبوة مريم، البيضاوي وغيره. / المسامرة ص ٢٣١ وتفسير البيضاوي ص ٦٨.

(٤) شرح المسيرة لقاسم بن فطلوبغا ص ٢٣٠.

فَأُثْبِتَ الرِّسَالَةَ لِلرِّجَالِ الْمَوْحَى إِلَيْهِمْ، وَأَشْعَرَ بِنَفِي ذَلِكَ عَنْ غَيْرِهِمْ، فَلَا تَكُونُ أُنْثَى نَبِيَّةً<sup>(١)</sup>.

ب- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ - الأنعام ٩.

ج- النبوة والرِّسالة تقتضي: الاشتهار بالدعوة، وإظهار المعجزة، ولزوم الاقتداء. والأنثوة توجب السُّتْرَ، فبينهما تَنَافٍ<sup>(٢)</sup>.

د- النساء لا يَصْلُحْنَ للإِمَارَةَ وَالسُّلْطَنَةَ وَالْقَضَاءَ وإقامة الصلاة بالإجماع، فلا يَصْلُحْنَ لِلنَّبُوَّةِ مِنْ بَابِ أَوَّلَى<sup>(٣)</sup>.

القول الثاني: لا تُشْتَرَطُ الذَّكُورَةُ فِي النَّبِيِّ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَشْعَرِيِّ<sup>(٤)</sup> وَالْقُرْطُبِيِّ<sup>(٥)</sup> وَبَعْضُ أَهْلِ الظَّاهِرِ وَالْحَدِيثِ<sup>(٦)</sup>، فَقَالُوا بِنُبُوَّةِ مَرْيَمَ، بِدَلِيلٍ:

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ - مريم ١٦، فذكرها تعالى في عداد الأنبياء<sup>(٧)</sup>.

وبإرسال جِبْرِيلَ إِلَيْهَا بقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ - مريم ١٧<sup>(٨)</sup>.

(١) لَوَاعِمُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٥.

(٢) شَرْحُ الْمُسَايَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٢٣٠ عَنْ الصَّابُونِيِّ الَّذِي صَحَّحَ هَذَا الْقَوْلَ. وَلَوَاعِمُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٦.

(٣) شَرْحُ الْمُسَايَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا السَّابِقِ.

(٤) شَرْحُ الْمُسَايَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا عَنْ الْإِمَامِ جَلَّالِ الدِّينِ جَارِ اللَّهِ، وَلَوَاعِمُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ، السَّابِقَانِ.

(٥) لَوَاعِمُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ السَّابِقِ. وَانْظُرْ رَأْيَ الْقُرْطُبِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ ٤٢ مِنْ آلِ عِمْرَانَ وَ١٦ مِنْ مَرْيَمَ.

(٦) الْمُسَايَرَةُ ص ٢٣٠.

(٧) شَرْحُ الْمُسَايَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٢٣٠-٢٣١ وَذَكَرَ أَنَّهَا حُجَّةُ الْأَشْعَرِيِّ.

(٨) شَرْحُ الْمُسَايَرَةِ لِقَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا ص ٢٣١ وَذَكَرَ أَنَّهَا حُجَّةُ الْأَشْعَرِيِّ. وَالْمُسَامَرَةُ ص ٢٣١.



وباصطفاء الله تعالى لها بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ - آل عِمْرَان ٤٢<sup>(١)</sup>.

وقال البعض بنُّوَّةُ أُمِّ مُوسَى<sup>(٢)</sup>، بدليل:

وحي الله تعالى إليها، بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِي﴾ - القصص ٧.

وَرَدَّ الْجُمْهُورُ هَذَا الْقَوْلَ بِأَنِّ اصْطِفَاءَ مَرْيَمَ وَإِرْسَالَ جِبْرِيلَ إِلَيْهَا لَمْ يَكُنْ وَحِيًّا بِشَرَعٍ، إِذْ لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ<sup>(٣)</sup>، وَالْوَحْيُ إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ لَا يَرَادُ بِهِ إِلَّا مَعْنَى الْإِلْهَامِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ - النَّحْل ٦٨.

#### الصفة الخامسة: السَّالَمَةُ مِنَ النِّقَائِصِ

وأعني بهذا الشرط الأمور الآتية:

أ- أن يكون سالماً من نقص الخَلْقَةِ. فشرطه أن يكون أكْمَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ خَلْقًا حَالِ الْإِرْسَالِ (أي: حال بعثه إلى الناس).

وقد يُعْتَرَضُ بِعُقْدَةِ لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِجَاب:

بأن عُقْدَةَ لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَتْ قَبْلَ الْإِرْسَالِ، وَأُزِيلَتْ بِدَعْوَتِهِ عِنْدَ الْإِرْسَالِ، بِدَلِيل:

دَعَاءُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ، وَأَمَرَهُ بِالدَّعْوَةِ قَالَ: ﴿وَأَحْلُلْ عُقْدَةً

(١) الْمُسَامَرَةُ السَّابِقُ.

(٢) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٦. لَكِنْ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ عِنْدَ تَفْسِيرِ الْآيَةِ ٧ مِنْ سُورَةِ الْقَصَصِ: (وَأَجْمَعَ الْكُلَّ عَلَى أَنَّ أُمَّ مُوسَى لَمْ تَكُنْ نَبِيَّةً).

(٣) الْمُسَامَرَةُ ص ٢٣١.

مِنْ لِسَانِي ﴿٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ - طه، فأجابه تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴾ - طه ٣٦ (١).

ب- أن يكون سالماً من العيوب المُنْفَرَّة للطَّبَّاع من الأمراض والأسقام كالبرص والجذام (٢).

وقد يُعْتَرَضُ ببلاء أَيُّوب عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أُصِيبَ بداء جِلْدِي نَفَرَ النَّاسُ مِنْهُ، فَيُجَاب:

بأن بلاءه كان قبل نبوته عَلَيْهِ السَّلَامُ (٣)، وقد زال بعدها، قال سُبْحَانُهُ: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ﴾ - الأنبياء ٨٤.

ج- أن يكون سالماً من دناءة الصَّنَاعَةِ كالحِجَامَةِ، ومن قلة المروءة كالأكل على الطريق (٤). وهذا مبني على تقدير: أن العُرف كان يستنكر ذلك في زمن النَّبِيِّ ﷺ (٥).

د- أن يكون سالماً من القسوة (٦) والفَظَاظَةِ والغِلْظَةِ (٧)، لأن قسوة القلب مُوجِبَةٌ للبعد عن الله تعالى، إذ هي مَنَبِعُ المعاصي، لأن القلب هو المُضْغَةُ التي إِذَا صَلَحَتْ

(١) المُسَايَرَةُ وشرحها المُسَامَرَةُ ص ٢٢٦.

(٢) المُسَامَرَةُ ص ٢٢٦ والمَقَاصِدُ وشرحه للتَّفَتَّازَانِي ج ٥ ص ٦١ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٧.

(٣) المُسَايَرَةُ وشرحها المُسَامَرَةُ ص ٢٣٢.

(٤) المُسَايَرَةُ وشرحها المُسَامَرَةُ ص ٢٢٦ والمَقَاصِدُ وشرحه للتَّفَتَّازَانِي ج ٥ ص ٦١ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٧ والوسيلة ص ٦٩٣.

(٥) المُسَايَرَةُ وشرحها المُسَامَرَةُ ص ٢٣٢.

(٦) المُسَايَرَةُ وشرحها المُسَامَرَةُ ص ٢٢٦.

(٧) المَقَاصِدُ وشرحه للتَّفَتَّازَانِي ج ٥ ص ٦١ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٦٧.

صَلَحَ الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، كما نطق به الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ، قال ﷺ: (إِنْ أَبْعَدَ النَّاسُ مِنْ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي) <sup>(١)</sup>.

ولأن الغلظة والشدة وعدم اللين مع الناس، يوجب النُّفْرَةَ من النَّبِيِّ، لذلِكَ يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ - آلِ عِمْرَانَ ١٥٩.

وأخيراً:

فإن هُذِهِ الصفات التي مرت بنا الواجبة للأنبياء، تعني اتصافهم بكل كَمَالِ إنساني، وتنفي عنهم كل نقص بشري، لأن النبوة أَشْرَفُ مناصب الخلق، ومقتضية لغاية الإجلال اللائق بها، فيعتبر لها انتفاء ما ينافي ذلِكَ <sup>(٢)</sup>.

لذا يستحيل على الأنبياء أضداد الصفات المتقدمة الواجبة في حقهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فيستحيل عليهم:

ما هو ضد العِصْمَةِ، مثل الخيانة والكذب والكفر وارتكاب الذنوب.

وما هو ضد التبليغ، مثل كتمان ما أمروا بتبليغه.

وما هو ضد الفطانة، مثل البلادة والغفلة والبلاهة <sup>(٣)</sup>.

وما هو ضد السلامة من النقائص، كالعيوب التي تُخِلُّ بالشخصية، التي تُخِلُّ بحكمة بعثتهم رسلاً مبشرين ومُنْذِرِينَ.

(١) المُسَامَرَةُ ص ٢٢٦.

وَحَدِيث: إِنْ أَبْعَدَ النَّاسُ... إلخ، في: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ في: ٣٣ كتاب الزهد، ٦٢ باب منه، رقم ٢٤١١، ص ٣٩٤، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٢) المُسَامَرَةُ ص ٢٢٧.

(٣) سُرْحُ الْحَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ ص ١٠٠-١٠١. وانظر: سُرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٤.

### الوحي

الوحي لغةً: قال أبو إسحاق: أصل الوحي في اللغة كلها إعلام في خفاء. ولذلك صار الإلهام يسمى وحيًا، قال الأزهرى: وكذلك الإشارة والإيحاء يسمى وحيًا، والكتابة تسمى وحيًا... وكل هذا إعلام، وإن اختلفت أسباب الإعلام فيها<sup>(١)</sup>.

والوحي اصطلاحاً: هو أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر<sup>(٢)</sup>.

سئل الزهري عن الوحي فقال: الوحي ما يوحى الله إلى نبي من الأنبياء، فيثبته في قلبه، فيتكلم به ويكتبه، وهو كلام الله. ومنه ما لا يتكلم به، ولا يكتبه لأحد، ولا يأمر بكتابه، ولكنه يحدث به الناس حديثاً، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس، ويبلغهم

(١) لسان العرب مادة (وحي).

من المعاني اللغوية لكلمة (الوحي) في القرآن الكريم ما يأتي:

أ- الكلام الخفي: ومنه قوله تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾ - الأنعام ١١٢، أي: يُسر بعضهم إلى بعض.

ب- الإلهام: ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ - النحل ٦٨، أي: أَلهم النحل.

ج- الإشارة: ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ - مريم ١١، أي: أشار إليهم.

د- الأمر: ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ - الزلزلة ٥.

انظر: المفردات للراغب، مادة (وحي).

وذكر القاضي عياض في الشفا ج ١ ص ٢٥٢ قولين في أصل الوحي: أولهما: الإسراع، ومنه تلقي النبي لأنه على عجل، ومنه الإلهام، ومنه الخط لسرعة حركة اليد... وثانيهما: السر والإخفاء ومنه الإلهام، وإيحاء الشياطين، أي: وسوستهم.

(٢) مناهل العرفان ج ١ ص ٥٦.

إياه<sup>(١)</sup>.

فإذا أُطلق (الوحي) في لِسَانِ أَهْلِ الشَّرْعِ انصرف إلى التَّعْلِيمِ السَّرِيِّ الصادر من الله تعالى الوارد إلى الأنبياء، فهو أخص من المعنى اللُّغَوِيِّ بخصوص مصدره ومورده<sup>(٢)</sup>.

### أنواع الوحي

جمع أنواع الوحي قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ - الشُّورَى ٥١.

تفيد هذه الآية الكَرِيمَةَ أنه: ما صح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على أحد ثلاثة أوجه<sup>(٣)</sup>:

الوجه الأول: وَحْيًا. أي: إما عن الوحي وهو:

أ- الإلهام والقذف في القلب: كما أوحى الله تعالى إلى أُمِّ مُوسَى أن أرضعيه، ومنه قوله ﷺ: (إن رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ في رُوعِي: أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها...).

ب- الرؤيا في المنام: كما أوحى الله إلى إِبْرَاهِيمَ بذبح ولده إِسْمَاعِيلَ، ومنه مبدأ وَحْيِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، كما جاء في الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

(١) الإِثْقَان ص ١٢٠، وفيه: أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طَرِيقِ عُقَيْلٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ.

(٢) الْمُخْتَار من كنوز السُّنَّة النَّبَوِيَّة ص ١.

(٣) قال الإمام الرَّازِي في تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ ج ٢٧ ص ١٨٧: (واعلم أن كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة وحي، إلا أنه تعالى خصص القسم الأول باسم الوحي لأن ما يقع في القلب على سَبِيلِ الإِلهَام، فهو يقع دفعة، فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى. فهذا هو الكلام في تَمْيِيزِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ). وانظر أقوالاً أُخْرَى أَيْضاً في: سُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَاد ج ٢ ص ٣٥٢.

الوجه الثاني: أو من وراء حجاب. أي: وإما على أن يسمعه من غير واسطة مبلغ، كما أسمع الله تعالى مُوسَى كلامه من غير واسطة، وكذا الملائكة الذين كلمهم الله تعالى في خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الوجه الثالث: أو يرسل رُسُولاً. أي: وإما على أن يرسل إليه رُسُولاً من الملائكة، فيبلغ ذلك المَلَك ذلك الوحي إلى الرُّسُول البشري. ورُسُول الملائكة هو جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَام<sup>(١)</sup>.

### أساليب نزول جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ على رَسُول الله مُحَمَّد ﷺ

لنُزُول جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ على الرُّسُول مُحَمَّد ﷺ أساليب مُخْتَلِفَةٌ هي:

أ- أن يأتي إلى النَّبِيِّ ﷺ على صورته الحقيقية المَلَكِيَّة.

ب- أن يأتي إلى النَّبِيِّ ﷺ على صورة رجل فيكلمه، كما في الصَّحِيح: (وَأحياناً يَتَمَثَّل لي المَلَك رَجُلًا فيكَلِّمُنِي، فَأَعْي ما يقول). وزاد أبو عَوَانة في صَحِيحه: (وهو أهونه عليّ).

فيراها الحاضرون ويستمعون إليه، كما في حَدِيث عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (قال: بينما نحن عند رَسُول الله ﷺ ذات يومٍ، إذ طَلَعَ علينا رجلٌ شديدُ بياض الثياب، شديدُ

(١) انظر: تَفْسِير الرَّازِي ج ٢٧ ص ١٨٦ وَتَفْسِير الْقُرْطُبِي ج ٨ ص ٥٨٧٣ وروح المعاني للآلُوسِي ج ٢٥ ص ٥٤ وزاد المعاد ج ١ ص ١٨ والإِتْقَان ص ١٢٠.

وَحَدِيث: إن رُوحَ القُدُس... إلخ، رواه أبو نُعَيْم في الحِلْيَةِ عن أبي أَمَامَةَ. / الجَامِع الصَّغِير ص ١٣٨ وَضَعْفَةُ السُّيُوطِي.

الرُّوْع (بضم الراء): العقل والقلب.

وَحَدِيث: أول ما بدئ به رَسُول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة... إلخ، في: صَحِيح البُخَارِي في: ١ كتاب بدء الوحي، ٣ باب، رقم ٣، عن عائِشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وفي صَحِيح مُسْلِم في: ١ كتاب الإيمان، ٧١ باب بدء الوحي إلى رَسُول الله ﷺ، رقم ١٦٠، عن عائِشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

سواد الشَّعر، لا يُرى عليه أثرُ السفر، ولا يعرفه منا أحدٌ، حتى جلس إلى النَّبيِّ ﷺ، فأسند رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ، وقال: يا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عن الإسلام... إلخ).

وكان قد سأل النَّبيَّ ﷺ عن الإسلام والإيمان وأمارات الساعة، ورَسُولُ اللَّهِ ﷺ يجيبه، حتى إذا انتهى من أسئلته وذهب، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (فإنه جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ).

ج- أن يأتي إلى النَّبيِّ ﷺ خفية دون أن يراه أحد، فيظهر عليه أثر التغير والانفعال.

والرَّسُولُ ﷺ يصف حالته عند الوحي فيقول: (أحياناً يأتيني مِثْلَ صَلَصلةِ الجَرَسِ، وهو أشدُّه عليّ، فيُفْصِمُ عني، وقد وَعَيْتُ عنه ما قال).

قال الخطَّابي: والمُرَاد أنه صوت متدارك يسمعه، ولا يتشبته أول ما يقرع سمعه، حتى يفهمه من بعد ذلك.

والحكمة في تقدمه: أن يفرغ سمعه للوحي، فلا يبقى فيه مكان لغيره.

وفي الصَّحِيح كما تقدم آنفاً أن هذه الحالة أشد حالات الوحي عليه.

قيل: إنه إنما كان ينزل هكذا، إذا نزلت آية وعيد أو تهديد<sup>(١)</sup>.

(١) الإِتِّقَان، وزاد المعاد، السَّابِقَان، وإرْشَاد السَّارِي ج ١ ص ٥٨ وشرح صَحِيح مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ بهامش إرْشَاد السَّارِي ج ٩ ص ١٨٣.

وَحَدِيث: وَأحياناً يَتَمَثَّلُ لي المَلَك... إلخ، في: صَحِيح البُخَارِيِّ في: ١ كتاب بدء الوحي، ٢ باب، رقم ٢، بهذا اللفظ، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. و٥٩ كتاب بدء الخلق، ٦ باب ذكر الملائكة، رقم ٣٢١٥، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَصَحِيح مُسْلِمٍ في: ٤٣ كتاب الفَصَائِل، ٢٣ باب عَرَق النَّبِيِّ ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، رقم ٢٣٣٣، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَحَدِيث: بينما نحن عند رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذات يوم... إلخ، في: صَحِيح مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، أول باب الإيمان والإسلام والإحسان...، رقم ٨، عن عُمَرَ بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وسَيأتي كلام آخر عن أحوال النَّبِيِّ ﷺ عند الوحي، وذلك عند الكلام عن الوحي (الوحي أمر خارج عن النفس) بعد قليل.

### كيفية الوحي ونزوله على النَّبِيِّ ﷺ

العلم بكيفية الوحي سرٌّ من الأسرار التي لا يدرك كيفيتها العقل، وسَماع المَلَك من الله تعالى ليس بحرف أو صوت، بل يخلق الله تعالى للسامع علماً ضرورياً. فكما أن كلامه تعالى ليس من جنس كلام البشر، فسَماعه الذي يخلقه لعبده ليس من جنس سَماع الأصوات<sup>(١)</sup>.

ولنُزول الوحي على النَّبِيِّ ﷺ طريقان:

أحدهما: أن النَّبِيَّ ﷺ انخلع من صورة البَشَرِيَّة إلى صورة المَلَكِيَّة، وأخذه من جِبْرِيل.

وثانيهما: أن المَلَك انخلع إلى البَشَرِيَّة حتى يأخذه الرَّسُول منه<sup>(٢)</sup>.

وفي الحالتين صعوبة وشدة على الجِبَلَّة البَشَرِيَّة، لذلك كان يحدث في تلك الحالة غيبة وغطيط<sup>(٣)</sup>.

وَحَدِيث: أحياناً يأتيني مثل صَلَصلة الجرس... إلخ، في الحديث المتقدم: (وأحياناً يَتَمَثَّل لي المَلَك رجلاً...)، وتخرّيجه هناك.

(١) إرشاد السَّارِي ج ١ ص ٥٩.

(٢) الإِتِّقان ص ١١٨ والوحي المُحَمَّدِي ص ٨٣ وفيه قول ابن خَلْدُون. وإرشاد السَّارِي ج ١ ص ٥٩ وسُبُلُ الْهُدَى والرَّشَاد ج ٢ ص ٣٤٢.

(٣) إرشاد السَّارِي ج ١ ص ٦٠.

الجِبَلَّة: الخَلْقَةُ والطبيعة والغريزة. / المِصْبَاح المُنِير مادة (جَبَل)، والقَامُوس المُحِيط مادة (الجبَل).

الغَطِيط: تردُّد النَّفْس صاعداً إلى الخلق حتى يسمعه من حوله. / المِصْبَاح المُنِير مادة (غطه).



وصورة اندماج النبّي بالملك يمكن أن يتصورها الذهن، حين يتصور التنويم المغناطيسي، الذي كَشَفَهُ الدكتور مسمر الألماني في القرن الثامن عشر، وأقام عليه البراهين، حتى اعترف به العلماء علمياً، بعد أن اختبروا الآلاف من الخلق، وله في الغرب أنصار كثيرون، وله دور وكتب ومستشفيات يؤمها الناس للتداوي به.

وفيه يسيطر الأستاذ المنوّم على الوسيط بإجاءاته، فيغط الوسيط بنومه، فيسأله عما يريد، فيجد الجواب حاضراً، وقد يأمره أو ينهاه، فينفذ الوسيط ذلك ولو بعد صحوه. ولا بد أن يكون بين نفسين مختلفي الطبائع أحدهما أقوى إرادة من الأخرى، فلا يستطيع امرؤ أن يقوم بهذه التجربة على نفسه.

فالتنويم المغناطيسي يقرب أمر الوحي، فاتصال الملك بالرسول يؤثر به لاستعداد خاص فيهما، ففي الملك قوة الإلقاء والتأثير لأنه روحاني محض، والثاني فيه قابلية التلقّي عن هذا الملك، لصفاء روحانيته وطهارة نفسه المناسبة لطهارة الملك، وعند تسلط الملك ينسلخ الرسول عن حالته العادية، فيظهر التغير عليه، فيتلقّى من الملك، وينطبع في قلبه ما تلقاه، حتى إذا انجلّى عن الوحي، وجد ما تلقاه منقوشاً على قلبه، لا ينساه<sup>(١)</sup>.

ثم إننا لم نجد ما يدفع هذا الاتصال بين الملك والنبّي، بدليل:

أن العلم الحديث يسرّ لنا الأجهزة العلميّة، التي أدركنا بها ما كان مجهولاً من قبل. فمن هذه الأجهزة ما سجل تصادم الأشعة الكونية في الفضاء، ومنها ما يدلّنا على صوت ذباب طائر على بعد بضعة أميال، وكأنه يطير عند أذنك، وهذه الآلات الحديثة تستطيع إدراك ما لا يمكننا سماعه بالطرق السمعية التقليدية.

وهذه الطاقة غير العادية للسّماع لا تخص الآلات العلميّة الحديثة وإنما وهبها الله

(١) مناهل العرفان ج ١ ص ٥٩-٦٠ وفيه أمثلة عن تجارب التنويم المغناطيسي، والنبأ العظيم ص ٧٥-٧٦.

تعالى لبعض الحيوانات.

فالكلب يستطيع أن يشم ريح الحيوان الذي مر من الطريق، وقد استغلت هذه الحاسة لكشف المجرمين، فالقفل الذي كسره اللص يشمه الكلب المدرب، ثم يقتفي أثره، فيميزه من بين الآلاف.

وحشرة (العُتَّة) مجنحة، لو وضعتها على نافذة فستحدث صوتاً يسمعه قرينها على مسافة بعيدة جداً، ويحييها بطريقته الخاصة.

والجُنْدُب يحك رجليه وجناحيه، ويصوت بطريقة غير عادية، ويسمع على بُعد نصف ميل.

ولأبي النبطية قدرة خارقة، فهو يسمع ويحس بالحركة التي تحدث في نصف قطر من ذرة الهيدروجين....

وهناك أمثلة أخرى كثيرة تدل على أن هناك وسائل غير مرئية لدى ذوي الحواس الخاصة، وإذا كان الأمر كذلك فلا غرابة في ادعاء النبي أنه يسمع صوتاً من ربه لا يدركه عامة الناس، ما دام من الممكن أن توجد في هذا العالم حركات وأصوات لا يسمعها الإنسان، ولكن تسجلها الآلات، وما دامت هناك وسائل تدركها حيوانات دون أخرى<sup>(١)</sup>.

### الوحي أمر خارج عن النفس

الاعتقاد بالوحي الإلهي هو الأساس الذي يبنى عليه الإيمان بالنبوءات، وهو الطريقة التي جاءت بها العقائد والأحكام الشرعية وغيرها.

لذلك اهتم كثير من أعداء الإسلام بإثارة الشكوك حول الوحي مقتفين أثر جهلاء قريش، وسفهاء المشركين في ادعاءاتهم الملفقة الكاذبة حول الرسول الأعظم ﷺ،

(١) الإسلام يتحدث ص ٩٦-٩٧.

حين قالوا عنه: إنه ساحر أو مجنون أو شاعر.

حتى قال هؤلاء من المستشرقين<sup>(١)</sup> وغيرهم: إن الوحي ما هو إلا حديث النفس وإلهامها.

أما نحن فنعتقد: أن الوحي ليس هو من قبيل الحدس، والشعور الباطني، ودلالات النفس، والفراسة السريعة، التي غالباً ما تتأثر بالرياضات الروحية، والتفكير المستديم الطويل. أي: إنه ليس من قبيل الوحي النفسي، الذي هو الإلهام الفاض من استعداد النفس العالية والسريرة الطاهرة<sup>(٢)</sup>.

لأن هذه لا تنشئ المعرفة التامة واليقين الكامل، الذي لا ريب فيه فلا تسمو بصاحبها إلى درجة النبوة.

بل إن الوحي هو (أمر طارئ زائد على الطباع البشرية)<sup>(٣)</sup>، خارجي عن النفس والباطن، لا يخضع لأي تأثير يطرأ عليهما، يتلقاه النبي ﷺ من الذات الإلهية، بواسطة الملك الموكل بذلك.

والذي يدقق النظر في كيفية الوحي ومعاليمه، وما يطرأ على النبي ﷺ من ظواهر، يدرك أن الوحي لا يتصل بهوى النفس.

يتضح ذلك في الأمور الآتية<sup>(٤)</sup>:

١ - حين جاء الملك جبريل في غار حراء إلى النبي ﷺ أمره بالقراءة - وهو

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ١ ص ١٣٤.

(٢) الكلام عن الوحي النفسي في: الوحي المحمدي ص ٦٦.

(٣) إرشاد الساري ج ١ ص ٦٠.

(٤) انظر: الوحي المحمدي ص ٨٩ وما بعدها، ومناهل العرفان ج ١ ص ٥٦ وما بعدها، وج ٢ ص ٢٨٥ وما بعدها، والنبأ العظيم ص ٢٠ وما بعدها، والظاهرة القرآنية ص ١٦٥ وما بعدها، ومباحث في علوم القرآن ص ٢٢ وما بعدها، وكبرى اليقينية الكونية ص ١٩٨ وما بعدها، والرسول لسعيد حوى ج ٢ ص ١٣ وما بعدها.

أُمِّي - كما جاء في الصَّحِيح: (فقال - له جِبْرِيل - اقرأ<sup>(١)</sup>). قال: ما أنا بقارئ، قال: - أي: النَّبِيُّ ﷺ - فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقرأ. قلتُ: ما أنا بقارئ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقرأ. فقلتُ: ما أنا بقارئ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ - العَلَق.

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فَوَادُّهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ. فَقَالَ لَخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: (لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي)<sup>(٢)</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لِلْبُخَارِيِّ: (فَجِئْتُ مِنْهُ رُعباً)<sup>(٣)</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: (فَجِئْتُ

(١) الأمر بالقراءة أمر تكوين لا تكليف، أي: كن قارئاً. ولذلك قال له في الثالثة: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ - العلق ١، أي: كن قارئاً باسمه ومن قبله وبإقداره إياك على القراءة، لا بحولك وقوتك، فهو يعلم أنك أُمِّي، أما وقد شاء ربك أن يخلق الإنسان من عَلَقٍ، ويجعله بَصِيراً وَسَمِيعاً، شاء أن يجعلك قارئاً، لما يوحيه إليك، لتقرأه على الناس، فأنت تكون قارئاً. / الْوَحْيُ الْمُحَمَّدِيُّ هَامِش ص ٨٥.

وَعَطَّ جِبْرِيلُ الرَّسُولَ ﷺ لِيَفْرَغَهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى أُمُورِ الدُّنْيَا، وَيُقْبَلَ بِكُلِّيَّتِهِ إِلَى مَا يُلْقَى إِلَيْهِ، وَكَرَّرَهُ لِلْمُبَالِغَةِ، وَقِيلَ: غَيْرُهُ. / إِرْشَادُ السَّارِي ج ١ ص ٦٣.

(٢) حَدِيثٌ: فَقَالَ: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ١ كتاب بدء الْوَحْيِ، ٣ باب، رقم ٣، بهذا اللفظ، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، ٧١ باب بدء الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رقم ١٦٠، عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ.

عَطَّنِي: ضَمَّنِي بِشِدَّةٍ وَعَصْرَنِي.

(٣) كلمة: (فَجِئْتُ مِنْهُ رُعباً)، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيرِ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُذْتَرِّ، ٤ باب ﴿وَبَابُكَ فَطَهَّرْ﴾ - الْمُذْتَرِّ، ٤، رقم ٤٩٢٥، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

منه حتى هَوِيْتُ إِلَى الْأَرْضِ<sup>(١)</sup>، وَجِئْتُ بِمَعْنَى: فزَعْتُ وَخَفْتُ.

فلجأت زوجته خَدِيجَةَ لَتُطْمِئِنَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفْسِهِ، وَتُطْمِئِنَّ هِيَ عَلَيْهِ، إِلَى سَوَّالِ ابْنِ عَمِّهَا وَرَقَّةَ بْنِ نَوْفَلٍ، الَّذِي قَرَأَ كُتُبَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَطَمَأْنَمَهَا، وَقَالَ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى.

فَضَمَّ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِشَدَّةٍ، وَأَمَرَهُ بِالْقِرَاءَةِ ثَلَاثًا، تَأْكِيدًا لِهَذَا التَّلْقِي الْخَارِجِيِّ، وَنَفْيًا كَوْنَهُ خَيَالِيًّا، وَلِذَلِكَ أَسْرَعَ إِلَى زَوْجَتِهِ خَائِفًا مِنْ هَوْلِ مَا رَأَاهُ، فَقَالَ لَهَا: (زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي)، فَذَثَرُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوعُ.

ويعاوده الوحي بعد مدة، يأمره ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ١﴾ ﴿فَافْزِرْ ٢﴾ - الْمُدَّثِّرُ، فَقَالَ لَخَدِيجَةَ مَتَحِيرًا: لَقَدْ أَمَرَنِي جِبْرِيلُ أَنْ أُنْذِرَ النَّاسَ، فَمَنْ ذَا أَدْعُو، وَمَنْ ذَا يَسْتَجِيبُ؟ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَحْيَ أَمْرٌ خَارِجِيٌّ عَنْ نَفْسِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِوَسْطَةِ الْمَلَكِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢- الظواهر التي تصاحب النَّبِيَّ ﷺ حين يوحى إليه، تشهد أن الوحي لم يكن من قبيل حَدِيثِ النَّفْسِ مِنْهَا:

أ- يَسْمَعُ النَّبِيُّ ﷺ صَلَصلةً شَدِيدَةً عَلَيْهِ، كَصَلَصلةِ الْجَرَسِ الْمُتَّصِلَةِ الشَّدِيدَةِ الْمَتَدَارِكَةِ. قَالَ ﷺ: (أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلُ صَلَصلةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيُقْصَمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ)<sup>(٢)</sup>.

(١) كلمة: (فَجِئْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوِيْتُ إِلَى الْأَرْضِ)، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٦٥ كِتَابِ التَّفْسِيرِ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ، ٥ بَابُ قَوْلِهِ ﴿وَالْجَزَّافُ هُجْرٌ﴾ - الْمُدَّثِّرُ ٥، رَقْمُ ٤٩٢٦، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) حَدِيثٌ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلُ صَلَصلةِ الْجَرَسِ... إلخ، تَقَدَّمَ آتِفًا.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ ج ٢ ص ٢٢٢: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ هَلْ تَحَسُّ بِالْوَحْيِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ أَسْمَعُ صَلَاصِلَ ثُمَّ أَسْكُتُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ يَوْحَى إِلَيَّ، إِلَّا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تَفِضُ.

ب- يَتَفَصَّدُ عَرَقًا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ:

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيُفْصَمُ عَنْهُ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا)<sup>(١)</sup>.

ج- يَغِطُّ فِي رَأْسِهِ، وَيَتَرَبَّدُ وَجْهَهُ، (أَي: يَتَغَيَّرُ فَيَصْبِحُ كُلُّونَ الرَّمَادِ):

قَالَ عَبْدُ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ كُرِبَ لَذَلِكَ، وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ)<sup>(٢)</sup>.

لَذَلِكَ كَانَ يُسْتَرُ وَجْهَهُ بَثُوبٍ عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، وَلَهُ غَطِيطٌ مِنَ الْأَلَامِ الَّتِي

(١) حَدِيثٌ: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ... إلخ، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ١ كِتَابُ بَدَأِ الْوَحْيِ، ٢ بَابُ، رَقْمُ ٢.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٤٣ كِتَابُ الْفَضَائِلِ، ٢٣ بَابُ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَرْدِ وَحِينَ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ، رَقْمُ ٢٣٣٣، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (إِنْ كَانَ لَيُنْزَلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْعِدَّةِ الْبَارِدَةِ، ثُمَّ تَفِيضُ جَبْهَتُهُ عَرَقًا). وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٤٩ كِتَابُ التَّوْبَةِ، ١٠ بَابُ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ... رَقْمُ ٢٧٧٠، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (... حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْخَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ السَّاتِ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ). وَهُوَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٥٢ كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، ١٥ بَابُ تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا، رَقْمُ ٢٦٦١، عَنْ عَائِشَةَ. وَفِي: ٦٤ كِتَابُ الْمَغَازِي، ٣٤ بَابُ حَدِيثِ الْإِفْكِ، رَقْمُ ٤١٤١، عَنْ عَائِشَةَ. وَ ٦٥ كِتَابُ التَّفْسِيرِ - سُورَةُ النُّورِ، ٦ بَابُ: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ...﴾ - النُّورِ ١٦، رَقْمُ ٤٧٥٠، عَنْ عَائِشَةَ.

(٢) حَدِيثٌ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٤٣ كِتَابُ الْفَضَائِلِ، ٢٣ بَابُ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَرْدِ... رَقْمُ ٢٣٣٤.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى بَعْدَهَا فِي رَقْمِ ٢٣٣٥، عَنْ عَبْدِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، نَكَسَ رَأْسَهُ، وَنَكَسَ أَصْحَابُهُ رُؤُوسَهُمْ، فَلَمَّا أُتْلِيَ عَنْهُ - أَي: ارْتَفَعَ عَنْهُ الْوَحْيُ - رَفَعَ رَأْسَهُ).

يعانيها من الوَحْي.

فعن يَعْلَى بن أُمَيَّة: أن رجلاً أتى النَّبِيَّ ﷺ وهو بالجِعْرَانَةِ، وعليه جُبَّة، وعليه أثر الخُلُوق، أو قال: صُفْرَةٌ، فقال: كيف تأمرني أن أصنع في عُمَرَتِي؟ فأنزل الله على النَّبِيِّ ﷺ، فُسِّرَ ثوب، ووَدِدْتُ أَنِّي قد رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ وقد أنزل عليه الوَحْيُ، فقال عُمَرُ: تعال، أيسرُكَ أن تنظرَ إلى النَّبِيِّ ﷺ وقد أنزلَ اللهُ الوَحْيَ؟ قلتُ: نعم. فرفع طَرَفَ الثوب، فنظرتُ إليه، له غَطِيطٌ، وأحسبُه قال: كغَطِيطِ الْبَكْرِ. فلما سُرِّي عنه، قال: أين السَّائِلُ عن العُمَرَةِ؟ اخْلَعْ عنكَ الجُبَّةَ، واغسِلْ أثرَ الخُلُوقِ عنكَ، وأنقِ الصُّفْرَةَ، واصنع في عُمَرَتِكَ كما تصنع في حَجِّكَ<sup>(١)</sup>.

د- يسمع الصَّحَابَةُ عند وجه النَّبِيِّ ﷺ حين الوَحْيِ دَوِيًّا شديداً، كدَوِي النَّحْلِ حين ينطلق من خليته. قال عُمَرُ بن الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (كان النَّبِيُّ ﷺ إذا أنزل عليه الوَحْيُ، سُمِعَ عند وجهه كدَوِي النَّحْلِ)<sup>(٢)</sup>.

هـ- يثقل جسمه ﷺ عليه:

ففي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: (كان رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعالج من التنزيل - أي القرآن - لثقله عليه - شدةً).

وسياتي الْحَدِيثُ بلفظه كاملاً بعد قليل.

وفي زاد المعاد: يذكر حال نُزُولِ الوَحْيِ عليه ﷺ: (حتى إن راحِلَتَهُ لَتَبْرُكُ به إلى

(١) حَدِيثُ يَعْلَى بن أُمَيَّة: أن رجلاً... إلخ، في: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ في: ٢٦ كتاب العُمَرَةِ، ١٠ باب يَفْعَلُ في العُمَرَةِ ما يَفْعَلُ في الْحَجِّ، رقم ١٧٨٩.

الْخُلُوق: نوع من الطَّيِّب.

الْبَكْر: الفتى من الإبل.

(٢) حَدِيثُ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ: كان النَّبِيُّ ﷺ... إلخ، في: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ في: ٤٣ كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآن، ٢٣ باب ومن سورة الْمُؤْمِنِينَ، رقم ٣١٧٣، ص ٥٠٤.

الأرض، إذا كان راكبها، ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذه زيد بن ثابت فثقلت عليه، حتى كادت ترصها<sup>(١)</sup>.

وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ - المزمّل ٥.

ولا يحتمل هذا الثقل إلا نبي، ليرتاض جسده على تحمل عبء النبوة.

كل هذه الظواهر من الآلام، والغطيظ، وتربّد الوجه، وتفصّد العرق في اليوم الشديد البرد... تدل على أن الوحي مستقل عن نفس مُحَمَّد ﷺ، لأن حديث النفس والإلهام والتأمل لا يستدعي ظهورها.

٣- الوعي الكامل والحفظ المضبوط لما أنزل عليه ﷺ عند الوحي وبعده.

وعرض جبريل عليه السلام القرآن الكريم كلّ سنة على النبي ﷺ، لا يدخل في هوى النفس، ولا يعتبر من إلهاماتها بأية حال.

ففي صحيح البخاري يقول النبي ﷺ: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني، وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلّمني، فأعي ما يقول)، وتقدّم آنفاً.

ففي الحالتين يحصل الوعي الكامل لكل ما أوحى عليه.

وكان رسول الله ﷺ في أول نزول الوحي يحرك لسانه، متابعاً جبريل أثناء الوحي،

(١) زاد المعاد ج ١ ص ١٨.

وحديث الرض، في: صحيح البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد والسير، ٣١ باب قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ - النساء ٩٥، رقم ٢٨٣٢، عن سهل بن سعد الساعدي. و ٦٥ كتاب التفسير، ١٨ باب ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - النساء ٩٥، رقم ٤٥٩٢، عن سهل بن سعد الساعدي.

وانظر: سبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٣٤٤.



يردد ما أوحى إليه مخافة أن ينساه، فطمأنه تعالى، بأن يتكفل له بحفظه، فلا مُسَوِّغَ لتحريك اللسان به، قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَفِعْ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩) - القيامة (١).

(١) وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ - طه ١١٤.

وفي صحيح البخاري في: ١ كتاب بدء الوحي، ٤ باب، رقم ٥: (عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ - القيامة ١٦، قال: كان رسول الله ﷺ يُعَالِجُ من التنزيل - أي: القرآني لثقله عليه - شدة، وكان مما يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ، فقال ابن عباس: فأنا أحرَّكُهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يُحَرِّكُهما. وقال سعيد: أنا أحرَّكُهما، كما رأيت ابن عباس يُحَرِّكُهما، فحرَّك شَفْتَيْهِ، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ (١٧) - القيامة، قال - أي: ابن عباس - جمعه له في صدرك، وتقرأه. ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْتَفِعْ قُرْآنَهُ﴾ - القيامة ١٨، قال: فاستمع له وأنصت. ﴿ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ - القيامة ١٩، ثم إن علينا أن نقرأه. فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل، قرأه النبي ﷺ كما قرأه).

وهو في صحيح مسلم في: ٤ كتاب الصلاة، ٣٢ باب الاستماع للقراءة، رقم ٤٤٨، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

ولذلك كان جبريل عليه السلام يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن. ففي صحيح البخاري في: ٦٦ كتاب فضائل القرآن، ٧ باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، قبل رقم ٤٩٩٧، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن فاطمة عليها السلام: (أَسْرَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ جِبْرِيلَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلِّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي).

قال ابن كثير: هكذَا رواه البخاري مُعَلِّقًا، وقد أسنده في مواضع أخر في أحاديث عن ابن عباس (رقم ٤٩٩٧) وأبي هريرة (رقم ٤٩٩٨)، ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجة.

والمُرَاد من معارضته له بالقرآن كل سنة، مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى، وذلك حتى يكون أثبت وأرسخ. فلا ينساه. وانظر مُعَارَضَةَ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِالْقُرْآنِ فِي: فَضَائِلِ الْقُرْآنِ لابن كثير وهو ذيل تفسيره ص ٢٦-٢٧.

٤- انقطاع الوحي وإبطاؤه عن النبي ﷺ، وهو يتحرَّق شوقاً إليه، دليل على أن الوحي لا يصدر عن ذاته، فلا ينزل عليه إلا إذا شاء الله. ومن أمثلة انقطاعه:

أ- بعد نزول جبريل بآيات ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) - سورة العلق، انقطع عنه ثلاثة أعوام، وفي بعض الأحاديث سنتين ونصف<sup>(١)</sup>. فحزن النبي ﷺ حزناً، حتى غدا منه مراراً أن يتردى من رؤوس شواهد الجبال، كما روى البخاري<sup>(٢)</sup>.

ب- وفتّر الوحي شهراً كما في صحيح البخاري، والنبي في أشد الشوق إليه، ليحل أزمة الإفك، الذي رمى المنافقون فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، حتى قال لها النبي ﷺ: (يا عائشة، إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله)، فنزلت آيات سورة النور ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾ - النور ١١، في تبرئتها بعد كلام الناس بشهر، كما ورد في الحديث المذكور: (وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء)<sup>(٣)</sup>.

والمأمل يرى أن هذا الشهر أطول من سنين، والنبي ﷺ فيه ينتظر الوحي مع القلق والشك المستديم، فلو كان الوحي ذاتياً لادّعى نزوله حين حدث الإفك، وقطع النزاع فيه.

(١) إرشاد الساري ج ١ ص ٦٧.

(٢) في صحيح البخاري في: ٩١ كتاب التعبير، ١ باب أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة، رقم ٦٩٨٢، عن عائشة رضي الله عنها: (وفتّر الوحي فترة حتى حزن النبي - فيما بلغنا - حزناً، غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهد الجبال، فكلما أوفى منه بذروة جبل، لكي يلقي منه نفسه، تبدى له جبريل، فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غداً مثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك). وانظر: إرشاد الساري ج ١٠ ص ١٢١.

(٣) حديث: يا عائشة، إنه بلغني... إلخ، في: صحيح البخاري في: ٦٤ كتاب المغازي، ٣٤ باب حديث الإفك، رقم ٤١٤١، عن عائشة رضي الله عنها.

ج- ولم ينزل الوحي ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، بشأن تحويل القبلة من بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْكَعْبَةِ، مع حبه التحويل، فنزل الوحي بعد ذَلِكَ بِالْآيَةِ: ﴿قَدْ رَأَى تَقلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ - البقرة ١٤٤<sup>(١)</sup>.

٥- من أسباب نُزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُسْأَلُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، فَلَا يَمْلِكُ لِلسُّوَالِ جَوَاباً، فَيَسْكُتُ، وَقَدْ يَسْتَمِرُّ سَكَوتُهُ مَدَّةَ طَوِيلَةٍ.

فإذا نزلت الآية، دعا بالسَّائِلِ، وتلا عليه ما نزل من الْقُرْآنِ بشأن سؤاله.

وكان يجيب أحياناً فيأتي الوحي بخلاف جوابه، وفيه بعض العتاب أو الملامة.

فهذا دليل على أَنَّ الْوَحْيَ أمر خارجي عن النفس، إذ لو كان بوحى نفسي، لا يحتاج إذا سئل إلى انتظار الجواب، ولا إلى تَصْحِيحٍ إذا أجاب أول الأمر.

٦- نهي النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام عن تدوين كلامه إبان نُزُولِ الْوَحْيِ، خشية اختلاطه بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لأنه يعلم تماماً، أَنَّ الْقُرْآنَ كلام أُوْحِيَ إِلَيْهِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بلفظه ومعناه، ولا يملك أن يغير منه حرفاً واحداً.

وَشَتَّانَ مَا بَيْنَ أُسْلُوبِ الْقُرْآنِ، لأنه من الله رب البشر، وبين أُسْلُوبِ الْحَدِيثِ، وإن كان من أفصح الناس.

(١) فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ فِي: ٤٣ كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ٢ باب ومن سورة البقرة، رقم ٢٩٦٢، ص ٤٧٤: (عن البراء بن عازب قال: لما قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةً أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قَدْ رَأَى تَقلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ - البقرة ١٤٤. فَوُجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ يُحِبُّ ذَلِكَ). قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

كما ذكر هذه المدة البخاري في صحيحه في: ٦٥ كتاب التفسير، ١٢ باب ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ﴾ - البقرة ١٤٢، رقم ٤٤٨٦، عن البراء بن عازب أيضاً.

## ٧- موضوع الوحي:

الرَّسُولُ ﷺ أُمِّيٌّ، لا يعرف القراءة والكتابة<sup>(١)</sup>، عاش في بيئة بدوية وثنية، ومعارف أهلها وعُلُومهم بدائية بسيطة، لا تقارن بمعارف الرُّوم وفارس.

وكان الرَّسُولُ ﷺ يَتَعَبَّدُ في غار حراء، معتزلاً للناس، ولم يكن له من علم إلا ما تعلمه من مجتمعه البدائي.

وهو في هذه الحال ينزل عليه الوحي بالقرآن الكريم، وفيه من الحقائق التاريخية والكونية والنظريات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها مما يعالج جوانب الحياة المختلفة، التي لم يسبق أن فكر بها، أو ذكرها، أو اهتم بها، هو أو أي واحد في عصره من بيئته أو غيرها.

وتلك الحقائق دقيقة محددة - وسيأتي الكلام عنها في إعجاز القرآن - ليس لأحد إنكارها، حتى إن أحبار اليهود الذين كانوا يجادلون النَّبِيَّ ﷺ كانوا يذهلون، حين يرون القرآن يقص عليهم أنباء بني إسرائيل وأنبيائهم.

كل ذلك يدلُّ على أن هذا النَّبِيَّ الأُمِّيَّ في وسطه البدائي لا يستطيع أن يأتي بهذه التشريعات والحقائق العلمية والغيبية من نفسه وفكره. فلا بد إذن من مصدر خارج ذات النَّبِيِّ، هو الوحي المنزل عليه من الله تعالى.

٨- الرَّسُولُ ﷺ بَشَرٌ. وقد تقدّمت الآيات على بشرية الرسل والأنبياء، ولكنه يفترق عن البشر بأنه أوحى الله إليه، قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ - الكهف ١١٠ وفُصِّلَتْ ٦.

وتصدير الآيات بكلمة ﴿قُلْ﴾، التي تكررت في القرآن أكثر من ثلاثمائة مرة.

وقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ - العلق ١.

(١) انظر كتابنا: أُمِّيَّة الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

﴿وَأَتْلُ﴾ - الكهف ٢٧.

﴿وَرِئِل﴾ - المزمّل ٤.

دليل على أن هناك من يوجه النبّي ﷺ إلى القول بكذا وكذا، ودليل على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى بلفظه ومعناه.

٩- تَمَيِّزُ الرَّسُولِ ﷺ بين تجربته الإنسانية الظنية التي تحتل الشك والوهم، وبين يقينه الصادر عن الوحي، يدلّ على أنه يتلقّى ما يوحى إليه تلقياً لا يقبل الشك. وحادثه تأبير النخل شاهدة على ذلك<sup>(١)</sup>.

١٠- العتاب الشديد أو الدين، الذي جاء في القرآن الكريم للرّسول ﷺ كقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ وَتُوَلَّىٰ﴾ - عبس ١، وقوله سبحانه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ - التوبة ٤٣، وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَن يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَشُخَّرَ فِي الْأَرْضِ﴾ - الأنفال ٦٧... إلخ، مما تقدم ذكره في (عِصْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ)، يدلّ على أن النبّي ﷺ مُبْلَغٌ، وأنّ ما أُوحي به إليه كان أمراً خارجياً، ولو كان نفسياً لكتمه. وما ذكر منه شيئاً يتلى على ألسنة الناس.

(١) في صحيح مسلم في: ٤٣ كتاب الفضائل، ٣٨ باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً...، رقم ٢٣٦١، عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: (مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل، فقال: ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا: يلقحونه، يجعلون الذكّر في الأنثى فتلقح، فقال رسول الله ﷺ: ما أظنّ يغني ذلك شيئاً، قال: فأخبروا بذلك فتركوه. فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظنّ، ولكن إذا حدّثكم عن الله شيئاً، فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عزّ وجلّ).

وفي رواية له بعد هذا الحديث، رقم ٢٣٦٣: (أنتم أعلمُ بأمر دنياكم).

وفي رواية لابن ماجة في سننه في: ١٦ كتاب الرهون، ١٥ باب تلقيح النخل، رقم ٢٤٧١، ج ٢ ص ٨٢٥ عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ فَشَأْنُكُمْ بِهِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أُمُورِ دِينِكُمْ فَإِلَيَّ). وقال الشيخ شعيب في تحقيقه سنن ابن ماجة ج ٣ ص ٥٢٨: إسناده صحيح.

١١ - التهديد الشديد والإنذار المخيف الموجه من الله تعالى إلى نبيه، يدل على أن الله عز وجل هو مصدر الوحي، والنبي شخص مأمور بتبليغ ما كلفه الله به فقط.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّنَاكَ لَقَدْ كَدَتِ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (٧٤) إذا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥) - الإسراء.

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَنَذِكُرُ الْمُتَّقِينَ (٤٨) - الحاقة.

قال الزمخشري في تفسير آيات الحاقة: (والمعنى: ولو ادعى علينا شيئاً لم نقله، لقتلناه صبراً، كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم، معاجلةً بالسخط والانتقام، فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول، وهو: أن يؤخذ بيده، وتضرب رقبته. وخص اليمين عن اليسار، لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه، أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه في جيده، وأن يكفحه بالسيف، وهو أشد على المصبور، لنظره إلى السيف، أخذ بيمينه)<sup>(١)</sup>.

١٢ - لو كان مصدر القرآن العظيم من ذات النبي عليه السلام ومن عبقرته وذكائه، لكان من الفخر له أن ينسبه إلى نفسه، إذ لا يوجد من ينسب لغيره أنفس آثار عقله، وأعلى ما تجود به قريحته، أو أنه يدعي الألوهية لا النبوة، وستان ما بين مقامها ومقام الألوهية، لكنه ﷺ يؤكد دائماً بأنه عبد لله وبشر، وهو يقيم الليل ويتضرع ويتوسل، فيقول في دعائه: (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير)<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٢٦٦.

(٢) حديث: اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي... إلخ، في: صحيح مسلم في: ٤٨ كتاب الذكر

١٣- حين نزل الوحي على مُحَمَّد ﷺ يأمره بالقراءة وإنذار الناس، تحيّر في هذا الأمر الطارئ، وأخذ يشك، أهى النفس أم غيرها؟ فجاء قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ - يؤنس ٩٤.

لذلك قال ﷺ بعد نزول هذه الآية: (لا أشك ولا أسأل)<sup>(١)</sup>.

هذه الأمور وغيرها جعلت النبي ﷺ يتيقن الوحي تيقناً دفعه لتحمل الأعباء الشديدة، مع إغراء المشركين له بالمال والملك إذا ترك دعوته، فرفض إغراءاتهم، وقاسى هو وأصحابه الآلام، التي تنوء بها الرواسي في سبيل دعوته، وعادى أهله وقبيلته، والعرب وغيرهم، فأعلن حرباً شعواء على معتقداتهم، فنصره الله تعالى على أعدائه وأظهر رسالة الإسلام في الأرض، فلم يقف أمامه عائق مهما عظم، ولم يصمد بوجهه جبّار مهما عتّى وتجبر.

### شبهات حول الوحي<sup>(٢)</sup>

تَقُولُ البعض على النبي ﷺ فقالوا: بأن الوحي إليه هو رؤى النائم، أو افتراءات الكاذب، أو أخيلة الشاعر، أو أقاويل المجنون، وأن علمه ﷺ مستقى من بحيرا وورقة بن نوفل والحداد الرومي.

والدعاء، ١٨ باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، رقم ٢٧١٩، عن أبي موسى الأشعري.

(١) الظاهرة القرآنية ص ١٨٨ ناقلاً الحديث عن تفسير السُّيوطي. وذكره ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٤٣٢ عن قتادة وقال: وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبّير والحسن البصري.

وفيه: حديث: لا أشك ولا أسأل، أخرجه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة.

(٢) انظر: الوحي المحمدي ص ٩٠ وما بعدها، ومناهل العرفان ج ٢ ص ٣١٧ والظاهرة القرآنية ص ١٨٢ ومباحث في علوم القرآن ص ٣٨ والرسول: سعيد حوى ج ٢ ص ١٤.

وتفصيل هذه الشبهات وردّها فيها يأتي:

### ١- قيل:

إن الوحي من قبيل رؤى النائم. وحكى القرآن الكريم هذه الشبهة بقوله سبحانه: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَمٌ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ - الأنبياء ٥.

هذه الشبهة مردودة بيقظة النبي ﷺ المستديمة منذ نزول الوحي عليه.

ورواية الصّحّاحين: البخاري ومسلم<sup>(١)</sup>، قاطعة في أن الوحي فاجأ وهو يقظان متأمل في الوجود وخالقه، فقال له: اقرأ، ويعصره حتى يبلغ الجهد ثلاثاً، وبعدها يذهب إلى خديجة زوجته مرتعباً، يرجف فؤاده، يقول: زملوني زملوني، فأخبرها بالخبر.... وهذا يدل على أن الوحي لو كان مناماً لزال خوفه ورعبه في اليقظة.

ويرد على هذا الزعم أيضاً ما تقدم أنفاً من الظواهر التي تبدو على الرسول ﷺ عند الوحي، والعتاب والتهديد وغيرها التي تقطع بأن الوحي لم يكن مناماً، بل هو حقيقة.

### ٢- وقيل:

إن الوحي من افتراءات الكاذب. وأشارت الآية الكريمة المذكورة آنفاً إلى هذه الشبهة.

وهي شبهة مردودة بشهادة العرب قبل النبوة حتى سموه بالصادق الأمين، وكانوا يأتمنونه على أموالهم.

وكذلك بعد النبوة بشهادة العرب جميعاً من أعدائه وأنصاره، بدليل سؤال

(١) صحيح البخاري في: ١ كتاب بدء الوحي، ٣ باب، رقم ٣، عن عائشة رضي الله عنها. وصحيح مسلم في: ١ كتاب الإيمان، ٧٣ باب بدء الوحي، رقم ١٦٠، عن عائشة رضي الله عنها.



هَرَقْلُ مَلِكِ الرُّومِ لِأَبِي سُفْيَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ<sup>(١)</sup>:  
(قال - أي: هَرَقْلُ - : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت - أي: أبو سُفْيَانَ - : لا...).

وحين أتم هَرَقْلُ أسئلته لأبي سُفْيَانَ، أجابه عن كل سؤال وجَّهه إليه، وكان جوابه عن سؤاله السابق: (وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذَر الكذب على الناس ويكذب على الله).

وما جاء به القرآن من أخبار ماضية ومستقبله وتشريعات نيرة صالحة لكل زمان ومكان، يدل على أن ذلك لا يصدر من كاذب.

وقد تقرر ذلك عند الكلام عن عصمة الأنبياء وعن إعجاز القرآن في هذا الكتاب فراجع.

### ٣- وقيل:

إِنَّ الْوَحْيَ مِنْ أُخِيلَةِ الشَّعْرَاءِ. وأشارت الآية الكريمة المذكورة آنفاً إلى هذه الشبهة.

وهي شبهة مردودة بما يظهر من احتقان ورعب عند الوحي، وهذا لا يظهر على الشاعر إن أراد نظم شعره، ولأن المعجزة الكبرى التي جاء بها رسول الله ﷺ هي القرآن الكريم في أسلوبه وتشريعاته وأخباره... والعرب في وقتهم أرباب الفصاحة والبلاغة بُهروا وتحيروا فيه، حين سمعوا آياته تتلى، كما أن القرآن تحداهم بأن يأتوا بمثله، فعجزوا عن ذلك كما سيأتي في إعجاز القرآن.

(١) سؤال هَرَقْلُ لِأَبِي سُفْيَانَ فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ١ كتاب بدء الوحي، ٦ باب، رقم ٧، عن ابن عباس عن أبي سُفْيَانَ.

## ٤- وقيل:

إن الوحي قد صدر من مجنون. وأشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ - الدخان ١٤، وقوله تعالى: ﴿إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ - الشعراء ٢٧.

هذه الشبهة ترددها حالة النبي ﷺ عند تلقي الوحي كل مرة، بكمال الوعي، ووفرة النشاط، وقوة الأعصاب. وقوله ﷺ لخديجة: (زملوني) لا يفيد أكثر من لجوئه إلى الفراش، ليستريح بعد المنظر الرهيب الذي رآه.

ولذلك يأمره بالقيام بإنذار الناس ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ ١﴾ ﴿فَوَافَزِرَ ٢﴾ - المدثر.

ثم إن المجنون لا يمكنه أن يأتي بهذه الشريعة المتكاملة لجميع جوانب الحياة، التي لا يكون مصدرها إلا العقل الكامل النير المبين.

## ٥- وإذا قيل:

إن احتقان الوجه والشحوب يمكن أن يفسر بأنه من أعراض التشنج.

فيرد بأن التشنج يحدث شللاً ارتعاشياً عند الفرد المحروم مؤقتاً من قواه العقلية والجسمية، لكن أحوال النبي ﷺ حين ينزل عليه الوحي - كما مر وصفها -، تشهد: أن الوجه هو وحده الذي يتغير، بينما يتمتع هو بحالة عادية وحرية عقلية، بحيث يستخدم ذاكرته استخداماً كاملاً خلال الوحي، في حين يُمحى وعي التشنج وذاكرته خلال تشنجه.

ثم إن تلك الأعراض الجسمية التي تظهر على النبي ﷺ حين نزول الوحي، لا تظهر عليه إلا في تلك اللحظة الخاطفة للوحي.

والحالة المرصية لا يرافقها تصبب عرق، ولا يرافقها ظهور نص قرآني معجز في حد ذاته. وقد يكون سورة طويلة كسورة الأنعام، أو يكون نصاً فيه تشريع دقيق كنص المواثيق، الذي يعتبر من أدق النصوص التشريعية في العالم.

## ٦- وقيل:

إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ تَلَقَّى عُلُومَهُ مِنَ الرَّاهِبِ بَحِيرَا، وَوَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وَالْقَيْنِ (الْحَدَّادِ) الرَّؤُومِيِّ.

فالراهب بَحِيرَا، وهو من أتباع آريوس في التَّوْحِيدِ وينكر ألوهية المَسِيحِ وَعَقِيدَةَ التَّثْلِيثِ، عَلَّمَ النَّبِيَّ ذَلِكَ، حَيْثُ التَّقَى بِهِ فِي بُصْرَى بِالشَّامِ. هَذَا مُرَدُّدٌ بِمَا يَأْتِي:

أ- إِنَّ الرَّاهِبَ بَحِيرَا الْقِي النَّبِيَّ ﷺ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ وَمَعَشَرَ مِنْ قُرَيْشٍ فِي رَحْلَتِهِمَا إِلَى الشَّامِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ، وَكَانَ عُمُرُ النَّبِيِّ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ، وَقِيلَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. وَكَانَ الرَّاهِبُ بَحِيرَا قَدْ رَأَى فِي صَوْمَعَتِهِ فِي رُؤْيَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَاءَ فِي رَكْبٍ، وَقَدْ أَظْلَمَتْهُ عَمَامَةٌ، وَصَنَعَ طَعَامًا لِمَعَشَرِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ سَابِقًا لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ يَمْرُونَ بِهِ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، فَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ، فَقَالَ الرَّاهِبُ لَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ طَعَامِي، فَأَخْبَرُوهُ بِتَخَلُّفِ الْغَلَامِ، أَيِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَوْا بِهِ، وَكَانَ يَلْحِظُهُ لَحْظًا شَدِيدًا، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ، وَبَعْدَ فَرَاغِهِمْ مِنَ الطَّعَامِ دَعَا بِهِ، وَاسْتَحْلَفَهُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا، فَقَالَ لَهُ: لَا تَسْأَلْنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بِغَضِّهِمَا، فَقَالَ لَهُ بَحِيرَا: فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: سَلْنِي مَا بَدَا لَكَ. وَأَخَذَ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ فِي نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ، فَيُوافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَا مِنْ صِفَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ، فَرَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. فَسَأَلَ عَمَّهُ عَنْ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ: هُوَ ابْنِي، فَقَالَ لَهُ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَبُوهُ حَيًّا. فَأَجَابَهُ: إِنَّهُ ابْنُ أَخِي. فَقَالَ لَهُ أَخِيرًا: ارْجِعْ بِهِ إِلَى بَلَدِهِ، وَاحْذَرِ عَلَيْهِ يَهُودَ، فَإِنَّهُ كَاثِنٌ لِابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ. فَاسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلَادِهِ<sup>(١)</sup>.

وَلِلْقِصَّةِ غَيْرُ تِلْكَ الرَّوَايَةِ<sup>(٢)</sup>، وَلَيْسَ فِي جَمِيعِ الرِّوَايَاتِ مَا يَفِيدُ أَنَّهُ ﷺ سَمِعَ شَيْئًا مِنْ

(١) سِيَرَةُ ابْنِ هِشَامٍ - قِصَّةُ بَحِيرَا الرَّاهِبِ.

(٢) وَمَنْ رَوَاهَا الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ج ٢ ص ٦١٥-٦١٦ وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ

بحيراً عن عقيدته ودينه.

كما أن هذه الرحلة القصيرة - وهو صغير، ووجود عمه معه، حين التقى  
ببحيراً - كل ذلك لا يعلم النبيّ التّشريع، ولا يعطيه مفاتيح الغيب، لكن قول بحيراً  
يؤكد نبوة محمد ﷺ حين سأله عن أحواله المُختلفة، فيوافق ما عند بحيراً، من هيئات  
النبيّ الذي بشر به عيسى وموسى، فتنبأ أن يكون له شأن عظيم.

ب- أما بشأن ورقة بن نوفل، فإن الثّابت في الصّحيح: أن خديجة رضي الله عنها انطلقت  
بالنبيّ عليه الصلاة والسلام، - وذلك بعد أن جاءه جبريل عليه السلام في حراء - إلى  
ورقة بن نوفل بن أسد، ابن عمها، وكان امرءً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب  
العبرانيّ فيكتب من الإنجيل بالعبرانيّة ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد  
عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عمّ، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي  
ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ بخبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس - أي: أمين  
الوحي جبريل - الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حيّاً، إذ  
يُخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مُخرجي هم؟ قال: نعم. لم يأت رجل قطُّ

الشّيخين ولم يخرجاه. لكن علّق الذهبيّ عليه بقوله: قلت: أظنه موضوعاً فبعضه باطل. / انظر:  
هامش المُستدرك.

ورواها الترمذيّ في سننه في: ٤٥ كتاب المناقب، ٣ باب ما جاء في بدء نبوة النبيّ  
ﷺ، رقم ٣٦٢٠، ص ٥٦٨، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وانظره بشرح  
عارضة الأخوذيّ ج ١٣ ص ١٠٦

واستقصى طرق هذه القصة ورواياتها الحافظ ابن كثير في السيرة النبويّة ج ١ ص ٢٤٣ وما  
بعدها وقال بعد ذلك: وعلى كل تقدير فهو مُرسل، فإن هذه القصة كانت ولرسول الله ﷺ فيها  
ذكره بعضهم اثنتا عشرة سنة، ولعل أبا موسى تلقاه من النبيّ ﷺ، فيكون أبلغ، أو من بعض كبار  
الصّحابة، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً أخذه من طريق الاستفاضة.

بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزراً، ثم لم ينشأ ورقة أن توفي<sup>(١)</sup>.

فورقة لم يلتق بالنبي وحده، كما ورد في الصحيح، بل كانت معه خديجة، ثم إن ورقة علم بمقارنة ما جرى للنبي ﷺ بما وقع لموسى، فقال له: هذا الناموس، أي: أمين الوحي جبريل، لأن الوحي واحد لكل الأنبياء، وتوقع إخراجهم حين يدعوهم. وتمنى نصره آنئذ.

كل هذا يدل على أن الوحي الذي نزل عليه وعلى الأنبياء من قبله هو من عند الله تعالى، الذي علمه وألممه وهداه، فليس لورقة من ذلك شيء سوى التصديق بأنه سيكون رسول الناس، فكيف يكون مصدر علم النبي ﷺ؟

ج- الثابت هو أنه حين التقى ببجيرا، كان معه عمه أبو طالب، وحين التقى بورقة كانت معه خديجة، ولم يكن سرا مصونا، فلم يذكر المؤرخون ما سمعه هذان الرفيقان من علوم الأستاذين: لم لم يستفد هذان الرفيقان ما استفاده محمد من هذين الأستاذين؟ إن سكوت التاريخ عن هذا الأمر حجة كافية على أن هذه الدعوى كلام فارغ لا معنى له.

د- إذا كان بجيرا وورقة بهذه الدرجة من العلم، فلماذا لم يأتوا بما أتى به النبي ﷺ كالقرآن الكريم، ولماذا لم يدعوا النبوة، وإنما بشروا بنبوّة محمد ﷺ؟

(١) الحديث مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. / اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ص ٣٢.

وهو في صحيح البخاري في: ١ كتاب بدء الوحي، ٣ باب، رقم ٣، عن عائشة رضي الله عنها. وفي صحيح مسلم في: ١ كتاب الإيمان، ٧١ باب بدء الوحي...، رقم ١٦٠، عن عائشة رضي الله عنها.  
جذعا: شابًا.

لم ينشأ: لم يلبث.

هـ- لو كان تلقيه على بحيرا وورقة حقاً، لاتهمته قريش بذلك، حين كانت تلفق التهم عليه تلفيقاً. فإنهم اتهموه بأنه كان يتعلم من حداد رومي نصراني في مكة يصنع السيوف، وكان النبي ﷺ يقف عنده أحياناً، ليُشاهد صنعته، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ - النحل ١٠٣.

و- طبيعة النصرانية، وهي دين بحيرا وورقة والقيين (الحداد) الرومي، لا تتفق مع ما جاء به مُحَمَّد ﷺ فكيف تكون مصدراً لديانته وقرآنه؟

ز- في القرآن الكريم أنباء المغيبات حدثت بعد موت بحيرا وورقة، فكيف يتصور أن القرآن من تعليمهما؟

كما أن المعروف أن آيات القرآن كانت تنزل وفق الحوادث والوقائع الطارئة.

ح- لو تلقى النبي ﷺ عن بحيرا أو غيره، لنقل ذلك أتباعه الذين لم يتركوا شيئاً صغيراً أو كبيراً إلا ودونوه، ولو لم يثبت عندهم، لأنهم يتركون أمره إلى رِوَاة الخبر وإسناده.

ط- لم يثبت في الأحاديث الصحيحة أن مُحَمَّدًا ﷺ كان ينتظر نزول الوحي عليه، ولو روي عنه شيء من ذلك لدونوه.

ي- إن الرسول ﷺ لم يلق أخبار اليهود ولا رهبان النصارى، ولم يثبت اتصاله بهم، وهذا ما أكده الباحثون.

ك- القرآن الكريم بأحكامه القاطعة بالصحة، المتابعة، النازلة في مدة ثلاث وعشرين سنة، المتشعبة الكثيرة، في العقائد والمعاملات والحكم والأخبار الغيبية وغيرها مما يعالج جوانب الحياة المختلفة، يحكم العقل بالبداهة أنها ليست مأخوذة عن جلسة سريعة، والتقاء بسيط مع راهب أو غيره، إذ كيف يقطع بصحة تلك الأحكام على

كثرتها والأخبار الغيبية من وراء تلك الجلسة؟ كل ذلك يدُلُّ على أن ما جاء به كان تلقياً من الله تعالى قال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ - يونس ٣٧.

٧- وإذا قيل:

إن سولون فيلسوف اليونان قد جاء بشرع منه، فليس بعجيب أن يأتي الرسول بشريعته من فكره وعبقريته.

فالرد عليه هو:

أن سولون أحد فلاسفة اليونان في القرن السابع قبل الميلاد، ووالدته من أنسباء بستراتوس آخر ملوك أثينا.

وكان من رجال المال والحرب، وقد تولّى في بلاده بعض الإدارات وقيادة الجيش، وانتخب سنة ٥٩٤ قبل الميلاد (أرجونا)، أي: رئيساً للأمة، بإجماع أحزابها كلهم، وأعطوه سلطة مطلقة في نظم البلاد وقائونها، الذي وضعه (زراكوت) من قبله، فوضع سولون نظاماً جديداً اتبعته الحكومة. لكن هذا النظام الجديد كان عبارة عن تنقيح القوانين السابقة التي صنعتها أعظم الأمم فلسفة وحضارة وتقدماً آنئذٍ، وكان سولون متعلماً فيلسوفاً وقائداً لأعظم الجيوش المنظمة لأكبر دولة في العالم.

فأين هذا من مُحَمَّدٍ ﷺ، الأُمِّي الذي لم يقرأ، ولم يكتب، ولم يعرف السياسة أو قيادة الجيوش. وما جاء به من تشريعات لم يكن مسبقاً بقوانين تحكم جزيرة العرب كقوانين اليونان والرومان، لأن في الجزيرة قبائل متفرقة لا يجمع شملها نظام، ولا يحكمها قانون.

إذن ما جاء به لم يكن إلّا وحيّاً من الله تعالى، فيه العقائد والآداب والأحكام وكل ما يحتاج إليه الناس، فكان صالحاً لكل زمان ومكان.

## المُعْجَزَة

المُعْجَزَة لُغَةً: مأخوذة من العَجَز ضد القدرة<sup>(١)</sup>.

واصْطِلَاحاً: هي عبارة عن ما قصد به إظهار صدق من ادَّعى أنه رَسُولُ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

(١) شَرَحَ الْمَقَاصِدَ ج ٥ ص ١١ وَشَرَحَ الْجَوْهَرَةَ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٢٠. وَفِي تَبْصِرَةِ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٤٦٨: (الهَاءُ الدَّاخِلَةُ فِي لَفْظِهَا هَاءُ الْمُبَالِغَةِ، كَمَا فِي الْعَلَامَةِ وَالنَّسَابَةِ وَالرَّوَايَةِ، فَكَانَتْ دَاخِلَةً فِيهَا لِلْمُبَالِغَةِ فِي الْخَبَرِ عَنْ عَجَزِ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ).

(٢) الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٢٢-٢٢٣.

وَمِنْ تَعَارِيفِ الْمُعْجَزَةِ: هِيَ أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ، مَقْرُونٌ بِالتَّحْدِي، الَّذِي هُوَ دَعْوَى الرَّسَالَةِ أَوْ النَّبُوَّةِ، مَعَ عَدَمِ الْمُعَارَضَةِ. / الْمُحْصَلُ لِلرَّازِيِّ ص ٢٠٧ وَشَرَحَ الْجَوْهَرَةَ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٢٠.

أَوْ: هِيَ أَمْرٌ يَظْهَرُ بِخِلَافِ الْعَادَةِ، عَلَى يَدٍ مِنْ يَدْعِي النَّبُوَّةَ، عِنْدَ تَحْدِي الْمُنْكَرِينَ، عَلَى وَجْهِ يُعْجِزُ الْمُنْكَرِينَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ. / شَرَحَ الْعَقَائِدَ النَّسْفِيَّةَ ص ١٦٦.

وَقَالَ الصَّالِحِيُّ فِي سُبُلِ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ج ٩ ص ٥٥٩: (قَالَ الْمُحَقِّقُونَ: الْمُعْجَزَةُ هِيَ الْأَمْرُ الْخَارِقُ لِلْعَادَةِ، الْمَقْرُونُ بِالتَّحْدِي، الدَّالُّ عَلَى صَدَقِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالْوَاقِعُ عَلَى وَفْقِ دَعْوَى الْمُتَّحِدِي بِهَا، مَعَ أَمْنِ الْمُعَارَضَةِ). وَحِينَ ذَكَرَ شَرْطَ اقْتِرَانِهَا بِالتَّحْدِي، قَالَ: (وَلَمْ يَشْتَرِطْ بَعْضُهُمُ التَّحْدِي، قَالَ: لِأَنَّ أَكْثَرَ الْخَوَارِقِ الصَّادِرَةَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ خَالَ مِنْ التَّحْدِي، وَعَلَى الْقَوْلِ بِالتَّحْدِي لَا يُسَمَّى مُعْجَزَةً، وَذَلِكَ بَاطِلٌ).

وَفِي الْمَوَاقِفِ وَشَرْحُهُ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٢٤: (هَلْ يُشْتَرِطُ التَّصْرِيحُ بِالتَّحْدِي وَطَلَبُ الْمُعَارَضَةِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ؟ الْحَقُّ أَنَّهُ لَا يُشْتَرِطُ، بَلْ يَكْفِي قِرَائِنُ الْأَحْوَالِ، مِثْلُ: أَنَّ يُقَالَ لِمُدَّعِي النَّبُوَّةِ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَأَظْهَرْ مُعْجَزًا، فَفَعَلَ بِأَنَّ دَعَا اللَّهَ فَأَظْهَرَهُ، فَيَكُونُ ظُهُورُهُ دَلِيلًا عَلَى صَدَقِهِ وَنَازِلًا مَنْزِلَةً لِلتَّصْرِيحِ بِالتَّحْدِي).

وَلِذَلِكَ قَالَ الْبَاجُورِيُّ فِي شَرَحِ الْجَوْهَرَةِ ص ٢٢٩: (الْمُرَادُ مِنْ مَعْجَزَاتِ نَبِينَا ﷺ هِيَ الْأُمُورُ الْخَارِقَةُ لِلْعَادَةِ، الظَّاهِرَةُ عَلَى يَدِهِ ﷺ، سِوَاءِ كَانَتْ مَقْرُونَةً بِالتَّحْدِي أَمْ لَا).



### شروط المعجزة

اشترط المحققون فيها الشروط الآتية<sup>(١)</sup>:

١- أن تكون أمراً من الله تعالى، ليصدق مدعي النبوة.

والأمر يشمل:

أ- القول: كالقرآن الكريم.

ب- والفعل: كنبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ.

ج- والترك: كعدم إحراق النار لإبراهيم الخليل عليه السلام.

٢- أن تكون خارقة للعادة، التي اعتاد عليها الناس، واستمروا عليها مرة بعد أخرى.

وهذا الشرط يفيد أن غير الخارق لا يكون معجزة، كما إذا قال آية صدقي طلوع الشمس من حيث تطلع، وغروبها من حيث تغرب.

(١) هذه الشروط الثمانية ذكرها: الباجوري في شرح الجوهرة ص ٢٢١ والسالمي في مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ١٢ نقلاً عن الباجوري.

وهذه الشروط في: المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٢٣-٢٢٧ إلا الشرط الثامن منها.

وانظر بعض هذه الشروط في: أصول الدين للبغدادي ص ١٧٠-١٧١ والإرشاد للجويني ص ٣٠٨ والعقيدة النظامية ص ٢١٨ وتبصرة الأدلة ج ١ ص ٤٦٩ والمقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ١١ والمسامرة ص ٢٤٠-٢٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٥٥٩ وكشف المراد ص ٣٧٧ ورسالة التوحيد ص ٩٩ ط ١٠ ورسالة في التوحيد للطائي ص ٧٣-٧٤ وحجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ص ٨ وما بعدها، واليواقيت والجواهر للشعراني ج ١ ص ١٥٦-١٦١.

٣- أن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة.

أي أن صاحبها يقوم بدعوة إلى دين، فيه سعادة الناس في الدنيا والآخرة. وعندئذ لا تدخل في المعجزة الأمور الآتية:

أ- الإهانة: وهي ما يظهر على يد فاسق أو كافر تكديماً له، كما وقع لمُسَيْلِمَةَ الكَذَّاب حين بصق في عين أعور لتبرأ، فعميت الصَّحِيحة.

ب- الاستدراج: وهي ما يظهر على يد فاسق أو كافر، خديعة أو مكرأ به، أي: استدراجاً لهم، وزيادة في غيهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم غافلون، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ - الأنعام.

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إذا رأيت الله يعطي العبد في الدنيا، وهو مُقيم على معاصيه، ما يحب، فإنما هو استدراج). ثم تلا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ...﴾ الآية، والآية التي بعدها<sup>(١)</sup>.

ج- المعونة: وهي ما يظهر على يد العوام تخلصاً لهم من شدة.

د- الكرامة<sup>(٢)</sup>: وهي ما يظهر على يد صالح تقي ظاهر الصلاح.

(١) حَدِيث: إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ... إلخ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَأَبُو الشَّيْخِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعْبِ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. / الدَّرُ الْمُنْتَوَرَج ٣ ص ١٢.

وهو في الجامع الصغير ص ٤٤ وفيه: هو حديث حسن، ولم يذكر الآية.

(٢) الكرامة: هي ظهور أمر خارق للعادة على يد الولي، غير مقارن لدعوى النبوة.

والولي: هو العارف بالله تعالى وصفاته بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المجتنب

عن المعاصي، المعرض عن الانهاك في اللذات والشهوات<sup>(١)</sup>.

وسبب الكرامات الإيثار والتقوى<sup>(٢)</sup>. قال تعالى يصف الأولياء: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرٌ ﴿١٨﴾﴾ - يونس.

وقد أثبتها جمهور المسلمين من السلف والخلف، وأبو الحسين البصري من المعتزلة<sup>(٣)</sup>، حتى أنكر الإمام أحمد بن حنبل على من أنكرها، وضلله<sup>(٤)</sup>، بل جعل بعضهم إنكارها فسقاً وابتداعاً<sup>(٥)</sup>، وحجتهم:

أ- ما ورد في القرآن الكريم: مثل:

حمل مريم من غير ذكر.

وتساقط الرطب الجنّي عليها من النخلة اليابسة، قال تعالى: ﴿وَهَزَىٰ بِإِصْبَعِكَ مِرْيَةً مِّنَ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ رِطَابُهَا فِيهَا ﴿٢٥﴾﴾ - مريم ٢٥.

ووجود الرزق عندها بلا سبب، قال تعالى: ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُكُمْ أَنَّىٰ لَـٰهُ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴿٣٧﴾﴾ - آل عمران ٣٧.

ولبث أهل الكهف ثلاثمائة وتسع سنوات بلا طعام وشراب، نيماً أحياء بلا آفة، قال

(١) شرح العقائد النسفية للفتاواني ص ١٧٥. وانظر: شرح المقاصد للفتاواني ج ٥ ص ٧٢ والإرشاد للجويني ص ٣١٦ وتبصرة الأول ج ١ ص ٥٣٦ وشرح العقائد العضدية للفتاواني ج ٢ ص ٢٨٢ وشرح الخريدة للدردير وحاشية الصاوي عليه ص ١١٣ ولوائح الأنوار البهية ج ٢ ص ٣٩٢ وفيه ذكر شروط الولي، والرّسالة الفسيريّة ص ١٥٨ وما بعدها، وكتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، وشرح الجوهرية للبايجوري ص ٢٥٣ وحجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين، واليوافق والجواهر ج ١ ص ١٦٠-١٦٢ ورسالة التوحيد لمحمد عبده ط ١٠ ص ٢٣٦.

(٢) الفرقان لابن تيمية ص ٨٩.

(٣) لوائح الأنوار البهية ج ٢ ص ٣٩٣ و٣٩٦. وانظر: المواقف ج ٨ ص ٢٨٨. وورد رأي أبي الحسين في: الفائق في أصول الدين ص ٣١٨.

(٤) لوائح الأنوار البهية ج ٢ ص ٣٩٣ عن نهاية المبتدئين لابن حمدان.

(٥) حاشية الصاوي على الدردير ص ١١٣.

سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَيْثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ - الكهف ٢٥.

وإتيان وزير سليمان عَلَيْهِ السَّلَام (أَصَف بن برخيا) بعرش بلقيس بطرفة عَيْنٍ مع المسافة البعيدة قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ - النمل ٤٠.

ب- تواتر عن الصَّحَابَةِ الكرام عدد كَبِير من الكَرَامَات بحيث لا يمكن إنكاره منها:

لَمَّا أُرْسِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَيْشًا إِلَى نَهَاوَنْد، أَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُسَمَّى سَارِيَةَ، فَبَيْنَمَا عُمَرُ يَخْطُبُ، فَجَعَلَ يَصِيحُ عَلَى الْمُنْبَرِ: يَا سَارِيَةُ الْجَبَلُ. فَقَدِمَ رَسُولُ الْجَيْشِ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقِينَا عَدُوَّنَا فَهَزَمُونَا، فَإِذَا بِصَائِح: يَا سَارِيَةُ الْجَبَلُ، يَا سَارِيَةُ الْجَبَلُ، فَاسْتَدْنَا ظَهْرُنَا بِالْجَبَلِ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ.

ولما حاصر خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِصْنَ مَنِيْعًا، قَالُوا لَا نَسْلَمُ حَتَّى تَشْرَبَ السُّمَّ، فَشَرِبَهُ فَلَمْ يَضُرَّهُ<sup>(١)</sup>.

ج- إثبات الكَرَامَةِ لِلْوَلِيِّ هُوَ إِثْبَاتُ مُعْجَزَةِ الرَّسُولِ ﷺ، لَأَنَّهُ لَنْ يَكُونَ وَلِيًّا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَكُونَ مُحَقِّقًا فِي دِيَانَتِهِ، وَدِيَانَتُهُ الْإِقْرَارُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ بِرِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ الطَّاعَةِ لَهُ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، لِأَنَّ الْوَلِيَّ لَوْ ادَّعَى الْإِسْتِقْلَالَ بِنَفْسِهِ وَعَدَمَ الْمَتَابَعَةَ لِلنَّبِيِّ، لَمْ يَكُنْ وَلِيًّا، وَلَمْ تَظْهَرْ الْكَرَامَةُ عَلَى يَدِهِ، وَلَوْ فُرِضَ ظَهْرُهَا فَهُوَ حِينَئِذٍ مِنْ قَبِيلِ الْإِسْتِدْرَاجِ<sup>(٢)</sup>.

د- الْكَرَامَةُ أَمْرٌ مُمْكِنٌ، وَوُجُودُ الْمُمْكِنَاتِ مُسْتَنْدٌ إِلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى الشَّامِلَةِ لْجَمِيعِهَا، فَلَا يَمْتَنِعُ شَيْءٌ مِنْهَا عَلَى قُدْرَتِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَأَنْكَرَ الْكَرَامَةَ: أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِي، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَلِيمِي مِنَ الْأَشَاعِرَةِ، وَأَكْثَرُ

(١) انظر هذه الأمثلة وغيرها في: المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٨٨ وشرح المقاصد للفتناراني ج ٥ ص ٧٥ وشرح العقائد النسفية للفتناراني ص ١٧٥ ولوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٣٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٨١١ وشرح الجوهر للباجوري ص ٢٥٢.

(٢) شرح العقائد النسفية للفتناراني ص ١٧٧ ولوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٣٩٦ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٨١٠.

(٣) شرح المواقف للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٨٨. وانظر: أصول الدين للغزنوي ص ١٦٢.

.....

المُعْتَرِلة<sup>(١)</sup>، وابن حَزْم الظَّاهِرِي<sup>(٢)</sup>، بِحُجَّة:

أنها لا تتميز عن المُعْجِزَةِ، فلا تكون المُعْجِزَةُ حينئذٍ دالَّةً على النُّبُوَّة، وَيَنْسُدُّ بَابُ  
إثباتها<sup>(٣)</sup>.

وَرُدُّهَا يَأْتِي:

١ - الكَرَامَةُ ثَابِتَةٌ بِالْقُرْآن، وتواترها في كل عَصْرٍ يشهد بأنها حق لا يمكن إنكاره، كما  
تَقَدَّم.

٢ - إن المُعْجِزَةَ تَفْتَرِقُ عن الكَرَامَةِ بالأُمُور الآتية:

أ - المُعْجِزَةُ تَتَمَيَّزُ بِالتَّحَدِّيِّ مع ادِّعَاءِ النُّبُوَّة، أما الكَرَامَةُ فليس فيها ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.

ب - المُعْجِزَةُ مَقَارِنَةٌ لدَعْوَى النُّبُوَّة، أما الكَرَامَةُ فهي غير مَقَارِنَةٍ لها، فصاحب الكَرَامَةِ لا  
يَدْعِي النُّبُوَّة، بل هو مُتَبِعٌ لِلنَّبِيِّ مُتَمَسِّكٌ بِشِرْعِهِ، ولو ادَّعَاهَا صارَ عَدُوًّا لِلَّهِ، لا يَسْتَحِقُّ الكَرَامَةَ  
بل اللَّعْنَةَ وَالْإِهَانَةَ<sup>(٥)</sup>، فلا تَلْتَبِسُ عِنْدُ الكَرَامَةِ بِالْمُعْجِزَةِ.

ج - المُعْجِزَةُ مَقْدُورَةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ متى أَرَادُوهَا، إما بِاخْتِيَارِهِمْ، وإما بِاقْتِرَاحِ الْأُمَّة. أما الكَرَامَةُ  
فقد يَأْتِي بِهَا الْوَلِيُّ، وقد لا يَسْتَطِيعُ الْإِتْيَانُ بِهَا<sup>(٦)</sup>.

.....

(١) شَرْحُ الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ لِلدَّوَانِي ج ٢ ص ٢٨٢، وَشَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِي ج ٥ ص ٧٣، وَالْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلْسَّيِّدِ  
الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٨٨، وَلَوْاعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٣٩٤، وَحَاشِيَةُ الصَّائِي عَلَى الدَّرْدِيرِ ص ١١٣، وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ  
لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٥٣. وَالرَّسَالَةُ الْقُسَيْرِيَّةُ ص ١٥٨ وَالْإِزْشَادُ لِلْجَوْنِيِّ ص ٣١٦ وَالتَّمْهِيدُ لِلْمِشْبِيِّ ص ٩١ وَالْمُحَصَّلُ  
لِلرَّازِيِّ ص ٢٢١.

وجاء في الفائق في أَسْؤُلِ الدِّينِ ص ٣١٧: (مَنَعَ شَيْوَحْنَا أَبُو عَلِيٍّ وَأَبُو هَاشِمٍ وَأَصْحَابُهَا مِنْ جَوَازِ ظُهُورِ الْمُعْجِزِ عَلَى  
الصَّالِحِ، وَالْكَذَّابِ عَلَى الْعَكْسِ، وَعَلَى مَنْ سَيِّعَتْ إِرْهَاصًا لِنُبُوَّتِهِ).

(٢) الْفَصْلُ لِبْنِ حَزْمِ ج ٥ ص ١٠٩. وَذَكَرَ رَأْيَ أَهْلِ الظَّاهِرِ الطُّوسِيِّ فِي الْمَمْعِ ص ٣٩٣.

(٣) الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٢٨٩ وَشُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادُ ج ١٠ ص ٨١٢.

(٤) الْمَوَاقِفُ ج ٨ ص ٢٨٩.

(٥) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِي ج ٥ ص ٧٣ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٥٣.

(٦) شَرْحُ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ لِرَمْضَانَ أُنْدَسِي ص ٢٨٩-٢٩٠ وَالرَّسَالَةُ الْقُسَيْرِيَّةُ ص ١٥٩ وَبَحْرُ الْكَلَامِ لِلنَّسَفِيِّ ص ١١٦.

٤- أن لا تكون مقدمة على دعوى النبوة، بل مقارنة لها أو متأخرة عنها بزم من يسير يعتاد مثله.

لأن المعجزة شهادة من الله تعالى على صدق المدعي، والشهادة لا تتقدم على الدعوى.

فخرج بذلك: الإرهاص (مشتق من أرهضت الحائط، أي: أسسته): وهو ما كان قبل النبوة من الخوارق تأسيساً لها، كإضلال الغمام له ﷺ قبل بعثته، وشق صدره، وكلام عيسى عليه السلام في المهدي. وهذه الإرهاصات هي كرامات، لأن الأنبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الأولياء.

د- الأنبياء يحتاجون بمعجزاتهم على المشركين، لأن قلوبهم قاسية لا يؤمنون بالله عز وجل، والأولياء يحتاجون بالكرامة على نفوسهم، حتى تطمئن، وتوقن، ولا تضطرب، ولا تجزع عند فوت الرزق، لأنها أمانة بالسوء جاحدة مشرقة مجبولة على الشك، ليس عندها يقين بها ضمن لها خالفها من الرزق<sup>(١)</sup>.

هـ- إن الأنبياء كلما زيدت لهم من المعجزات، يكون أتم لمعانيهم وفضلهم، وهؤلاء الذين لهم الكرامات من الأولياء كلما زيدت في كرامتهم، يكون وجلهم أكثر، وخوفهم أكثر، حذراً أن يكون ذلك من المكر الخفي لهم والاستدراج، وأن يكون ذلك نصيبهم من الله عز وجل، وسبباً لسقوط منزلتهم عند الله عز وجل<sup>(٢)</sup>.

ولكن الذي يجب الالتفات إليه هو أن أهل السنة وغيرهم في اتفاق على أنه لا يجب الاعتقاد بوقوع كرامة معينة على يد ولي معين بعد ظهور الإسلام، فيجوز لكل مسلم بإجماع الأمة أن ينكر صدور أي كرامة كانت من أي ولي كان، ولا يكون إنكار هذا مخالفاً لشيء من أصول الدين، ولا مائلاً عن سنة صحيحة، اللهم إلا أن يكون مما صح في السنة عن الصحابة<sup>(٣)</sup>.

.....

(١) اللمع للطوسي ص ٣٩٣.

(٢) اللمع للطوسي ص ٣٩٥. وهناك فروق أخرى في: أصول الدين للبعثادي ص ١٧٤-١٧٥.

(٣) رسالة التوحيد لمحمد عبده ط ١٠ ص ٢٣٨.

٥- أن تكون موافقة لدعوى النُّبُوَّة.

فخرج بذلك المخالف لها، كما إذا قال: آية صدقي انفلاق البَحْر، فانفلق الجبل.

٦- أن لا تكون مكذِّبة له.

فخرج بذلك ما إذا كانت مكذبة له، كما إذا قال: آية صدقي نطقُ هذا الجهاد، فنطق بأنه مُفْتَرٍ كَذَّاب.

٧- أن تتعذر معارضته.

وخرج بذلك:

السَّحَر: وهو قَوَاعِد تكتسب بالتَّعْلِيم يقتدر بها على أفعال غَرِيبَةٍ.

والكَهَّانَةُ: وهي التنبؤ بالمغيبات لا عن دليل.

والشَّعْبَذَةُ: (أو الشَّعْوَذَةُ): وهي خفة في اليد يرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها، كما يقع للحَوَاة (جمع حاوي).

٨- أن لا تكون في زمان نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مَغْرِبِهَا، لأن ما يظهر عند ظهور أشرار الساعة وانتهاء التكاليف لا يشهد بصدق الدعوى لكونه زمان نقض العادات.

### مُعْجَزَةُ الرَّسُولِ دليل صدقه

إظهار المُعْجَزَةِ على يد مُدَّعِي النُّبُوَّة يفيد العلم بصدقه، ويفيد تصديق الله سُبْحَانَهُ له، فكأنها - على ما قال إمام الحَرَمَيْنِ - بمنزلة أن يقول: جعلته رَسُولاً، أو أنشأت الرِّسَالَةَ فيه<sup>(١)</sup>.

(١) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ ج ٥ ص ١٨ وَنَهَايَةُ الْإِقْدَامِ ص ٤٢١.

وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ أُرْسِلَ مِنْ مَلِكٍ حَاضِرٍ مُحْتَجِبٍ بِسِتْرٍ، وَالْجَمَاعَةُ عَلَى كَثَرَتِهَا

### مُعْجَزَةُ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ جِنْسٍ مَا اشْتَهَرَ أَهْلُ زَمَانِهِ بِهِ

مُعْجَزَةُ الْأَنْبِيَاءِ بِخَرْقِهَا الْعَادَةَ أَعْجَزَتِ الْمُتَحَدِّثِينَ عَنْ مَعَارَضَتِهَا، مَعَ فِرَاطِ اهْتِمَامِهِمْ بِالْمُعَارَضَةِ وَتَوَفُّرِ دَوَاعِيهِمْ.

وَلِهَذَا كَانَتْ مُعْجَزَةُ كُلِّ نَبِيٍّ مِنْ جِنْسٍ مَا غَلَبَ عَلَى أَهْلِ زَمَانِهِ، وَتَهَالَكُوا عَلَيْهِ وَتَفَاخَرُوا بِهِ، فَاشْتَهَرَ قَوْمُ دَاوُدَ بِالْمُوسِيقَى، وَعَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَةِ مُعْجَزَةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ مِزَامِيرُهُ.

وَاشْتَهَرَ قَوْمُ مُوسَى بِالسَّحَرِ، وَعَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَةِ مُعْجَزَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً.

وَاشْتَهَرَ قَوْمُ عِيسَى بِالطَّبِّ، وَعَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَةِ مُعْجَزَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ.

وَاشْتَهَرَ الْعَرَبُ قَوْمَ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالنِّصَافِ وَالْبَلَاغَةِ، وَعَجَزُوا عَنْ مُعَارَضَةِ مُعْجَزَةِ الرَّسُولِ ﷺ (الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ) فِي بِلَاغَتِهِ<sup>(١)</sup>.

حضور. فإذا قام المُدَّعِي بَيْنَ ذَلِكَ الْجَمْعِ وَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ هَذَا الْمَلِكِ إِلَيْكُمْ، وَآيَةُ صَدَقِي فِي دَعْوَايَ أَنَّهُ يُحَرِّكُ هَذَا السِّتْرَ إِذَا طَلَبْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فِي دَعْوَايَ الرَّسَالَةِ عَنْكَ فَحَرِّكْ هَذَا السِّتْرَ فَحَرِّكْ فِي الْحَالِ، عَلِمَ قَطْعًا وَبِقِينًا بِقَرِينَةِ الْحَالِ أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ الْفِعْلِ تَصْدِيقَ الْمُدَّعِي، وَنَزَلَ تَحْرِيكُ السِّتْرِ مِنْهُ مَنْزِلَةُ التَّصْدِيقِ بِالْقَوْلِ. فَالْمُرْجَحُ لِلصَّدَقِ فِي الْمُعْجَزَةِ هِيَ الْقَرَأَتُ الْحَاصِلَةُ مِنْ اجْتِمَاعِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا: الْخَارِقُ لِلْعَادَةِ، وَمِنْهَا كَوْنُهُ مَقْرُونًا بِالْأَمْرِ، وَمِنْهَا سَلَامَتُهُ عَنِ الْمُعَارَضَةِ، فَانْتَهَضَتْ هَذِهِ الْقَرَأَتُ بِمَجْمُوعِهَا دَالَّةً عَلَى صَدَقِ الْمُدَّعِي، نَازِلَةً مَنْزِلَةَ التَّصْدِيقِ بِالْقَوْلِ. / نِهَآيَةُ الْإِقْدَامِ ص ٤٢١-٤٢٢.

(١) الْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ ج ٥ ص ١٨. وَانْظُرْ: الْإِنْصَافُ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ٦١-٦٢ وَأَعْلَامُ النُّبُوَّةِ لِلْمَآوَرِدِيِّ ص ٥٧ وَالْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلْسَيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٥٢ وَالْبُرْهَانُ لِلزَّرْكَشِيِّ ج ٢ ص ٩٨ وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادُ ج ٩ ص ٥٧٣ وَالْغُنْيَةُ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ ج ١ ص ٨٤.



### حكم الإيمان بالمُعْجَزَةِ

الإيمان بأن الله تعالى قد أيد أنبياءه ورسله بالمعجزات واجبٌ، لا يجوز الاعتقاد بخلافه، لأن إثبات النُّبُوءَةِ لا يَتِمُّ إِلَّا باجتماع أمرين:  
أولهما: ادعائه النُّبُوءَةِ.

ثانيهما: إظهاره المُعْجَزَةِ، لكي يظهر صدقه أمام من أُرسل إليهم.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ - الأنعام ٨٣.

وقال النَّبِيُّ ﷺ: (ما من الأنبياء من نبيٍّ إِلَّا قد أُعْطِيَ من الآيات ما مثله آمن عليه البَشَرُ، وإنما كان الذي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ. فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)<sup>(١)</sup>.

وسَبِيلُ تعريف الله تعالى عِبَادَهُ صدق الرسل بالمعجزات كَسَبِيلِ تعريفه إياهم إِلَهِيَّتِهِ بِالآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا، والتعريف قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل<sup>(٢)</sup>.

### شبهة وَرَدٌ

ذهب بعض المعاصرين إلى إنكار المُعْجَزَةِ بِحُجَّةٍ:

أ- أنها خروج عن العادة المألوفة المُشَاهَدَةِ.

ب- لأن العلم الحَدِيثُ وَأُصُولُ البَحْثِ يقتضي عدم التعويل على الروايات في

(١) حَدِيثُ: ما من الأنبياء... إلخ، في: صَحِيحُ البُخَارِيِّ في: ٩٦ كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، ١ باب قول النَّبِيِّ ﷺ بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، رقم ٧٢٧٤، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، واللفظ له، في: ١ كتاب الإيمان، ٧٠ باب وجوب الإيمان بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إلى جميع الناس...، رقم ١٥٢، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) نَهَايَةُ الإِقْدَام ص ٤٢٥.

هَذَا الشَّأْنُ.

وَرُدَّ هَذَا الْقَوْلُ بِمَا يَأْتِي:

١- إن طرق إثبات المعجزات صَحِيحَةٌ قَطْعاً، وقد ورد بعضها في القرآن والبعض الآخر في الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، الذي قد يصل إلى درجة التواتر.

فإنكارها هو إنكار للقرآن وصَحِيحِ الروايات من الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وبالتالي إنكار كل ما ورد من أخبار دينية أو غير دينية وصلتنا بطرق صَحِيحَةٍ متواترة.

٢- تجاهل المعجزات وعدم الإيمان بها، يعتبر الخطوة الأولى لإنكار الغيبات، وفي مُقَدِّمَتِهَا الإيمان بالله تعالى. وفي ذَلِكَ هدم للشريعة الإسلامية من الأساس.

٣- إن نواويس الكون بذاتها معجزات، لأن خلق الإنسان وأعاجيب تَرْكِيبِ أجزائه مُعْجِزَةٌ، وكذلك خلق الشجر وخلق الماء والجمادات والحيوانات كل منها مُعْجِزَةٌ بذاتها. وهذا يعني أن الذي أوجدها ورعاها بهذا الإعجاز، وهو الله تعالى، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَغْيِرَ مَجْرَى الْأُسْلُوبِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، فالمعجزات هي في حَيْزِ الْمُمْكِنِ لَا مِنَ الْمُسْتَحِيلَاتِ، كما هو معروف بالبدهة.

٤- إجماع الأجيال الْمُتَعَاقِبَةِ عَلَى ثُبُوتِ المعجزات، ولذلك آمنوا بالرسول والأنبياء.

## الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ

### النُّبُوَّةُ الْخَاصَّةُ: نُبُوَّةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ

#### إثبات نُبُوَّةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ

تقدم أن إثبات النُّبُوَّةِ لا يكون إلا باجتماع أمرين:  
أولهما: ادَّعاء النُّبُوَّةِ.

وثانيهما: إظهار المُعْجِزَةِ.

فكل من ادَّعى النُّبُوَّةَ وأظهر المُعْجِزَةَ فهو نَبِيٌّ.

وهذان الأمران يشتان نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهما يشكلان المبدأ الأول في إثباتها، وهناك أمور أخرى تعد شواهد مؤكدة ومقررة لنبوته ﷺ.

وإليك توضيح الأمرين المثبتين لنُبُوَّةِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ مُحَمَّدٍ ﷺ وهما:

الأول: ادَّعاء النُّبُوَّةِ

تواتر عن النَّبِيِّ ﷺ أنه ادَّعى النُّبُوَّةَ بلا خلاف من أحد تواتراً ألحقه بالعيان والمُشَاهَدَةِ.

الثاني: إظهار المُعْجِزَةِ

ثبت عن الرَّسُولِ ﷺ أنه أظهر المُعْجِزَةَ.

## مُعْجَزَاتُ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ

وَمُعْجَزَاتُهُ نَوْعَانِ<sup>(١)</sup>:

النوع الأول: كَمُعْجَزَاتِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ قَصِيرَةُ الْأَمَدِ، زَالَتْ بِزَوَالِ أَيَّامِهَا، وَبِمَوْتِ مَنْ شَاحَدَهَا، وَالْمُتَطَّلِّعُ إِلَيْهَا لَا يَجِدُهَا إِلَّا فِي الْأَخْبَارِ، كَمُعْجَزَاتِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ: قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً، وَفَلَقِهَا الْبَحْرَ، وَمُعْجَزَاتِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كِإِبْرَاءِ الْأَكْمَةِ وَالْأَبْرَصِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى... إلخ.

وَمِنْ هَذِهِ الْمُعْجَزَاتِ مَا ثَبَتَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَوْ نَقَلَ إِلَيْنَا بِالْخَبَرِ الْمُتَوَاتِرِ مِثْلَ:

١- انشِقَاقُ الْقَمَرِ الثَّابِتُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿أَقْرَبَتْ أَلْسَاعُهُ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ ۚ﴾ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ - الْقَمَرِ.

وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا زَاخِرَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ طَرُقٍ عَدَّةٍ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا.

٢- نَبْعُ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ حِينَ التَّمَسُّ النَّاسَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ الْمَاءَ لِلْوُضُوءِ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ، فَوَضَعَ الرَّسُولُ ﷺ يَدَهُ فِي ذَلِكَ الْإِنَاءِ، فَنَبْعَ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ جَمِيعُ النَّاسِ إِلَى آخِرِهِمْ.

وَهَذِهِ الْمُعْجَزَةُ تَكَرَّرَتْ عَدَّةَ مَرَّاتٍ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا.

٣- إِبْرَاءُ الْمَرِيضِ بِلَمْسِهِ ﷺ، كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَأَصْحَابِ السُّنَنِ فِي وَقَائِعٍ كَثِيرَةٍ.

(١) انظر الكلام عن مُعْجَزَاتِهِ ﷺ فِي: الْمَوَاقِفِ وَشَرْحِهِ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٥٦ وَالْمَقَاصِدِ وَشَرْحِهِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢٥ وَالْإِنْصَافِ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ٦٢ وَتَبْصِرَةِ الْأَدَلَّةِ ج ١ ص ٤٨٧ وَبَحْرِ الْكَلَامِ ص ١٢١ وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ج ٩ ص ٥٧٤ وَج ١٠ وَالْفَائِقِ فِي أُصُولِ الدِّينِ ص ٣٢٨ وَمَا بَعْدَهَا، وَشَرْحِ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٢٩ وَحُجَّةِ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي مُعْجَزَاتِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ.

٤- إخباره بحوادث قبل وقوعها، وهو كثير جداً مثل:

أ- قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمَنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، قَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ)<sup>(١)</sup>.

والذي ينظر إلى وضع الْمُسْلِمِينَ منذ أن اضمحل سُلْطَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ، يجد طمع العالم بِالْمُسْلِمِينَ والكيد لهم مع كثرتهم الكاثرة.

ب- قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (صَنَفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ، يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَّاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)<sup>(٢)</sup>.

وَالنَّاظِرُ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ قُرُونِهَا الْأُولَى، يجد الصنف الأول من شيوع الظلم وإيذاء الناس، ويجد في عَصْرِنَا الْحَاضِرِ صورة النساء في عُرْيِهِنَّ وَفَتْنَتِهِنَّ الَّتِي رَسَمَهَا الْحَدِيثُ.

ج- قوله ﷺ: (لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَكَلَ الرَّبَا، فَإِنْ لَمْ

(١) حَدِيث: يوشك الأمم... إلخ، في: سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ فِي: ٣١ كتاب الْمَلَا حِم، ٥ باب في تداعي الأمم على أهل الإسلام، رقم ٤٢٩٧، عن ثَوْبَانَ. وقال الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ ج ٦ ص ٣٥٥: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٢) حَدِيث: صنفان من أهل النار... إلخ، في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ فِي: ٣٧ كتاب اللباس والزينة، ٣٤ باب النساء الكاسيات العاريات...، رقم ٢١٢٨، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. و٥١ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٣ باب النار يدخلها الجبارون...، رقم ٢١٢٨ م (٥٢)، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يأكله، أصابه من غُبَارِهِ<sup>(١)</sup>.

ومن المَعْلُوم أن الحياة الاقْتِصَادِيَّة الحاضرة تقوم على الربا بالمصارف وغيرها، وهذا إخبار عما نحن فيه.

د- قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لا تقوم الساعة، حتى تَخْرُج نَارٌ من أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى)<sup>(٢)</sup> وَبُصْرَى مَدِينَةَ الشَّامِ.

فأنبأنا عن حدوث بركان عَظِيمٍ في أرضِ الْحِجَازِ من مكانٍ عَيْنُهُ النَّبِيُّ ﷺ. قال النَّوَوِيُّ: تواتر العلمُ بخروجِ هَذِهِ النَّارِ عن جميعِ أَهْلِ الشَّامِ. وَوَصَفَ السَّمْهُودِيُّ زَلْزَالَهَا وَنَارَهَا، وَكَانَتْ فِي زَمَنِ سَنَةِ ٦٥٤ هـ. وَوَصَفَ الْقَسْطَلَانِيُّ فِي كِتَابٍ أَفْرَدَهُ لِهَذِهِ الْحَادِثَةِ هَذِهِ النَّارَ، فَقَالَ: (إِنَّ ضَوْءَهَا اسْتَوْلَى عَلَى مَا بَطْنُ وَمَا ظَهْرُ، حَتَّى كَأَنَّ الْحَرَمَ وَالْمَدِينَةَ قَدْ أَشْرَقَتْ بِهِمَا الشَّمْسُ، وَتَأَثَّرَ مِنْ لَهَبِهَا النِّيرَانُ، وَصَارَ نَوْرُ الشَّمْسِ عَلَى الْأَرْضِ يَعْتَرِيهِ صَفْرَةٌ، وَلَوْهَا هِيَ يَعْتَرِيهِ حُمْرَةٌ، وَالْقَمَرُ كَأَنَّهُ خَسَفَ). وَذَكَرَ هَذِهِ النَّارَ السَّمْهُودِيُّ فِي تَارِيخِ الْمَدِينَةِ وَالْقَاضِي سِنَانُ وَالْقَاشَانِيُّ وَالْعِمَادُ بْنُ كَثِيرٍ وَالْمَطَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ<sup>(٣)</sup>.

النوع الثاني: نوع خالد خلود الدهر، ماثل كل حين، ألا وهو الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

وهنا نتتبع بعض جوانبه الدالة على أنه مُعْجَزَةٌ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وأنه من عند الله تعالى.

(١) حَدِيثٌ: لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ... إلخ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٤٦١.

(٢) حَدِيثٌ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ... إلخ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. / اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ص ٨١٣.

رواه البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ فِي: ٩٢ كِتَابُ الْفِتَنِ، ٢٤ بَابُ خُرُوجِ النَّارِ، رَقْمُ ٧١١٨، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فِي: ٥٢ كِتَابُ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ، ١٤ بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، رَقْمُ ٢٩٠٢، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَهَذَا اللَّفْظُ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ فِي: ٥٢ كِتَابُ الْفِتَنِ، ١٤ بَابُ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، رَقْمُ ٢٩٠٢، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) الرَّسُولُ: سَعِيدُ حَوِيُّ ج ٢ ص ١٣٠ وَهَذِهِ الْأَمْثَلَةُ غَيْضٌ مِنْ فَيْضٍ.

## الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

الْقُرْآنُ فِي اللُّغَةِ: مصدر قرأ. كَالْغُفْرَانِ مصدر غَفَرَ.

ومنه قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ، وَقُرْءَانَهُ، ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ قُرْءَانَهُ، ﴿١٨﴾ - القيامة.

وفي الاصطلاح: هو كلام الله تعالى، المنزل على الرُّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، المكتوب في المصاحف، المَنْقُولُ عنه نَقْلاً متواتراً بلا شُبْهَةٍ، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس، الْمُتَعَبَّدُ بتلاوته<sup>(١)</sup>.

وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو التشريع الخالد لكل زمان ومكان.

والْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُعْجِزٌ، أعجز البشر عن أن يأتوا بسورة من مثله. وهنا لا بد أن نقيم الدليل على إعجازه، لتسلم لنا نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، ويسلم الإسلام كله بعد ذلك.

## إِعْجَازُ الْقُرْآنِ

الإِعْجَازُ: إثبات العجز للغير.

يقال: أعجزَ الْقُرْآنُ الْبَشَرَ، أي: أثبت عجزهم عن أن يأتوا بمثله.

ولا يتحقق الإعجاز إلا بأمور ثلاثة:

١- التَّحَدِّي، وهو طلب المنازلة والمُعَارَضَة.

٢- وجود المقتضي الذي يدفع المُتَّحَدِّي إلى المنازلة.

(١) فتح الغفَّار لابن نُجَيْم ج ١ ص ١٠. وانظر: جَمْعُ الْجَوَامِعِ بِحَاشِيَةِ الْبَنَانِيِّ ج ١ ص ٢٢٣ وعلم أُولُوهُ الْفِقْهُ لِعَبْدِ الْوَهَّابِ خَلَّاف ص ٢٣.

٣- عدم وجود مَآْنَع من المِباراة.

فالمِصَارِعُ إِذَا ادَّعَى الْبَطُولَةَ، وَأَنكَرَ عَلَيْهِ مِصَارِعَ آخَرَ، فَتَحْدَاهُ الْأَوَّلُ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الثَّانِي مَنَازِلَتَهُ، كَانَ الْأَوَّلُ قَدْ أَثْبَتَ عِجْزَ الثَّانِي، وَذَلِكَ:

لَوْجُودِ التَّحْدِيِّ مِنَ الْأَوَّلِ.

وَلِحِرْصِ الثَّانِي عَلَى إِبْطَالِ دَعْوَى الْأَوَّلِ.

وَلِانْعِدَامِ الْمَرَضِ أَوْ الْعَذْرِ الْمَآْنَعِ مِنَ الْمِباراةِ.

### تَحْقِيقُ شُرُوطِ الْإِعْجَازِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

لِبَيَانِ صِحَّةِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لَا بُدَّ أَنْ نَعْرِضَ كُلَّ شَرْطٍ مِنْ شُرُوطِ الْإِعْجَازِ الْمَتَقَدِّمَةِ عَلَى الْقُرْآنِ، لِيَتَضَحَّ لَنَا إِعْجَازُهُ بِجَلَاءٍ، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

١- التَّحْدِي، وَهُوَ طَلِبُ الْمَنَازِلَةِ وَالْمُعَارَضَةِ.

فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ تَحْدَى الْعَرَبَ، وَأَثْبَتَ عِجْزَهُمْ عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، وَهُمْ أَرْبَابُ الْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ شِعْراً وَنَثْراً، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ۚ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ - الطُّور.

وَتَحْدَاهُمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَزَّلَهُ قُلٌّ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ ۚ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١٣﴾ فَالَّذِي يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّما أُنْزِلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ - هُود.

وَتَحْدَاهُمْ بِأَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ - الْبَقَرَة.

فَلَمَّا عَجَزُوا تَحْدَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بِلَهْجَةٍ وَآخِزَةٍ وَتَهْكُمٍ لِأَذْعٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَيْنِ



أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴿٨٨﴾ - الإسراء ٨٨.

وهذا التّحدّي لم يقف عند زمن الرّسول ﷺ فحسب، بل هو ماضٍ إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

## ٢- وجود المقتضي الذي يدفع المُتحدّي إلى المنازلة.

فالرّسول ﷺ ادّعى أنه رَسُولُ اللهِ، وجاءهم بكتاب الله (القرآن الكريم) يسفّه عباداتهم، ويسخر من عقوّلهم، فحرصوا على رده بأن يأتوا بمثله أو يبعضه، ليدحضوا حجته، فلا يقال إنه من الله.

## ٣- عدم وجود مانع من المباراة.

فالمَنايع الذي يمنع العرب من المُعارضة غير موجود، وذلك متضح في جوانب عدة هي:

أ- جانب اللّغة: فالعرب كانوا قادة الفصاحة والبيان بشعرهم ونثرهم، وكان القرآن بلسانهم.

ب- جانب المعنى: فقد كانوا على بصر وخبرة وتجارِب وذكاء، كما تشير إلى ذلك خطبهم وأشعارهم ومنافراتهم وآثارهم.

ج- جانب الزمن: فالقرآن لم ينزل جُمْلَةً وَاحِدَةً، بل نزل خلال ثلاث وعشرين سنة، ليتسع مجال المُعارضة<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تحدّي القرآن الكريم في: إثبات نُبوّة النّبِيّ ص ٢١ وكتابتنا: التّحدّي في آيات الإعجاز.

(٢) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خَلَّاف ص ٢٥-٢٧ ومحاضرات في أصول الفقه للشيخ بدر المتوكلي عبد الباسط ج ١ ص ١٢٩.

والعَرَب يعلمون أن مُعَارَضَةَ الْقُرْآن بنظم سورة مثله أبلغ في تكذيب مُحَمَّد ﷺ وأسرع في تفريق أتباعه، لَكِنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ، مع أنهم مصاقع الخُطَبَاء، وأساطين البَلَاغَةِ في تلك الفترة الطَّوِيلَةَ، فَعَدَلُوا عَنْ الْمُعَارَضَةِ، وسلكوا سَبِيلًا آخَرَ، وهو بذل النفوس، والمقارعة بالسيوف، والخروج من الأوطان، وإنفاق الأموال بالحَرْب الضَّارِيَةِ<sup>(١)</sup>.

وما ذَلِكَ إِلَّا اعتراف كَامِل بأن الْقُرْآن الْكَرِيم كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

### وجوه إعجاز الْقُرْآن الْكَرِيم

الْقُرْآن الْكَرِيم كتاب تشريع ودستور للناس، تبنى به حياة عَزِيْزَة كَرِيْمَة وارفة الظلال، تعمر بها الأرض.

ولم يكن مقصده الأصلي أن يَوْصَلَ نَظَرِيَّاتٍ عِلْمِيَّةً، أو أن يقصص علينا أنباء الأولين، أو أن يكون صورة أدبية فريدة في الأسلوب، لَكِنَّهُ ذَكَرَ آيَاتِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ بِذَلِكَ الْأُسْلُوبِ الرَّفِيعِ، لِيَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ كَلَامُ إِلَهِيٍّ مُعْجِزٍ فِي حَدِّ ذَاتِهِ، وَلِيُؤَكِّدَ الْإِيْمَانَ بِهِ، وَتَتَخَذَ الْعِبَرُ مِنْ قِصَصِهِ.

وَالْقُرْآن الْكَرِيم مُعْجِزٌ مِنْ وَجْهِ مُتَعَدِّدَةٍ، أَظْهَرَهَا مَا يَأْتِي:

### الوجه الأول: فصاحة ألفاظه، وبلاغة عباراته، وعجيب نظمه

وَالْعُلَمَاءُ اخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِ هَذَا الْوَجْهِ عَلَى النَّحْوِ الْآتِي:

(١) الإِتِّقَانُ ص ٧١٠-٧١١ وَالْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلْسَيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٤٤ وَالْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٢٧ وَشَرْحُ الْعَقَائِدِ الْعُضْدِيَّةِ لِلدَّوَانِيِّ ج ٢ ص ٢٧٨ وَنِهَايَةُ الْإِقْدَامِ ص ٤٤٩ وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ج ٩ ص ٥٨١ وَالنَّبَأُ الْعَظِيمُ ص ٨٥.

١- إعجاز القرآن في بُلُوغِهِ الطَّبَقَةَ العُلْيَا من الفصاحة، والدرجة القصوى من البَلَاغَةِ، على ما يعرفه فُصَحَاءُ العَرَبِ بسليقتهم وعُلَمَاءُ البَيَانِ بمهارتهم وإحاطتهم بأساليب الكلام. وهذا هو قول الجُمهُور<sup>(١)</sup>.

وأصل البَلَاغَةِ في القرآن الكريم مُتَّفَقٌ عليه، لا يُنكَرُهُ من له أدنى تَمَيُّزٍ ومَعْرِفَةٍ بصياغة الكلام<sup>(٢)</sup>.

فجميع ألفاظ القرآن الكريم فصيحة، لا تنبو عن السمع، وعباراته مطابقة لمُقْتَضَى الحال في أعلى مستويات البَلَاغَةِ، وهذا واضح في تشبيهاته واستعاراته ومجازاته وأساليبه المُمْتَلِفَةِ<sup>(٣)</sup>.

٢- إعجاز القرآن الكريم في نظمهِ (أي: تأليفهِ) الغريب، واسلوبهِ العجيب. وللنَّظْمِ معنيان:

المعنى الأول: النَّظْمُ هو تَرْتِيبُ الكلمات، وضم بعضها إلى بعض. وهذا النَّظْمُ يخالف المعتاد من أساليب كلام العرب في:

مطالعه: أي: أوائل السُّورِ والقصص، مثل: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾، ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ﴾، ﴿الْحَاقَّةُ ١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ٢ ﴿، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

(١) المَقَاصِدُ وشرحه للفتناراني ج ٥ ص ٢٨. وذكر الإيجي في المَوَاقِفِ والسَّيِّدُ الشَّرِيفُ في شرحه عليه ج ٨ ص ٢٤٤: (كونه في الدرجة العالية من البَلَاغَةِ التي لم يعهد مثلها في تراكيبهم، وتقاصرت عنها درجات بلاغتهم، وعليه الجَاحِظُ وأهل العَرَبِيَّةِ). وذكر أيضاً: (للْعُلَمَاءِ عبارات مُخْتَلِفَةٌ في تَفْسِيرِ البَلَاغَةِ، أَحْسَنُهَا قولهم: البَلَاغَةُ هي التعبير باللفظ الرائع «أي: المُعْجَبُ بخلوصه عن معاييب المفردات وتأليفاتها واشتماله على منافعها» عن المعنى الصَّحِيحِ «أي: المناسب للمقام الذي أورد فيه الكلام» بلا زيادة ولا نقصان في البَيَانِ والدلالة عليه. فكلما ازداد شَرَفُ الألفاظ ورونت المعاني ومطابقة الدلالة كان الكلام أبلغ).

(٢) المَوَاقِفِ السَّابِقِ.

(٣) علم أُولُوفِ الفقه لعبد الوهاب خَلَّاف ص ٣١.

ومقاطعه: أي: أواخرها، مثل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾، ﴿يَفْعَلُونَ﴾.

وفواصله: أي: آخر الآي، التي هي بزنة الأسجاع في كلامهم.

فإن هذه الأمور المذكورة وقعت في القرآن على وجه لم يُعهد في كلامهم وكانوا عاجزين عنه. وبه قال بعض المعتزلة<sup>(١)</sup>.

المعنى الثاني: النظم هو جمع الكلمات مترتبة المعاني، متناسقة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل. فبلغ نظمه في الفصاحة والمطابقة لمقتضى الحال الحد الخارج عن طوق البشر. وهو قول عبد القاهر الجرجاني<sup>(٢)</sup>.

لذلك فإن أشرف العرب مع كمال حداقتهم في أسرار الكلام وفرط عداوتهم للإسلام لم يجدوا للطعن فيه مجالاً، ونسبوه إلى السحر على ما هو دأب المحجوج المبهوت تعجباً من فصاحته وحسن نظمه وبلاغته، واعترفوا بأنه ليس من جنس خطب الخطباء أو شعر الشعراء<sup>(٣)</sup>. على ما سيأتي بيانه.

٣- إعجاز القرآن بمجموع الأمرين السابقين: النظم الغريب، وكونه في الدرجة العالية من البلاغة، من غير استقلال لأحدهما. وهو قول القاضي الباقلاني<sup>(٤)</sup>.

والذي يتبع تاريخ اللغات يجد أنها متطورة تدريجياً، أمّا اللغة العربية فلم يحدث لها تطور تدريجي حين جاء القرآن، بل بعض ما يشبه الانفجار المبالغ، فطفر باللغة من

(١) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٤٤ والمقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٣٠.

(٢) المقاصد وشرحه للتفتازاني السابق وفيه: هو ما قال عبد القاهر: أن النظم هو تَوْخِي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يُصاغ لها الكلام.

(٣) المقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٣٢.

(٤) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٤٥ والمقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٣٠. وانظر: الإنصاف للباقلاني ص ٦٢ وتمهيد الأوائل ص ١٧٧ و ١٨٥.

مَرَحَلَة اللُّهْجَة الجَاهِلِيَّة إِلَى لُغَة مَنْظَمَة فَنِيًّا، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَعْمَلْ مُطْلَقًا أَلْفَاظًا أَعْجَبِيَّةً عَنِ لُهْجَةِ الْحِجَازِ. فَكَأَنَّهُ اسْتَحْضَرَ ثَرَوَتَهُ اللفظية الخاصة، وَأَنْشَأَهَا بِطَرِيقَةٍ غَرِيبَةٍ، فَأَحْدَثَ انْقِلَابًا هَائِلًا فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ بِتَغْيِيرِهِ الْأَدَاةَ الْفَنِيَّةَ فِي التَّعْبِيرِ، فَخَلَقَ مِنَ الْوُجْهَتَيْنِ الْأَدْبِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ فَصْلًا تَامًّا بَيْنَ اللُّغَةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَاللُّغَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ المودودي الهندي: (إِذَا قُرِئَتِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ، وَدُرِسَتْ أَدْبَاهَا، ظَهَرَ لَكَ مِنْ دُونِ أَدْنَى ارْتِيَابٍ، أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ فِي الدُّنْيَا لُغَةً أَنْسَبَ مِنْ هَذِهِ اللُّغَةِ، لِأَدَاءِ الْأَفْكَارِ الْعَالِيَةِ، وَالْإِفْصَاحِ عَنْ أَدَقِّ مَعَانِي الْعِلْمِ الْإِلَهِيِّ، وَالتَّأَثُّرِ فِي الْقُلُوبِ، فَبِالْجُمْلِ الصَّغِيرَةِ مِنْ هَذِهِ اللُّغَةِ، تَوْدِي الْمَوْضُوعَاتِ الْمُهْمَةِ، وَتَكُونُ قُوَّةُ التَّأَثُّرِ فِي الْقُلُوبِ، إِلَى مِثْلِ هَذِهِ اللُّغَةِ كَانَتْ تَحْتَاجُ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَمِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ الْبَالِغَةِ، وَرَحْمَتِهِ الشَّامِلَةِ بِعِبَادِهِ إِذْنًا، أَنْ اخْتَارَ أَرْضَ الْعَرَبِ عَلَى غَيْرِهَا لِلنُّبُوَّةِ الْعَالِمِيَّةِ)<sup>(٢)</sup>.

### أُسْلُوبُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أُسْلُوبُ الْقُرْآنِ<sup>(٣)</sup> هُوَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي انْفَرَدَ بِهَا فِي تَأْلِيفِ كَلَامِهِ وَاخْتِيَارِ أَلْفَاظِهِ، وَقَدْ

(١) الظَّاهِرَةُ الْقُرْآنِيَّةُ ص ٢٣٢-٢٣٤.

(٢) مَبَادِيءُ الْإِسْلَامِ لِأَبِي الْأَعْلَى الْمَوْدُودِيِّ ص ٤٧.

وَانْظُرْ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ بَحْثًا مُسْتَفِيزًا فِي: الْإِتْقَانِ ص ٧١١ وَقَدْ جَاءَ بَرَاءٌ كَثِيرَةٌ لِلْجَاحِظِ وَالنِّظَامِ وَالْبَاقِلَانِيِّ وَالرَّازِيَّ وَالزَّمْلَكَانِيَّ وَابْنَ عَطِيَّةٍ وَالْمُرَّاكِشِيَّ وَالْأَصْبَهَانِيَّ وَالسَّكَاكِيَّ وَالتَّوْحِيدِيَّ وَالْخَطَابِيَّ وَالزَّرْكَشِيَّ وَالرُّمَانِيَّ وَالْقَاضِيَّ عِيَّاضَ وَغَيْرَهُمْ.

وَقَدْ طُبِعَتْ بَعْضُ هَذِهِ الْكُتُبِ. وَذَكَرَ الدُّكْتُورُ عُمَرُ مَلَّا حَوْشٍ فِي كِتَابِهِ: (تَطَوُّرُ دَرَسَاتِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَأَثَرُهَا فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ) آراءُ بَعْضِ هَؤُلَاءِ مُحَلَّلَاتُ كَتَبَهُمْ فِي الْإِعْجَازِ. وَانْظُرْ: نِهَآيَةُ الْإِقْدَامِ ص ٤٤٧ وَإِثْبَاتُ نُبُوَّةِ النَّبِيِّ ص ٨٧ وَإِعْجَازُ الْقُرْآنِ لِلرَّافِعِيِّ، وَالنَّبَأُ الْعَظِيمُ ص ٨٠.

(٣) انْظُرْ أُسْلُوبُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَخَصَائِصُهُ السَّبْعُ الْآتِيَّةُ فِي: مَنَاهِلِ الْعِرْفَانِ لِلزُّرْقَانِيِّ ج ٢ ص ١٩٨ وَمَا بَعْدَهَا.

جاء القرآن الكريم بلسان العرب، فمن حروفهم تألفت كلماته، ومن كلماتهم تألفت تراكيبه، وعلى قواعدهم العامة في صياغة هذه المفردات وتكوين التراكيب جاء تأليفه. ومع ذلك فقد أعجزهم بأسلوبه الفذ.

ومثل البيان اللغوي في أية لغة مثل أي صناعة من الصناعات، فالحياطون يختلفون فيما بينهم فمنهم من هو خامل أو ماهر، أو ضعيف أو بارع. وهذا الاختلاف لم يكن نتيجة الاختلاف في مواد الثياب المخيطة أو الآلات والأدوات العامة المستخدمة في الحياطة، بل جاء الاختلاف من جهة الطريقة الخاصة التي اتبعت في اختيار هذه المواد وتأليفها، واستخدام قواعدهم هذه الصناعة في شكلها وهندستها.

لذلك كان للتعبير القرآني سره العجيب، ومن السابقين الذين نبهوا على أسرار تعبيره الخطيب الإسكافي، المتوفى سنة ٤١٢ هـ، في كتابه (درة التنزيل وغرّة التأويل)، قال مبيناً سر التعبير بالفاء في لفظ (كلوا) من قوله سبحانه في سورة البقرة ٥٨: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، وعن سر التعبير بالواو لا بالفاء في لفظ (كلوا) من قوله سبحانه في سورة الأعراف ١٦١: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، مع إن القصة واحدة، ومدلول الحرف واحد. قال:

الأصل أن كل فعل عطف عليه ما تعلق به تعلق الجواب بالابتداء. وكان الأول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء، فالأصل فيه عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو، ومنه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا﴾ - البقرة ٥٨، فإن وجود الأكل متعلق بالدخول: والدخول موصول إلى الأكل، فالأكل وجوده معلق بوجوده، بخلاف ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا﴾ - الأعراف ١٦١، لأن السكنى مقام مع طول لبث، والأكل لا يختص بوجوده بوجوده، لأن من يدخل بستاناً قد يأكل منه مجتازاً، فلما لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجواب بالابتداء وجب العطف بالواو دون الفاء<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: درة التنزيل وغرّة التأويل ص ١٠.

### خصائص أسلوب القرآن الكريم

الخصائص التي امتاز بها أسلوب القرآن الكريم جعلت له طابعاً مُعْجِزاً في لغته وبلاغته، ومن تلك الخصائص:

الخاصة الأولى: مسحة القرآن اللفظية الخلابة العجيبة، المتجلية في نظامه الصوتي، وجماله اللغوي. والمُراد بنظام القرآن الصوتي: اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته ومدّاته وغنّاته، واتصالاته وسكّاته، اتساقاً عجبياً، وائتلافاً رائعاً.

فمن ألقى سمعه إلى مجموعة القرآن الصوتية يشعر ولو كان أعجمياً لا يعرف العربيّة بأنه أمام لحن غريب، وتوقيع عجيب، يفوق في حُسْنِهِ وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر، لأن الموسيقى تتقارب أنغامها، فلا يفتأ السمع أن يَمَلَّهَا، ولأن الشعر تتحد فيه الأوزان وتتشابه القوافي في القصيدة الواحدة غالباً على نَمَط يُورث سامعه الملل والسأم.

أما سامع لحن القرآن فلا يسأم ولا يَمَلُّ، لأنه يتنقل فيه دائماً بين ألحان متنوعة، وأنغام متجددة على أوضاع مُخْتَلِفَةٍ، يهز كل وضع منها أوتار القلوب.

وهذا الجمال الصوتي هو أول شيء أَحَسَّته الأذان العربيّة أيام نُزُول القرآن ولم تكن عهدت مثله، حتى خيل إليهم أنه شعر أو سحر.

والمُراد بجمال القرآن اللغوي ما امتاز به في رصف حروفه، وترتيب كلماته، حين تعطى حروف القرآن حقّها ومستحقّها من المخارج والصفات على ما هو مقرر في قَوَاعِد علم التجويد.

فتألّف من اجتماع نظامه الصوتي وجماله اللغوي قالبٌ لفظي مدهش، تلاقت عنده أذواق القبائل العربيّة على اختلافها بكل يسر وسهولة.

ولقد كان الجمال اللغوي والنظام الصوتي دليل الإعجاز من ناحية، وكان من

ناحية أخرى سُوراً منيعاً لحفظ القرآن، يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، فيبقى سائداً على ألسنة الخلق وفي آذانهم، فلا يجرو أحد على تغييره.

الخاصة الثانية: إرضاءه العامة والخاصة.

فالعامة والخاصة على حد سواء إذا قرؤوه أو قرئ عليهم أحسوا بجماله، وتذوقوا حلاوته، وفهموا منه ما استطاعوا أن يفهموه.

وليس كذلك كلام البشر، فإنه إن أرضى الخاصة والأذكياء لجنوحه إلى التجوز والإغراب والإشارة لم يرض العامة، لأنهم لا يفهمونه.

وإن أرضى العامة لجنوحه إلى التصريح والحقائق العارية المكشوفة لم يرض الخاصة لنزوله إلى مستوى ليس فيه متاع لأذواقهم ومشاربهم وعقولهم.

الخاصة الثالثة: إرضاءه العقل والعاطفة لأنه يخاطب القلب والعقل معاً.

فمثلاً وهو معرض الاستدلال العقلي على البعث والإعادة، يسوق استدلاله سوقاً يهز القلوب ويمتع العاطفة. قال سُبحَانَهُ في سورة فُصِّلَتْ ٣٩: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقال سُبحَانَهُ في سورة ق ٦-١١: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

هَذَا الأسلوب البارع أقنع العقل، وأمتع العاطفة في آنٍ واحد، قال في الأولى: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ﴾ - فُصِّلَتْ ٣٩، وفي الأخيرة: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ - ق ١١.



يا للجمال الساحر، ويا للإعجاز الباهر، الذي يستقبل عقل الإنسان وقلبه معاً،  
بأنصع الأدلة وأمتع المعروضات في هذه الكلمات المعدودات.

وحين يسوق قصة يوسف عليه السلام مثلاً يأتي بالعظات البالغة، ويطلع من خلالها  
بالبراهين الساطعة على وجوب الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة، إذ قال في فصل  
منها: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ  
اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ - يوسف ٢٣.

فتأمل كيف قوبلت دواعي الغواية الثلاث بدواعي العفاف الثلاث مُقابَلةً صورت  
من القصص الممتع جدالاً عنيفاً بين جند الرحمن وجند الشيطان، ووضعتها أمام العقل  
المنصف في كفتي ميزان.

وهكذا تجد القرآن الكريم كله مزيجاً حلواً سائغاً، يخفف على النفوس تجرُّعها  
الأدلة العقلية، ويرفه عن العقول باللفتات العاطفية، ويوجه العقول والعواطف معاً  
جنباً إلى جنب لهداية الإنسان وخير الإنسانية.

وهذا ليس ككلام البشر، فإنه إذا وفي حق العقل بخس العاطفة حقها، وإن وفي  
العاطفة بخس العقل حقه، حتى أصبح معلوماً عرفاً أن الأساليب النثرية مقسمة إلى  
نوعين. أسلوب علمي وأسلوب أدبي.

فطلاب العلم لا يرضيهم الأسلوب الأدبي، وطلاب الأدب لا يرضيهم الأسلوب  
العلمي، والإنسان مهما أوتي لم يملك هاتين القوتين متكافئتين، وعلى فرض تكافئهما  
في شخص فإنهما لا يعملان معاً دفعة واحدة، بل على سبيل البدل والمناوبة ﴿مَا جَعَلَ  
اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ - الأحزاب ٤.

أما القرآن فإنه هو المفرد بهذه الميزة بين أنواع الكلام، لأنه تنزيل من القادر الذي  
جمع بين الروح والجسد في قرآنه.

الخاصة الرابعة: جودة سبك القرآن وإحكام سرده.

فالقرآن بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجملته، وآياته وسوره، مبلغاً لا يدانيه فيه أي كلام آخر، مع طول نفسه وتنوع مقاصده، وتلويحه في الموضوع الواحد. فكانها هو سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار.

هذه سورة الفاتحة، تأمل كيف تترايط وتتناسق في حسن تخلص من معنى إلى معنى، ومن مقصد إلى مقصد.

لقد افتتحت مُتَوَجِّة باسم الله، كما يُتَوَجَّ القَاضِي كُلَّ حَكم من أَحكامه باسم جَلَالَةِ الملك، لإعلان الجهة التي يستمد منها نفوذه في صدور أَحكامه، ثم انتقل الكلام فيها سريعاً إلى الاستدلال على أن الاستعانة إنما هي بالله تعالى وحده، وذلك بإضافة الاسم إلى لفظ الجلالة، الذي هو اسم الذات الجامع لصفات الكمال، وبوصف لفظ الجلالة بأنه ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ - الفاتحة ٣.

ثم انتقل الكلام إلى إعلان أنه تعالى مستحق للمحامد كلها، ما دام أنه المستعان وحده.

ثم انتقل إلى تدعيم هذا الاستحقاق بأدلة ثلاثة جرت على اسم الجلالة مجرى الأوصاف في مقام حمده ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢ ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ٣ ﴿مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ٤ - الفاتحة.

ثم انتقل الكلام إلى إعلان وحدانيته ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ما دام أنه هو المعين وحده، ومستحق المحامد كلها وحده.

ثم انتقل الكلام في براعة إلى بيان المطمح الأعلى للإنسان، وهو الهداية إلى الصراط المستقيم، وأنه لا سبيل إلى الوصول إلى هذا المطمح عن طريق أحد إلا عن طريق الله وحده، بقرينة ما سبق من أدلة التوحيد والتمجيد قبله ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ثم انتقل الكلام إلى تقسيم الخلق بالنسبة إلى هَذِهِ الْهِدَايَةِ ثلاثة أقسام، تَنْبِيْهَا وإِغْرَاء على المقصود، وتحذيراً وتنفيراً من الوقوع في نقيض هَذَا المقصود ﴿صَرَطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

وإذا الناس أمام عينيك بين مُنْعَم عليه بِمَعْرِفَةِ الحق واتباعه، ومغضوب عليه بمخالفة الحق مع العلم به، وضالّ في متاهة الضلال، لا يكلف نفسه عناء البَحْث عن الحق.

ثم تنظر في سورة البقرة فإذا هي وما بعدها ترتبط بالفاتحة ارتباط المُفْصَل بالمُجْمَل. فالْهِدَايَةِ إلى الصراط المُسْتَقِيم صراط من أنعم الله عليهم من النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ، تشرحها سورة البقرة وما يليها من سُورِ الْقُرْآن، حيث جاءت بتفاصيل هَذِهِ الْهِدَايَةِ في بَيَان كَامِل، وعرضٍ شاملٍ. فتراه ينتقل من مقصد إلى مقصد بأسلوب أَخَازٍ رَائِعٍ يَدِيع.

هَذَا بخلاف كلام البشر، حيث يضطر العُلَمَاء والمؤلفون في تنقلاتهم بين أغراضهم إلى اسْتِعْمَال أسماء الإِشَارَةِ، وأدوات التَّنْبِيْهِ، ولفظ أَمَّا بَعْدُ، ونحو هَذَا، وتقسيم الكتاب إلى مباحث، وكل مَبْحَثٍ يشتمل على النقاط الآتية ...

الخاصة الخامسة: براعته في تصرُّف القول وثروته في أفانين الكلام.

فيورد المعنى الواحد بِالْفَاظ وبطرق مُخْتَلِفَةٍ، بمقدرة فائقة خارقة، تنقطع في حَلَبَتِهَا أنفاس الموهوبين من الفصحاء والبلغاء، من ذَلِكَ: تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بالوجوه الآتية:

١- الإتيان بصريح مادة الأمر، نحو قوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ - النساء ٥٨.

٢- الإخبار بأن الفعل مكتوب على المكلفين، نحو: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ - البقرة ١٨٣.

٣- الإخبار بكونه على الناس، نحو: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ - آل عمران ٩٧.

٤- الإخبار عن المكلف بالفعل المطلوب منه، نحو: ﴿وَالْمُطَلَقَتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ - البقرة ٢٢٨، أي: مطلوب منهن أن يتربصن.

٥- الإخبار عن المبتدأ بمعنى يطلب تحقيقه من غيره، نحو: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ - آل عمران ٩٧، أي: مطلوب من المخاطبين تأمين من دخل الحرم.

٦- طلب الفعل بصيغة فعل الأمر، نحو: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ - البقرة ٢٣٨.

أو بلام الأمر، نحو: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَهُمْ وَلِيَطَوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ - الحج ٢٩.

٧- الإخبار عن الفعل بأنه خير، نحو: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحُهُمْ خَيْرٌ﴾ - البقرة ٢٢٠.

٨- وصف الفعل وصفاً عنوانياً بأنه برّ، نحو: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ - البقرة ١٨٩.

٩- وصف الفعل بالفرضية، نحو: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ - الأحزاب ٥٠، أي: من بذل المهور والنفقة.

١٠- ترتيب الوعد والثواب على الفعل، نحو: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَكَهٗ أَجْرُ كَرِيمٍ﴾ - الحديد ١١.

١١- ترتيب الفعل على شرط قبله، نحو: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ - البقرة ١٩٦.

١٢- إيقاع الفعل منفياً معطوفاً عقب استفهام، نحو: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ - النحل ١٧، أي: تذكروا.

١٣- إيقاع الفعل عَقِبَ تَرَجٍّ، نحو: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ - البقرة ١٨٥.

١٤- تَرْتِيب وصف شنيع على ترك الفعل، نحو: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ - المائدة ٤٤.

وانظر من ذَلِكَ تعابيره عن النهي والإباحة.

ولقد خلع هَذَا التصرف والافتتان لباساً فضفاضاً من الجِدَّة والروعة على الْقُرْآن، فلا يَمَلُّ قارئه، ولا يَسْأَمُ سامعه مهما كثرت الْقِرَاءَةُ وَالسَّمَاعُ. وهَذَا التصرف في القول فن من فُنُونِ إعجازه الْأُسْلُوبِي.

الخاصة السادسة: جمع الْقُرْآن بين الإجمال والبيان، مع أنها غایتان متقابلتان، لا يجتمعان في كلام وَاحِدٍ من الناس، بل كلامهم إما مُجْمَلٌ وإما مُبَيَّنٌ.

والمُجْمَلُ<sup>(١)</sup>: ما له دلالة غير واضحة، مثل: لفظ (مُخْتَار) فإنه متردد بين الفاعل والمفعول. ولفظ (الْقُرْء) فإنه متردد بين الحيض والطُّهْر.

والمُبَيَّن: ما لا خفاء فيه، لا ما وقع إليه السياق. نحو: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ - المائدة ٣٨.

لأن الكلمة إما واضحة المعنى لا تحتاج إلى بَيَان، وإما خفية المعنى تحتاج إلى بَيَان. أما كلمة الْقُرْآن فإنك تجدها واضحة المغزى وضوحاً يريح النفس من عناء التعقيب والبحث لأول وهلة، وإذا أمعنت النَّظْرَ فيها لاحت منها معانٍ جديدةٌ كلها صَحِيحٌ أو محتمل لأن يكون صَحِيحاً، وكلما أمعنت فيها النَّظْرَ زادتكَ من المَعَارِفِ والأسرار بقدر ما تصيب أنت من النَّظَرِ وما تحمل من الاستعداد.

(١) المُجْمَل: هو ما خفي المراد منه بنفس اللفظ خفاءً لا يُدْرِك إلا بَيَان من المُجْمَل، سواء كان ذَلِكَ لتراحم المعاني المتساوية الأقدام كالمشترك. أو لغرابة اللفظ كالهَلُوع (وهو من يسرع في الجَزَع عند إصَابَةِ المكروه. وفي المنع عند إصَابَةِ الخير)، أو لانتقاله من معناه الظَّاهِر إلى ما هو غير معلوم كالصلاة والزكاة والربا. / انظر: شَرْح التلويح على التَّوْضِيح لِلتَّفْتَازَانِي ج ١ ص ١٢٧.

ولهذا السر وجد في كتاب الله جميع أصحاب المذاهب المختلفة والمشارب المتباينة شفاء أنفسهم.

وليس كذلك كلام البشر، فإنهم إذا قصدوا إلى توضيح أغراضهم ضاقت ألفاظهم، ولم تتسع لاستنباط وتأويل، وإذا قصدوا إلى إجمالها لم يتضح ما أرادوه وربما التحق بالألغاز.

الخاصة السابعة: قصد القرآن في اللفظ مع وفائه بالمعنى.

ففي ألفاظ القرآن بيان قاصد، مقدر على حاجات البشر من الهداية، دون أن يزيد اللفظ على المعنى، أو يقصر عن الوفاء بحاجات من هداية الخالق.

ومع هذا اتضح المعنى في صورة كاملة، قال ابن عطية: (لو نزع منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم توجد).

أما البليغ من الناس فإن أراد القصد في اللفظ حمله على الغص من شأن المعنى، وقد يبلغ إلى حد الألغاز.

وإذا أراد الوفاء بالمعنى حمله على الإسهاب، حرصاً على ألا يفوته شيء من المعنى الذي يقصده.

وإذا افترضنا أن بليغاً كتب له التوفيق بين هاتين الغائتين في جملة أو جملتين فإن الكلال يلحقه في بقية الكلام لا محالة.

والناظر في ما أثر عن أبرع الشعراء والكتّاب والخطباء يجد ذلك واضحاً، وما كان اللفظ الواضح الجامع والمعنى الناصع إلا في أبيات أو جمل معدودة.

حتى الرسول ﷺ مع أنه أوتي جوامع الكلم، وأشرقت نفسه بأنوار النبوة، وسما كلامه على كلام كل إنسان، فإن بينه وبين القرآن البون الشاسع.

### الوجه الثاني: تَأْثِيرُهُ وَسُلْطَانُهُ عَلَى الْقُلُوبِ، وَأَخْذُهُ بِمَجَامِعِ الْأَفْئِدَةِ

فَقَارَتْهُ لَا يَمَلُّهُ، وَسَامِعَهُ لَا يَمُجُّهُ، بَلِ الْإِكْبَابُ عَلَى تَلَاوْتِهِ يَزِيدُهُ حَلَاوَةً، وَتَرْدِيدُهُ يُوْجِبُ لَهُ مَحَبَةً، فَإِذَا قَرَعَ السَّمْعَ خَلَصَ لَهُ إِلَى الْقَلْبِ مِنَ اللَّذَّةِ وَالْحَلَاوَةِ مَا تَنْشُرُ لَهُ الصَّدُورَ، وَتَسْتَبْشِرُ بِهِ النُّفُوسُ<sup>(١)</sup>.

وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا يَأْتِي:

١ - أَنَّهُمْ كَانُوا يَهَيِّمُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ لَيْلاً، فَيَهْجُرُونَ لَذَّةَ النَّوْمِ لِيَسْتَمْعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَتْلُو الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، قَائِماً بِاللَّيْلِ أَوْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَتَطْرَبُ نَفُوسُهُمْ، وَتَهْشُ لَهُ أَفْئِدَتُهُمْ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ: إِنَّ أَبَا جَهْلٍ وَأَبَا سُفْيَانَ وَالْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيْقٍ خَرَجُوا لَيْلَةً لِيَسْمَعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَصْلِي بِاللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِساً يَسْتَمِعُ مِنْهُ، وَكُلٌّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمْعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا أَصْبَحُوا وَطَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَتَلَاوَمُوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَعُودُوا فَلَوْ رَأَوْا بَعْضَ سَفَهَائِكُمْ لَأَوْقَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئاً، ثُمَّ انْصَرَفُوا.

حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَةَ عَادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ. فَبَاتُوا يَسْتَمْعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ انْصَرَفُوا.

فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّلَاثَةَ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ، فَبَاتُوا يَسْتَمْعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا

(١) الشَّفَاج ١ ص ٢٧٣ و ٢٧٦ وَالْإِتْقَان ص ٧١٩ نَقْلًا عَنْهُ وَعَنْ غَيْرِهِ، وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَاد ج ٩ ص ٥٨٧ وَعِلْمُ أَصُولِ الْفِقْهِ لِعَبْدِ الْوَهَّابِ خَلَّاف ص ٣١. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: قُلْتُ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَجْهًا آخَرَ، ذَهَبَ عَنْهُ النَّاسُ فَلَا يَكَادُ يَعْرِفُهُ إِلَّا الشَّاذُّ مِنْ أَحَادِهِمْ، وَذَلِكَ صَنِيعُهُ بِالْقُلُوبِ... / انظر: بَيَانُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ لِلْخَطَّابِيِّ - ثَلَاثُ رَسَائِلٍ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ص ٧٠.

طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقالوا:

لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأحنس بن شريق، أخذ عصاه ثم خرج، حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وأشياء لا أعرفها ولا أعرف ما يراد بها. فقال الأحنس: وأنا والذي حلفت به.

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال:

يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفرسي رهان قال: منا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدقه، فقام عنه الأحنس بن شريق<sup>(١)</sup>.

وهذا دليل واضح على أن نفوسهم مستيقنة بصدق القرآن وإعجازه، لكن عنادهم وحسد هم حال دون التصديق به.

٢- جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن فكانه رَقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل.

فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك ما لا يعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله.

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٥٠٥-٥٠٦ (وهي من كتابه البداية والنهاية). ورواية الزهري نقلها ابن كثير عن البيهقي عن الحاكم بسنده إلى الزهري. وهذا في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٦ المطبوعة مع الروض الأنف، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٤٧٠.



قال: لقد علمتُ قُرَيْشُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالاً.

قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك مُنْكَرٌ له، وأنتك كاره له.

قال: وماذا أقول، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، ولا بِرَجَزِهِ ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله لَحَلَاوَةً، وإن عليه لَطَلَاوَةً، وإنه لَمُنِيرٌ أعلاه، وإنه لَمُشْرِقٌ أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلَى، وإنه لِيَحْطِمُ ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر، قال: هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، يَأْثَرُهُ عَنْ غَيْرِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ - المَدَّثَرُ ١١ (١).

وللقصة روايات عديدة من طرق مُخْتَلِفَةٍ (٢)، جاء في بعضها عند الْقُرْطُبِيِّ أن الوليد قال: ... (وإنه ليعلو ولا يُعلَى عليه، وما يقول هَذَا بَشَرًا)، حين جاءت قُرَيْشُ إلى الوليد فقالت له: (فما هو؟ ففكر في نفسه، ثم نظر، ثم عَبَسَ، فقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه؟ فقال رداً عليه: ﴿إِنَّهُ فَعَكَرَ وَقَدَّرَ﴾ (١٨) فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأَصْلِيهِ سَفَرًا (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَفَرًا (٢٧)﴾ - المَدَّثَرُ.

٣- عن عُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ أَنَّهُ كَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ خِلَافِ قَوْمِهِ، فَتَلَا عَلَيْهِمْ ﴿حَمْدٌ (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كَتَبْتُ فَصَّلْتُ﴾ إلى قوله في الآية ١٣ ﴿فَإِنْ﴾

(١) لِبَابِ النَّقُولِ فِي أَسْبَابِ النَّزُولِ لِلشُّيُوطِيِّ فِي أَسْبَابِ نَزُولِ آيَةِ ١١ مِنْ سُورَةِ الْمَدَّثَرِ. وَالرُّوَايَةُ أَخْرَجَهَا الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَإِسْنَادُهَا صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ.

(٢) انظر: السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ لابن كَثِيرٍ ج ١ ص ٤٩٨-٥٠١ وَسِيَرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ج ٢ ص ١١ وَتَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ج ١٠ ص ٦٨٦٥-٦٨٦٦ وَالشَّفَا ج ١ ص ٢٦٢ وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ص ١٣٧٩.

أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١﴾ - فَصَلَّتْ، فَأَمَسَكَ عُتْبَةَ عَلَى فَمِ النَّبِيِّ ﷺ، وَنَاشَدَهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكْفَ عَنْهُ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى أَهْلِهِ، وَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ<sup>(١)</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ. فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ وَعُتْبَةُ مُصْغٍ مُلْقٍ يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، مُعْتَمِدٌ عَلَيْهِمَا، حَتَّى انْتَهَى إِلَى السَّجْدَةِ، فَسَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ عُتْبَةُ لَا يَدْرِي بِمَ يَرَاجِعُهُ، وَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى قَوْمِهِ حَتَّى أَتَوْهُ، فَاعْتَذَرَ لَهُمْ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ كَلَّمَنِي بِكَلَامٍ وَاللَّهُ مَا سَمِعْتُ أَذْنَائِي بِمِثْلِهِ قَطُّ، فَمَا دَرَيْتُ مَا أَقُولُ لَهُ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ:

ثُمَّ قَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاللَّهِ. لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسُوا إِلَيْهِ قَالُوا: مَا وَرَاءُكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟

قَالَ: وَرَائِي أَنِي وَاللَّهُ قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهُ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ وَلَا الْكَهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَطِيعُونِي وَاجْعَلُونَهَا بِي، خَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ، وَاعْتَزِّلُوهُ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأًا، فَإِنْ تَصَبَّه الْعَرَبُ فَقَدْ كَفَيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَى الْعَرَبِ فَمَلِكُهُ مَلِكُكُمْ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ.

قَالُوا: سَحَرَكُ وَاللَّهُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ.

قَالَ: هَذَا رَأْيِي لَكُمْ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ<sup>(٣)</sup>.

وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ مِمَّنْ قَتَلَ بَيْدَرَ كَافِرًا.

٤- رَوَى ابْنُ سِنَجَرٍ بَسْنَدَهُ إِلَى شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: خَرَجْتُ أَتَعَرَّضُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَبْلَ أَنْ أُسْلِمَ - فَوَجَدْتَهُ

(١) السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ كَثِيرٍ ج ١ ص ٥٠٢.

(٢) الشَّفَا ج ١ ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٣) السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ كَثِيرٍ ج ١ ص ٥٠٤-٥٠٥.

قد سبقني إلى المسجد، فقامت خلفه، فاستفتح سورة الحَاقَّة، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن، قال: قلت: هَذَا والله شاعر، كما قالت قُرَيْش، فقرأ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا نُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ - الحَاقَّة، قال: قلت: كاهن علم ما في نفسي، فقال ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾ - الحَاقَّة ٤٢ إلى آخر السورة.

قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع<sup>(١)</sup>.

٥- إسلام عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وملخص رواية ابن إسحاق في السيرة هو: أن عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خرج متوشحاً سيفه يريد رَسُولُ الله ﷺ وأصحابه الذين اجتمعوا معه في بيت قرب الصفا.

ولقيه في الطريق نُعَيْم بن عبد الله، فسأله عن وجهته، فأخبره بغرضه، فحدّره بني عبد مَنَاف، ودعاه أن يرجع إلى بعض أهله (حَتَّيْه سَعِيد بن زَيْد ابن عمه، وأخته فاطمة بنت الخطَّاب زوج سَعِيد) فقد صَبَا عن دينهما.

فذهب إليهما عُمَر فسمع حَبَّاب بن الأَرْت، يتلو عليهما القرآن، فافتحم الباب وبطش بَحَتَّيْه سَعِيد، وشج أخته فاطمة، ثم أخذ الصحيفة - بعد حوار دار بينهم - وفيها سورة طه، فلما قرأ صدرها منها، قال: ما أَحْسَنَ هَذَا الكلام وأكرمه!

ثم ذهب إلى النَّبِيِّ ﷺ فأعلن إسلامه، فكَبَّرَ عليه الصلاة والسَّلام تكبيرة عرف أهل البيت من أصحابه أن عُمَر قد أسلم.

وفي رواية أخرى: أن عُمَر قال: (فلما سمعت القرآن رَقَّ له قلبي، فبكيت، ودخلني الإسلام)<sup>(٢)</sup>.

(١) الرَّوَضُ الْأَنْفُ ج ٢ ص ٩٩-١٠٠.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٥-٩٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٢-٣٩ وبيان إعجاز القرآن للخطَّابي ص ٧٠.

وهناك روايات أخرى، وكلها تجمع على أن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أسلم حين سمع بعض آيات القرآن الكريم تتلى من سورة طه.

٦- كان المُشْرِكُونَ يجتهدون في صد الرُّسُولِ ﷺ عن تلاوة القرآن في الكعبة، وفي مجامعهم وأسواقهم، وكانوا يتواصون بعدم سَمَاعِهِ، قال تعالى فيهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ - فَصَّلَتْ ٢٦، لئلا يسمعها المُشْرِكُونَ، وعندها تعزيبهم هيبة القرآن فيُسَلِّمُونَ.

٧- وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين يقرأ القرآن لا يملك عينيه من البكاء، فكان يجتمع الأولاد والنساء، وهم يعجبون منه وينظرون إليه. فحمل ذلك قُرَيْشاً على منعه من الصلاة في المسجد الحرام، ثم من داره<sup>(١)</sup>.

٨- حين قرأ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ القرآن في الموسم على النفر الذين حضروه من الأنصار آمنوا به وعادوا إلى المَدِينَةِ فَأَظْهَرُوا الدِّينَ بها فلم يبقَ بيت من بيوت الأنصار إلا وفيه قرآن.

وقد روي عن بعضهم أنه قال: فتحت الأمصار بالسيوف، وفتحت المَدِينَةُ بالقرآن<sup>(٢)</sup>.

٩- روي عن نَضْرَانِيٍّ أنه مر بقارئ - يتلو القرآن جهراً - فوقف يبكي، فقيل له: لِمَ بكيت؟ فقال: لِلشَّجَا وَالنَّظْمِ<sup>(٣)</sup>.

والمُرَادُ بالشَّجَا هو الحزن الذي أصابه من استماعه، فَرَّقَ قلبه وخشع بدنه.

(١) حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ حين يقرأ القرآن، في: صَحِيحُ البُخَارِيِّ في: ٦٣ كتاب مَنَاقِبِ الأنصار، ٤٥ باب هجرة النَّبِيِّ ﷺ وأصحابه إلى المَدِينَةِ، رقم ٣٩٠٥، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) بَيَانُ إعجاز القرآن ص ٧١.

(٣) الشفاج ١ ص ٢٧٤.

والمُرَاد بالنَّظْم هو رونق انتظامه وحُسن انسجامه.

١٠- وذكر أبو عُبَيْد أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ ﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تَوَمَّرُوا عَرِضَ عَنِ الْمَشْرِكِينَ ﴾ - الحَجَر ٩٤، فسجد، وقال: سجدت لفصاحته<sup>(١)</sup>.

١١- وسمع آخر رجلاً يقرأ ﴿ فَلَمَّا أَسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ - يُوسُف ٨٠، فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام<sup>(٢)</sup>.

١٢- وعن جُبَيْر بن مُطْعِم قال: سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ يقرأ في المَغْرِب بالطُّور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ٣٦ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴾ ٣٧ - الطُّور، كاد قلبي أن يطير. وفي رواية: وذلك أول ما قرأ الإيمان في قلبي<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو عُبَيْد:

إن جُبَيْراً قال: (فكأنما صُدِعَ قلبي) حين سمع النَّبِيَّ يقرأ في صلاته بأصحابه: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوْ فُقِعٌ ﴾ ٧ مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾ ٨ - الطُّور<sup>(٤)</sup>.

١٣- حكى عن بعضهم. أنه كان إذا أخذ المصحف بيده يُغشى عليه من هيئته<sup>(٥)</sup>.

(١) الشفاج ١ ص ٢٦٢ وسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَاد ج ٩ ص ٥٧٨.

(٢) المصدران السَّابِقَان.

(٣) الشفاج ١ ص ٢٧٤.

ورِوَايَةٌ: كاد قلبي أن يطير، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِير - سورة الطُّور، ١ باب، رقم ٤٨٥٤ عن جُبَيْر بن مُطْعِم.

والرِّوَايَةُ الأُخْرَى: وذلك أول ما قرأ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٦٤ كتاب المَعَاذِي، ١٢ باب، رقم ٤٠٢٣ عن جُبَيْر بن مُطْعِم.

(٤) الأموال لأبي عُبَيْد الْقَاسِمِ بن سَلَّام ص ١٦٤.

(٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسُّيُوطِيِّ ج ١ ص ٢٤٤.

وَأَنْ بَعْضَ الصَّالِحِينَ: إِذَا تَلَى الْقُرْآنَ تَوَاجَدُوا وَصَاحُوا، وَقَدْ يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْغَشْيِ وَشَقِّ الثِّيابِ، وَمِثْلُهُ لَا يُنْكَرُ. وَمَنْ لَمْ يَذُقْ لَا يَعْرِفُ<sup>(١)</sup>.

١٤ - وَقَدْ مَاتَ جَمَاعَةٌ عِنْدَ سَمَاعِ آيَاتِ مِنْهُ، أَفْرَدُوا بِالتَّصْنِيفِ<sup>(٢)</sup>.

وَأَمْثَالُ هَذَا كَثِيرٌ لَا يَتَسَعُ الْمَجَالُ لِلِإِطَالَةِ بِهِ.

هَذَا التَّأثيرُ الْعَجِيبُ فِي أَهْلِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، وَإِنْ كُنَّا لَا نَحْسُ بِهِ الْآنَ لَغَلْبَةِ الْعُجْمَةِ وَفَشْوِ الْجَهْلِ بِلِسَانِ الْعَرَبِ فِينَا، وَلَكِنَّهُ حِينَ نَزَلَ بُهَرُوا بِهِ، وَتَذَوَّقُوا حِلَاوَتَهُ، فَجَرَّهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ جَرًّا.

حَتَّى إِنَّهُ وَرَدَ فِي صِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أَنَّ الَّذِي كَانَ يَمُرُّ بِبَيْوتِهِمْ لَيْلًا يَسْمَعُ مِنْهَا مِثْلَ دَوِيِّ النَّحْلِ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ.

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ، حَتَّى شَكَتَ مِنْهُمْ نِسَاؤُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقِيمُ اللَّيْلَ بآيَةٍ وَاحِدَةٍ، يَكْررها وَيَتَدَبَّرُهَا.

وَكَانُوا يَقْرَأُونَهُ فِي كُلِّ حِينٍ مُسْتَلْقِينَ وَقَائِمِينَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - آلِ عِمْرَانَ ١٩١.

وَتَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ لِتِلَاوَتِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ - الزُّمَرِ ٢٣<sup>(٣)</sup>.

حَكَى الْأَضْمَعِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ كَلَامَ جَارِيَةٍ فَقَالَ لَهَا: (قَاتِلِي اللَّهَ مَا أَفْصَحَكَ؟ فَقَالَتْ: أَوْ يُعَدُّ هَذَا فَصَاحَةً بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ

(١) نَسِيمُ الرِّيَاضِ ج ٢ ص ٥٢٤.

(٢) الْبُرْهَانُ لِلزَّرْكَشِيِّ ج ٢ ص ١٠٦ وَالْإِتْقَانُ لِلْسُّيُوطِيِّ ص ٧٢٠.

(٣) الْوَحْيُ الْمُحَمَّدِيُّ ص ١٢٢.

فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ - القصص ٧، فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين<sup>(١)</sup>.

وتقصد بالأمرين: أرضعيه وألقيه. وبالنهيين: لا تخافي ولا تحزني. وبالخبرين: وأوحينا، فإذا خفت عليه. وبالبشارتين: رادّوه وجاعلوه<sup>(٢)</sup>.

الوجه الثالث: إخباره بوقائع غيبية، لا يعلمها إلا الله<sup>(٣)</sup>، في الماضي أو الحاضر

أو المستقبل

١ - فقد أخبر عن غيب الماضي:

وقصّ علينا قصص الأنبياء السابقين مثل: آدم ونوح وهود وصالح ويعقوب ويوسف وإبراهيم... وأمثهم.

فبعد أن قص قصة نوح، قال: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُنْقِذِينَ﴾ - هود ٤٩.

وبعد أن قص قصة ولادة سيّدتنا مريم عليها السلام وكفالة زكريّا لها، قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ - آل عمران ٤٤.

وفصّل قصة يوسف، ثم قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ - يوسف ١٠٢. وغير ذلك من القصص.

(١) الشفاج ١ ص ٢٦٣.

(٢) نسيم الرياض ج ٢ ص ٤٩٠.

(٣) الشفا السابق، والإنصاف للباقلاني ص ٦٣ وتمهيد الأوائل ص ١٨٥ والمواقف ج ٨ ص ٢٤٥ والمقاصد ج ٥ ص ٣٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٥٨٨ وإثبات نبوة النبي ص ١٢٣ والفائق في أصول الدين ص ٣٣٥ وعلم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٣٠.

وهذه القصص حقيقية وردت أكثر أخبارها في التوراة والزبور والإنجيل، حتى جادل الرسول ﷺ اليهود فيها، وصدقوه كما في قصة يوسف وبني إسرائيل، حتى إنهم بهروا بما جاء به، لأنهم يعلمون أنه أمي لا صلة له بكتبهم، وبما عندهم من أخبار.

كما أكدت صحة أخبار القرآن كتب التاريخ القديمة، والحفريات الحديثة التي تنبئ عن وجود تلك الأقوام وملوكها، وبعض أخبارهم المنقوشة في آثارهم العمرانية المظمورة.

## ٢- وأخبر عن غيب الحاضر:

أ- فتحدث عن الملائكة والجن، وعن الجنة والنار، وما يتصل بالله تعالى من صفات.

ب- كما أوضح حقيقة مسجد الضرار، الذي بناه المنافقون، وأرادوا به تفريق المؤمنين والإيقاع بينهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ - التوبة ١٠٧.

ج- وفضح ما عليه المنافقون مما خفي عليه ﷺ فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) - البقرة.

## ٣- وأخبر عن غيب المستقبل:

أ- فقد أخبر عن غلبة الروم. رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ نِيَّارِ بْنِ مُكْرَمٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: لما نزلت ﴿الْم (١) غَلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣)﴾ في بَضْعِ سِنِينَ (٤) - الروم ١-٤، فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قَاهِرِينَ لِلرُّومِ، وكان المُسْلِمُونَ يَجِبُونَ ظُهُورَ الرُّومِ عَلَيْهِمْ، لأنهم وإياهم أهل كتاب، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِغُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ



الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ - الرُّومُ، وكانت قُرَيْشٌ تحب ظهور فَارِسَ، لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب، ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله تعالى هَذِهِ الْآيَةَ، خرج أبو بَكْرُ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصيح في نواحي مَكَّةَ: ﴿الْمَ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾﴾ فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴿٤﴾﴾ - الرُّومُ ١-٤.

قال ناس من قُرَيْشٍ لأبي بَكْرٍ: فذَلِكَ بَيْنَا وَبَيْنَكُمْ، زعم صاحبك أن الرُّومَ ستَغْلِبُ فَارِسَ في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذَلِكَ؟ قال: بلى. وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرَّهَانِ. فارتهم أبو بَكْرٍ والمُشْرِكُونَ، وتَوَاضَعُوا الرَّهَانِ، وقالوا لأبي بَكْرٍ: كم تجعل البِضْعَ ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسَمَّ بَيْنَا وَبَيْنَكَ وَسَطًا تنتهي إليه. قال: فسَمَّوْا بَيْنَهُمْ سِتَّ سنين. قال: فمضت الستُّ سنينَ قَبْلَ أَنْ يظهروا، فأخذ المُشْرِكُونَ رَهْنَ أَبِي بَكْرٍ. فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الرُّومُ على فَارِسَ، فعاب المُسْلِمُونَ على أَبِي بَكْرٍ تسمية سِتَّ سنين، لأن الله تعالى قال: فِي بَضْعِ سِنِينَ، وأسلم عند ذَلِكَ ناس كثير<sup>(١)</sup>. وفي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ<sup>(٢)</sup> روايات مُفَصَّلَةٌ أُخْرَى.

ب- وقال تعالى مخاطباً النَّبِيَّ ﷺ أنه سيدخل مَكَّةَ، وهو لم يملك بَعْدُ قُوَّةَ دُخُولِهَا: ﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّمِّيًّا بِالْحَقِّ لِنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ - الفتح ٢٧.

رأى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في المنام قبل خروجه إلى الْحُدَيْبِيَّةِ: أنه هو وأصحابه دخلوا مَكَّةَ آمِنِينَ، وقد حلقوا وقَصَّروا، فقص رؤياه على أصحابه، فاستبشروا، وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم، وقالوا: إِنَّ رُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حق. فلما تأخر ذَلِكَ، اعترض بعض المنافقين كَعْبُدِ اللَّهِ بنَ أَبِي وَعْبُدِ اللَّهِ بنَ نُفَيْلٍ وِرْفَاعَةُ بنُ الْحَرِثِ: والله ما حلقنا،

(١) سَنَّ التِّرْمِذِيُّ فِي: ٤٣ كتاب تَفْسِيرِ الْقُرْآن، ٣٠ باب ومن سورة الرُّوم، رقم ٣١٩٤، ص ٥٠٨، قال التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وهو بِشْرُ عَارِضَةَ الْأَخْوَذِيِّ ج ١٢ ص ٧٠-٧٢.

(٢) تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ ج ٧ ص ٥٠٨٤.

ولا قصرنا، ولا رأينا المسجد الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ - الفتح ٢٧، فأعلمهم أنهم سيدخلون مكة في غير هذا العام، وأن رؤياه حق<sup>(١)</sup>.

ج- كما أخبر القرآن الكريم بأن الله عاصم نبيه فلا يمكن اغتياله، مهما دبروا له من مكائد، وحرصوا على التخلص منه وقتله. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ - المائدة ٦٧.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُحَرِّسُ، حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ - المائدة ٦٧، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: (يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله)<sup>(٢)</sup>. وللحديث رواية أخرى عن عبد الله بن شقيق.

والنبي في معركة أحد أقرب المسلمين إلى العدو، حتى قال الإمام علي رضي الله عنه: (كنا إذا حمي الوطيس، احتمينا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه).

وفي غزوة حنين، حين رمت هوازن المسلمين (فأقبلوا هنالك إلى النبي ﷺ)، وهو على بغلته البيضاء، وابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل واستنصر، ثم قال: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، ثم صف أصحابه<sup>(٣)</sup>.

(١) روح المعاني ج ٢٦ ص ١٢٠. وانظر: تفسير القرطبي عن قتادة ج ٩ ص ٦١٠٩-٦١١٠.

(٢) حديث: عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُحَرِّسُ... إلخ، في: سنن الترمذي في: ٤٣ كتاب تفسير القرآن، ٥ باب ومن سورة المائدة، رقم ٣٠٤٦، ص ٤٨٥. وهو بشرح عارضة الأخوذي ج ١١ ص ١٧٤. وانظر من هذه الأمثلة عن عصمة الله له في: الشفا ج ١ ص ٣٤٦ وما بعدها، وتفسير ابن كثير ص ٤٢٥.

(٣) حديث: فأقبلوا هنالك إلى النبي ﷺ... إلخ، في: صحيح البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد، ٩٧ باب من صف أصحابه عند الهزيمة، رقم ٢٩٣٠، بهذا اللفظ، عن البراء بن عازب. وانظر الحديث فيه أيضاً رقم ٢٨٦٤ و ٢٨٧٤ و ٣٠٤٢ و ٤٣١٥ و ٤٣١٦ و ٤٣١٧ وكلها عن البراء بن

فتحققت نبوة القرآن الكريم، فلم يَتَمَكَّن أحد من الأعداء أن يصل إليه، مع وفرتهم وكثرة عدّتهم وتربصهم به كل حين، مع إقدامه في القتال، وشجاعته النادرة، وتعرضه للمُشْرِكِينَ بالحَرْب، وتسفيه آهتهم، مع أن كثيراً من الرؤساء والملوك إذا تربص لهم عدوهم، نالوا منه، فيسقط مضر جاً بدمائه.

د- نزل قوله تعالى: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ - القمر ٤٥، بمكة، والجهاد لم يشرع إلا في السنة الثانية للهجرة، تنبؤاً بهزيمة المُشْرِكِينَ وانتصار المُسْلِمِينَ، حتى إن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فيما رَوَى ابن أبي حاتم وابن مَرْدَوَيْهِ - جعل يقول حين نزلت هذه الآية: أَيُّ جمع هذا؟ فلما كان يوم بدر رأيت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقولها.

هذه الغيبات التي ذكرها القرآن الكريم وغيرها كثير، وردت أنبأؤها بشكل قاطع لا تردد فيه، وقد حدثتنا الأيام والوقائع عن صدقها تماماً، فهل جاء بها هذا الرجل من عند نفسه؟ مع القطع بأنه ﷺ كان أُمِّيًّا لا يكتب ولا يقرأ، ولم يُعْهَدْ منه ﷺ في جميع أزماته تعاطٍ لدراسة كتب ولا تعلمها، وقد نفى عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذَلِكَ بقوله: ﴿وَمَا كُنْتُ نَتَلُوًا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كُتُبٍ وَلَا نَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا الْأَرْتَابُ الْمُبِطُ لَوْتُ﴾ - العنكبوت ٤٨<sup>(١)</sup>.

إنه لا بد أن يكون قد استقهاها من مصدر وثيق لا يقبل الخطأ، هو الوحي من الله تعالى خالق كل شيء، ولا يمكن لعاقل أن يحكم بأنها من عبقرية هذا الرجل، لأن المتنبئ يتخذ من تجاربه الماضية مضباً يحكمه بكل تحفظ وحذر، ولا يمكنه أن يبت بما يقول، لأنه عندئذ يكون أحد رجلين:

عَازِب.

وهو في صحيح مُسْلِم في: ٣٢ كتاب الجهاد، ٢٨ باب غزوة حُنَيْن، رقم ١٧٧٦، عن البراء.

(١) الإنصاف للبقلائي ص ٦٢. وانظر: كتابنا: أُمِّيَّة الرَّسُولِ مُحَمَّد ﷺ.

إما رجل مجازف لا يبالي بما يقول صدقاً أو كذباً، وهو شأن العَرَّافِينَ والمُنَجِّمِينَ.  
وإما رجل اتخذ عند الله عهداً، فلن يخلف الله عهده، وهي سُنَّةُ الأنبياء  
والمُرْسَلِينَ.

والنبوءات التي وردت في القرآن تدلُّ دلالة قاطعة على أنها من عند الله تعالى  
على لِسَانِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، ولا يمكن أن تكون من قبيل المجازفة الْوَارِدَةِ على ألسنة  
العَرَّافِينَ.

#### الوجه الرابع: حَقَائِقُهُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي جَاءَ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ بِوُكُودِهَا<sup>(١)</sup>

شَدَّ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ أَنْظَارَ النَّاسِ إِلَى الْكُونِ وَنَوَامِيصِهِ، وَإِلَى مَا فِيهِ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ،  
تَأْكِيداً عَلَى أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَا عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا الْإِمْتِثَالُ لَهُ.  
وَمِنْ تِلْكَ الشَّدَرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا وَأَكْثَرَهَا الْعِلْمُ الْحَدِيثُ بِحَقَائِقِهِ الثَّابِتَةِ  
مَا يَأْتِي:

١- كَانَ عُلَمَاءُ الْفَلَكَ مِنْذُ قُرُونٍ طَوِيلَةٍ قَبْلَ الْمِيلَادِ إِلَى ظُهُورِ الْمُرَاصِدِ الْفَلَكَيَّةِ قَدْ  
انْقَسَمُوا إِلَى فَرِيقَيْنِ:

أحدهما: يَرَى أَنَّ الْأَرْضَ ثَابِتَةً، وَهِيَ مَرْكَزُ الْعَالَمِ، وَالسِّيَّارَاتُ تَدُورُ حَوْلَهَا.

وثانيهما: يَرَى أَنَّ الشَّمْسَ ثَابِتَةً وَالْأَرْضَ وَالسِّيَّارَاتُ تَدُورُ حَوْلَهَا.

لَكِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَكَّدَ أَنَّ الْأَجْرَامَ السَّمَاوِيَّةَ مَتَحَرِّكَةٌ سَابِحةٌ فِي أَفْلَاكِهَا، قَالَ  
تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَهُ مَنَازِلَ  
حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۝٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْيَلُّ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي  
فَلَكَ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ - يس.

(١) عِلْمُ أَصُولِ الْفِقْهِ لِعَبْدِ الْوَهَّابِ خَلَّافٌ ص ٢٩.

وجاءت المراسد الْحَدِيثَةُ تؤكد ما جاء به الْقُرْآن الْعَظِيم، وهي أن كل جِرْمٍ سَابِح في الْفَضَاء غير ثَابِت.

٢- قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا يَأْتِيهِمْ وَإِنَّهُمْ لَمُوسِعُونَ﴾ - الذاريات ٤٧، يَدُلُّ عَلَى أن الْكَوْن في تَوْسِعٍ مُسْتَمِر. يقول السير جيمس جينز: (مقدار هَذَا التمدد بنحو مائة وخمسة أميال في الثانية، لكل بُعْدٍ قَدْرُهُ مليون سنة ضوئية، وإن حجم الْفَضَاء الْعَالَمِي الآن يبلغ نحو عشرة أمثال حجمه منذ بَدْءَ تَمَدُّدِهِ، أي أن كل بُعْدٍ من أَبْعَادِهِ الثَلَاثَةِ قد زاد قليلاً عَلَى ضَعْفِ قَدْرِهِ الْأَصْلِيِّ)<sup>(١)</sup>.

وَمَسْأَلَةٌ اتساعه أَصْبَحَتْ من مَسَلَمَاتِ الْعُلُومِ الْآن، وهي التي هَالَتْ أَنْشَتَيْنِ، واكتشف (هابل) عَالَمَ الطَّبِيعَةِ أن الْكَوَاكِبَ السَّيِّمِيَّةَ تَبْتَعِدُ عَنْ سَدِيمِنَا، واستنبط عَالَمَ الرِّيَاضَةِ الْبَلْجِيكِي (لومتر) من ذَلِكَ نَظْرِيَّةَ امْتِدَادِ الْكَوْن.

٣- قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ - النبا ٧، الْآيَةُ تَبِينُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، وَتَصْرَحُ بِهَا أَدَقُّ النَّظَرِيَّاتِ الْجَيُولُوجِيَّةِ الَّتِي تَقُولُ: بَأَنَ لِلْجِبَالِ جُذُورًا وَتَدِيَّةً فِي الْأَرْضِ يَعْدِلُ امْتِدَادُهَا ضَعْفِيَّ ارْتِفَاعِ الْجَبَلِ عَنِ الْأَرْضِ.

٤- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ - الْأَنْبِيَاء ٣٠، الْآيَةُ مُصَرِّحَةٌ بِأَنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا كِتْلَةً وَاحِدَةً، فَجَزَّئَتْ إِلَى هَذِهِ الْأَجْزَاءِ. وَالنَّظَرِيَّاتِ الْحَدِيثَةُ تَذَكِّرُ أَنَّ الْأَجْرَامَ السَّمَاوِيَّةَ كَانَتْ فِي الْأَصْلِ سَدِيمًا وَاحِدًا.

٥- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ - الْأَنْعَام ١٢٥، الْآيَةُ مُصَرِّحَةٌ بِأَنَ الَّذِي يَرْتَفِعُ فِي السَّمَاءِ، يَشْعُرُ بِضَيْقِ الصَّدْرِ وَصُعُوبَةِ التَّنَفُّسِ، وَمِنْذَ اكْتِشَافِ الطَّبَقَاتِ الْجَوِيَّةِ الْعَالِيَةِ بِفَضْلِ الطَّيَارَاتِ وَالصَّوَارِيخِ... رَأَى الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْأُوكْسِجِينَ يَنْقُصُ فِي

(١) التَّفْسِيرُ الْعِلْمِيُّ لِلآيَاتِ الْكُونِيَّةِ ص ٦٩.

تلك الطَّبَقَات، ويؤدي إلى الضيق، ولذلك يستعمل الطيارون حين يرتفعون في السماء أجهزة التنفس الصَّنَاعِيَّة تفادياً لذلك الضيق.

٦- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تُمْرَأُ بِطُؤْنِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ - النحل ٦٦، يدلُّ على أن اللَّبَن الخالص السائغ للشاربين يخرج من بين الفَرْث (وهو الفضلات) والدم. وهذه الحقيقة يوضحها العلم الحديث حين يقرر أن الحليب قبل أن يصبح في الثدي يمر بعملِيَّتِي تصفية: أولاهما: تصفيته من الفضلات، وذلك بعد الهضم، ونُزُول السَّائِل الحليبي إلى الأمعاء، إذ تقوم الزغيات المعوية بامتصاص المواد الغذائية طارحة إياها في الدم ومبقية الفضلات في الأمعاء، حيث تطرح خارج الجسم، أما المواد الممتصة التي طرحت في الدم فإن قسماً منها يغذي جسم الكائن الحي، وقسماً آخر تصفيه الغدد اللَّبَنِيَّة من الدم وترسله إلى الضرع حلياً خالصاً<sup>(١)</sup>.

هذه الحَقَائِق الْعِلْمِيَّة وغيرها كثير مما جاء بها النَّبِيُّ ﷺ، وهو أُمِّيٌّ، نشأ في بيئة أُمِّيَّة منعزلة عن أُمَم العالم، هي مَعَالِم وضيئة للفكر الْعِلْمِي الحر، ولم يكن الناس في مُخْتَلَف أنحاء العالم على علم بها، إلى أن ظهرت أدوات العلم الحديث من أجهزة ومختبرات ومراصد فلكية... فإذا بها تقرر حَقَائِق الْقُرْآن الْكَرِيم ناصعة لا لبس فيها ولا غموض يوماً بعد آخر.

ولم يكن الْقُرْآن الْكَرِيم معجزاً لما فيه من الشَّدَرَات الْعِلْمِيَّة التي ذكرنا أمثلة منها فحسب، بل يتجلى إعجازه في أنه لم يُعَارِض ما استقر عليه العلم، ولم يُنْكَر ما فيه من حَقَائِق عِلْمِيَّة.

(١) الرَّسُول: سَعِيد حوى ج ٢ ص ٣٨ وما بعدها وفيه أمثلة أخرى. وانظر حَقَائِق أُخْرَى في: التَّفْسِير الْعِلْمِي لِلآيَات الْكَوْنِيَّة.

### شبهة ورد

إذا قيل: إن النظريات العلمية قد تتغير، فنحن لا نخضع القرآن الكريم لأمثال هذه التفسيرات، لأن البحث قد يكشف خطأ نظرية قديمة.

فالجواب: أن تفسيرات آيات القرآن الكريم بما يكشفه العلم على وفق قواعد التفسير وضوابطه من اللغة وغيرها ما هو إلا فهم لتلك الآيات، فإذا تبين خطأ النظرية تبين خطأ ذلك التفسير، أما إذا كانت الآية لا تحمل التفسير الجديد، فلا تفسر عندئذ وفق النظرية الجديدة، بل تنتظر أن يجد البحث فيها، حتى يظهر خطأ تلك النظرية<sup>(١)</sup>.

### الوجه الخامس: معانيه وأحكامه وانعدام الاختلاف فيه<sup>(٢)</sup>

مجموع ما في القرآن الكريم حوالي ستة آلاف ومائتا آية، اشتملت على موضوعات في شتى الميادين، للإيفاء بحاجات البشر وإصلاحهم. ومحتوياته نوعان: أحكام وغيرها.

النوع الأول: أحكام القرآن، وهي ثلاثة أقسام:

١- أحكام اعتقادية: في وجوب اعتقاد المكلف بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

٢- أحكام خلقية: في وجوب التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.

٣- أحكام عملية: وهي تنظم نوعين:

أ- أحكام العبادات، لتنظيم علاقة الإنسان بربه، من صلاة وزكاة وحج وصوم...

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلائف ص ٣٠ ومحاضرات في أصول الفقه لبدر المتولي عبد الباسط ج ١ ص ١٣٢.

(٢) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلائف ص ٢٧.

وآياتها نحو ١٤٠ آية.

ب- أَحْكَامُ المعاملات وتتنوع إلى الأنواع الآتية:

- أَحْكَامُ الأحوال الشخصية المتعلقة بالأُسرة، من زواج وطلاق، وآياتها نحو ٧٠ آية.

- الْأَحْكَامُ الْمَدَنِيَّةُ المتعلقة بالبيع والإجارة والرهن والكفالة والشركة... إلخ، وآياتها نحو ٧٠ آية.

- وَالْأَحْكَامُ الْجَنَائِيَّةُ المتعلقة بالعقوبات والحدود، لحفظ حياة الناس وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم، وآياتها نحو ٣٠ آية.

- أَحْكَامُ الْمُرَافَعَاتِ المتعلقة بِالْقَضَاءِ والشهادة واليمين، لِتَحْقِيقِ الْعَدْلِ، وآياتها نحو ١٣ آية.

- الْأَحْكَامُ الدِّسْتُورِيَّةُ المتعلقة بِنِظَامِ الْحُكْمِ وَأُصُولِهِ، وآياتها نحو ١٠ آيات.

- الْأَحْكَامُ الدَّوْلِيَّةُ المتعلقة بِمُعَامَلَةِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لغيرها وَمُعَامَلَةِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وآياتها نحو ٢٥ آية.

- الْأَحْكَامُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ وَالْمَالِيَّةُ المتعلقة بِحَقِّ السَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ فِي مَالِ الْغَنِيِّ وتنظيم الموارد والمصارف، وآياتها نحو ١٠ آيات<sup>(١)</sup>.

النوع الثاني: غير الأحكام، وهي ثلاثة أقسام:

١- الْإِرْشَادُ إِلَى النَّظَرِ والتدبر في ملكوت السماوات والأرض لِمَعْرِفَةِ أَسْرَارِ الْخَلْقِ، فتمتلى القلوب إيماناً بجلال الله وعظمته عن طريق النَّظَرِ والاستدلال، وهو

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خَلَّاف ص ٣٢-٣٣ والوجيز في أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زَيْدَان ص ١٣٠ نَقْلًا عَنْ خَلَّاف، وَالْإِسْلَامُ عَقِيدَةٌ وَشَرِيعَةٌ لِمَحْمُودِ شَلْتُوت ص ٥٠٠ و٥٠٢.



طريق جَلِيل يفتح الآفاق للْعُلَمَاء وغيرهم لإدراك الله وقدرته، وقد انتفع به غير المُسْلِمِينَ كثيراً حينما خاضوا غَمَار الكون، وعرفوا أسرارَه فاستخدموها في نواحي الحياة.

٢- قصص الأولين أفراداً وأُمَمًا، وقد أوردها القرآن الكريم للاعتبار والاتعاظ، حتى يَصْلُحَ الناس فينفوا عنهم الخبث والفساد.

٣- الإنذار والتخويف أو الوعد والوعيد، وللقُرآن في ذلكَ طريقان:

أحدهما: الوعد والوعيد في الدنيا، فيعد المؤمن بالاستخلاف في الأرض والتمكين لهم والعز، قال سُبحَانَهُ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ - النُّور ٥٥.

ويعد الكافرين بتقلص السُّلْطَان والجوع، والخوف، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ - النحل ١١٢.

ثانيهما: التَّرْغِيبُ والتَّرْهيبُ بنعيم الآخِرَةِ وعذابها.

قال سُبحَانَهُ: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣) وَمَن يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ - النساء (١).

وقد استغرق نزول القرآن الكريم ثلاثاً وعشرين سنة، فلم يحدث فيه اختلاف:

أ- في بَلَاغَةِ عباراته: فلا نجد فيه عبارة بليغة وأخرى غير بليغة، لأن كل عبارة

(١) الإسلام عَقِيدَةٌ وشريعة لمحمود شَلُوت ص ٥٠٠ و٥٠١. وانظر: تَبْصِرَةُ الأدِلَّة ج ١

مطابقة لمُقْتَضَى الحال الذي وردت من أجله، كما أن كل لفظ فيه هو في موضعه الذي ينبغي أن يكون فيه.

فآيات الأحكام كآيات الميراث تخلو من أُسْلُوب الخطابة والتأثير، بخلاف الآيات المستهزئة بالشرك والأوثان، أو الدالة على قدرة الله تعالى، أو المُخَوِّفَة من شدائد اليوم الآخر، فإنها جاءت ذات طابع مؤثر محرك للوجدان، لأن لكل مقام مقالاً.

ب- ولا في أحكامه وحججه: فليس فيه معنى يعارض معنى، ولا حكم يناقض آخر، وما جاء في القرآن مما ظاهره التعارض، فهو بعد البحث مُتَّفِقٌ مُتَّسِقٌ لا اختلاف فيه، كما هو واضح في كلام المفسرين، لذلك قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ - النساء ٨٢<sup>(١)</sup>.

### الوجه السادس: القرآن الكريم خالد خلود الدهر

فلا يعدم ما بقيت الدنيا، ولا يطرأ عليه تغيير بزيادة أو نقصان، لأن الله تعالى قد تكفل بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ - الحجر ٩<sup>(٢)</sup>، ولا

(١) علم أصول الفقه لعبد الوهاب خالف ص ٢٨ ومحاضرات في أصول الفقه لبدر المتولي عبد الباسط ج ١ ص ١٣٢.

في المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٤٥: (وقيل: وجه إعجازه عدم اختلافه وتناقضه، مع ما فيه من الطول والامتداد، وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ - النساء ٨٢.

(٢) الشفا للقاضي عياض ج ١ ص ٢٧٥ والإثقان ص ٧٢٠ نقلاً عن القاضي عياض. وسُبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٥٨٩.

وذهب البعض إلى أن القرآن معجز بالصرف، وهي أن الله صرف هم المتحدّثين عن معارضته مع قدرتهم عليها. واختلفوا في كيفية الصرف:

يُخْفِي مَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنَ الْمُكَدَّاتِ اللَّغَوِيَّةِ، الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَفَظَهُ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ - فَصَّلَتْ ٤٢.

وبعد عرض وجوه إعجاز القرآن الكريم:

هل يفكر عاقل فيقول: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ جَاءَ بِهَذَا الْقُرْآنِ مِنْ فِكْرِهِ، أَوْ عِبْقَرِيَّتِهِ، أَوْ  
بِاعْتِمَادِهِ عَلَى بَحِيرَا وَوَرَقَةٍ وَغَيْرِهِمَا...؟

فلو أنصف العاقل ما قرر إِلَّا الْحَقِيقَةَ الْكَبْرَى وَهِيَ: أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مُعْجَزٌ، وَهُوَ  
مِنْ لَدُنْ عَزِيزٍ حَكِيمٍ.

أ- صرفهم الله عنها مع قدرتهم عليها، وَذَلِكَ بِأَنْ صَرَفَ دَوَاعِيَهُمْ إِلَيْهَا مَعَ كَوْنِهِمْ مَجْبُولِينَ  
عَلَيْهَا، خُصُوصًا عِنْدَ تَوَفُّرِ الْأَسْبَابِ الدَّاعِيَةِ فِي حَقِّهِمْ، كَالْتَقَرُّعِ بِالْعَجْزِ وَالِاسْتِزَالِ عَنِ الرِّيَاسَاتِ  
وَالْتَكْلِيفِ بِالْانْقِيَادِ. فَهَذَا الصَّرْفُ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ، فَيَكُونُ مُعْجَزًا. وَهَذَا قَوْلُ الْأُسْتَاذِ أَبِي إِسْحَاقَ  
الْإِسْفَرَايِينِيِّ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ، وَالنِّظَامِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ.

ب- صرفهم الله بِأَنْ سَلَبَهُمُ الْعُلُومَ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي الْمُعَارَضَةِ. أَي: أَنَّ الْمُعَارَضَةَ  
وَالِإِتْيَانَ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ يَحْتَاجُ إِلَى عُلُومٍ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَيْهَا، وَكَانَتْ تِلْكَ الْعُلُومُ حَاصِلَةً لَهُمْ، لَكِنَّهُ  
تَعَالَى سَلَبَهَا عَنْهُمْ، فَلَمْ يُبَقِّ لَهُمْ قُدْرَةً عَلَيْهَا. وَهُوَ قَوْلُ الْمُرْتَضَى مِنَ الشَّيْخَةِ. / الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ  
لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٤٦.

وَرَدَّ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى الْقَوْلِ بِالصَّرْفَةِ بِحُجَّةٍ:

أَنَّ الْإِعْجَازَ لَوْ قَصِدَ بِالصَّرْفَةِ لَكَانَ الْأَنْسَبُ تَرْكُ الْإِعْتِنَاءِ بِبِلَاغَتِهِ وَعُلُوطَبَقَّتِهِ، لِيَكُونَ عَدَمُ  
مُعَارَضَتِهِ أَبْلَغَ فِي خَرَقِ الْعَادَةِ...

انظر الكلام عن أدلة الإعجاز بالصرفة وردّها في: شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٣١ وَالْمَوَاقِفُ  
وَشَرْحُهُ لِلْسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٢٤٩ وَالْإِتْقَانُ ص ٧١٢ وَسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ج ٩ ص ٥٨٢.

### الشواهد الأخرى على نبوة الرسول الأعظم محمد ﷺ

بعد الانتهاء من بيان رُكْنِي نبوة محمد ﷺ، وهما: ادّعاؤه النبوة، وإظهاره المعجزة، وهما كافيان في إثباتها له، نعزز هذين الأساسين بوجوه مكملة ومقررة تشهد على نبوته ﷺ، وهي:

**الشاهد الأول:** ما اجتمع فيه ﷺ من السمائل والأوصاف سواء كان ذلك قبل النبوة أو حالها أو بعدها، وهذا المسلك ارتضاه الجاحظ من المعترلة والغزالي من الأشاعرة<sup>(١)</sup>، وهذه هي:

أ- أوصافه الشريفة، ومحاسنه الرفيعة، وأخلاقه الحميدة مثل:

الصدق والأمانة: فلم يكذب، ولم يغش، ولم يخن، حتى سُمِّي بالصادق الأمين، فكانوا يأتمنونه على أموالهم، حتى قال النضر بن الحارث لقریش: (قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم، قلتم إنه ساحر، لا والله ما هو بساحر)<sup>(٢)</sup>.

والشفقة على أمته، حتى خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ - فاطر ٨، وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ﴾ - الكهف ٦، فلم يؤذ أحداً بيده أو بلسانه، ولم يقتل أحداً بيده الشريفة، مع شجاعته العظيمة كما تقدم، إلا أباي بن خلف. فكان يتألم لما يراه من قومه من نهب وسلب وقتل، وكان يسعى

(١) المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٥٩ والمحصل للرازي ص ٢٠٨ وفيهما: أن الغزالي ذكره في كتابه المنقذ من الضلال. وانظر: المقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٣٧ و٣٩ وتبصرة الأدلة ج ١ ص ٤٨٨.

(٢) انظر قول النضر في: تهذيب سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٩ والشفاج ج ١ ص ١٣٥ وإظهار الحق ج ٢ ص ٢٥٧.

للإِصْلَاح بين المتخاصمين. وكان رَحِيماً رَوْوفاً، يشاطر المصابين آلامهم وينصر اليتامى، ويطعم الجياع.

وحين طمأنته خَدِيجَة بعد رعبه من نُزُول جِبْرِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالت له: (والله ما يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ)<sup>(١)</sup>.

والسخاء: فكان مضيافاً كَرِيماً لأبناء السَّبِيل والفُقَرَاء، حتى عوتَبَ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ - الإسراء ٢٩. والصبر على البلاء خاصةً بعد النّبوة.

والزهد، حتى أن قُرَيْشاً عرضوا عليه المال والرياسة حتى يترك دعواه فلم يلتفت إليهم.

والتواضع مع الفُقَرَاء والمساكين.

والشّجاعة الفريدة، والنجدة، والعفو مع المقدرة.

والحلم، والوفاء، والعَدَل.

والوقار، والحياء، حتى إنه لم يُبَدِ جَسَدَه عارياً لغيره، مع اعتياد الناس في جاهليتهم ذَلِكَ.

وكان ﷺ حلو الكلام، لَيِّن العَرِيكَة، طَلَقَ الوجه، يحبه كل من لقيه أو جالسه. مع النظافة والهنّاء الجميل.

(١) حَدِيث: والله ما يخزيك... إلخ، في: صَحِيحُ البُخَارِيِّ في: ١ باب كيف كان بَدْءُ الوَحْيِ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ٣ باب، رقم ٣، بهذا اللفظ، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، ٧١ باب بَدْءُ الوَحْيِ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، رقم ١٦٠، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

ولم يُقَدِّم على فعل قبيح لا قبل النبوة ولا بعدها، وطريقته المرضية واحدة لم تتغير من أول عمره إلى آخره.

ب- هذا مع صفاء نفسه من الحقد والأنانية والشك والشرك. فكان يكره عبادة الأصنام والأوثان، مع أن بيئته نشأت على عبادتها، فلم يحلف بهما، يدلُّ له ما روي في السيرة النبوية لابن هشام في قصة بحيرا الراهب حين استحلفه باللات والعزى لما رأى قومه يحلفون بهما، قال له ﷺ: (لا تسألني باللات والعزى، فوالله ما أبغضتُ شيئاً قطُّ بغضهما).

ج- وحُسن بدنه، سواء في جمال المظهر بسلامته من الأمراض المُنفِرة وقوته الجسدية، فقد صارع رُكَّانة المصارع المشهور، وصرعه.

أو في المخبر، فكان ذكي الفؤاد ثاقب القريحة، يهابه كل من رآه، عرفه أو لم يعرفه.

د- ورفعة نسبه، إذ إنه من أشرف بيوت قُرَيْش التي هي أشرف قبائل العرب قاطبة.

هـ- وشرف وطنه، إذ إنه من مَكَّة المكرمة أطهر بقاع الأرض، لأن فيها بيت الله الحرام، وما يجتمع مثل هذا إلَّا في نبيٍّ<sup>(١)</sup>.

لأن الله تعالى قدَّر ما يحتاج إليه البشر بمجموعه من الكفاءات والمواهب المُختلفة، فوزعها بين أفراده، فنرى بعضهم يفوق الآخرين بالقوة الجسدية. والبعض الآخر يتفوق بالفن، وآخر يتفوق بالرياضيات أو الهندسة أو الخطابة أو الشعر، وبعضهم يخترع ما يبهر الناس، وامتاز البعض الآخر بأن اجتباهم الله واختارهم لتبليغ شرعه إلى الناس،

(١) انظر: المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٥٩ والمقاصد وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ٣٧ وشرح العقائد العُصْديَّة للدَّوَّاني ج ٢ ص ٢٧٨ والمُسايرة وشرحها المُسامرة ص ٢٤٥-٢٤٩. وفصل الكلام في أخلاقه القَاضِي عِيَّاض في الشفا، والصَّالِحِي في سُبُل الهدى والرشاد.

وهم الرسل والأنبياء.

وإذا كان بعض الناس قد جُبلَ على مَوْهَبَةٍ معينة امتاز بها على غيره، فالأنبياء جُبلُوا على خِلْقَةٍ خاصة بهم، وصفات تميزوا بها عن غيرهم، فأَعْمَاهُمْ وأفكارهم فذة لا عهد للناس بها، وقد جعل الله تعالى فيهم الاستعداد الكامل، لتَحْمُلِ هذه المهمة الشاقة، وهي تبليغ الأحكام إلى البشر.

فلا عجب أن يجمع الله تعالى في هؤلاء الرسل والأنبياء من الصفات والسجاي ما يؤهلهم، لأن يكونوا قادة العالم وهداة البشر إلى الصراط المُستقيم<sup>(١)</sup>.

وقد اجتمعت في رَسُولِ اللَّهِ ﷺ المَحَاسِنُ الرائعة، والسجايَا البَدِيعَةُ، قبل بعثته - كما تقدّم - وبعد بعثته، حتى وصفه الْقُرْآنُ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ - القلم ٤، وسئلت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن أخلاقه فقالت: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، يَرْضَى بِرِضَاهُ، وَيَسْخَطُ بِسَخَطِهِ)<sup>(٢)</sup>.

فكان الأُسوة الحَسَنَةُ في كل شيء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ - الأحزاب ٢١، فهو القدوة الحَسَنَةُ الطَّيِّبَةُ، التي يرى المسلم أن من التقى والصَّلاح وبُلُوغِ الجنة عند الله تعالى، هو أن يقتفي أثرها في الحياة الدنيا.

وما اجتماع هذه الخصال فيه قبل البعثة وبعدها، إلا شهادة كَامِلَةٌ بأنه نَبِيٌّ حَقًّا.

الشَّاهد الثاني: ما اشتملت عليه شريعته من أمور تتعلق بالعقائد والأخلاق والأحكام العامة، وغيرها من دَقَائِقِ التشريع والحكمة<sup>(٣)</sup>، وما فيها من الضبط والعدل والمرونة، مما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان، كما شَهِدَ بِذَلِكَ الأعداء، (والفضل ما شهدت به الأعداء).

(١) مبادئ الإسلام للمودودي ص ٣٢-٣٤.

(٢) الشفا للقاضي عِيَاض ج ١ ص ٩٦.

(٣) سَرَحَ الْمَقَاصِدَ لِلتَّفَتَّازِ ج ٥ ص ٣٩ و سَرَحَ الْعَقَائِدَ الْعَصْدِيَّةَ لِلدَّوَانِي ج ٢ ص ٢٧٨.

مع كونه أُمِّيًّا لا يعرف القراءة والكتابة، إلى أن مات ﷺ، ونشأ بين قوم، غلبت فيهم الجهالة، ولم يمارس الخط والتعلم والتأدب<sup>(١)</sup>، بل كان قبل نبوته يقضي أياماً طوالاً في غار حراء، وحيداً مختلياً بنفسه، متحنثاً ومتأملاً في جلال الله وعظمته.

ومحتويات القرآن الكريم، الواردة قبل قليل، تفيد أن هذه الأمور الشاملة لكل جوانب الحياة، لن يأتي بها شخص عبقرى أو غيره طفرة واحدة، وإن ملك زمام العلم والفكر، وتهيأت له أسباب التشريع، فما هي إلا من لدن عليهما خير، أوحى بها إلى الرسول الأُمِّي، ليبلغها للناس.

**الشاهد الثالث:** إن النبي ﷺ مع فقره وقلة أنصاره وضعفهم قد حارب الشرك وأهله وجبابرة العالم، فضلل آراءهم، وسفّه أحلامهم، وهدم دولهم، وانتشر دينه في الآفاق، فأنحسرت أمامه جميع الأديان واتسعت دولته بعده، فحررت الشرق والغرب وحكمتهما، فلم يستطع العدو على كثرتهم في العدد والعُدّة، وعلى تربصهم به وبأصحابه، وحرصهم على استئصاله ودعوته، أن ينالوا منه، أو يقدروا عليه.

وما هذا إلا إمداد من الله، له ولمن كان على دعوته<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - الرُّوم ٤٧.

**الشاهد الرابع:** ظهوره على فترة من الرسل وانتشار الضلالة. فالعرب على عبادة الأوثان، والفرس على تعظيم النار وعلى الإباحية، والترك على تخريب الأمصار وإيذاء الناس، والهنود على عبادة البقر وتأليه الحَجَر، واليهود على الحقد والأنانية والشرك، والنصارى بين التوحيد والإشراك بالله.

وهكذا الناس على الأرض، فلا بد من دافع لهذا الإلحاد، ورافع للواء الصلاح

(١) شرح العقائد العضدية للدواني السابق، والمُسَايَرَة ص ٢٤٩. وانظر: نهاية الإقدام ص ٤٥٠.

(٢) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٣٩ وببصرة الأدلة ج ١ ص ٤٩٤.



والتقى، ولا يكون هذا إلا ممن أمدّه الله تعالى بنور النبوة<sup>(١)</sup>.

الشاهد الخامس: البشارات الواردة في كتب الأنبياء السابقين<sup>(٢)</sup>.

ذلك لأن الكتب السماوية مصدرها واحد، وهو: الله تعالى، وهدفها واحد وهو: إصلاح الناس، ليعبدوا الله، والنبي ﷺ جعل من أركان الإيمان: الإيمان بكتبه ورسله. وفي هذه الكتب السابقة بشارات تنبئ بظهور محمد ﷺ، حتى ذكر القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام، قد بشر برَسُول من بعده اسمه أحمد، قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ - الصف ٦.

قال المحقق عبد الحكيم السيالكوتي في حاشيته على البيضاوي: (يجب أن يتصور أن كل نبي أتى بلفظة معرضة، وإشارة مُدرّجة، لا يعرفها إلا الراسخون في العلم. وذلك لحكمة إلهية. وقد قال العلماء: ما انفك كتاب منزل من السماء من تضمن ذكر النبي ﷺ لكن بإشارات، ولو كان متجلياً للعوام لما عوتب علماءهم في كتبه، ثم ازداد ذلك غموضاً ينقله من لسان إلى لسان من العبراني إلى السرياني، ومن السرياني إلى العربي<sup>(٣)</sup>).

وسأورد طرقاً من هذه البشارات من الزبور والتوراة والإنجيل. ففي الزبور:

١ - قال داود: (اللهم ابعث جاعل السنة، حتى يعلم الناس أنه بشر). يعني: ابعث محمدًا، حتى يعلم الناس أن عيسى بشر.

٢ - وقال: (تقلد أيها الجبار السيف، فإن ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك).

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٤٠ والمواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٦٠ عن الرازي، وتبصرة الأدلة ج ١ ص ٤٨٢.

(٢) المواقف وشرحه للسيد الشريف، وشرح المقاصد للتفتازاني، السابقان.

(٣) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٢٠.

هَذِهِ الْأَلْفَاظُ مِنْ إِحْدَى التَّرْجُمَاتِ الْقَدِيمَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي نَقَلَ عَنْهَا النَّسْفِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٠٨ هـ، وَالتَّفْتَازَانِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٩٢ هـ<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ أورد رَحْمَةُ اللَّهِ الْهِنْدِيُّ فِي كِتَابِهِ (إِظْهَارُ الْحَقِّ)<sup>(٢)</sup>، فِي الْبَشَارَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الزُّبُورِ (الْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ) قِطْعَةً طَوِيلَةً مِنْ ١٨ آيَةٍ، فِيهَا أَوْصَافُ النَّبِيِّ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ، الَّتِي تَنْطَبِقُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ تَمَامًا، وَفِيهَا الْقِسْمُ الثَّانِي (تَقْلِدُ أَيُّهَا الْجَبَّارُ...) بِالْفَاظِ أُخْرَى. هَذِهِ الْأَوْصَافُ هِيَ:

كُونُهُ حَسَنًا، وَأَفْضَلُ الْبَشَرِ، وَالنَّعْمَةُ مَنْسُكَبَةٌ فِي شَفْتَيْهِ، وَمُبَارَكًا، وَمَتَقْلِدًا بِالسَّيْفِ، وَقَوِيًّا، وَذَا حَقٍّ وَدَعَةٍ، وَصَدَقَ وَهْدَايَةٍ، وَأَنْ نَبَلَهُ مَسْنُونَةً، وَيَسْقُطُ الشَّعْبُ تَحْتَهُ، وَيَجِبُ الْبِرُّ، وَيَبْغِضُ الْإِثْمَ، وَتَخْدُمُهُ بَنَاتُ الْمُلُوكِ، وَيَنْقَادُ أَبْنَاءُ الشَّعْبِ لَهُ، وَأَبْنَاؤُهُ رُؤَسَاءُ الْأَرْضِ، وَتَأْتِيهِ الْهُدَايَا، وَاسْمُهُ مَذْكُورٌ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَتَمْدَحُهُ الشُّعُوبُ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ.

وَفَصَّلَ رَحْمَةُ اللَّهِ بْنِ خَلِيلٍ الْهِنْدِيُّ هَذِهِ الْأَوْصَافَ جَمِيعًا فِي مُحَمَّدٍ ﷺ بِأَدِلَّةٍ مُحْكَمَةٍ.

وَفِي التَّوْرَةِ:

١- مَا جَاءَ فِي السَّفَرِ الْخَامِسِ: (جَاءَ اللَّهُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ، وَأَشْرَقَ مِنْ سِيعِيرَ، وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ).

يُرِيدُ الْإِخْبَارَ عَنْ أَنْزَالِ التَّوْرَةِ عَلَى مُوسَى بِطُورِ سَيْنَاءَ، وَالْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى بِسِيعِيرَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ مِنْ سِيعِيرَ بَقْرِيَّةٍ تَسْمَى نَاصِرَةَ، وَأَنْزَالَ الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ بِمَكَّةَ، فَإِنْ (فَارَانَ) فِي طَرِيقِ مَكَّةَ قَبْلَ الْعَدْنِ بِمِيلَيْنِ وَنِصْفٍ، وَهُوَ كَانَ الْمَنْزَلُ، وَقَدْ بَقِيَ الْيَوْمَ عَلَى يَسَارِ الطَّرِيقِ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى مَكَّةَ.

(١) تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ لِلنَّسْفِيِّ ج ١ ص ٤٩٨ وَشَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ٤٣.

(٢) إِظْهَارُ الْحَقِّ ج ٢ ص ٢٥٥.

وهذا ما ذكر في التوراة: أن إسماعيل أقام ببرية فاران، يعني بادية العرب<sup>(١)</sup>.

وهذا هو ما جاء في الباب الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء (أي سفر التثنية) في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ م: (٢) وقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لنا من ساعير، استعلن من جبل فاران، ومعه ألوف الأطهار. في يمينه سنة من نار).

وفاران جبل من جبال مكة، كما جاء في الباب الحادي والعشرين من سفر التكوين في حال إسماعيل عليه السلام، هكذا: (٢٠) وكان الله معه، ونها، وسكن في البرية، وصار شاباً، يرمي بالسهم، ٢١ وسكن برية فاران، وأخذت له أمه امرأة من أرض مصر).

ولا شك أن إسماعيل عليه السلام كانت سكoonته بمكة<sup>(٢)</sup>.

٢- ما جاء في السفر الخامس: (أنه تعالى قال لموسى عليه السلام: إني مقيم لهم نبياً من بني إخوانهم مثلك، وأجري قولي في فيه، ويقول لهم ما أمرهم به، والرجل الذي لا يقبل قول النبي هو الذي يتكلم باسمي، فأنا أنتقم منه).

والمُرَاد ببني إخوة بني إسرائيل بنو إسماعيل على ما هو المتعارف، فلا يصرف إلى من بعد موسى، لكونه صاحب شريعة مستأنفة، فيها بيان مصالح الدارين، فتعين مُحَمَّد ﷺ<sup>(٣)</sup>.

٣- ما جاء في الآية (٢١) من الباب (٣٢) من سفر الاستثناء: (هم أغاروني بغير إله، وأغضبوني بمعبوداتهم الباطلة، وأنا أيضاً أغيرهم بغير شعب، وبشعب جاهل أغضبهم).

(١) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٤٢ وتبصرة الأدلة ج ١ ص ٤٩٧. وانظر: الفصل لابن حزم ج ١ ص ١٩٤ وتلخيص المحصل ص ٢١١.

استعلن: جاء علانية وجهاراً.

(٢) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٥٠.

(٣) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٤٢ وتبصرة الأدلة ج ١ ص ٤٩٧. وانظر: الفصل لابن حزم ج ١ ص ١٩٤ وتلخيص المحصل ص ٢١١.

والمُرَاد بشعب جاهل: العرب، لأنهم كانوا في غَايَة الجهل والضلال، وما كان عندهم من العُلُوم الشرعيّة ولا من العُلُوم العقلية، وما كانوا يعرفون سوى عِبَادَة الأوثان والأصنام، وكانوا محقرين عند اليَهُود، لكونهم من أولاد هاجر الجارية، فمقصود الآية: أن بني إسرائيل أغاروني بعِبَادَة المَعْبُودَات الباطلة، فأغبرهم باصطفاء الذين هم عندهم محقرون وجاهلون، فأوفى بما وعد، فبعث من العرب النبي ﷺ، فهداهم إلى الصراط المُستقيم<sup>(١)</sup>.

٤- ما جاء في السفر الأول: (أنه تعالى قال لإبراهيم عليه السلام: إن هاجر ولد، ويكون من ولدها من يده فوق الجميع، ويد الجميع مَبْسُوطَة إليه بالخشوع)<sup>(٢)</sup>. وفي الإنجيل:

١- ورد في الصّحاح الرابع عشر: (أنا أطلب لكم إلى أبي، حتى يمنحكم ويعطيكم فارقليطاً، ليكون معكم إلى الأبد، وفارقليط روح الحق واليقين). هَذَا في إحدى الترجمات العربيّة التي نقل عنها التّفَتّازاني<sup>(٣)</sup>.

وأورد رحمة الله الهنديّ هَذَا عن التّراجُم العربيّة المطبوعة سنة ١٨٢١م و١٨٣١م و١٨٤٤م في لندن في الباب الرابع عشر من إنجيل يوحنا: (١٥) إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، ١٦ وأنا أطلب من الأب، فيعطيكم فارقليط آخر، ليثبت معكم إلى الأبد، ١٧ روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقبله، لأنه ليس يراه، ولا يعرفه، وأنتم تعرفونه، لأنه مقيم عندهم، وهو ثابت فيكم)<sup>(٤)</sup>.

فقوله (ليكون معكم إلى الأبد) يفيد بأنه بهذا النبيّ تختم النبوة، فتكون شريعته

(١) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٤٩.

(٢) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٤٢.

(٣) شرح المقاصد للتفتازاني، وتلخيص المحصل، السابكان.

(٤) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٧٨.

عامة لا يحتاج الناس بعدها إلى نبي، فهو يعلم الناس، ويمنحهم جميع الأشياء، ويذكرهم بما قاله السيد المسيح لهم.

٢- وفي الخامس عشر: (وأما فارقليط روح القدس الذي يرسله أبي باسمي هو يعلمكم ويمنحكم جميع الأشياء، وهو يذكركم ما قلته لكم.

ثم قال: وإني أخبركم بهذا قبل أن يكون، حتى إذا كان ذلك تؤمنوا به).

وقوله باسمي: يعني بالنبوة، ومعنى الفارقليط: كاشف الخفيات<sup>(١)</sup>.

وأورد رحمة الله الهندي هذا عن الترجمات المذكورة في الباب ١٥ و ١٦ و ٢٦ فأما إذا جاء الفارقليط الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق، الذي من الأب ينبثق، هو يشهد لأجلي، ٢٧ وأتم تشهدون، لأنكم معي من الابتداء).

ويفيد أن مُحَمَّدًا يشهد للمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ صدقه وبشريته، فلم يكن مُدَّعِيًّا الألوهية، الذي هو أشد أنواع الجهالة والضلال، وبرأ أمه عن تهمة الزنا، وهذا مذكور في القرآن بكل جلاء<sup>(٢)</sup>.

٣- وفي السادس عشر: (أقول لكم الآن حقاً وقيناً: إن انطلاقي عنكم خير لكم، فإن لم أنطلق عنكم إلى أبي، لم يأتكم الفارقليط، وإن انطلقت أرسلت به إليكم، فإذا جاء هو يفيد أهل العالم، ويدينهم ويوبخهم، ويوقفهم على الخطيئة والبر).

ثم قال: (إذا جاء روح الحق واليقين يرشدكم، ويعلمكم، ويدبركم، ويذكركم لجميع الحق، لأنه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه)<sup>(٣)</sup>.

(١) سَرَحَ الْمَقَاصِدُ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٤٢-٤٣. وانظر: تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ ج ١ ص ٤٩٨ وتَلْخِيصُ الْمُحْصَلِ ص ٢١١.

(٢) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٨٣.

(٣) سَرَحَ الْمَقَاصِدُ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٤٣.

وذكر هذه البشارة رحمة الله الهندي معتمداً على التَّراجُم العربيَّة المذكورة قبل قليل، في آخر أبواب إنجيل يوحنا (الباب السادس عشر): (٧) لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقُّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لِأَنِّي إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَمْ يَأْتِكُمُ الْفَارَقْلِيظُ، فَأَمَّا إِنْ أَنْطَلَقْتُ أَرْسَلْتُهُ إِلَيْكُمْ، ٨ فَإِذَا جَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ يُوْبِخُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى حَكَمٍ، ٩ أَمَّا عَلَى الْخَطِيئَةِ فَلأنهم لم يؤمنوا بي، ١٠ وَأَمَّا عَلَى الْبَرِّ فَلأنني منطلق إلى الأب، ولستم تروني بعد، ١١ وَأَمَّا عَلَى الْحَكَمِ فَإِنْ أَرَكُون هَذَا الْعَالَمَ قَدْ دِينَ، ١٢ وَإِنْ لِي كَلَاماً كَثِيراً أَقُولُهُ لَكُمْ، وَلَكِنكُمْ لَسْتُمْ تَطِيقُونَ حَمْلَهُ الْآنَ، ١٣ وَإِذَا جَاءَ رُوحُ الْحَقِّ ذَاكَ فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ جَمِيعَ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَيْسَ يَنْطِقُ مِنْ عِنْدِهِ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ، وَيُخْبِرُكُمْ بِمَا سَيَأْتِي، ١٤ وَهُوَ يَمَجِّدُنِي، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا هُوَ لِي، وَيُخْبِرُكُمْ، ١٥ جَمِيعَ مَا هُوَ لِلْأَبِّ، فَهُوَ لِي، فَمَنْ أَجَلَ هَذَا قُلْتُ: إِنْ مِمَّا هُوَ لِي يَأْخُذُ وَيُخْبِرُكُمْ<sup>(١)</sup>.

وذكر الشيخ رحمة الله الهندي<sup>(٢)</sup>: أَنَّ الْفَارَقْلِيظَ تَعْنِي عِنْدَهُمْ (الْمُعْزِيَّ وَالْمَعِينِ وَالْوَكِيلَ وَالشَّافِعَ)، وَهَذِهِ الْمَعَانِي تَصَدَّقُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَصْلُ اللَّفْظَةِ بِالْيُونَانِيَّةِ (بِيرْكلو طوس)<sup>(٣)</sup> الَّتِي تَعْنِي قَرِيباً مِنْ مَعْنَى: مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ.

وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ لَا بِالْيُونَانِيَّةِ، وَتَلَفَّظَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِاسْمِ النَّبِيِّ بَعْدَهُ مَفْقُودٌ، أَمَّا اللَّفْظُ الْمَوْجُودُ الْيُونَانِيَّةِ (بِيرْكلو طوس)، فَهُوَ مِنْ تَرْجُمَةِ يُوْحَنَّا مِنَ الْعِبْرَانِيَّةِ إِلَى الْيُونَانِيَّةِ، وَحِينَ تَرْجَمُ مِنَ الْيُونَانِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ صَارَ فَارَقْلِيظُ. وَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَبْشُرُ بِالْفَارَقْلِيظِ مِنْ بَعْدِهِ، يؤكد هذا ما يأتي:

(١) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٧٩.

(٢) إظهار الحق ج ٢ ص ٢٧٩ وما بعدها.

(٣) سأل الشيخ عبد الوهاب النجَّار صاحب كتاب قصص الأنبياء المستشرق الإيطالي كارلو نلينو عن كلمة (بِيرْكلو طوس) الواردة في الأناجيل، فأجابته: أَنَّ الْقُسُسَ يَقُولُونَ إِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مَعْنَاهَا (الْمُعْزِيَّ)، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَسْأَلُ الدَّكْتُورَ كَارْلُو نَلِينُو الْحَاصِلَ عَلَى الدَّكْتُورَاهِ فِي آدَابِ اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَلَسْتُ أَسْأَلُ قِسِّيَّساً، فَقَالَ: إِنْ مَعْنَاهَا الَّذِي لَهُ حَمْدٌ كَثِيرٌ، فَسَأَلَهُ أَيْضاً: هَلْ ذَلِكَ يُوَافِقُ أَفْعَلَ التَّفْضِيلِ مِنْ حَمْدٍ فَقَالَ: نَعَمْ. / الرَّسُولُ: سَعِيدٌ حَوِيَّ ج ٢ ص ٢٨٧.

١- أن البعض من النَّصَارَى قد ادَّعى أنه الفارقليط في القرون الأولى النَّصْرَانِيَّة، وأنه الموعود به الذي وعد بمجيئه الْمَسِيح عَلَيْهِ السَّلَامُ كما ذكر ذلك وليم ميور.

وقال صاحب لب التواريخ: (إن الْيَهُودَ وَالْمَسِيحِيِّينَ من معاصري مُحَمَّد ﷺ كانوا منتظرين لِنَبِيِّ. فحصل مُحَمَّد من هذا الأمر نفع عَظِيمٍ لأنه ادَّعى أَنِي ذاك المنتظر).

وحين وصل كتاب النَّبِيِّ ﷺ إلى النَّجَاشِيِّ، وكان نَصْرَانِيًّا، (فقال: أشهد بالله أنه لِلنَّبِيِّ الذي ينتظره أهل الكتاب). فكتب في الجواب إليه: (أشهد أنك رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا وَمُصَدِّقًا، قد بايعتك وبايعت ابن عمك، أي: جَعْفَر بن أَبِي طَالِب، وأسلمت على يديه لله رب العالمين).

وكذا في كتاب الْمُقَوْسِ ملك القِبْطِ جواباً لكتاب مُحَمَّد ﷺ إليه.

وكذا ما جاء في كلام الْجَارُود بن الْعَلَاء، وهو من عُلَمَاء النَّصَارَى، حين دخل مع قومه على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ<sup>(١)</sup>.

وكان هِرَقْل عَظِيمُ الرُّومِ كما في حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ - باب بَدْءِ الْوَحْيِ، ينتظر ظهوره، وكان عُلَمَاءُ النَّصَارَى ينتظرون ظهوره، كما في قصة إسلام سلمان الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فالنَّجَاشِيُّ وَالْمُقَوْسِ وَالْجَارُودُ وَهِرَقْلُ من عُلَمَاءِ النَّصَارَى أَكْدُوا أَنَّ النَّصَارَى ينتظرون ظهور نَبِيِّ، لأن وصفه مذكور في كتبهم كالإنجيل وغيره.

وهؤلاء لم يخافوا من رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شيئاً، لأنهم أصحاب دول وجيوش جرارة، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ في بَدَايَةِ دَعْوَتِهِ، وكان هو وأصحابه مستضعفين، يخافون أن يتخطفهم الناس.

٢- قوله (إن لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط) يدلُّ على أن مجيء النَّبِيِّ ﷺ موقوف على ذهاب عيسى عليه السَّلام.

٣- القول في الإنجيل (يوبَّخ العالم) بمنزلة النص الجلي على مُحَمَّد ﷺ، لأنه وبَّخ العالم، سَيِّمًا الْيَهُودَ على عدم إيمانهم بعيسى، ولذلك قال: (أما على الْخَطِيئَةِ فلاَئِهِمْ لم يؤمنوا بي).

٤- ولم ينطق من عنده، وإنما هو وحي في كلامه وأخباره.

٥- كما أنه يمجِّد عيسى عليه السَّلام، وهذا ثابت بالقرآن في تَمْجِيد مُحَمَّد ﷺ لعيسى خاصة، والأنبياء عامة، كما هو معروف.

وبشارات الكتب السماوية بظهور النَّبِيِّ مُحَمَّد ﷺ كثيرة.

قال التَّفْتَّازَانِي: (قال في تَلْخِيصِ الْمُحْصَلِ: وأمثال هذا كثير في كتب الأنبياء المتقدمين، يذكرها الْمُصَنِّفُونَ الواقفون على كتبهم، ولا يقدر المخالف على دفعها أو صرفها إلى ملك أو نبي آخر، ولا على أن يكتمها. ولقد جمع أبو الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيُّ في كتاب غُرَرِ الْأَدِلَّةِ، ما يوقف من نصوص التوراة على صحة نُبُوَّة مُحَمَّد ﷺ<sup>(١)</sup>).

### إنجيل برنابا

أما إنجيل برنابا فإنه يشير بِمُحَمَّد ﷺ، كما يقول الدكتور خَلِيلُ سَعَادَةَ، الذي ترجمه إلى الْعَرَبِيَّةِ:

(إن مسييا أو الْمَسِيحُ المنتظر ليس هو يسوع بل مُحَمَّد، وقد ذكر مُحَمَّد باللفظ

(١) شَرَحَ الْمَقَاصِدَ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٤٣. وانظر البشارات أيضاً في: إثبات نُبُوَّة النَّبِيِّ ﷺ للهاروني الزَّيْدِيِّ ص ١٥٧ وعبارة تَلْخِيصِ الْمُحْصَلِ في ص ٢١١: (وأمثال هذا في هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ وفي كتب سائر الأنبياء التي عندهم كثير، يطول الكتاب بذكرها، ولا يقدر المخالف على دفعها، أو صرفها إلى ملك أو نبي آخر، ولا على أن يكتمها).



الصريح المتكرر في فُصُول ضافية الذبول، وقال إنه رَسُولُ الله، وإن آدم لما طرد من الجنة، رأى سطوراً فوق بابها بأحرف من نور: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ<sup>(١)</sup>.

وفي الفصلين الثالث والأربعين والرابع والأربعين كلام كثير في التبشير بِمُحَمَّدٍ ﷺ، لأن التلاميذ طلبوا من الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يصرح لهم، فصرح بما يعلن حقيقته، ويبين ما له من شأن.

وهذا الإنجيل وإن رَدَّه جُلُّ النَّصَارَى بلا مبرر، إلا أن البيّنات شاهدة، ترجح صحته، كما سيأتي بيّانه.

وبرنابا من قديسي النَّصَارَى، ورَسُولٌ من رسلهم، ورُكْنٌ من أركان الدعاية الْمَسِيحِيَّةِ الْأُولَى باتفاقهم، وقد وجد إنجيل باسمه، يَدُلُّ على أنه كان من حَوَارِيِّ الْمَسِيحِ وملازميه في سرائه وضرائه. ولكن الأناجيل الأخرى لا تعدّه من الحَوَارِيِّين، بل من الرسل الذين يبلغون مكانة الحَوَارِيِّين بعد الْمَسِيحِ<sup>(٢)</sup>.

وإنجيل برنابا يقرر أموراً جوهرية تباين الأناجيل الأربعة المشهورة، وهي:

١- قوله: إن يسوع أنكر ألوهيته وكونه ابن الله، وذلك على مَرَأَى وَمَسْمَعٍ من ست مئة ألف جُنْدِيٍّ وسكان الْيَهُودِيَّةِ من رِجَالٍ ونساء وأطفال. (أي: فيه نفي لعَقِيْدَةِ التثليث).

٢- إن الابن الذي عزم إِبْرَاهِيمَ على تقديمه ذبيحة لله، إنما هو إِسْمَاعِيلُ لا إِسْحَاقَ، وإن الموعد إنما كان بِإِسْمَاعِيلِ.

٣- إن مسياً أو الْمَسِيحِ المنتظر ليس هو يسوع بل مُحَمَّدٌ، وقد ذكر مُحَمَّدًا بِاللَّفْظِ الصريح المتكرر... (سبق أن نقلنا هذه الفقرة قبل قليل).

(١) مُقَدِّمَةُ خَلِيلٍ سَعَادَةِ لِإِنْجِيلِ بَرْنَابَا ص: م.

(٢) محاضرات في النَّصْرَانِيَّةِ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ أَبِي زُهْرَةَ ص ٥٧.

٤- إن يسوع لم يُصلب بل حُمل إلى السماء، وإن الذي صلب إنما هو يهوذا الخائن، الذي شُبّه به، فجاء مطابقاً للقرآن: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ - النساء ١٥٧<sup>(١)</sup>.

### تاريخ إنجيل برنابا:

أصدر البابا جيلاسيوس، الذي تسلم منصب البابا سنة ٤٩٢ م أي قبل ميلاد النبي ﷺ، أمراً ينهى فيه عن قراءة كتب منها كتاب اسمه (إنجيل برنابا)<sup>(٢)</sup>.

وقد عثر لهذا الإنجيل على نسختين إيطالية وإسبانية. أما الإسبانية: فقد أقرضها الدكتور هلم من بلدة هدي التابعة لهمبشير المستشرق سايل، ثم تناولها بعد سايل الدكتور منكهوس عضو الكلية الملكية في أكسفورد، فنقلها إلى الإنكليزية، ثم دفع الترجمة مع الأصل سنة ١٧٨٤ م إلى الدكتور هويت، ثم طمس بعد ذلك خبرها، وانمحي أثرها.

أما الإيطالية: فأول من عثر عليها كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا، وكان مقيماً حينذاك في أمستردام، فأخذها سنة ١٧٠٩ م من مكتبة أحد مشاهير ووجهاء المدينة المذكورة، فأقرضها كريمر طولند، ثم أهداها بعد أربع سنين إلى البرنس ايوجين سافوي، ثم انتقلت النسخة المذكورة سنة ١٧٣٨ م مع سائر مكتبة البرنس إلى مكتبة البلاط الملكي في فينّا، حيث لا تزال هناك حتى الآن.

ويذكر سايل أنه مسطور في صدر النسخة الإسبانية المفقودة: أنها مترجمة حرفياً عن النسخة الإيطالية، ومصدرة بمقدمة عن كيفية اكتشاف الراهب النسخة الإيطالية، وقصته كما يلي:

إن الراهب اللاتيني فرامرينو عثر على رسائل لايريناوس، وفي عدادها رسالة

(١) مقدمة الدكتور خليل سعادة ص: م ومحاضرات في النصيرية ص ٦٢-٦٤.

(٢) مقدمة الدكتور خليل سعادة لإنجيل برنابا ص: ل ومقدمة محمد رشيد رضا لإنجيل برنابا ص: رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

يندد فيها بالقدّيس بولص الرّسول، وإن إيريناوس أسند تنديده إلى إنجيل القدّيس برنابا، فأصبح هذا الراهب فرامرينو شغوفاً بالعشور على إنجيل برنابا، واتفق أنه أصبح مقرباً من البابا سكّس الخامس. فحدث يوماً أنهما دخلا معاً مكتبة البابا، فأخذت البابا سنّة من النوم، فأحب فرامرينو أن يقتل الوقت بالمطالعة إلى أن يفيق البابا، فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو إنجيل برنابا، فطار فرحاً، فخبّاه في أحد رذنيه، ولبث إلى أن أفاق البابا، فاستأذنه وانصرف، فطالعه بشوق بالغ، ثم اعتنق الإسلام على أثر ذلك<sup>(١)</sup>.

ومما يرجح صحة إنجيل برنابا هذا على الرغم من أن بعض علماء أوروبا ينكرونه، هو:

١- وجدت نسخة إنجيل برنابا في جو مَسِيحِيّ خالص، فعثر عليها في خزانة رئيس ديني حَظِير (البابا)، وكاشفها راهب، ثم انتقلت إلى مستشار مَسِيحِيّ من مستشاري ملك بروسيا، ثم إلى البلاط الملكي بَيفِنّا. فلم تصل إليها يد مُسْلِم.

٢- عدم اطلاع علماء المُسْلِمِينَ في غابرههم وحاضرهم عليه، لأن المُنَاطَرَات بينهم وبين النّصَارَى في المشرق والأندلس كانت قائمة في كل العصور، وناهيك بما كتبه ابن حَزْم الأندلسيّ وابن تَيْمِيَّة المشرقي الشّاميّ من دراسات واسِعة وكتب في الرد على النّصارى.

فلم نجد أحداً من هؤلاء ذكر إنجيل برنابا، مع أن فيه الحُجّة الدامغة للنّصارى، كما حَقَّقَهُ الدكتور مرجليوث، مُؤَيِّداً تحقيقه بخلو كتب المُسْلِمِينَ من ذكر هذا الإنجيل<sup>(٢)</sup>.

٣- إن معظم مباحثه لم تكن معروفة عند أحدٍ من المُسْلِمِينَ، وأسلوبه في التعبير

(١) مُقَدِّمَةُ الدكتور خَلِيل لَانْجِيل برنابا ص: د، هـ.

(٢) مُقَدِّمَةُ مُحَمَّد رَشِيد رِضَا لَانْجِيل برنابا ص: ت ومحاضرات في النّصرانيّة ص ٦١.

بعيد جداً عن أساليب المُسْلِمِينَ عامَّةً والعَرَبِ منهم خاصَّةً - كما بيَّن بعض القسِّيسين في مَجَلَّةٍ دينية - فلا يمكن أن يقال إن هذا من صنع المُسْلِمِينَ، كما ادَّعى البعض.

فالمسلم إذا ذكر الله أثنى عليه، وإذا ذكر الأنبياء صلى عليهم، ولا يسمى الملائكة إلا بما جاء بالقرآن الكريم أو السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ، فلا يقول: ميخائيل بدل ميكائيل، ويجهل اسم إسرافيل، ويسميه (اوريل)، ولا يقول: (الله سُبْحَان) لأن كلمة (سُبْحَانَ الله) يحفظها كل مُسْلِمٍ، لأنها من أذكار الدِّين. ولو كان من صنع المُسْلِمِينَ لما سميت الفُصُولُ سُوراً، لأن المُسْلِمَ العَرَبِيَّ والعَجَمِيَّ لا يطلق لفظ السورة على غير سُور القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

٤- فيه براعة الحُجَّة، ووضوح المسلك، وسمو التفكير، وتوضيح خفايا في حياة السَّيِّدِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتشابه كبير بين بعض مقاطعه والأنجيل الأخرى<sup>(٢)</sup>.

٥- ولولا صحة نسبة هذا الإنجيل لما أيقن بها الراهب المكتشف له (فرامرينو)، فاعتنق الإسلام بسبب ذلك.

ومن البشارات التصريح باسم مُحَمَّد ﷺ:

مما استنكره بعض الباحثين في إنجيل برنابا تصريحه باسم النَّبِيِّ (مُحَمَّد ﷺ)، وقالوا: لا يعقل أن يكون ذلك كتب قبل ظهور الإسلام.

لأن المعهود في البشارات أن تكون بالكنايات والإشارات. لكن الحق أن البشارات قد تكون بالإشارة والكناية كما أوردنا طرفاً من ذلك من الزبور والتوراة والإنجيل.

وقد تكون البشارات مُصَرَّحَةً. كما في إنجيل برنابا وفي نسخة الإنجيل بالقلم الحَمِيرِيِّ، فقد نقل الشيخ مُحَمَّد بَيرم عن رحالة إنجليزي أنه رأى في دار الكتب

(١) مُقَدِّمَةُ السَّيِّدِ مُحَمَّد رَشِيد رِضَا لِإِنْجِيلِ بَرْنَابَا ص: ش، ت.

(٢) الرَّسُولُ، سَعِيدُ حَوِي ج ٢ ص ٢٨٠.

البابوية في الفاتيكان نسخة من الإنجيل مكتوبة بالقلم الحَمِيرِيّ قبل بعثة النّبِيّ ﷺ، وفيها يقول المَسِيح عَلَيْهِ السَّلَام: (ومبشراً برَسُول يأتي من بعدي اسمه أَحَمَد). وذلك موافق لنص القرآن الكريم بالحرف في سورة الصف الآية ٦.

ولكن لم ينقل عن أَحَدٍ من المُسْلِمِينَ أنه رأى شيئاً من هذه الأنجيل التي فيها البشارات الصريحة، فيظهر أن في مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الأنجيل والكتب التي كانت ممنوعة في القرون الأولى ما لو ظهر لأزال كل شبه عن إنجيل برنابا وغيره<sup>(١)</sup>.

وهناك بشارات كثيرة في الزبور والتوراة والإنجيل تتحدث عن ظهور نبي بعد المَسِيح عَلَيْهِ السَّلَام وهو مُحَمَّد ﷺ لا نذكرها خوف التطويل.

ونحيل المتبع إلى كتاب (إظهار الحق) للشيخ رحمة الله بن خليل الرَّحْمَن الهِنْدِيّ، وفيه مناقشة النَّصَارَى في المَسَائِل الخمس التي هي مدار النقاش بين المُسْلِمِينَ والنَّصَارَى، وهي:

(١) إثبات تحريف التوراة والإنجيل. (٢) النسخ. (٣) بطلان التثليث. (٤) القرآن الكريم كلام الله، وصل إلينا بالتواتر. (٥) نُبوّة مُحَمَّد ﷺ وأنه خاتم النّبِيِّين.

ويظهر من قِراءة كتاب (إظهار الحق) أن المؤلف مُحِيطٌ بنصوص العهدين القديم والجديد، وأنه درسهما بشروحهما وتعليقاتهما دراسةً مضبوطةً، هيأت له الوقوف عند كثير من الجزئيات.

وسبب تأليفه: أن المبشرين النَّصَارَى هاجموا الإسلام بعنف عند الاحتلال البريطاني للهند، وألّفوا كتباً ورَسَائِل في التهجم على الإسلام مُرَكِّزِينَ على هذه النقاط الخمس المتقدمة، فتصدّى لهم عُلَمَاءُ أَجْلَاء من المُسْلِمِينَ. وأخيراً عقدت ندوة للمناظرة بين القسّيس (فندر)، وكان أبرع المبشرين وأقدرهم على التكلم بالعربيّة والفارسيّة،

(١) مُقَدِّمة مُحَمَّد رَشِيد رِضا لإنجيل برنابا ص: ت.

وبين المؤلف رحمة الله بن خَلِيل، وحضرها كبار رجالات الهند والقضاة والمفتين وكبار رجال الدين الإنجليز، وذلك في بلدة (أكبر آباد) في شهر رَجَب سنة ١٢٧٠ هـ.

وكان يعاون القسّيس (فندر) قسّيس آخر اسمه (فرنچ). ويعاون الشيخ (رحمة الله) السيّد مُحَمَّد وَزِير خان.

وابتدأت المناظرة في مسألة النسخ والتحرّيف، فتفوّق (رحمة الله)، وتخاذل (فندر) وصاحبه فانسحبا، وقد دوّن ما جرى بالمناظرة من حجج الجانبين، ولم تكمل المناظرة.

ثم سافر (رحمة الله) إلى مكة للحج، فاجتمع بالسيّد أحمد زيني دحلان، فأخبره بالمناظرة، فطلب السيّد أحمد زيني منه أن يترجم إلى العربيّة مباحثه الخمسة.

فألّف عندئذٍ هذا الكتاب (إظهار الحق)، وزاد باباً سادساً تناول فيه العهدين القديم والجديد<sup>(١)</sup>.

وهناك كتب جليّلة أخرى تذكر هذه البشارات وغيرها تناقش النصارى في مُعْتَقَدَاتِهِمْ، من أهمّها:

- ١- الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيميّة.
- ٢- هداية الحيارى من اليهود والنصارى لابن قيم الجوزيّة.
- ٣- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافيّ.
- ٤- الفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرّحمن بك باجه جي زاده.
- ٥- أعلام النبوة للمأوردّيّ.
- ٦- حُجّة الله على العالمين في معجزات سيّد المرسلين للنّبّهانيّ.

(١) انظر: مُقَدِّمَة (إظهار الحق).

### رسالته ﷺ خاتمة الشرائع

مُحَمَّدٌ ﷺ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، بدليل:

أ- قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ - الأحزاب ٤٠.

ب- قوله ﷺ: (مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْبَجُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتِ هَذِهِ اللَّبَنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ)<sup>(١)</sup>.

أما ما صح من الأحاديث التي تذكر أن المسيح عليه السلام ينزل قبيل قيام الساعة، فالثابت أنه لا ينزل بوحى جديد، وإنما ينزل فيحكم بشريعة محمد ﷺ<sup>(٢)</sup>. ولذا حين ينزل يكسر الصليبان، ويقتل الخنزير، ولا يقبل الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام<sup>(٣)</sup>.

ولذلك كانت شريعته ﷺ خاتمة الشرائع السماوية وناسخة لها.

وهو مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ - آل عمران ١٩.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

(١) حديث: مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ... إلخ، في: صحيح البخاري في: ٦١ كتاب المناقب، ١٨ باب خاتم النبيين، رقم ٣٥٣٥، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي صحيح مسلم في: ٤٣ كتاب الفضائل، ٧ باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، رقم ٢٢٨٦ (٢٢)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. واللفظ لمسلم.

(٢) شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٦٩ وشرح الجوهرية للباجوري ص ٢٢٣ ولوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٢٧٧ وأصول الدين للبغدادى ص ١٦٢. وانظر أيضاً حكم المسيح بشريعة محمد ﷺ في: أصول الدين للغزوي ص ٢٠٧.

(٣) لوامع الأنوار البهية السابق.

الْخَسِرِينَ ﴿ - آلِ عِمْرَانَ ٨٥.

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ - المائدة ٣.

أما إذا ذكر في القرآن أو في السنة المطهرة حكم شرعه الله لمن سبقنا من الأمم على السنة رسلهم، فهل هو شرع لنا أم لا؟  
هَذَا هو موضوع (شرع من قبلنا) من أدلة أصول الفقه، وخلاصته:

أ- أن الأحكام المشرعة لمن قبلنا وكتبت علينا، فلا خلاف أنها شرع لنا، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ - البقرة ١٨٣.

ب- أن الأحكام المشرعة لمن قبلنا التي رفعت عنا بحكم ناسخ في شرعنا، فلا خلاف أنها ليست شرعاً لنا، مثل حكم شريعة موسى عَلَيْهِ السَّلَام: (إِنْ الْعَاصِي لَا يُكْفَّرُ عَنْ ذَنْبِهِ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ) هَذَا الْحُكْمُ مَرْفُوعٌ عَنَّا، لِأَنَّهُ مَنْسُوخٌ بِتَشْرِيعِ التَّوْبَةِ.

ج- أما الحكم الذي لم يرد في شرعنا ما ينسخه أو يقرره، فقد اختلف فيه الفقهاء على قولين:

القول الأول: يكون شرعاً لنا، وعلينا تطبيقه، لعدم الدليل على نسخه، وهو من الأحكام التي جاء بها الرسل، وهو قول الحنفية وبعض المالكية والشافعية.

القول الثاني: لا يكون شرعاً لنا، لأن شريعتنا ناسخة للشرائع السماوية جميعاً، إلا إذا ورد في شرعنا ما يقرره.

والحق هو المذهب الأول: لأن شريعتنا إنما نسخت من الشرائع السابقة ما يخالفها فقط.

ولأن قص القرآن علينا حكماً شرعياً سابقاً بدون نص على نسخه، هو تشريع لنا ضمناً، لأنه حكم إلهي بلغه الرسول إلينا.



ولأن القرآن مصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل، فما لم ينسخ حكماً في أحدهما فهو مقرر له<sup>(١)</sup>.

وسبب ختم شريعة الإسلام الرسالات السابقة، هو ما يأتي:

١- شريعة الرُّسُول ﷺ بينة واضحة، ينظر إليها المتزود الطَّالِب العلم في أي وقت وفي أي مكان، فينهل منها ما يسد حاجته.

٢- لا حاجة إلى شريعة تضيف إلى الإسلام، أو تنقص منه، لأنه لا قصور فيه عن حل أية مشكلة تواجهه.

وأوضح دليل عليه هو أنها أعطت حكمها في كل المشاكل الكثيرة، التي لا حصر لها، والتي حدثت للمُسْلِمِينَ في جوانب الحياة كافة، من لدن عَصْر النَّبِيِّ ﷺ إلى يومنا هذا.

بل الحاجة قائمة إلى من ينشر شريعتنا الإسلامية، ليتزود العالم بالعلاج الناجع الذي يستأصل شأفة أمراض الأمم جميعاً.

٣- ونُبوّة مُحَمَّد ﷺ عامة إلى جميع أهل الأرض، فلم تختص بها أمة أو بلدة أو زمن<sup>(٢)</sup>.

### عموم رسالته ﷺ

ورسالته ﷺ عامة إلى جميع الناس، على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم،  
بدليل:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ - الأنبياء ١٠٧.

(١) أصول الفقه لعبد الوهاب خَلَّاف ص ٩٣-٩٤.

(٢) مبادئ الإسلام للمودودي ص ٦٠.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ - سَبَأ ٢٨.  
 وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ -  
 الأعراف ١٥٨.

٢- قتاله ﷺ لأهل الكتاب، وضرب الجزية عليهم، وفتوحات الخلفاء الراشدين،  
 لنشر الإسلام محل الأديان الأخرى.

بينما كان الأنبياء السابقون مُرسَلين إلى أقوامهم خاصة. وهذا واضح في القرآن  
 الكريم، قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ - الأعراف ٥٩.  
 ﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ - الأعراف ٦٥.  
 ﴿وَالِإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُورُ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ - الأعراف ٧٣.  
 ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ - الأعراف ٨٠.  
 ﴿وَالِإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ - الأعراف ٨٥.  
 ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ - الأعراف ١٠٣.

وقال تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ - آل عمران ٤٩.  
 وفي الحديث الصحيح: (أعطيت خمسا لم يُعْطَهن أحد قبلي: كان كل نبي يُبعث  
 إلى قومه خاصّةً، وُبعثت إلى كل أحمر وأسود...)، وسيأتي بعد قليل.

وبناءً على ذلك: فمن اتبع النبي مُحَمَّدًا ﷺ فقد اتبع الأنبياء جميعاً، ومن أنكر  
 نبوته فقد أنكر نبوة الأنبياء جميعاً، وما ذلك الإنكار إلا مكابرة وعناد وهدر لقيمة  
 العقل، لذلك يستحق صاحبه العقاب الشديد يوم القيامة.

### مُحَمَّدٌ ﷺ أَرْفَعَ الْأَنْبِيَاءَ مَنْزِلَةً

الأنبياء جميعاً يشتركون في وصف النبوة، فهم على حدٍّ واحدٍ فيها، لأن النبوة في نفسها لا تتفاضل، إلا أن مُحَمَّدًا ﷺ خاتَمَ الأنبياء والمرسلين أرفعهم منزلةً، وأعلاهم مقاماً، فتفضيله ﷺ على غيره من الأنبياء يعود إلى زيادة الأحوال والكرامات والرتب. ودليل تفضيله هو:

١- قوله ﷺ: (أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر)<sup>(١)</sup>. أي: لا أقول ذلك فخراً بنفسي، بل تحدثاً بنعمة ربي.

٢- أنه ﷺ يفضل غيره بأمور، ذكرها في الحديث الصحيح: (أُعْطِيتُ خَمْساً لم يُعْطَهنَّ أحدٌ قبلي، كان كلُّ نبيٍّ يُبعثُ إلى قومه خاصّةً، وُبعثتُ إلى كلِّ أحمَرٍ وأسودٍّ، وأُحِلَّتْ لي الغنائمُ، ولم تحلْ لأحدٍ قبلي، وجُعِلَتْ لي الأرض طيِّبةً طهوراً ومسجداً، فأَيُّما رجلٍ أدركته الصلاةُ صلّى حيثُ كان، ونُصِرْتُ بالرُّعبِ بين يدي مَسِيرَةَ شهرٍ، وأُعْطِيتُ الشِّفَاعَةَ)<sup>(٢)</sup>.

٣- أن أمته أفضل الأمم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ - آل عمران ١١٠، وذلك تابع لفضل نبيها مُحَمَّدٍ ﷺ.

(١) حَدِيثٌ: أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ... إلخ، رواه أَحْمَدُ في مُسْنَدِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ١٦١.

(٢) حَدِيثٌ: أُعْطِيتُ خَمْساً لم يُعْطَهنَّ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٧ كتاب التَّيَمُّمِ، ١ باب التَّيَمُّمِ، رقم ٣٣٥، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ. و٨ كتاب الصلاة، ٥٦ باب قول النَّبِيِّ ﷺ: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، رقم ٤٣٨، عن جَابِرِ.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، واللفظ له، في: أول ٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم ٥٢١، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أي: أن فضل أمته لا يحصل إلا باتباع أوامره ﷺ، والانتها عن نواهيه والاهتداء بهديه ﷺ.

فإذا قيل:

إن الرسول ﷺ نهى عن التفضيل بأحاديث منها:

أ- قوله ﷺ: (لا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ) <sup>(١)</sup>.

ب- وقوله ﷺ: (لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى) <sup>(٢)</sup>.

فالجواب:

أن هذه الأحاديث محمولة على أنه ﷺ قالها على سبيل التواضع ونفي العجب، أو أن المقصود منها ألا يفضل بينهم تفضيلاً يؤدي إلى تنقص بعضهم أو الغضب منهم <sup>(٣)</sup>.

(١) حديث: لا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ، في: صحيح البخاري في: ٤٤ كتاب في الخصومات، ١ باب ما يذكر في الأشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهود، رقم ٢٤١٢، عن أبي سعيد الخدري.

وفي صحيح مسلم في: ٤٣ كتاب الفضائل، ٤٢ باب من فضائل موسى عليه السلام، رقم ٢٣٧٤ (١٦٣)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) حديث: لا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ... إلخ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وهو في: صحيح البخاري في كتاب الأنبياء. ومُسلَّم في كتاب الفضائل. / اللؤلؤ والمرجان ص ٦٢٧.

(٣) تفسير الرازي في تفسير آية البقرة ٢٥٣: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ج ٦ ص ١٩٤ وقد جاء بتسع عشرة حجة على هذا مع مناقشة المخالفين. وانظر: الشفا ج ١ ص ٢٢٥-٢٢٨ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني مع شرح الكستلي ص ١٧٢ وشرح الجوهر للباجوري ص ٢١٤.

## شَفَاعَةُ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ

الشَّفَاعَةُ لُغَةً: الْوَسِيلَةُ وَالطَّلَبُ.

وعرفاً: سَوَالُ الْخَيْرِ لِلْغَيْرِ.

وهي مشتقة من الشَّفَع الذي هو ضد الوتر. فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له. والمُشَفَّع، بكسر الفاء: الذي يقبل الشفاعة وتُطْلَب منه. والمُشَفَّع، بفتح الفاء، ويُسمَّى الشافع والشَّفِيع والمُسْتَشَفَّع: هو الذي تقبل شفاعته<sup>(١)</sup>.

والشفاعة قسمان مثبتة ومنفية:

١ - الشَّفَاعَةُ الْمَثْبُتَةُ: وهي التي أثبتها الله تعالى لأهل الإخلاص، ولها شرطان هما: إذن الله تعالى للشافع، ورضاه تعالى. وهما المذكوران في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ - النِّجْم ٢٦، وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ - طه ١٠٩<sup>(٢)</sup>.

فيقف الشافع من الله سُبْحَانَهُ موقف الضَّارِع يستنزل رحمة الله وإحسانه. فالشفاعة هذه دعاء مستجاب، وسبب من الأسباب التي يرتب الله تعالى عليها المغفرة أو التخفيف أو رفع الدرجات، بدليل حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ وغيرهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُثْنِي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الشَّاءَ يُلْهِمُهُ يَوْمَئِذٍ، (فيقال: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهُ).

وليس في الشَّفَاعَةُ بهذا المعنى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْجِعُ عَنْ إِرَادَةِ كَانَ قَدْ أَرَادَهَا لِأَجْلِ

(١) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٠٤.

(٢) الْكَوَاشِفُ الْجَلِيَّةُ عَنْ مَعَانِي الْوَاسِطِيَّةِ ص ٣٥٢.

الشافع، بل مرد ذلك كله الإرادة الأزلية والعلم القديم<sup>(١)</sup>.

٢- الشفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير الله تعالى، أو بغير إذنه، أو لأهل الشرك. قال سبحانه: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ - البقرة ٢٥٤<sup>(٢)</sup>.

فتفسر بأن يحمل الشافع المشفوع عنده (المشفّع) على فعل كان قد أراد غيره، كأن يطمع ضعيف في معروف لدى عظيم، ويعتقد أنه ينوي حرمانه من معروفه، فيستشفع إليه بوجيه مقرب لديه، يحمله على أن يشمل به معروفه وإحسانه.

والشفاعة بهذا المعنى مستحيلة بالنسبة لله تعالى، لأن المشفوع عنده كان عاقداً النية على أمر خلاف ما شفع عنده فيه، فيجيء الشفيع وييدي له أسباباً للفعل أو الترك لم يكن عالماً بها من قبل، والله سبحانه لا يقع في ملكه إلا ما هو به عليم مريد، ولا يستطيع أحد أن يتصرف في إرادته ومشئته.

ويؤدي هذا المعنى أيضاً إلى القول بالبداء، بمعنى أن الله تعالى يبتدىء تدبير الأشياء

(١) الشرح الجديد لجوهرة التوحيد للعدوي ص ١٤٠.

وحديث: فيقال: يا محمد، ارفع رأسك... إلخ، في: صحيح البخاري، واللفظ له، في: ٦٠ أحاديث الأنبياء، ٣ باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ - نوح ١، رقم ٣٣٤٠، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وهو بالفاظ مقاربة في: صحيح البخاري في: ٦٥ كتاب التفسير - سورة البقرة، ١ باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ - البقرة ٣١، رقم ٤٤٧٦، عن أنس. و٨١ كتاب الرقاق، ٥١ باب صفة الجنة والنار، رقم ٦٥٦٥، عن أنس. و٩٧ كتاب التوحيد، ١٩ باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ - ص ٧٥، رقم ٧٤١٠، عن أنس. و٢٤ باب قول الله تعالى: ﴿وَجُودُ يَوْمِئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ - القيامة ٢٢، رقم ٧٤٤٠، عن أنس.

وفي صحيح مسلم في: ١ كتاب الإيمان، ٨٤ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم ١٩٣ (٣٢٢ و ٣٢٦)، عن أنس. و١٩٤، عن أبي هريرة.

(٢) الكواشف الجلية السابق.

أولاً فأولاً، ويستأنف علمها من جديد بعد أن لم يكن عالماً بها، وكل ذلك محال على الله سبحانه.

وهذا هو الذي أنكره الله تعالى بالآيات النافية، منها: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ - المُدَّثِّر ٤٨، و﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ - الانفطار ١٩، و﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ - البقرة ٢٥٤<sup>(١)</sup>.

### أنواع الشفاعة المثبتة

ذكر العلماء أنواعاً عديدة للشفاعة المثبتة، منها:

١- الشفاعة العظمى الخاصة بنبيينا مُحَمَّد ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وهي التي يشفع فيها لأهل الموقف، حتى يقضى بينهم، ويراحوا من شدة الموقف وهوله، بعد أن يتدافعها الأنبياء أصحاب الشرائع آدم إلى نُوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام. وهي المقام المحمود.

ووردت في ذلك جُمْلَةٌ من الأحاديث الصَّحِيحَةِ عن جُمْلَةٍ من الصَّحَابَةِ، بلغت حد التواتر.

٢- شفاعته في إدخال قوم الجنة بغير حساب، بدليل حَدِيثِ عُكَّاشَةَ بْنِ مِخْصَنٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ حين دعا له رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وهم الذين لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتُونُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وعلى ربهم يتوكلون.

٣- فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها. وذلك بمحض عفو الله تعالى.

٤- في إخراج الموحّدين من النار بعد انقضاء مدة المؤاخذة المقررة لهم في علم الله تعالى.

٥- الشفاعة في بعض الكفار لتخفيف العذاب عنهم.

٦- في رفع درجات أناس في الجنة<sup>(١)</sup>.

أما النوع الأول من الشفاعة والثاني والسادس فلا خلاف فيها، وكذلك ينبغي أن لا يكون في الخامس خلاف.

لكن الخلاف في النوعين الثالث والرابع، فهما اللذان تنكرهما الْمُعْتَزَلَةُ والإبَاضِيَّةُ.

وأنكر جَهْمُ الشفاعة، وأن قوماً يخرجون من النار<sup>(٢)</sup>. وأنكر الشفاعة أيضاً الْمُرْجِيَّةُ، لقولهم: لا يضر مع الإيمان ذنب<sup>(٣)</sup>.

(١) الشَّرْحُ الجديد ص ١٤١. وانظرها وغيرها في: شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٢٨٢ وما بعدها، وَلَوْامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٠٤ وما بعدها، وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٣٠٥ ونقل عن السُّيُوطِيِّ وغيره. وانظر روايات الصَّحَابَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ في الشفاعة لأهل الكبائر في: شَرْحُ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٥ ص ٣٨٧ وما بعدها.

وَحَدِيثُ عُكَّاشَةَ بْنِ مَحْصَنٍ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٧٦ كتاب الطب، ١٧ باب من اكتوى أو كوى غيره، رقم ٥٧٠٥، عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ. و٨١ كتاب الرِّقَاق، ٢١ باب ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ - الطلاق ٣، رقم ٦٤٧٢، عن ابن عَبَّاسٍ.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، ٩٤ باب الدليل على دخول طوائف من المُسْلِمِينَ الجنة...، رقم ٢١٨ (٣٧١ و ٣٧٢)، عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ. ورقم ٢٢٠ (٣٧٤)، عن ابن عَبَّاسٍ.

(٢) التَّنْبِيْهُ وَالرَّدُّ ص ١٣٤.

(٣) كِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ ج ١ ص ٦٧.



واحتج الْمُعْتَزِلَةُ وَالْإِبَاضِيَّةُ عَلَىٰ إِنْكَارِ الشَّفَاعَةِ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ (وهو النوع الثالث) بما يَأْتِي:

١- قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ - البقرة ٤٨.

٢- قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ - غافر ١٨.

وأجاب الْجُمْهُورُ بما يَأْتِي:

١- بأن الْمُرَادَ بالنفس بالآية الْأُولَىٰ هو النفس الكافرة، لأن مساق الخطاب معهم، والآية نزلت رداً عَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ آبَاءَهُمْ تَشْفَعُ لَهُمْ. وَالظَّالِمُونَ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ هُمُ الْكَافَرُ، فَإِنَّ الظَّالِمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ هُوَ الْكَافِرُ.

٢- إن غفران غير الكفر من الذنوب بلا توبة ولا شفاعاة جائز، فبالشفاعة أُولَىٰ. ولأن العقاب حقه تعالى فله أن يعفو ويصفح، وله أن يعاقب. قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ - الشُّورَى ٢٥، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ - الزُّمَرُ ٥٣.

وأنكر الْمُعْتَزِلَةُ ومثلهم الْإِبَاضِيَّةُ النوع الرابع من الشفاعاة في قوم موحدين دخلوا النار، وقالوا: إن من دخل جهنم يخلد فيها، لأنه إما كافر، وإما صاحب كَبِيرَةٍ لم يتب منها.

وحجَّتْهُمْ عَلَىٰ هَذَا الْإِنْكَارِ هِيَ أَنَّ مَنْ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَاهُ، وَالشَّفَاعَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَخْزَاهُ اللَّهُ لَا يَرْضَاهُ، وَمَنْ ارْتَضَاهُ لَا يَخْزِيهِ.

وأجاب الْجُمْهُورُ بما يَأْتِي:

أ- قوله ﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)، صريحٌ فِي ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

(١) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٢٩٠. وانظر: الْإِنْصَافُ لِلْبَاقِلَانِيِّ ص ١٧٠.

وَحَدِيثٌ: شَفَاعَتِي... إلخ، قال الشيخ شُعَيْبُ الْأَرْنَؤُوطُ فِي هَامِشِ الصَّفْحَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ

ب- إننا لا نُسلم أن الفاسق غير مرضي مطلقاً، بل هو مرضي لإيمانه، مبعوض لفسقه. على أن هذا النوع من الشفاعة لم يحل بين المشفوع فيهم وبين العذاب المقدر لهم، بل يخرجون من النار بعد انتهاء مدة المؤاخذه المقدرة لهم في علمه<sup>(١)</sup>.

### شفاعة غيره ﷺ

وبعد شفاعة مُحَمَّد ﷺ يفتح باب الشفاعة لمن ارتضاه الله تعالى. قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ - طه ١٠٩. أي: لمن كان قوله

شرح العقيدة الطحاوية: حَدِيثٌ صَحِيحٌ بطرقه وشواهد، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ وَالتَّيَالِيسِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ وَالتَّطَبَّرَانِيَّ فِي الصَّغِيرِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ جَبَّانٍ وَالحَاكِمُ، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَالتَّيَالِيسِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَأَخْرَجَهُ التَّطَبَّرَانِيَّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ.

(١) الشرح الجديد السابق، ولوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٢١٧. وانظر: تمهيد الأوائل ص ٤١٥ وشرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٤٨ وشرح الجوهرية لعبد السلام ص ٢٤٤ والمعتزلة لعواد المعتق ص ٢٣٦.

وانظر تفصيل الكلام في الشفاعة عند الإباضية في: البعد الحضاري ص ٦٧٠ وما بعده. وفيه نقل عن عمرو التلاتي قوله: (إن أصحابنا رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى قالوا: إن الشفاعة حق لا شك فيه، وإنها للمؤمنين لا لأهل الكبائر العاصين والفجار الفاسقين)، ونقل في ص ٧٥٢ عن عمرو التلاتي أيضاً إنكار خروج المُعَذِّبِينَ فِي النَّارِ مِنْ عَصَا أُمَّةِ مُحَمَّد ﷺ منها.

وقال السَّالِمِيُّ فِي مَشَارِقِ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ١٤٣: (مذهب أهل الاستقامة - أي: الإباضية - والمُعْتَزَلَةُ أَنَّ أَهْلَ الْكِبَائِرِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ كَانُوا مُشْرِكِينَ أَوْ فَاسِقِينَ مُخَلَّدُونَ فِي النَّارِ دَائِمًا، وَأَهْلُ الطَّاعَةِ مُخَلَّدُونَ فِي الْجَنَّةِ دَائِمًا، لَكِنْ أَهْلُ الْإِسْتِقَامَةِ يَقُولُونَ: إِنَّ التَّعْذِيبَ بَعْدَ اللَّهِ وَالثَّوَابَ بِفَضْلِهِ، وَالمُعْتَزَلَةُ يَقُولُونَ بِجُوبِ ذَلِكَ عَلَيْهِ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، بِنَاءً عَلَى أَصْلِهِمُ الْفَاسِدَ فِي التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ الْعَقْلِيِّينَ). ونقل قول السَّالِمِيِّ فِي الْبَعْدِ الْحَضَارِيِّ ص ٧١٦. وانظر: الحق الدامغ ص ١٨٥.

واعتقاده لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>.

قال ﷺ: ... فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط.

وقال رسول الله ﷺ: إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة.

وقال ﷺ: يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته<sup>(٢)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء<sup>(٣)</sup>.

(١) نور الإسلام لعبد الكريم المدرس ص ٢٩١.

(٢) نور الإسلام ص ٢٩١. وانظر: لوائح الأنوار البهية ج ٢ ص ٢٠٩ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٩٣.

وحديث: شفعت الملائكة، وشفع النبيون... إلخ، في: صحيح مسلم، واللفظ له، في: ١ كتاب الإيمان، ٨١ باب معرفة طريق الرؤية، رقم ١٨٣، عن أبي سعيد الخدري. والحديث في: مسند الإمام أحمد ج ٣ ص ٩٤، عن أبي سعيد الخدري.

وحديث: إن من أمتي من يشفع... إلخ، في: سنن الترمذي في: ٣٤ كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ١٢ باب منه، رقم ٢٤٤٠، ص ٣٩٩، عن أبي سعيد الخدري. وقال: حديث حسن.

وحديث: يشفع الشهيد في سبعين... إلخ، في: سنن أبي داود في: ١٥ كتاب الجهاد، ٢٦ باب في الشهيد يشفع، رقم ٢٥٢٢، عن أبي الدرداء. وقال الشيخ شعيب في تحقيقه سنن أبي داود ج ٤ ص ١٧٦: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن. وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ص ٥٩٠.

(٣) نور الإسلام ص ٢٩١ وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٢٩٣.

وحديث: يشفع يوم القيامة... إلخ، رواه ابن ماجة، عن عثمان رضي الله عنه. / الجامع الصغير

## حكمة الشفاعة

والحكمة من الشفاعة تكريم الشافعين، ورفع شؤونهم على رؤوس الشهداء، وإفاضة الكرم الإلهي على المشفوع له<sup>(١)</sup>.

وليس القول بالشفاعة إعداد الناس للجرأة والجسارة على المعاصي، كما توهمه البعض، لأنه ليس في علم أي شخص أنه يشفع له، حتى يكون ذلك جالباً لإقدامه عليها<sup>(٢)</sup>.

## أصول دعوة الرسول الأعظم محمد ﷺ

تتجلى دعوة الرسول محمد ﷺ في جزئي الشهادة، اللذين هما الركنان الأساسيان لها<sup>(٣)</sup>، ويندرج تحتها كل ما جاء به الإسلام.

## الركن الأول:

الإيمان بوجود الله تعالى، وبوحدانيته، وأنه يتصف بصفات تليق بكماله. وقد تحدّثنا عن هذا الركن في قسم الإلهيات من هذا الكتاب، وذكرنا ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حقه تعالى.

للسُّوْطِيّ ص ٥٩٠ وحسنه. وقال ابن أبي العزّ: رواه الحافظ أبو يعلى. وخرّجه مُحَقِّقُ الشَّيْخِ شُعَيْبٌ فِي الْهَامِشِ.

(١) نور الإسلام ص ٢٨٧.

(٢) نور الإسلام ص ٢٨٨.

(٣) شَرْحُ السَّنُوسِيَّةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ١٦٥. وانظر: شَرْحُ أُمِّ الْبَرَاهِينِ لِلْسَّنُوسِيِّ وَحَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ عَلَيْهَا ص ١٩٠ و ٢١٩ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٠٨ وَمَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ١ ص ٢٧٣ وَشَرْحُ غَايَةِ الْمُرَادِ ص ١٨.

ويكفي أن نشير إلى أن القرآن العظيم نبذ بهذا الركن عقيدة التثليث عند النصارى والهنود، والإشراك عند اليهود، وعبادة الأصنام والنجوم والوثنية بأشكالها عند العرب وغيرهم بآيات كثيرة منها: قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - المائدة ٧٣.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ - المائدة ١١٦.

وعقيدة التوحيد في القرآن أعلى المعارف التي ترقى بالإنسان إلى الأعلى.

وكان توحيد المسلمين الأولين لله وحبهم له وتوكلهم عليه، هو الذي زكى نفوسهم، وأعلى همهم، وكملهم بعزة النفس، وشدة البأس، وإقامة الحق والعدل، ومكّنهم من فتح البلاد، ومن تحرير الناس من ظلم الملوك، ورقّ الكهنة والأخبار والرهبان، فأقاموا دعائم الحضارة، وأحيوا العلوم والفنون، وتم لهم ما لم يتِم لأية أمة من الأمم، حتى قال الدكتور غوستاف لوبون في كتابه (تطور الأمم): (إن ملكة الفنون لا يتِم تكوينها لأمة من الأمم الناهضة إلا في ثلاثة أجيال، أولها: جيل التقليد، وثانيها: جيل الحضرة، وثالثها: جيل الاستقلال والاختصاص. قال: إلا العرب وحدهم، فقد استحكمت لهم ملكة الفنون في الجيل الأول، الذي بدؤوا فيه بمزاولتها<sup>(١)</sup>، وقد تقدم أثر عقيدة التوحيد في حياة الإنسان بما فيه الكفاية.

وهذا الركن هو المقصود بالشرط الأول من الشهادة (أشهد أن لا إله إلا الله)<sup>(٢)</sup>.

(١) الوحي المحمدي ص ١٣١.

(٢) انظر: شرح أم البراهين وحاشية الدسوقي عليه ص ٢١٩.

## الرُّكن الثاني:

الإيمان برَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ. ومعناه:

أ- وجوب التصديق بأنه نبيُّ الله تعالى وخاتم المرسلين.

ب- وجوب التصديق بما أخبر به.

ج- وجوب طاعته في كل ما صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير من الأوامر والنواهي، ووجوب اقتفاء آثارهم، والتزام طريقته في سُبُل الحياة كلها، لأن طاعته من طاعة الله، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ - النساء ٨٠ وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ - الحجر ١٠٨ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ - الأحزاب ٣٦... إلخ.

فيدخل في هذا الرُّكن:

الإيمان بالملائكة والجن والمغيبات جميعاً والإيمان بسائر الأنبياء بلا تفريق، وما يجب في حقهم من صفات، وما يستحيل، وما يجوز، وبكتبهم السماوية جميعاً التي أنزلت عليهم، والتي هي موافقة في أصولها القرآن الكريم، لأن مصدرها واحد وهو الله تعالى، وتكفل بالكلام عن هذا موضوع (النُّبُوت) كما تقدّم.

والإيمان باليوم الآخر، وهو يوم الجزاء عند القيامة، وهو الباعث على العمل الصالح وترك المنكرات، ومُقَوِّي الوازع النفسي الذي يصد الإنسان عن الشر والظلم. وسيأتي كلام وافٍ على هذا في فصل الحياة الأخرى.

وهذا الرُّكن هو المقصود بالشطر الثاني من الشهادة (وأشهد أن محمداً رَسُولُ اللَّهِ)<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتبين أن كلمة الشهادة بشطريها، قد تضمنت مع قلة حروفها جميع ما يجب

على المسلم المُكَلَّف معرفته من عَقَائِد الإيمان في حقه تعالى وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>.

أو بعبارة أخرى:

هي الإيمان بأن دين الله تعالى الإسلام هو الدين الحق، الذي يجب أن يؤمن الفرد بكل ما جاء به من جزئيات، ويعمل بها، ولذلك قال السُّنُوسِي: (ولعلها لاختصارها مع اشتغالها على ما ذكرناه جعلها الشرع ترجمةً على ما في القلب من الإسلام، ولم يُقبل من أحد الإيمان إلا بها)<sup>(٢)</sup>.

فكانت عنوان الدخول في الدين الإسلامي، إذ لا يُقبل الإسلام من أحد إلا بالنطق بشطريها معاً.

فعليه أن يكثر من ذكرها، كما هو المأثور في الأحاديث الصَّحِيحة، مستحضرًا لما حوته من معاني جَلِيلَةٍ، حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه، فإنه يرى لها من الأسرار والعجائب إن شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت الحصر<sup>(٣)</sup>.

### واجبنا نحو الرسول الأعظم مُحَمَّد ﷺ

بعد أن أنعم الله تعالى على المسلم بأن آمن بالله ونبهه الأعظم ﷺ، كان عليه أن يعرف واجبه نحوه، وهو:

١ - محبته أكبر من النفس والولد، والمال والناس.

قال النبي ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ٢٢١.

(٢) أمّ البراهين وشرحها للسُّنُوسِي ص ٢٢٢.

(٣) المصدر السابق ص ٢٢٤.

(٤) حَدِيث: لا يؤمن أحدكم... إلخ، أخرجه أحمد والبُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ والنَّسَائِيُّ وابن مَاجَةٍ، عن أَنَسٍ. وهو صحيح. / الجامع الصغير ص ٥٨٦.

وهذه المحبة لا تتجلى إلا في طاعته طاعةً كاملةً في كل ما يقول.

٢- تبجيله واحترامه حياً وميتاً، ففي حياته: لا يجوز سبقه بالحديث، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْقُوا اللَّهَ﴾ - الْحُجُرَات ١.

ولا يجوز رفع الصوت أمامه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ

فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ - الْحُجُرَات ٢.

ويبقى هذا الاحترام حتى بعد مماته، فلا يرفع الصوت عند قبره أو في مسجده ﷺ،

كما يجب التأدب عند سماع حديثه، والرضا بما قال، وعدم الخروج عليه.

٣- عدم إيذائه بأي نوع من أنواع الأذى.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - التوبة ٦١.

والإيذاء شامل: للسب، أو الطعن به، أو بشره، أو بزواجه الطاهرات، قال

تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ - الأحزاب ٦. أو الطعن  
بآل بيته، أو أصحابه، أو سبهم....

٤- الصلاة والسلام عليه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ - الأحزاب ٥٦<sup>(١)</sup>.

٥- وجوب التأسي بالرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ - الأحزاب ٢١. والتأسي هو الاقتداء  
به في كل أقواله وأفعاله ﷺ.

(١) انظر: الشفاء، وسُبُلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ ج ١٢ ص ٤٥٧ وأُصُولُ الدَّعْوَةِ ص ٣٦-٣٧.



# الفصل السادس

## اليوم الآخر

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَثُ الأول: دليل اليوم الآخر والحاجة إلى الإيمان به.

المَبْحَثُ الثاني: اليوم الآخر عند غير المسلمين:

في حَضَارَةِ وادي الرافدين، عند المِصْرِيِّين  
القدماء، في الديانة الزَّرَادُشْتِيَّة، عند الإغريق  
القدماء، عند الرُّومَان، عند الهِنْدُوس، عند  
الصَّابِئَةِ، عند اليَهُود، عند النَّصَارَى.

المَبْحَثُ الثالث: اليوم الآخر في الإسلام:

معناه، حكم الإيمان به، الأَعْمَالُ بالخواتيم، التوبة،  
الموت، القبر، البعث والنشور، الساعة، الصور،  
الحشر، العرض والحساب، الحوض، المِيزَان،  
الصراط، الجنة والنار.



## مُقدِّمة

عاش الإنسان في حياته البدائية لا يفكر بعواقب الحياة. وحين فتح عينيه أخذ يفكر ويسأل، هل هَذَا المخلوق العاقل مثل الدابة أو الحشرة، ينتهي إلى مصير واحد، وهو الموت فقط، أو أن هناك حياة أُخرى تنتظره؟

ورأى من الأشرار من ينال عقابه قبل موته، ومن الخيرين من يثاب في حياته الدنيا. ورأى أيضاً من هؤلاء من يدركه الموت، فلم ينل جزاءه من ثواب أو عقاب، فتساءل:

أيذهب هؤلاء من غير رجعة بلا جزاء؟ أم ينتظرهم الثواب أو العقاب في عالم آخر؟ فربط إيمانه بوجوب الاعتقاد بحياة أُخرى بعد الموت، إذ خلق هَذَا العالم العجيب الصنع، لا يصدر إلا من إله قادر يحكم بعدالته هَذِهِ المخلوقات جميعاً.

وما كان هَذَا الاعتقاد إلا تصديقاً لدَعَوَات جاء بها أنبياء سابقون، وإن كَدَّرَت صفوه الوثنية، حيناً بعد حين.

وهَذَا الفصل الذي نعهده للكلام عن اليوم الآخر يتضمن ثلاثة مباحث:

### المَبْحَثُ الأول:

وفيه بيان دليل اليوم الآخر، والحاجة إلى الإيمان به.

### المَبْحَثُ الثاني:

وفيه بيان عَقِيدَةِ الإيمان باليوم الآخر في مُختلف الديانات العالمية.

### المَبْحَثُ الثالث:

وفيه تفصيل القول في عَقِيدَةِ المُسلمين باليوم الآخر، ومشاهد القيامة وما يتصل

بها.

## المبحث الأول

### دليل اليوم الآخر، والحاجة إلى الإيمان به

#### أدلة اليوم الآخر<sup>(١)</sup>

يمكن أن نقيم الأدلة على اليوم الآخر بما يأتي:

الدليل الأول: إمكان اليوم الآخر.

اليوم الآخر ممكن الوقوع، والإشارات الدالة على ذلك هي:

١- أن الإنسان والكون ليسا أبديين، فالنّهاية المروعة آتية عليهما لا محالة، فالإنسان يموت، والكون يفتى، وهذا يعني أن نظام الكون الموجود حالياً سيدمر، وأن الذي نشاهده من معالم هذا النظام ما هو إلا صورة مصغرة أولية، سوف يتجلى عنها في صورة نهائية كبرى، نلقاها غداً في صورة الواقع<sup>(٢)</sup>.

٢- يتألف الجسم الإنساني من الخلايا، وهي ذرات صغيرة جداً ومعقدة، يزيد عددها في جسم الإنسان على ألف مليون مليون خلية تبني الجسم كما يبنى الجدار، وهذه الخلايا تتغير، فيموت منها ١٢٥ مليون خلية في الثانية الواحدة.

ومعنى ذلك أن جسم الإنسان يموت ويحيا مرات كثيرة في الحياة الدنيا، ولكن مع ذلك فهو محتفظ بشخصيته، وعاداته وأفكاره، وعلمه وأمانيه وهو لا يحس بأن شيئاً من

(١) انظر دليل الآخرة والحاجة إلى الإيمان بها في: الإسلام يتحدث ص ٧٢ وما بعدها، وقد أحال القارئ إلى مراجع أجنبية.

(٢) انظر تفصيل هذا في الكلام عن الموت وحقيقته وقيام الساعة من هذا الكتاب.

أعضائه قد تغير، ومثله في ذلك مثلُ النهر الجاري، الذي يتغير ماؤه دائماً، ومع ذلك فهو ذلك النهر بعينه.

فالذي يعيش خمسين سنة كان قد مات خمس مرات، فإذا مات في المرة السادسة فكيف يمكن أن يجزم أنه مات على وجه اليقين، ولا سبيل له إلى الحياة؟

الدليل الثاني: البحوث المؤيِّدة لليوم الآخر.

#### ١ - البَحْثُ النفسي:

سَلَّمَ فرويد وعُلماء النفس بصفةٍ عامةٍ بنظريَّةٍ مقتضاها: (أن كل ما يخطر على بال الإنسان من الخير والشر، ينقش في صفحة اللا شعور، فلا يزول إلى الأبد، ولا يؤثر فيه تغير الزمان وتقلب الحداث، ويحدث هذا على رغم الإرادة الإنسانية طوعاً أو كرهاً).

والبحوث النفسية تؤكد أن الوجود الإنساني الحقيقي هو في (اللا شعور)، لا يطرأ عليه الموت، ولا تحكمه قوانين الزمن. أما الجسم المادي فهو في تغير وتحطم وفناء، فلا يعتبر وجوده وجوداً حقيقياً، وهذا يعني أن الحياة الجارية لن تفنى أبداً، بل ستستأنف مسيرتها بعد الموت، وسوف نكون على قيد الحياة، والموت لم يكن إلا نتيجة الحواجز والقوانين الزمنية.

ثم إن الأفكار التي تخطر على بالنا وننساها، ثم نراها بعد فترة طويِّلة في المنام، أو نتكلم عليها في حالات الهستيريا أو الجنون، ما هي إلا دليل على أن العقل أو الحافظة ليست تلك التي نشعر ونحس بها فقط، وإنما هناك (اللا شعور) الذي يحفظ هذه الصور بكامل جزئياتها، وهو عالم مستقل بذاته، ولا يفنى بفناء الجسم المادي.

وهذا يؤكد إمكان وجود سجل كامل لأعمال الإنسان وأقواله<sup>(١)</sup> في حياته، يعرفه بعد أن يبدأ حياته الأخرى.

(١) انظر موضوع العَرَض والحساب، وذكرنا هناك شيئاً مما ذكره العلم الحديث في هذا الصدد.

## ٢- البحوث الروحية:

أثبتت البحوث الروحية الحياة بعد الموت على المستوى التجريبي، فمن خصائص الإنسان التي يتمتع بها من قديم الزمان (الرؤيا)، ولكن الحقائق المثيرة التي اكتشفها علماء النفس اليوم كانت علمية عميقة، لم يكن للقدماء علم بها.

والبحوث الروحية وهي فرع من علم النفس الحديث تهدف إلى الكشف عن ميزات الإنسان غير العادية، وقد أقيمت لهذه البحوث معاهد كثيرة في العالم، وأجرت تجارب واسعة النطاق على آلاف الناس، وأثبتت هذه المعاهد:

أن الشخصية الإنسانية تواصل بقاءها بعد فناء الجسد المادي في صورة غريبة<sup>(١)</sup>.

## ٣- الشهادة التجريبية:

والشهادة التجريبية التي تثبت الحياة بعد الموت هي: حياتنا الأولى في حد ذاتها<sup>(٢)</sup>، فتسليمنا بوقوع حادث في الحال وإنكاره في المستقبل، ما هو إلا عداء للمنطق والعقل، وقد ذكر جميع العلماء بما فيهم دارون الذين حاولوا شرح الكون والحياة: أنه لو هيئت الأحوال نفسها التي ساعدت في خلق الحياة الأولى، فمن الممكن حدوث الحياة ولوازمها مرة أخرى.

## غاية الإيمان باليوم الآخر

حين كرم الله تعالى ابن آدم، وجعله سيد المخلوقات بقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ - الإسراء ٧٠، وسخر له ما في السماوات والأرض، وأنزل

(١) انظر أمثلة من هذه التجارب الروحية في كتاب: الإسلام يتحدى ص ٩٣.

(٢) سيأتي دليل البعث الجسماني من هذا الكتاب.

عليه القرآن الكريم، فيه الآيات البينات، لا يعقل أن يخلقه، وهو الحكيم، عبثاً أو سفهاً من غير قصد حقيقي، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝ ﴾ - المؤمنون.

وقال: ﴿ ائْخِسْ بِالْإِنْسَانِ أَن يَتْرَكَ سُدًى ۝ ﴾ - القيامة ٣٦. أي: أحيسب أن يترك مهملاً بلا فائدة، لا يؤمر ولا ينهى؟

إن غاية الخلق واضحة في الآية: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾ - الذاريات ٥٦، فهذا تكليف وامتحان يميز به الخبيث من الطيب.

### الحاجة إلى الإيمان باليوم الآخر

لما ثبت بما تقدم من الأدلة أن الآخرة ممكنة الحدوث، وأن البحوث النفسية والروحية مؤيدة لهذا الاعتقاد، نبين الآن أن العالم في حاجة إلى الإيمان باليوم الآخر، ويتضح هذا في الجوانب الآتية<sup>(١)</sup>:

#### ١ - الجانب النفسي:

إن أمل الإنسان في الحصول على حياة مفضلة، في عالم حر مثالي مليء بالأفراح، مستقل عن حدود هذا العالم ومشاكله، دليل نفسي قوي على الحاجة إلى وجود عالم آخر، كالظمأ الذي يدلل على الماء، وعلى علاقة خاصة باطنة بين الماء وبين الإنسان.

ثم إن هذه العقيدة موجودة منذ أقدم العصور، فلو كانت باطلة لما أثرت على البشر بهذا الشكل المدهش، إذ إننا لا نجد فكرة إنسانية واهية ظلت باقية إلى العصر الحاضر بهذا التسلسل الرائع.

(١) الكلام عن الحاجة إلى الإيمان بالآخرة في: الإسلام يتحدث ص ٨٢ وما بعدها.

## ٢- الجانب الأخلاقي:

إن فِطْرَةَ الإنسان تميز بين الظلم والعدْل، وبين الصالح والطالح، وهذه الفطرة هي التي تميزه عن سواه ولكنه قد يهدر هذه الفطرة فيقتل بني جنسه ويشردهم، والتاريخ يفيض بقصص الظلم والعدوان، وصحفنا تتحدث يوماً عن الاغتيالات، وجرائم الخطف، والنهب، والاتهامات الكاذبة، والدعايات الباطلة، وسحق الشعوب. لكن دواعي العدالة والإنصاف في الضمير الإنساني تؤكد أن هذا العالم ناقص في حد ذاته، وهذا النقص في ذاته يقتضي ما يكمله. فلا بد من يوم يجني الظالم والمظلوم ثمارهما، فلا يعقل أن المؤمن المُحْسِن المطيع الذي لم يحصل على أجره في الدنيا يخسره، فتذهب مُجَاهِدته لنفسه هدرًا.

ولا يعقل أن الله تعالى يترك الفاجر الظالم سادراً في غيّه، يعيث في الأرض الفساد، ويقهر الآخرين، دون أن يناله العقاب، فيقتص منه لمن ظلمه. فكل من المُحْسِن والظالم لا بد أن ينال جزاءه في اليوم الآخر لا محالة، إذ فيه: ﴿وَتُؤْتَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ - النحل ١١١، وألا لزم الظلم بالنسبة لله تعالى، إذا ترك محاسبة الظالم، ومكافأة المطيع. والظلم محال على الباري عَزَّ وَجَلَّ.

فالإيمان باليوم الآخر يجعل رقابة المرء على نفسه مستديمة، ويوفر السكينة والطمأنينة في القلوب، فيشعر المؤمن بأن الدنيا متاع الغرور، فيزهد فيها، ولا يتكالب عليها، ليستأثر بما يريد، وإن أضر بمصلحة الآخرين، فتكون عندئذ غاية الحياة سَامِيَةً، وهو عَمَلُ الْخَيْرِ، وترك الْمُنْكَرِ، والتحلي بكل فضيلة، والتخلي عن كل رذيلة.

ومن هنا جعل القرآن الكريم هذه العقيدة طريقاً للدعوة إلى الْفَضَائِلِ، فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوَةٌ﴾ - البقرة ٢٢٣، فقرن أمره بتقوى الله، ببلقائه في الآخرة، لترسيخه في النفس.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَنْفَعُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾ - البقرة



٢٧٢، فقرن الإنفاق في سبيل الله، بإيفائه لهم في الآخرة.

وقد عُنِيَ القرآن الكريم بترسيخ هذه العقيدة في ذهن الإنسان، وجعلها هي الخير والأبقى، وأن الحياة الدنيا دار فناء، والساعي وراءها مغرور بمتعها ولذائذها الزائلة، قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ - العنكبوت ٦٤. وقال سبحانه: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ - الأعلى.

### ٣- السلوك:

قد يحقق الإنسان ما عهد إليه من أمور خشية العقاب الذي ينتظره، إن لم يقم به على الوجه المراد، ولكن ما الذي يدفع المتمتع بالسلطة السياسية إلى تحقيق العدل؟ ومن يقمع انحراف الإنسان إن لم يجد له رادعاً؟ أو كان في غفلة عن المسؤولين إن مارس الظلم أو الرشوة أو التزوير أو استغلال النفوذ...؟

الحق أن هذا الانحراف لا يقمعه سوى الدافع المُنْبِعِث من نفس الإنسان، وهو الضمير. وهذه الميزة غير متاحة إلا في عقيدة الآخرة، إذ إن الإنسان يشعر بأن الله تعالى يراه أينما كان، ومحاسبه حساباً عسيراً.

قال فولتير: (إن أهمية الإله والحياة الآخرة عظيمة جداً، حيث إنها أساسان لإقامة المبادئ الأخلاقية).

ويقول: (إن هذه العقيدة وحدها كفيلة بإيجاد إطار أخلاقي أفضل للمجتمع، ولو أن هذه العقيدة زالت. فلن نجد دافعاً للعمل الطيب، وسيترتب على ذلك انهيار النظام الاجتماعي).

فالحاجة الملحة إلى الآخرة لتنظيم الحياة، وإقامتها على أسس عادلة حقيقية، هي في حد ذاتها تأكيد على أن الآخرة من كبريات حقائق الكون، وهذا دليل منطقي واضح على أحقية الإيمان بها.

## ٤- الضرورة الكونية:

لا بد أن تكون هناك علاقة بين الإله والإنسان، ولا بد من ظهورها، لأن العقل يستنكر إلهاً لا علاقة له بأمور الكون، ولا يشهده عبادة في مظهر الخالق. ولكن متى تظهر هذه العلاقة بصورة جلية؟

يمكن الجزم بأن هذه العلاقة لم تظهر في الحياة الدنيا، فهذا الملحد يقول: إني لا أخاف الله، ثم نراه يحصل على الرئاسة أو لا يصاب بأذى... والمؤمن قد ترد دعواه بحجة أنها غير شرعية.

فهنا إما أن نؤمن بوجوده أو ننكره، فإن آمنا به فلا بد من أن نؤمن بالآخرة، وفي الآخرة فقط تظهر آثار الربط بين الخالق والمخلوق بجلاء، حيث الحساب فالثواب والعقاب الذي يلقي الإنسان في مشواه الأخير.

إذ إن الخالق لهذا الكون العظيم لا يمكن أن ينهيه دون إبداء الأسباب التي دفعته إلى هذا الخلق، ودون تعريف مخلوقيه بصفاته العديدة.

## المبحث الثاني

### اليوم الآخر عند غير المسلمين

في هذا المبحث نُبِّهتُ تاريخية عن فكرة اليوم الآخر، منذ أقدم الأزمنة إلى وقتنا الحاضر، في أشهر الحضارات والديانات العالمية.

#### ١- في حضارة وادي الرافدين

##### فكرة القيامة وبعث الأموات:

لم يوجد دليل من النصوص المسماة يثبت أن العراقيين القدماء يعتقدون بقيامتهم وبعثهم من الموت، وليس هناك ما يثبت إمكانية عودة روح الميت (الاطمو) إلى جسده<sup>(١)</sup>.

وهذا المعنى نجده واضحاً على لسان (كلكامش) حين يندب صديقه (أنكيدو) فيقول: (آه لقد غدا صاحبي الذي أحببت تراباً، وأنا سأضطجع مثله فلا أقوم أبد الآبدين)<sup>(٢)</sup>.

أما حين نتحدث النصوص المسماة القديمة عن عودتها إلى عالم الأحياء، فإنها تقصد عودتها بهيئة أشباح مستقلة عن الجسد<sup>(٣)</sup>.

(١) عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين ص ١١٣. وانظر: مُقَدِّمَةٌ في تاريخ الحضارات القديمة: طه باقر ج ١ ص ٢٣١. والأديان: د. رشدي عليان و د. سَعْدُون الساموك ص ٧٠-٧١.

(٢) عقائد ما بعد الموت ص ١١٥-١١٦.

(٣) المصدر السابق ص ١١٣.

## فكرة الحساب:

ذهب الأستاذ هايدل وكريمر وبعض الباحثين إلى أن هناك إشارات واضحة في النصوص المسماة القديمة تدل على اعتقادهم بفكرة الحساب في عقائد ما بعد الموت في العراق القديم<sup>(١)</sup>، كما يعتقد المصيريون القدماء.

لكن بعد النظر في ما أوردوه من إشارات في النصوص المسماة، رجح الباحثون انتفاء اعتقادهم بوجود حساب للموتى في عالم الأموات، وبالتالي انتفاء وجود عقاب أو ثواب في ذلك العالم<sup>(٢)</sup>.

وكان سكان وادي الرافدين القدماء يعتقدون أن الخطيئة قديمة بقدم الإنسان، يتعرض لارتكابها دائماً بقصد أو بدون قصد منه.

وارتكاب أي خطيئة ينجم عنه أضرار جسيمة<sup>(٣)</sup> تتجلى في أمرين:

١- تخلي الآلهة عنه، فيقع عندئذ فريسةً للمصائب والكوارث والأمراض وتلاشي السكينة والهناء<sup>(٤)</sup>، يصف الملك آشور بانيبال الأحوال المتردية في دولته، أنها عقاب تقرر عليه، فيقول:

(لماذا يحيط بي المرض وعذاب القلب والشقاء والألم؟ في البلاد تنتشر الاضطرابات، وفي البيت تحاك الدسائس، إنها تلازمني باستمرار، الكوارث والكلمات الشريرة تتجمع ضدي، لقد حنا مرض القلب ومرض الجسد قامتي... أصبح الموت نهايتي، إنني أتعذب بالقلق والحزن، فأفضي النهار والليل، ندبت: أيها الإله سلط هذه على الذي لا يخاف

(١) المصدر السابق ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) انظر الحجج ومناقشتها في: عقائد ما بعد الموت ص ١٣٠.

(٣) عقائد ما بعد الموت ص ١٣٢-١٣٣.

(٤) المصدر السابق ص ١٣٥.

الآلهة، ودعني أرى نورك أيها الإله، لم قررت كل هذا عليّ؟ إني أتعذب كمن لا يخاف الآلهة<sup>(١)</sup>.

٢- تقصير أجل الحياة، وإحلال الموت بالمذنب، عقاباً له على ما ارتكبه من خطيئة. يدلّ على ذلك ما ورد من نصوصٍ مسهاريةٍ مثل: (إذا قال شخصٌ ما في المستقبل بأن الحقل لم يوهب، فعسى الآلهة: أنو، وأنليل، وإيا، وننا، وشمس، ومردوخ، ونسكو، وسدرننا، ونركال، ولازر، أن يستأصلوه من أساسه، ويمحوا ذريته، عساهم أن ينهوا أمره، وأن يقرروا بأن لا يبقى حياً يوماً واحداً).

وورد معنى هاتين العقوبتين فيما سطره حمورابي في آخر شريعته، من الدّعوات على كل من يتجاهل أحكام شريعته، أو يمحو القوانين المشرعة فيها، أو يمحو اسم حمورابي ليكتب اسمه بدلاً عنه، أو يأمر شخصاً آخر للقيام بذلك<sup>(٢)</sup>. وعلى عكس ما تقدّم، فإن الثواب وهو: صفاء العيش وطول العمر يلحق من يفعل الفضيلة والحسنات، والأعمال الورعة، كالخوف من الآلهة، وتقديم القرابين، وبناء المعابد، وصنع التماثيل للآلهة، يتجلى هذا في نص مسهاري:

(إن الخوف من الآلهة مدعاة للعطف، وإن القرابين تطيل العمر، إن من يخاف الآلهة يطيل الإله «الانوناكي» عمره).

ويقول سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق. م.): (لحفظ راحتي، وإطالة أيامي، واستقرار حكمي، أركع على الدوام بنفسني في العبادة)<sup>(٣)</sup>. وعلى هذا:

فإن عالم الأحياء في نظرهم هو دار الثواب والعقاب، وليس عالم الأموات. يدلّ

(١) المصدر السابق ص ١٣٨.

(٢) المصدر السابق ص ١٣٩-١٤٠.

(٣) المصدر السابق ص ١٤٢-١٤٣.

على ذَلِكَ: أَنَّ عَقِيدَةَ الْعِقَابِ وَالثَّوَابِ بَعْدَ الْمَوْتِ، تُمَثِّلُ الْوِازِعَ النَّفْسِيَّ فِي تَصَرُّفَاتِ الْمَرْءِ، وَفِي لَحْظَاتِ اخْتِيَارِهِ مَا يَبِينُ مَا يَرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَبَيْنَ مَا يَجِبُ أَنْ يَمْتَنِعَ عَنْهُ. وَعَقِيدَةُ سُكَّانِ وَادِي الرَّافِدَيْنِ هَذِهِ قَدْ جَعَلَتْهُمْ عِزًّا مِنْ أَيِّ ضَمَانٍ، بَانْهَزَامِ الشَّرِّ، وَإِنْصَافِ الْمَظْلُومِينَ، وَثَوَابِ الْخَيْرَيْنِ، فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَى فِي الْعَالَمِ الْأَسْفَلِ، لِذَلِكَ حَمَلَ الْحَيَاةَ فِي ظِلِّ حَضَارَةِ وَادِي الرَّافِدَيْنِ بِكُلِّ أَدْوَارِهَا شَحْنَاتٍ مِنَ الْقَلْقِ وَالتَّوْتَرِ وَالتَّسَاوُلَاتِ الْبَائِسَةِ، إِضَافَةً إِلَى نَوْعٍ مِنَ الشُّعُورِ بِالْإِحْبَاطِ<sup>(١)</sup>.

وَالنُّصُوصُ الْمَسْهَرِيَّةُ تَوْضِيحُ هَذَا الْجَانِبِ بِشَكْلِ جَلِيٍّ.

## ٢- عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ الْقَدَمَاءُ

يَعْتَقِدُ الْمِصْرِيُّونَ الْقَدَمَاءُ سَنَةَ ٢٦٠٠ ق. م، أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ، بِحَيَاةٍ أُخْرَى بَعْدَ الْمَوْتِ، يَلْقَى الْفَرْدُ جِزَاءَهُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَهَذِهِ الْعَقِيدَةُ لَمْ تَكُنْ قَاصِرَةً عَلَى طَبَقَةِ الْكَهَنَةِ، بَلْ تَعَدَّتْهُمْ إِلَى الْأَوْسَاطِ الشَّعْبِيَّةِ.

يَقُولُ الْمَرْحُومُ عَبْدِ الْقَادِرِ حَمَزَةَ بَاشَا فِي كِتَابِهِ (عَلَى هَامِشِ التَّارِيخِ الْمِصْرِيِّ الْقَدِيمِ) عَنْ هَذِهِ الْفَتْرَةِ:

(وَفِي هَذَا الْوَقْتِ كَانَتْ عِبَادَةُ «أَوْزِيرِيس» قَدْ أَخْذَتْ تَنْتَشِرَ وَتَصِيرُ عِبَادَةً شَعْبِيَّةً... وَعِبَادَةُ أَوْزِيرِيسِ أَسَاسُهَا الْأَوَّلُ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ - مُلْكًا كَانَ أَوْ فَرْدًا عَادِيًّا - مَسْئُولٌ بَعْدَ الْمَوْتِ عَنْ أَعْمَالِهِ فِي الدُّنْيَا، أَمَامَ مَحْكَمَةِ إِلَهِيَّةٍ يَتَوَلَّى الْقَضَاءُ فِيهَا أَوْزِيرِيسُ نَفْسَهُ، وَيُسَاعِدُهُ فِيهَا تَوْتٌ وَهُوَ إِلَهُ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ، وَأَنْوَبِيسُ وَهُوَ مَدِيرُ دَفْنِ الْأَمْوَاتِ وَدَلِيلُهُمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَحُورِيسُ وَهُوَ ابْنُ أَوْزِيرِيسِ وَإِيزِيسُ، وَمَعَاتٌ وَهِيَ آلِهَةُ الْحَقِيقَةِ وَالْعَدْلِ، وَاثْنَانُ وَأَرْبَعُونَ قَاضِيًّا.

فَإِذَا حَكَمَتِ الْمَحْكَمَةُ بِأَنَّ حَسَنَاتِ الْمَيِّتِ تَرْجَحُ سَيِّئَاتِهِ، كُوفِيَ بِالنَّعِيمِ الْخَالِدِ،

وصار مثل اوزيريس. أما إذا حكمت المحكمة بأنه أساء في حياته فجزاؤه أن يفترسه الوحش، أو أن يلقى في النار، أو أن يضرب عليه نوع آخر من أنواع العذاب<sup>(١)</sup>.

ثم يتحدث عن هَذَا الحساب في كتاب (الموتى)<sup>(٢)</sup>، الذي وجد في أيام الدولة الوسطى، ملخصاً هَذِهِ الْعَقِيدَةَ قَائِلاً:

كانوا يجسمون هَذِهِ المحاسبة، فيضعون لها في كتاب الموتى، وعلى التَّوَابِيت رسم محكمة ومحكمة وَمِيزَان. وفي هَذِهِ المحكمة يجلس اوزيريس على عرشه، حَامِلاً عَصَاه وكرباجه، ومعه اثنان وأربعون قَاضِياً من الآلهة، ويلاحظ هنا أن مِصْرَ كانت مُقَسَّمةً إلى اثنين وأربعين إقليماً، فكان كلاً من القُضَاة يمثل إقليماً من هَذِهِ الأقاليم، فإذا جيء بالميت تسلمه انوبيس، وأخذ قلبه، فوضعه في إحدى كفتي مِيزَان، ووضع في الكفة الأخرى تمثال الآلهة معات أو ريشتها، ثم وقف الإله توت بجانب المِيزَان، وفي يده اليُمْنَى قلم، وفي يده اليسرى سجل يدون فيه نتيجة المِيزَان، ثم يرفعها إلى اوزيريس، ويقف بالقرب من توت الوحش (اماييت)، وهو وحش له رأس تمساح وجسم أسد، متأهباً لأن يلتهم الميت الذي يصدر الحكم بالتهامه، وفي بعض الرسوم تضاف نيران إلى المحكمة في مكان خاص منها، ليلقى فيها المذنبون، والقلب في المِيزَان يمثل أَعْمَال الميت في حياته، وهو الذي يشهد بكل ما فعله صاحبه من خَيْرٍ أو شَرٍّ.

ثم يثبت نص قصة مِصْرِيَّة قديمة، عثر عليها المِصْرُور لوجي جريفت في ورقة بردي. وهي في المتحف البريطاني، تصف رِحْلَةَ، قام بها فتى، اسمه (سينوزيرس) مع

(١) لَكِنْ ورد في الدِّينِ المِقَارَن لِمَحْمُود أَبِي الْفَيْض المُنَوِّفِي ص ٧١: أَنَّ المِصْرِيِّينَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ حَسَنَاتِهِ إِذَا تَرَجَّحَتْ، دَخَلَ السَّعَادَةُ الْآبِدِيَّة. أما إِذَا تَرَجَّحَتْ السَّيِّئَاتُ رَدَّهُ إِلَى الْأَرْضِ، لِيَكْفَرَ بِوَسْطَةِ أَدْوَارِ التَّقْمِصِ مِنْ حَيَوَانٍ إِلَى حَيَوَانٍ عَنِ الذُّنُوبِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا، عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ وَهِيَ دَرَجَةُ الْإِنْسَانِ. وَعَقِيدَةُ التَّنَاسُخِ هَذِهِ أَخَذَهَا المِصْرِيُّونَ عَنِ الْهِنُودِ.

(٢) كِتَابُ (الموتى) لَهُ شَأْنٌ كَبِيرٌ، إِذْ زَعَمُوا أَنَّ أَحَدَ الْآلِهَةِ قَدْ كَتَبَهُ بِيَدِهِ، فَكَانُوا يَتَعَبَّدُونَ بِهِ فِي الْحَيَاةِ، وَيُوضَعُ مَعَهُمْ فِي الْقُبُورِ. / الْأَدْيَانُ د. د. رَشْدِي عَلِيَّانُ وَد. سَعْدُونُ السَّامُوكُ ص ٦٠.

أبيه (ساتني)، ليطلعه على طريقة الحساب والثواب والعقاب في العالم الآخر. وهي تدل على أن الحساب لا علاقة له بالغنَى والفقر، ويصف فيها نُزُولَهُمْ إِلَى دار محاسبة الأموات، فيدخلان سبع قاعات وَاسِعَةٍ، مملوءة بالناس من جميع الطَّبَقَات، فشاهدنا ناساً تَأْكُلُ الحمير من خلفهم، وأناساً يثبون إِلَى طعام معلق فوق رؤوسهم فلا يدركونه، بينما الحفارون يحفرون تحت أقدامهم، ليزدادوا بُعْداً عن الطعام المعلق.

وشاهدنا رجلاً منظرهاً تحت الباب على ظهره، ومحور هَذَا الباب تركز في عينه اليُمْنَى، يدور عليها كلما فتح أو قفل، وهو لا ينفك يفتح ويقفل، والرجل يصبح من الألم.

ثم وجدنا أرواحاً من الأبرار، لكل منها مكان تُقِيمُ فيه، وجاء تصوير الخَيْر والشر، الذي يترتب الجزاء عليهما على لِسَانِ أَحَدِ الموتى، في خطاب وجهه إِلَى أوزريس، للدفاع، في النص الموجود في كتاب الموتى يقول:

(لقد جئت إليك أجب الحقيقة، وأطرد الخَطِيئَةَ، إنني لم أقارف الشر، ولم أعتد، ولم أسرق، ولم أقتل غدرًا، ولم أمس القرايين، ولم أكذب، ولم أُسَلِّ دموع أَحَد، ولم أتدنس، ولم أذبح الحيوانات المقدسة، ولم أتلِف أرضاً مزروعة، ولم أقذف، ولم أترك الغضب يخرجني إِلَى غير الحق، ولم أزن، ولم أرفض أن أسمع كلمة العَدْل، ولم أسيء الظن بالملك ولا بأبي، ولم ألوث الماء، ولم أحمل سَيِّدًا على أن يسيء إِلَى عَبْدِهِ، ولم أحلف كاذبًا، ولم أغش في المِيزَان، ولم أمنع اللَّبَن عن أفواه الرَضْع، ولم أصد طيور الآلهة، ولم أَرُد ماء إِلَّا حين الحاجة إِلَيْهِ، ولم أَسَد قنَاة رِيٍّ على غيري، ولم أطفئ نارًا يجب أن تشتعل، ولم يخطر على بالي أن أستخف بالآلهة... إنني طاهر طاهر).

أما تصورههم للعقاب فقد مر طرف منه.

وأما تصورههم للثواب فهو الصعود إِلَى السماء بعد رَحْلَةٍ جمّة المخاطر، للإقامة مع الآلهة أو مع الإله (رع) في سفينته، ويسمى هَؤُلَاءِ الممجدين، وهُؤُلَاءِ يقيمون في حقل



الطعام، يتناولون أطعمة شهية مُخْتَلِفَةً، تتجدد ولا تنفد، وصحتهم تزداد تحسناً، فاليوم أَحْسَنُ من أمس، وغداً أَحْسَنُ من اليوم، كما أن السماء (نوت) والثعبان الذي يحمي الشمس، يعطيان الصاعد إلى السماء حين وُصُولِهِ إِلَيْهِمَا ثدييهما، ليرضع منهما، فمتى رضع عاد صبيّاً<sup>(١)</sup>.

### ٣- في الديانة الزرادشتية

هنالك تشابه كبير في عَقِيدَةِ الزَّرَادْشْتِيَّةِ ومِصْرُ القديمة، في الحساب والنَّعِيمِ والجحيم، ويتضح هذا فيما يأتي:

يرى الزَّرَادْشْتِيُّونَ أنه عندما يموت الميت، تظل الروح ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ معلقة إلى جانب الجسم، مُنْعَمَةً بنعيمه أو مُعَذَّبَةً بعذابه، وفي فجر اليوم الرابع تهب عليها ريح: إما عطرة إذا كان الميت خيراً، وإما نتنه إذا كان الميت شريراً، فتحملها إلى موضع يَلْتَقِي فيه: إما بفتاة جميلة، وإما بعجوز مُفْرِعة، وليست الأولى فتاة حقيقية، ولا الثانية عجوزاً حقيقية، وإنما هي صورة أَعْمَالِ الميت، وهي ضميره الذي يقوده إلى حيث معبر الحساب والحكم الأخير.

وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قُصَاة بينهم (ميتها)، وهناك ينصب ميزان، توضع في إحدى كفتيه حَسَنَاتُ الميت، وفي الأخرى سيئاته، وبناء على صعود إحدى الكفتين أو هبوطها، يصدر الحكم على مصير هذا الميت.

وعلى أثر انتهاء الوزن وصدور الحكم، يؤمر المحاسب بالمرور فوق هذا المعبر، أو الصراط الممتد فوق الجحيم، الذي يتسع أمام الأخيار، ويضيق حتى يكون أدق من

(١) مشاهد القيامة في القرآن ص ١٢-١٧ مشيراً إلى كتاب «على هامش التاريخ المصري القديم». وانظر في هذا أيضاً: الأديان: د. رشدي عليان ود. سعدون الساموك ص ٥٨ ومقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - طه باقر ج ٢ ص ٩٦-١٠٠.

الشعرة، وأحد من الشفرة أمام الأشرار، فهؤلاء الأَخِرون يهونون في جحيم مظلم ظلاماً كثيفاً إلى حد استطاع معه لمسه باليد، فإذا هووا في الجحيم كانوا متزاحمين، كأنهم كمية من الشعر في معرفة حصان، ومع ذلك فكل واحد منهم يشعر في وسط هذا الزحام بوحدة قاسية وعزلة ممضة.

أما الأخيار فيذهبون إلى النور، حيث يستقبلهم (أهورا مزدا) - وهو إله الخير خالق الكون، وحافظه من الفساد، الذي يحاوله إله الشر (اهريمان) - بعد أن يمروا في وسط العمل الصالح، والقول والخير، والفكرة الطيبة، وهناك يستمتعون في كنف مازدا بالسعادة الأبدية<sup>(١)</sup>.

#### ٤- عند الإغريق القدماء

ظهرت عقيدة الإيمان باليوم الآخر في اوديس هوميروس، الذي عاش حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، والغالب أنها كانت موجودة قبل هوميروس، فضمنها ملحمته.

يذكر هوميروس على لسان (عوليس)، بطل الاوديسة، أنه رأى في (هيدز)، أي: العالم السفلي تحت الأرض، الإله (مينوس) جالساً على عرشه، والصولجان الذهبي في يده، والموتى يعرضون عليه قضاياهم. وقد تجمعت جموعهم عند البوابات الكبيرة، ينتظرون دورهم في عرض قضاياهم.

ومن ألوان العذاب التي رآها أنه شاهد (تيتوس) الجبار منبطحاً على الأرض، بحيث يشغل تسعة أفدنة، وعلى كل من جنبيه أفعوان هائل أرقم، يتغذى بمضغ من

(١) مشاهد القيامة في القرآن ص ١٩-٢٠ مشيراً إلى كتاب الفلسفة الشرقية للدكتور محمد غلاب. وانظر: الأديان السابق ص ١٢٩ وفي العقائد والأديان للدكتور محمد جابر عبد العال ص ١٦٣ وقصة الديانات لسليمان مظهر ص ٣١٤.

كبدِه الكَبِيرُ الدامي ومن أحشائه الغلاظ، جزاء على محاولته اجتذاب (لاتونا) عشيقه كَبِيرُ الآلهة.

وشاهد (تانتالوس) يتخبط في عَيْنِ حَمِيَّةٍ من الماء الساخن، وقد غاص فيها إلى ذقنه، والموج يضرب وجهه، ومع ذلك يلهث من شدة الظمأ، وفوق رأسه أشجار الفاكهة لا تصل يده إليها.

وشاهد (سيفوس) يدفع صخرة كَبِيرَةً، ليصل بها إلى أعلى جبل، حتى إذا أراد الوُصُولُ تدرجت الصخرة إلى أرض الجحيم، وقد أضناه التعب الفظيع.

وشاهد (هرقل) الجَبَّارُ محكوماً عليه بأن يطيع ويخدم ابن عمه (يوريدوس)<sup>(١)</sup>.

والشاعر (بندار) في القرن الخامس قبل الميلاد يقول في قصيدته الأولمبية الثانية:

سيجد العظماء في الأرض قاضياً في الجحيم، فالذين ارتكبوا منهم أعمالاً محرمة تحاكمهم الآلهة (انانكي).

ومع أنه لم يبين كيفية المحاسبة لكنه بهذا يقرب من عقيدة المصيريين في عدالة الحساب.

ويقول أفلاطون (ولد بين سنتي ٤٢٩-٤٢٧ ق. م.): فإذا جاء الأموات أمام قاضِيهم، دعاهم (ردامانت) وهو أخو مينوس إلى القرب منه، ثم فحص روح كل واحد منهم من غير أن يعرف لمن هي... فإذا وجدها مملوءة فساداً وخبثاً وكانت قد عاشت بعيداً عن الحقيقة بعث بها إلى السجن، لتتلقى به العقاب الذي تستحقه، وردمانت يرسل المحكوم عليهم إلى قاع الجحيم، بعد أن يسمهم بمِيسَم تبعاً لقابلياتهم أو عدم قابليتهم للتطهير. أما الروح الذي يرى أنه عاش في الطهر وفي الحقيقة، فإنه يبتهج به، ويرسله إلى الجزائر السعيدة<sup>(٢)</sup>.

(١) مشاهد القيامة في القرآن ص ٢١-٢٣ عن كتاب الاوديسة للأستاذ دريني خشبة.

(٢) مشاهد القيامة ص ٢٧-٢٨ نقلاً عن (مورى) ترجمة: عبد القادر حمزة باشا.

## ٥- عند الرومان

وذكر صور الحساب أيضاً الشاعر فرجيل شاعر الرومان الأكبر (٧٠-١٩ ق. م.) في ملحمة الإلياذة فيذكر:

أن اينياس بطل الملحمة يذهب إلى العالم السفلي، للالتقاء بروح أبيه (انشير) لاستفتائها في مستقبله ومستقبل ذريته، ويهبط مع كاهنة تقوده إلى منازل الموتى، وقد امتلأت أشباحاً وأرواحاً، ويعبران نهر (ستكس)، وهو نهر في الجحيم مليء بالحيات، والحيوانات المخيفة، ومرا في عالم كله يأس وقنوط، وأخيراً لقي أباه، فأنبأه بما قد كتب لسلالته من مجد وفخار<sup>(١)</sup>.

## ٦- عند الهندوس

لا يعتقد الهندوس بالحياة الأخرى التي يكون فيها الجزاء، ولكنهم يعتقدون بالكارما أي قانون الجزاء، ويعني:

أن جميع أعمال البشر الاختيارية خيراً كانت أم شراً، لا بد أن يجازى عليهم بالثواب أو بالعقاب، بناءً على ناموس العدل الصارم، وهذا الجزاء يكون في الحياة.

ولكنهم حين رأوا أن الجزاء قد لا يقع، فيموت الظالم، ولا يقتص منه، ويموت المحسن، دون أن يحسن إليه، لجؤوا إلى القول بالتناسخ.

والتناسخ ويسمى (تكرار المولد) هو: رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر.

وسبب التناسخ أن الروح خرجت ولها شهوات لم تتحقق بعد، وعليها ديون كثيرة لا بد من أدائها، فلا بد من أن تتذوق ثمار أعمالها في حياة أخرى، أي في جسد آخر، فإن لم

(١) مشاهد القيامة ص ٢٨ نقلاً عن (قصة الأدب في العالم) لأحمد أمين و(عن أساطير الحب والجمال عند الإغريق) لدرييني خشبة.

تصلح في هذا الجسد، ففي جسد آخر، وهكذا إلى أن تكتمل الميول والشهوات، وتستوفي الديون، فإن اكتملت نجت روحه، وتخلصت من التناسخ، وامتزجت بالبراهما<sup>(١)</sup>.

ونشأ ما هو مشهور عندهم من تعذيب الجسد بالصوم، والزهد المفرط، وأرق الليل، وتعذيب النفس، وتعريضه لأشق التجارب، حتى يبدو هذا دائماً كثير الهموم والخوف والتشاؤم في سبيل تحليص الروح من سيطرة الجسد، لتنتقل منه في النهاية، وتتحد مع البراهما<sup>(٢)</sup>.

## ٧- عند الصابئة

يعتقد الصابئة المندائيون أن الموت انتقال من العالم المادي - الذي هو بمثابة سجن ومنفى مؤقت للروح - إلى العالم الروحي، وتخلد هناك، فتحاسب حساباً عسيراً، بأن توزن أعمال صاحبها، فإن رجحت حسناته فإن روحه تذهب إلى عالم الأنوار (الجنة)، فتتعم كالقديسين والروحانيين. وإن رجحت سيئاته فإن روحه تقاد إلى المطهر (المطراثة) في عالم الظلام (النار)، حيث تتعذب فيه بدرجات متفاوتة إلى أن تتطهر من ذنوبها، ثم ترسل إلى عالم الأنوار<sup>(٣)</sup>.

(١) مقارنة الأديان - أديان الهند الكبرى - د. أحمد شلبي ص ٦٢-٦٣ والأديان السابق ص ٨٩.

والهندوسية: ديانة الجمهرة العظمى في الهند الآن، وتسمى الهندوكية، وسميت البرهمية ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد، نسبة إلى براهما. وهو: القوة السحرية العظيمة الكامنة التي تطلب كثيراً من العبادات كقراءة الأدعية وإنشاد الأناشيد وتقديم القرابين. ومن براهما اشتقت الكلمة (البراهمة) لتكون علماً على رجال الدين الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي، ولذا كانوا كهنة الأمة، لا تجوز الذبائح إلا بحضرتهم وعلى أيديهم. / أديان الهند الكبرى - د. أحمد شلبي ص ٣٩.

(٢) أديان الهند الكبرى ص ٦٩ ومشاهد القيامة ص ٢٥.

(٣) الأديان السابق ص ١٨٧ والصابئون - حرانين ومندائيين، للدكتور رشدي عليان.

## ٨- عند اليهود

اليَهُودِيَّةُ في جوهرها أُسْلُوبُ حياة، لا عَقِيدَةُ تعتقد، ومجالها الأَوحَدُ هو هَذا العالَمُ الحاضر، وليس فيما وراء هَذا العالَمِ.

وفي دائرة المَعَارِفِ العِبْرِيَّةِ يقرر كوهلر: إن اليَهُودِيَّةَ ليست عَقِيدَةً، أو نِظَاماً من العَقَائِدِ يتوقف على قبولها الفِدَاءُ أو الخلاص في المستقبل، وَلَكِنِهَا نِظَامٌ لِلسُّلُوكِ البشري وناموس البرِّ الذي يتحتم على الإنسان اتباعه.

ولما كانت اليَهُودِيَّةُ دينَ أَعْمَالٍ لا دينَ إِيمانٍ، لم يتكلم اليَهُودُ في كتبهم عن الآخِرَةِ والبعث والحساب، لأنها أُمُورٌ متوقفة على العَقِيدَةِ، والثواب والعقاب عندهم يَتِمُّ في الحياة الدنيا. لَكِنَ بعد احتلال الفُرس - الذين يدينون بديانة زَرَادَشْت - بلادَ بَابِلَ ودولتي اليَهُودِ، وبعد أن سمح قورش ملك الفُرس لليَهُودِ بالعودة إلى فِلَسْطِينَ، وإعادة بناء مَعْبَدِهِم، قامت علاقات طيبة بين اليَهُودِ والفُرس، فدرس اليَهُودُ عَقَائِدَ زَرَادَشْت، فاقتبسوا منهم الاِعتقادَ بالحياة الآخِرَةِ.

وفي هَذا الوقت بدأ الأنبياء أشعيا ودانيال كما في سفر دانيال، يذكرون الناس بيوم البعث والحساب والجزاء، لَكِنَ اليَهُودُ حين تحدثوا عن الآخِرَةِ كانوا يعنون بها غير ما تعنيه الديانات الأُخْرَى من وجود دار حساب على ما قدم في حياته الأَوَّلَى، فاليَهُودُ عند الباحثين قسمان:

أ- قسم عاش في حياته الدنيا سَعِيداً حراً، وهُوَ لَآءِ حصلوا على الجانب المادي من رِضَا إِلَهُهِم.

ب- وقسم عاش تحت سُلْطَانِ الجويمِ، أو مشرداً في المنفى، فهُوَ لَآءِ من حقهم العودة للحياة مرة أُخْرَى، لينالوا نصيبهم من النَعِيمِ.

وقد حاول بعض طائفة الفريسيين القول بها، لَكِنْ هَذِهِ الْمَحَاوَلَةُ لَقِيتْ مُعَارَضَةً شَدِيدَةً، أَمَّا بَاقِي الْفِرْقِ الْيَهُودِيَّةِ فَلَمْ تَعْرِفْ عَنْهَا شَيْئاً<sup>(١)</sup>.

## ٩- عِنْدَ النَّصَارَى

يَعْتَقِدُ النَّصَارَى بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِعَثِّ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْقُبُورِ وَالْحِسَابِ عَلَى مَا قَدَّمَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَمَلٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ أَنَّ الْمَحَاسِبَ هُوَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ جَزَاءٌ مَنْ يَعْمَلُ الْخَيْرَ، وَالنَّارَ جَزَاءٌ مَنْ يَعْمَلُ الشَّرَّ<sup>(٢)</sup>.

يَقُولُ النَّصَارَى: إِنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ بِالتَّكْفِيرِ عَنْ خَطَايَا النَّاسِ، وَالتَّكْفِيرُ هُوَ الصَّلْبُ، لِهَذَا صَلَّبَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَلْبِهِ، وَهُوَ ابْنُهُ، وَدُفِنَ بَعْدَ الصَّلْبِ، وَلَكِنَّهُ قَامَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ مِنْ قَبْرِهِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ الْأَنْجِيلُ فِي تَفْصِيلِ الْقِيَامِ، فَمَتَّى يَقُولُ: إِنَّهُ ظَهَرَ فِي الْجَلِيلِ، وَلَوْقَا: فِي أُورُشَلِيمَ، وَيُوحَنَّا: فِي الْيَهُودِيَّةِ وَالْجَلِيلِ مَعاً، وَمَرْقُسَ قَالَ: إِنَّهُ ظَهَرَ بَيْنَ تَلَامِيذِهِ<sup>(٣)</sup>.

قَالُوا: وَلَمْ يَمُكِّثِ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ قِيَامَتِهِ هَذِهِ إِلَّا أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ ارْتَفَعَ بَعْدَهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ بِجِوَارِ الْأَبِّ، وَالْأَبُ لَا يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ أُعْطِيَ ذَلِكَ لِلابْنِ، لِذَلِكَ سَيَأْتِي الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَدِينِ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. يَحَاسِبُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى مَا فَعَلَ وَفَكَرَ، فَإِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، وَلَهُ بِهَذَا الْمَلِكِ الْأَبَدِيِّ، فَلَا فَنَاءَ لِلْمَلِكَةِ.

فَفِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا: (الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ، وَهِيَ الْآنَ حِينَ يَسْمَعُ الْأَمْوَاتُ

(١) الْيَهُودِيَّةُ: د. أَحْمَدُ شَلْبِي ص ١٩٤-١٩٦.

(٢) مَشَاهِدُ الْقِيَامَةِ ص ٣٣ وَذَكَرَ: وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَجْزِمَ مَتَى يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَوْ يَوْمُ قِيَامَتِهِ؟ بَعْدَ دَفْنِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، كَمَا وَرَدَ فِي الْأَنْجِيلِ.

(٣) مُحَاضِرَاتُ فِي النَّصْرَانِيَّةِ: أَبُو زُهْرَةَ ص ١٠٥.

صوت ابن الله، والسامعون يحيون، لأنه كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سُلْطَاناً أن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان. لا تعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدَّيْنُونَةِ، أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً، كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة، لأنني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الأب الذي أرسلني<sup>(١)</sup>.



## الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ

### اليوم الآخر في الإسلام

من الأمور المُسَلَّم بها في الدِّين الإسلاميِّ الاِعتِقَادُ بِحَيَاةٍ أُخْرَى بعد الموت، يُبعثُ الناس بعد موتهم، ويحاسبون على ما قدموا من أَعْمَالٍ، فيُجازون عليها، فأما الذين آمنوا وعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ فلهم جنة الخلد، وأما الذين كفروا وعَمَلُوا السيِّئاتِ فلهم النار، يشقون فيها بالعذاب الشديد، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴿ - الزلزلة.

#### تسميته

سُمِّيَ باليَوْمِ الْآخِرِ لأنه آخر أيام الدنيا، بمعنى أنه مُتَّصِلٌ بآخر أيام الدنيا، لأنه ليس منها حتى يكون آخرها.

وسمي بيوم القيامة لقيام الناس فيه من قبورهم، وقيامهم بين يدي خالقهم، وقيام الحُجَّةِ لهم وعليهم، وله نحو ثلاثمائة اسم<sup>(١)</sup>.

#### حكم الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليَوْمِ الْآخِرِ رُكْنٌ من أركان الإيمان، يكفر من لا يؤمن به بالإجماع. وقد فَصَّلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ أخبارَ اليَوْمِ الْآخِرِ، وما يتصل به من مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ، وَفَصَّلَ أوصافَ أهلِهِ في الجنة والنار، برزت في المَشَاهِدِ حَيَاةٌ واضحةٌ مَكْتُمَةٌ السَّمَاتِ، تَحْفَقُ لَهَا الْقُلُوبُ، وَتَقْشَعِرُ مِنْهَا الْأَبْدَانُ.

(١) سُرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٨٨.

### طريق ثبوتَه

أخبار اليوم الآخر وأوصافه من الأمور الغيبية التي لم يدركها أحد، إذ إن وقوعها يكون بعد الموت.

لذلك فإننا سنقتصر في بحثنا هذا على ما ورد فيها من تلك الأخبار والأوصاف، بطريق ينتهي إلى اليقين، وهذا الطريق هو: القرآن الكريم كلام الله تعالى، الذي أثبتنا أنه لا يقبل في خبره شك. والسنة النبوية الصحيحة الثابتة، التي وردت عن لسان النبي مُحَمَّد ﷺ الصادق الأمين في ما يبلغه عن الله تعالى.

تاركين الأحاديث التي فيها ضعف، لأن هذا الكلام يخص الاعتقاد، وهذا السبيل يقطع بالصحة لإثبات عقيدتنا باليوم الآخر.

### طريق فهم الغيبيات واعتقادها

الإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب الذي يجب أن نستيقنه، ويمكن أن نقرب طريقة فهمه بما يأتي:

١- رأى الطبيب في يدك كأساً من الماء، فتأمل به، فقال لك: لا تشرب هذا الماء، فإنه ملوث، يعرض حياتك للخطر. وأنت لا تعلم عن الطب والماء وخصائصه شيئاً سوى أن هذا الطبيب حاذق.

٢- أخبرت أن علماء الأرصاد والفلك حددوا خسوف القمر في ليلة معينة، أو هبوب رياح عاتية في يوم ما، ورأيت أن الخبر يقيني رسمي.

لا شك أنك تستيقن ذلك لأمرين هما:

أ- يقينك بأن الطبيب حاذق، وأن علماء الأرصاد صادقون فيما يخبرون.

ب- يقينك بأن كلام الطبيب وخبر علماء الأرصاد يقيني صادر من جهة رسمية،

على نحو لا يحتمل الكذب.

هَذَانِ الْأَمْرَانِ وَإِنْ كَانَا مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، إِلَّا أَنْكَ اسْتَيْقَتَهُمَا، فَلَمْ تَعُدْ تَشْكُ فِي جُزْءٍ مِنْهُمَا<sup>(١)</sup>.

ونحن بعد أن أقمنا الأدلة على وجود الله تعالى، وأنه كالي الكون بعنايته ورعايته، وعلى أن مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، صَادِقٌ فِيْمَا يُخْبِرُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ وَصَلَ خَبْرُهُ إِلَى دَرَجَةِ الْيَقِينِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، اسْتَيْقَنَّا عِنْدُذِ أَنْ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ عَنْ أَحْوَالِ الْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ حَقٌّ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، الَّتِي لَا تَحْكُمُ الْحَوَاسِ فِيهَا بِالْقَطْعِ أَوْ النَفْيِ.

### الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ نَتِيجَةُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ

لَا يَكُونُ الْمَرْءُ مُؤْمِنًا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ إِلَّا إِذَا آمَنَ بِاللَّهِ تَعَالَى، لِذَلِكَ قَرَنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بَيْنَهُمَا فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْهَا:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ - البقرة ٨.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا كَفِرٌ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَلْمَلَتْكَ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ - البقرة ١٧٧<sup>(٢)</sup>.

فَلَا مَعْنَى إِذْنٍ لِلْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ غَيْرِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْبِيَائِهِ.

(١) كبرى اليقينيّات الكونية ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٢) وانظر اقتران الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالله تعالى في الآيات الآتية: سورة البقرة ٦٢، ١٢٦، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٦٤. آل عمران ١١٤. النساء ٣٨، ٣٩، ٥٩، ١٦٢. المائدة ٦٩. التوبة ١٨، ١٩، ٢٩، ٤٤، ٤٥، ٩٩. النور ٢. العنكبوت ٣٦. الأحزاب ٢١. المجادلة ٢٢. الممتحنة ٦. الطلاق ٢.

لَذَلِكَ كَانَ عَبَثًا أَنْ تَجَادَلَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ مَثَلَكَ عِنْدُنَا مَثَلُ مَنْ يَنْبِئُ شَخْصًا بِوُصُولِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْقَمَرِ، وَذَلِكَ يَنْكُرُ وَصُولَهُ، وَهُوَ يَجْهَلُ الْأُمُورَ الْبَدْهِيَّةَ، الَّتِي صَارَ إِلَيْهَا عِلْمُ الْفَلَكَ الْآنَ.

فَالْمُجَادَلُ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ نَحِيلُهُ إِلَى الْبَرَائِئِينَ الْقَطْعِيَّةِ عَلَى وَجُودِهِ تَعَالَى، وَقُدْرَتِهِ وَصِفَاتِهِ الْكَامِلَةِ الَّتِي أَسْلَفْنَاهَا فِي بَابِ الْإِلَهِيَّاتِ.

فَإِذَا ثَبَتَ لَنَا وَجُودُهُ تَعَالَى، وَثَبَتَتِ النُّبُوءَةُ، فَيَجِبُ عِنْدُنَا أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ بَعْثٌ وَمَحَاسِبَةٌ، يَجْزَى الْمَرْءُ حَسَبَ عَمَلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.﴾ (٨) - الزَّلْزَلَةُ، وَإِلَّا يَلْزَمُ الظُّلْمُ بِالنِّسْبَةِ لِلْخَالِقِ، إِذَا تَرَكَ مُحَاسِبَةَ الْعَاصِي وَإِثَابَةَ الْمُطِيعِ، وَالظُّلْمُ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

### الْحَيَاةُ الْآخِرَى

#### انْقِطَاعُ الْعَمَلِ بِالْمَوْتِ

يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مَنْ صَدَقَ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ (١).

فَالْمَوْتُ هُوَ الْحَدُّ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ الْآخِرَةِ، وَعَلَيْهِ فَإِنْ مَنَازِلَ الْآخِرَةِ تَبْدَأُ بِمَجْرَدِ مَغَادِرَةِ الرُّوحِ الْبَدَنِ.

وَهُنَا سَتَتَحَدَّثُ عَنْ هَذِهِ الْمَنَازِلِ مُسَلَّسَةً مُبْتَدَأً بِالْمَوْتِ، وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ، وَمَا يَتَّبِعُهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ وَمَا يَتْلُوها مِنْ مَشَاهِدٍ، حَتَّى اسْتِقْرَارِ الْإِنْسَانِ فِي الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ.

(١) حَدِيثٌ: إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٢٥ كِتَابِ الْوَصِيَّةِ، ٣ بَابِ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، رَقْمُ ١٦٣١، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

### سوء الخاتمة والأعمال بالخواتيم

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُحْتَمُّ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُحْتَمُّ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ<sup>(١)</sup>.

وقال النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ<sup>(٢)</sup>.

وتكون سوء الخاتمة:

١- لمن أصر على الكبائر، وأقدم على المحرمات، فربما غلب عليه ذَلِكَ، حتى ينزل به الموت قبل التوبة. فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة.

٢- لمن كان مُسْتَقِيمًا ثم يتغير عن حاله، ويخرج عن سنته.

لذَلِكَ قال الْعُلَمَاءُ: (فلا تعجب بإيمانك وعَمَلِك، وصلاتك وصومك، وجميع قُرْبِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ مِنْ كَسْبِكَ فَإِنَّهُ مِنْ خَلْقِ رَبِّكَ... فمهما افتخرت بِذَلِكَ كُنتَ كَالْمُفْتَخِرِ بِمَتَاعِ غَيْرِكَ، وربما سلبه عنك فعاد قلبك من الْخَيْرِ أَخْلَى مِنْ جَوْفِ الطَّيْرِ، فكم من رَوْضَةٍ أُمِسَتْ وَزَهْرُهَا يَانِعٌ عَمِيمٌ، فَأَصْبَحَتْ وَزَهْرُهَا يَابِسٌ هَشِيمٌ... كَذَلِكَ الْعَبْدُ يَمْسِي وَقَلْبُهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ مَشْرُقٌ سَلِيمٌ، فَيَصْبِحُ وَهُوَ بِمَعْصِيَتِهِ مَظْلَمٌ سَقِيمٌ)<sup>(٣)</sup>.

ولذَلِكَ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى التَّوْبَةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، لِتَحْسِنَ خَاتِمَتَهُمْ، وَيَكُونَ مَصِيرُهُمْ

(١) حَدِيثُ: إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ... إلخ، في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ٤٦ كتاب الْقَدَرِ، ١ باب كَيْفِيَّةُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ...، رقم ٢٦٥١، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) حَدِيثُ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨٢ كتاب الْقَدَرِ، ٥ باب الْعَمَلُ بِالْخَوَاتِيمِ، رقم ٦٦٠٧، عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٦-٣٨.

الجنة، فإن العبد لا يدري متى تقبض روحه، إذ إن الموت يأتي على الصَّغِيرِ والكَبِيرِ، والصَّحِيحِ والسَّقِيمِ.

فلا بد أن يبادر الإنسان إلى طاعة ربه، ما دام مكلفاً شرعاً، لأن سنَّ التكليف يتعلق به الثواب والعقاب. والطاعة سَبِيلُ الوُصُولِ إلى جنة الفردوس.

### التَّوْبَةُ

التوبة في أصل اللُّغَةِ: الرجوع. يقال: تاب، أي: رجع.

وفي الاصطِلَاح: الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو مَحْمُود فيه<sup>(١)</sup>.

قال النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعْرِغْ)<sup>(٢)</sup>، أي: عند الغرغرة وبُلُوغ الروح الحُلُقُوم، وإنما يغرغ إذا قُطِعَ الوَتِين.

والتوبة فرض على الْمُؤْمِنِينَ باتفاق المُسْلِمِينَ، بدليل:

قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ - النُّور ٣١.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ - التحريم ٨.

### شروط التوبة

- ١- الندم بالقلب على ما اقترف من معصية.
- ٢- ترك المعصية في الحال.
- ٣- العزم على أن لا يعود إلى مثلها في المستقبل.

(١) الرَّسَالَةُ الْقُشَيْرِيَّةُ ص ٤٥.

(٢) حَدِيث: إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ... إلخ، في: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ في: ٤٤ كتاب الدَّعَوَات، ٩٨ باب، رقم ٣٥٣٧، ص ٥٥٦، عن ابن عُمر. وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

٤- أن يكون ذَلِكَ حياءً من الله تعالى وخوفاً منه لا من غيره.

فإذا فقد شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة<sup>(١)</sup>. فمثلاً: لو ترك المعصية من غير نَدَمٍ لا يكون تائباً شرعاً، وكذلك من نَدِمَ عليها لكونها أَضَرَّتْ ببدنه<sup>(٢)</sup>.

هذا إذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى، لا تتعلق بحق لآدمي.

فإن كانت متعلقة بحق آدمي، فيشترط إضافة إلى الشروط المتقدمة: أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مَكَّنْه منه، أو طلب عَفْوَه، وإن كانت غِيْبَةً استحلّه منها<sup>(٣)</sup>.

أما حَدِيثُ (النَّدَمُ تَوْبَةٌ)<sup>(٤)</sup>، فهو نص على معظمه، أي معظم أركانها الندم. فهو كما قال النَّبِيُّ ﷺ: (الحج عَرَفَةٌ)<sup>(٥)</sup>. أي: معظم أركانه عَرَفَةٌ، أي: الوقوف بها.

ومن أهل التَّحْقِيقِ من قال: يكفي الندم من تَحْقِيقِ ذَلِكَ، لأن الندم يستتبع ما بعده، فإنه يستحيل تقدير أن يكون نادماً على ما هو مُصِرٌّ على مثله، أو عازم على الإتيان بمثله<sup>(٦)</sup>.

(١) التَّذْكِرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٤٥-٤٦. وفي الرِّسَالَةِ الْقُشَيْرِيَّةِ ص ٤٥ ورياض الصَّالِحِينَ ص ١٨-١٩ لم يذكر الرابع. وانظر في التوبة: الْأَسَاسُ ص ١٩٢ والفَائِقُ فِي أَصُولِ الدِّينِ ص ٤٢٥ وَمَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ١ ص ٣٤٤ والبعد الحَضَارِيِّ ص ٥٦٩.

(٢) كِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ ج ١ ص ٦٤.

(٣) رياض الصَّالِحِينَ السَّابِقُ، وَكِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ ج ١ ص ٦٤.

(٤) حَدِيثُ: النَّدَمُ تَوْبَةٌ: رواه أَحْمَدُ وابن مَاجَةَ والْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكَ وَالْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، عَنْ أَنَسٍ. وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٥٥٧.

(٥) حَدِيثُ: الْحَجُّ عَرَفَةٌ: رواه أَحْمَدُ وَأَصْحَابُ السُّنَنِ الْأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكَ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي السُّنَنِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ. وَهُوَ صَحِيحٌ. / الْجَامِعُ الصَّغِيرُ ص ٢٣١.

(٦) الرِّسَالَةُ الْقُشَيْرِيَّةُ ص ٤٥-٤٦. وربما عَنَى بِقَوْلِهِ: (من أهل التَّحْقِيقِ) الْجَوِينِيُّ فِي الْإِرْشَادِ ص ٤٠١.

## الموت

## تعريفه

الموت ليس بعدام محض، ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقته، وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار<sup>(١)</sup>.

والروح: جسم لطيف شفاف، مشتبك بالجسم اشتباك الماء بالعود الأخضر، فتكون سارية في جميع البدن<sup>(٢)</sup>. وعند مفارقتها الجسد ينقطع تصرفه، فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حسب مشيئتها<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ - الزمر ٤٢.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ - الأنعام ٦١.

فالروح تغادر الجسم، وهو في أكمل حالات الصحة. هذا هو التعريف الذي ذكره المسلمون وآمنوا به.

أما ما ذكره بعضهم من أن:

أ- الموت هو توقف القلب عن النبض.

فقد انهار في السنوات الأخيرة بزراعة القلوب أو الأجهزة الصناعية.

(١) التذكرة للطربي ص ٤.

(٢) شرح الجوهرة للباجوري ص ٢٧٠ نقلاً عن النووي عن إمام الحرميين.

(٣) رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة ص ١٠٠.



## ب- الموت هو موت خلايا المخ.

فقد انهار أيضاً، حينما أعلنت مستشفى جامعة طوكيو نجاحها في إعادة مخ رجل للحياة، بعد أن توقف نشاطه عدة شهور<sup>(١)</sup>.

وأخفقت جميع البحوث التي استهدفت أن تجعل من الموت أمراً غير يقيني، فبقي الاحتمال الذي أكدته الأزمان، وهو أن يموت الإنسان في أي عُمر، وفي أي زمن. حتى قال الدكتور كارل بعد أن بحث المشكلة وذكر تلك الجهود المخففة: (إنَّ الإنسان لا يسأم أبداً من البَحْث عن الخلود والسعي وراءه، مع أنه لن يظفر به إلى الأبد، فتركيبه الجسماني يخضع لقوانين معينة، إنه يستطيع أن يوقف الزمن الفسيولوجي لأعضاء الجسد، حتى يؤخر الموت لفترة قصيرة، ولكنَّه لن يتغلب على الموت أبداً).

لذلك قال الدكتور (لنس بالنج) الحائز على جائزة نوبل للعلوم: (إن الإنسان أبدي إلى حد كبير نظرياً، فإن خلايا جسمه آلات تقوم بإصلاح ما فيه من الأمراض ومعالجتها تلقائياً، وبرغم ذلك فإن الإنسان يعجز ويموت، ولا تزال علل هذه الظاهرة أسراراً تحير العلماء)<sup>(٢)</sup>.

## ما يتبع الميت إلى قبره وبعد موته وما يبقى معه فيه

بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ ذَلِكَ فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ:

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَتَبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فِيرْجَعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ

(١) يوم القيامة: عبد الرَّزَّاقُ نَوَقَلَ ص ٦٠-٦٢. وانظر تعاريف أخرى في: الإسلام يتحدى لوحيد الدِّين خان، ط ٤ ص ٧٣.

(٢) الإسلام يتحدى، ص ٧٣-٧٤. وانظر قول د. كارل في كتابه: الإنسان ذلك المجهول ص ٢٠٩ في فصل الزمن الداخلي.

وماله وعَمَلُهُ، فيرجعُ أهله وماله، ويبقى عَمَلُهُ<sup>(١)</sup>.

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ)<sup>(٢)</sup>.

ولا تنافي بين الحديثين لما يأتي:

أ- إما لأن مفهوم العدد غير حُجَّة.

ب- وإما لأنه اطلع أولاً على ما في حَدِيثِ مُسْلِمٍ، ثم أطلعه الله على الزائد فأخبر به<sup>(٣)</sup>.

### تمني الموت

النهي عن تمني الموت والدعاء به لضرر ينزل به في المال والجسد:

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لُضْرٍ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًّا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ احْنِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي.

(١) حَدِيثٌ: يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٤٢ باب سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، رقم ٦٥١٤، واللفظ له، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: أول ٥٣ كتاب الزهد والرِّقَاق، رقم ٢٩٦٠، عن أَنَسٍ.

(٢) حَدِيثٌ: إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ... إلخ، في: سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ في: الْمُقَدِّمَةُ، ٢٠ باب ثَوَابِ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ، رقم ٢٤٢، ج ١ ص ٨٨، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَحَسَنَةُ السُّيُوطِيِّ في الْجَامِعِ الصَّغِيرِ ص ١٥٠.

(٣) دليل الفالحين ج ٣ ص ٤٣٣.

وقال النَّبِيُّ ﷺ: لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، إِلَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ.

وقوله: (فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ): الاستعتاب طلب العُتْبَى، وهو الرضا، وذلك لا يحصل إِلَّا بالتوبة والرجوع عن الذنوب<sup>(١)</sup>.

ومعنى الحديث: لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مُحْسِنًا وَإِمَّا مُسِيئًا، أي: سواء كان على حالة الإحسان أو الإساءة، أما إن كان مُحْسِنًا فَلَا يَتَمَنَّى الْمَوْتَ، لَعَلَّهُ يَزْدَادُ إِحْسَانًا عَلَى إِحْسَانِهِ، فيضاعف أجره وثوابه. وأما إن كان مُسِيئًا فَلَا يَتَمَنَّى أَيْضًا، إِذْ لَعَلَّهُ يَنْدَمُ عَلَى إِسَاءَتِهِ، ويطلب الرضا عنه، فيكون ذَلِكَ سببًا لمحو سيئاته، التي اقترفها<sup>(٢)</sup>.

جواز تمني الموت والدعاء به خوف ذهاب الدين:

ودليل ذَلِكَ ما يأتي:

١- قال تعالى عَلَى لِسَانِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَوَقَّئِ مُسْلِمًا وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ﴾ - يُوسُفَ ١٠١.

قال قتادة: لَمْ يَتَمَنَّ الْمَوْتَ أَحَدٌ نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ، إِلَّا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ تَكَامَلَتْ

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٤-٥.

حَدِيث: لَا يَتَمَنَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ٣٠ باب الدعاء بالموت والحياة، رقم ٦٣٥١، بهذا اللفظ، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٤٨ كتاب الذِّكْرِ والدعاء...، ٤ باب كراهة تمني الموت لَصُرَّ نَزَلَ بِهِ، رقم ٢٦٨٠، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وحديث: لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٩٤ كتاب التمني، ٦ باب مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّمْنِي، رقم ٧٢٣٥، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) إِرْشَادُ السَّارِي ج ١٠ ص ٢٨٠.

عليه النعم، وجمع له الشمل، اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ - يونس ١٠١.

وقيل: إن يونس لم يتمن الموت، وإنما تمنى الموافاة على الإسلام. أي: إذا جاء أجلي توفي مسلماً. وهذا القول هو المختار في تأويل الآية عند المفسرين.

٢- قال تعالى عن مريم: ﴿يَلَيِّنِي مِثْ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ سَيِّئًا مَنَسِيًّا﴾ - مريم ٢٣.

قالوا: إنها تمت الموت لوجهين:

أحدهما: أنها خافت أن يُظن بها السوء في دينها، وتُعير فيفتنها ذلك.

ثانيهما: أن يقع قوم بسببها في البهتان، والنسبة إلى الزنا، وذلك مهلك لهم.

٣- قوله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول يا ليتني مكانه).

قالوا إنها هو خبر أن ذلك سيكون، لشدة ما ينزل بالناس من فساد الحال في الدين وضعفه وخوف ذهابه، لا لضر ينزل بالمرء في جسمه وماله. ومما يوضح هذا المعنى: قوله ﷺ: (اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحُب المساكين، وإذا أردت في الناس فتنة، فاقبضني إليك غير مفتون)<sup>(١)</sup>.

(١) التذكرة للقرطبي ص ٦-٧.

حديث: لا تقوم الساعة حتى يمر... إلخ، رواه مالك في الموطأ، جامع الجنائز. / تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك ج ١ ص ١٨٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وحديث: اللهم إني أسألك فعل الخيرات... إلخ، رواه مالك في الموطأ، القرآن، العمل في الدعاء. / تنوير الحوالك ج ١ ص ١٧٠.

## الْبَرْزَخُ

الْبَرْزَخُ لُغَةً: ما بين كل شيئين من حاجز، وفي الآية: ﴿يَنْهَمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ - الرَّحْمَنُ ٢٠. أي: حاجز يمنعهما من أن يختلط أحدهما بالآخر.

وَالْبَرْزَخُ اصْطِلَاحًا: الحاجز بين الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ - الْمُؤْمِنُونَ ١٠٠<sup>(١)</sup>.

## القبر أول منازل الآخرة

القبر: مفرد. وجمعه القبور، وهو جمع كثرة. وأَقْبَرُ، وهو جمع قلة. ويقال لمدفن الموتى مَقْبَرٌ وَمَقْبَرَةٌ<sup>(٢)</sup>.

## سؤال القبر

ويراد به: أن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره بردّ الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه، ليعقل ما يسأل عنه، وما يجيبه، ويفهم ما آتاه من ربه، وما أعدّ له في قبره من كَرَامَةٍ أو هوان<sup>(٣)</sup>.

وَالْأَدِلَّةُ عَلَى ثُبُوتِ سُؤَالِ الْقَبْرِ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

١ - قوله ﷺ: الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ - إِبْرَاهِيمَ ٢٧. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

(١) انظر: النّهاية لابن الأثير مادة (برزخ). ولوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٤ والروح لابن القيم ص ٧٣ و١٠٨.

(٢) لوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ٤ والتذكيرة للقرطبي ص ٨٨.

(٣) التذكيرة للقرطبي ص ١٢٤.

ورواه مُسْلِمٌ وفيه: عن البراء بن عازب عن النَّبِيِّ ﷺ قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ - ابراهيم ٢٧ قال: نزلت في عذاب القبر، فيقال له من رَبِّكَ؟ فيقول: رَبِّيَ اللَّهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ. فذلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ - ابراهيم ٢٧.

٢- قوله ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ لِمُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا...

وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فيقول: لا أدري، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ. وَيُضْرَبُ بِمِطْرَقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ<sup>(١)</sup>.

### حكم الإيمان بسؤال القبر:

الإيمان به واجب، وهو مذهب الجُمهُور<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر من أدلة سؤال القبر في: لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٥ والروح ص ٥٣-٥٤.

حَدِيثُ: الْمُسْلِمِ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيرِ - سورة إِبْرَاهِيمَ، ٢ باب ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ - إِبْرَاهِيمَ ٢٧، رقم ٤٦٩٩، عن البراء بن عازب.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٥١ كتاب الجنة، ١٧ باب عرض مَقْعَدِ الْمَيِّتِ، رقم ٢٨٧١، عن البراء بن عازب.

وَحَدِيثُ: إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٢٣ كتاب الْجَنَائِزِ، ٨٦ باب ما جاء في عذاب القبر، رقم ١٣٧٤، بهذا اللفظ، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٥١ كتاب الجنة، ١٧ باب عرض مَقْعَدِ الْمَيِّتِ...، رقم ٢٨٧٠، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِعَبْدِ السَّلَامِ ص ٢٢٠.

## عذاب القبر

### تَصَوُّرُ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ:

قال الْجُمْهُورُ: إِنَّا نَوْمنُ بِمَا وَرَدَ فِي الْأَخْبَارِ، وَلِلَّهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ مِنْ عِقَابٍ وَنَعِيمٍ، وَيَصْرِفُ أَبْصَارَنَا، وَيَغْيِبُهُ عَنَّا.

فلو كان الميت بيننا، فلا يمتنع أن يأتيه الْمَلَكَانِ، ويسألانه، ويحييهما من غير أن يشعر الحاضرون بهما، ومثال ذَلِكَ: نائمان بيننا أحدهما ينعم، والآخر يعذب، ولا يشعر بِذَلِكَ أَحَدٌ مِنْ حَوْلِهِمَا<sup>(١)</sup>.

وليس للعقل وقوف على كيفية عود الروح إلى الجسد، وكيفية عذاب القبر وَنَعِيمِهِ، لكونه لا عَهْدَ لَهُ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ، وَالشَّرْعُ لَا يَأْتِي بِمَا يُحِيلُهُ الْمَعْقُولُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُّ بِهِ الْعُقُولُ<sup>(٢)</sup>، وَأَخْبَارُهُمْ قَسَمَانِ:

أ- ما يشهد العقل والفطرة السليمة به.

ب- لا تدركها العقول كالعيوب.

فكل خبر يظن أن العقل يحيله، فلا يخلو من أحد أمرين:

أ- الخطأ في النقل.

ب- فساد في العقل، فتكون شبهة خيالية<sup>(٣)</sup>.

وَالْعُلَمَاءُ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعِيدُ إِلَى الْمِيتِ فِي الْقَبْرِ نَوْعَ حَيَاةٍ، قَدَرُ مَا يَتَأَلَّمُ وَيَتَلَذَّذُ، وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ الْكِتَابُ وَالْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ<sup>(٤)</sup>.

(١) التَّذْكِيرَةُ لِلْقُرْطُوبِيِّ ص ١٢٦. وإحياء علوم الدين للغزالي ج ١ ص ١١٩ وج ٤ ص ٤٨٥.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٥٧٨.

(٣) الروح ص ٦٢ وكوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢١ نَقْلًا عَنِ الرُّوحِ.

(٤) شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفَقَّازَانِيِّ ج ٥ ص ١١٧.

## دخول المَلِك القبور:

يجوز تأويل دخول المَلِك القبور باطلاعه على أهلها، وهم مدركون له عن بُعد من غير دخول ولا قرب.

ويجوز أن يكون المَلِك للطافة أجزائه، يلجُ القبور، فيتوصل إليهم من غير نبش.

ويجوز أن ينبشها، ثم يعيدها الله إلى مثل حالها على وجه لا يدركها أهل الدنيا.

ويجوز أن يدخل المَلِك من تحت قبورهم من مداخل لا يهتدي الإنسان إليها<sup>(١)</sup>.

قال ابن القَيِّم: ومن أعظم الجهل استبعاد شق المَلِك الأرض والحجر، وقد جعلها الله سُبْحَانَهُ له كالهواء للطير<sup>(٢)</sup>.

## القبر رَوْضَة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار:

قال النَّبِيُّ ﷺ: إنما القبرُ رَوْضَة من رياض الجنة أو حفرة من حُفَر النار). وهو بيان لما في القبر من نعيم وعذاب.

ويجب أن يُعلم أن ذَلِكَ ليس من جنس نار الدنيا ونعيمها، وإن كان الله تعالى قادراً على أن يحمي التراب والحجارة التي فوقه وتحتة، حتى يكون أعظم حرّاً من جمر الدنيا، ولو مَسَّها أهل الدنيا لم يُحسُّوا بها، بل أعجب من ذَلِكَ أن الرجلين يُدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، أحدهما في رَوْضَة من رياض الجنة، والآخر في حفرة من النار، لا يصل من أحدهما إلى جاره حر ناره أو نعيمه.

ولو أطلعَ الله تعالى العباد على ما هو محبوب عن إدراك العقول، لزالَت حكمة التكليف والإيمان بالغيب<sup>(٣)</sup>.

(١) التَذَكُّرَة للقرطبي ص ١٢٦.

(٢) الروح ص ٧٢.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٥٨١ والروح ص ٦٤-٦٦.



وعذاب القبر، وهو عذاب البرزخ، ونَعِيمُهُ ينال مستَحِقَّهُ، سواء قُبِرَ أم لم يُقْبَر، أكلته السباع أو احترق، حتى صار رماداً ونسف في الهواء...<sup>(١)</sup>.

وما وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ من إجلال الميت واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن يفهم عن الرَّسُولِ ﷺ مُرَادُهُ من غير غُلُوٍّ ولا تقصير... لأن الدور ثلاث، لكل دار أَحْكَامٌ تخصها، وهي:

١ - دار الدنيا، وأَحْكَامُهَا عَلَى الْأَبْدَانِ، وَالْأَرْوَاحِ تَبَعاً لَهَا.

٢ - دار البرزخ، وأَحْكَامُهَا عَلَى الْأَرْوَاحِ، وَالْأَبْدَانِ تَبَعاً لَهَا.

٣ - دار القرار، وأَحْكَامُهَا عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ جَمِيعاً<sup>(٢)</sup>.

أما كَيْفِيَّةُ وُصُولِ الْعَذَابِ إِلَى مَنْ تَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهُ فِي التُّرَابِ أَوْ الْهَوَاءِ... فَإِنَّ الْعَذَابَ يَسْرِي فِي دَارِ الْبَرْزَخِ عَلَى الرُّوحِ، وَالْبَدَنُ تَبَعٌ لَهَا، وَلَيْسَ يَبْعِدُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِلرُّوحِ تَعْلَقاً بِأَجْزَاءِ الْبَدَنِ وَإِنْ تَبَاعَدَتْ، وَالْيَوْمَ نَرَى الْإِسْلَاطِيَّ وَالْبَثَ الْإِذَاعِي يَصِلُ إِلَى مُخْتَلَفِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي الْكُهْرِبَاءِ إِذْ تَصِلُ إِلَى أَمَاكِنَ مُتَبَاعِدَةٍ عِنْدَ فَتْحِ الصَّامِ الْمَخْصَصِ لِلْإِصْطِلَاقِ، وَتَصْرِفُ الرُّوحَ أَغْرَبَ وَأَعْجَبَ مِنْ هَذَا بكَثِيرٍ.

### حكم الإيمان بعذاب القبر:

عذاب القبر للكافر والفاسق حَقٌّ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ<sup>(٣)</sup>.

رقم ٢٤٦٠، ص ٤٠٢، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ. وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(١) الروح ص ٥٨.

(٢) الروح ص ٦٢-٦٣.

(٣) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ١٢٤ وَبَحْرُ الْكَلَامِ لِلنَّسْفِيِّ ص ١٦٠. وَانْظُرِ الرُّوَايَاتِ فِي ذَلِكَ فِي: شَرْحِ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٥ ص ٤٣٦ وما بعدها.

أثبت الجُبَّائِيُّ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَابْنَهُ وَابْنَهُ الْبَلْخِيَّ عَذَابَ الْقَبْرِ، لَكِنَّهُمْ نَفَوْهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَثْبَتُوهُ

واستدلوا على إثبات عذاب القبر بما يأتي:

١- قوله تعالى في آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ - غافر ٤٦. أي: قبل يوم القيامة وذلك في القبر، بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ - غافر ٤٦.

٢- قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَفْنَيْنِ﴾ - غافر ١١. فالمراد بالإماتتين والإحياءين في هذه الآية هو: الإماتة قبل مزار القبور، ثم الإحياء في القبر، ثم الإماتة فيه أيضاً بعد مسألة منكرو نكير، ثم الإحياء للحشر. قال المفسرون: والغرض بذكر الإحياءين أنهم عرفوا فيهما قدرة الله على البعث، ولهذا قالوا: فاعترفنا بذنوبنا، أي الذنوب التي حصلت بسبب إنكار الحشر، وإنما لم يذكر الإحياء في الدنيا، لأنهم لم يكونوا معترفين بذنوبهم في هذا الإحياء.

وذهب بعضهم إلى أن المراد بالإماتتين ما ذكر، وبالإحياءين الإحياء في الدنيا، والإحياء في القبر، لأن مقصودهم ذكر الأمور الماضية، وأما الحياة الثالثة أعني حياة الحشر فهم فيها، فلا حاجة إلى ذكرها.

وعلى هذين التفسيرين ثبت الإحياء في القبر<sup>(١)</sup>.

٣- قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ - طه ١٢٤.

قال أبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود: ضنكاً، أي: عذاب القبر.

---

لأصحاب التخليد من الكفار والفساق. / الروح لابن القيم ص ٥٨ ولَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٣ نَقْلًا عَنِ الرُّوحِ.

وأثبتته الإباضية. / مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ١٠٥.

وأثبتته الزيدية أيضاً. / الْمَعَالِمُ الدِّينِيَّةُ ص ١٢٣.

(١) الْمَوَاقِفُ وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣١٨. وانظر: الْمَقَاصِدُ وشرحه للتفتازاني ج ٥ ص ١١٢-١١٣ وَالْمَعَالِمُ الدِّينِيَّةُ ص ١٢٣ وَبَحْرُ الْكَلَامِ ص ١٦٣.

٤- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ - الطُّور ٤٧.

قيل: هو عذاب القبر، لأن الله ذكره عَقَبَ قوله: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْتَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ - الطُّور ٤٥، وهذا اليوم هو اليوم الآخر من الدنيا، فدل على أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر.

٥- قال تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ - التكاثر، يعني: في القبور.

٦- قال ﷺ: إنهم - أي: أهل القبور - يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا.

٧- حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ الْمُتَقَدِّمَانِ فِي أَدَلَّةِ سُؤَالِ الْقَبْرِ<sup>(١)</sup>.

وأنكر عذاب القبر: جَهَنَّمُ<sup>(٢)</sup>، والمُعْتَزِلَةُ<sup>(٣)</sup>، وضَرَارُ بْنُ عَمْرٍو، وبِشْرُ الْمَرْيَسِيِّ<sup>(٤)</sup>.

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ١١٣-١١٤ و ١٣٣ والروح ص ٥٣-٥٤ ولَوَاعِيعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٣٥-١٤.

حَدِيث: إنهم يُعَذَّبُونَ عَذَابًا... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨٠ كتاب الدَّعَوَات، ٣٧ باب التعوذ من عذاب القبر، رقم ٦٣٦٦، بهذا اللفظ، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٥ كتاب المساجد، ٢٤ باب استحباب التعوذ من عذاب القبر، رقم ٥٨٦، عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) التَّنْبِيْهِ وَالرَّدُّ ص ١٢٤ والتَّمْهِيدُ لِلْأَمِشِيِّ ص ١٢٠ وَبَحْرُ الْكَلَامِ ص ١٥٨.

(٣) الْإِبَانَةُ لِلْأَشْعَرِيِّ ص ٢٤٧ وَرَدَّهُ. وفي الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣١٧: أكثر المتأخرين من الْمُعْتَزِلَةِ. وفي التَّمْهِيدِ لِلْأَمِشِيِّ ص ١٢٠ وَالْمَقَاصِدِ وَشَرْحِهِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ ج ٥ ص ١١٣: بعض الْمُعْتَزِلَةِ. وفي بَحْرِ الْكَلَامِ ص ١٥٨: الْمُعْتَزِلَةُ وَالنَّجَّارِيَّةُ.

ولكن وَرَدَ فِي الْفَائِقِ فِي أَصُولِ الدِّينِ لِلْحَوَارِزْمِيِّ الْمُعْتَزِلِيِّ ص ٤٦٣: (أَمَّا عَذَابُ الْقَبْرِ فَقَدْ أَثْبَتَهُ أَصْحَابُنَا، وَحَكَى قَاضِي الْقُضَاةِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ ضَرَارًا أَنْكَرَ عَذَابَ الْقَبْرِ، فَنَسِبَ ذَلِكَ إِلَى أَصْحَابِنَا لِكثْرَةِ مَخَالَطَتِهِ لَهُمْ)، ثم أورد الأدلة.

(٤) الْمَوَاقِفِ ج ٨ ص ٣١٧. وإنكار ضَرَارٍ في: كَشَفُ الْمُرَادِ ص ٤٥٢.

## البعث (المعاد الجسماني) والنشور

### تعريفه

البعث: هو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور، بأن يجمع أجزاءهم الأصلية، ويعيد الأرواح إليها.

والنشور: يرادف البعث في المعنى، يقال: نشر الميت: إذا عاش بعد الموت. وأنشره الله: أي: أحياه<sup>(١)</sup>.

### الاختلاف فيه، وحكم الإيمان به

وقد اختلفوا في المعاد على قولين:

الأول: نفاه الطبيعيون<sup>(٢)</sup>، ذهباً إلى أن الإنسان هو هذا الهيكل المحسوس، الذي

(١) لوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ١٥٧-١٥٨.

(٢) حكى القرآن الكريم عقيدة (الدَّهْرِيِّينَ) أو (الطَّبِيعِيِّينَ) المتمثلة بإنكارهم الحساب والجنة والنار، فقال: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ - الجاثية ٢٤.

وهؤلاء يرون بطلان الأديان كافة، وعدوها أوهاماً، فترتب على هذا ما يأتي:

١- أنكروا أن الإنسان أشرف المخلوقات، بل هو أخس من البهائم خلقةً، وأدنى منها فطرةً. وما يفتخر به من الصنائع، فإنها أخذه بالتقليد عن الحيوانات، فالنسيج أخذه من العنكبوت، والبناء من النحل، وإدخار القوت من النمل، والموسيقى من البلبل ....

وأنكروا أن تكون أمة محمد ﷺ أشرف الأمم، فليست هي أولى من غيرها بفضيلة أو

مزية.

٢- وأنكروا بعث الإنسان في اليوم الآخر، ليحاسب على ما اقترف في الدنيا.

يفنى بصورته وأعراضه فلا يعاد<sup>(١)</sup>. وهم لم يروا بأعينهم ميتاً بُعث حياً، وحكى لهم ما جرى له بعد موته.

الثاني: أثبتة الحكماء والمليّون<sup>(٢)</sup>.

قال ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة: مَعَادُ الْأَبْدَانِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى<sup>(٣)</sup>.

وقال الْجَلَالُ الدَّوَّانِيُّ: المعاد الجسماني يجب الاعتقاد به، ويكفر منكره، وهو حق بإجماع أهل الملل الثلاث (أي: المسلمون واليهود والنصارى)، وشهادة نصوص القرآن في المواضع المتعددة، بحيث لا يقبل التأويل<sup>(٤)</sup>.

حيث توعّد منكري البعث واليوم الآخر بالعذاب الأليم لكفرهم، قال تعالى:

﴿وإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ نَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - الرعد ٥.

٣- وأوجبوا إزالة الحياء والأمانة والصدق، وعُرِيَ الدِّين من التفريق بين الحلال والحرام، يقول ابيقور الدهري: إذا كان هذا شأن الإنسان من النقص عن الحيوانات فالأولى أن لا يَغْتَرَّ بأن في الآخرة ثواباً وعقاباً، ويحرم نفسه في هذه الدنيا من حظوظ اللذة، ويقيد نفسه بأوهام الحلال والحرام، واللائق وغير اللائق، والحياء والصدق والأمانة، وغيرها من الأمور الوضعية التي تَقَيِّدُ بها الناس جهلاً ولم يَتَقَيَّدْ بها الحيوان والبُهم.

انظر: مُقَدِّمَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدَ عَبْدَهُ لِرِسَالَةِ إِبْطَالِ مَذْهَبِ الدَّهْرِيِّينَ لِلسَّيِّدِ جَمَالِ الدِّينِ الْأَفْغَانِيِّ. وَذَلِكَ فِي كِتَابِ (خَاطِرَاتِ جَمَالِ الدِّينِ الْأَفْغَانِيِّ الْحُسَيْنِيِّ) ص ٢٨٩-٢٩٢.

(١) الْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ٨٨-٨٩.

(٢) الْمَقَاصِدُ وَشَرْحُهُ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ السَّابِق.

(٣) الرُّوحُ لَابْنِ الْقَيِّمِ ص ٥٢ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٥٧ نَقْلًا عَنْهُ.

(٤) شَرْحُ الْعَقَائِدِ الْعَصْدِيَّةِ لِلدَّوَّانِيِّ ج ٢ ص ٢٤٧ وَحَاشِيَةُ الْكَلَنْبَوِيِّ عَلَيْهِ، وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٥٨ نَقْلًا عَنْهُ.

وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ﴾ - المؤمنون ٧٤<sup>(١)</sup>.

ولكن اختلفوا في كفيته على أقوال هي:

الأول: المَعَاد روحاني فقط، وهو قول الفلاسفة لأن البدن ينعدم بصوره وأعراضه، فلا يعاد. والنفس جوهر مجرد باقٍ لا سبيل إليه للفناء، فيعود إلى عالم المجردات بقطع التعلقات.

الثاني: المَعَاد جسماني فقط، وهو قول جُمهُور المُسْلِمِينَ، لأن الروح جسم سارٍ في البدن سريان النار في الفحم والماء في الورد.

الثالث: روحاني وجسماني معاً، وهو قول الغزالي والكعبي والحليمي والراغب وأبي زيد الدبوسي، ذهاباً إلى أن النفس جوهرٌ مُجَرَّدٌ يعود إلى البدن. وهو رأي كثير من الصوفيّة والشيعيّة والكرامية وجمهُور النَّصَارَى والتناسخية<sup>(٢)</sup>.

### أدلة وقوعه

واستدل أهل الحق على أن المَعَاد الجسماني حق بالمنقول والمعقول.

فمن المنقول:

١- من الكتاب العزيز قوله تعالى:

(١) وانظر الآيات أيضاً: النحل ٦٠ والإسراء ٤٩-٥١ و٩٧-٩٩ ومريم ٦٦-٦٨ والحج ٥-٦ والمؤمنون ٨١-٨٣ والنمل ٤-٥ و٦٦-٦٧، والجنّة ٢٤ والتغابن ٧.

(٢) شرح المقاصد للتفتازاني ج ٥ ص ٨٩-٩٠ وذكر بعد ذلك: قال الإمام الرازي: إلا أن الفرق: أن المُسْلِمِينَ يقولون بحدوث الأرواح وردّها إلى الأبدان لا في هذا العالم بل في الآخرة. والتناسخية يقدمها وردّها إليها في هذا العالم، وينكرون الآخرة والجنة والنار... والتناسخية إنما يكفرون لإنكارهم القيامة والجنة والنار، والنصارى لقولهم بالتثليث. وانظر: المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٢٩٧.

أ- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ - النحل

٣٨.

ب- ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لُنُبِيعٌ﴾ - التغابن ٧.

ج- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ - المؤمنون ١٦.

د- ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ - يس ٥١.

هـ- ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ - الإسراء ٥١.

و- ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ - الأعراف ٢٩.

ز- ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا﴾ - الأنبياء ١٠٤.

ح- ﴿فَاحْيِنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ - فاطر ٩.

ط- ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ - يس ٧٨-٧٩<sup>(١)</sup>.

قال ابن أبي العزّ: فاحتج الله تعالى بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم علماً ضرورياً أن من قَدَرَ على هَذِهِ قَدَرَ على هَذِهِ، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز.

ولما كان الخلق يَسْتَلْزِمُ قدرة الخالق على مخلوقه، وعلمه بتفاصيل خلقه، أَتَبَعَ ذَلِكَ بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ - يس ٧٩، فهو عَلِيمٌ بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته، فكذلك الثاني، فإذا كان تامّ العلم، كَامِلُ القدرة، كيف يتعذر عليه أن يُحْيِيَ العظام وهي رَمِيمٌ؟

ثم أَكَّدَ بأخذ الدلالة من الشيء الأَجَلِّ الأعظم على الأيسر الأصغر، فإن كُلَّ عاقل يعلم أن مَنْ قَدَرَ على العَظِيمِ، فهو على ما دونه بكثير أَقْدَرُ وأَقْدَرُ...: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي

(١) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٥٧-١٥٩.

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدْرِ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ - يس ٨١<sup>(١)</sup>.

ي- الأوامر والنواهي في القرآن الكريم كثيرة:

فمن الأوامر: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ - البقرة ٤٣ و ٨٣ و ١١٠.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ - الحج ٧٨... الخ.

ومن النواهي: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ - الحجرات ١٢.

وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ -

المائدة ٩٠.

وهذه الأحكام لا اختيار فيها للمسلم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ - الأحزاب ٣٦.

وقد حذر الله تعالى الناس من مخالفة أمره ونهيه بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ - النور ٦٣.

وبناءً على ما تقدّم من الأوامر والنواهي ونفي الاختيار في أحكامه تعالى والتحذير من مخالفة أمره، لا بد من ترتيب العقوبات البدنية على الفجار العصاة والنعم للمؤمنين، وهذا ما اقتضاه عدله وحكمته وكماله المقدس.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ - سبأ ١٢.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا ۖ ﴿٣٣﴾ وَكَأْسَادٍ هَاقًا ۖ ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ۖ ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۖ ﴿٣٦﴾﴾ - النبأ.

وهذا واضح في أنه ليس مجرد تهديد ووعيد، بل يعني أن المعاد أمر ضروري، لا مفر من القول به.

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٥٩٤-٥٩٥. وانظر: نهاية الإقدام ص ٤٦٨ وعقائد الإمامية ص ١٢٦.



## ٢- ومن الحديث الشريف:

أ- عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: (إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا).

وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ - الأنبياء ١٠٤ (١).

ب- عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَظْمٍ حَائِلٍ، فَفَتَّهَ بِيَدِهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يُحْيِي اللَّهُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمَ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا، ثُمَّ يَمِيتُكَ، ثُمَّ يُحْيِيكَ، ثُمَّ يَدْخُلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ. فَنَزَلَتِ الْآيَاتُ مِنْ آخِرِ سُورَةِ يَس: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ ٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ ٧٩ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْشَأْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ۝ ٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝ ٨١ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝ ٨٢ فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ ٨٣﴾.

وهذا نص صريح في الحشر الجسائي، يقلع عرق التأويل بالكلية.

## ٣- وعليه إجماع سلف الأمة.

(١) لَوَاعِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٥٩.

الغُرْل: بضم الغين وإسكان الراء، جمع أغرل، وهو الأكلف.

وحديث: إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٤٥ باب كيف الحشر، رقم ٦٥٢٥.

وحديث: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَحْشَرُونَ... إلخ، في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ٥١ كتاب الجنة وصفة نعيمها، ١٤ بَيَانُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانُ الْحَشْرِ، رقم ٢٨٦٠ (٥٨).

## ومن المَعْقُول:

١- أن الأنبياء تأتي بما تدركه العُقُول، أو تتحير فيه، ولا تأتي بما تحيله العُقُول أبداً. والمعاد ممكن لأنه: إما إيجاد ما انعدم، أو جمع ما تفرق، أو إحياء بعدما أُميت. وهذه كلها ممكنة لا إحالة في ذلك. وأخبار الأنبياء والكتب السماوية وخاصة القرآن الكريم كثيرة جداً.

٢- الأصل فيما لا دليل على وجوبه ولا على امتناعه هو الإمكان كما يقول الحكماء والمتكلمون: من أن كل ما قرع سمعك من الغرائب قَدْرُه في حَيِّزِ الإمكان، ما لم يردك عنه قائم البرهان، فمن زعم عدم إعادة المَعْدُوم، ألزم بالمبدأ، فإن المبدأ مثل المَعَاد، بل هو عينه أو أيسر - كما مر - وهو لا يخفى على العاقل الحصيف<sup>(١)</sup>.

وعليه فإن المَعَاد الجسماني حق واقع، فصانع الساعة إذا جَزَّأها إلى أجزائها الصَّغِيرَةِ هو قَادِرٌ على إعادتها إلى ما كانت عليه، متقنة، تضبط الوقت بدقة، ولا يستطيع أَحَدٌ إنكار ذلك، فالشك في البعث (الخلق الثاني) هو شك في قدرة الله تعالى على الخلق الأول، وفي كونه عِلَّةَ الوجود.

لا سِيَّما إذا علمنا أن جسم الكائن الحي يتجدد ما بين وقت وآخر، فجسم الإنسان يستهلك حوالي ١٢٥ مليون خلية في الثانية الواحدة، ويحيا مثل هذا القدر محلها، وهذا يعني أن جسم الإنسان في تجدد ودورة مستمرة، من موت إلى حياة، وحياة إلى موت، قال تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ - الرُّوم ١٩، فجسم الإنسان يموت ويحيا في كل لحظة، فالقَادِرُ على إحيائه وإماتته على مرأى من العين في الدنيا،

(١) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٥٨-١٥٩، وفيه:

حَدِيث: جاء العاص بن وائل إلى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ... إلخ، أَخْرَجَهُ ابن جَرِيرٍ وابن الْمُنْذِرِ وأبو حَاتِمٍ والإِسْمَاعِيلِيُّ في مُعْجَمِهِ والحافظ الضَّيَّاء في الْمُخْتَارَةِ وابن مَرْدَوَيْهِ والْبَيْهَقِيُّ في الشُّعَبِ.

قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَائِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي حَيَاةٍ أُخْرَىٰ.

وهناك صورة أُخْرَىٰ حَيَّةٌ تُمَثِّلُ لَنَا هَذَا الْإِحْيَاءَ: يَأْتِي الْخَرِيفُ فَيَجْرِدُ أَوْرَاقَ الْأَشْجَارِ... ثُمَّ تَعُودُ الْحَيَاةُ فِيهَا فِي الرَّبِيعِ، وَيَنْزِلُ الْمَاءُ عَلَى الْيَابَسَةِ الْجُرْدَاءِ فَتَهْتَزُّ بِالنَّبَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا نَبَأَتْ بِكَ بَلَدَةٌ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ - ق ١١.

## السَّاعَةُ

### تعريف يوم الساعة

هُوَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْعَظِيمُ الرَّهِيبُ، الَّذِي يَضْطَرِبُ فِيهِ الْعَالَمُ، وَيُفْسِدُ نِظَامُهُ، فَتَهْلِكُ جَمِيعُ الْأَحْيَاءِ.

### أَسْمَاؤُهُ

وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَسْمَاءٌ عَدِيدَةٌ مِنْهَا: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، يَوْمُ الدِّينِ، الطَّامَّةُ، الْحَاقَّةُ، الْغَاشِيَةُ، الْوَاقِعَةُ، الْقَارِعَةُ، الصَّاحَّةُ... .

### السَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا

نَفَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الرَّيْبَ وَالشَّكَّ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَكَّدَ فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ أَنَّ الْقِيَامَةَ آتِيَةٌ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّ مَاتُوا عَدُونَ لَأَنَّا وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ - الْأَنْعَامُ ١٣٤.

﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَنبَاءٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ - الْحَجَرُ ٨٥<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا مَا يَقْرَرُهُ الْعِلْمُ الْحَدِيثُ، يَقُولُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ جَمَالُ الدِّينِ الْفَنْدِي: (يُؤَكِّدُ

(١) وانظر الآيات في: طه ١٥، والحج ٧، والرُّوم ٤٣، وسَبَأُ ٣، والجنَّة ٣٢.

عُلَمَاءُ الْفَلَكَ جَمِيعاً أَنَّ الشَّمْسَ، كَأَيِّ نَجْمٍ آخَرَ، لَا بَدَّ أَنْ يَعْتَرِيهَا ازْدِيَادٌ مَفَاجِئٌ فِي حَرَارَتِهَا وَحَجْمِهَا وَإِشْعَاعِهَا بِدَرَجَةٍ لَا تَصْدُقُهَا الْعُقُولُ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَمَدَّدُ سَطْحُهَا الْخَارِجِي بِمَا حَوَى مِنْ لَهَبٍ وَدُخَانٍ حَتَّى يَصِلَ الْقَمَرُ، وَيَخْتَلُ تَوَازُنُ الْمَجْمُوعَةِ الشَّمْسِيَّةِ كُلِّهَا، وَكُلَّ شَمْسٍ فِي السَّمَاءِ لَا بَدَّ أَنْ تَمُرَ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ قَبْلَ أَنْ تَحْصَلَ عَلَى اتِّزَانِهَا الدَّائِمِ، وَلَمْ تَمُرْ شَمْسُنَا بِالذَّاتِ بِهَذَا الدَّورِ بَعْدَ<sup>(١)</sup>.

وَالظَّاهِرَةُ الْأَوَّلَى الَّتِي تَنْذِرُنَا بِإِمْكَانِ الْقِيَامَةِ هِيَ الزَّلَازِلُ، فَبَطْنُ الْأَرْضِ شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ تَوْثُرُ عَلَى ظَهَرِهَا بِشَكْلِ بَارِزٍ، فِيمَا أَنْ تَتَفَجَّرَ الْأَرْضُ بِالْحَمَمِ الْبِرْكَانِيَّةِ الْمَدْمَرَةِ، وَإِمَّا أَنْ تَوْثُرَ الزَّلَازِلُ الرَّهْبِيَّةُ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ رَغْمَ تَقَدُّمِ الْعِلْمِ وَالتَّكْنُولُوجِيَا، إِذْ لَا يَمْلِكُ إِزَاءَهَا شَيْئاً، فَكَثِيراً مَا طُمِسَتْ مَدَنٌ بِأَكْمَلِهَا، أَوْ تَسَاقَطَتْ الْجُدُرَانِ بِصَوْتِ مَرْعَبٍ، وَلَقِيَ الْمَلَائِينَ مِنَ النَّاسِ مَصْرَعُهُمْ خِلَالَ ثَوَانٍ مَعْدُودَاتٍ، كَمَا حَدَثَ فِي الصِّينِ وَالْهِنْدِ وَالْبَرْتَغَالِ...، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَنَبَّأَ بِمَوْعِدِهَا، بَلْ تَأْتِيهِ بَغْتَةً، حَتَّى قَالَ عَالِمُ الْجُغَرَفِيَّةِ جُورْجِ جَامُوفُ: (نَحْنُ وَاقِفُونَ عَلَى ظَهَرِ لَغَمٍ - دِينَامِيَّتٍ - عَظِيمٍ، وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَنْفَجِرَ فِي أَيِّ وَقْتٍ، لِيَدْمَرَ النِّظَامَ الْأَرْضِيَّ بِأَكْمَلِهِ).

أَلَيْسَتْ تِلْكَ قِيَامَةٌ صَغْرَى؟

هَذَا شَأْنُ الْأَرْضِ، أَمَّا حَالُ الْكَوْنِ فَفِيهِ الْأَجْرَامُ السَّمَاوِيَّةُ وَالنُّجُومُ الْجَبَّارَةُ الْعَظِيمَةُ أَشْبَهُ مَا تَكُونُ بِمَلَائِينَ الْقَاذِفَاتِ لِلْقَنَابِلِ النَّوَوِيَّةِ، تَسِيرُ فِي الْفَضَاءِ بِسُرْعَةٍ خَارِقَةٍ، وَلَيْسَ

(١) اللَّهُ يَتَجَلَّى فِي عَصْرِ الْعِلْمِ ص ١٦٥. وَانْظُرْ فِيهِ: أَقْوَالُ الدَّكْتُورِ فِرَانِكِ الْن ص ٥ وَالدَّكْتُورِ أَيْرْفَنْجِ وَليَامِ نوباوْتَشْ ص ٥٣ وَالْأُسْتَاذِ كَلُودِ م. هَاثَاوِي وَنِيُوتِنِ وَبُولْتِزْمَانِ ص ٩٠-٩١، وَكُلُّهَا تَوْيِيدٌ مَا ذَكَرْنَاهُ.

قَالَ الدَّكْتُورُ ادْوَارْدُ لُوْتِرْ كَيْسِيلُ: (هِنَالِكَ انْتِقَالُ حَرَارِيٍّ مُسْتَمَرٍّ مِنَ الْأَجْسَامِ الْحَارَةِ إِلَى الْأَجْسَامِ الْبَارِدَةِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْدُثَ الْعَكْسُ بِقُوَّةٍ ذَاتِيَّةٍ... وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْكَوْنَ يَتَجَهَّ إِلَى دَرَجَةٍ تَتَسَاوَى فِيهَا حَرَارَةُ جَمِيعِ الْأَجْسَامِ، وَيَنْضَبُ فِيهَا مَعِينُ الطَّاقَةِ، وَيَوْمِئِذٍ لَنْ تَكُونَ هِنَالِكَ عَمَلِيَّاتٌ كِيمَاوِيَّةٌ أَوْ طَبِيعِيَّةٌ، وَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَثَرٌ لِلْحَيَاةِ نَفْسِهَا فِي هَذَا الْكَوْنِ). / اللَّهُ يَتَجَلَّى فِي عَصْرِ الْعِلْمِ ص ٢٧.

بِغَرِيبٍ مُطْلَقاً - كما قرر عُلَمَاءُ الْفَلَكَ - أن تصطدم هُذِهِ الْأَجْرَامُ، فيتبدد هَذَا النُّظَامُ بِأَكْمَلِهِ، وينفطر عقده.

وما رؤيتنا القيامة بصورتها الأولية إِلَّا دليل واضح على أنها في حد الإمكان، وأنها آتية غداً لا ريب فيها<sup>(١)</sup>.

### علم الساعة عند الله

أخفى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعِلْمُ بِمَوْعِدِ السَّاعَةِ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ، فلا يعلمها مَلَكٌ أَوْ نَبِيٌّ أَوْ أَيُّ فَرْدٍ مِنَ النَّاسِ، وهذا رد على دعوى بعض الجهلة أو الدجالين أن موعدها السنة الفُلَانِيَّةُ أَوْ الْيَوْمُ الْفُلَانِيُّ ...

وإنما أخفاها اللهُ تَعَالَى لِأَنَّهُ أَصْلَحُ لِلْعِبَادِ، لئلا يتباطؤوا عن التوبة والتأهب والاستعداد لليوم الآخر، كما أن إخفاء وقت الموت أصلح لهم<sup>(٢)</sup>.

وقد ذكر القرآن الكريم ذَلِكَ في آيات عديدة منها:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ - الأعراف ١٨٧.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ - لقمان ٣٤<sup>(٣)</sup>.

وفي حَدِيثِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ: سَأَلَ جَبْرِيلُ الرَّسُولَ ﷺ: (متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السَّائِلِ)<sup>(٤)</sup>.

(١) الإسلام يتحدث ص ٧٤-٧٦.

(٢) لَوَاعِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٦٦.

(٣) وانظر الآيات: الأحزاب ٦٣، وفُصِّلَتْ ٤٧، والزخرف ٨٥، والنازعات ٤٢-٤٦.

(٤) حَدِيثُ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. رواه الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ. / اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ص ٢. وَتَقَدَّمَ عِنْدَ كَلَامِنَا عَنِ الْإِسْلَامِ.

## مَجِيءُ السَّاعَةِ بَغْتَةً

مَجِيئُهَا بَغْتَةً، وَسُرْعَةُ قِيَامِهَا كَرَجْعِ الطَّرْفِ مِنْ أَعْلَى الْحَدَقَةِ إِلَى أَسْفَلِهَا أَوْ هُوَ أَقْرَبُ.

قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ - النحل ٧٧.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ - الأنبياء ٤٠ (١).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللَّقْحَةَ، فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَى فِيهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوبَ، فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ حَتَّى تَقُومَ، وَالرَّجُلُ يَلِطُ فِي حَوْضِهِ، فَمَا يَصْدُرُ حَتَّى تَقُومَ) (٢).

## يَوْمُ تَقُومُ السَّاعَةُ لَا يَقْبَلُ إِيمَانٌ مِنْ كَافِرٍ وَلَا مَعْذَرَةٌ

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ لَنْظُرُوا أَنَا مُنْظَرُونَ﴾ - الأنعام ١٥٨.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ - الرُّوم ٥٧.

(١) وانظر الآيات: الأنعام ٣١، ويوسف ١٠٧، والحج ٥٥، والزخرف ٦٦، ومحمد ١٨.

(٢) اللَّقْحَةُ: القرية العهد بالولادة من الإبل والغنم.

يَلِطُ: يطئن ويُصْلِحُ.

وَحَدِيثُ: تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ ... إلخ، في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ٥٢ كتاب الفتن، ٢٧ باب قرب الساعة، رقم ٢٩٥٤، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن أنكر الساعة فهو معتد أثيم ونصيبه الخسران المبين في جهنم:

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ - الفرقان ١١.

وقال سُبحَانَهُ: ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ - الشُّورَى ١٨.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ - المطففين.

### أشراط الساعة

أَخْبَرَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنَّ السَّاعَةَ قَدْ اقْتَرَبَ مَوْعِدُهَا، فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا:

قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ - الأنبياء ١.

وقوله سُبحَانَهُ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ - القمر ١<sup>(١)</sup>.

كما أَخْبَرَنَا بِأَنَّ أَشْرَاطَهَا - أي: علاماتها - قد جاءت:

قال سُبحَانَهُ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ - مُحَمَّد ١٨.

وهذا يفيد أن ما بقي من عُمر العالم هو أقل مما مر.

ومن علاماتها التي أَخْبَرَنَا بِهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: عِمْرَانُ الْأَرْضِ، وَالتَّحَدُّمُ الْعِلْمِيّ بِحَيْثُ يُعْتَقَدُ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى التَّغْيِيرِ بِإِرَادَتِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ﴾ - يُونُس ٢٤.

(١) وانظر: الشُّورَى ١٧، والنَّجْم ٥٧.

وقد بين الرُّسُولُ الصَّادِقُ أمارات الساعة بأَحَادِيث كثيرة جداً منها:

عن حُذَيْفَةَ بنِ أَسِيدِ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (قال: أَطْلَعَ النَّبِيُّ ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تروُنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فذكر: الدُّخَانُ، والدَّجَالُ، والدَّابَّةُ، وطلُوعُ الشمس من مَغْرِبِهَا، ونُزُولُ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وثلاثة خُسُوف: خَسَفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسَفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسَفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ: نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مُحْشَرِهِمْ).

هَذِهِ الْآيَاتُ الْعِظَامُ لَانْتِهَاءِ الدُّنْيَا وَانْقِضَائِهَا.

وقد وردت أَحَادِيث تشير إلى أن من علامات الساعة:

بعثة النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ، وموته، وفتح بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ورفع الْعِلْمِ، وَغَلَبَةُ الْجَهْلِ، واستيلاء أَهْلِهِ، وكثرة الزَّنا، وشرب الخمر، وقلة الرِّجَالِ، وكثرة النساء، وضياع الأمانة، وإضاعة الصلاة، وأكل الربا، وإطالة البنيان، وزخرفة المساجد، وإمارة الصبيان، ولعن آخر الأُمَّة أولها، وكثرة الْهَرَجِ (القتل)، ونُزُولُ الْفِتَنِ كَمَوَاقِعِ الْقَطَرِ، وكثرة البلاء حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيَتَمَنَّى أن يكون مكان الميت من كثرة البلاء، وهلاك هَذِهِ الأُمَّة بعضهم ببعض....

فهذه العلامات قد تحقق بعضها، وبقي الآخر في طي الغيب يكشفه مر الدهور وتتابع الأيام. وإخباره بها دليل على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>.

فعلينا أن نعتقد ونصدق بخبر الرُّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ، فكما أن بعض هذه العلامات

(١) راجع تفصيل هذه الأَشْرَاطِ وَالْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِيهَا فِي: التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ، وَلَوَاعِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢.

وَحَدِيثُ: أَطْلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٥٢ كتاب الفتن وأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، ١٣ باب فِي الْآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ، رَقْم ٢٩٠١ (٣٩).



قد تحقق، فإن بقيتها ستتحقق لا مَحَالَة. قال الْقُرْطُبِيُّ:

(قال الْعُلَمَاءُ: والحكمة في تقديم الأشرار، ودلالة الناس عليها، تَنْبِيْهُ الناس على رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة، كي لا يباغتوا بالحوادث بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشرار الساعة قد نظروا لأنفسهم، وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها)<sup>(١)</sup>.

### أهوال الساعة

يرسم الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ليوم القيامة مَشَاهِدَ الفظاعة، وهول المنظر، والبؤس، والشقاء، والخوف الذي يلقيه من كفر به، بصورة مروعة مرهبة:

قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝ (٢)﴾ - الحج.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۝ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝ (٢١) لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكُشِفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمْ فَبَصَرُكُمُ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝ (٢٢)﴾ - ق<sup>(٢)</sup>.

والهول يشمل الأرض والسماء والحيوان والإنسان والصغار والكبار والجنة والنار، وكلها في موقف الانتظار والرهبة.

قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ (٤) وَإِذَا الْخُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ (٧) وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ۝ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ۝ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ (١١) وَإِذَا

(١) التَّذْكِرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٦٢٤.

(٢) حديد: نافذ، لزوال المانع للإبصار.

الْجَحِيمِ سَعَرَتْ ﴿١٣﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴿ - التكوير (١) .

هول ترتجف له الأرض، وتندك الجبال، وتنفطر السماء، وتتفرق الجموع، ويشيب الولدان، وكلُّ منشغل بنفسه، وهو: إما مُؤْمِنٌ مستبشر، وإما فاجر خيم عليه الذل والعبوس، يرسم ذلك القرآن الكريم في صور حية شاخصة، تترأى للقارئ، فيتملاها، ويهتز لها الوجدان:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِيلًا﴾ - المزمّل ١٤.

وقال سبحانه: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ﴿ - المزمّل ١٧ -

١٨.

وقال تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا غِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٧﴾﴾ - طه.

(١) التكوير: لف ضوء الشمس، فذهب انبساطه في الأفق، وزال أثره.

انكدرت: زالت وانقضت، أو أظلمت.

العشار: التوق اللاقي مضى على حملهن عشرة أشهر.

عطلت: تركت مُهْمَلَةً.

حشرت: جمعت.

سجرت: فجرت حتى تصير بحرًا واحدًا، أو تفجرت بالنار من باطن الأرض، أو تحت شرر كهربائي شديد، كما يحدث في البراكين.

زوجت: أي قرنت النفوس بالأبدان أو كل منها بشكلها، أو بكتابها وعملها.

وإذا الصحف نشرت: صحف الأعمال، فإنها تطوى عند الموت، وتشر عند الحساب.

كشطت: قلعت وأزيلت، كما يكشط الإهاب عن الذبيحة.

أزلفت: قربت من المؤمنين.

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ، وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ - الأنبياء ١٠٤.

وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ۚ﴾ - القارعة.

وقال جَلَّ وَعَزَّ: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۖ (٣٥) وَصَجِيهِ وَبَنِيهِ ۖ (٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۖ (٣٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۖ (٣٨) ضَاخِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۖ (٣٩) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۖ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۖ (٤١) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۚ﴾ - عبس.

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ (١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۖ (٢) وَجِئَاءَ يَوْمَئِذٍ يُؤْمِرُ بِحُكْمِهِ يُنْذِرُ الْإِنْسَانَ أَذَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ۖ (٣) يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي ۖ (٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ۖ (٥) وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدًا ۖ (٦)﴾ - الفجر (١).

## الصُّور

### تعريفه

هو قَرْنٌ كالبُوق، ينفخ فيه إسرافيل، حين يأذن الله تعالى بقيام الساعة.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جاء أعرابي إلى النَّبِيِّ ﷺ، فقال ما الصُّور؟ قال: قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه (٢).

قال مُجَاهِد: الصُّور كالبُوق، ذكره البُحَارِيُّ.

(١) انظر هذه الصور وأمثالها في كتاب: مشاهد القيامة في القرآن لسيد قطب.

(٢) حَدِيث: قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه، في: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ في: ٣٤ كتاب صفة القيامة، ٨ باب ما جاء في شأن الصُّور، رقم ٢٤٣٠، ص ٣٩٨، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

## عدد النفخات

اختلفوا في عدد النفخات على قولين:

القول الأول: ثلاث نفخات: وهو اختيار ابن العربي وغيره.

النفخة الأولى: وهي نفخة الفزع، وهي التي يتغير بها هذا العالم، ويفسد نظامه، فيفزع أهل السماوات والأرض لشدة هولها، فتذهل المراضع، وتشيب الولدان، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهُمِنْ فَوَاقٍ﴾ - ص ١٥.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ - النمل ٨٧.

النفخة الثانية: وهي نفخة الصَّعْق، وفيها هلاك كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ - الزمر ٦٨. وفسروا الصَّعْق بالموت.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضَيْنِ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ)<sup>(١)</sup>.

النفخة الثالثة: وهي نفخة البعث والنُّشُور والقيام لرب العالمين.

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوكَ﴾ - يس ٥١.

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ - الزمر ٦٨.

القول الثاني: نفختان. ونفخة الفزع هي نفخة الصَّعْق، لأن الأمرين لازمان لها،

(١) حَدِيث: يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ... إلخ، في: صَحِيح مُسْلِمٍ في: أول ٥٠ كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٨، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أي: فرعوا فزعاً ماتوا منه، وهو الذي صَحَّحَهُ الْقُرْطُبِيُّ، بدليل:

أ- حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ. قَالُوا يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ أَبَيْتُ...<sup>(١)</sup>.

ب- رَوَايَةُ ابْنِ الْمُبَارَكِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، الْأُولَى: يَمِيتُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا كُلَّ حَيٍّ، وَالْآخِرَى: يُحْيِي اللَّهُ بِهَا كُلَّ مَيِّتٍ).

ج- الاستثناء (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) الوارد في الآيتين: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ - الزُّمَرُ ٦٨، و﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ ذَخِيرِينَ﴾ - النَّمْلُ ٨٧، دال على أنها وَاحِدَةٌ.

قال الحَلِيمِيُّ: اتفقت الروايات على أن ما بين النفختين أربعون عاماً، بدليل الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ.

قال الْمُفَسِّرُونَ: المنادي هو إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينفخ في الصُّور<sup>(٢)</sup>.

(١) أي: أَبَيْتُ أَنْ أَجْزِمَ أَنَّ الْمُرَادَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا أَوْ سَنَةً، بل الذي أَجْزَمَ أَنَّهَا أَرْبَعُونَ مُجْمَلَةً.

وَحَدِيثُ: مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ... إلخ، في: صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٥٢ كتاب الفتن، ٢٨ باب ما بين النفختين، رقم ٢٩٥٥، بهذا اللفظ.

وفي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ بلفظ مقارب في: ٦٥ كتاب التفسير - سورة الزُّمَرِ، ٤ باب ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، رقم ٤٨١٤. و٦٥ كتاب التفسير - سورة عم يتساءلون، ١ باب ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾، رقم ٤٩٣٥.

(٢) لَوَاعِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٦١ وما بعدها، والتَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ١٦٥-١٨٥.

## الحشر

## تعريفه وأدلته

الحشر في أصل اللُّغة: الجمع<sup>(١)</sup>، يقال: حشرت الناس إذا جمعتهم. والمقصود من حشر الآخرة هو:

١ - حشر الأموات من قبورهم بعد البعث جميعاً. أي: جمع أجزاء الميت بعد التفرقة<sup>(٢)</sup>، ثم إحياء الأبدان بعد موتها. وهذا يرادف البعث والنشور في المعنى.

قال تعالى: ﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ مُحْيِيٌّ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ - ق.

سراعاً: أي إلى المنادي صاحب الصُّور.

يسير: هين سهل.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بِيضَاءَ عَفْرَاءٍ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ)<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيباً بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَحْشَرُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرُلًا). ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا

(١) القَامُوسُ الْمُحِيطُ مادة (حشر).

(٢) انظر الخلاف بين المتكلمين: هل الحشر هو إيجاد بعد فناء؟ أو جمع بعد تفرق؟ مع بَيَانِ الأدِلَّةِ فِي الْمَقَاصِدِ وَشَرْحِهِ لِلتَّفَتَّازَانِيِّ ج ٥ ص ١٠٠-١٠٧.

(٣) حَدِيثٌ: يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ٥٠ كتاب صفات المنافقين، ٢ باب فِي الْبَعْثِ وَالنَّشُورِ، رَقْم ٢٧٩٠، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ.

عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ - الأنبياء ١٠٤<sup>(١)</sup>.

٢- حشرهم إلى موقف الحساب، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ - الكهف ٤٧.

٣- حشرهم إلى الجنة والنار، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ - مريم ٨٥، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ - طه ١٠٢. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ - الفرقان ٣٤<sup>(٢)</sup>.

وقال بعضهم: إن الحشر إذا أُطلق يراد به شرعاً الحشر من القبور ما لم يخصه دليل<sup>(٣)</sup>.

فإذا قيل:

إن كانت الصيحة للخروج - في الآية: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ - سورة ق ٤٢ - فكيف يسمعونها وهم أموات؟

أجيب: بأن نفخة الإحياء تمتد وتطول، فتكون أوائلها للإحياء وما بعدها للإزعاج من القبور، فلا يسمعون ما يكون للإحياء، ويسمعون ما كان للإزعاج.

ويحتمل: أن تتناول تلك النفخة، والناس يحيون منها أولاً فأولاً، وكلما حيا واحد سمع ما يحيي به من بعده، إلى أن يتكامل الجميع للخروج<sup>(٤)</sup>.

(١) حَدِيث: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَحْشَرُونَ... إلخ، في: صَحِيح مُسْلِم في: ٥١ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ١٤ باب فناء الدنيا وبيان الحشر، رقم ٢٨٦٠ (٥٨).

(٢) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٢٠١ وما بعدها، وَلَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) لَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٥٥.

(٤) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٢٠٢.

## حكم الإيمان به

الإيمان به واجب، للنصوص الواردة فيه. وهذا ما هو عليه أهل السنة وجُمهُور المُعْتَرِكة<sup>(١)</sup>.

وأنكره الفلاسفة<sup>(٢)</sup>، والملحدة<sup>(٣)</sup>.

## العرض والحساب

## العرض

إذا بُعث الناس من قبورهم إلى الموقف، وقاموا فيه ما شاء الله، يُعرضون على الله تعالى. قال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۚ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ۚ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ۚ ﴿١٨﴾ - الحاقة.

وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴿٤٨﴾ - الكهف.

وقال سبحانه: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۚ ﴿٤٩﴾ - الكهف.

(١) شرح الجوهرة للباجوري ص ٢٧٧.

(٢) المواقف ج ٨ ص ٢٩٤.

(٣) شرح الجوهرة للباجوري السابق.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٦٠٠-٦٠١.



وَعَرَّضَ النَّاسَ هَذَا يَكُونُ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، بَيْنَتِهَا الْأَحَادِيثُ الشَّرِيفَةُ مِنْهَا:

قوله ﷺ: (يُعَرَّضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ: فَأَمَّا عَرَضَتَانِ فَجِدَالٌ

وَمَعَاذِيرٌ، وَأَمَّا الْعَرَضَةُ الثَّلَاثَةُ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَأَخَذَ بِيَمِينِهِ

ثبت بالدليل القطعي في العلم الحديث: أن الأصوات تحرك موجات الأثير، فتبقى إلى الأبد، ومن الممكن سَمَاعُهَا مرة أخرى. إلا أن الصَّعْبُ هنا هو التَّمْيِيزُ بين الأصوات الكثيرة، القديمة والحديثة، وإن كان هناك احتمال قَوِيٌّ جداً اختراع الأجهزة الكفيلة بالتَّمْيِيزِ بين هذه الأصوات.

وليس ذَلِكَ بَعَرِيبَ، إذ إن آلاف المحطات الإذاعية في العالم التي تذيع ليل نهار برامجها الكثيرة، والتي تمر موجاتها في الفضاء بسرعة ١٨٦ ألف ميل بالثانية، يمكن التَّمْيِيزِ بين وَاحِدَةٍ وأُخْرَى حين يفتح المذياع ويدار مِفْتَاحُهُ عَلَى المحطة المطلوبة. كما أن تسجيل الأصوات بالأسرطة الآن عَلَى آلة التسجيل يَصْلُحُ أن يكون مثلاً لما يحدث في الآخِرَةِ.

كما أن العلم الحديث يؤكد بأن جميع أَعْمَالِنَا التي نباشرها في الضُّوء أو الظلمة، فرادى أو مع الناس، وحتى الأشياء سواء كانت متحركة أم جامدة، تصدر عنها (حرارة) بصفة دائمة في كل مكان وفي كل حال، وهذه الحرارة تعكس الأشكال وأبعادها تماماً. وقد تم اختراع آلات دقيقة لتصوير الموجات الحرارية التي تخرج عن أي كائن، وبالتالي تعطي لهذه الآلة صورة فوتوغرافية كَامِلَةً للكائن حينما خرجت منه الموجات الحرارية. وذات ليلة حلقت طائرة مجهولة في سماء نيويورك، فصوروا الموجات الحرارية لفضاء نيويورك بهذه الآلة، وأدَّى ذَلِكَ إلى مَعْرِفَةِ طراز الطائرة ونوعها.

فإذا أكد العلم الحديث تسجيل الأقوال والأفعال في الفضاء، فلا تبقى مِرْيَةٌ لمرتاب في أمر حساب الله تعالى للناس، ونشر سجلاتهم أمامهم يوم القيامة، لينالوا جزاء ما فعلوه، فيرى حياته كقصّة مُصَوَّرَةٍ عَلَى فيلم كَامِلٍ، تتجلى فيها حركاته القلبية واللِّسَانِيَّةُ والعضوية مسجلة بآلات تصوير أوتوماتيكية سريعة عَلَى صفحة الفضاء في كل حين ليلاً أو نهاراً، قال سُحَّانُهُ: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ - ق ١٨، ويقول هُوَ لَاءَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ: ﴿يَوْمَئِذٍ نَبَأٌ لَكُم مَّا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ - الكهف ٤٩. انظر: الإسلام يتحدث ص ٨٠-٨١.

وَأَخِذْ بِشِمَالِهِ<sup>(١)</sup>.

فتطائر الصحف في اليمين والشمال، هو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْورًا﴾ (١٣) ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٤) - الإسراء.

قال ابن عباس: طائره: عمله.

وقال الحسن: يقرأ الإنسان كتابه، أميًّا كان أو غير أميٍّ.

### الحساب

#### تعريفه

الحساب لُغَةً: العدد.

واصطلاحاً: هو توقيف الله الناس على أَعْمَالِهِمْ، خيراً كانت أو شراً، قولاً كانت أو فعلاً، تفصيلاً، بعد أخذهم كتبها<sup>(٢)</sup>.

فإذا وقف الناس على أَعْمَالِهِمْ من الصحف التي يؤتونها بعد البعث، حوسبوا بها، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) - الانشقاق.

والمحاسبة تكون عند إتيان الكتب، لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكِرِينَ لأَعْمَالِهِمْ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُئِلَهُ﴾ - المجادلة ٦.

(١) حَدِيثُ: يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ... إلخ، في: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ في: ٣٤ كتاب صفة القيامة، ٤ باب ما جاء في العَرْض، رقم ٢٤٢٥، ص ٣٩٧، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي: سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ في: ٣٧ كتاب الزهد، ٣٣ باب ذكر البعث، رقم ٤٢٧٧، ج ٢ ص ١٤٣٠، من حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ.

(٢) سَرَحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٨٢.

### ما يُسأل عنه

وعند الحساب يُسأل العبد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ - الإسراء ٣٦.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) - الزلزلة، أي: يُسأل عن ذلك، ويُجازى.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ) (١).

### شهادة الجوارح عليه

وحين يُسأل العبد عما اقترف في دنياه، يَشْهَدُ عَلَيْهِ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَجِلْدُهُ تَبْكِيَةً.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٠) وَقَالُوا لِمَ جُلِدُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢)﴾ - فَصَّلَتْ.

وقال سُبْحَانَهُ: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ - يس ٦٥.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ - النُّور ٢٤.

(١) حَدِيث: لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ... إلخ، في: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ في: ٣٤ كتاب صفة القيامة، ١ باب في القيامة، رقم ٢٤١٧، ص ٣٩٦، عن أَبِي بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيِّ. وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

### الحكمة من الحساب

ومحاسبة الله تعالى لخلقه هي إعلّامهم بما لهم وما عليهم، فيؤتى السّعداء كتبهم بيمينهم، ويؤتى الأشقياء كتبهم بشمالهم، أو وراء ظهورهم.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ - آل عمران ١٠٦<sup>(١)</sup>.

وحكمته هي إظهار تفاوت المراتب في الكمال، وفصائح أهل النقص. ففيه ترغيب في الحسنات وزجر عن السيئات<sup>(٢)</sup>.

### أنواع الحساب

منه، اليسير والعسير، والسر والجهر، والتوبيخ والفضل والعذل. قال بعض العلماء: ذكر الله تعالى الحساب جُمْلَةً، وجاءت الأخبار بذلك، وفي بعضها ما يدل على أن كثيراً من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب، فصار الناس إذن ثلاث فرق: فرقة لا يحاسبون أصلاً، وفرقة تحاسب حساباً يسيراً، وهما من المؤمنين. وفرقة تحاسب حساباً شديداً يكون منها مُسلم وكافر. وإذا كان من المؤمنين من يكون أدنى إلى رحمة الله، فيدخل الجنة بغير حساب، فلا يبعد أن يكون من الكافرين من يكون هو أدنى إلى غضب الله، فيدخله النار بغير حساب<sup>(٣)</sup>.

### حكم الإيمان به

الإيمان بالحساب واجب. لأنه حقٌ ثبت بالكتاب والسنة والإجماع<sup>(٤)</sup>.

(١) التذكرة للقرطبي ص ٢٥٣ وما بعدها، وكوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ١٧١ و١٨٠-١٨١ والغنية للشيخ عبد القادر ج ١ ص ٨١.

(٢) شرح الجوهرة للباجوري ص ٢٨٣.

(٣) التذكرة للقرطبي ص ٢٨٦. وانظر: شرح الجوهرة للباجوري ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٤) شرح الجوهرة لعبد السلام ص ٢٢٧ وشرح الجوهرة للباجوري ص ٢٨٢.

## الْحَوْضُ

### أدلتُه ووصفه

الْحَوْضُ الَّذِي يُعْطَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْآخِرَةِ ثَابِتٌ بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيْحَةِ.

وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي ذِكْرِ الْحَوْضِ وَوَصْفِهِ تَبْلُغُ حَدَّ التَّوَاتُرِ، رَوَاهَا مِنَ الصَّحَابَةِ بَضْعٌ وَثَلَاثُونَ صَحَابِيًّا، اسْتَقْصَاهَا ابْنُ كَثِيرٍ فِي آخِرِ تَارِيخِهِ الْبَدَايَةِ وَالنَّهَائَةِ<sup>(١)</sup>، مِنْهَا:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا آيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَنْبِئْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِحَةِ، آيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخَرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرَضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ.

وَقَالَ ﷺ: حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرَقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مَتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةُ سُورَةِ، فَقَرَأْتُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَدِرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ نَهَرٌ وَعَدْنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آيَتُهُ عَدَدُ

(١) شَرَحَ الْعَقِيدَةَ الطَّحَاوِيَّةَ لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٢٧٧. وَانْظُرْ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ فِي: شَرَحُ أَصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ج ٥ ص ٤٢٢ وَمَا بَعْدَهَا.

النجوم، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُول: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك<sup>(١)</sup>.

والذي يؤخذ من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عَظِيمٌ، وَمَوْرد كَرِيمٌ، يمد من شراب الجنة من نهر الكوثر، الذي هو أشدُّ بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عَرْضُهُ وطولُهُ سواء<sup>(٢)</sup>.

أما ثبوتُهُ بالقرآن الكريم في سورة الكوثر فهو احتمال وليس بصريح، لأن العلماء اختلفوا في تفسير الكوثر، هل هو الحوض، أو الخير الكثير، أو النهر الذي في الجنة<sup>(٣)</sup>؟

### من يطرد عن الحوض

قال النَّبِيُّ ﷺ: لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضِ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتَهُمْ، اخْتَلَجُوا دُونِي، فَأَقُول: أَصْحَابِي؟ فيقول: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ.

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٠٣-٣٠٤ وَشَرَحَ الْعَقِيدَةَ الطَّحَاوِيُّ لابن أبي العزّ ص ٢٧٩.

حَدِيث: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَنْبُتُهُ... إلخ، في: صَحِيح مُسْلِمٍ في: ٤٣ كتاب الفَضَائِلِ، ٩ باب إثبات حوض نبينا مُحَمَّد ﷺ وصفاته، رقم ٢٣٠٠.

وَحَدِيث: حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ... إلخ، في: صَحِيح مُسْلِمٍ في: ٤٣ كتاب الفَضَائِلِ، ٩ باب إثبات حوض نبينا مُحَمَّد ﷺ وصفاته، رقم ٢٢٩٢، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَحَدِيث: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ... إلخ، في: صَحِيح مُسْلِمٍ في: ٤ كتاب الصلاة، ١٤ باب حُجَّةٍ من قال: بِالسَّمْلَةِ آيَةٌ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ، سِوَى بَرَاءَةٍ، رقم ٤٠٠.

(٢) شَرَحَ الْعَقِيدَةَ الطَّحَاوِيُّ لابن أبي العزّ ص ٢٨٠.

(٣) انظر الأقوال العديدة في المُرَاد بالكوثر في: تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ ج ١٠ ص ٧٣٠٦-٧٣٠٨.

وقال ﷺ: (إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظَرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ أَنْاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقَالُ: أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمَلُوا بِعَدِّكَ؟ وَاللَّهِ مَا بَرَّحُوا بِعَدِّكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ).

قال الْعُلَمَاءُ: فكل من ارتد عن دين الله، أو أحدث فيه ما لا يرضاه، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه<sup>(١)</sup>.

### حكم الإيمان به

الإيمان بالحوض واجب، فيثاب عليه من صدق به، ويبدع ويفسق جاحده. وهو مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ. لما مر من الْأَحَادِيثِ الصَّرِيحَةِ بِإِثْبَاتِهِ.

وفي ذَلِكَ رد على الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ نفوه<sup>(٢)</sup>.

(١) التَذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُوبِيِّ ص ٣٠٦ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ٢٠٠ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٣٠٤.

حَدِيثٌ: لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨١ كتاب الرِّقَاق، ٥٣ باب في الحوض، رقم ٦٥٨٢، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَالْحَدِيثُ بِلَفْظٍ آخَرٍ في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ٤٣ كتاب الْفَضَائِلِ، ٩ باب إثبات حوض نَبِيِّنَا ﷺ وصفاته، رقم ٢٣٠٣، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

اخْتَلَجُوا: اقْتَطِعُوا.

وَحَدِيثٌ: إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظَرَ... إلخ، في: صَحِيحُ مُسْلِمٍ في: ٤٣ كتاب الْفَضَائِلِ،

٩ باب إثبات حوض نَبِيِّنَا ﷺ وصفاته، رقم ٢٢٩٣، عن أسماء بنت أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِعَبْدِ السَّلَامِ ص ٢٤٠ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٣٠٢. والقول بأن الْحَوْضَ حقٌّ في: أَصُولُ الدِّينِ لِلْغَزَنَوِيِّ ص ٢٢٨ وَمَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ١٢١. وقول الْمُعْتَزِلَةِ في إنكار الْحَوْضِ في: الْإِبَانَةُ لِلأَشْعَرِيِّ ص ٢٤٥ وَرَدَّهُ.

## الميزان

## تعريفه

الوزن في أصل اللغة: معرفة كمية بأخرى على وجه مخصوص<sup>(١)</sup>. والميزان في اللغة: معروف.

وفي الاصطلاح هو: أن الله تعالى ينصب ميزاناً، وله لسان وكفتان يوم القيامة، توزن به أعمال العباد خيرها وشرها. وهذا قول الجمهور. لظاهر الأحاديث الواردة في ذلك، كما سيأتي.

قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها.

ودليل ثبوت الميزان من القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ - الأنبياء ٤٧.

وقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ - القارعة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ - الأعراف ٩.

ومن السنة النبوية الصحيحة أحاديث كثيرة<sup>(٢)</sup>، سيأتي بعضها.

(١) شرح الجوهرية لعبد السلام ص ٢٣٤.

(٢) التذكرة للقرطبي ص ٣٠٩ ولوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ١٨٤ نقلاً عن التذكرة، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٦٠٩ وما بعدها.



## الموزون

اختلف العُلَمَاءُ في ما يوزن تَبَعاً لاختلاف الأحاديث الواردة فيه على أقوال:

**القول الأول:** صحف الأعمال. وهو ما صحَّحه القُرْطُبِيُّ وابن عبد البر، وصَوَّبَهُ الشيخ مَرْعِيٌّ، وذهب إليه جُمهُور من المُفَسِّرِينَ، بدليل:

أ- قوله ﷺ: **إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِّلًا، كُلُّ سِجِّلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكَرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى! إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظِلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فيقول: أَحْضِرْ وَزَنَّاكَ، فيقول يا رب ما هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجِّلاتِ؟ فقال: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قال: فتوضع السَّجِّلاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجِّلاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ.

ب- **إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ سئل عما يوزن يوم القيامة. فقال: الصُّحُفُ<sup>(١)</sup>.**

(١) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٨٧.

حَدِيث: **إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا... إلخ، في: سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ في: ٣٧ كتاب الإيمان، ١٧ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، رقم ٢٦٣٩، ص ٤٢٨، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما. وقال: حَسَنٌ غَرِيبٌ.**

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي سُنَنِهِ في: ٣٧ كتاب الزهد، ٣٥ باب ما يُرَجَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رقم ٤٣٠٠، ج ٢ ص ١٤٣٧ عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، وقال في أول الحديث: (يصاح برجل من أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ). وقال الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ ج ٥ ص ٣٥٦: **إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.**

ورواه ابن حَبَّانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ فِي الْبَيْهَقِيِّ، وقال الْحَاكِمُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. / لَوَامِعُ

الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٨٧.

ج- قال ابن عُمر: توزن صحائف الأعمال<sup>(١)</sup>.

القول الثاني: العامل. بدليل:

أ- حَدِيثُ الْبِطَاقَةِ السَّابِقِ الْوَارد بلفظ آخر: توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كِفَّةٍ... الْحَدِيثُ.

ب- قوله: إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزَنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَؤُوا: ﴿فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَّا﴾ - الكهف ١٠٥.

ج- عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَخْتَنِي سِوَاكَاً مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ. فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحَدٍ<sup>(٢)</sup>.

قال مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى: الْبِطَاقَةُ: الرُّقْعَةُ، وَأَهْلُ مِصْرَ يَقُولُونَ لِلرُّقْعَةِ: بِطَاقَةٌ. / سَنَّ ابْنُ مَاجَةَ السَّابِقَ، وَالتَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ.

وَحَدِيثُ: سئل عما يوزن... إلخ، ذكره الفخر الرازي وغيره، وحكاه ابن عطيّة عن أبي المعالي. / لَوَاعِجُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ السَّابِقِ.

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣١٣.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزّ ص ٦١٠.

حَدِيثُ: إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلَ الْعَظِيمُ... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٦٥ كتاب التَّفْسِيرِ، ٦ باب ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ - الكهف ١٠٥، رقم ٤٧٢٩، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهو في صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ٥٠ كتاب المنافقين، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٢٧٨٥، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَخْتَنِي سِوَاكَاً... إلخ، في: مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَد ج ١ ص ٤٢٠-٤٢١. وهو حَدِيثُ حَسَنٍ. انظر تَخْرِيجَهُ في هامش ص ٦١١ من شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ الْمَذْكُورِ.

### القول الثالث: الأَعْمَالُ. بدليل:

أ- قوله ﷺ: الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، والحمدُ لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ.

ب- قوله ﷺ: كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ<sup>(١)</sup>.

(١) سَرَحَ الْعَقِيدَةَ الطَّحَاوِيَّةَ لابن أبي العزِّ ص ٦١١ وشرح الجوهرة للباجوري ص ٢٩٢ وفيهما الأقوال الثلاثة. وذكر القولين الأول والثالث الغزنوي في أصول الدين ص ٢٢٧. وقال الباقلاني في الإنصاف ص ٥٢: الموزون في الميزان هو صحائف الأعمال.

حديث: الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ... إلخ، في: صحيح مسلم في: ٢ كتاب الطهارة، ١ باب فضل الوضوء، رقم ٢٢٣، عن أبي مالك الأشعري.

وحديث: كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ... إلخ، في: صحيح البخاري في: ٨٣ كتاب الأيمان والنذور، ١٩ باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصل...، رقم ٦٦٨٢، بهذا اللفظ. وفيه حديثان مقاربان باللفظ في: ٨٠ كتاب الدعوات، ٦٥ باب فضل التسبيح، رقم ٦٤٠٦. و٩٧ كتاب التوحيد، ٥٨ باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ - الأنبياء ٤٧، رقم ٧٥٦٣. وكلها عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي صحيح مسلم في: ٤٨ كتاب الذكر والدعاء، ١٠ باب فضل التهليل والتسبيح...، رقم ٢٦٩٤، بهذا اللفظ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وسنن الترمذي في: ٤٤ كتاب الدعوات، ٥٩ باب، رقم ٣٤٦٧، ص ٥٤٧. وهو في عارضة الأخوذِي ج ١٣ ص ١٦.

وسنن ابن ماجة في: ٣٣ كتاب الأدب، ٥٦ باب فضل التسبيح، رقم ٣٨٠٦، ج ٢ ص ١٢٥١ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الشيخ شعيب في تحقيقه سنن ابن ماجة ج ٤ ص ٧١٥: إسناده صحيح.

ومُسْنَدُ أَحْمَد ج ٢ ص ٢٣٢.

وانظر الحديث مُخَرَّجاً مشروحاً في كتابي: الكَمَالُ بنُ الْهُمَامِ وَتَحْقِيقُ رِسَالَتِهِ: إعراب قوله ﷺ: كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ....

## الحكمة من الميزان

هي إظهار العدل وبيان الفضل، حيث إنه يزن مئاويل الذر من خير وشر<sup>(١)</sup>، فهو علامة لأهل السعادة والشقاوة، وبه يعرف العباد ما لهم وما عليهم من الخير والشر، فتقام الحجة عليهم<sup>(٢)</sup>.

## كيفية الوزن

ويكون بمقابلة الحسنات بالسيئات، كل في كفة<sup>(٣)</sup>، في قول الجمهور.

## من يكون الوزن؟

توزن أعمال من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين، لينال كل جزاءه. وتوزن أعمال المؤمنين المتقين لإظهار فضلهم.

أما السبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب - كما ورد في الحديث - فلا ترفع لهم ميزان. ولا يأخذون صحفاً، وإنما هي براءات مكتوبة: لا إله إلا الله محمد رسول الله، هذه براءة فلان بن فلان، قد غفر له، وسعد سعادة لا يشقى بعدها.

وتوزن أعمال الكافرين، إظهاراً لخزيهم وذلهم، وتبكيئاً على خلوهم من كل خير<sup>(٤)</sup>.

(١) لوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ١٨٨. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص ٦١٣.

(٢) شرح الجوهر للبا جوري ص ٢٩٣.

(٣) التذكرة للقرطبي ص ٣١٢.

(٤) التذكرة للقرطبي ص ٣١١ و٣١٥.

### حكم الإيمان به

الإيمان بالمِيزَان واجب، وهو قول الجُمهُور، لثُبُوتِه بالكتاب والسُّنَّة كما تقدم<sup>(١)</sup>.

وأنكر المِيزَان جَهْم بن صَفْوَان<sup>(٢)</sup>، والمُعْتَزِلَةُ والإبَاضِيَّة والمُرْجِيَّة والخَوَارِج، وزعموا أن المِيزَان هو العَدْل، لأن الأَعْمَال عندهم هي أعراض، والأعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بنفسها<sup>(٣)</sup>، ولا توصف بالخفة والثقَل.

وجوابه هو:

أنَّ جسم الإنسان وغيره من الجَوَاهِر على الأرض له وزن معين، وذلك بتأثير الجاذبية الأرضية، ولكن حين يفصل عن جاذبية الأرض ينعدم وزنه، فالجسم في القمر مثلاً ليس له وزن وفي الأرض له وزنه. كذلك الأَعْمَال وهي أعراض في الدنيا لا وزن لها، لكن لا مَانِع من أن تقلب في الحياة الآخرة أجساماً فتوزن. يؤيد هذا:

أ- ما روي عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً، فيزنها يوم القيامة.

(١) شَرْح الجَوْهَرَةِ لعبد السَّلَام ص ٢٣٣-٢٣٤. وانظر: أُصُول الدِّين للغَزْنَوي ص ٢٢٧ وفيه: المِيزَان ذو الكفتين حَقٌّ.

(٢) التَّنْبِيهِ والرَّد ص ١١٠.

(٣) رِسَالَةٌ فِي التَّوْحِيدِ لِلطَّائِي ص ١١٤. وَذَكَرَ فِي: مَشَارِقِ أَنْوَارِ الْعُقُول ج ٢ ص ١٢٥ قول الإبَاضِيَّة وَجُمهُورُ الْمُعْتَزِلَةِ. وذكر الشيخ عبد القادر في الغُنيَّة ج ١ ص ٨١ قول المُعْتَزِلَةِ والمُرْجِيَّة والخَوَارِج وَرَدَّ عَلَيْهِم. وَذَكَرَ فِي الْمَوَاقِف ج ٨ ص ٣٢١: (أنكره المُعْتَزِلَةُ عن آخرهم). وفي شَرْحِ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَازَانِي ج ٥ ص ١٢٠: (وأنكره بعض المُعْتَزِلَةِ). وفي بَحْرِ الْكَلَام ص ١٥٠: (قالت المُعْتَزِلَةُ: لا مِيزَان ولا حِسَاب ولا صِرَاط ولا حَوْض ولا شَفَاعَةٌ... وَكُلُّ مَوْضِعٍ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ الْمِيزَانَ وَالْحِسَابَ أَرَادَ بِهِ الْعَدْلَ).

ب- قوله ﷺ: (يُوتَى بِالْمَوْتِ كَبْشاً أَغْثَرُ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ. وَيَقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيُرَوْنَ أَنْ قَدْ جَاءَ الْفَرَجُ، فَيَذْبَحُ فَيَقَالُ: خَلُوداً لَا مَوْتَ) (١).  
فالْمَوْتُ، وَهُوَ عَرَضٌ فِي الدُّنْيَا، يُقَلِّبُ جَسَماً فِي الْآخِرَةِ وَيُذْبِحُ، فَكَذَلِكَ الْأَعْمَالُ.

### الصَّرَاطُ

#### تعريفه

الصراط لُغَةً: الطريق الواضح. من سُرِطَ الشيء إذا ابتلَعته (بالصاد والسين)، لأنه يبتلع المارة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ - الأنعام ١٥٣.

واصْطِلَاحاً: هو جسر ممدود على ظهر جهنم، يعبر عليه جميع الخلائق، المؤمن وغير المؤمن (٢)، فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار (٣).

وَأَدِلَّةُ ثُبُوتِ الصَّرَاطِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ آيَاتُ مِنْهَا:

أ- ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ - يس ٦٦.

(١) التَّذَكِيرَةُ لِلْقُرْطُوبِيِّ ص ٣١٣ وَالْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ ج ٨ ص ٣٢١.

وَحَدِيثُ: يُوتَى بِالْمَوْتِ كَبْشاً... إلخ، في: مُسْنَدُ أَحْمَدَ ج ٢ ص ٤٢٣، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

أَغْثَرُ: كَثِيرُ الصُّوفِ.

أَشْرَأَبَ الرَّجُلُ: مَدَّ عُنُقَهُ لِيَنْظُرَ.

(٢) الْمَوَاقِفُ وَشَرْحُهُ لِلْسَّيِّدِ الشَّرِيفِ ج ٨ ص ٣٢١. وَانْظُرْ: شَرْحُ الْمَقَاصِدِ لِلتَّفْتَّازَانِيِّ ج ٥

ص ١٢٠ وَلَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٨٩ وَشَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٩٤.

(٣) لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ السَّابِقِ.

ب- ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا ﴿٧٢﴾ - مريم، أي: واردو النار.

وبأَحَادِيث كثيرة منها قوله ﷺ: (ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحُلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: دَحْضُ مَزَلَّةٍ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَالَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُؤْيِكَةٌ، يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ، فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) (١).

وحين يمر المؤمنون على الصراط يُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ دُونَهُ، كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ (٢).

### وصف الصراط

قال أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدْقُ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ (٣).

وزهد بعض المتكلمين كَالْقَرَّافِيِّ وَالْعِزِّ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ إِلَى تَأْوِيلِ هَذَا الْوَصْفِ،

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٣١.

وَحَدِيثٌ: ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ١ كِتَابِ الْإِيمَانِ، ٨١ بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَا، رَقْمُ ١٨٣، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

(٢) سَرَحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيِّ لَابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٦٠٥، وَفِيهِ حَدِيثُ الْبَيْهَقِيِّ بِسَنَدِهِ عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَانْظُرْ تَخْرِيجَهُ فِي هَامِشِ ص ٦٠٦.

(٣) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٣١.

وَحَدِيثٌ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْرَ... إلخ، فِي: صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي: ١ كِتَابِ الْإِيمَانِ، ٨١ بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَا، رَقْمُ ١٨٣.

فقالوا:

أ- إنه راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى، وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلاً للغامض الخفي، وضرب حد السيف لإسراع الملائكة في المضي، لامثال أمر الله وإجازة الناس عليه.

ب- وهذا الوصف مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنيبه، وأن فيه كلاليب وحسكاً، أي: أن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من يزل ثم يقوم. وفي ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطئ للأقدام، ودقة الشعر لا يحتمل هذا كله.

وقال القرافي تبعاً للبيهقي: (كون الصراط أدق من الشعر، وأحد من السيف، لم أجده في الروايات الصحيحة، وإنما يُروى عن بعض الصحابة)<sup>(١)</sup>.

ورد هذا القول الإمام القرطبي فقال: وهذا مردود بما ورد من الأخبار، وأن الإيهان يجب بذلك، وأن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن، فيجريه أو يمشيه. ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة، ولا استحالة في ذلك للأثار الواردة في ذلك، وبيانها بنقل الأئمة العدول، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور<sup>(٢)</sup>.

### الصراط صراطان

ذكر العلماء أن في الآخرة صراطين:

الأول: مجاز لأهل الحشر كلهم، ثقلهم وخفيفهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو من يلتقطه عنق النار، ولا يخلص منه المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم، فيحبسون على صراط آخر ثانٍ، بين الجنة والنار، ولا يرجع إلى النار

(١) التذكرة للقرطبي ص ٣٣٣ ولوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ١٩٣.

(٢) التذكرة للقرطبي السابق، ولوامع الأنوار البهية ج ٢ ص ١٩٤ نقلاً عن التذكرة. وانظر:

المقاصد وشرحه ج ٥ ص ١٢٠ وإحياء علوم الدين ج ١ ص ١٢٠.



من هُوَلَاءِ أَحَدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَأَنْتُمْ قَدْ عَبَرُوا الصِّرَاطَ الْأَوَّلَ، الْمَضْرُوبَ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، الَّذِي يَسْقُطُ فِيهَا مَنْ أَوْبَقَهُ ذَنْبُهُ، وَأَرْبَى عَلَى الْحَسَنَاتِ بِالْقِصَاصِ جُرْمُهُ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ. مَظَالِمٌ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا).

ذَكَرَ الدَّارَقُطْنِيُّ حَدِيثًا ذَكَرَ فِيهِ: أَنَّ الْجَنَّةَ بَعْدَ الصِّرَاطِ.  
قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَلَعَلَّهُ بَعْدَ الْقَنْطَرَةِ، بِدَلِيلِ حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ<sup>(١)</sup>.

#### الحكمة من المرور على الصراط

هِيَ ظُهُورُ النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ، وَتَحَسُّرُ الْكَفَّارِ مِنْ فَوْزِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ اشْتِرَاكِهِمْ مَعَهُمْ فِي الْمُرُورِ<sup>(٢)</sup>.

#### حكم الإيمان به

الْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، لَمَّا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَدِلَّةِ الصَّرِيحَةِ<sup>(٣)</sup>. وَوَافَقَهُمْ بَعْضُ

(١) التَّذَكُّرَةُ لِلْقُرْطُبِيِّ ص ٣٣٨-٣٣٩ وَلَوَائِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ٢ ص ١٨٩.

وَحَدِيثُ: يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ... إلخ، فِي: صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ فِي: ٨١ كِتَابُ الرِّقَاقِ، ٤٨ بَابُ الْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَقْمُ ٦٥٣٥، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، بِهَذَا اللفظ. وَانْظُرْهُ بَلْفَظٍ مُقَارِبٍ فِي: ٤٦ كِتَابُ الْمَظَالِمِ وَالْغَضَبِ، ١ (أ) بَابُ قِصَاصِ الْمَظَالِمِ، رَقْمُ ٢٤٤٠، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٢٩٥.

(٣) شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِعَبْدِ السَّلَامِ ص ٢٣٥.

المُعْتَزِلَة<sup>(١)</sup>، وبعضُ الإباضِيَّة<sup>(٢)</sup>.

وأنكره أكثرُ المُعْتَزِلَة<sup>(٣)</sup>، وفريقٌ من الإباضِيَّة فقالوا: إنَّ الصراطَ هو الحق المشروع وأنَّ أصناف السالكين فيه تمثيلٌ لرتب المُكَلَّفِين<sup>(٤)</sup>.

### الجنة والنار

تقدم أن الإنسان يبعث من القبر بعثاً جَسَماً - بروحه وجسده - فيتنعم المؤمن، ويتعذب الكافر، فيشهد مشاهد القيامة، حتى ينتهي إلى مكان عقابه أو ثوابه الأخير، وهو الجنة أو النار.

وقد صورتها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بما يقطع أن لهما كياناً مادياً محسوساً، لكن صورة ذلك الكيان مقربة إلى تفكير الإنسان في الحياة الدنيا على سبيل المثال، ليعلم مدى العذاب أو اللذة الجسدية والروحية فيهما، وإلا فإن الجنة والنار أوسع وأكبر مما يتصوره عقل الإنسان في حياته الدنيا، بدليل:

قوله ﷺ: (يقول الله عز وجل: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخراً، بله (أي: غير أو دغ) ما أطلعكم الله عليه، ثم قرأ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ - السجدة ١٧)<sup>(٥)</sup>.

(١) تردّد قول الجُبَّائِيّ فيه، فنفاه تارةً وأثبتته أخرى. وذهب أبو الهذيل ويشر بن المعتز إلى جوازه دون الحكم بوقوعه. / المواقف وشرحه للسيد الشريف ج ٨ ص ٣٢١.

(٢) ذهب بعضُ الإباضِيَّة مثل: هود بن محكم، وإسماعيل في القناطر، والقُطْب في الهميان وجامع الشمل، إلى ما ذهب إليه الأشاعرة، أنَّ الصراط جسر ممدود على متن جهنم.... / مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ١٢٨.

(٣) المواقف ج ٨ ص ٣٢١.

(٤) مشارق أنوار العقول ج ٢ ص ١٢٨.

(٥) حديث: يقول الله عز وجل: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ... إلخ، في: صحيح مسلم في: بداية ٥١ كتاب الجنة، رقم ٢٨٢٤ (٤)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقوله ﷺ: (يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتُودُوا أَنْ تُلَكُّمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ - الأعراف (٤٣) <sup>(١)</sup>.

وهنا أبين ما ذكره القرآن الكريم خاصة من أوصافٍ لهما ولأهلها، ترغيباً بالجنة ونعيمها، وترهيباً من النار وفظاعة عذابها.

## النار

### أهل النار

أعد الله سبحانه وتعالى النار، عقاباً للذين لم يعملوا بما أمر الله تعالى، ولم ينتهوا عما نهى عنه في الحياة الدنيا، وقد وصفهم القرآن الكريم بأوصافٍ هي:

١ - الكافرون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ - النساء ٥٦.  
وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ - الأنفال ٣٦ <sup>(٢)</sup>.

٢ - المكذبون بآيات الله المتكبرون عن سماعها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ - الأعراف ٤٠.

(١) حَدِيث: يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا... إلخ، في: صَحِيح مُسْلِم في: ٥١ كتاب الجنة، ٨

باب في دوام نعيم أهل الجنة، رقم ٢٨٣٧، عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) وانظر أيضاً: البقرة ٢٤ وآل عمران ١٣١ والمائدة ١٠ والأنعام ٧٠ ويونس ٤ والإسراء ٨

والكهف ١٠٢ والحج ٧٢ والعنكبوت ٦٨ والأحزاب ٦٤ وفاطر ٣٦ والزمر ٧١ وغافر ٦ والملك

٦ والبيئة ٦.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ - غافر ٦٠<sup>(١)</sup>.

٣- المنافقون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ - النساء ١٤٥.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ - التوبة ٦٨.

٤- المجرمون:

قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ - مريم ٨٦.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّخْلِطُونَ﴾ - الزخرف ٧٤<sup>(٢)</sup>.

٥- الغاؤون:

قال تعالى: ﴿وَيُرِزَّتِ الْحِمِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ - الشعراء ٩١.

٦- الظالمون:

قال تعالى: ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ - المائدة ٧٢.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ - الأعراف ٤١.

٧- الطاغون:

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٣١ لِلظَّالِمِينَ مَعَابَا ۝٣٢﴾ - النبأ.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝٣٧ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۝٣٩﴾ - النازعات.

(١) وانظر أيضاً: المائدة ١٠ والفرقان ١١ والزمر ٦٠ وفصلت ٢٨ والمرسلات ٣٤ والنبأ ٢٨.

(٢) وانظر أيضاً: القمر ٤٧.

# ٨- الْمُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ - الإسراء ١٨.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾﴾ - النازعات<sup>(١)</sup>.

## ٩- الْفُجَّارُ:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾﴾ - الانفطار.

١٠- الْفَاسِقُونَ:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴿٢٠﴾﴾ - السجدة ٢٠.

١١- الْمُعَادُونَ لِلَّهِ وَلِرُسُولِهِ:

قال تعالى: ﴿مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ - التوبة ٦٣.

١٢- مَنْ خَفَتِ مَوَازِينُهُ (أي: طاشت كِفَّةُ حَسَنَاتِهِ أَمَامَ كِفَّةِ سَيِّئَاتِهِ الرَّاجِحَةِ، فِي مِيزَانِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ):

قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ - المؤمنون ١٠٣.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾﴾ - القارعة<sup>(٢)</sup>.

(١) وانظر أيضاً: يُؤْتَس ٧-٨.

(٢) وانظر أيضاً: البقرة ٨١.

## أوصاف النار وحال أهلها في القرآن الكريم

- ١- تعرض جهنم على الكافرين يوم القيامة فتظهر بارزة لهم:  
قال تعالى: ﴿وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾ - الكهف ١٠٠.  
وقال تعالى: ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ - النازعات ٣٦.
- ٢- تسع جهنم مستحقيها من الجن والإنس:  
قال تعالى: ﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ - هود ١١٩ والسجدة ١٣.
- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ - ق ٣٠.
- ٣- لها أبواب:  
قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ - الحجر ٤٤.  
وقال تعالى: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ - الزمر ٧٢ وغافر ٧٦<sup>(١)</sup>.
- ٤- لها خزنة تُعَنِّفُهُمْ وتذيقُهُمْ أصناف العذاب:  
قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ - الزمر ٧١.
- وقال تعالى: ﴿كَلَّمَ اللَّهُ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ٨ ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ ١ ﴿- المُلْكُ.
- ٥- عليها ملائكة فيهم الغلظة والشدّة:  
قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

(١) وانظر أيضاً: الزمر ٧١.

يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ - التحريم ٦.

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴿٣١﴾ - المُنَافِقُونَ ٣٠-٣١.

٦- مبنية على أعمدة وموصدة الأبواب:

قال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾ - الْهُمَزَةُ.

٧- لها سرادق (حائط من نار):

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴿٢٩﴾ - الْكَهْف ٢٩.

٨- لها طَبَقَات، طبقة فوق أخرى:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿١٤٥﴾ - النَّسَاء ١٤٥.

٩- جَوْهَا لَا يُطَاق، فَحَرُّ نَارِهَا يَنْفُذُ إِلَى الْمَسَامِ، ودخانها أسود، لا يخفف حرها،

بل يَزِيدُ فِيهِ:

قال تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ - التَّوْبَةُ ٨١.

وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُجُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحُمُومٍ

﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ - الْوَاقِعَةُ (١).

١٠- موقدة حامية:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾ - التَّكْوِيم ١٢.

(١) وانظر أيضاً: الواقعة ٩٣-٩٤.

سموم: حر يَنْفُذُ إِلَى الْمَسَامِ.

يحموم: دخان أسود.

كَرِيم: نافع.

وقال تعالى: ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ - الغاشية ٤<sup>(١)</sup>.

١١- وشررها عظيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَكْرٍ كَالْقَصْرِ ۖ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمْلَتٌ صُفْرٌ ۖ (٣٣)﴾ - المُرْسَلَات.

١٢- تزداد سعيراً كلما حَبَّت:

قال تعالى: ﴿مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا حَبَّتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا﴾ - الإسراء ٩٧.

١٣- لها أصوات مُنْكَرَةٌ مرعبة:

قال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا﴾ - الفرقان ١٢.

وقال تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ۖ (٧) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْطِ ۖ﴾ - الملوك

٨-٧.

١٤- وهي شديدة، لا تبقي شيئاً إلا أهلكته:

قال تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَفَرٌ ۖ (٣١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَفَرٌ ۖ (٣٧) لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ ۖ (٣٨)﴾ - المدثر.

١٥- وأهلها يحشرون، ليميز الله الخبيث من الطيب:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۖ (٣١) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۖ (٣٧)﴾ - الأنفال.

١٦- ويعرضون على النار، فينظرون الهول من طرف خفي، رعباً وخشية:

قال تعالى: ﴿وَتَرْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٌ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ - الشورى ٤٥.

(١) وانظر أيضاً: القارعة ١٠-١١ والهمزة ٦.



١٧- لا يفلت منها أحد:

قال تعالى: ﴿وَأِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ - العنكبوت ٥٤.

وقال تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ - الكهف ٢٩.

١٨- ويلقون فيها من مكان ضيق مقرنين:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّرِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ۚ ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ۚ ﴿١٤﴾﴾ - الفرقان.

١٩- وقودها الناس والحجارة:

قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ - البقرة ٢٤ والتحريم ٦.

وقال تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ - آل عمران ١٠.

٢٠- تتسلط على الأفئدة:

قال تعالى: ﴿الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ - الهُمزة ٧.

٢١- وعذابهم فيها متواصل:

قال تعالى: ﴿لَا يَفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ - الزخرف ٧٥.

٢٢- ولهم فيها ألوان العذاب الأليم:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ - النساء ٥٦<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ - النبأ ٣٠<sup>(٢)</sup>.

(١) يقول الطب الحديث: إن الجسم يتكون من جلد وأدمة. والجلد هو موضع الإحساس، أما الأدمة فلا إحساس بها. وهذا من مواضع الإعجاز العلمي للقرآن.

(٢) وانظر أيضاً: الأنعام ٧٠ ويونس ٤ والتوبة ٣٤ والحج ٢٢ والسجدة ٢٠-٢١ وفاطر ٣٦ وغافر ٤٦ وفصلت ٢٧ والحديد ٢٠.

٢٣- لا صبر ولا طاقة لهم بالعذاب:

قال تعالى: ﴿ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا نَحْزَنُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ - الطُّور ١٦.

٢٤- الزبانية يسحبونهم في الحميم، والنار والأغلال في أعناقهم، ويضربون بمقامع من حديد:

قال تعالى: ﴿ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿ ٧٢ ﴾ - غافر.

وقال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ (١٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿ ٤٨ ﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿ ٤٩ ﴾ - الدخان (١).

٢٥- لهم فيها زفير وشهيق:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ سَفَوْا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ - هود ١٠٦.

وقال تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ - الأنبياء ١٠٠.

٢٦- تلفح النار وجوههم وتقلب فيها:

قال تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ - المؤمنون ١٠٤.

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴾ - الأحزاب ٦٦.

٢٧- تنزع الأطراف وجلدة الرأس وتحرق البشرة وتسودها:

قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْنَى ﴿ ١٥ ﴾ نَزَاعَةً لِّلشَّوْىِ ﴿ ١٦ ﴾ ﴾ - المعارج.

(١) وانظر أيضاً: الحج ١٩-٢١ وق ٢٤ و٢٦ والطُّور ١٣-١٤ والقمر ٤٨ والْحَاقَّةُ ٣١-٣٢ والمُزَّمِّلُ ١٢.

وقال تعالى: ﴿لَوْ آتَاكَ لِشَيْءٍ﴾ - المُنَافِقُ ٢٩<sup>(١)</sup>.

٢٨- فراشهم وغطاؤهم من النار:

قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ - الأعراف ٤١.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ - الزُّمَرُ ١٦<sup>(٢)</sup>.

٢٩- ملابسهم من نار:

قال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ وَتَعْنِي وُجُوهُهُمْ النَّارُ﴾ - إِبْرَاهِيمَ ٥٠<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ - الحج ١٩.

٣٠- الذين يكتزون الذهب والفضة يعذبون بما كنزوا:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ - التوبة ٣٥.

٣١- طعامهم من شجر الزقوم، يخرج من أصل الجحيم، وهو شجر صغير الورق، دَفْرٌ، مر الطعم، وثمره نار، يضطرهم الجوع إلى أكله، لعدم وجود غيره. فيحرق معدهم،

(١) لظي: هب.

الشوى: الأطراف أو جلدة الرأس.

لواحة: مسوَّدة لأعالي الجلد.

(٢) وانظر أيضاً: العنكبوت ٥٥.

(٣) القطران: ما يطلى به الإبل الجَرَبَى فيحرق الجرب، وهو أسود متين تشتعل فيه النار

بسرعة.

وشراهم من المهل، وهو دُرْدِي الزَّيْتُ<sup>(١)</sup>، أو ما يمهل في النار، حتى يذوب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ<sup>(٤٣)</sup> طَعَامٌ لِأَشِيمِ<sup>(٤٤)</sup> كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ<sup>(٤٥)</sup> كَغَلْيِ الْحَمِيمِ<sup>(٤٦)</sup>﴾ - الدخان.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ<sup>(٦)</sup> لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ<sup>(٧)</sup>﴾ - الغاشية<sup>(٢)</sup>.

٣٢- شراهم الحميم (الماء المغلي)، والغساق (صديد أهل النار)، فيقطع الأمعاء من شدة حرارته:

قال تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ<sup>(١٥)</sup> مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَكِيدٍ<sup>(١٦)</sup> يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسَفِّغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَمِيَّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ<sup>(١٧)</sup>﴾ - إبراهيم.

وقال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا<sup>(٢٤)</sup> إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا<sup>(٢٥)</sup>﴾ - النبأ<sup>(٣)</sup>.

٣٣- ويستغيثون، يطلبون الماء من شدة العطش، فيغاثون بهاء كالمهل:

قال تعالى: ﴿وَلِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ<sup>(٢٩)</sup>﴾ - الكهف ٢٩.

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ<sup>(٢)</sup> عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ<sup>(٣)</sup> تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً<sup>(٤)</sup> تُنْفَخُ مِنْ عَيْنٍ أَيْنِيَّةٍ<sup>(٥)</sup>﴾ - الغاشية.

٣٤- وحرّم عليهم طعام وشراب أهل الجنة:

قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا

(١) الدُّفْر: التَّن.

دُرْدِي الزَّيْت: ما يبقى في أسفل إناء الزَّيْت بقوامه الغليظ ولونه الأحمر.

(٢) وانظر أيضاً: الصفات ٦٢-٦٧ والواقعة ٥٢-٥٥ والحقّة ٣٥-٣٧.

ضريع: شيء في النار كالشوك مُرّ متن.

(٣) وانظر أيضاً: الأنعام ٧٠ ويونس ٤ والكهف ٢٩ ومحمد ١٥ والرحمن ٤٤.

رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ - الأعراف ٥٠.

٣٥- مصير أهل النار التعاسة والخزي وبئس المصير:

قال تعالى: ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ - البقرة ٢٠٦.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ - الفرقان ٣٤<sup>(١)</sup>.

٣٦- ويتمنون الرجوع إلى الحياة الدنيا، حين يقفون على العذاب:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقُفُّوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْسَ نَارُهَا وَلَا تَضُرُّنَا وَلَا تُكَلِّبُ تِلْكَ أَعْيُنَنَا رِيًا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ - الأنعام ٢٧.

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ - الشورى ٤٤<sup>(٢)</sup>.

٣٧- ويدعون الله ليصرف العذاب عنهم أو يخففه:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ - غافر ٤٩.

٣٨- ويتمنون الموت، ليتخلصوا من العذاب، وأنَّى لهم ذلك:

قال تعالى: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِ عَلَيْهِمْ وَعَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مِّنَ الْكَافِرِينَ﴾ - الزخرف ٧٧.

٣٩- ولا ينصرهم أحد، وإن طلبوا النصرة:

قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ - الأحزاب ٦٥.

(١) وانظر أيضاً: البقرة ١٢٦ والنساء ١٤ والتوبة ٦٣ و٧٣ والرعد ١٨ والحج ٧٢ والفرقان ٦٦ والزمر ٧٢ وغافر ٧٦ والحديد ١٥ والمجادلة ٨ والمُلْك ٦.

(٢) وانظر أيضاً: الحج ٢٢ والمؤمنون ١٠٧-١٠٨ والسجدة ٢٠ والأحزاب ٦٦ وفاطر ٣٧.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَقَانَتْ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ - الزُّمَرُ ١٩.

٤٠- ويعترف المذنبون بذنبهم، فينالون قسطهم من العذاب:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ١١﴾ - الْمُلْك.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ - الْمُؤْمِنُونَ ١٠٦.

٤١- وهم فيها خالدون:

قال تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - البقرة ٣٩<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ - البقرة ١٦٢<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ - النساء ١٦٩<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ - البقرة ١٦٢ وآل عِمْرَانَ ٨٨.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا لِمَعْشَرِ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ - الأنعام ١٢٨<sup>(٤)</sup>.

(١) وانظر الآية أيضاً في: البقرة ٨١ و٢١٧ و٢٥٧ و٢٧٥ وآل عِمْرَانَ ١١٦ والأعراف ٣٦ وَيُؤْتَس ٢٧ والرعد ٥ والمجادلة ١٧.

(٢) وانظر الآية أيضاً في: التوبة ٦٨ وهود ١٠٧ والنحل ٢٩ والزُّمَرُ ٧٢ وغافر ٧٦ والتغابن ١٠ والبيئنة ٦.

(٣) وانظر الآية أيضاً في: الأحزاب ٦٥ والجن ٢٣.

(٤) وانظر أيضاً: النساء ١٤ و٩٣ والمائدة ٨٠ والتوبة ١٧ و٦٣ والأنبياء ٩٩ والمؤمنون ١٠٣ والسجدة ١٤ وفُصِّلَتْ ٢٨ والزخرف ٧٤ والنبأ ٢٣.

قال الْمُفَسِّرُونَ يراد بالخلود في النار: المكث الطَّوِيلُ بحق المُسْلِمِينَ والمُؤْمِنِينَ بالله، والمكث الأبدى بحق غير هؤلاء، وقيل: غيره<sup>(١)</sup>.

٤٢- وبعضهم يلعن الآخر وبتهمه بأنه سبب ضلاله، ودخوله النار، فيدعو الله أن يضاعف له العذاب:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْهَا حَتَّى إِذَا تَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَاهُمْ لِأُولَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأُخْرَيْنَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ - الأعراف.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَابُونَ عَنَا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ - غافر ٤٧.

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ - البقرة ١٦٦.

٤٣- ويخاطب أهل الجنة أهل النار بأننا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟

قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ - الأعراف.

(١) انظر: شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ ص ٣٠٨.

## الجنة

## أهل الجنة

أَعَدَّ اللَّهُ الْجَنَّةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبَرَّسُؤْلَهُ ﷺ وِبِرْسَالَتِهِ الْإِسْلَامَ. وَقَدْ وَصَفَهُم الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِأَوْصَافٍ هِيَ:

١- الْمُتَّقُونَ:

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾ - آل عمران ١٥.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ - القلم ٣٤<sup>(١)</sup>.

٢- الْأَبْرَارُ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ - الإنسان ٥.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ - آل عمران ١٩٨.

٣- الصَّادِقُونَ:

قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ - المائدة ١١٩.

٤- الطَّائِعُونَ:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ﴾ - النساء ١٣.

٥- الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْمُسْتَقِيمُونَ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(١) انظر أيضاً: آل عمران ١٣٣ و ١٩٨ والرعد ٣٥ والنحل ٣٠-٣١ والفرقان ١٥ والشعراء ٩٠ والزمر ٢٠ و٧٣ والدخان ٥١-٥٢ ومحمد ١٥ والذاريات ١٥ والطور ١٧ والحجر ٤٥ والمرسلات ٤١ والنبأ ٣١.



أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ - الأحقاف.

٦- المقربون:

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ - الواقعة.

٧- الذين آمنوا وعملوا الصالحات:

قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴿٢٥﴾ - البقرة.

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ - النساء (١).

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الصالحات، التي لا تستقيم الحياة إلا بالالتزام بها، والتي يستحق المتمسكون بها الجنة، الذين وصفهم بأنهم:

أ- الْمُؤْمِنُونَ بالله ورسوله واليوم الآخر، وما جاء به الرَّسُول ﷺ جُمْلَةً وتفصيلاً، فهم:

المُؤْمِنُونَ بالله، لا يشركون به شيئاً، والذَّاكِرُونَ الله، والذين إذا مروا بآيات ربهم أنصتوا إليها، وعملوا بها، والتائبون إلى الله، والخائفون ربهم وسوء الحساب، والذين آمنوا بالرسول وناصروه.

ب- المؤدِّون العبادات، فهم:

المقيمون الصلاة، والقائمون بالليل، والسجّادون، والمؤتّون الزكاة، والمنفقون بالسراء بلا إسراف ولا إقتار.

(١) انظر أيضاً: البقرة ٨٢ والنساء ٥٧ و١٢٢ والأعراف ٤٢ والتوبة ٧٢ ويونس ٩ وهود ٢٣ وإبراهيم ٢٣ والكهف ٣٠-٣١ و١٠٧ ومريم ٩٦ وطه ٧٥-٧٦ والحج ٢٣ والعنكبوت ٥٨ والسجدة ١٩ وغافر ٤٠ ومحمد ١٢ والفتح ٥ والتغابن ٩ والطلاق ١١ والبروج ١١ والبيّنة ٨-٧.

ج- الذين انتهوا عن المحرمات، ودافعوا عن الإسلام فهم:

المُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ الْأَوَّلُونَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَالْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ هَجَرُوا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، وَالْمُجَاهِدُونَ الَّذِينَ أُودُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَاتَلُوا، وَقَتَلُوا، وَالصَّابِرُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

د- الذين التزموا بالخلق القويم بحسن معاملاتهم للآخرين، فهم:

الَّذِينَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَزْنُونَ، وَلَا يَقُولُونَ الزُّورَ، وَالكَاطِمُونَ الْغَيْظَ، وَالْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ، وَالْمُحْسِنُونَ، وَالْمُسْتَغْفِرُونَ لذنوبهم، وَالَّذِينَ لَا يَصْرُونَ عَلَىٰ فَعْلَاهَا، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَالْمُؤْصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُوْصَلَ، وَالْمُتَوَاضِعُونَ لِلنَّاسِ، وَالْمُعْرِضُونَ عَنِ الْجَاهِلِينَ بِرَفْقٍ وَسَلَامٍ، وَإِذَا مَرُوا بِاللُّغُوِّ مَرًّا كَرَامًا، وَالْعَامِلُونَ الْحَسَنَاتِ لِيُدْفَعُوا السَّيِّئَاتِ، وَالِدَاعُونَ أَنْ يَهَبَهُمُ اللَّهُ قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمُ لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، وَأَنْ يَصْرِفَ عَنْهُمْ عَذَابَ جَهَنَّمَ.

وهذه الأمور الأربعة تجمع ما تحويه رسالة الإسلام، وقد نص القرآن الكريم على كثير من جزئياتها، وعلى أن جزاءها الجنة في الآيات الآتية:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٢) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ ۖ - آل عمران ١٣٤-١٣٦.

وقال عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (١٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ

ذَلِكَ يَلْقَى أَثَامًا ﴿٦٨﴾ - الْفُرْقَان <sup>(١)</sup>.

### وصف الجنة وحال أهلها في القرآن الكريم

١- تُقَرَّبُ الْجَنَّةُ وتبرز لأهلها، قبل أن يدخلوها، ويعلم كل واحد منهم منزله فيها، فيهتدي إليه.

قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْقِذِينَ﴾ - الشعراء ٩٠.

وقال تعالى: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ - مُحَمَّد ٦ <sup>(٢)</sup>.

٢- الجنة عالية مرتفعة في المكان، أو الدرجات، أو الأبنية والأشجار:

قال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ - الْحَاقَّة ٢٢ والغاشية ١٠.

٣- عرضها عرض السموات والأرض:

قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ - آل عِمْرَان ١٣٣.

٤- لها أبواب:

قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ - ص ٥٠.

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ - الزُّمَر ٧٣.

٥- لها خَزَنَةٌ يهتدون ويحيون الداخلين:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ - الزُّمَر ٧٣.

(١) وانظر أيضاً: آل عِمْرَان ١٩٥ والمائدة ١٢ والتوبة ٨٨-٨٩ و١٠٠ والرعد ٢٠-٢٣ والْفُرْقَان ٧٤-٧١.

(٢) وانظر أيضاً: ق ٣١ والتكوير ١٣.

٦- أنهارها من ألوان مُخْتَلِفَةٍ:

قال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيِّرْ طَعْمَهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ - مُحَمَّد ١٥.

وقال تعالى: ﴿وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ﴾ - الواقعة ٣١.

٧- وهذه الأنهار تجري من تحتها:

قال تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ - البقرة ٢٥ و ٢٦٦<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ - التوبة ١٠٠.

وقال تعالى: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ - الأعراف ٤٣ ويونس ٩ والكهف ٣١.

٨- فيها العيون:

قال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ - الغاشية ١٢.

وقال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ - الرَّحْمَن ٥٠<sup>(٢)</sup>.

٩- فيها غرف فوقها غرف كبناء عالٍ ذي طوابق:

قال تعالى: ﴿لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ - الزُّمَر ٢٠.

١٠- أشجارها ذات فروع خضر، تميل إلى السواد لخضرتها، طيبة الرائحة:

قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ ﴿٦٦﴾ فَبَإِذَا آتَىٰ رِيكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ

(١) وهذه الآية في: آلِ عِمْرَانَ ١٥ و ١٣٦ و ١٩٥ و ١٩٨ والنساء ١٣ و ٥٧ و ١٢٢ والمائدة ١٢

و ٨٥ و ١١٩ والتوبة ٧٢ و ٨٩ والرعد ٣٥ وإِبْرَاهِيمَ ٢٣ والنحل ٣١ وطه ٧٦ والحج ١٤ و ٢٣

والفرقان ١٠ والعنكبوت ٥٨ والزُّمَر ٢٠ وَمُحَمَّدٌ ١٢ والفتح ٥٥ و ١٧ والحديد ١٢ والمجادلة ٢٢

والصف ١٢ والتغابن ٩ والطلاق ١١ والتحريم ٨ والبروج ١١ والبيئة ٨.

(٢) وانظر أيضاً: الرَّحْمَن ٦٦.

﴿٤٨﴾ - الرَّحْمَنُ <sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مَدَّاهُمَا تَانِ ﴿٦٤﴾ - الرَّحْمَنُ <sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ - الواقعة <sup>(٣)</sup>.

١١ - ظلها ظل ظليل منبسط:

قال تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ - النساء ٥٧.

وقال تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ﴿٣٥﴾ - الرعد ٣٥ <sup>(٤)</sup>.

١٢ - جَوْهًا معتدل بين الحرارة والبرودة الشديتين:

قال تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴿١٣﴾ - الإنسان ١٣.

١٣ - خَيْرَاتُهَا كثيرة:

قال تعالى: ﴿وَلِإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ - الإنسان ٢٠.

وقال تعالى: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ - غافر ٤٠ <sup>(٥)</sup>.

١٤ - عيشة أهل الجنة راضية هائلة:

قال تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ - الحاقة ٢١.

(١) أفنان: جمع فَنَن، أغصان أو ثمار.

(٢) مدهامتان: خضراوتان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة.

(٣) مخضود: لا شوك فيه.

طلح: شجر كثير النّور طيب الرائحة.

منضود: نضد حمله من أسفله إلى أعلاه.

(٤) وانظر أيضاً: الواقعة ٣٠ والمرسلات ٤١.

(٥) وانظر أيضاً: الطلاق ١١.

١٥- نَعِيمُهُمْ مُقِيمٌ دَائِمٌ:

قال تعالى: ﴿وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ - التوبة ٢١.

١٦- عطاؤهم غير مقطوع:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَالَهُ مِنْ نَقَادٍ﴾ - ص ٥٤.

وقال تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ - الواقعة ٣٣<sup>(١)</sup>.

١٧- تقدم لهم أصناف اللحوم:

قال تعالى: ﴿وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ - الطُّور ٢٢.

وقال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ - الواقعة ٢١.

١٨- وشرابهم بكؤوس فيها جمال المنظر ولذة الشارب:

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ ٤٥ ﴿بِضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ ٤٦ ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ

عَنْهَا يُزْفُونَ﴾ ٤٧ - الصافات<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ ٥٠ ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا

عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ ٦ - الإنسان<sup>(٣)</sup>.

١٩- فيها الفواكه بجميع ألوانها المُخْتَلِفَةِ مما تشتهيها النفوس:

قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ آمْنِينَ﴾ - الدخان ٥٥.

(١) وانظر أيضاً: هود ١٠٨ والرعد ٣٥ ومريم ٦٢ والصافات ٤١.

(٢) غول: غائلة كما في خمر الدنيا.

ينزفون: يسكرون، أي: ينزف عقله.

(٣) وانظر أيضاً: ص ٥١ والطُّور ٢٣ والواقعة ١٨-١٩ والإنسان ٢١ والنبأ ٣٤.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ - مُحَمَّد ١٥<sup>(١)</sup>.

٢٠- ثمارها كثمار الدنيا ولكن مع فارق كبير:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ - البقرة ٢٥.

٢١- قطفوها في متناول الأيدي:

قال تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ - الْحَاقَّة ٢٣.

وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ - الإنسان ١٤.

٢٢- ويقدم إليهم طعامهم وشرابهم بصحاف الذهب والفضة والأكواب البديعة:

قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ - الزخرف ٧١.

وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ ثَانِيَةً مِنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ ١٥ ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُهَا وَقْدِيرًا﴾ ١٦ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ ١٧ ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ ١٨ - الإنسان.

٢٣- ويطوف عليهم بالشراب والطعام غلمان في غاية الجمال المصنوع:

قال تعالى: ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ - الطور ٢٤<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَنٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا﴾ - الإنسان ١٩<sup>(٣)</sup>.

(١) وانظر أيضاً: يس ٥٧ والصفات ٤١-٤٢ وص ٥١ والزخرف ٧٣ والطور ٢٢ والرحمن ٥٢ و٦٨ والواقعة ٢٠ و٣٢ والمُرسلات ٤٢ والنبأ ٣٢.

(٢) المَكْنُون: المَصْنُون عما يَضَرُّ به في الصفاء والنقاء.

(٣) وانظر أيضاً: الواقعة ١٧.

٢٤- وحلّهم الأساور الذهبية واللؤلؤ، ولباسهم الحرير الرقيق والسميك:

قال تعالى: ﴿يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ - الكهف ٣١<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ - الإنسان ٢١<sup>(٢)</sup>.

٢٥- لهم الراحة على السرر والفرش الحريرية العجيبة:

قال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونَ﴾ - يس ٥٦.

وقال تعالى: ﴿مُتَكِينٍ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ - الرَّحْمَنُ ٧٦<sup>(٣)</sup>.

٢٦- وأزواجهم مطهرة حسان، متحبات إلى أزواجهن، قصرن طرفهن عليهم:

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ - البقرة ٢٥.

وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَإِيَّاءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَانَهُنَّ أَلْيَاقُوتٌ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ - الرَّحْمَنُ ٥٤<sup>(٤)</sup>.

(١) السندس: رقيق الحرير.

الإستبرق: سميك الحرير.

(٢) وانظر أيضاً: الحج ٢٣ وفاطر ٣٣ والدخان ٥٣.

(٣) وانظر أيضاً: الكهف ٣١ ويس ٥٧ والصفات ٤٤ وص ٥١ والطور ٢٠ والرَّحْمَنُ ٥٤ والواقعة ١٥-١٦ و٣٤ و٨٩ والإنسان ١٢-١٣ والغاشية ١٣-١٦.

الررف: الوسائد أو البسط.

العبقري: كل شيء عجيب.

(٤) وانظر أيضاً: آل عمران ١٥ والنساء ٥٧ والصفات ٤٨-٤٩ وص ٥٢ والزخرف ٧٠ والدخان ٥٤ والطور ٢٠ والرَّحْمَنُ ٧٠ و٧٢ و٧٤ والواقعة ٢٢-٢٣ و٣٥-٣٨ والنبأ ٣٣.



٢٧- التَّعْنَمُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ:

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ - يُؤْتَس ٢٦.

وقال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٢٢) - القيامة<sup>(١)</sup>.

٢٨- فيها ما تشتهي الأنفس:

قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ - الزخرف ٧١.

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ - ق ٣٥<sup>(٢)</sup>.

٢٩- أهلها خالدون:

قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - البقرة ٢٥.

وقال تعالى: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - البقرة ٨٢<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ - آل عمران ١٥ و ١٣٦ و ١٩٨<sup>(٤)</sup>.

وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ - النساء ٥٧ و ١٢٢<sup>(٥)</sup>.

وقال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهُمْ عَذَابَ

الْجَحِيمِ﴾ - الدخان ٥٦.

(١) انظر ما كتبه عن رؤية الله تعالى ومذاهب العلماء فيه في باب الإلهيات.

(٢) وانظر أيضاً: النحل ٣١ والأنبياء ١٠٢ والفرقان ١٦.

(٣) وانظر الآية في: آل عمران ١٠٧ والأعراف ٤٢ ويونس ٢٦ وهود ٢٣ والمؤمنون ١١.

(٤) وانظر أيضاً الآية في: النساء ١٣ والمائدة ٨٥ والتوبة ٧٢ و ٨٩ وهود ١٠٨ وإبراهيم ٢٣

والكهف ١٠٨ وطه ٧٦ والفرقان ٧٦ والعنكبوت ٥٨ ولقمان ٩ والأحقاف ١٤ والفتح ٥

والحديد ١٢ والمجادلة ٢٢.

(٥) وانظر أيضاً الآية في: المائدة ١١٩ والتوبة ٢٢ و ١٠٠ والتغابن ٩ والطلاق ١١ والبيّنة ٨.

وقال تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ - ق ٣٤<sup>(١)</sup>.

٣٠- لا لغوف فيها ولا تأثيم:

قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۖ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ - الواقعة.

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كَذَابًا﴾ - النبأ ٣٥<sup>(٢)</sup>.

٣١- لا يشعرون بتعب أو كلال:

قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ - الحجر ٤٨.

وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ - فاطر ٣٥<sup>(٣)</sup>.

٣٢- ويحمدون الله على ما آتاهم من النعم التي وعدوا بها:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ - الزمر ٧٤.

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَإِنَّ مُؤَذِّنًا يَنبَهُهُمْ أَنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ - الأعراف ٤٤<sup>(٤)</sup>.

٣٣- لا غل بين أهلها:

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ - الأعراف ٤٣.

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مَُّنْقَلِبِينَ﴾ -

الحجر ٤٧.

(١) وانظر أيضاً: الحجر ٤٨ والزمر ٧٣ والزخرف ٧١.

(٢) وانظر أيضاً: مريم ٦٢ والغاشية ١١.

(٣) النصب: التعب.

لغوب: كلال.

(٤) وانظر أيضاً: الأعراف ٤٣ ويونس ١٠ وفاطر ٣٤.

٣٤- يُحْيِي بَعْضَهُم بِالْأَخْرِ بِالسَّلَام:

قال تعالى: ﴿تَحْيِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ - إِبْرَاهِيمَ ٢٣.

وقال تعالى: ﴿وَتَحْيِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ - يُونُسَ ١٠.

٣٥- تُلْقَى الْمَلَائِكَةُ إِلَيْهِمُ السَّلَام:

قال تعالى: ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ - الرعد.

وقال تعالى: ﴿لَا يَخْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَلَقَّيْنَاهُمْ أَلْمَلِكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ - الْأَنْبِيَاءُ ١٠٣<sup>(١)</sup>.

٣٦- لَا خَوْفَ عَلَى أَهْلِهَا وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ:

قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ - الْأَعْرَافُ ٤٩.

وقال تعالى: ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ - الْحَجَرِ ٤٦<sup>(٢)</sup>.

٣٧- لَهُمُ النَّصْرَةُ وَالسَّرُورُ:

قال تعالى: ﴿وَلَقَهُمْ نَصْرُهُمْ وَسُرُورًا﴾ - الْإِنْسَانُ ١١.

٣٨- لَهُمُ الْإِكْرَامُ:

قال تعالى: ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ - الصَّافَاتُ ٤٢.

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ - الْمَعَارِجُ ٣٥.

٣٩- الرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ لِأَهْلِهَا:

قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ - التَّوْبَةُ ٢١.

(١) وانظر أيضاً: الْفُرْقَانُ ٧٥.

(٢) وانظر أيضاً: مريم ٦٠ والدخان ٥١ و٥٢ و٥٥ ووق ٣٤.

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ - التوبة ٧٢<sup>(١)</sup>.

٤٠- نوالهم الجنة هو الفوز والفلاح الأعظم:

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ - المائدة ١١٩<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ - الفرقان ٧٦<sup>(٣)</sup>.

٤١- البشرى لهم:

قال تعالى: ﴿بَشِّرْكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ﴾ - الحديد ١٢.

٤٢- يُهَنِّئُونَ بما هم فيه من نعيم:

قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ - الطور ١٩ والمرسلات ٤٣.

وقال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ - الحاقة ٢٤.

٤٣- وأهلها مشغولون بما هم فيه، فلا مجال لطرح سؤال، وماذا بعد هذا النعيم

المقيم؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَّهُونَ﴾ - يس ٥٥.

وقال تعالى: ﴿فَنَكِهِينَ بِمَاءِ النَّهْمِ رَبُّهُمْ﴾ - الطور ١٨.

٤٤- وأهلها لا يرضون عنها بديلاً، لما فيها من نعيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (١٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا

(١) وانظر أيضاً: آل عمران ١٥ والمائدة ١١٩.

(٢) وانظر الآية أيضاً في: التوبة ٨٩ و١٠٠ والصف ١٢ والتغابن ٩.

(٣) وانظر أيضاً: آل عمران ١٨٥ والنساء ١٣ والتوبة ٧٢ والدخان ٥٧ والحديد ١٢ والكهف

٣١ والصف ٦٠ والفتح ٥ والبروج ١١.

يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾ - الكهف.

وهكذا تتضح لنا صورة الجنة، وأهلها يجبرون فيها، وينعمون بألوان السَّعَادَةِ والهناء، قال الأستاذ عبد الرزاق نُوْفِل في كتابه: يوم القيامة:

أهل الجنة يختلفون، كما يختلف أهل الدنيا، في طريقة التمتع ولونه وشكله ومصدره، ففي الحياة الدنيا نجد من يبحثون عن المُتَعَةِ في الطعام الجيد، والشراب العليل، أو المنظر الجميل، أو اللحن الرتيب، أو الجلسة الهادئة مع صديق، أو الانفراد للتأمل والتفكير، وهناك صَفْوَةٌ طيبة، مُنْتَهَى لذتها وتَمَامُ سعادتها، الخلوة بربها في صلاةٍ ودعاء... وهكذا.

فيا ترى عندما يشرق على الوجود في الآخرة نور الله، وترتفع الحجب، لتتعلق القلوب والأنفس قبل العِيُونُ بمصدر هَذَا النُّور... ويحاول الإنسانُ بجزأيه الطاهرين، أن يتعلق بأصل النُّور، وأن يفنى في وجود لا يرى فيه سوى الله... ترى من يبحث عند ذَلِكَ عن أكل أو شرب أو مُتَعَةٍ... فهل هناك مُتَعَةٌ وإمتاع، وسَعَادَةٌ ونعيم، قدر القرب من الله ورؤيته... إن أمل المؤمنين - وقد وضع لهم نورهم - أن يَتِمَّ لهم هَذَا النُّور، ليصبحوا جزءاً من النُّور، وهذا هو ما يدعون به الله، ويسألونه بنص الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا رَبَّنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ - التحريم ٨<sup>(١)</sup>.

أما الكلام عن مكان الجنة والنار، وهل هما مخلوقتان الآن؟ فلا حاجة لنا به هنا، إذ إنه ليس بالأمر الخطير، الذي يمس صلب العقيدة<sup>(٢)</sup>.

(١) يوم القيامة لعبد الرزاق نُوْفِل ص ١٥٥-١٥٧ (بتصرف).

(٢) انظر الكلام عن هَذَا في: المَوَاقِف وشرحه للسَّيِّد الشَّرِيف ج ٨ ص ٣٠١ والمَقَاصِد وشرحه للتَّقَنَّا زَانِي ج ٥ ص ١٠٧.



# الفصل السابع

## الكُفر والتَّكْفِيرُ وَجَزَاءُ الْمُرْتَدِّ

وفيه ثلاثة مباحث:

المَبْحَثُ الأول: معنى 'الكُفر' وأنواعه.

المَبْحَثُ الثاني: حُكْمُ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

المَبْحَثُ الثالث: جزاء المرتد.





## الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ

### معنى الكُفْر وأنواعه

تقدم في آخر فصل (النَّبَوِيَّاتِ) أُصُولُ دعوة الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وفيها ذكرنا أن الشهادتين: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن مُحَمَّدًا رَسُولُ الله) هما عُنْوَانُ الدخول في الإسلام، إذ لا يدخل المرء في الإسلام إلا بالنطق بشطري الشهادة معاً، لأنها ترجمة ما في القلب من الإسلام.

فكانت الشهادتان الرُّكنَ الأول من أركان الإسلام، كما ورد في حَدِيثِ جَبْرِيلَ حين سأل الرَّسُولَ ﷺ عن الإيمان والإسلام، (قال: يا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عن الإسلام. فقال رَسُولُ الله ﷺ: الإسلامُ أنْ تَشْهَدَ أنْ لا إله إلا الله وأنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وتُقيمَ الصلاةَ، وتؤتيَ الزكاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وتَحَجَّجَ البيتَ إنْ استطعتَ إليه سَبِيلًا<sup>(١)</sup>).

وإذا دخل الإنسان الإسلام كانت له حقوقه وعليه واجباته، على النَّحو الذي جاء به القرآن الكريم والسُّنة النَّبَوِيَّة.

لكنه لا يخرج عن دائرة الإسلام إلا بإتيانه ما يؤدي به إلى الكفر.

وهذا يدعونا إلى بَيَان ما يأتي:

معنى الكفر، وأنواعه، وما يقع به التكفير، وتكفير أهل القِبْلَةِ، وجزاء المُرْتَدِّ.

(١) حَدِيثُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا اللفظ في: صَحِيح مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، أول باب بَيَان الإيمان والإسلام...، رقم ٨، عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## معنى الكفر

الكفر في أصل اللُّغَةِ: السُّتْرُ والتَّغْطِيَةُ. لذا يقال للفَلَّاحِ كافر، لأنه يَكْفُرُ البَذْرَ، أي: يَسْتُرُهُ<sup>(١)</sup>.

والكفر اصطلاحاً: هو عبارة عن ما يَمْنَعُ الكافرَ (وهو الْمُتَّصِفُ بالكفر من الآدميين) عن أن يساهم المُسْلِمِينَ في شيء من جميع الأحكام المُخْتَلِفَةِ بهم<sup>(٢)</sup>.

ولما كان الكفر شرعاً هو خلاف الإيمان عند كل طائفة<sup>(٣)</sup>، اختلفت طوائف المتكلمين في تحديد المعنى الاصطلاحِي للكفر على حسب اختلافهم في تحديد معنى الإيمان.

١- فمن قال: الإيمان بالله هو مَعْرِفَةُ الله، قال: الكفر هو الجهل بالله<sup>(٤)</sup>.

لَكِنْ يَرُدُّ عَلَى هَذَا التَّحْدِيدِ:

أَنَّ مِنْ جَحَدِ الرِّسَالَةِ وَسَبِّ الرُّسُولِ وَسُجْدِ لَصْنِمٍ كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ. وليس هذا جهلاً بالله، إذ قد يصدر من عارف بالله جاهل بالدلالة على العلم بامتناع هذه الأمور، أو المَعْرِفَةُ بها<sup>(٥)</sup>.

٢- ومن قال: الإيمان هو الطاعة كالمُعْتَزِلَةِ والخَوَارِجِ، قال: الكفر هو المعصية.

لَكِنْ الخَوَارِجُ قالوا: كل معصية كُفْرٌ.

(١) المِضْبَاحُ الْمُئَيَّرُ مادة (كفر).

(٢) الكُلِّيَّاتُ لِلْكَفَوِيِّ ص ٧٦٤ قال: وهو الأقرب.

(٣) كَشَّافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ ص ١٣٦٨.

(٤) الكُلِّيَّاتُ لِلْكَفَوِيِّ ص ٧٦٤ وكَشَّافُ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ، السَّابِقِ.

(٥) الكُلِّيَّاتُ السَّابِقِ. وقال التَّهَانَوِيُّ فِي كَشَّافِ اصْطِلَاحَاتِ الْفُنُونِ: (وبطلانه ظاهراً)، دون

أن يبين وجه البطلان.

أما الْمُعْتَرِلة فقد قَسَمُوا المعاصي إلى ثلاثة أقسام:

أ- قسم يَدُلُّ على الجهل بالله ووحْدانيته وما لا يجوز عليه. والجهل بِرِسَالَةِ رَسُوْلِهِ كَالِقَاءِ الْمُصْحَفِ فِي الْقَاذُورَاتِ، وَالتَّلَفُظِ بِكَلِمَاتٍ دَالَّةٍ عَلَى ذَلِكَ: كَسَبِّ الرَّسُوْلِ، وَالاسْتِخْفَافِ، وَهَذِهِ الْمَعَاصِي هِيَ كُفْرٌ.

ب- قسم يُخْرِجُ عَنْهُ مَرْتَكِبَهُ إِلَى مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، بِمَعْنَى لَا يُحْكَمُ عَلَى صَاحِبِهَا بِالْكَفْرِ وَلَا بِالْإِيمَانِ، بَلْ بِالْفُسُوقِ وَالْفُجُورِ، وَيُعَبَّرُ عَنْ تِلْكَ الْمَعَاصِي بِالْكَبَائِرِ، كَقَتْلِ الْعَمَدِ وَالزَّنا وَشَرْبِ الْخَمْرِ.

ج- قسم لَا يُخْرِجُ مِنْهُ مَرْتَكِبَهُ عَنِ الْإِيمَانِ، وَلَا يُوجِبُ اتِّصَافَ فَاعِلِهِ بِالْكَفْرِ وَلَا بِالْفُسُوقِ، كَكُشْفِ الْعُورَةِ وَالسَّفَهَةِ، وَيُسَمَّى بِالصَّغَائِرِ.

لَكِنْ يَرِدُ عَلَيْهِمْ:

أَنْ كُلَّ مَعْصِيَةٍ لَا تَدُلُّ عَلَى تَكْذِيبِ الرَّسُوْلِ فِيهَا جَاءَ بِهِ لَا تَكُونُ كُفْرًا<sup>(١)</sup>.

٣- وَمَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ هُوَ الْمَعْرِفَةُ (التَّصْدِيقُ) بِالْجَنَانِ، وَالْإِقْرَارُ بِاللُّسَانِ، وَالْعَمَلُ بِالْأَرْكَانِ، قَالَ: الْكُفْرُ هُوَ الْإِخْلَالُ بِأَحَدِ هَذِهِ الْأُمُورِ<sup>(٢)</sup>.

٤- وَمَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ هُوَ التَّصْدِيقُ بِالْقَلْبِ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَ بِهِ رُسُلُهُ، قَالَ: الْكُفْرُ هُوَ التَّكْذِيبُ بِشَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُوْلُ. وَهُوَ اخْتِيَارُ الْإِمَامِ الْغَزَالِيِّ.

وَتَعَقَّبَهُ الْكَفَوِيُّ بِقَوْلِهِ: وَيَرَدُّهُ مَنْ لَيْسَ بِمُصَدِّقٍ وَلَا بِمُكَذِّبٍ بِشَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُوْلُ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ بِالْإِجْمَاعِ وَلَيْسَ بِمُكَذِّبٍ، وَكَذَلِكَ أَطْفَالُ الْكُفَّارِ وَمُجَانِينُهُمْ، فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ، وَلَيْسُوا بِمُصَدِّقِينَ وَلَا مُكَذِّبِينَ<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدران السَّابِقَانِ.

(٢) الْكُلِّيَّاتُ السَّابِقُ.

(٣) الْكُلِّيَّاتُ السَّابِقُ.

ونحو اختيار الإمام الغزالي ما ذكره الإمام يحيى بن حمزة: (الكفر هو تكذيب الرسول ﷺ في شيء مما جاء به، وإنكار البعث والثواب والعقاب، وما علم ضرورة دلالته على التكذيب، كلبس الغيار وشد الزنار)<sup>(١)</sup>.

ويرد على كلام الإمام يحيى ما ورد على اختيار الإمام الغزالي.

### أنواع الكفر

قسم المتكلمون الكفر إلى أربعة أنواع هي:

١- كفر إنكار: وهو أن يكفر بقلبه ولسانه، وأن لا يعرف بما يُذكر له من التوحيد.

٢- كفر جُحود: وهو أن يعرف بقلبه ولا يُقرّ بلسانه، ككفر إبليس.

٣- كفر عناد: وهو أن يعرف بقلبه ويُقرّ بلسانه، ولا يدّين به.

٤- كفر نفاق: وهو أن يُقرّ بلسانه ولا يعتقد بقلبه.

والجميع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منهم لا يغفر له<sup>(٢)</sup>.

(١) المعالم الدنيّة للإمام يحيى بن حمزة ص ١١٨.

الغيار: البدال، وهو علامة أهل الذمة كالزنار ونحوه. / القاموس المحيط مادة (الغيرة).

والزنار: هو ما (شدّ) على وسط النصارى والمجوس. / القاموس المحيط مادة (زَنَره).

(٢) الكلّيات ص ٧٦٤-٧٦٥.

ومن كفر الجُحود: كفر فرعون، قال تعالى: ﴿وَحَاحِدُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ - النمل ١٤، وكفر أمية بن أبي الصلت الذي كان يتطلع إلى النبوة قبل بعثة محمد ﷺ، وكفر بعض اليهود الذين كانوا يعرفون نبوة محمد ﷺ.

وجعل الإباضِيَّةَ الكُفْرَ نوعين: كفر بالله، وكفر بنعمته تعالى.

١- الكفر بالله: هو الإِشْرَاقُ بالله سُبْحَانَهُ. وهذا الإِشْرَاقُ مُخْرِجٌ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلَامِ<sup>(١)</sup>.

٢- الكفر بنعمته تعالى: وهو ما نشأ من تأويل الخطأ، كاستحلال ما حرمه الله تعالى بتأويل الخطأ من فاعله أو قائله<sup>(٢)</sup>.

وكفر النعمة يسمى 'النفاق'<sup>(٣)</sup>. وهذا الكفر لَا يُخْرِجُ صاحِبَهُ عَنْ مِلَّةِ الإِسْلَامِ، بل يُعَامَلُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(٤)</sup>.

(١) سَرَحَ غَايَةِ الْمُرَادِ ص ١٣٤.

والإِشْرَاقُ بالله عند الإباضِيَّةِ نوعان: شرك مساواة، وشرك جحود.

أ- شرك المساواة: وهو أن يسوّي بين الله وبين خلقه في شيء، فمن اتخذ مع الله إلهاً آخر فقد سَوَّى بين الله تعالى وبين غيره.

ومن زعم أن الله تعالى حادث فقد سَوَّى بين الله تعالى وبين خلقه في الاتصاف بالحدوث.

ب- شرك الجُحُود: وهو أن يمحّد وجودَ الله تعالى أو صفاتِهِ أو أفعَالَهُ. كأن يمحّد كونه تعالى عالماً وقادراً...، أو يمحّد إنزاله الكتب السّاوية وإرسال الرسل.

وهذا التقسيم ليس منصوباً عليه، وإنما هو اصطلاح لعُلمَاءِ الإباضِيَّةِ، وإلا فيمكن عند التَّحْقِيقِ أن يَرَدَّ الشُّرْكُ كُلُّهُ إِلَى الْمَسَاوَاةِ أَوْ إِلَى الْجُحُودِ. / سَرَحَ غَايَةِ الْمُرَادِ ص ١٣٦. وانظر: مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ٣١٢.

(٢) مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ٣١٣.

(٣) أَنْوَارِ الْعُقُولِ وشرحها المَشَارِقُ ج ٢ ص ٣١٢ و ٣١٤.

(٤) سَرَحَ غَايَةِ الْمُرَادِ ص ١٣٤-١٣٥.

والنفاق عند الإباضِيَّةِ نوعان:

أ- التكذيب بالقلب مع الإيِّان باللسان، وهو ما ورد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ

والكفر بنوعيه السابقين مُقَيَّدٌ بالكبائر. أما فاعل الصَّغِيرَةِ فهو مُسْلِمٌ، ما لم يُصِرَّ على فعله<sup>(١)</sup>.

الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿ - النساء ١٤٥ .

ب- ارتكاب شيء من الكبائر، لقوله ﷺ: (آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا أُؤْتِمِنَ خَانَ)<sup>(١)</sup>.

فيكون هذا الكفر بالإعراض عن مَفْرُوضاته تعالى أو ارتكاب محظوراته. وهو بهذا المعنى نقيض الشُّكْرِ<sup>(٢)</sup>.

ومن أدلته:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ - الإنسان ٣. وأفرد مُسْلِمٌ له باباً في صحيحه، وترجم له البخاري بقوله (كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ).

وقوله ﷺ: (سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)<sup>(٣)</sup>.

(١) مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ٣٠٤.

.....

(١) مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ ج ٢ ص ٣١٣-٣١٤.

وحدِيث: آية المنافق ثلاث... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٢ كتاب الإيمان، ٢٤ باب علامة المنافق، رقم ٣٣، عن أبي هريرة. وهو في صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ رقم ٢٦٨٢ و ٢٧٤٩ و ٦٠٩٥ وكلها عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي صَحِيحِ مُسْلِمٍ في: ١ كتاب الإيمان، ٢٣ باب بيان خصال المنافق، رقم ٥٩، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) شَرْحُ غَايَةِ الْمُرَادِ ص ١٣٤.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَيْ عَنِّي كَرْيٌ﴾ - النمل ٤٠، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ - لقمان ١٢، فالمُسلمُ العاصي الذي كفر بنعمة الله لا يوصف بأنه كفر كُفْرًا أكبر، لأن عدم شكره هنا معصية لا تُخْرِجُهُ عن الإيمان. / الحكم وقضية تكفير المُسلم ص ٦٧-٦٨.

(٣) شَرْحُ غَايَةِ الْمُرَادِ ص ١٣٤-١٣٥.

### ما يقع به التكفير

يقع الإكفار في أربعة أمور: ما يتعلق بالاغتقاد، أو بالقول، أو بالفعل، أو الترك<sup>(١)</sup>.

#### ١ - ما يتعلق بالاغتقاد:

أصول الدين ثلاثة كما قدمنا، وهي: ما يتعلق بالله سبحانه، أو بالنبوة، أو باليوم الآخر.

فمن أنكر وجود الله تعالى، أو صفة من صفاته كقدرته وعلمه ووحدانيته، أو فعلاً من أفعاله كخلقه ورزقه وإماتته، فقد كفر. مثل الملحدين والزنادقة والمجوس.

ومن أنكر نبوة الأنبياء والمرسلين، ونبوة مُحَمَّد ﷺ، وعموم رسالته، وختمه للرسالات السابقة، والقرآن الكريم، وما يتصل بذلك، فقد كفر. كالبراهمة المنكرين لأصل النبوة، واليهود والنصارى المنكرين لنبوة مُحَمَّد ﷺ، والإباحين.

ومن أنكر الحياة الآخرة ومشاهد القيامة والجنة والنار الثابتة بالنص القاطع، فقد كفر.

#### ٢ - ما يتعلق بالقول:

وهو كل قول يفيد الاعتراف بعقيدة مكفرة، أو يفيد إنكار ما ثبت في الإسلام بالضرورة، كالنطق بكلمة الكفر، أو سب الله تعالى والأنبياء والرسل والكتب السماوية ودين الإسلام، أو الاستهزاء بالإسلام والقرآن وأحكامه.

(١) المَعَالِمُ الدِّينِيَّةُ ص ١١٨. وفي التشريع الجنائي الإسلامي ج ٢ ص ٧٠٧: (الرجوع عن الإسلام هو ترك الإسلام... بأحد طرق ثلاثة: بالفعل أو بالامتناع عن الفعل، وبالقول، وبالاغتقاد).

## ٣- ما يتعلق بالفعل:

وهو كل فعل يدل على الخروج عن أوامر الإسلام، كتمزيق المصحف، أو إلقائه في القاذورات استخفافاً به، وكالسجود لصنم تعظيماً له، وكتعليق شعار الكفر على الصدر. فإذا أظهر المسلم هذه الأمور، ولم تكن هناك قرائن تفيد أنه معذور في إظهارها، كأن يكون مكرهاً، أو أنه أظهرها لمصلحة الدولة، فإنه عندئذ يكون كافراً مرتدداً، تجري عليه أحكام الردة<sup>(١)</sup>.

٤- ترك ما يلزم معرفته، كترك معرفة الله تعالى وما يتعلق بالرسول، مثل إهمال النظر في المعجز<sup>(٢)</sup>.

## رأس درجات الكفر

الكفر درجات، يزداد بمقدار زيادة الجحود والعناد وكثرة الطغيان والشر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ - آل عمران ٩٠.

وأعلى درجاته الإشراف بالله سبحانه، الذي لا يغفره تعالى لمن مات عليه، فهو قمة الذنوب وأكبر الكبائر، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ - النساء ١١٦.

أما الذنوب الأخرى وسائر الكبائر أو الصغائر فمرتكبوها من عصاة المؤمنين قد تشملهم رحمة الله تعالى ومغفرته كرماء منه وفضلاً إذا شاء عز وجل<sup>(٣)</sup>. وهو مذهب جمهور علماء المسلمين، وستأتي الإشارة إليه بعد قليل.

(١) المعاليم الدينية، والتشريع الجنائي الإسلامي، السابِقان، والعقيدة الإسلامية لعبد الرحمن حسن حَبَنَكَة ص ٦١٨.

(٢) المعاليم الدينية السابق.

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها ص ٦٢١-٦٢٢.



## المَبْحَثُ الثَّانِي

### حُكْمُ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ

لَا تُكْفَرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ إِذَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ<sup>(١)</sup>.

(١) قال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأكبر: (ولا تُكْفَرُ مُسْلِمًا بِذَنْبٍ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ كَانَتْ كَبِيرَةً إِذَا لَمْ يَسْتَحِلَّهَا، وَلَا نُزِيلُ عَنْهُ اسْمَ الْإِيمَانِ، وَنَسْمِيهِ مُؤْمِنًا حَقِيقَةً، وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا فَاسِقًا غَيْرَ كَافِرٍ). / انظر: الفقه الأكبر في شرحه القول الفصل ص ٣٠٦ وفي شرحه لملا علي القاري ص ١١٧.

وقال أبو الحسن الأشعري في كتابه الإبانة ص ٢٦: (وندين بأن لا تُكْفَرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ يَرْتَكِبُهُ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، كَالزَّنا وَالسَّرْقَةِ وَشَرْبِ الْخَمْرِ، كَمَا دَانَتْ بِذَلِكَ الْخَوَارِجُ، وَزَعَمَتْ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ، وَنَقُولُ: إِنَّ مَنْ عَمَلَ كَبِيرَةً مِنْ هَذِهِ الْكِبَائِرِ مِثْلَ الزَّنا وَالسَّرْقَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا مُسْتَحِلًّا لَهَا غَيْرَ مُعْتَقِدٍ لِتَحْرِيمِهَا كَانَ كَافِرًا).

وتقدّم في آراء الإمام الأشعري كلام آخر في ذلك، وموافقة الذهبي وشيخه ابن تيمية عليه.

وقال ابن حزم في الفصل ج ٣ ص ٢٩٢: (والحق هو أن كل من ثبت له عقد الإسلام فإنه لا يزول عنه إلا بنفي أو إجماع، وأما بالدعوى والافتراء فلا، فوجب أن لا يُكْفَرُ أَحَدٌ بِقَوْلٍ قَالَهُ إِلَّا بِأَنْ يُخَالَفَ مَا قَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَهُ، أَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَهُ، فَيَسْتَجِيزُ خِلَافَ اللَّهِ تَعَالَى وَخِلَافَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ...).

وقال ابن أبي زيد القيرواني الأشعري في رسالته: (لا يُكْفَرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ). / انظر: كفاية الطالب الرباني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني ج ١ ص ٨٢ وشرح رسالة ابن أبي زيد للقاضي عبد الوهاب ص ٣٤٧.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم ص ٩٤: (اعلم أن مذهب أهل الحق: أنه لا يُكْفَرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا يُكْفَرُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ. وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ مَا يُعْلَمُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ

هَذَا هُوَ مَذْهَبُ جَمِيعِ أَهْلِ السُّنَّةِ سَلَفًا وَخَلَفًا<sup>(١)</sup>.

ضُرُورَةُ حُكْمِ بَرَدَتِهِ وَكُفْرِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ، أَوْ نَشَأَ بَبَادِيَةِ بَعِيدَةٍ، وَنَحْوَهُ مِمَّا يَخْفَى عَلَيْهِ، فَيُعْرِفُ ذَلِكَ، فَإِنْ اسْتَمَرَّ حُكْمُ بَكُفْرِهِ، وَكَذَا حُكْمُ مِنْ اسْتَحْلَ الزَّنا أَوْ الْخَمْرَ أَوْ الْقَتْلَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي يُعْلَمُ تَحْرِيمُهَا ضُرُورَةً.

وَقَالَ الْعَزْزَوِيُّ الْمَآثِرِيُّ فِي كِتَابِهِ أَصُولُ الدِّينِ ص ٣٠١-٣٠٤: (وَلَا تُكْفَرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، وَلَا تُخْرِجَ الْعَبْدَ مِنَ الْإِيْمَانِ إِلَّا بِجُحُودٍ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ...، وَلَا تُنْزَلُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَنَّةً وَلَا نَارًا، وَلَا تُشْهَدَ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا شُرْكَ وَلَا نِفَاقٍ مَا لَمْ يَظْهَرِ مِنْهُمْ ذَلِكَ، وَتَذَرُ سِرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى).

وَقَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ فِي الْغُنْيَةِ ج ١ ص ٨٩: (وَأَهْلُ السُّنَّةِ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ لَا يَقْطَعُوا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِجَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، مَطِيعًا كَانَ أَوْ عَاصِيًا، رَشِيدًا كَانَ أَوْ غَاوِيًا أَوْ عَاتِيًا، إِلَّا أَنْ يُطْلَعَ مِنْهُ عَلَى بَدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ).

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: (وَلَا يَجُوزُ تَكْفِيرُ الْمُسْلِمِ بِذَنْبٍ فَعَلَهُ وَلَا بِخَطَأٍ أَخْطَأَ فِيهِ، كَالْمَسَائِلِ الَّتِي تَنَازَعُ فِيهَا أَهْلُ الْقِبْلَةِ... وَالْخَوَارِجُ الْمَارْقُونُ الَّذِينَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقِتَالِهِمْ، قَاتَلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاتَّفَقَ عَلَى قِتَالِهِمْ أَيْمَةُ الدِّينِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَلَمْ يُكْفَرْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ، بَلْ جَعَلُوهُمْ مُسْلِمِينَ مَعَ قِتَالِهِمْ، وَلَمْ يُقَاتِلَهُمْ عَلِيُّ حَتَّى سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَاتَلَهُمْ لِدَفْعِ ظَلَمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، لَا لِأَنَّهُمْ كُفَّرُوا، وَلِهَذَا لَمْ يَسْبِ حَرِيمَتُهُمْ، وَلَمْ يَغْنَمْ أَمْوَالُهُمْ.

وَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ثَبَّتَ ضَلَالَتُهُمْ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ لَمْ يَكْفُرُوا مَعَ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِقِتَالِهِمْ، فَكَيْفَ بِالطَّوَائِفِ الْمُخْتَلِفِينَ الَّذِينَ اشْتَبَهَ عَلَيْهِمُ الْحَقُّ فِي مَسَائِلِ غُلَطٍ فِيهَا مِنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ؟) / انظر: مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى لِابْنِ تَيْمِيَّةَ ج ٣ ص ٢٨٢.

وَفِي الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ: (وَلَا تُكْفَرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ). / انظرها فِي شَرْحِهَا لِابْنِ أَبِي الْعِزِّ ص ٤٣٢. وَفِيهَا أَيْضًا فِي ص ٤٥٨: (وَلَا يُخْرِجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيْمَانِ إِلَّا بِجُحُودٍ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ). وَفِيهَا أَيْضًا فِي ص ٥٣٩: (وَلَا تُشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشُرْكَ وَلَا بِنِفَاقٍ مَا لَمْ يَظْهَرِ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَتَذَرُ سِرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى).

(١) كِفَايَةُ الطَّلِبِ الرَّبَّانِيِّ ج ١ ص ٨٢، وَفِيهِ: أَنَّ هَذَا هُوَ قَوْلُ الْفَاكِهَانِ.

وأهل القبلة هم أهل الإسلام<sup>(١)</sup>، أو من يدَّعي الإسلام، ويستقبل الكعبة، وإن كان من أهل الأهواء أو من أهل المعاصي ما لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup>.

وفي العقيدة الطحاوية: (ونُسَمِّي أهلَ قِبَلَتنا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، ما داموا بما جاء به النَّبِيِّ ﷺ معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مُصَدِّقِينَ)<sup>(٣)</sup>.

بدليل:

قوله ﷺ: (من صَلَّى صلاتنا، واستقبل قِبَلَتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المُسْلِمُ، له ما لنا وعليه ما علينا)<sup>(٤)</sup>.

(١) كفاية الطالب الرباني السابق.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٤٢٦-٤٢٧.

قال ابن تيمية: (كل من كان باغياً أو ظالماً أو معتدياً أو مُرتكباً ما هو ذنبٌ، فهو قسمان: مُتَأَوِّلٌ وغير مُتَأَوِّل).

فالمُتَأَوِّلُ المُجتهد كَأهل العلم والدين الذين اجتهدوا، واعتقد بعضهم حِلَّ أمور، واعتقد الآخر تحريمها، كما استحلَّ بعضهم بعض أنواع الأشربة، وبعضهم بعض المعاملات الربوية، وبعضهم بعض عقود التحليل والمُتعة، وأمثال ذلك، فقد جرى ذلك وأمثاله من خيار السلف. فهؤلاء المُتَأَوِّلون المُجتهدون غايتهم أنهم مُحْطئون، وقد قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ - البقرة ٢٨٦.

أما إذا كان الباغي مُجتهداً مُتَأَوِّلاً، ولم يتبين له أنه باغٍ، بل اعتقد أنه على الحق وإن كان مُحْطِئاً في اعتقاده، لم تكن تسميته باغياً موجبةً لإثمه، فضلاً عن أن توجب فسقه. والذين يقولون بقتال البُغاة المُتَأَوِّلِينَ يقولون مع الأمر بقتالهم: قتالنا لهم لدفع ضرر بغيهم، لا عقوبة لهم، بل للمنع من العدوان، ويقولون: إنهم باقون على العدالة لا يُفْسَقون، ويقولون هم كغير المُكَلَّف (...). / مجموع الفتاوى ج ٣٥ ص ٧٥-٧٦.

(٣) العقيدة الطحاوية. انظرها في شرحها لابن أبي العزّ ص ٤٢٦. وتقدّم في كلامنا على أصلي الوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، عند المُعْتَزَلَةِ، ما يتصل بذلك.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٤٢٦.

فإن استحلَّ الذنب، وإن كان صَغِيرَةً من الصغائر، كان مُكذِّباً للشارع في النهي، فيزول التَّصَدِيقُ عن قلبه، فيكون كافراً، نعوذ بالله<sup>(١)</sup>.

ولا خلاف بين المُسْلِمِينَ في أن الرَّجُلَ لو أظهر إنكار الواجبات الظَّاهِرَةِ المتواترة، والمحرمات الظَّاهِرَةِ المتواترة، ونحو ذلك، فإنه يُسْتَتَابُ، فإن تاب، وإلا قُتِلَ كافراً مُرْتَدّاً<sup>(٢)</sup>.

لَكِنْ يَرُدُّ عَلَى الْقَوْلِ بِعَدَمِ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ:

أن فيهم المنافقين، الذين منهم من هو أَكْفَرُ من اليَهُودِ والنَّصَارَى، بالكتاب والسُّنَّةِ والإجماع، وفيهم من قد يُظْهَرُ بَعْضُ ذَلِكَ حيث يُمَكِّنُهُم وهم يَتَظَاهَرُونَ بالشهادتين. ولهذا امتنع كثيرٌ من الأئمة عن إطلاق القول بأننا لا نُكْفِرُ أحداً بذنْبٍ، بل يُقال: لا نُكْفِرُهُمْ بِكُلِّ ذَنْبٍ كما تفعله الخَوارج<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا المقام ينبغي التَّنْبِيهُ إلى أمرين:

الأمر الأول: الشهادة على كُفْرٍ شخصٍ مُعَيَّنٍ.

لا تجوز الشهادة على شخصٍ مُعَيَّنٍ بأنه كافِرٌ، إلَّا بأمرٍ تجوز معه الشهادة<sup>(٤)</sup>، فإن

وَحَدِيث: مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا... إلخ، في: صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ في: ٨ كتاب الصلاة، ٢٨ باب فضل استقبال القِبْلَةِ، رقم ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣، وكلها عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْفَاظِ مُتَقَابِرَةً.

(١) الْقَوْلُ الْفَصْلُ ص ٣٠٦.

(٢) شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ لابن أبي العزِّ ص ٤٣٣.

(٣) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ص ٤٣٣-٤٣٤.

(٤) ومعنى هذا: أَنْ نَقُولَ مثلاً: الشَّيْوعِيُّونَ كُفَّارٌ، أَوِ الْحُكَّامُ الْعُلَمَانِيُّونَ الرَّافِضُونَ لِحُكْمِ الشَّرْعِ كُفَّارٌ، أَوْ مَنْ قَالَ كَذَا أَوْ دَعَا إِلَى كَذَا فَهُوَ كَافِرٌ، فَهَذَا وَذَلِكَ حُكْمٌ عَلَى النَّوعِ. فَإِذَا تَعَلَّقَ الْأَمْرُ بِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ يَنْتَسِبُ إِلَى هَؤُلَاءِ أَوْ أُولَئِكَ، وَجَبَ التَّوَقُّفُ لِلتَّحَقُّقِ وَالتَّثَبُّتِ مِنْ حَقِيقَةِ مَوْقِفِهِ، بِسُؤَالِهِ وَمُنَاقَشَتِهِ، حَتَّى تَقُومَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ. / فَتَاوَى مُعَاَصِرَةٍ: د. يُوسُفُ الْقَرَضَاوِي ج ١ ص ١٢٩.

من أعظم البغي أن يُشْهَدَ عَلَى مُعَيَّنٍ أن الله لا يَغْفِرُ له، ولا يَرْحَمُه، بل يُحْلِلُهُ في النار، فإن هَذَا حَكَمَ الكافر بعد موته. والدليل عَلَى ذَلِكَ:

أ- قوله ﷺ: (كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَفْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَفْصِرْ. فَقَالَ: حَلَنِي وَرَبِّي، أَبْعَثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ، لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ. فَقَبِضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيَّ قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقِيتُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ).

ب- الشخص المُعَيَّنُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا مُحْطِئًا مَغْفُورًا لَهُ.

ج- الشخص المُعَيَّنُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِيْمَانٌ عَظِيمٌ وَحَسَنَاتٌ أَوْجِبَتْ لَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ، كَمَا غَفَرَ لِلَّذِي قَالَ: (إِذَا مِتُّ فَاسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُونِي، ثُمَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ لَخَشْيَتِهِ)، وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى جَمْعِهِ وَإِعَادَتِهِ، أَوْ شَكَّ فِي ذَلِكَ.

قال العُلَمَاءُ: لَكِنْ هَذَا التَّوَقُّفُ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ لَا يَمْنَعُنَا أَنْ نُعَاقِبَهُ فِي الدُّنْيَا، لَمَنْعِ بَدْعَتِهِ، وَأَنْ نَسْتَتِيبَهُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ.

وَلِذَلِكَ فَهَمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الْقَوْلِ الصَّادِرِ مِنْهُ، فَإِنْ كَانَ الْقَوْلُ كُفْرًا بِنَفْسِهِ قِيلَ: إِنَّهُ كَفَرَ، وَقَائِلُهُ يُكْفَرُ بِشُرُوطٍ وَانْتِفَاءِ مَوَانِعَ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا صَارَ مُنَافِقًا زَنْدِيقًا. فَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُكْفَرَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ إِلَّا مَنْ يَكُونُ مُنَافِقًا زَنْدِيقًا، بِدَلِيلِ:

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَنَّفَ النَّاسَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ هِيَ: الْمُؤْمِنُونَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَالْكَافِرُونَ الَّذِينَ لَا يُقَرُّونَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَالْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ أَقَرُّوا ظَاهِرًا لَا

بَاطِنًا. فَمَنْ ثَبَّتَ كُفْرَهُ وَكَانَ مُقَرَّرًا بِالشَّهَادَتَيْنِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا مُنَافِقًا<sup>(١)</sup>.

وعليه: فإنه لَا يَكْفِي فِي الْحُكْمِ بِكُفْرِ الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ، بِنَاءً عَلَى ظَاهِرِهِ فَقَطْ.

قال ابن أبي العزّ: إِنْ مِنْ كَفَّرَ كُلٌّ مِنْ قَالَ الْقَوْلَ الْمُبْتَدِعَ فِي الْبَاطِنِ يَلْزِمُهُ أَنْ يُكْفَرَ أَقْوَامًا لَيْسُوا فِي الْبَاطِنِ مُنَافِقِينَ، بَلْ هُمْ فِي الْبَاطِنِ يُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ كَانُوا مُذْنِبِينَ. بِدَلِيلٍ: (أَنَّ رَجُلًا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ مِنَ الشَّرَابِ، فَأَتَى بِهِ يَوْمًا، فَأَمَرَ بِهِ فُجِّلِدَ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَلْعَنُهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ).

وقال ابن أبي العزّ بعد ذَلِكَ: وَهَذَا أَمْرٌ مُتَيَقِّنٌ بِهِ فِي طَوَائِفَ كَثِيرَةٍ وَأَئِمَّةٌ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَفِيهِمْ بَعْضُ مَقَالَاتِ الْجَهْمِيَّةِ، أَوِ الْمُرْجِيَّةِ، أَوِ الْقَدَرِيَّةِ، أَوِ الشَّيْعَةِ، أَوِ الْخَوَارِجِ. وَلَكِنْ الْأَئِمَّةُ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ لَا يَكُونُونَ قَائِمِينَ بِجُمْلَةٍ تِلْكَ الْبِدْعَةِ، بَلْ يَفْرَعُ مِنْهَا، وَلِهَذَا اتَّحَلَ أَهْلُ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ لَطَوَائِفَ مِنَ السَّلَفِ الْمَشَاهِيرِ.

(١) شَرَحَ الْعَقِيدَةَ الطَّحَاوِيَّةَ لابن أبي العزّ ص ٤٣٦-٤٣٨.

وعدم تكفير الشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ قال به ابنُ تَيْمِيَّةَ. انظره في: مجموع الفتاوى بمواضع منها: ج ١٢ ص ٤٨٤ و ٥٠٠ و ج ٢٣ ص ٣٤٥ و ج ٣٥ ص ٦٦ و ١٦٥.

وَحَدِيثٌ: كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ... إلخ، في: سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ فِي: ٣٥ كتاب الأدب، ٥١ باب النهي عن البغي، رقم ٤٩٠١، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ فِي تَحْقِيقِهِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ ج ٧ ص ٢٦٢: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَذَكَرَ مُخَرَّجِيهِ. وَقَالَ ابن أبي العزّ ص ٤٣٧: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَحَدِيثٌ: إِذَا مِتُّ فَاسْحَقُونِي... إلخ، رواه الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَةٍ وَأَحْمَدُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. / انظر: هامش شَرَحَ الْعَقِيدَةَ الطَّحَاوِيَّةَ السَّابِقِ.

قال ابنُ تَيْمِيَّةَ: فَهَذَا رَجُلٌ شَكَّ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ وَفِي إِعَادَتِهِ إِذَا ذُرِّي، بَلْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ لَا يُعَادُ، وَهَذَا كُفْرٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنْ كَانَ جَاهِلًا لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَكَانَ مُؤْمِنًا يُخَافُ اللَّهَ أَنْ يُعَاقِبَهُ، فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ. وَالْمُتَأَوَّلُ مِنْ أَهْلِ الْاجْتِهَادِ الْخَرِيسُ عَلَى مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ أَوْلَى بِالْمَغْفَرَةِ مِنْ مِثْلِ هَذَا. / مجموع الفتاوى ج ٣ ص ٢٣١.

فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن مباح أهل العلم أنهم يُخطئون ولا يُكفرون<sup>(١)</sup>.

الأمر الثاني: هو أن نصوصاً من الكتاب والسنة سمّت بعض الذنوب كُفراً، مثل:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ - المائدة ٤٤.

وقوله ﷺ: (سبّابُ المسلم فسوقٌ وقتاله كفر).

وقوله ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض).

وقوله ﷺ: (إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما).

وقوله ﷺ: (بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة).

وقوله ﷺ: (من حلف بغير الله فقد كفر)... إلخ.

وفي هذه النصوص وأمثالها إشكالٌ على القول بعدم تكفير أهل القبلة<sup>(٢)</sup>، إذ إن

(١) شرح العقيدة الطحاوية السابق ص ٤٣٨-٤٣٩.

وحديث: أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ... إلخ، في: صحيح البخاري في: ٨٦ كتاب الحدود، ٥ باب ما يُكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج من الملة، رقم ٦٧٨٠، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومُراده من أهل العلم هو أهل السنة والجماعة. / هامش شرح العقيدة الطحاوية.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ ص ٤٣٩-٤٤٢.

حديث: سبّابُ المسلم فسوقٌ وقتاله كفر، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد وغيرهم، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وحديث: لا ترجعوا بعدي كفّاراً... إلخ، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد وغيرهم، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وحديث: إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر... إلخ، أخرجه البخاري ومسلم والترمذي

المذكورين فيها مُسْلِمُونَ ارتكبوا تلك الذنوب فنُسبوا إلى الكُفر.

وأجيبَ عن هذا الإشكال بأن أهل السُنَّة والجماعة مُتَّفِقُونَ جميعاً على ما يأتي:

أ- إن مرتكب الكبيرة لا يكفر كُفْرَ الخَوَارِج الذي ينقله عن ملة الإسلام بالكلية، إذ لو كُفِرَ كُفْرًا ينقل عن الملة لكان مُرْتَدًّا، يُقتل على كل حال.

ب- إن مرتكب الكبيرة لا يكون في منزلة بين المنزلتين كما قالت المُعْتَرِلة.

ج- إن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيَّان والإسلام، ولا يدخل في الكُفر، ولا يستحق الخلود في النار، بدليل:

أن الله تعالى جعلَ مرتكب الكبيرة من المؤمنين بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ - البقرة ١٧٨، فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا.

وبقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَهُمْ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ٩ - الحُجرات ١٠، فلم يُخرج المقتتلين من المؤمنين.

ومالك وأحمد وغيرهم، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وحديث: بين المُسْلِم وبين الكُفر تركُ الصلاة، أخرجه مُسْلِم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وحديث: من حلفَ بغير الله فقد كُفِرَ، رواه الحاكم وغيره، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواه آخرون.

انظر تَخْرِيج هذه الأحاديث بالتفصيل في شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ، هامش ص ٤٣٩-٤٤١.



ونصوص الكتاب والسُّنَّة والإجماع تَدُلُّ على أن الزاني والسارق والقاذف لا يُقْتَل، بل يُقام عليه الحدُّ، فدَلَّ على أنه ليس بمُرتَدِّ.

د- إن مرتكب الكِبِيرَةِ يَسْتَحِقُّ الوعيد المُرتَّبَ على ذَنْبِهِ، كما وَرَدَتْ به النصوص، لا كما يقوله المُرجِّئة من أنه لا يَضُرُّ مع الإيِّان ذَنْبٌ، ولا يَنْفَع مع الكُفْرِ طاعة<sup>(١)</sup>.

والكُفْر عندهم نوعان: اعتقاديّ، وعمليّ.

فمن يقول بأن الإيِّان قولٌ وعمَلٌ، يَزِيدُ وينقص، قال: هو كُفْرٌ عمليّ لا اعتقاديّ. والكُفْر عنده على مراتب، كُفْرٌ دون كُفْرٍ، كالإيِّان عنده.

ومن يقول بأن الإيِّان هو التَّصْدِيقُ، ولا يَدْخُلُ العَمَلُ في مُسَمَّى الإيِّان، والكُفْر هو الجُحُودُ، ولا يَزِيدَانِ ولا يَنْقُصَانِ، قال: هو كُفْرٌ مجازي غير حقيقي، إذ الكُفْر الحقيقي هو الذي يَنْقُلُ عن المِلَّةِ. ولهذا يُحْكَمُ بإسلام الكافر إذا صَلَّى كصلاتنا<sup>(٢)</sup>.

وبناءً على ما تَقَدَّمَ، أوَّلُ العُلَمَاءِ نصوصَ التكفير الآتية الذكر، على:

أنها محمولةٌ على المُستَحِلِّ، فإذا استَحَلَّ مرتكبُ الكِبِيرَةِ كَبِيرَتَهُ كان كافراً اتفاقاً.

أو أن هذه الكبائر قد تؤدي بمرتكبها إلى الكُفْرِ.

(١) سَرَحَ العَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ السَّابِقُ ص ٤٤٢-٤٤٤. وانظر هَذَا فِي: لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ ج ١ ص ٣٦٨.

(٢) سَرَحَ العَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ لابن أبي العزّ ص ٤٤٤-٤٤٥.

وقال الشيخ عبد القادر في الغُنيَّة ج ١ ص ٧٣: (ونعتقد - أي: أهل السُّنَّة والجماعة - أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرةً من الكبائر والصغائر لا يُكْفَرُ بها، وإن خَرَجَ من الدنيا بغير توبة، إذا مات على التَّوْحِيدِ والإخلاص، بل يُرَدُّ أمرُهُ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عَذَّبَهُ وأدخله النار، فلا نَدْخُلُ بين الله تعالى وبين خلقه ما لم يُخْبِرْنَا اللهُ بمصيره).

أو أن فعل الكبيرة يشبه فعل الكفار<sup>(١)</sup>.

أو أن الكفر الوارد في هذه النصوص يُراد به كُفر النعمة والإحسان وأخوة الإسلام، لا كُفر الجُحود<sup>(٢)</sup>. وذكر الشيخ الخليلي أن كُفر النعمة هو نقيض الشكر، الذي لا يُخرج صاحبه عن ملة الإسلام، بل يُعامل في دنياه مُعاملة المُسلمين<sup>(٣)</sup>.

(١) شَرَحَ صَحِيحُ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ ص ١٧٠ عند شرحه أَحَادِيثَ: (سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ...) و(لا ترجعوا بعدي كُفَّاراً...).

وفي صَفْوَةِ الْأَحْكَامِ ص ٦٣ عن الشَّوْكَانِيِّ فِي نَيْلِ الْأَوْطَارِ ج ١ ص ٣١٥: أن هذه من تأويلات جُمهُورِ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، مِنْهُمْ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَالْعِثْرَةُ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ، عند شرحه أَحَادِيثَ كُفَّرَ تَارَكَ الصَّلَاةَ تَكَاسَلًا.

ونقل الشيخ أَحْمَدُ الْخَلِيلِيُّ فِي شَرَحِ غَايَةِ الْمُرَادِ ص ١٣٥ هذه التأويلات، ولم يَرْتَضِ شيئاً منها.

(٢) شَرَحَ صَحِيحُ مُسْلِمٍ لِلنَّوَوِيِّ السَّابِقَ.

(٣) هَذَا هُوَ التَّوْجِيهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ الشَّيْخُ الْخَلِيلِيُّ فِي شَرَحِ غَايَةِ الْمُرَادِ السَّابِقِ، بِنَاءً عَلَى تَقْسِيمِهِ الْكُفْرَ إِلَى كُفْرَيْنِ: كُفْرٌ جُحُودٌ، وَكُفْرٌ بِنِعْمَتِهِ تَعَالَى. وَهُوَ التَّقْسِيمُ الَّذِي أَثْبَتَهُ الْإِبَاضِيَّةُ بِاتِّفَاقٍ.

## الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ

### جَزَاءُ الْمُرْتَدِّ

إذا ارتدّ المُسلم، والعياذ بالله، فعليه جزاءان:

١- جزاء أخروي، وهو الخلود في النار.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ - البقرة .٢١٧

٢- جزاء دنيوي، وهو ما ورد في كتب الفقه من أحكام تخصّه، مثل:

يجب أن يستتبع الحاكِمُ المُرتدّ، ويُزيل الشبهات من ذهنه، ويُقيم عليه الحُجَجَ، فإذا رَفَضَ الرجوعَ إلى الإسلام جَرَتْ عليه أحكامُ المُرتدّ، فيجب قتله حدّاً، بدليل: قوله ﷺ: (من بدّل دينه فاقتلوه)، ونُقِلَ الإجماعُ على وجوب قتله<sup>(١)</sup>، ولا تجري عليه أحكامُ المُسلمين فلا يُغسَل، ولا تجوز الصلاة عليه، ولا يجوز دفنه في مقابر المُسلمين، وينقطع التوارث بينه وبين أهله، وتُطلّق زوجته منه، لأن المُسلمة لا يحلّ زواجها بكافرٍ، ولا يبقى له سُلطان على أولاده، إذ لا يُؤتمن عليهم.

وما كانت هذه الأحكام على المُرتدّ إلا لأن الرّدة جريمةٌ كبرى في نظر الإسلام باعتبارها خطراً على الفرد والمجتمع، تُغيّر هوية انتماء المسلم إلى أمّته، وتُحوّل ولاءه

(١) نقل الصَّنْعَائِي في سُبُل السَّلَام ج ٣ ص ٢٦٥ الإجماع على قتل المُرتدّ. واستدلّ بحديث: (من بدّل دينه فاقتلوه)، رواه البخاري وغيره عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وانظر أيضاً: صفوة الأحكام ص ٣٩٢ والتشريع الجنائي الإسلامي ج ٢ ص ٧٢٠.

لأعدائها، فيبيح لنفسه الاستعانة بالعدو على أهله وأُمَّته، لذا وَصَفَهُ ﷺ بأنه: (التارك لدينه، المفارق للجماعة)<sup>(١)</sup>، وأصبح خطره أعظم من خطر العدو الظاهر. لذلك:

لا يجوز لأحد أن يسارع في تكفير مُسلم، بحُجّة أنه يراه على كِبيرة من الكبائر، لأن الحكم بالتكفير ليس بالأمر الهين، إذ هو سلخ لهذا المُسلم عن مجتمعه وأُمَّته، فهو كالحكم بالموت على إنسان، فيُدفن وهو حيّ.

وآخر دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

(١) انظر خطورة الرّدة في بحث (جريمة الرّدة وعقوبة المُرتدّ) للدكتور يُوسُف القَرَضاوي ص ٣٧ وما بعدها. وانظر: فتاوى معاصرة له ج ١ ص ١٣٠.

وحديث: التارك لدينه... إلخ، مُتَّفَق عليه. وهو جزء من حديث: (لا يحلُّ دم امرئ مُسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلّا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة). / انظره في: صَفْوَة الأحكام ص ٣٥٩.

## فهرست المصادر<sup>(١)</sup>

● الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كُتّاب المقالات في القديم والحديث: عليّ يحيى معمر، المتوفى سنة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠ م.

مكتبة أبي الشعثاء، السيب، سلطنة عُمان، المطبعة العربية في عُرداية، سنة ١٩٨٧ م.

● الإبانة عن أصول الديانة: الإمام أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق الأشعري، المتوفى سنة ٣٢٤هـ = ٩٣٦ م.

تحقيق: د. فوقيّة حسين محمود.

الطبعة الأولى، توزيع دار الأنصار بالقاهرة، مطابع الدجوي بالقاهرة سنة ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧ م.

● الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: ابن بطّة، أبو عبد الله عبّيد الله بن محمّد بن محمّد بن حمدان العُكبري الحنبلي، المتوفى سنة ٣٨٧هـ.

تحقيق: أحمد فريد المزيدي.

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢ م.

● أبكار الأفكار في أصول الدين: سيف الدين عليّ بن محمّد الأمدي، المتوفى سنة ٦٣١هـ = ١٢٣٣ م.

تحقيق: أ. د. أحمد محمّد المهدي.

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، سنة ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢ م.

(١) رُتبت المصادر بحسب الحروف الهجائية، وأُثبتت التواريخ الميلادية على النّحو الوارد في كتاب (معجم الأعلام) لبسام عبد الوهاب الجابري، وهو مختصر كتاب (الأعلام) للزركلي، وكذا الوارد في (معجم المؤلفين) لعمر رضا كحالة، و(تكملة معجم المؤلفين) لمحمّد خير رمضان يوسف.

وقارنتُ التاريخين الهجري والميلادي للتأكد من توافقهما، بما ورد في كتاب (جدول السنين الهجرية) لباليها وشهورها بما يُوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها) للمستشرق ف. ويستنفلد، الذي ترجمه إلى اللغة العربية: د. عبد المنعم مآجد، وعبد المحسن رمضان.

● الإبهاج في شرح المنهاج: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي السبكي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ=١٣٥٥م. وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، المتوفى سنة ٧٧١هـ=١٣٧٠م.

ومنهاج الوصول إلى علم الأصول، للقاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي الشافعي، المتوفى سنة ٦٨٥هـ=١٢٨٦م.

تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل.

الطبعة الأولى، المكتبة المكية في مكة المكرمة ودار ابن حزم في بيروت، سنة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

● إنحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: السيد أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ=١٧٩٠م. وبهامشه:

إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

تعريف الأحياء بفصائل الإحياء، للشيخ عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس باعلوي، المتوفى سنة ١٠٣٨هـ=١٦٢٨م.

الإملاء في إشكالات الإحياء، للإمام أبي حامد الغزالي، ردّ به على بعض اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء.

مؤسسه التاريخ العربي بيروت، لبنان سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م، وهي طبعة مصورة على طبعة المطبعة الميمنية بمصر التي انتهت طبعها سنة ١٣١١هـ.

● الإنقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م.

تحقيق: فوز أحمد زمري.

الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي بيروت، سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.

● إثبات نبوة النبي ﷺ: أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون الحسيني الزبيدي الهاروني، المتوفى سنة ٤٢١هـ.

تحقيق: خليل أحمد إبراهيم الحاج.

المكتبة العلمية.

● الأُجُوبَةُ الْفَاخِرَةُ عَنِ الْأَسْئَلَةِ الْفَاجِرَةِ: شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَرَفِيِّ الْمِصْرِيِّ الْمَالِكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٨٤هـ = ١٢٨٥ م.

طَبِعَ بِهَامِشِ كِتَابِ (الْفَارِقِ بَيْنَ الْمَخْلُوقِ وَالْخَالِقِ).

● إَحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ: الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْغَزَالِيِّ الطُّوسِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٠٥هـ = ١١١١ م.

ومعه: الْمُغْنِي عَنْ حَمْلِ الْأَسْفَارِ فِي الْأَسْفَارِ فِي تَحْرِيجِ مَا فِي الْإِحْيَاءِ مِنَ الْأَخْبَارِ، لِزَيْنِ الدِّينِ أَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعِرَاقِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٠٦هـ = ١٤٠٤ م. وبهامشه:

أ- تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، لعبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيذرؤس باعلوي، المتوفى سنة ١٠٣٨هـ = ١٦٢٨ م.

ب- الإملاء عن إشكالات الإحياء، للإمام أبي حامد الغزالي، ردّ به اعتراضات أوردها بعض المعاصرين له على بعض مواضع من الإحياء.

ج- عوارف المعارف، لأبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله الشهروردي، المتوفى سنة ٦٣٢هـ = ١٢٣٤ م.

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، سنة ١٩٣٩ م.

وانظر: إتحاف السادة المتّقين.

● اختصار علوم الحديث: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ = ١٣٧٣ م.

وعليه شرح: الباعث الحثيث، لأحمد محمد شاكر، المتوفى سنة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨ م.

الطبعة الثالثة، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة، سنة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨ م.

● أدلة جواز التوسّل بالنبي ﷺ: أحمد بن زيني دحلان. انظر: رسالة فيما يتعلق بأدلة جواز التوسّل بالنبي وزيارته ﷺ.

● الأديان دراسة تاريخية مقارنة، القسم الأول: الديانات القديمة: د. زُشَدي عليان، المتوفى سنة ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩ م، ود. سعدون الساموك.

دار الحرية ببغداد سنة ١٩٧٦ م.

● أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي.

الطبعة الثالثة، القاهرة، سنة ١٩٧٢ م.

● الإِرْشَادُ إِلَى قَوَاعِدِ الْأَدَلَّةِ فِي أُصُولِ الْاِعْتِقَادِ: إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبُو الْمَعَالِي ضِيَاءُ الدِّينِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ الْجَوِينِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٧٨هـ = ١٠٨٥ م. تَحْقِيقُ: د. مُحَمَّدُ يُوسُفُ مُوسَى، وَعَلِيِّ عَبْدُ الْمُنْعَمِ عَبْدُ الْحَمِيدِ.

الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ، النَاشِرُ: مَكْتَبَةُ الْخَانَجِي بِالْقَاهِرَةِ، الشَّرَكَةُ الدَّوْلِيَّةُ لِلطَّبَاعَةِ بِالْقَاهِرَةِ، سَنَةَ ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢ م.

● إِرْشَادُ السَّارِي إِلَى شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَسْطَلَانِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٢٣هـ = ١٥١٧ م.

وَالْبُخَارِيُّ هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٥٦هـ = ٨٧٠ م. وَبِهَامِشِهِ:

شَرْحُ الْإِمَامِ النَّوَوِيِّ أَبِي زَكَرِيَّا مُحْيِي الدِّينِ يَحْيَى بْنُ شَرَفٍ بْنِ مُرِي الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٧٦هـ = ١٢٧٧ م، عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمَ بْنِ الْحَجَّاجِ الْقُشَيْرِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٦١هـ = ٨٧٥ م.

دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ بِبَيْرُوتَ، وَهِيَ الطَّبْعَةُ الْمُصَوَّرَةُ عَنِ الطَّبْعَةِ السَّابِعَةِ الَّتِي طُبِعَتْ بِالْمَطْبَعَةِ الْأَمِيرِيَّةِ بِبُؤْلَاقٍ مِصْرَ سَنَةَ ١٣٢٣ - ١٣٢٧ هـ.

● إِرْشَادُ الْفُحُولِ إِلَى تَحْقِيقِ الْحَقِّ مِنْ عِلْمِ الْأُصُولِ: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الشُّوْكَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٥٠هـ = ١٨٣٤ م. وَبِهَامِشِهِ:

شَرْحُ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ قَاسِمِ الْعَبَادِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٩٢هـ = ١٥٨٤ م، عَلَى: شَرْحِ جَلَالِ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَحَلِّيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٦٤هـ = ١٤٥٩ م، عَلَى الْوَرَقَاتِ فِي الْأُصُولِ، لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ أَبِي الْمَعَالِي ضِيَاءِ الدِّينِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ الْجَوِينِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٧٨هـ = ١٠٨٥ م. الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مَطْبَعَةُ مُصْطَفَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ وَأَوْلَادِهِ بِمِصْرَ سَنَةَ ١٩٣٧ م.

● أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ: جَارُ اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الزَّمْخَشَرِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٣٨هـ = ١١٤٤ م.

تَحْقِيقُ: عَبْدُ الرَّحِيمِ مَحْمُودُ.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مَطْبَعَةُ أَوْرْفَانَدَ بِالْقَاهِرَةِ، سَنَةَ ١٩٥٣ م، وَهِيَ طَبْعَةُ مُصَوَّرَةٍ عَلَى طَبْعَةِ دَارِ



الكتب المِصْرِية التي طُبعت سنة ١٣٤١هـ.

● أَسَاسُ التَّفْهِيمِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخَطِيب التِّيمِي البَكْرِي القُرَشِي الشَّافِعِي، فَخْر الدِّين الرَّازِي، المُتَوَفَّى سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مَوْسَسَةُ الكُتُبِ الثَّقَافِيَّة بِبَيْرُوت، سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

● الْأَسَاسُ لِعَقَائِدِ الْأَكْيَاسِ فِي مَعْرِفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَدْلِهِ فِي الْمَخْلُوقِينَ وَمَا يَتَّصِلُ بِذَلِكَ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ: الْقَاسِمُ بن مُحَمَّد بن عَلِيٍّ الزَّيْدِي الْعَلَوِي، المُتَوَفَّى سنة ١٠٢٩هـ=١٦٢٠م.

حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ: البير نَصْرِي نادر.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار الطليعة للطباعة والنشر ببَيْرُوت، سنة ١٩٨٠م.

● إِسْلَامُ بِلَا مَذَاهِبٍ: د. مُصْطَفَى الشُّكَّة.

الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ عَشْرَةَ، الدَّارُ الْمِصْرِية اللَّبْنَانِيَّة، سنة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

● الْإِسْلَامُ عَقِيدَةٌ وَشَرِيعَةٌ: الْإِمَامُ مُحَمَّد شَلْتُوت، المُتَوَفَّى سنة ١٣٨٣هـ=١٩٦٣م.

الطَّبْعَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ، دار الشروق ببَيْرُوت، الْقَاهِرَة، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

● الْإِسْلَامُ يَتَحَدَّى: وَحِيد الدِّين خَان.

الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ سنة ١٩٧٣م.

● الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى: مُحَمَّد حَسَنِينَ مَخْلُوف، كُتُبُ الْخَاتَمَةِ فِي سنة ١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.

دار المَعَارِف بِبِصْر.

● الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ تَارِيخٌ وَعَقَائِدُ: إِحْسَانُ إِلَهِي ظَهِير، المُتَوَفَّى سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، النَاشِرُ: إِدَارَةُ تَرْجَمَانِ السُّنَّةِ بِلَاهُور بَاكِسْتَان، طِبَاعَةُ دَارِ عَالَمِ الْكُتُبِ بِالرِّيَاضِ،

سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.

● الْأَسْتَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بن أَحْمَدَ بن أَبِي بَكْرٍ بن فَرْحِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزَرَجِيِّ الْقُرْطُبِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٦٧١هـ=١٢٧٣م.

تَحْقِيقُ: د. صَالِحُ عَطِيَّة الْحَطْمَانِي.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، جَمْعِيَّةُ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَالَمِيَّة، الْجُمَاهِيرِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ اللَّيْبِيَّة، سنة ١٣٦٩ من

وفاة الرَّسُول ﷺ = ٢٠٠١م.

● إشارات المَرَام من عبارات الإمام (وهو شرح الأصول المُنيفة للإمام أبي حنيفة): كلاهما للإمام كَمَال الدِّين أَحْمَد ابن القاضي الحَسَن بن يُوْسُف البِيَّاضِي الحَنَفِي الرُّومِي البُسْنَوِي الأصل، المُتَوَفَى بعد سنة ١٠٨٣ هـ.

تَحْقِيق: الشيخ يُوْسُف عبد الرَّازِق.

الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث. وهي مُصَوَّرة في دار الطَّبَاعَة المُحَمَّدِيَّة بالقَاهِرَة، سنة

٢٠٠٨ م.

● أصل الشَّيْعَة وَأُصُولُهَا: مُحَمَّد الحُسَيْن آل كاشف الغطاء، المُتَوَفَى سنة ١٣٧٣ هـ=١٩٥٤ م. قَدَّمَ لَهُ: مُرْتَضَى العَسْكَرِي.

منشورات مُؤَسَّسَة الأَعْلَمِيَّ لِلْمَطْبُوعَات بِبَيْرُوت.

● أُصُول الدَّعْوَة: د. عبد الكَرِيم زَيْدَان.

الطَّبْعَة الأَوَّلَى، بَغْدَاد، سنة ١٩٦٨ م.

● أُصُول الدِّين: جمال الدِّين أَحْمَد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحَنَفِي العَزَنَوِي، المُتَوَفَى سنة ٥٩٣ هـ=١١٩٧ م.

تَحْقِيق وتَعْلِيل: د. عُمَر وفيق الداعوق.

الطَّبْعَة الأَوَّلَى، دار البشائر الإسلامية، سنة ١٤١٩ هـ=١٩٩٨ م.

● أُصُول الدِّين: أَبُو مَنْصُور عبد القاهر بن طاهر بن مُحَمَّد البَغْدَادِي الإسْفَرَايِينِي التَّمِيمِي، المُتَوَفَى سنة ٤٢٩ هـ=١٠٣٧ م.

الناشر: مكتبة المُنَنَّى ببَغْدَاد ومُؤَسَّسَة الخانجي بوَصْر، وهي مُصَوَّرة على الطَّبْعَة الأَوَّلَى المطبوعة بِمَطْبَعَة الدَّوْلَة بِإِسْتَانْبُول سنة ١٩٢٨ م.

● أُصُول الدِّين الإسلامي: د. قَحْطَان عبد الرَّحْمَن الدُّورِي ود. رُشْدِي عَلِيَّان، المُتَوَفَى سنة ١٤٠٩ هـ=١٩٨٩ م.

طَبْعَة دار الفكر الثانية في عَمَّان، الأَرْدُن، سنة ١٤٢٢ هـ=٢٠٠٢ م، وهي الطَّبْعَة السادسة

للكتاب.

- **أُصُولُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ: مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ نَاصِر.**  
منشورات المكتبة العَصْرِيَّة، صَيْدَا، بَيْرُوت.
- **الأُصُولُ الْعَامَّةُ لِلْفِقْهِ الْمَقَارِن: مُحَمَّدٌ تَقِيَّ الْحَكِيم.**  
الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار الأَنْدَلُس للطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ، بَيْرُوت، سنة ١٩٦٣ م.
- **أُصُولُ الْفِقْهِ: د. عبد الْكَرِيم زَيْدَان.** انظر: الْوَجِيزُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ.
- **أُصُولُ الْفِقْهِ: مُحَمَّدٌ أَبُو النُّورِ زُهَيْرُ الْمَالِكِيِّ الْأَزْهَرِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م.**  
الطَّبْعَةُ الْأُولَى، المكتبة الْأَزْهَرِيَّةُ لِلتُّرَاثِ بِالْقَاهِرَةِ، دار السَّعَادَةِ للطَّبَاعَةِ بِالْقَاهِرَةِ، سنة ١٩٩٦ - ٢٠٠٤ م.
- **إظهار الحق: رحمة الله بن خَلِيلِ الرَّحْمَنِ الْهِنْدِيِّ.**  
تَحْقِيقُ: عُمَرُ الدُّسُوقِيِّ.  
مَطْبَعَةُ الرِّسَالَةِ، الْقَاهِرَةِ، سنة ١٩٦٤ م.
- **الْاِغْتِصَامُ: أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بن مُوسَى بن مُحَمَّدٍ الشَّاطِئِيِّ الْغَرْنَاطِيِّ اللَّخْمِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٩٠ هـ = ١٣٨٨ م.**  
تَحْقِيقُ: مَحْمُودُ طَعْمَةِ حَلَبِيِّ.  
الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، دار الْمَعْرِفَةِ بَيْرُوت، سنة ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م.
- **اعْتِقَادَاتُ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ: أَبُو عبد الله مُحَمَّدٌ بن عُمَرُ بن الْحُسَيْنِ الْخَطِيبُ التَّيْمِيُّ الْبَكْرِيُّ الْقُرَشِيُّ الشَّافِعِيُّ، فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي، الْمُتَوَفَّى سنة ٦٠٦ هـ = ١٢١٠ م.**  
ومعه كتاب: المرشد الأمين إِلَى اعْتِقَادَاتِ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، لَطَهُ عبد الرَّؤُوفِ سَعْدُ، وَمُصْطَفَى الْهَوَّارِيِّ.
- **مكتبة الْكُلِّيَّاتِ الْأَزْهَرِيَّةُ، شركة الطَّبَاعَةِ الْفَنِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ بِالْقَاهِرَةِ، سنة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م.**
- **إِعْجَازُ الْقُرْآنِ وَالْبَلَاغَةُ النَّبَوِيَّةُ: مُصْطَفَى صَادِقُ الرَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٧ م.**  
الطَّبْعَةُ السَّادِسَةُ، سنة ١٩٥٦ م، مِصْر.

● الأعلام - قائموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمُسْتَعَرَبِينَ والمُسْتَشْرِقِينَ: خَيْر الدِّين بن مَحْمُود بن مُحَمَّد الزَّرْكَلِيِّ الدَّمَشْقِيِّ، المُتَوَفَّى بالقَاهِرَة سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.

الطَّبَعَة الرابعة، دار العلم للملايين، سنة ١٩٧٩م.

● أعلام النبوة: أَبُو الحَسَن عَلِيّ بن مُحَمَّد المَاوَرِدِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٤٥٠هـ=١٠٥٨م. مِصْر، سنة ١٩٧١م.

● الأعمال الكاملة للإمام مُحَمَّد عَبْدَه، المُتَوَفَّى سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م. جَمَعَهَا وَحَقَّقَهَا: مُحَمَّد عُمَارَة.

الطَّبَعَة الأولى، المُوَسَّسَة العَرَبِيَّة للدراسات والنشر ببيروت، سنة ١٩٧٢-١٩٧٤م.

● الاقتصاد في الاعتقاد: الإمام أَبُو حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغَزَالِيِّ الطُّوسِيِّ الشَّافِعِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٥٠٥هـ=١١١١م. وضع حواشيه: عبد الله مُحَمَّد الخَلِيلِيّ.

الطَّبَعَة الأولى، دار الكتب العِلْمِيَّة ببيروت، سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٤م.

● إكمال إكمال المعلم (وهو شرح صحيح مسلم): أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن خَلْفَة الوُشْتَانِيّ الأَنْبِيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٨٢٧هـ=١٤٢٤م. جمع فيه شروح صحيح مسلم الأربعة: للمَازِرِيِّ وعِيَاض والقُرْطُبِيِّ والنَّوَوِيِّ مع زيادات.

ومعه: مُكْمَل إكمال الإكمال، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن يُوْسُف السَّنُوسِيِّ الحَسَنِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٨٩٥هـ.

والمُعْلِم بِقَوَائِد مُسْلِم، لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عَلِيّ بن عُمَر المَازِرِيِّ التَّمِيمِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٥٣٦هـ=١١٤١م. والمُعْلِم هو أول شرح لصحيح مسلم بن الحَجَّاج القُشَيْرِيّ النِّسَابُورِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٢٦١هـ=٨٧٥م.

وإكمال المعلم في شرح مسلم، للقَاضِي أَبِي الفَضْلِ عِيَاض بن مُوسَى بن عِيَاض اليَحْصِيّ السَّبْتِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٥٤٤هـ=١١٤٩م.

الطَّبَعَة الأولى، الناشر: دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

- إجماع العوام عن علم الكلام: الإمام أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغَزَالِي الطُّوسِي الشَّافِعِي، المُتَوَفَى سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.
- مكتبة الحقيقة بإستانبول، تُرْكِيَا، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م، وهي طَبْعَةٌ مُصَوَّرَةٌ عَلَى المطبوعة بِمَطْبَعَةِ (محب) فِي سوق (باب عالي)، سنة ١٢٨٧هـ.
- أُم الْبَرَاهِين: السَّنُوسِي. انظر: حَاشِيَةُ الدُّسُوقِي عَلَى شَرْح أُم الْبَرَاهِين.
- الْأَمْوَال: الحافظ أَبُو عُبَيْد الْقَاسِم بن سَلَّام، المُتَوَفَى سنة ٢٢٤هـ=٨٣٨م.
- تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ: مُحَمَّد خَلِيل هِرَاس.
- الناشر: مكتبة الكُتُبَات الْأَزْهَرِيَّة، دار الشرق للطَّبَاعَةِ بِالْقَاهِرَةِ، سنة ١٩٦٩م.
- أُمِّيَّة الرُّسُول مُحَمَّد ﷺ: د. قَحْطَان عبد الرَّحْمَنِ الدُّورِي.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ بَبَيْرُوت، ودار الْبَشِير بَعْمَان، الْأُرْدُن، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- الانتصار والرد على ابن الرُّونْدِي الْمُلْحِد مَا قَصِدَ بِهِ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ والطعن عليهم: أَبُو الْحُسَيْن عبد الرَّحِيم بن مُحَمَّد بن عُثْمَان الْخِيَّاط الْمُعْتَزِلِي، المُتَوَفَى بعد سنة ٣٠٠هـ بَقْلِيل.
- مع مُقَدِّمَةٍ وَتَحْقِيقٍ وَتَعْلِيلَاتٍ: د. نِيْرَج الْأُسْتَاذ بِجَامِعَةِ أُبْسَالَةِ مِنْ مَمْلَكَةِ السُّوَيْد.
- الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّة بَبَيْرُوت، مكتبة الدار الْعَرَبِيَّة لِلْكِتَاب بِالْقَاهِرَةِ، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- إِنْجِيل بَرْنَابَا.
- ترجمة: د. خَلِيل سَعَادَة.
- الْقَاهِرَة، سنة ١٩٠٨م.
- الْأَنْسَاب: أَبُو سَعْد عبد الْكَرِيم بن مُحَمَّد بن مَنْصُور التَّيْمِي السَّمْعَانِي الْمَرْوَزِي الشَّافِعِي، المُتَوَفَى سنة ٥٦٢هـ=١١٦٦م.
- حَقَّق ج ١-٦ عبد الرَّحْمَنِ بن يَحْيَى الْمُعَلِّمِي الْيَمَانِي، المُتَوَفَى سنة ١٣٨٦هـ=١٩٦٦م.
- و ج ٧-٨ مُحَمَّد عَوَامَة. و ج ٩ مُحَمَّد عَوَامَة وَرِيَاض مُرَاد. و ج ١٠ عبد الْفَتَّاح مُحَمَّد الْحُلُو.
- و ج ١١ رِيَاض مُرَاد وَمَطِيْع الْحَافِظ. و ج ١٢ أَكْرَم الْبُوشِي.

الناشر: مُحَمَّد أمين دمج، بَيْرُوت، لُبْنان.

ج ١-٦ الطَّبعة الثانية سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م. ج ٧ الطَّبعة الأولى سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.  
ج ٨ بلا تاريخ ولا طَبعة، والجزءان ٧-٨ في مَطبعة مُحَمَّد هَاشِم الكُتُبِي بِدَمَشق. ج ٩ الطَّبعة الثانية سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م. ج ١٠ الطَّبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م. ج ١١ الطَّبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٤م. ج ١٢ الطَّبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

● الإنسان ذلِكَ المجهول: الكسيس كاريل.

تعريب: شفيق أسعد فريد.

بَيْرُوت، لُبْنان.

● الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به: القاضي أبو بكر مُحَمَّد بن الطَّيِّب بن مُحَمَّد الباقِلَانِي البَصْرِي، المَتَوَفَى سنة ٤٠٣هـ=١٠١٣م.

تحقيق: مُحَمَّد زَاهِد بن الحَسَن الكُوَثَرِي، المَتَوَفَى سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.

أَشْرَف علي مراجعة أصله وتَصْحِيحه: عبد الوهَّاب عبد اللطيف.

الطَّبعة الرابعة، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الشركة الدولية للطباعة بالقاهرة، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠١م.

● الإيمان: أبو عُبَيْد القَاسِم بن سَلَام. انظر: كتاب الإيمان.

● الإيمان: أبو يَعْلَى مُحَمَّد بن الحُسَيْن بن مُحَمَّد بن خَلَف بن أَحْمَد بن الفَرَاء البَغْدَادِي، المَتَوَفَى سنة ٤٥٨هـ=١٠٦٦م.

تحقيق وتعليق: سُعود بن عبد العزيز الخَلَف.

الطَّبعة الأولى، دارالعاصمة بالرياض، سنة ١٤١٠هـ.

● الإيمان: أركانه، حقيقته، نواقضه: د. مُحَمَّد نعيم ياسين.

الطَّبعة الخامسة، الناشر: دار الفرقان، عَمَّان، الأَرْدُن، مطابع جمعية عمال المطابع التعاونية، عَمَّان، سنة ١٤١٠هـ=١٩٨٩م.

● الإيمان والحياة: د. يُوسُف القَرَصَاوِي.

الطَّبعة الثالثة عشرة، مكتبة وَهبة بالقاهرة، دار التوفيق النموذجية للطباعة، سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

- الباب الحادي عشر: العَلَامَةُ الْحَلِّيّ. انظر: مِفْتَاحُ الْبَاب.
- الْبَاعِثُ الْحَثِيثُ: أَحْمَدُ مُحَمَّدُ شَاكِر. انظر: اخْتِصَارُ عُلُومِ الْحَدِيثِ.
- الْبَحْرُ الزَّخَارُ الْجَامِعُ لِمَذَاهِبِ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ: الْإِمَامُ الْمَهْدِيّ لَدِينِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْمُرتَضَى، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٤٠هـ = ١٤٣٧م. وَبِهَامِشِهِ:
- جَوَاهِرُ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ الْمُسْتَخْرَجَةُ مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ الزَّخَارِ، لِمُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بَهْرَانَ الصَّعْدِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٥٧هـ = ١٥٥٠م.
- وَمَعَهُ: تَعْلِيلَاتٌ مِنْ مَرَاجِعٍ مُخْتَلِفَةٍ: لِمَصْحَحِهِ الْقَاضِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجُرَافِيِّ الْيَمَنِيِّ الصَّنْعَانِيِّ.
- أَشْرَفَ عَلَى الطَّبْعَةِ الْأُولَى: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّدِّيقِ وَعَبْدُ الْحَفِيزِ سَعْدُ عَطِيَّة.
- مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ بَيْرُوتَ، طَبْعَةُ مُصَوَّرَةٍ سَنَةَ ١٩٧٥م عَلَى الطَّبْعَةِ الْأُولَى الَّتِي طُبِعَتْ فِي الْقَاهِرَةِ سَنَةَ ١٩٤٧-١٩٤٩م.
- وَقَدْ ضَمَّتْ طَبْعَةُ مُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ مُقَدِّمَةَ كِتَابِ الْبَحْرِ الزَّخَارِ، وَجَعَلَتْهُ الْجُزْءَ الْأَوَّلَ، فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَأَصُولِ الْفِقْهِ وَتَارِيخِ الرَّسُولِ ﷺ وَالْعَشْرَةِ الْمَشْهُورِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَتَعْدَادِ الْأُئِمَّةِ الزَّيْدِيَّةِ... إلخ، حَقَّقَهُ: السَّيِّدُ يَحْيَى عَبْدُ الْكَرِيمِ الْفَضِيلِ، وَهُوَ الَّذِي قَامَ بِمَرَاجَعَةِ الْأَغْلَاطِ الَّتِي وَقَعَتْ فِي الطَّبْعَةِ الْأُولَى.
- بَحْرُ الْعُلُومِ (تَفْسِيرُ السَّمَرْقَنْدِيِّ): أَبُو اللَّيْثِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ السَّمَرْقَنْدِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٧٥هـ.
- تَحْقِيقُ: عَلِيٌّ مُحَمَّدٌ مَعْوُضٌ، وَعَادِلُ أَحْمَدُ عَبْدُ الْمَوْجُودِ، وَد. زَكَرِيَّا عَبْدُ الْمَجِيدِ النُّوْقِي.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بَيْرُوتَ، سَنَةَ ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.
- بَحْرُ الْكَلَامِ: أَبُو الْمُعِينِ مَيْمُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّسْفِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٠٨هـ = ١١١٤م.
- تَحْقِيقُ: السَّيِّدُ يُوْسُفُ أَحْمَدُ.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بَيْرُوتَ، سَنَةَ ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
- الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: أَثِيرُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يُوْسُفَ بْنِ حَيَّانَ النَّفْزِيّ الْأَنْدَلُسِيّ، الشَّهِيرُ بِابْنِ حَيَّانَ وَبِأَبِي حَيَّانَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٥هـ = ١٣٤٤م. وَبِهَامِشِهِ:

١- النهر الماد من البحر، لابن حيان أيضاً.

٢- الدر اللقيط من البحر المحيط، لتلميذ ابن حيان الإمام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي، المتوفى سنة ٧٤٩هـ=١٣٤٨م.

الناشر: مكتبة ومطابع النضر الحديثة، الرياض، مطابع أفست كونر وغرافير بيروت، وهي طبعة مصورة على المطبوعة بمطبعة السعادة التي تم طبعها أوائل سنة ١٣٢٩هـ.

والطبعة التي حققها: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ود. زكريا عبد المجيد النوتي، ود. أحمد النجولي الجمل.

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

● البدء والتاريخ: مطهر بن طاهر المقدسي، المتوفى بعد سنة ٣٥٥هـ - بعد سنة ٩٦٦م. المنسوب تأليفه لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي، المتوفى سنة ٣٢٢هـ.

اعتنى بنشره وترجمته إلى الفرنسية: كلان هوار.

الطبعة التي صورتها بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد، على المطبوعة بمدينة شالون سنة ١٨٩٩-١٩١٩م.

وللكتاب فهارس صنعها: الأستاذ عبد الله الجبوري.

الطبعة الأولى، مطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م.

● البداية والنهاية: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ=١٣٧٣م.

الناشر: مكتبة المعارف بيروت ومكتبة النضر بالرياض، سنة ١٩٦٦م، وهي طبعة مصورة على الطبعة الأولى المطبوعة بمصر.

● بذل المجهود في حل أبي داود: خليل أحمد السهارنفوري، المتوفى سنة ١٣٤٦هـ.

مع تعليق: الشيخ محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي، المتوفى سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

الطبعة الأولى، دار الريان للتراث بالقاهرة، مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.



● **الْبُرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ:** بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَهَادُرِ الزَّرْكَشِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٩٤هـ = ١٣٩٢م.

تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ أَبُو الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، مَطْبَعَةُ عَيْسَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ بِمِصْرَ، سَنَةَ ١٩٧٢م.

● **الْبُعْدُ الْحَضَارِيُّ لِلْعَقِيدَةِ الْإِبَاضِيَّةِ:** الدُّكْتُورُ فَرَحَاتُ الْجَعْبِيرِيِّ.

مَطْبَعَةُ الْأَلْوَانِ الْحَدِيثَةِ بِسُلْطَنَةِ عُمَانَ، سَنَةَ ١٩٨٩م.

● **بَهْجَةُ الْأَنْوَارِ شَرْحُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ فِي التَّوْحِيدِ:** نور الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُمَيْدٍ أَوْ (حَمِيدُ كَصِدِّيقٍ) ابْنُ سَلُومِ السَّالِمِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م. وَأَنْوَارُ الْعُقُولِ: منظومةٌ لِلْسَّالِمِيِّ أَيْضًا.

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ، مَطَابِعُ النَّهْضَةِ بِسُلْطَنَةِ عُمَانَ، سَنَةَ ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

● **بَيَانُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ:** الْخَطَّابِيُّ. انْظُرْ: ثَلَاثُ رَسَائِلٍ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ.

● **بَيَانُ مَذْهَبِ الْبَاطِنِيَّةِ وَبُطْلَانِهِ،** (وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ كِتَابِ قَوَاعِدِ عَقَائِدِ آلِ مُحَمَّدٍ): مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الدِّيَلَمِيِّ. أَمَمَهُ سَنَةَ ٧٠٧هـ.

عَنِي بِتَضَحُّيْهِ: ر. شَتْرُوطْمَان.

إِسْتَانْبُولُ، مَطْبَعَةُ الدَّوْلَةِ سَنَةَ ١٩٣٨م. وَهُوَ مِنَ النُّشُرَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ لْجَمْعِيَةِ الْمُسْتَشْرِقِينَ الْأَلْمَانِيَّةِ.

● **الْبَيَانُ وَالتَّبَيُّنُ:** أَبُو عُثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ بْنُ مَحْبُوبِ الْجَاحِظِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٥٥هـ = ٨٦٩م.

تَحْقِيقُ: عَبْدُ السَّلَامِ مُحَمَّدُ هَارُونُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

الطَّبْعَةُ الْخَامِسَةُ، مَكْتَبَةُ الْخَانَجِي بِمِصْرَ، مَطْبَعَةُ الْمَدَنِيِّ بِالْقَاهِرَةِ، سَنَةَ ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

● **تَأْنِيبُ الْخَطِيبِ عَلَيَّ مَا سَاقَهُ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي حَنِيفَةَ مِنَ الْأَكَاذِيبِ:** مُحَمَّدُ زَاهِدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ الْكُوْثَرِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م.

وَيْلِيهِ:

الترحيب بنقد التائب، للكوثري أيضاً.

مع تعليقات الأستاذ أحمد خيرى.

الطبعة الخامسة، سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

● تأويلات أهل السنة ويسمى (تأويلات القرآن)، وهو تفسير الماتريدي. (الجزء الأول): أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي، المتوفى سنة ٣٣٣هـ = ٩٤٤م.

تحقيق: د. إبراهيم عوضين والسيد عوضين.

الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة القرآن والسنة. يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة. القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، سنة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

● تاج التراجم في طبقات الحنفي: أبو الفداء زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني، المتوفى سنة ٨٧٩هـ = ١٤٧٤م.

تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

الطبعة الأولى، دار القلم بدمشق، سنة ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.

● تاج العروس من جواهر القاموس: السيد أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ = ١٧٩٠م.

والمُرَاد بالقاموس هو القاموس المحيط للفيروزآبادي، الذي سيرد لاحقاً.

إصدار وزارة الإعلام بالكويت، مطبعة حكومة الكويت، ج ١ سنة ١٩٦٥م - ج ١٩ سنة ١٩٨٠م، بتحقيق عدد من الأساتذة.

والطبعة التي صورتها دار مكتبة الحياة ببيروت على الطبعة الأولى التي طبعت سنة ١٣٠٦هـ بالمطبعة الخيرية بمصر.

● تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، المتوفى سنة ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م.

الطبعة الأوربية المطبوعة بالألمانية في ليدن - برييل. الأصل: ج ١ طبع سنة ١٩٤٣م، وج ٢ طبع سنة ١٩٤٩م. والذيل: ج ١ طبع سنة ١٩٤٧م، وج ٢ طبع سنة ١٩٣٨م، وج ٣ سنة ١٩٤٢م.

والطَّبْعَةُ الْعَرَبِيَّةُ ج ١-٣ بترجمة الدكتور عبد الحليم النَّجَّار، المُتَوَفَّى سنة ١٣٨٣هـ=١٩٦٤م.  
وج ٤ بترجمة الدكتور يَعْقُوبُ بَكْرٌ والدكتور رَمَضَانُ عبد التَّوَّاب. وج ٥ بترجمة الدكتور رَمَضَانُ  
عبد التَّوَّاب، ومراجعة الدكتور يَعْقُوبُ بَكْرٌ. وج ٦ بترجمة الدكتور يَعْقُوبُ بَكْرٌ، ومراجعة الدكتور  
رَمَضَانُ عبد التَّوَّاب.

دار المَعَارِف بِمِصْر، طبعات مُخْتَلِفَةٌ.

● تاريخ بَغْدَاد أَوْ مَدِينَةُ السَّلَام: الحافظ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بن عَلِيٍّ بن ثَابِتِ الخَطِيبِ  
البَغْدَادِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٤٦٣هـ=١٠٧١م.

الناشر: دار الكتاب العربي ببيروت، وهي الطَّبْعَةُ المَصَوَّرَةُ عَلَى الطَّبْعَةِ الْأُولَى التي طبعت  
بمَطْبَعَةِ السَّعَادَةِ بِمِصْر، سنة ١٣٤٩هـ.

● تاريخ الفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَنَشَأَةُ عِلْمِ الْكَلَامِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ: عَلِيٌّ مُصْطَفَى الْغُرَابِيِّ.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّة، مكتبة الأنجلو المِصْرِيَّة، سنة ١٩٨٥م.

● تاريخ المَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي السِّيَاسَةِ وَالْعَقَائِدِ وَتَارِيخِ الْمَذَاهِبِ الْفِقْهِيَّةِ: الشَّيْخُ  
مُحَمَّدُ بن أَحْمَدَ أَبُو زُهْرَةَ، المُتَوَفَّى سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.

دار الفكر العربي بالقاهرة.

● تَبْصِرَةُ الْأَدِلَّةِ فِي أَصُولِ الدِّينِ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِمَامِ أَبِي مَنْصُورٍ الْمَافِرِيَّي: أَبُو الْمُعِينِ  
مَيْمُونُ بن مُحَمَّدٍ النَّسْفِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٥٠٨هـ=١١١٤م.

تَحْقِيقٌ: كلود سَلَامَةٌ.

من منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، طبع الجزء الأول سنة  
١٩٩٠م، والثاني سنة ١٩٩٣م.

● التَّبْصِيرُ فِي الدِّينِ وَتَمْيِيزُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ عَنِ الْفِرَقِ الْهَالِكِينَ: أَبُو الْمُظَفَّرِ عِمَادُ الدِّينِ  
شَاهْفُور (شَهْفُور) بن طاهر بن مُحَمَّدٍ الْإِسْفَرَايِينِي الشَّافِعِي، المُتَوَفَّى سنة ٤٧١هـ=١٠٧٨م.

تَعْلِيقٌ: مُحَمَّدُ رَاهِدُ بن الْحَسَنِ بن عَلِيٍّ الْكُوْثَرِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م.

● تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١هـ=١١٧٦م.

الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، سنة ١٩٧٩م، وهي طبعة مصورة على الطبعة التي عني بنشرها القدسي في القاهرة.

● تبين المعاني في شرح ديوان ابن هاني، الأندلسي: شرح الدكتور زاهد علي.

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، سنة ١٣٥٢هـ.

● تجريد الاعتقاد: نصير الدين الطوسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن الحسن، المتوفى سنة ٦٧٢هـ=١٢٧٤م.

وشرحه: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، لجمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر، المشهور بالعلامة الحلبي، المتوفى سنة ٧٢٦هـ=١٣٢٥م. مع حواش وتعليقات لآية الله السيد إبراهيم ابن ساجدين بن باقر الموسوي الزنجاني.

الطبعة الثانية، الناشر: انتشارات شكوري، قم، مطبعة مهر، قم، إيران، سنة ١٤١٣هـ.

● التحدي في آيات الإعجاز: د. قحطان عبد الرحمن الدوري.

الطبعة الأولى، دار البشير بعمان، الأردن، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

● التحرير: الكمال بن الهمام. انظر: التقرير والتحبير.

● التحرير والتنوير (تفسير): الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية للنشر.

● تحفة الأخوذي شرح جامع الترمذي، ومعه: مقدمة تحفة الأخوذي: أبو العلي محمد عبد الرحمن ابن الحافظ عبد الرحيم المباركفوري، المتوفى سنة ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م.

الناشر: دار الكتاب العربي بيروت، وهي طبعة مصورة على الطبعة الهندية الحبرية.

● تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان: نور الدين أبو محمد عبد الله بن حميد أو (حميد كصديقي) بن سلوم السالمي، المتوفى سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م.

الناشر: زاهر ورزهر ابنا حفيد المؤلف سعود بن حمد، المطابع الذهبية في سلطنة عمان.

● التَّذْكِرَةُ فِي أَحْوَالِ الْمَوْتَى وَأُمُورِ الْآخِرَةِ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ فَرْحِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزَرَجِيِّ الْقُرْطُبِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٧١هـ = ١٢٧٣م. مطابع مَدْكُورَ وَأَوْلَادِهِ، الْقَاهِرَةُ.

● التَّشْرِيعُ الْجَنَائِي الْإِسْلَامِيُّ مَقَارِنًا بِالْقَانُونِ الْوَضْعِيِّ: عَبْدُ الْقَادِرِ عَوْدَةَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٧٤هـ = ١٩٥٤م.

الناشر: مكتبة دار العُرُوبَةِ بِالْقَاهِرَةِ، مَطْبَعَةُ الْمَدَنِيِّ.

الجزء الأول: القسم العام، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ، سَنَةَ ١٩٦٣م.

الجزء الثاني: القسم الخاص، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، سَنَةَ ١٩٦٤م.

● تَشْنِيفُ الْمَسَامِعِ بِجَمْعِ الْجَوَامِعِ: بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَهَادُرِ الزَّرْكَشِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٩٤هـ = ١٣٩٢م.

وَجَمْعُ الْجَوَامِعِ، لِتَاجِ الدِّينِ أَبِي نَصْرٍ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْكَافِي بْنِ عَلِيٍّ السُّبْكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٧١هـ = ١٣٧٠م.

حَقَّقَهُ: أَبُو عَمْرٍو الْحُسَيْنِيُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بَبْرُوت، سَنَةَ ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

● التَّصْوِيرُ الْفَنِيُّ فِي الْقُرْآنِ: سَيِّدُ قُطْب، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م. دار المَعَارِفِ بِمِصْرَ، سَنَةَ ١٩٥٦م.

● تَطَوُّرُ دَرَاثَاتِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ وَأَثَرُهَا فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: الدُّكْتُورُ عُمَرُ مُلَّا حُوَيْش.

مَطْبَعَةُ الْأُمَّةِ، بَغْدَاد، سَنَةَ ١٩٧٢م.

● التَّعْرِيفَاتُ: السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْجُرْجَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨١٦هـ = ١٤١٣م.

مَطْبَعَةُ الْحَلَبِيِّ بِمِصْرَ، سَنَةَ ١٣٥٧هـ.

● تَعْلِيلُ الْأَحْكَامِ: مُحَمَّدُ مُصْطَفَى شَلْبِي.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، دَارُ النَّهْضَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَبْرُوت، سَنَةَ ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

● تَفْسِيرُ الْبَيْضَاوِيِّ (أَنوار التنزيل وأسرار التأويل): الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو سَعِيدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَيْضَاوِيِّ الشَّيرَازِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٨٥هـ=١٢٨٦م.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، الْمَطْبَعَةُ الْبَهِيَّةُ الْمِصْرِيَّةُ، سَنَةَ ١٩٢٥م.

● تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ، الْمَسْمُومُ بِ(التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ) أَوْ (مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ): أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْخَطِيبُ التَّيْمِيُّ الْبَكْرِيُّ الْقُرَشِيُّ الشَّافِعِيُّ، فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، النَّاشِرُ: دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بِطَهْرَانَ، وَهِيَ مُصَوَّرَةٌ عَلَى الْمَطْبُوعَةِ الْبَهِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ، بِلَا تَارِيخٍ. وَطَبْعَةُ دَارِ الْفِكْرِ بِبِירוْتِ.

● تَفْسِيرُ السَّمَرْقَنْدِيِّ. انظر: بَحْرُ الْعُلُومِ.

● تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ. انظر: الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ.

● التَّفْسِيرُ الْعِلْمِيُّ لِلآيَاتِ الْكُونِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ: حَنْفِي أَحْمَدُ.

دار المَعَارِفِ بِمِصْرٍ.

● تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ (الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ): أَبُو عَبْدِ اللَّهِ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ فَرْحِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزَرَجِيِّ الْقُرْطُبِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٧١هـ=١٢٧٣م.

دار الشعب بالقاهرة، وَهِيَ طَبْعَةُ مُصَوَّرَةٌ عَلَى طَبْعَةِ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ.

● التَّفْسِيرُ الْكَبِيرُ: الْفَخْرُ الرَّازِيُّ. انظر: تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ.

● تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ (تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ): عِمَادُ الدِّينِ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ الْقُرَشِيُّ الدَّمَشَقِيُّ الشَّافِعِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٧٤هـ=١٣٧٣م.

اعتنى به: مُحَمَّدُ أَنْسُ مُصْطَفَى الْخَنَ، بِمُسَاعَدَةِ فَرِيقٍ مِنْ مَكْتَبِ تَحْقِيقِ التَّرَاثِ بِمُؤَسَّسَةِ الرَّسَالَةِ.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مُؤَسَّسَةُ الرَّسَالَةِ نَاشِرُونَ، بِبِירוْتِ، لُبْنَانَ، سَنَةَ ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

● تَفْسِيرُ الْكَشَافِ: الرَّمَحْسَرِيُّ. انظر: الْكَشَافُ عَنْ حَقَائِقِ التَّنْزِيلِ.

● تَفْسِيرُ الْمَنَارِ (تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ): السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ رَشِيدٌ رِضَا، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م. وفيه صَفْوَةٌ ما قاله الأُستاذ الإمامُ الشَّيخُ مُحَمَّدُ عَبْدُهُ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م.

دار الفكر ببيروت، مُصَوَّرَةٌ عَنِ الطَّبَعَةِ الْأُولَى المطبوعة بِمَطْبَعَةِ الْمَنَارِ، سنة ١٣٤٢هـ.

● تَفْسِيرُ النَّسْفِيِّ (مَدَارِكُ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقُ التَّأْوِيلِ): أَبُو الْبَرَكَاتِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَحْمُودِ النَّسْفِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧١٠هـ.

حَقَّقَهُ: يُوسُفُ عَلِيٌّ بَدْيَوِي. وراجعه: مُحْيِي الدِّينِ ديبِ مستو.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، دار الْكَلِمِ الطَّيِّبِ ببيروت، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

● تَفْصِيلُ وَسَائِلِ الشَّيْعَةِ إِلَى تَحْصِيلِ مَسَائِلِ الشَّرِيعَةِ: الشَّيخُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْحَرِّ الْعَامِلِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١١٠٤هـ=١٦٩٢م.

تَحْقِيقُ: مُؤَسَّسَةُ آلِ الْبَيْتِ لِإِحْيَاءِ الثَّرَاثِ، قُم، إِيْرَان.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، سنة ١٤١٢هـ.

● التَّفْكِيرُ الْفَلَسْفِي فِي الْإِسْلَامِ: الدُّكْتُورُ عَبْدُ الْحَلِيمِ مَحْمُودٌ، شَيْخُ الْأَزْهَرِ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

دار الْكِتَابِ اللَّبْنَانِيِّ ببيروت، ومكتبة المدرسة ببيروت، سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

● تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ: شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدِ الْكِنَانِيِّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ حَبْرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٨٥٢هـ=١٤٤٩م.

تَحْقِيقُ: مُحَمَّدٌ عَوَّامَةٌ.

الطَّبَعَةُ الرَّابِعَةُ، دار الرَّشِيدِ، سوريَا، حَلَبَ، طِبَاعَةٌ: دار الْقَلَمِ، دِمَشْقَ، بَيْرُوتَ، سنة

١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

● التَّقْرِيرُ وَالتَّحْبِيرُ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّحْرِيرِ: ابْنُ أَمِيرِ الْحَاجِّ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْحَلَبِيِّ الْحَنْفِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٨٧٩هـ=١٤٧٤م.

والتَّحْرِيرُ الْجَامِعُ بَيْنَ اصْطِلَاحِي الْحَنْفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ، لِلْكَمَالِ بْنِ الْهُمَامِ (مُحَمَّدُ بْنُ

- عبد الواحد السيّوآسيّ القاهريّ، المتوفّى سنة ٨٦١هـ=١٤٥٧م). وبهامشه:
- نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول، لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الأسنويّ القرشيّ الشافعيّ، المتوفّى سنة ٧٧٢هـ=١٣٧٠م.
- ومنهاج الوصول، للقاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاويّ الشيرازيّ الشافعيّ، المتوفّى سنة ٦٨٥هـ=١٢٨٦م.
- الطبعة الثانية، دار الكتب العلميّة ببيروت، سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م. وهي مصورة على الطبعة الأولى المطبوعة بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق القاهرة، سنة ١٣١٦-١٣١٨هـ.
- تكملة معجم المؤلفين. انظر: معجم المؤلفين.
  - تلبيس إبليس، أو (نقد العلم والعلماء): جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن الجوزيّ البغداديّ، المتوفّى سنة ٥٩٧هـ=١٢٠١م.
  - صححه ونشره: محمد منير الدمشقيّ، كان حيّاً قبل سنة ١٣٤٩هـ=١٩٣٠م.
  - الطبعة الثانية، المطبعة المنيرية بالقاهرة.
  - تلخيص المحصل: نصير الدين الطوسيّ. انظر: محصل أفكار المتقدمين.
  - التلويح على التوضيح. انظر: شرح التلويح على التوضيح.
  - تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: القاضي أبو بكر محمد بن الطيّب بن محمد الباقلانيّ البصريّ، المتوفّى سنة ٤٠٣هـ=١٠١٣م.
  - تحقيق: عماد الدين حيدر.
  - الطبعة الثالثة، مؤسّسة الكتب الثقافية ببيروت، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.
  - التمهيد لقواعد التوحيد: أبو الشاء محمود بن زيد الحنفيّ الماتريديّ اللاميّ، المتوفّى أوائل القرن السادس الهجريّ.
  - تحقيق: عبد المجيد تركي.
  - الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلاميّ ببيروت، سنة ١٩٩٥م.
  - التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع: أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطّيّ الشافعيّ، المتوفّى سنة ٣٧٧هـ.
  - قدّم له وعلّق عليه: محمد زاهد بن الحسن الكوثريّ، المتوفّى سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.



الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة، دار السعادة للطباعة بالقاهرة، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.

● تَنْوِيرُ الْحَوَالِكِ شَرْحُ مُوَطَّأِ الْإِمَامِ مَالِكٍ: جَلَالُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩١١هـ=١٥٠٥م. ويليه:

إِسْعَافُ الْمُبْطَأِ بِرِجَالِ الْمُوَطَّأِ، لِلْسُّيُوطِيِّ أَيْضاً.

وَالْمُوَطَّأُ، لِلْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ الْأَصْبَحِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٧٩هـ=٧٩٥م.  
المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

● تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ: أَبُو زَكَرِيَّا مُحْيِي الدِّينِ يَحْيَى بْنُ شَرَفٍ بْنِ مُرِي النَّوَوِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٧٦هـ=١٢٧٧م.

الناشر: دار الكتب العلمية ببيروت، وهي طَبْعَةٌ مُصَوَّرَةٌ عَلَى الطَّبْعَةِ الْمُنِيرِيَّةِ الْمَصْرِيَّةِ.

● تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ: شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكِنَانِيُّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٥٢هـ=١٤٤٩م.

الناشر: دار صادر ببيروت، سنة ١٩٦٨م، وهي مُصَوَّرَةٌ عَلَى الطَّبْعَةِ الْأُولَى الْمَطْبُوعَةِ بِمَطْبَعَةِ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ النَّظَامِيَّةِ بِحَيْدَرُ آبَادِ الدَّكْنِ سَنَةَ ١٣٢٥هـ.

● تَهْذِيبُ سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ: عَبْدِ السَّلَامِ مُحَمَّدُ هَارُونُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

وَسِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ هِيَ: السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ، لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامِ بْنِ أَيُّوبَ الْجَمِيرِيِّ الْمَعَاوِرِيِّ الْبَصْرِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢١٣هـ=٨٢٨م. وابن هِشَامٍ جَمَعَ السَّيْرَةَ النَّبَوِيَّةَ وَهَذَّبَهَا وَلَخَّصَهَا مِنَ الْمَعَاوِرِيِّ وَالسَّيْرَ لِابْنِ إِسْحَاقَ (أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٥١هـ=٧٦٨م)، فَاشْتَهَرَتْ بِسِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ.

القاهرة.

● تَهْذِيبُ الْكَمَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ: الْحَافِظُ جَمَالُ الدِّينِ أَبُو الْحَجَّاجِ يُوسُفُ بْنُ الزَّكِّيِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يُوسُفَ الْمَرْيِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٢هـ=١٣٤١م.

تَحْقِيقُ وَتَعْلِيلُ: الدُّكْتُورُ بَشَّارُ عَوَّادٍ مَعْرُوفٍ.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ بَبَيْرُوتَ، سَنَةَ ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

● التوحيد: أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الحنفي، المتوفى سنة ٣٣٣هـ=٩٤٤م.

تحقيق: د. فتح الله خليف.

الناشر: دار الجامعات المصرية - الإسكندرية، مصر.

● تيسير التفسير للقرآن الكريم: محمد بن يوسف أطفيش، المتوفى سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م.

سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، عيسى الباي الحلبي وشركاه، دار إحياء الكتب العربية بمصر، سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

● ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: الرماني والخطابي والجرجاني. وهي:

١- النكت في إعجاز القرآن: أبو الحسن علي بن عيسى بن علي الرماني، المتوفى سنة ٣٨٤هـ=٩٩٤م.

٢- بيان إعجاز القرآن: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي، المتوفى سنة ٣٨٨هـ=٩٩٨م.

٣- الرسالة الشافية في الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني الأشعري الشافعي، المتوفى سنة ٤٧١هـ=١٠٧٨م.

تحقيق: محمد خلف الله أحمد، المتوفى سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، و د. محمد زغلول سلام.

الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٨م.

● الجامع: أبو الحسن علي بن محمد بن علي البسيوي، وهو تلميذ ابن بركة عبد الله بن محمد الذي كان حياً سنة ٣٦١هـ.

سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، مطابع دار جريدة عمان للصحافة والنشر، سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

● الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب. انظر: شرح الجامع الصحيح.

● **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير:** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م.

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

● **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم:** ابن رجب زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن السلامي البغدادي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ=١٣٩٣م.

تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس.

الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.

● **الجامع لأحكام القرآن:** القرطبي. انظر: تفسير القرطبي.

● **جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية أيامها وشهورها:** ف. ويستنفلد. ترجمة: الدكتور عبد المنعم ماجد، وعبد المحسن رمضان.

الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٨٠م.

● **جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة:** الدكتور يوسف القرضاوي.

الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.

● **جمع الجوامع:** تاج الدين السبكي. انظر: حاشية البناي.

● **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح:** أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، المتوفى سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م.  
القاهرة.

● **الجواهر المضية في طبقات الحنفية:** محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي، المتوفى سنة ٧٧٥هـ=١٣٧٣م.

تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، المتوفى سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، سنة

١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

- جَوْهَرَةُ التَّوْحِيدِ. انظر: شَرْح جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سَعْد الزُّرْعِيّ الدَّمَشْقِيّ، المشهور بابن قَيْم الجَوْزِيّة، المُتَوَفَّى سنة ٧٥١هـ=١٣٥٠م.
- الطَّبَعَةُ الرَّابِعَةُ، مَطْبَعَةُ مُحَمَّد عَلِيّ صَبِيح وأولاده بمِصْر، سنة ١٣٨١هـ=١٩٦٢م.
- حَاشِيَةُ بُرْهَانِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الْجِيزَاوِي الشَّافِعِيّ البَاجُورِيّ أو البَيْجُورِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٢٧٦هـ=١٨٦٠م.
- على مَتْنِ السُّلَمِ فِي فَنِّ الْمَنَطِقِ، لعبد الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَامِر الْأَخْضَرِيّ الْمَغْرِبِيّ الْمَالِكِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٩٨٣هـ=١٥٨٥م.
- ومعه: تَقْرِيرُ الْمُحَقِّقِ الشَّيْخِ الشَّمْسِ مُحَمَّدِ الْأَنْبَابِيّ.
- مَطْبَعَةُ مُصْطَفَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ وأولاده بمِصْر، سنة ١٣٤٧هـ.
- حَاشِيَةُ الْبَنَانِيِّ عبد الرَّحْمَنِ بن جَادِ اللَّهِ الْمَغْرِبِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١١٩٨هـ=١٧٨٤م.
- على شَرْحِ جَلَالِ الدِّينِ مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد الْمَحَلِّي الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٨٦٤هـ=١٤٥٩م.
- على مَتْنِ جَمْعِ الْجَوَامِعِ، للإمام تاج الدِّينِ أَبِي نَصْرٍ عبد الوَهَّابِ بن عَلِيّ بن عبد الكافي السُّبْكِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٧٧١هـ=١٣٧٠م.
- وبهامش الحَاشِيَةِ:
- تَقْرِيرُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ عبد الرَّحْمَنِ الشَّرْبِينِيّ بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الشَّافِعِيّ، شَيْخِ الْأَزْهَرِ، المُتَوَفَّى سنة ١٣٢٦هـ=١٩٠٨م.
- الطَّبَعَةُ الثَّانِيَةُ، مَطْبَعَةُ مُصْطَفَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ وأولاده بمِصْر، سنة ١٩٣٧م.
- حَاشِيَةُ التَّرْتِيبِ: الْمُحَسِّي أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر (عَامِر) بن أَبِي سَتَةَ السَّدُودِيكْثِي الْمَغْرِبِيّ الْإِبَاضِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٠٨٨هـ=١٦٧٩م.
- وكتاب التَّرْتِيبِ هو مُسْنَدُ الْإِمَامِ الرَّبِيعِ بن حَبِيبِ بن عَمْرٍو الْأَزْدِيّ الْفَرَاهِيدِيّ الْبَصْرِيّ، المُتَوَفَّى بَيْنَ سَنَتَيْ ١٧٥-١٨٠هـ، الَّذِي رَتَبَهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ أَبُو يَعْقُوبَ يُونُسَ بن إِبْرَاهِيمَ بن مِيَادِ السَّدْرَاتِي الْوَارِثِي الْجَلَانِي الْإِبَاضِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٥٧٠هـ.

وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عُمان، المَطْبَعَةُ الشَّرْقِيَّةُ ومكتبتها في مَسْقَط - عُمان، طُبِعَ الجزء الأول سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م، وطُبِعَ الجزء الثامن سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

- حَاشِيَةُ حَسَنٍ جَلَبِيٍّ عَلَى الْمَوَاقِفِ. انظر: الْمَوَاقِفِ.
- حَاشِيَةُ الْخَيَالِيِّ عَلَى شَرْحِ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ. انظر: شَرْحُ الْعَقَائِدِ النَّسَفِيَّةِ.
- حَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ عَرَفَةَ الْمَالِكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٢٣٠هـ=١٨١٥م عَلَى شَرْحِ أُمِّ الْبَرَاهِينِ.

وَأُمُّ الْبَرَاهِينِ (المسماة بالعقيدة الصغرى، أو السنوسية) وشرحها، كلاهما لأبي عبد الله مُحَمَّدَ بْنَ يُوسُفَ بْنَ عُمَرَ بْنَ شُعَيْبِ السَّنُوسِيِّ الْحَسَنِيِّ الْمَالِكِيِّ الْمَغْرِبِيِّ التِّلْمَسَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٨٩٥هـ.

مَطْبَعَةُ دَارِ إِحْيَاءِ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَصْحَابِهَا عَيْسَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ وشركاه بالقاهرة.

- حَاشِيَةُ الدُّسُوقِيِّ مُصْطَفَى بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ عَرَفَةَ عَلَى مُغْنِي اللَّيْبِ.
- وَمُغْنِي اللَّيْبِ عَنْ كُتُبِ الْأَعَارِبِ، لابن هِشَامِ الْأَنْصَارِيِّ أَبِي مُحَمَّدَ جَمَالِ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزَرَجِيِّ الشَّافِعِيِّ ثُمَّ الْحَنْبَلِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٦١هـ=١٣٦٠م.

المَطْبَعَةُ الْحَمِيدِيَّةُ بِمِصْرَ، سنة ١٣٥٨هـ.

- حَاشِيَةُ الصَّاوِيٍّ عَلَى الدَّرْدِيرِ. انظر: شَرْحُ الْخَرِيدَةِ لِلدَّرْدِيرِ.
- حَاشِيَةُ الطُّوسِيِّ عَلَى الْمُحْصَلِ. انظر: مُحْصَلُ أَفْكَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ.
- حَاشِيَةُ عَبْدِ الْحَكِيمِ عَلَى الْمَوَاقِفِ وشرحه. انظر: الْمَوَاقِفِ.
- حَاشِيَةُ الْعَدَوِيِّ عَلَى كِفَايَةِ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ شَرْحُ أَبِي الْحَسَنِ لِرِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ.

وَالْعَدَوِيُّ هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الصَّعِيدِيِّ الْمَالِكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١١٨٩هـ=١٧٧٥م.

وَأَبُو الْحَسَنِ هُوَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَلْفِ الْمُتَوَفِيِّ الْمِصْرِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٩٣٩هـ=١٥٣٢م، وَشَرْحُ أَبِي الْحَسَنِ لِلرِّسَالَةِ اسْمُهُ: (كِفَايَةُ الطَّالِبِ الرَّبَّانِيِّ لِرِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ).

والرَّسَالَة، لأبي مُحَمَّد عبد الله بن أبي زَيْد عبد الرَّحْمَنِ النَّفْزِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ الْمَالِكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٣٨٦هـ.

مَطْبَعَة دار إحياء الكتب الْعَرَبِيَّة لِأَصْحَابِهَا عَيْسَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ بِمِصْر، بلا تاريخ. وطَبْعَة شركة مكتبة ومَطْبَعَة مُصْطَفَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ وأولاده بِمِصْر سنة ١٣٥٧هـ=١٩٣٨م.

● حَاشِيَة الْعَطَّار أَبِي السَّعَادَاتِ حَسَن بن مُحَمَّد الشَّافِعِيِّ الْأَزْهَرِيِّ الْمَغْرِبِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٢٥٠هـ=١٨٣٤م.

على شَرْح جَلَال الدِّين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن مُحَمَّد الْمَحَلِّي الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٨٦٤هـ=١٤٥٩م.

على مَتْن جَمْع الْجَوَامِع، لِلْإِمَام تاج الدِّين أَبِي نَصْر عبد الوَهَّاب بن عَلِي بن عبد الكافي السُّبْكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٧١هـ=١٣٧٠م.

وبهامش الحَاشِيَة:

تَقْرِير شيخ الإسلام عبد الرَّحْمَنِ الشَّرِيفِيِّ بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الشَّافِعِيِّ، شيخ الْأَزْهَر، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٢٦هـ=١٩٠٨م.

وَتَقْرِيرَات الشيخ مُحَمَّد عَلِي بن حُسَيْن الْمَكِّي الْمَالِكِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٦٧هـ=١٩٤٨م.

الطَّبْعَة الْأُولَى، دار الكتب الْعِلْمِيَّة بَبْرُوت، سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة.

● حَاشِيَة الْكَسْتَلِيِّ على شَرْح الْعَقَائِد النَّسَفِيَّة. انظر: شَرْح الْعَقَائِد النَّسَفِيَّة.

● حَاشِيَة الْكَلَنْبُورِيِّ على الدَّوَانِيِّ. انظر: شَرْح الْعَقَائِد الْعَصْدِيَّة.

● حَاشِيَة مُحَمَّد الْأَمِير الْأَزْهَرِيِّ بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عبد الْقَادِر السِّنْبَاوِي الْمَنْفُلُوطِيِّ الْمَالِكِيِّ، شمس الدِّين، الْمُتَوَفَّى سنة ١٢٣٢هـ=١٨١٧م، على مُغْنِي اللَّيْب عن كتب الْأَعْرَاب، لابن هِشَام الْأَنْصَارِيِّ أَبِي مُحَمَّد جَمَال الدِّين عبد الله بن يُونُس بن أَحْمَد بن عبد الله بن هِشَام الْحَنْبَلِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٦١هـ=١٣٦٠م.

دار إحياء الكتب الْعَرَبِيَّة، عَيْسَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ وشركاه بِمِصْر.

- حاشية المَرْجَانِي على الدَّوَانِي. انظر: شَرْح العقائد العُصْدِيَّة.
- حُجَّة الله على العالمين في معجزات سيّد المرسلين: يُوسُف بن إِسمَاعِيل النَّبْهَانِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣٢م.
- الطَّبْعَةُ الْمُصَوَّرَةُ، بَيْرُوت.
- الحَرَكَاتُ الهَدَامَةُ في الإسلام، الرَّائِدِيَّة، البَابَكِيَّة. د. قَحْطَان عبد الرَّحْمَنِ الدُّورِي.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، وزارة الثقافة والإعلام العِرَاقِيَّة، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد، سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- الحق الدامغ: أَحْمَد بن حمد بن سُلَيْمَانَ الْخَلِيلِي، مفتي سُلْطَنَةِ عُمَانَ.
- مطابع النهضة، مَسَقَط، سُلْطَنَةِ عُمَانَ، سنة ١٤٠٩هـ.
- الحُكْم وقضية تكفير المُسْلِم: سالم عَلِيّ الْبَهْسَاوِي.
- الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّة، دار البحوث الْعِلْمِيَّة بِالْكُوَيْت، سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م.
- الحُور الْعَيْن، وشرحه: كلاهما تَأْلِيفُ الْأَمِير أبي سَعِيد نَشَوَان بن سَعِيد بن نَشَوَان الْحَمِيرِي الْيَمَنِي، المُتَوَفَّى سنة ٥٧٣هـ=١١٧٨م.
- تَحْقِيق: كَمَال مُصْطَفَى.
- الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّة، المكتبة الْيَمَنِيَّة بِصَنْعَاء، الْيَمَن، دار آزال للطَّبَاعَةِ والنشر ببَيْرُوت، سنة ١٩٨٥م.
- خاطرات جمال الدِّين الْأَفْغَانِي (جمال الدِّين مُحَمَّد بن صَفَدَر بن عَلِيّ بن مُحَمَّد الْحُسَيْنِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣١٤هـ=١٨٩٧م): مُحَمَّد باشا ابن حَسَن سُلْطَان الْمَخْزُومِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣٤٨هـ=١٩٣٠م.
- الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّة، دار الفكر بِدِمَشْق، سنة ١٩٦٥م.
- خُطَطُ الْمُقْرِئِي. انظر: المواعظ والاعتبار.
- خُلَاصَةُ علم الكلام: د. عبد الهَادِي الْفَضْلِي.
- دار التعارف للمطبوعات، لُبْنَان، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

● خَيْرُ القلائد شرح جواهر العقائد: عُمَانُ العرياني الكليسي، المُتَوَفَّى سنة ١١٦٨هـ.  
وجواهر العقائد، منظومة نونية على مذهب الماتريديّة، للعلامة خضر بيك بن جلال الدين بن  
أحمد باشا، المُتَوَفَّى سنة ٨٦٣هـ.  
تحقيق: أحمد فريد المزيدي.

الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة ببيروت، سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.  
● دائرة المعارف الإسلاميّة. ترجمة: أحمد الشنتناوي، وإبراهيم زكي خورشيد،  
وعبد الحميد يونس. ومراجعة: د. محمد مهديّ علام، المُتَوَفَّى سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.  
دار الفكر ببيروت، وهي مصوّرة على الطبعة المصريّة.

● دراسات في الفرق والعقائد الإسلاميّة: د. عرفان عبد الحميد فتّاح، المُتَوَفَّى سنة  
١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.  
الطبعة الثانية، مؤسّسة الرّسالة ببيروت، دار البشير بعمّان، الأردنّ، سنة  
١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

● دُرّة التنزيل وعرّة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: أبو عبد الله  
محمد بن عبد الله الأصبهانيّ، المعروف بالخطيب الإسكافيّ، المُتَوَفَّى سنة ٤٣١هـ.  
رواية: الإمام إبراهيم بن عليّ بن محمد، المعروف بأبي الفرج الأزديّ.  
اعتنى به: خليل مأمون شيجا.

الطبعة الأولى، دار المعرفة ببيروت، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.  
● الدرر السنيّة في الردّ على الوهابيّة: أحمد بن زيني دحلان الشافعيّ، المُتَوَفَّى سنة  
١٣٠٤هـ=١٨٨٦م.

مُصَوَّرة مكتبة الحقيقة بإستانبول، تركيا، سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م، على المطبوعة بالمطبعة  
الميمنيّة لأصحابها مصطفىّ الباي الحلبيّ وأخويه بمصر، سنة ١٣١٩هـ=١٩٢١م.

● الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،  
المُتَوَفَّى سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م. وبها مشه:

تنوير المقباس تفسير سيّدنا عبد الله بن عباس، المُتَوَفَّى سنة ٦٨هـ=٦٨٧م، لمجد الدين



أبي الطاهر مُحَمَّد بن يَعْقُوب الصَّدِّيقِي السَّيرَازِي الفَيْرُوزَابَادِي، المُتَوَفَّى سنة ٨١٧هـ=١٤١٥م.  
الناشر: مُحَمَّد أمين دمج، بَيْرُوت، وهي مُصَوَّرَةٌ على المطبوعة سنة ١٣١٤هـ بالمطبعة المِمْنِيَّة بالقاهرة.

● دفع شُبُه التشبيه بأَكُفَّ التنزيه: جمال الدِّين أبو الفَرَج عبد الرَّحْمَن بن عَلِي بن مُحَمَّد بن الجَوَزي البَغْدَادِي، المُتَوَفَّى سنة ٥٩٧هـ=١٢٠١م.  
بعناية: طارق السُّعُود.

الطَّبعة الثانية، دار الهجرة ببيروت، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.  
● دليل الفالحين لطرق رياض الصَّالِحِينَ: مُحَمَّد بن عَلَّان الصَّدِّيقِي المَكِّي، المُتَوَفَّى سنة ١٠٥٧هـ.

ورِياض الصَّالِحِينَ، لأبي زَكْرِيَّا مُحْيِي الدِّين يَحْيَى بن شَرَف بن مُري النَّوَوِي الشَّافِعِي، المُتَوَفَّى سنة ٦٧٦هـ=١٢٧٧م.

دار الكتاب العربي ببيروت، وهي طَبعة مُصَوَّرَةٌ.

● الدِّين المقارن: مُحَمَّد أبو الفَيْض المَنُوفِي.

الطَّبعة الأولى، دار نهضة مصر، سنة ١٩٧٠م.

● الرَّازِي مفسراً: د. مُحسِن عبد الحميد.

دار الحرية، بغداد، سنة ١٩٧٤م.

● الرد الجميل للإلهية عيسى بصريح الإنجيل: الإمام أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الغَزَالِي الطُّوسِي الشَّافِعِي، المُتَوَفَّى سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

مكتبة الحقيقة بإستانبول، تركيا، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩١م، وهي طَبعة مُصَوَّرَةٌ.

● رِسَالَةٌ إلى أهل الثَّغر: الإمام أبو الحَسَن عَلِي بن إِسْمَاعِيل بن أَبِي بَشَر إِسْحَاق الأشْعَرِي، المُتَوَفَّى سنة ٣٢٤هـ=٩٣٦م.

تَحْقِيق: عبد الله شاكر مُحَمَّد الجَنِيدِي.

الطَّبعة الثانية، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.

- رسالة التوحيد: الشيخ محمد عبده، المتوفى سنة ١٣٢٣هـ=١٩٠٥م.
- وعليها تعليقات للسيد محمد رشيد رضا، المتوفى سنة ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م.
- الطبعة السابعة عشرة، دار المنار بمصر، سنة ١٣٧٦هـ.
- رسالة ابن أبي زيد القيرواني. انظر: حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني.
- رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة: كمال الدين عبد المحسن الطائي، المتوفى سنة ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.
- مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد، سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.
- رسالة فيما يتعلق بأدلة جواز التوسل بالنبي وزيارته ﷺ: أحمد بن زيني دحلان الشافعي، المتوفى سنة ١٣٠٤هـ=١٨٨٦م.
- مكتبة الحقيقة بإستانبول، تركيا، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م، وهي طبعة مصورة.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي، المتوفى سنة ٤٦٥هـ=١٠٧٣م.
- مكتبة محمد علي صبيح، سنة ١٩٥٧م.
- الرسول ﷺ: سعيد محمد حوي، المتوفى سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.
- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل: أبو الحسنات محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم اللكنوي الأنصاري، المتوفى سنة ١٣٠٤هـ.
- تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، المتوفى سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م.
- الطبعة السادسة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر الإسلامية للطباعة، بيروت، سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م.
- الروح: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، المشهور بابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ=١٣٥٠م.
- الطبعة الثالثة، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، سنة ١٣٨٦هـ=١٩٦٧م.

● روح الدّين الإسلاميّ: عفيف عبد الفتّاح طبارة.

الطّبعة الأولى، بيروت.

● رُوح المَعاني في تَفْسير القرآن العَظيم والسَّبع المَثاني: أبو الثَّناء شَهَاب الدّين السَّيِّد مَحْمُود بن عبد الله الألوَسيّ البَغداديّ، المُتوفّى سنة ١٢٧٠هـ=١٨٥٤م.

الناشر: دار إحياء التّراث العربيّ بيروت، وهي مُصوَّرة على الطّبعة الثّانية المُنيَريّة المُصرّيّة، بلا تاريخ.

● الرّوُض الأنف في تَفْسير السَّيِّرة النّبويّة لابن هِشام: أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبد الله بن أحمد الخنَعميّ السَّهيليّ، المُتوفّى سنة ٥٨١هـ=١١٨٥م.

والسَّيِّرة النّبويّة، لأبي مَحَمَّد عبد الملك بن هِشام بن أيُّوب الحِميريّ المَعافريّ البَصريّ، المُتوفّى سنة ٢١٣هـ=٨٢٨م. وابن هِشام جمع السَّيِّرة النّبويّة وهذَّبها ولخَّصها من المَعَاذِي والسَّيِّر لابن إسحاق (أبي بَكْر مَحَمَّد بن إسحاق بن يَسار، المُتوفّى سنة ١٥١هـ=٧٦٨م)، فاشتهرت بِسَيِّرة ابن هِشام.

تقديم وتعليق: طه عبد الرّؤُوف سَعْد.

مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاج عبد السّلام بن مَحَمَّد بن شقرون. طبع ج ١ في شركة الطّباعة الفنية المُتّحدة بالقاهرة سنة ١٩٧١م، وطبع ج ٢-٤ في مُؤَسَّسة نبع الفكر العربيّ للطّباعة بالقاهرة سنة ١٩٧٢-١٩٧٣م.

● الرّوُضة البَهيّة فيما بين الأشاعرة والماتريديّة: حَسَن بن عبد المُحسِن، ابن أبي عَدْبَة، المُتوفّى سنة ١١٧٢هـ=١٧٥٨م.

تَحْقِيق وتقديم: د. عَلِيّ فريد دحروج.

الطّبعة الأولى، دار سَبِيل الرّشاد، بيروت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

● رَوْضة النّاظر وَجَنَّة المُناظر: مُوفّق الدّين بن قُدّامة. انظر: نَزْهة الخاطر العاطر.

● رياض الصّالحين: أبو زَكَرِيَّا مُحْيِي الدّين يَحْيَى بن شَرَف بن مُرِي النّوويّ الشّافعيّ، المُتوفّى سنة ٦٧٦هـ=١٢٧٧م.

الطّبعة الرّابعة، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.

- زاد المعاد في هدي خير العباد: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُرعيّ الدمشقيّ، المشهور بابن قيم الجوزيّة، المتوفى سنة ٧٥١هـ=١٣٥٠م.
- الطبعة الثانية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، سنة ١٩٥٠م.
- الزيدية، نشأتها ومعتقداتها: القاضي إسماعيل بن عليّ الأكوّع.
- الطبعة الثالثة، دار الفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر ببيروت، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م.
- الزيدية، نظرية ونطيق: عليّ بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين.
- الطبعة الأولى، جمعية عمّال المطابع التعاونية بعمّان، الأردنّ، سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- الزينة. انظر: الغلو والفرق الغالية.
- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام: الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعائيّ، المتوفى سنة ١١٨٢هـ=١٧٦٨م.
- وبلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن عليّ بن محمد الكناينيّ، المعروف بابن حجر العسقلانيّ، المتوفى سنة ٨٥٢هـ=١٤٤٩م.
- مراجعة وتعليق: الشيخ محمد عبد العزيز الخوليّ، المتوفى سنة ١٣٤٩هـ=١٩٣١م.
- الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، سنة ١٩٥٠م.
- سبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الصّالحيّ الشّاميّ، المتوفى سنة ٩٤٢هـ=١٥٣٦م.
- تحقيق: مجموعة من الأساتذة.
- وزارة الأوقاف بمصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلاميّ، القاهرة، مطابع مختلفّة. طبع الجزء الأول سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م، وطبع الجزء الثالث عشر سنة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.
- السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج: أبو الطيّب صديق بن حسن خان بن عليّ الحسينيّ القنوجيّ البخاريّ، المتوفى سنة ١٣٠٧هـ=١٨٨٩م.
- وهو شرح على ملخص صحيح مسلم، للحافظ المنذريّ زكيّ الدين عبد العظيم بن عبد القويّ، المتوفى سنة ٦٥٦هـ=١٢٥٨م.

وَمُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقُسَيْرِيُّ النَّيسَابُورِيُّ صَاحِبُ الصَّحِيحِ تُوْفِي سَنَةَ ٢٦١هـ = ٨٧٥م.

تَحْقِيقُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ، وَعَبْدُ التَّوَّابِ هَيْكَل.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، وَزَارَةُ الْأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِدَوْلَةِ قَطَرٍ، مَطَابَعُ الدَّوْحَةِ الْحَدِيثَةِ بِقَطَرٍ، وَالْمَطْبَعَةُ الْأَهْلِيَّةُ بِقَطَرٍ. انْتَهَى طَبْعُهُ سَنَةَ ١٩٩٧م.

● سَرَحُ الْعُمُونِ فِي شَرْحِ رِسَالَةِ ابْنِ زَيْدُون: أَبُو بَكْرُ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ شَرَفِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ، بَنُ ثُبَاتَةَ الْفَارَقِيِّ الْجَدَامِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٦٨هـ = ١٣٦٦م.

وَابْنُ زَيْدُونُ هُوَ الْوَزِيرُ أَبُو الْوَلِيدِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ غَالِبِ بْنِ زَيْدُونِ الْمَخْزُومِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٦٣هـ = ١٠٧١م.  
وَرِسَالَتُهُ هَذِهِ هِيَ الرِّسَالَةُ الْهَزْلِيَّةُ.

تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ أَبُو الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

الْمَكْتَبَةُ الْعَصْرِيَّةُ بِبَيْرُوتَ، سَنَةَ ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

● السَّلَفِيَّةُ مَرْحَلَةٌ زَمْنِيَّةٌ مُبَارَكَةٌ لَا مَذْهَبٌ إِسْلَامِيٌّ: د. مُحَمَّدُ سَعِيدُ رَمَضَانَ الْبُوطِي.

دَارُ الْفِكْرِ الْمَعَاوِرُ بِبَيْرُوتَ، وَدَارُ الْفِكْرِ بِدِمَشْقَ، الْمَطْبَعَةُ الْعِلْمِيَّةُ بِدِمَشْقَ، سَنَةَ ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.

● سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ، أَبِي عِيْسَى مُحَمَّدُ بْنُ عِيْسَى بْنِ سُوْرَةَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٧٩هـ = ٨٩٢م.

اعْتَنَى بِهِ: فَرِيقُ بَيْتِ الْأَفْكَارِ الدَّوْلِيَّةِ، وَطُبِعَ بِاسْمِ: (جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ).

شَرَكَةُ بَيْتِ الْأَفْكَارِ الدَّوْلِيَّةِ، لُبْنَانُ، سَنَةَ ٢٠٠٤م.

● سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ السَّجِسْتَانِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٧٥هـ = ٨٨٩م. وَمَعَهُ:

مَعَالِمُ السُّنَنِ شَرَحَ سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ، لِلْحَطَّابِيِّ حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْبُسْتِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٨٨هـ = ٩٩٨م.

تَحْقِيقُ: عَزَّتْ عُبَيْدُ الدَّعَّاسُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، حِمَصُ، سَنَةَ ١٩٦٩م.

● سُنَنُ أَبِي دَاوُدَ.

تَحْقِيقُ وَتَحْرِيجُ وَتَعْلِيقُ: الشَّيْخُ شُعَيْبُ الأَرْنَؤُوط وَآخَرِينَ.

الطَّبْعَةُ الأُولَى، دَارُ الرِّسَالَةِ الْعَالَمِيَّة - بَيْرُوتَ، سَنَةُ ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

وَأَشْرَتْ إِلَيْهَا عِنْدَ الإِحَالَةِ عَلَيْهَا.

● سُنَنُ ابْنِ مَاجَهَ، أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الرَّبْعِيِّ الْقُرُونِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ

٢٧٣هـ = ٨٨٧م.

تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ فَوَادُ عَبْدِ الْبَاقِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م.

دَارُ إِحْيَاءِ الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ، عَيْسَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ بِمِصْرَ، سَنَةَ ١٩٥٢م.

● سُنَنُ ابْنِ مَاجَهَ.

تَحْقِيقُ وَتَحْرِيجُ وَتَعْلِيقُ: الشَّيْخُ شُعَيْبُ الأَرْنَؤُوط وَآخَرِينَ.

الطَّبْعَةُ الأُولَى، دَارُ الرِّسَالَةِ الْعَالَمِيَّة - بَيْرُوتَ، سَنَةُ ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

وَأَشْرَتْ إِلَيْهَا عِنْدَ الإِحَالَةِ عَلَيْهَا.

● سُنَنُ النَّسَائِيِّ الْكُبْرَى (طُبِعَ بِاسْمِ السُّنَنِ الْكُبْرَى): أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبَ بْنِ عَلِيٍّ،

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٠٣هـ = ٩١٥م.

تَحْقِيقُ: د. عَبْدِ الْغَفَّارِ سُلَيْمَانَ الْبَنْدَارِي، وَسَيِّدُ كَسْرَوِي حَسَنَ.

الطَّبْعَةُ الأُولَى، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ بِبَيْرُوتَ، لُبْنَانُ، سَنَةَ ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

● السِّيَادَةُ الْعَرَبِيَّةُ وَالشَّيْعَةُ وَالْإِسْرَائِيلِيَّاتُ فِي عَهْدِ بَنِي أُمَيَّةٍ: فَا نْ فُلُوتَن.

تَرْجَمَهُ عَنِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: د. حَسَنُ إِبْرَاهِيمَ حَسَنَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م،

وَمُحَمَّدُ زَكِيٌّ إِبْرَاهِيمَ.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، مَكْتَبَةُ النَّهْضَةِ الْمِصْرِيَّةِ، مَطْبَعَةُ السُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، سَنَةَ ١٩٦٥م.

● السِّيَرُ: أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الشَّمَّاخِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٢٨هـ.

تَحْقِيقُ: الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ سُعُودِ السِّيَابِي.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، وَزَارَةُ التُّرَاثِ الْقَوْمِيَّ وَالثَّقَافَةِ، سُلْطَنَةُ عُومَانِ، مَطْبَعَةُ الْأَلْوَانِ الْحَدِيثَةِ، سَنَةَ

١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

● سِرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ: شمس الدِّين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمَان بن قَائِمَاز التُّرْكْمَانِي الدَّمَشْقِيّ الذَّهَبِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٥٧٤٨هـ=١٣٤٨م.

حَقَّقَ الْجُزْءَ الْخَامِسَ عَشَرَ: إِبْرَاهِيمَ الزَّبِيْق.

وَأَشْرَفَ عَلَى تَحْقِيقِ الْكِتَابِ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ: الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَزْزَوْوْط.

الطَّبْعَةُ الْعَاشِرَةُ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ بَبْرُوت، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

● السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ: عِمَادُ الدِّينِ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ الْقُرَشِيُّ الدَّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ، المُتَوَفَّى سنة ٥٧٧٤هـ=١٣٧٣م، وهي قِسمُ السِّيَرَةِ مِنْ كِتَابِهِ (الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ).

تَحْقِيقُ: مُصْطَفَى عَبْدِ الْوَاحِدِ.

مَطْبَعَةُ عَيْسَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ وَشُرَكَاهُ بِمِصْرَ، سنة ١٩٦٤-١٩٦٦م.

● سِيَرَةُ ابْنِ هِشَامٍ. وهي التي تَقْدِمُ ذِكْرَهَا فِي الرَّوْضِ الْأَنْفِ.

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، بَبْرُوت، سنة ١٣٩١هـ.

● السَّيْفُ الْحَادِ فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ أَخَذَ بِحَدِيثِ الْأَحَادِ فِي مَسَائِلِ الْإِعْتِقَادِ: سَعِيدُ بْنُ مَبْرُوكَ بْنِ حُمُودِ الْقَنْبُوبِي.

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ، مَطَاعِيقُ النَّهْضَةِ، عُمَان، سنة ١٤١٨هـ.

● شَذَرَاتُ الذَّهَبِ فِي أَخْبَارِ مَنْ ذَهَبَ: أَبُو الْفَلَاحِ عَبْدُ الْحَيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، بَنِ الْعِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ١٠٨٩هـ=١٦٧٩م.

النَّاشِرُ: دَارُ الْآفَاقِ الْجَدِيدَةِ بِبَبْرُوت، وهي طَبْعَةُ مُصَوَّرَةٍ.

● شَرْحُ الْأَبِّيِّ وَالسُّنُوسِيِّ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ. انظر: إِكْمَالُ إِكْمَالِ الْمُعْلِمِ.

● شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، الْمُسَمَّى بِ(لَوَامِعِ الْبَيِّنَاتِ شَرْحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصِّفَاتِ): أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْخَطِيبُ التَّيْمِيُّ الْبَكْرِيُّ الْقُرَشِيُّ الشَّافِعِيُّ، فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي، المُتَوَفَّى سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

رَاجِعُهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: طه عبد الرَّؤُوفِ سَعْد.

الْمَكْتَبَةُ الْأَزْهَرِيَّةُ لِلتُّرَاثِ بِالْقَاهِرَةِ، دَارُ التَّوْفِيقِ النَّمُودَجِيَّةُ لِلطَّبَاعَةِ، سنة ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

● شرح الأشموني نور الدين أبي الحسن علي بن محمد الشافعي المصري، المتوفى سنة ٩٠٠هـ=١٤٩٥م، على ألفية ابن مالك، المسمى بـ(منهج السالك إلى ألفية ابن مالك). وهذه الألفية منظومة في النحو، لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الدمشقي الجبائي الأندلسي الشافعي، المتوفى سنة ٦٧٢هـ=١٢٧٤م.

ومعه: حاشية الصبان أبي العرفان محمد بن علي المصري الشافعي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٠٦هـ=١٧٩١م، على شرح الأشموني.

دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.

● شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم والخالفين لهم من علماء الأمة رضي الله عنهم أجمعين: اللالكائي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي البغدادي الشافعي، المتوفى سنة ٤١٨هـ. حقيقته: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري.

الطبعة الثانية، المكتبة الإسلامية بالقاهرة، مطابع الفاروق الحديثة بالقاهرة، سنة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.

● شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسدأبازي المعتزلي، المتوفى سنة ٤١٥هـ=١٠٢٥م.

تعليق: الإمام المستظهر بالله قوام الدين أحمد بن الحسين بن أبي هاشم الحسيني الرازي، المعروف بـ(مانكديم وششديو)، المتوفى سنة ٤٢٥هـ.

تحقيق: د. عبد الكريم عثمان.

الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة وهبة بالقاهرة، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

● شرح أم البراهين: السنوسي. انظر: حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين.

● شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه.

تنقيح الأصول، وشرحه: التوضيح في حل غوامض التنقيح، كلاهما من تأليف صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة محمود المحبوبي البخاري الحنفي، المتوفى سنة ٧٤٧هـ=١٣٤٦م.

والتلويح في كشف حقائق التنقيح، لسعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني



الشَّافِعِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٩٣هـ = ١٣٩٠ م.

مَطْبَعَة مُحَمَّد عَلِيّ صَبِيح وأولاده بالأزهر، القاهرة، سنة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧ م.

● شرح الجامع الصحيح مُسْنَدُ الرَّبِيع: نور الدِّين أبو مُحَمَّد عبد الله بن حَمِيد أو (حَمِيد كَصِدِّيق) بن سلوم السَّالِمِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٣٢هـ = ١٩١٤ م.

والجامع الصحيح مُسْنَدُ الرَّبِيع بن حَبِيب بن عَمْرٍو الأَزْدِيّ الْفَرَاهِيدِيّ الْبَصْرِيّ، الْمُتَوَفَّى بين سنتي ١٧٥-١٨٠هـ، الذي رتبهُ على أبواب الْفَقْه: أبو يَعْقُوب يُونُس بن إِبْرَاهِيم بن مِيَاد السَّدْرَاتِي الْوَازِجَلَانِيّ الْإِبَاضِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٥٧٠هـ.

الناشر: سُعُود بن حمد بن نور الدِّين السَّالِمِيّ، المطابع الذَّهَبِيَّة فِي سَلْطَنَة عُمان، مُصَوَّرَة على الطَّبعة التي كتب مُقَدِّمَتها: عَز الدِّين التَّنُوخِيّ.

● الشَّرْح الْجَدِيد لَجَوْهَرَة التَّوْحِيد: الشيخ مُحَمَّد أَحْمَد الْعَدَوِيّ.

وَجَوْهَرَة التَّوْحِيد منظومة لِبُرْهَان الدِّين أَبِي الْأَمْدَاد إِبْرَاهِيم بن إِبْرَاهِيم بن حَسَن بن عَلِيّ الْمَالِكِيّ اللَّقَانِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٠٤١هـ.

الطَّبعة الأولى، مَطْبَعَة مُصْطَفَى الْبَابِي الْحَلَبِيّ بِمِصْر، سنة ١٩٤٧ م.

● شرح الْجَلَال الْمَحَلِّيّ على جَمْع الْجَوَامِع. انظر: حَاشِيَة الْبَنَانِيّ.

● شرح جَوْهَرَة التَّوْحِيد: أَحْمَد بن مُحَمَّد الْمَالِكِيّ الصَّاوِيّ الْخَلُوتِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٢٤١هـ = ١٨٢٥ م.

وَجَوْهَرَة التَّوْحِيد منظومة لِبُرْهَان الدِّين أَبِي الْأَمْدَاد إِبْرَاهِيم بن إِبْرَاهِيم بن حَسَن بن عَلِيّ الْمَالِكِيّ اللَّقَانِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٠٤١هـ.

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ: عبد الْفَتَّاح الْبَزَم.

الطَّبعة الأولى، دار ابن كَثِير بِدِمَشْق وَبَيْرُوت، سنة ١٤١٨هـ = ١٩٩٧ م.

● شرح جَوْهَرَة التَّوْحِيد: بُرْهَان الدِّين إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الْجَزَائِرِيّ الشَّافِعِيّ الْبَاجُورِيّ أو الْبَيْجُورِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٢٧٦هـ = ١٨٦٠ م. طَبْعُهُ مُحَقَّقُهُ بِاسْم: حَاشِيَة على جَوْهَرَة التَّوْحِيد، الْمَسْمُوع (تُحْفَة الْمُرِيد على جَوْهَرَة التَّوْحِيد).

وَجَوْهَرَة التَّوْحِيد منظومة لِبُرْهَان الدِّين أَبِي الْأَمْدَاد إِبْرَاهِيم بن إِبْرَاهِيم بن حَسَن بن عَلِيّ الْمَالِكِيّ اللَّقَانِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٠٤١هـ = ١٦٣١ م.

تَحْقِيق: أ. د. عَلِيّ جَمْعَة مُحَمَّد الشَّافِعِيّ.

الطَّبْعَة الْأُولَى، دار السَّلَام للطَّبَاعَة والنشر بالقَاهِرَة، سنة ١٤٢٢هـ = ٢٠٠٢م.

● شَرْح جَوْهَرَة التَّوْحِيد، المسمّى بـ (إِتْحَاف المُرِيد بِجَوْهَرَة التَّوْحِيد): عبد السَّلَام بن إِبْرَاهِيم اللَّقَانِي المَالِكِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٠٧٨هـ. وقد شَرَح منظومة جَوْهَرَة التَّوْحِيد لوالده بُرْهَان الدِّين أَبِي الْأَمْدَاد إِبْرَاهِيم بن إِبْرَاهِيم بن حَسَن بن عَلِيّ المَالِكِيّ اللَّقَانِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٠٤١هـ.

الطَّبْعَة الثَّانِيَة، مَطْبَعَة السَّعَادَة بِمُصْر، سنة ١٩٥٥م.

● شَرْح الحُور العَيْن. انظر: الحُور العَيْن.

● شَرْح الحَرْبَة الْبَهِيَّة: أَبُو الْبَرَكَات أَحْمَد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الدَّرْدِير العَدَوِيّ المَالِكِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٢٠١هـ = ١٧٨٦م.

والْحَرْبَة الْبَهِيَّة منظومة فِي الْعَقَائِد، لشارحها أَبِي الْبَرَكَات أَحْمَد الدَّرْدِير.

وعليها حَاشِيَة الصَّاوِي أَحْمَد بن مُحَمَّد المَالِكِيّ الْخَلَوْتِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١٢٤١هـ = ١٨٢٥م.

مكتبة القَاهِرَة، مَطْبَعَة حِجَازِيّ.

● شَرْح الدَّوَانِي عَلَى الْعَقَائِد الْعُصْدِيَّة. انظر: الْعَقَائِد الْعُصْدِيَّة.

● شَرْح رَمَضَان أَفَنْدِي، عَلَى شَرْح الْعَقَائِد النَّسْفِيَّة، لَسَعْد الدِّين مَسْعُود بن عُمَر بن عبد الله التَّفْتَارَانِيّ الشَّافِعِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٧٩٣هـ = ١٣٩٠م.

در سعادت، سنة ١٣١٤هـ.

● شَرْح سُنَن ابن مَاجَة: أَبُو الْحَسَن نور الدِّين مُحَمَّد بن عبد الهَادِي التتوي المَدَنِيّ الْكَبِير الْحَنَفِيّ، المعروف بالسَّنَدِيّ، المُتَوَفَّى سنة ١١٣٨هـ.

وابن مَاجَة صاحب السُّنَن هو أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن يَزِيد الرَّبْعِيّ الْقَزْوِينِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٢٧٣هـ = ٨٨٧م.

ومعه: حَاشِيَة تَعْلِيْقَات مِصْبَاح الزَّجَاجَة فِي رَوَائِد ابن مَاجَة، لِلإِمَام أَحْمَد بن أَبِي بَكْر البُوصَيْرِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٨٤٠هـ.

تَحْقِيق: الشَّيْخ خَلِيل مَأْمُون شَيْحَا.

الطبعة الأولى، دار المعرفة ببيروت، سنة ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

- شرح السنوسي على أم البراهين. انظر: حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين.
- شرح السنوسية: برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد الجيزاوي الشافعي الباجوري أو البيجوري، المتوفى سنة ١٢٧٦هـ = ١٨٦٠م.

وطبعه مُحَقَّقُهُ باسم: حاشية على متن السنوسية في العقيدة.

ومتن السنوسية هو المسمى بـ (أم البراهين، أو العقيدة الصغرى)، لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني المالكي المغربي التلمساني، المتوفى سنة ٨٩٥هـ.

ضبطه وعلّق عليه: عبد السلام بن عبد الهادي سنار.

الطبعة الأولى، دار الفرقور بدمشق، سنة ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

- شرح صحيح مسلم: النووي. انظر: المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج، وإرشاد الساري.

● شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، المسمى بالكاشف عن حقائق السنن: شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي، المتوفى سنة ٧٤٣هـ.

إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز.

تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي.

الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

- شرح عبد السلام على الجوهرية. انظر: شرح جوهرية التوحيد.

● شرح العقائد العضدية للدواني. انظر: العقائد العضدية.

● شرح العقائد النسفية: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي، المتوفى سنة ٧٩٣هـ = ١٣٩٠م.

ومتن العقائد النسفية، لنجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي، المتوفى سنة

٥٣٧هـ = ١١٤٢م.

وبهامشه: حاشية على الشرح، للمؤلى مصلح الدين مصطفى بن محمد الكستلي (القسطلاني)، المتوفى سنة ٩٠١هـ = ١٤٦٠م.

تليها: حاشية أخرى على الشرح المذكور، للمؤلى أحمد بن موسى الخيالي، المتوفى سنة ٨٦٠هـ.

وبهامشها: حاشية الشيخ رمضان البهشي، المتوفى سنة ٩٧٩هـ.

الطبعة الأولى سنة ١٣٢٦هـ، تركيا. أعادت مكتبة المثنى طبعها بالأوفست.

● شرح عقيدة التوحيد: محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش، المتوفى سنة ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م.

سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سنة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

● شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني في كتابه الرسالة.

والرسالة لابن أبي زيد القيرواني، أبي محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفري المالكي، المتوفى سنة ٣٨٦هـ.

والشرح، للقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي، المتوفى سنة ٤٢٢هـ = ١٠٣١م.

دراسة وتحقيق: أ. د. أحمد محمد نور سيف.

الطبعة الأولى، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، سنة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.

● شرح العقيدة الطحاوية: القاضي صدر الدين أبو الحسن علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٩٢هـ = ١٣٩٠م.

والعقيدة الطحاوية، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحنفي الطحاوي، المتوفى سنة ٣٢١هـ = ٩٣٣م.

تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأزرووط.

الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م.

● **شرح غَايَةِ الْمُرَادِ فِي نَظْمِ الْاِعْتِقَادِ:** أَحْمَدُ بْنُ حَمْدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْخَلِيلِيِّ، مَفْتِي سُلْطَنَةِ عُمَانَ.

و غَايَةُ الْمُرَادِ منظومة لنور الدِّين أبي مُحَمَّد عبد الله بن حُمَيْد (أو حَمِيد كَصِدِّيق) بن سلّوم السَّالِمِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٣٢هـ = ١٩١٤م.

مكتبة الجيل الواعد، مطابع النهضة، مَسْقَط، سنة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

● **شرح الفقه الأكبر:** عَلِيّ الْقَارِيّ بن سُلْطَان مُحَمَّد الْهَرَوِيِّ الْحَنْفِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٠١٤هـ = ١٦٠٦م.

والفقه الأكبر، للإمام أبي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بن ثَابِت، الْمُتَوَفَّى سنة ١٥٠هـ = ٧٦٧م.  
تَحْقِيق: عَلِيّ مُحَمَّد دُنْدَل.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، دار الكتب الْعِلْمِيَّة بَبْرُوت، سنة ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

● **شرح قَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبُغَا عَلَى الْمُسَايَرَةِ.** انظر: الْمُسَامَرَةِ.

● **شرح الْمَقَاصِدِ:** سَعْدُ الدِّين مَسْعُودُ بْنُ عُمَرَ بن عبد الله التَّفْتَازَانِيّ الشَّافِعِيّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٩٣هـ = ١٣٩٠م.

وَالْمَقَاصِدِ (مَقَاصِدِ الطَّالِبِينَ) لَهُ أَيْضًا.

تَحْقِيق: د. عبد الرَّحْمَنِ عَمِيرَةَ.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، عالم الكتب بَبْرُوت، سنة ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

● **شرح الْمَوَاقِفِ لِلسَّيِّدِ الشَّرِيفِ.** انظر: الْمَوَاقِفِ.

● **شرح النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ.** انظر: الْمِنْهَاجُ بِشْرُوحِ صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الْحَجَّاجِ. وَهَامِشُ إِرْشَادِ السَّارِيِّ.

● **شُعَبُ الْإِيمَانِ:** أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْبَيْهَقِيُّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٤٥٨هـ = ١٠٦٦م.

تَحْقِيق: أَبِي هَاجِرٍ مُحَمَّدٍ السَّعِيدِ بْنِ بَسْيُونِي زَغُول.

الطَّبَعَةُ الْأُولَى، دار الكتب الْعِلْمِيَّة بَبْرُوت، سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

● الشفاء بتعريف حقوق المصطفى: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض  
اليحصبي السبتي المالكي، المتوفى سنة ٥٤٤هـ=١١٤٩م. وبذيله:

حاشية مزيل الحفاء عن ألفاظ الشفاء، للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمني،  
المتوفى سنة ٨٧٢هـ=١٤٦٨م.

المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، الشركة الشرقية للنشر والتوزيع ببيروت، سنة ١٩٧١م.

● شفاء السقام في زيارة خير الأنام: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي  
السبكي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ=١٣٥٥م.

مصورة على طبعة المطبعة العامة ببؤلاق، مصر، التي تم طبعها سنة ١٣١٩هـ، مكتبة  
الحقيقة بإستانبول، تركيا، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

● شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: شمس الدين أبو عبد الله  
محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، المشهور بابن قيم الجوزية، المتوفى سنة  
٧٥١هـ=١٣٥٠م.

تحقيق: الشيخ إبراهيم أحمد عبد الحميد الحنبلي.

دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.

● شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ. ويلي: الأساليب البديعة في فضل الصحابة  
وإفناء الشيعة: كلاهما للشيخ يوسف بن إسماعيل التبهاني، المتوفى سنة ١٣٥٠هـ=١٩٣٢م.

دار الفكر ببيروت، سنة ١٤١٠هـ=١٩٩٠م.

● الشورى بين النظرية والتطبيق: د. قحطان عبد الرحمن الدويري.

الطبعة الأولى، مطبعة الأمة، بغداد، سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.

● الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة: هاشم معروف الحسني، المتوفى سنة

١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

الطبعة الأولى، سنة ١٩٦٤م.

● الصابئون، حرانين ومنذائين: د. رشدي عليان، المتوفى سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

مطبعة دار السلام، بغداد، سنة ١٩٧٧م.

● **صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ**، المسمى 'الْجَامِعُ الْمُسْنَدُ الصَّحِيحُ الْمُخْتَصَرُ مِنْ أُمُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ' وَسُنَنُهُ وَأَيَامُهُ: الإمام أبو عبد الله مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم بن الْمُغِيرَة بن بَرْدِزْبَه الْجُعْفِي الْبُخَارِي، الْمُتَوَفَى سنة ٢٥٦هـ = ٨٧٠م.

رَقْم كتبه وأبوابه وَفَقاً لِلْمُعْجَمِ الْمُفْهَرَسِ وَتُحْفَةِ الْأَشْرَافِ، وَصَنَعَ فَهَارِسُهُ: مُحَمَّد نَزَار تَمِيم، وَهَيْثُم نَزَار تَمِيم، مَعْتَمِدَيْنِ النسخة السُّلْطَانِيَّةَ المَعْتَمَدَةَ عَلَى النسخة الْيُونَانِيَّةِ.

شركة دار الْأَرْقَم بن أبي الْأَرْقَم للطباعة، بَيْرُوت. تاريخ مُقَدِّمَةِ الْمُحَقِّقَيْنِ سنة ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

● **صَحِيحُ التِّرْمِذِيِّ**. انظر: عَارِضَةُ الْأَخْوَذِيِّ.

● **صَحِيحُ مُسْلِم**، المسمى 'الْمُسْنَدُ الصَّحِيحُ الْمُخْتَصَرُ مِنَ السُّنَنِ بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ': الإمام مُسْلِم بن الْحَجَّاج الْقُشَيْرِيُّ النِّسَابُورِيُّ، الْمُتَوَفَى سنة ٢٦١هـ = ٨٧٥م.

رَقْم كتبه وأبوابه وَفَقاً لِلْمُعْجَمِ الْمُفْهَرَسِ وَتُحْفَةِ الْأَشْرَافِ، وَصَنَعَ فَهَارِسُهُ: مُحَمَّد بن نَزَار تَمِيم، وَهَيْثُم بن نَزَار تَمِيم.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، شركة دار الْأَرْقَم بن أبي الْأَرْقَم للطباعة بَبَيْرُوت، سنة ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

● **صَفْوَةُ الْأَحْكَامِ مِنْ نَيْلِ الْأَوْطَارِ وَسُبُلِ السَّلَامِ**: د. قَحْطَان عبد الرَّحْمَنِ الدُّورِي.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ فِي دارِ الْفُرْقَانِ للنشر والتوزيع، عَمَّان، الْمَمْلَكَةُ الْأُرْدُنِّيَّةُ الْهَاشِمِيَّةُ، سنة ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م. وهي الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ لِلْكِتَابِ.

● **الطَّبْ مُحَرَابُ الْإِيمَانِ**: د. خَالِص كَنْجُو.

دِمَشْق، سنة ١٣٩١هـ = ١٩٧١م.

● **طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى**: تاج الدِّين أبو نَصْر عبد الوَهَّاب بن عَلِي بن عبد الكافي السُّبْكِي، الْمُتَوَفَى سنة ٧٧١هـ = ١٣٧٠م.

تَحْقِيق: مَحْمُود مُحَمَّد الطَّنَاحِي، الْمُتَوَفَى سنة ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م، وَعبد الْفَتَّاح مُحَمَّد الْحُلُو، الْمُتَوَفَى سنة ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مَطْبَعَةُ عَيْسَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ بِالْقَاهِرَةِ، سنة ١٩٦٤-١٩٧٦م.

● طبقات المشايخ بالمغرب: أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، المتوفى حوالي سنة ٦٧٠هـ.

حَقَّقَهُ: إبراهيم طَلَّاي. بلا طَبْعَة ولا تاريخ.

● الطريق إلى النجوم: فان دريت ولي. نقله إلى العربية: د. عمر فروخ، المتوفى سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٧م.

الطَبْعَة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٧٤م.

● طَوَالِعُ الْأَنْوَارِ مِنْ مَطَالِعِ الْأَنْظَارِ: الْقَاضِي نَاصِرُ الدِّينِ أَبُو سَعِيدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَيْصَاوِيِّ الشَّيرَازِيِّ الشَّافِعِيِّ، المتوفى سنة ٦٨٥هـ=١٢٨٦م.  
تَحْقِيقُ: عَبَّاسُ سُلَيْمَان.

الطَّبْعَة الْأُولَى، دار الجليل ببيروت، والمكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة، سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م.

● الظَّاهِرَةُ الْقُرْآنِيَّةُ: مَالِكُ بْنُ نَبِيِّ، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.  
ترجمة: د. عبد الصبور شاهين.

دار الفكر ببيروت.

● عَارِضَةُ الْأَخَوَدِيِّ بِشَرْحِ صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَعَاوِرِيِّ الْإِسْبِيلِيِّ، المعروف بابن العربي، المالكِي، المتوفى سنة ٥٤٣هـ=١١٤٨م.

الناشر: دار العلم للجميع ببيروت، وهي طَبْعَة مُصَوَّرَة.

● الْعَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ: رِوَايَةُ أَبِي مِقَاتِلِ حَفْصِ بْنِ سَلَمِ السَّمَرْقَنْدِيِّ، عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتِ الْكُوفِيِّ، المتوفى سنة ١٥٠هـ=٧٦٧م. ويليهِ:

رِسَالَةُ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى عَالِمِ الْبَصْرَةِ عُثْمَانَ بْنِ مُسْلِمِ الْبَتِّي، المتوفى سنة ١٤٣هـ، رِوَايَةُ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ، المتوفى سنة ١٨٢هـ=٧٩٨م، عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
ويليهِ:



الفقه الأيسط، وهو الفقه الأكبر، رواية أبي مطيع الحكيم بن عبد الله البلخي، المتوفى سنة ١٩٩هـ، عن أبي حنيفة رضي الله عنه. وعرف بالفقه الأيسط تمييزاً له عن الفقه الأكبر رواية حماد بن أبي حنيفة عن أبيه.

تحقيق: محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري، المتوفى سنة ١٣٧١هـ=١٩٥٢م.  
مطبوعة الأنوار بالقاهرة، سنة ١٣٦٨هـ.

● العبر في خبر من عبر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الدمشقي الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ=١٣٤٨م.

حققه: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول.

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.

● عصمة الأئمة عند الشيعة: أنور الباز.

الطبعة الأولى، دار الوفاء، المنصورة، مصر، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.

● عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر.

قدم له: د. حامد حفني داود.

مطابع النعمان، النجف.

● عقائد الإمامية الاثني عشرية: إبراهيم الزنجاني.

الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٣م.

● العقائد العنصرية: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المتوفى سنة

٧٥٦هـ=١٣٥٥م.

ومعه: شرح جلال الدين محمد بن أسعد الدواني الصديقي، المتوفى ٩١٨هـ.

ومعه: حاشية إسماعيل الكلنوي، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ.

وبهامشه: حاشية المرجاني، وحاشية الخليلي، المتوفى سنة ١٠١٤هـ.

درساعات، مطبعة عثمانية، سنة ١٣١٦هـ.

- عقائد ما بعد الموت في حضارة وادي الرافدين القديمة. رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة تقدم بها: نائل حنون عليوي، كلية الآداب، جامعة بغداد سنة ١٩٧٥ م.
- العقائد النسفية. انظر: شرح العقائد النسفية.
- العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين: حسين بن أبي بكر بن غنام الإحصائي النجدي التميمي المالكي، المتوفى سنة ١٢٢٥ هـ.
- تحقيق: إبراهيم يوسف الماس.
- الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر، الشركة الحديثة للطباعة في الدوحة، قطر، سنة ١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م.
- العقيدة الإسلامية وأسسها: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.
- الطبعة السابعة، دار القلم بدمشق، سنة ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م.
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم: د. محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي.
- الطبعة الأولى، دار ابن تيمية للنشر والتوزيع بالرياض، مطابع الفرزدق التجارية بالرياض، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م.
- العقيدة النظامية: إمام الحرمين أبو المعالي ضياء الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري الشافعي، المتوفى سنة ٤٧٨ هـ = ١٠٨٥ م.
- تحقيق: د. محمد الزبيدي.
- الطبعة الأولى، دار سبيل الرشاد ببيروت، ودار النفائس ببيروت، مركز الطباعة الحديثة ببيروت، سنة ١٤٢٤ هـ = ٢٠٠٣ م.
- علم أصول الفقه: عبد الوهاب بن عبد الواحد خلاّف، المتوفى سنة ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م.
- الطبعة الأولى، الزهراء للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة ١٩٩٠ م.
- علم الكلام على مذهب أهل السنة والجماعة: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي، المتوفى سنة ٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م.
- تحقيق: أحمد حجازي أحمد السقا.
- الطبعة الأولى، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع بالقاهرة، دار الجيل للطباعة بوضر، سنة ١٩٨٩ م.

- العلم ليس كافراً: د. مُحْسِن عبد الحميد.  
مقال في مَجَلَّة التربية الإسلامية، بَغْدَاد، العدد الثالث، سنة ١٩٧٣ م، ونشر بِرِسَالَةٍ مُسْتَقْلَةٍ.
- العلم يدعو للإيمان: كريسي موريسون.  
ترجمة: مُحَمَّدُ صالح الفلكي.  
الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ سنة ١٩٦٢ م، والخامسة سنة ١٩٦٥ م.
- عُمْدَةُ الْقَارِي شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: بَدْرُ الدِّينِ أَبُو الثَّنَاءِ وَأَبُو مُحَمَّدٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الْعَيْنِيِّ الْعَيْنَتَائِيَّ الْحَنْفِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٨٥٥هـ=١٤٥١ م.  
دار إحياء التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ بِبَيْرُوتَ، طَبْعَةُ مُصَوَّرَةٍ عَلَى الطَّبْعَةِ الْمُنِيرِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ الْمَطْبُوعَةِ سنة ١٣٤٨هـ.
- غَايَةُ الْمَرَامِ فِي عَقَائِدِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ: الْحَاجُّ حَمْدِي بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُلَّا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْعُبَيْدِيِّ الْحَنْفِيِّ الْأَعْظَمِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٣٩١هـ=١٩٧١ م.  
الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، بَغْدَاد، سنة ١٣٦٧هـ.
- الْغُلُوفُ وَالْفِرَقُ الْغَالِيَّةُ فِي الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: الدُّكْتُورُ عَبْدُ اللَّهِ سَلُومُ السَّامِرَائِيُّ.  
وبذيله:  
كِتَابُ الزَّيْنَةِ فِي الْكَلِمَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ. الْقِسْمُ الثَّلَاثُ، وَهُوَ قِسْمُ الْفِرَقِ وَالْمَذَاهِبِ، لِأَبِي حَاتِمٍ أَحْمَدَ بْنِ حَمْدَانَ الرَّازِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٣٢٢هـ=٩٣٤ م.  
تَحْقِيقُ: الدُّكْتُورُ عَبْدُ اللَّهِ سَلُومُ السَّامِرَائِيُّ.  
من مطبوعات وزارة الإعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، مَطْبَعَةُ الْحُكُومَةِ بِبَغْدَادِ سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢ م.
- الْغُنَّةُ لَطَائِبِي طَرِيقِ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ: الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٥٦١هـ=١١١٦ م.  
مَطْبَعَةُ مُحَمَّدٍ عَلِيِّ صَبِيحٍ وَأَوْلَادِهِ بِوَضْرٍ، سنة ١٣٤٦هـ، وَهِيَ الْمُرَادَةُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ.  
وَالطَّبْعَةُ الْأُولَى فِي دَارِ إحياء التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ بِبَيْرُوتَ، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦ م، بِتَحْقِيقِ: مُحَمَّدٍ خَالِدٍ عُمَرَ.

● غِيَاثُ الْأُمَمِ فِي النِّبَاتِ الظُّلَمِ (الْغِيَاثِيُّ): إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ أَبُو الْمَعَالِي ضِيَاءُ الدِّينِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ الْجَوَيْنِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٧٨هـ = ١٠٨٥م. تَحْقِيقٌ وَدَرَأَسَةٌ: د. مُصْطَفَى حَلَمِي، وَ د. فَوَادُ عَبْدُ الْمُنْعِمِ أَحْمَدُ.

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ، دَارُ الدَّعْوَةِ لِلطَّبْعِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ، مِصْرُ، سَنَةَ ١٩٧٩م.

● الْفَائِقُ فِي أُصُولِ الدِّينِ: رُكْنُ الدِّينِ مَحْمُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَلَاهِي الْخَوَارِزْمِي الْمُعْتَزَلِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٣٦هـ = ١١٤١م.

تَحْقِيقٌ وَتَقْدِيمٌ: وَيْلْفَرْدُ مَادْلُونْج، مَارْتِنُ مَكْدَرْمَت.

انتِشَارَات: مُؤَسَّسَةُ پُزُوَهْنِي حَكَمَتِ وَفَلَسَفَةُ إِيرَانَ، وَ مُؤَسَّسَةُ مَطَالَعَاتِ إِسْلَامِيَّةٍ دَانِشْكَاهِ آزَادِ بَرَلِين - أَلْمَانِ جَامِعَةُ بَرَلِين. طُبِعَ فِي طَهْرَانَ، سَنَةَ ١٣٨٦هـ.

● الْفَارِقُ بَيْنَ الْمَخْلُوقِ وَالْخَالِقِ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَكُ بْنُ سَلِيمٍ بَاجِهْ جِي زَادِه.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مَطْبَعَةُ التَّقْدِيمِ بِمِصْرٍ، سَنَةَ ١٣٢٢هـ.

● الْفَتَاوَى، دَرَأَسَةُ لِمَشْكَلَاتِ الْمُسْلِمِ الْمَعَاوِرِ فِي حَيَاتِهِ الْيَوْمِيَّةِ وَالْعَامَّةِ: الشَّيْخُ مَحْمُودُ شَلْتُوت، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م.

الطَّبْعَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ، دَارُ الشُّرُوقِ، الْقَاهِرَةُ وَبَيْرُوتُ، سَنَةَ ١٤١١هـ = ١٩٩١م.

● فَتَاوَى ابْنِ تَيْمِيَّةَ. انْظُرْ: مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ تَقِيَّ الدِّينِ.

● فَتَاوَى مَعَاوِرَةِ: د. يُوسُفُ الْقَرَصَاوِي.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، الْمَكْتَبُ الْإِسْلَامِي، ج ١ وَ ٢ سَنَةَ ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م، وَ ج ٣ سَنَةَ ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

● فَتْحُ الْبَارِي بِشَرْحِ صَحِيحِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٥٦هـ = ٨٧٠م. وَ مُقَدِّمَتُهُ: هُدَى السَّارِي: شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكِنَانِي، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٥٢هـ = ١٤٤٩م.

قَرَأَ أَصْلَهُ تَصْحِيحاً وَتَحْقِيقاً وَقَابَلَ نُسَخَهُ: عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَازٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.

رَقَمَ كُتُبَهُ وَأَبَوَاهُ وَأَحَادِيثَهُ، وَاسْتَقْصَى أَطْرَافَهُ، وَنَبَّهَ عَلَى أَرْقَامِهَا فِي كُلِّ حَدِيثٍ: مُحَمَّدٌ فَوَّادُ عَبْدِ الْبَاقِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م.

قَامَ بِإِخْرَاجِهِ، وَتَضَحُّيْحِ تَجَارِيهِهِ، وَأَشْرَفَ عَلَى طَبْعِهِ: مُحِبُّ الدِّينِ الْخَطِيبُ ابْنُ أَبِي الْقَتَحِ مُحَمَّدٌ عَبْدِ الْقَادِرِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م.

النَّاشِرُ: دَارُ الْمَعْرِفَةِ بَيْرُوتُ، وَهِيَ طَبْعَةٌ مُصَوَّرَةٌ عَلَى طَبْعَةِ الْمَكْتَبَةِ السَّلَفِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ. وَهِيَ الْمُرَادَةُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ.

وَالطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ بَدَارُ الرَّيَّانِ لِلتُّرَاثِ بِالْقَاهِرَةِ، سَنَةَ ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م، الَّتِي إِذَا عُدَّتْ إِلَيْهَا ذَكَرْتُ طَبْعَتَهَا مَعَهَا.

● فَتَحَ الْغَفَّارُ بَشْرَحَ الْمَنَارِ، الْمَعْرُوفُ بِمُشْكَاةِ الْأَنْوَارِ فِي أَصُولِ الْمَنَارِ: زَيْنُ الدِّينِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ، الشَّهِيرُ بِابْنِ نُجَيْمِ الْحَنْفِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٩٧٠ هـ.

وَعَلَيْهِ بَعْضُ حَوَاشٍ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَحْرَاوِيِّ الْحَنْفِيِّ الْمِصْرِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٢٢ هـ.

وَمَتْنُ الْمَنَارِ، لِلْإِمَامِ أَبِي الْبَرَكَاتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ، الْمَعْرُوفُ بِحَافِظِ الدِّينِ النَّسْفِيِّ، صَاحِبِ كَنْزِ الدَّقَائِقِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧١٠ هـ.

صَحَّحَهُ: أَحْمَدُ سَعْدُ عَلِيٍّ، وَرَاجَعَهُ: مَحْمُودُ أَبُو دَقِيقَةٍ.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مَطْبَعَةُ مُصْطَفَى الْبَابِي الْحَلَبِيِّ بِمِصْرَ، سَنَةَ ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦ م.

● فَتَحَ الْمَجِيدُ شَرْحَ كِتَابِ التَّوْحِيدِ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ ابْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٨٥ هـ = ١٨٦٩ م.

وَكِتَابُ التَّوْحِيدِ، لِلشَّيْخِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ (جَدِّهِ)، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٠٦ هـ = ١٧٩٢ م.

تَحْقِيقٌ: مُحَمَّدٌ حَامِدُ ابْنِ الشَّيْخِ سَيِّدِ أَحْمَدَ الْفَقِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م.

رَاجَعَ حَوَاشِيَهُ وَصَحَّحَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: الشَّيْخُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَازٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م.

مَكْتَبَةُ التُّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ بِالْقَاهِرَةِ، دَارُ طِبْعَةِ النُّشْرِ بِالرِّيَاضِ، وَزَارَةُ الْأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِدَوْلَةِ قَطَرِ.

- فجر الإسلام: أحمد أمين، المتوفى سنة ١٣٧٣هـ=١٩٥٤م.
- الطبعة العاشرة، لجنة التأليف والنشر بالقاهرة، سنة ١٩٦٥م.
- الفرق الإسلامية. وهو ديل كتاب شرح المواقف: شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني البغدادي الشافعي، المتوفى سنة ٧٨٦هـ=١٣٨٥م.
- تحقيق: سليمان عبد الرسول.
- مطبعة الإرشاد ببغداد، سنة ١٩٧٣م.
- الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي: د. حسين عطوان.
- الطبعة الأولى، دار الجليل ببيروت، سنة ١٩٨٦م.
- الفرق بين الإباضية والحوارج: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش.
- قدم له: أحمد بن سعود السيبي.
- الطبعة الرابعة، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٣م.
- الفرق بين الفرق: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائيني التميمي، المتوفى سنة ٤٢٩هـ=١٠٣٧م.
- تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المتوفى سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.
- الناشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، مطبعة المدني بالقاهرة.
- فرق الشيعة: أبو محمد الحسن بن موسى بن الحسن النوبختي، المتوفى سنة ٣١٠هـ=٩٢٢م.
- علق عليه: محمد صادق بحر العلوم.
- الطبعة الرابعة، المطبعة الحيدرية بالنجف، سنة ١٩٦٩م. والطبعة الثانية، دار الأضواء ببيروت، سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، المتوفى سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م.
- دار النذير، بغداد، سنة ١٩٦٩م.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل: الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم

الأندلسي الظاهري، المتوفى سنة ٤٥٦هـ=١٠٦٤م.

تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، و د. عبد الرحمن عميرة.

الطبعة الثانية، دار الجليل ببيروت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م.

● فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال: أبو الوليد محمد بن أحمد ابن الإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، الملقب بابن رشد الحفيد، المتوفى سنة ٥٩٥هـ=١١٩٨م.

دار المعارف بمصر.

● فضائح الباطنية، وفضائل المستظهرية، ويسمى: المستظهرية: الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

حقيقه: عبد الرحمن بدوي.

الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، سنة ١٩٦٤م.

● الفقه الأبسط. انظر: العالم والمتعلم.

● الفقه الأكبر، للإمام أبي حنيفة. انظر: شرحه لعلي القاري، والقول الفصل.

● الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي، المتوفى سنة ١٣٧٦هـ.

اعتنى به: أيمن صالح شعبان.

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.

● الفهرست: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن محمد النديم البغدادي، المتوفى سنة ٣٨٥هـ.

الناشر: دار المعرفة ببيروت، سنة ١٩٧٨م، وهي طبعة مصورة على المطبوعة بمصر.

● الفوائد البهية في تراجم الحنفية، ومعه: التعليقات السنية على الفوائد البهية، ومعه أيضاً: طرب الأمثال بتراجم الأفاضل: وكلها لأبي الحسنات محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم بن محمد أمين الله اللكنوي الأنصاري الهندي، المتوفى سنة ١٣٠٤هـ=١٨٨٧م.

الناشر: نور مُحَمَّد كارخانه تجارت كتب آرام باغ كراچي، مشهور بريس كراچي سنة ١٣٩٣هـ، وهي مُصَوَّرَةٌ عَلَى الطَّبْعَةِ الْأُولَى بِمَطْبَعَةِ السَّعَادَةِ بِمُصْرَ سنة ١٣٢٤هـ.

وَالطَّبْعَةُ الْأُخْرَى وَهِيَ الْأُولَى الَّتِي اعْتَنَى بِهَا أَحْمَدُ الرَّعْبِيُّ، شَرَكَةَ دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ بَبَيْرُوتَ، سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.

● فِي الْعَقَائِدِ وَالْأَدْيَانِ: د. مُحَمَّد جَابِر الْحِنِي.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، سنة ١٩٧١م.

● فَيْضُ الْقَدِيرِ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ: مُحَمَّدُ عَبْدِ الرَّؤُوفِ بْنِ تَاجِ الْعَارِفِينَ بْنِ عَلِيٍّ الْمُنَاوِيِّ الْقَاهِرِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ١٠٣١هـ=١٦٢٢م.

وَالْجَامِعُ الصَّغِيرُ فِي أَحَادِيثِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ، لَجَلَالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مَطْبَعَةُ مُصْطَفَى مُحَمَّد بِمُصْرَ، سنة ١٩٣٨م.

● فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، دَرَاةٌ فَلَسْفِيَّةٌ لِأَرَاءِ الْفِرْقِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي أَصُولِ الدِّينِ، ج ١ الْمُعْتَرِزَةُ، ج ٢ الْأَشَاعِرَةُ، ج ٣ الزَّيْدِيَّةُ: د. أَحْمَدُ مَحْمُودُ صَبْحِي.

دَارُ النَّهْضَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِبَيْرُوتَ، ج ١ و ٢ الطَّبْعَةُ الْخَامِسَةُ، سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، وَج ٣ الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ، سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م.

● قَاعِدَةُ جَلِيلَةٍ فِي التَّوَسُّلِ وَالْوَسِيلَةِ: أَبُو الْعَبَّاسِ تَقِيُّ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م. وَهِيَ مُتَضَمَّنَةٌ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى لِابْنِ تَيْمِيَّةَ.

● الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ: مَجْدُ الدِّينِ أَبُو الطَّاهِرِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الصَّدِيقِيِّ الشَّيرَازِيِّ الْفَيْرُوزَابَادِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٨١٧هـ=١٤١٥م.

الْمَكْتَبَةُ التِّجَارِيَّةُ بِمُصْرَ، مَوْسَسَةُ فَنَّ الطَّبَاعَةِ بِمُصْرَ.

وَالطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ فِي مَوْسَسَةِ الرِّسَالَةِ بِبَيْرُوتَ سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

● الْقِسْطَاسُ الْمُسْتَقِيمُ: الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْغَزَالِيِّ الطُّوسِيِّ الشَّافِعِيِّ، الْمُتَوَفَّى سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.



تَحْقِيقُ: فكتور شلحت.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، المَطْبَعَةُ الكاثوليكية، سنة ١٩٥٩ م.

● قصة الإيمان: نَدِيم الجِسْر (عبد الله نَدِيم بن حُسَيْن الجِسْر)، المُتَوَفَّى سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠ م.

الطَّبْعَةُ الثالثة، مطابع المكتب الإسلامي، بَيْرُوت، سنة ١٩٦٩ م.

● قصة الديانات: سُلَيْمَان مظهر.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار الوطن العَرَبِيّ للطبع والنشر.

● القَضَاء والقَدَر: مُحَمَّد مُتَوَلَّى الشَّعْرَاوِي، المُتَوَفَّى سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨ م.

دار الشروق بمُصر.

● قَوَاعِد في عُلُوم الحَدِيث: ظَفَر أَحْمَد بن لطيف العُثماني التَّهَانَوِيّ.

تَحْقِيقُ: عبد الفتاح أبو غُدَّة، المُتَوَفَّى سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٧ م.

الطَّبْعَةُ الثالثة، مطابع دار القلم بِلُبْنان، سنة ١٩٧٢ م.

● القَوْل الفصل شَرَح الفِقه الأكبر: مُحيي الدِّين مُحَمَّد بن بهاء الدِّين، المُتَوَفَّى سنة ٩٥٦هـ=١٥٤٩ م.

والفِقه الأكبر، للإمام أبي حَنِيفَةَ النُّعْمَان بن ثَابِت، المُتَوَفَّى سنة ١٥٠هـ=٧٦٧ م.

مكتبة الحقيقة بِإِسْتَانْبُول، تُرْكِيَا، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤ م.

● الكَاشِف في مَعْرِفَةِ مَنْ لَهُ رِوَايَةٌ في الكُتُب السَّتَّة: شمس الدِّين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمَان بن قَائِمَاز التُّرْكْمَانِي الدَّمَشْقِيّ الذَّهَبِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٧٤٨هـ=١٣٤٨ م.

وحَاشِيَتُهُ، للإمام بُرْهَان الدِّين أبي الوَفَاء إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد، سِبْط ابن العَجَمِيّ الحَلَبِيّ، المُتَوَفَّى سنة ٨٤١هـ=١٤٣٧ م.

قَابَلَهُمَا بِأَصْل مُؤَلَّفِيهِمَا وَقَدَّمَ لَهُمَا وَعَلَّقَ عَلَيْهِمَا: مُحَمَّد عَوَّامَة. وَخَرَّجَ نصوصَهُمَا: أَحْمَد مُحَمَّد نَوْر الحَطِيب.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار القِبْلَة للثقافة الإسلاميَّة، جَدَّة، ومُؤَسَّسَة عُلُوم القُرْآن، جَدَّة، المَمْلَكَة العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٢ م.

- الكامل: أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد المبرّد الأزدي، المتوفى سنة ٢٨٦هـ=٨٩٩م.  
تحقيق: مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، المتوفى سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م، والسيد شحاتة.  
دار نهضة مصر للطبع والنشر في الفجالة بالقاهرة، مطبعة نهضة مصر في الفجالة بالقاهرة.
- الكامل في التاريخ: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم الشيباني الجري، المعروف بابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠هـ=١٢٣٣م.  
دار صادر، ودار بيروت، بيروت، سنة ١٩٦٥م.
- كبرى القينيات الكونية: د. مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي.  
الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٠هـ.
- كتاب الإيمان: أبو بكر عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي شيبَةَ العبسي، المتوفى سنة ٢٣٥هـ=٨٤٩م. ومعه ثلاث رسائل هي:  
١- كتاب الإيمان ومعاليمه وسننه واستكماله ودرجاته، لأبي عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٤هـ=٨٣٨م.  
٢- كتاب العلم، للحافظ أبي خيثمة زهير بن حرب النسائي، المتوفى سنة ٢٣٤هـ=٨٤٨م.  
٣- كتاب اقتضاء العلم العمل، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ=١٠٧١م.  
حقق الرسائل الأربع وخرّج أحاديثها وعلّق عليها: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المتوفى سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.  
المطبعة العمومية بدمشق.
- الكتاب المصنّف في الحديث والآثار: الحافظ أبو بكر عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي شيبَةَ الكوفي العبسي، المتوفى سنة ٢٣٥هـ.  
تحقيق: مُحَمَّد عبد السلام شاهين.  
الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: مُحَمَّد أعلى بن شيخ علي بن قاضي مُحَمَّد

حامد الفاروقي الحنفي التهانوي، كان حيًّا سنة ١١٥٨ هـ.

إشراف ومراجعة: الدكتور رفيق العجم. تحقيق: الدكتور عليّ دحروج. نقل النص الفارسي إلى العربية: الدكتور عبد الله الخالدي. الترجمة الأجنبية: الدكتور جورج زيناتي. الطبعة الأولى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، سنة ١٩٩٦ م.

● الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جابر الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٣٨ هـ = ١١٤٤ م. ومعه: حاشية السيد الشريف عليّ بن محمد الحسيني الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦ هـ = ١٤١٣ م.

وبهامشه: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي، المتوفى سنة ٦٨٣ هـ = ١٢٨٤ م. وبارحه: تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات: وهو شرح شواهد الكشاف، للأستاذ محب الدين أفندي محمد بن أبي بكر بن داود بن عبد الرحمن الحموي الدمشقي الحنفي، المتوفى سنة ١٠١٦ هـ.

مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده بمصر، سنة ١٩٤٨ م.

والطبعة الأولى، دار الفكر بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م.

● كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني الجراحي الشافعي، المتوفى سنة ١١٦٢ هـ = ١٧٤٩ م. الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي بيروت، وهي طبعة مصورة على المطبوعة بمصر، سنة ١٣٥١-١٣٥٢ هـ.

● كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله، الشهير بحاجي خليفة وبكاتب حلب، المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ = ١٦٥٧ م.

طبع بعناية: محمد شرف الدين بالتقيا، ورفعت بيلكه الكليسي.

منشورات مكتبة المثنى ببغداد، وهي الطبعة المصورة على طبعة إستانبول، سنة ١٩٤١ م.

- كشف المراد: جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر، المشهور بالعلامة الحلي، المتوفى سنة ٧٢٦هـ=١٣٢٥م. انظر: تجريد الاعتقاد.
- كفاية الطالب الرباني. انظر: حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني.
- الكلّيات، مُعْجَم في الْمُصْطَلَحَات والفُرُوق اللُّغَوِيَّة: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، المتوفى سنة ١٠٩٤هـ=١٦٨٣م.
- تحقيق: الدكتور عدنان درويش، ومحمد المصري.
- الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة بيروت، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- الكمال بن الهمام، المتوفى سنة ٨٦١هـ، وتحقيق رسالته: إعراب قوله ﷺ: كلمتان خفيفتان على اللسان.... د. فحطان عبد الرحمن الدويري.
- الطبعة الأولى، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: عبد العزيز المحمد سلمان.
- والعقيدة الواسطية، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، المتوفى سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م.
- الطبعة الرابعة، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، من مطبوعات رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان: جمعه: محمد فؤاد عبد الباقي، المتوفى سنة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م. راجعه: الدكتور عبد الستار أبو غدة.
- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، المطبعة العصرية الكويت، سنة ١٩٧٧م.
- اللباب في تهذيب الأنساب: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠هـ=١٢٣٣م.
- الناشر: مكتبة المثنى ببغداد.
- لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م. مطبوع بهامش تفسير الجلالين.
- المطبعة الهاشمية بدمشق، سنة ١٣٥٨هـ.

● **لِسَانُ الْعَرَبِ:** أَبُو الْفَضْلِ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُكْرَمٍ، بْنِ مَنْظُورِ الْإِفْرِيقِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧١١هـ = ١٣١١م.

دار صادر ببيروت، سنة ١٩٦٨م.

● **لِسَانُ الْمِيزَانِ:** شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْكِنَانِيِّ، الْمَعْرُوفُ بِابْنِ حَجَرِ الْعَسْقَلَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٥٢هـ = ١٤٤٩م.

الناشر: مَوْسَسَةُ الْأَعْلَمِيَّ لِلْمَطْبُوعَاتِ ببيروت، سنة ١٩٧١م، وهي مُصَوَّرَةٌ عَنِ الطَّبَعَةِ الْأُولَى الْمَطْبُوعَةِ بِمَطْبَعَةِ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ النَّظَامِيَّةِ بِحَيْدَرُ أَبَادِ الدَّكَّنِ، سَنَةَ ١٣٢٩هـ.

● **اللُّمَعُ:** أَبُو نَصْرِ السَّرَّاجِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيِّ الطُّوسِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٧٨هـ = ٩٨٨م.

تَحْقِيقُ: د. عَبْدِ الْحَلِيمِ مَحْمُودُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م، وَطَهُ عَبْدِ الْبَاقِي سُرُور.

مَطْبَعَةُ السَّعَادَةِ بِمِصْرَ، سَنَةَ ١٩٦٠م.

● **اللُّمَعُ فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبِدْعِ:** الْإِمَامُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي يَسْرٍ إِسْحَاقُ الْأَشْعَرِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٢٤هـ = ٩٣٦م.

صَحَّحَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: حَمُودَةُ غَرَابَةِ.

الناشر: الْمَكْتَبَةُ الْأَزْهَرِيَّةُ لِلتُّرَاثِ بِالْقَاهِرَةِ، دَارُ التَّوْفِيقِ النَّمُودَجِيَّةُ بِالْقَاهِرَةِ.

● **اللَّهُ:** عَبَّاسُ مَحْمُودُ الْعَقَّادُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٨٣هـ = ١٩٦٤م.

دار الهلال بمِصْرَ.

● **اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ:** سَعِيدُ مُحَمَّدُ حَوَّيْ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

الطَّبَعَةُ الثَّلَاثَةُ، سَنَةَ ١٩٧٢م.

● **اللَّهُ يَتَجَلَّى فِي عَصْرِ الْعِلْمِ:** نَخْبَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَمْرِيكِيِّينَ.

أَشْرَفَ عَلَى تَحْرِيرِهِ: جُونُ كْلُوفَرْمُونَسَا. تَرْجُمَةُ: د. الدَامِرْدَاش.

الطَّبَعَةُ الثَّلَاثَةُ، مَوْسَسَةُ الْحَلَبِيِّ وَشُرَكَاهُ بِمِصْرَ، سَنَةَ ١٩٦٨م.

● **لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ وَسَوَاطِعِ الْأَسْرَارِ الْأَثَرِيَّةِ:** مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْحَنْبَلِيِّ السَّفَارِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١١٨٨ هـ. وَهُوَ شَرْحُ مَنْظُومَةٍ: الدَّرَةُ الْمُضِيَّةُ فِي عَقِيدَةِ الْفِرْقَةِ الْمَرْصِيَّةِ. وَالشَّرْحُ وَالْمَنْظُومَةُ كِلَاهُمَا لِلْسَّفَارِيِّ.

الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ، الْمَكْتَبُ الْإِسْلَامِيُّ بِبَيْرُوتَ، وَدَارُ الْخَانِي بِالرِّيَاضِ، سَنَةَ ١٤١١ هـ = ١٩٩١ م.

● **مَبَاحِثُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ:** د. صَبْحِي الصَّالِحُ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٦ م.

الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ، دَارُ الْعِلْمِ لِلْمَلَايِينِ، بَيْرُوتَ.

● **مَبَادِيُ الْإِسْلَامِ:** أَبُو الْأَعْلَى الْمَوْدُودِيُّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، دِمَشْقُ، سَنَةَ ١٩٥٧ م.

● **مَجْمُوعُ فَتَاوَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ تَقِيَّ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الْحَرَانِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٢٨ هـ = ١٣٢٨ م.**

جَمَعَ وَتَرْتِيبَ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ قَاسِمِ الْعَاصِمِيِّ النَّجْدِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، وَسَاعَدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدٌ.

طُبِعَ بِأَمْرِ الْمَلِكِ سُعُودَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ آلِ سُعُودَ، وَعَلَى نَفَقَتِهِ الْخَاصَةِ. الطَّبْعَةُ الْأُولَى، ج ١-٣٠ مطابع الرِّيَاضِ سَنَةَ ١٣٨١-١٣٨٣ هـ، وَج ٣١-٣٧ مَطْبَعَةُ الْحُكُومَةِ بِمَكَّةِ الْمُكْرَمَةِ سَنَةَ ١٣٨٦ هـ.

● **مَحَاضِرَاتُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِمَامِيَّةِ:** بَدْرُ الْمُتَوَلِّي عَبْدِ الْبَاسِطِ. الطَّبْعَةُ الْأُولَى، بَغْدَادُ.

● **مَحَاضِرَاتُ فِي النُّصْرَانِيَّةِ:** مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ أَبُو زُهْرَةَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٩٤ هـ = ١٩٧٤ م.

مَطْبَعَةُ الْعُلُومِ، مِصْرَ، سَنَةَ ١٣٦١ هـ = ١٩٤٢ م.

● **الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ:** عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ غَالِبَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَحَارِبِيِّ الْغَرْنَاطِيِّ، ابْنُ عَطِيَّةَ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥٤٢ هـ = ١١٤٨ م.

تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ، وَالرَّحَالِيُّ الْفَارُوقُ، وَالسَّيِّدُ عَبْدُ الْعَالِ السَّيِّدُ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدُ الشَّافِعِيُّ صَادِقُ الْعَنَانِي.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مُؤَسَّسَةُ دَارِ الْعُلُومِ بِالذَّوْحَةِ، قَطْرَ، سَنَةَ ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م.

● مُحَصَّل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخطيب التيمي البكري القرشي الشافعي، فخر الدين الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ = ١٢١٠م. وبذيله:

تَلْخِصُ المَحْصَل، لَنَصِيرِ الدِّين أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحَسَن الطُّوسِي، المتوفى سنة ٦٧٢هـ = ١٢٧٤م.

مراجعة وتقديم: طه عبد الرؤوف سعد.

مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

● المَحْصُولُ في علم أُصُول الفقه: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخطيب التيمي البكري القرشي الشافعي، فخر الدين الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ = ١٢١٠م. تحقيق: د. طه جابر فياض العلواني.

الطبعة الثانية، مؤسسه الرسالة ببيروت، سنة ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.

● المَحِيط بالتكليف في العقائد. ويسمى (المجموع المحيط بالتكليف في العقائد): القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسدأبادي المعتزلي، المتوفى سنة ٤١٥هـ = ١٠٢٥م. جمعه: الحسن بن أحمد بن متويه.

تحقيق: عمر السيد عزمي. ومراجعة: د. أحمد فؤاد الأهواني.

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر - ثرائنا، الشركة المصرية للطباعة بالقاهرة.

● المَخْتَار من كنوز السنة النبوية، شرح أربعين حديثاً في أصول الدين: د. مُحَمَّد عبد الله دراز، المتوفى سنة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م.

الطبعة الرابعة، إدارة الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر، العالمية للطباعة والنشر، الدوحة، قطر، سنة ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

● مُخْتَصَر تاريخ الإباضية: أبو ربيع سليمان الباروني.

الطبعة الرابعة، مكتب الضامري بالسَّيب، سلطنة عُمان.

● مُختَصَر تاريخ دِمَشق لابن عَسَاكِر: ابن مَنْظُور، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مَكْرَم الإفریقی، المُتَوَفَّى سنة ٧١١هـ=١٣١١م.

وابن عَسَاكِر هو أبو القاسم عَلِي بن الحَسَن بن هَبَة الله الدَّمَشْقِي، المُتَوَفَّى سنة ٥٧١هـ=١١٧٦م.

تَحْقِيق: مُحَمَّد مطيع الحافظ، ونَزَار أباطة. ومراجعة: روحية النحاس.  
الطَّبْعَة الأولى، دار الفكر للطباعة بِدِمَشق، المَطْبَعَة العِلْمِيَّة بِدِمَشق، سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

● المُختَصَر المُفِيد في شَرْح جَوْهَرَة التَّوْحِيد: د. نُوح عَلِي سلمان القُصَاة.  
وجَوْهَرَة التَّوْحِيد: منظومة لِبُرْهَان الدِّين أبي الأمداد إِبْرَاهِيم بن إِبْرَاهِيم بن حَسَن بن عَلِي المَالِكِي اللَّقَانِي، المُتَوَفَّى سنة ١٠٤١هـ.

الطَّبْعَة الأولى، دار الرَّايزِي للنشر، عَمَّان، الأُرْدُن، سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.  
● المدخل لدراسة الشَّرِيعَة الإِسْلَامِيَّة: الدكتور عبد الكَرِيم زَيْدَان.  
الطَّبْعَة الحادية عشرة، مُؤَسَّسَة الرُّسَالَة بَبَيْرُوت، مكتبة القُدس بِبَغْدَاد، سنة ١٤١٠هـ=١٩٨٩م.

● مَذَاهِب الإِسْلَامِيَّين: عبد الرَّحْمَن بَدَوِي، المُتَوَفَّى سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.  
الطَّبْعَة الأولى، دار العلم للملايين، بَيْرُوت.

● مِرْقَاة المفاتيح شَرْح مِشْكَاة المَصَابِيح: عَلِي القَارِي بن سُلْطَان مُحَمَّد الهَرَوِي الحَنَفِي، المُتَوَفَّى سنة ١٠١٤هـ=١٦٠٦م.

ومعه: أجوبة الحافظ ابن حَجَر العَسْكَلَانِي عَلَى رِسَالَة القَزْوِينِي.  
قَدَّمَ له: الشيخ خَلِيل الميس. وَحَقَّقَهُ: صدقي مُحَمَّد جميل العطار.  
الطَّبْعَة الأولى، دار الفكر بِبَيْرُوت، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

● المُسَامَرَة بِشَرْح المُسَايَرَة: كَمَال الدِّين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أبي بَكْر، المعروف بابن أبي شَرِيف القُدْسِي الشَّافِعِي، المُتَوَفَّى سنة ٩٠٦هـ=١٥٠٠م.



والمُسَايَرَة فِي الْعَقَائِدِ الْمُنْجِيَةِ فِي الْآخِرَةِ، لَكَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنِ هُمَامِ الدِّينِ  
عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ حَمِيدِ الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ السِّيَاسِيِّ السَّكَنْدَرِيِّ الْحَنْفِيِّ، الْمَعْرُوفِ بِالْكَمَالِ بْنِ  
الْهُمَامِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٦١هـ = ١٤٥٧م. وبهامشه:

شَرْحُ الْمُسَايَرَةِ، لِأَبِي الْفِدَاءِ زَيْنِ الدِّينِ قَاسِمِ بْنِ قُطْلُوبَغَا الْحَنْفِيِّ السُّودُونِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ  
٨٧٩هـ = ١٤٧٤م.

وَنَتَائِجُ الْمَذَاكِرَةِ بِتَحْقِيقِ مَبَاحِثِ الْمُسَايَرَةِ، لِمُحَمَّدِ مُحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ  
١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

المكتبة التجارية الكبرى بمصر، مطبعة السعادة بمصر.

● الْمُسَايَرَة: الْكَمَالُ بْنُ الْهُمَامِ. انظر: الْمُسَامَرَة.

● الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ: الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمِ النَّيْسَابُورِيِّ،  
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٠٥هـ = ١٠١٤م. وفي ذيله:

تَلْخِصُ الْمُسْتَدْرَكِ، لَشَمْسِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ قَائِمَازِ  
التُّرْكْمَانِيِّ الدَّمَشْقِيِّ الذَّهَبِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٨هـ = ١٣٤٨م.

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، طُبِعَ فِي بَيْرُوتَ، شَرَكَةُ عَلَاءِ الدِّينِ. وَهِيَ طَبْعَةٌ  
مُصَوَّرَةٌ عَلَى طَبْعَةِ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ النَّظَامِيَّةِ، حَيْدَرُ آبَادِ الدَّكْنِ.

● مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٢٤١هـ = ٨٥٥م. وبهامشه:

مُنْتَحَبُ كَنْزِ الْعُمَالِ فِي سُنَنِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، لِعَلَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ الْمُتَّقِيِّ بْنِ حُسَامِ الدِّينِ  
عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ قَاضِي خَانَ الْهِنْدِيِّ الْبُرْهَانَ فُورِي، الشَّهِيرِ بِالْمُتَّقِيِّ الْهِنْدِيِّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ  
٩٧٥هـ = ١٥٦٧م.

نشر المكتب الإسلامي ودار صادر ببيروت، سنة ١٩٦٩م، وهي طَبْعَةٌ مُصَوَّرَةٌ عَلَى الْمَطْبُوعَةِ  
بِالْمَطْبَعَةِ الْمِمْصَرِيَّةِ بِمِصْرَ، سَنَةَ ١٣١٣هـ.

وَالطَّبْعَةُ الَّتِي أَشْرَفَ عَلَى تَحْقِيقِهَا الشَّيْخُ شُعَيْبُ الْأَرْزَنْوُوطُ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ  
بَبَيْرُوتَ، سَنَةَ ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

● مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْعُقُولِ: نور الدين أبو مُحَمَّد عبد الله بن حَمِيد (أو حَمِيد كَصْدِيق) بن سلّوم السَّالِمِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣٣٢هـ=١٩١٤م. وهو شَرْح منظومة (أَنْوَارِ الْعُقُولِ). والشَّرْح والمنظومة كلاهما للسَّالِمِي.

حَقِّقُهُ: عبد الرَّحْمَن عَمِيرَة. صَحَّحَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ: الشيخ أَحْمَد بن حمد الخَلِيلِي.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار الجليل بَبْرُوت، سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.

● مَشَاهِدُ الْقِيَامَةِ فِي الْقُرْآن: سَيِّد قُطْب، المُتَوَفَّى سنة ١٣٨٧هـ=١٩٦٧م.

دار المَعَارِف بِمُصْر.

● الْمَصَابِيح: أبو الْعَبَّاس أَحْمَد بن إِبْرَاهِيم بن الْحَسَن، المُتَوَفَّى سنة ٣٥٣هـ=٩٦٤م.

تَحْقِيقُ: عبد الله بن عبد الله بن أَحْمَد الْحُوثِي. تَقْدِيم: مَجْد الدِّين بن مُحَمَّد بن مَنْصُور الْمُؤَيَّدِي.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّة، مُؤَسَّسَةُ الْإِمَام زَيْد بن عَلِيٍّ الثَّقَافِيَّة، صَنْعَاء، الْيَمَن، سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

● الْمُضْبَاحُ الْمُنِيرُ فِي غَرِيبِ الشَّرْحِ الْكَبِيرِ: أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عَلِيٍّ الْفَيَّومِي الْمَقْرِي، المُتَوَفَّى سنة ٧٧٠هـ=١٣٦٨م.

وَالشَّرْحُ الْكَبِيرُ، هُوَ فَتْحُ الْعَزِيزِ عَلَى كِتَابِ الْوَجِيزِ، لِلْإِمَام أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بن مُحَمَّد الْقَزْوِينِي الرَّافِعِي، المُتَوَفَّى سنة ٦٢٣هـ=١٢٢٦م.

وَكِتَابُ الْوَجِيزِ، هُوَ فِي فِقْهِ الشَّافِعِيَّة، لِلْإِمَام أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أَحْمَد الْغَزَالِي الطُّوسِي الشَّافِعِي، المُتَوَفَّى سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار الكُتُب الْعِلْمِيَّة بَبْرُوت، سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

● الْمُصْطَلَحَاتُ الْأَرْبَعَةُ فِي الْقُرْآن: الْإِلَه، الرَّبِّ، الْعِبَادَة، الدِّين: أَبُو الْأَعْلَى الْمَوْدُودِي، المُتَوَفَّى سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

تَعْرِيب: مُحَمَّد كَازِم سَبَاق.

الطَّبْعَةُ الْخَامِسَة، دار القلم بِالْكُوَيْت، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

● **المطالِب العالية من العلم الإلهي**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخطيب التيمي البكري القرشي الشافعي، فخر الدين الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

تحقيق: د. أحمد حجازي السقا.

الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي بيروت، سنة ١٤٠٧هـ=١٩٨٧م.

● **المعارف**: ابن قتيبة الدينوري، أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُسلم، المتوفى سنة ٢٧٦هـ=٨٨٩م.

تحقيق وتقديم: الدكتور ثروت عكاشة.

الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٩م.

● **معالم أصول الدين**: أبو عبد الله مُحَمَّد بن عُمَر بن الحُسَيْن الخطيب التيمي البكري القرشي الشافعي، فخر الدين الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦هـ=١٢١٠م.

تحقيق: د. أحمد حجازي السقا.

الطبعة الأولى، مكتبة الإيمان بالمنصورة، مصر، سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م.

● **المعالم الدينية في العقائد الإلهية**: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلوي الزيدي، المتوفى سنة ٧٤٩هـ=١٣٤٤م.

تحقيق: سيد مختار مُحَمَّد أحمد حشاد.

الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر بيروت، سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

● **معالم السنن، للخطابي**. انظر: سنن أبي داود.

والطبعة الثانية، المكتبة العلمية بيروت، سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م، المصورة على الطبعة الأولى المطبوعة سنة ١٣٥٢هـ=١٩٣٤م بالقاهرة.

● **مُعترك الأقران في إعجاز القرآن**: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١هـ=١٥٠٥م.

تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي.

القاهرة، سنة ١٩٦٩م.

- الْمُعْتَزَلَةُ وَأَصُولُهَا الْخَمْسَةُ وَمَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنْهَا: عَوَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتِقُ.  
الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ، مَكْتَبَةُ الرَّشْدِ بِالرِّيَاضِ، الْمَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، سَنَةُ ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.
- الْمُعْتَقَدُ الْإِيمَانِي: أَبُو الْبَقَاءِ الْأَحْمَدِيُّ الشَّافِعِيُّ.  
وَهُوَ شَرْحُ عَقِيدَةِ الْإِمَامِ الشَّيْبَانِيِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ.  
نَشَرَهُ: مُحَمَّدُ رَوْوْفُ الْغَلَامِي.  
مَطْبَعَةُ شَفِيقِ بَيْعَدَاد، سَنَةُ ١٩٦٢م.
- الْمُعْتَقَدُ الْمُتَنَقِّدُ: الشَّاهُ فَضْلُ الرَّسُولِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْعُثْمَانِي الْأُمَوِي الْقَادِرِي  
الْبَرْكَاتِي الْبَدَايُونِي الْحَنْفِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٨٩هـ = ١٨٧٢م.  
وَطُبِعَ مَعَهُ تَعْلِيلُ: الْمُسْتَنَدُ الْمُعْتَمَدُ بِنَاءِ نَجَاةِ الْأَبَدِ، لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ أَحْمَدَ رِضَا خَانَ الْقَادِرِي  
الْبَرْكَاتِي الْحَنْفِي الْبَرْيَلَوِي، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٤٠هـ.
- الناشر: مَكْتَبَةُ إِشِيْقِ بِاسْتَانْبُول، سَنَةُ ١٩٧٥م، وَهِيَ طَبْعَةُ مُصَوَّرَةٍ عَلَى الْمَطْبُوعَةِ بِالْهِنْدِ الَّتِي  
نَشَرَهَا مُحَمَّدُ أَنْوَارُ الْإِسْلَامِ السُّنِّي الْحَنْفِي الْقَادِرِي الرَّضَوِي، مَكْتَبَةُ حَامِدِيَّةِ بِلَاهُور.
- مُعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ، تَرَاجُمُ مُصَنِّفِي الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ: عُمَرُ رِضَا كَحَّالَة، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ  
١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ بَبِرُوت، سَنَةُ ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.
- وَيْلِيهِ: تَكْمِلَةُ مُعْجَمِ الْمُؤَلِّفِينَ، وَفَيَاتُ ١٣٩٧-١٤١٥هـ / ١٩٧٧-١٩٩٥م، لِمُحَمَّدِ خَيْرِ  
رَمَضَانَ يُونُسَ.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دَارُ ابْنِ حَزْمِ بَبِرُوت، سَنَةُ ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
- مُعْجَمُ مَقَائِيسِ اللُّغَةِ: أَبُو الْحُسَيْنِ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسَ بْنِ زَكْرِيَّا، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ  
٣٩٥هـ = ١٠٠٤م.
- تَحْقِيقُ: عَبْدِ السَّلَامِ مُحَمَّدُ هَارُون، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دَارُ الْجِيلِ بَبِرُوت، سَنَةُ ١٤١١هـ = ١٩٩١م.
- مَعَ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ: د. أَحْمَدُ زَكِّي.  
دَارُ الْهَلَالِ بِمِصْرَ.

● **المُعْنِي فِي الضَعْفَاء:** شمس الدين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمَان بن قَائِمَاز التُّرْكْمَانِي الدَّمَشْقِي الذَّهَبِي، المُتَوَفَى سنة ٥٧٤٨هـ=١٣٤٨م.

تَحْقِيق: د. نور الدين عتر.

طَبْعَة مُصَوَّرَة.

● **مِفَاتِيح الْعُلُوم:** أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن يُوسُف الكاتب الْخَوَارِزْمِي، المُتَوَفَى سنة ٣٨٧هـ=٩٩٧م.

الطَّبْعَة الثَّانِيَة، منشورات مكتبة الكُلِّيَّات الْأَزْهَرِيَّة بِالْقَاهِرَة، سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م.

● **مِفْتَاح الْبَاب:** ابن مَخْدُوم، أبو الْفَتْح بن مَخْدُوم الْخَادِم الْحُسَيْنِي الْعَرَبْشَاهِي، المُتَوَفَى سنة ٩٧٦هـ. وَالْمُرَاد بِالْبَاب هُو الْبَاب الْحَادِي عَشْر، لِلْعَلَّامَةِ الْحَلِّيِّ حَسَن بن يُوسُف بن عَلِي بن الْمَطْهَر، المُتَوَفَى سنة ٧٢٦هـ=١٣٢٥م.

ومعه شَرْح آخر عَلَى الْبَاب هُو: النَّافِع يَوْم الْحَشْرِ، لِمُقَدَّاد بن عبد الله بن مُحَمَّد السُّيُورِي الْحَلِّي، المُتَوَفَى سنة ٨٢٦هـ=١٤٢٣م.

تَحْقِيق: د. مَهْدِي مَحْق.

مُؤَسَّسَة جَاب وانتشارات آستان قدس رضوى - مشهد، سنة ١٣٧٤هـ.

● **الْمُفْهَم لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِم:** أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَد بن عُمَر بن إِبْرَاهِيم الْقُرْطُبِي، المُتَوَفَى سنة ٦٥٦هـ=١٢٥٨م.

تَحْقِيق: مُحْيِي الدِّين ديب مستو وآخرين.

الطَّبْعَة الْأُولَى، دار ابن كَثِير ودار الْكَلِم الطَّيِّب بِدَمَشْق وَبَيْرُوت، سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م.

● **مَفْهُوم الْإِيمَان عِنْد الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّة:** د. قَحْطَان عبد الرَّحْمَنِ الدُّورِي.

وهو بحث نشر ضمن بحوث (المُلْتَقَى الْعِلْمِي الْأَوَّل حول تَرَاث سُلْطَنَة عُمَّان الشَّقِيْقَة قَدِيمًا وَحَدِيثًا)، الَّذِي نَظَمْتَهُ وَحَدَّة الدِّرَاسَاتِ الْعُمَانِيَّة بِجَامِعَة آل الْبَيْت، من منشورات جَامِعَة آل الْبَيْت - الْأُرْدُن سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

● **الْمَقَاصِد (مَقَاصِد الطَّالِبِينَ) لِلتَّفَتَّارَانِي.** انظر: شَرْح الْمَقَاصِد.

● مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق الأشعري، المتوفى سنة ٣٢٤هـ=٩٣٦م.

تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المتوفى سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.

الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة السعادة بمصر، الجزء الأول سنة ١٩٥٠م، والجزء الثاني سنة ١٩٥٤م. وطبعة المكتبة العصرية ببيروت وصيدا، الدار النموذجية والمطبعة العصرية ببيروت، سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م، وهي مصورة على الطبعة المصرية.

● المقالات والفرق: سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي، المتوفى سنة ٣٠١هـ=٩١٣م.

تحقيق: الدكتور محمد جواد مشكور.

الطبعة الأولى، مطبعة حيدري، طهران، سنة ١٩٦٣م.

● المقدمة: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، بن خلدون الحضرمي الإشبيلي، المتوفى سنة ٨٠٨هـ=١٤٠٦م.

تحقيق: درويش الجويدي.

الطبعة الأولى، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الدار النموذجية، المطبعة العصرية، بيروت سنة ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

● مقدمة البحر الزخار. انظر: البحر الزخار.

● مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: طه باقر، المتوفى سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

الطبعة الثانية، من مطبوعات دار المعلمين العالية، شركة التجارة والطباعة المحدودة ببغداد، سنة ١٣٧٥هـ=١٩٥٥م.

● المقصد الأستى في شرح أسماء الله الحسنى: الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الشافعي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ=١١١١م.

تحقيق: د. محمد عثمان الخشت.

مكتبة القرآن بالقاهرة، مطابع ابن سينا بالقاهرة، تاريخ المقدمة سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

● الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الشافعي، المتوفى سنة ٥٤٨هـ=١١٥٣م.

تصحيح وتعليق: أحمد فهمي محمد.

الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية بيروت، سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٢م.

● مناهج الاجتهاد في الإسلام في الأحكام الفقهية والعقائدية: د. محمد سلام مذكور.

الطبعة الأولى، مطبوعات جامعة الكويت، المطبعة العصرية بالكويت، سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

● مناهج الأدلة في عقائد الملة: أبو الوليد محمد بن أحمد ابن الإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، الملقب بابن رشد الحفيد، المتوفى سنة ٥٩٥هـ=١١٩٨م.

تقديم وتحقيق: د. محمود قاسم.

الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، مطبعة خيبر بالقاهرة، سنة ١٩٦٤م.

● مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، المتوفى سنة ١٣٦٧هـ=١٩٤٨م.

دار إحياء الكتب العربية بمصر.

● المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي البغدادي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ=١٢٠١م.

تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومُصطَفَى عبد القادر عطا. راجعه: نعيم زرزور.

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، سنة ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

● المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ=١٢٧٧م.

ومُسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ=٨٧٥م.

الطبعة الأولى، دار ابن خزم بيروت، سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

● منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تیمیة الحراني، المتوفى سنة ٧٢٨هـ=١٣٢٨م. تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم.

الناشر: مكتبة دار العروبة بمصر، مطبعة المدني بالقاهرة، طبع ج ١ سنة ١٩٦٢م، وأرخت مقدمة ج ٢ سنة ١٩٦٤م.

والطبعة الأخرى التي بها مشها: بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، لتقي الدين بن تیمیة أيضاً، المطبوعة في المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، الطبعة الأولى، طبع ج ١-٢ سنة ١٣٢١هـ، وطبع ج ٣-٤ سنة ١٣٢٢هـ.

● المنية والأمل في شرح الملل والنحل: الأصل والشرح معاً من تأليف المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسيني اليماني، المتوفى سنة ٨٤٠هـ=١٤٣٧م. تحقيق: الدكتور محمد جواد مشكور.

الطبعة الأولى، دار الفكر ببيروت، سنة ١٩٧٩م.

● الموعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل وما يتعلق بها من الأخبار، المعروف بالخطط المقرية: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرري، المتوفى سنة ٨٤٥هـ=١٤٤١م.

الناشر: دار صادر ببيروت، وهي طبعة مصورة على طبعة دار الطباعة المصرية ببولاق القاهرة التي طبعت سنة ١٢٧٠هـ.

● المواقف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي الشافعي، المتوفى سنة ٧٥٦هـ=١٣٥٥م. وطبع معه:

شرح المواقف، للسيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني، المتوفى سنة ٨١٦هـ=١٤١٣م. وعليه:

حاشية عبد الحكيم بن شمس الدين محمد السيالكوتي اللاهوري البنجابي الهندي الحنفي، المتوفى سنة ١٠٦٧هـ=١٦٥٦م.

وحاشية المولى حسن جلبلي بن محمد شاه بن حمزة الرومي الحنفي الفاري، المتوفى



سنة ٨٨٦هـ = ١٤٨١م.

صَحَّحَهُ: مُحَمَّدُ بَدْرُ الدِّينِ النَّعْسَانِيُّ الْحَلَبِيُّ.

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، منشورات الشَّريف الرَّضِيِّ، مَطْبَعَةُ أَمِيرٍ، قَمٍّ، سنة ١٤١٥هـ، وهي مُصَوَّرَةٌ على الطَّبْعَةِ الْأُولَى التي طُبِعَتْ بنفقة مُحَمَّدٍ أَفندي ساسي التُّونِسِيِّ بِمَطْبَعَةِ السَّعَادَةِ بِمِصْرَ، سنة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م.

● الموجز: أَبُو عَمَّار عبد الكافي الإِبَاضِيُّ، المُتَوَفَّى قبل سنة ٥٧٠هـ.

تَعْلِيْق: د. عبد الرَّحْمَنُ عَمِيرَةُ.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، دار الجليل ببيروت، سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

● المَوْطَأُ، للإمام مَالِك. انظر: تَنْوِيرُ الْحَوَالِكِ.

● مَوْقِفُ ابن تَيْمِيَّةٍ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ: د. عبد الرَّحْمَنُ بن صَالِح بن صَالِح المَحْمُود.

الطَّبْعَةُ الْأُولَى، مكتبة الرُّشد للنشر والتوزيع بالرياض، المَمْلَكَةُ الْعَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، سنة ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

● موقف العقل والعلم والعالم من رَبِّ الْعَالَمِينَ: الْأُسْتَاذُ مُصْطَفَى صبري، المُتَوَفَّى سنة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م.

القَاهِرَةُ، سنة ١٩٥٠م.

● مِيزَانُ الْاِعْتِدَالِ فِي نَقْدِ الرِّجَالِ: شمس الدِّينِ أَبُو عبد الله مُحَمَّدُ بن أَحْمَدَ بن عُثْمَانَ بن قَايْمَاز التُّرْكُمَانِي الدَّمَشَقِيِّ الذَّهَبِيِّ، المُتَوَفَّى سنة ٧٤٨هـ = ١٣٤٨م.

تَحْقِيق: عَلِيٌّ مُحَمَّدُ البجاوي.

الناشر: دار المَعْرِفَةِ ببيروت، وهي مُصَوَّرَةٌ على الطَّبْعَةِ الْأُولَى المطبوعة سنة ١٩٦٣م بمِصْرَ.

● النَّافِعُ يَوْمُ الْحِشْرِ. انظر: مِفْتَاحُ الْبَابِ.

● النُّبَأُ الْعَظِيمُ، نظرات جديدة في الْقُرْآن: د. مُحَمَّدُ عبد الله دراز، المُتَوَفَّى سنة ١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م.

الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ، سنة ١٩٧٤م.

- النجوم في مسالكها: الدكتور جيمس جينز.  
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، سنة ١٩٦٢ م.
- نخبة اللآلئ لشرح بدء الأمالي: مُحَمَّد بن سُلَيْمَان الحَلْبِي الحَنَفِي الرِّحَاوِي، المُتَوَفَى سنة ١٢٢٨ هـ.  
وبدء الأمالي، منظومة لسراج الدِّين أَبِي الحَسَن عَلِي بن عُثْمَانَ الأَوْشِي الفَرْعَانِي، المُتَوَفَى سنة ٥٦٩ هـ= ١١٧٣ م (أُرْخَتْ وفاته هُكَذَا في مُعْجَم المُؤَلِّفِينَ ج ٢ ص ٤٧٥). وفي الأعلام للزركلي: بعد سنة ٥٦٩ هـ. وكتب الناشر في آخر الكتاب أنه توفي سنة ٥٧٥ هـ= ١١٨٠ م).
- مكتبة الحقيقة بإستانبول، تُرْكِيَا، سنة ١٤١٢ هـ= ١٩٩١ م.
- نداء الروح: د. فاضل صالح السامرائي.  
المطبعة الإسلامية، بَغْدَاد، سنة ١٣٧٨ هـ= ١٩٥٨ م.
- نُزْهَةُ الخاطر العاطر: عبد القادر بن أَحْمَد بن مُصْطَفَى، المعروف بابن بَدْرَانَ الدُّومِي الدَّمَشْقِي، انتهى من تأليفه سنة ١٣٤١ هـ. وهو شرح رَوْضَةِ النَّاطِر وَجَنَّةِ الْمُنَاطِر، في أَصُولِ الفَقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الإِمَامِ أَحْمَد بن حَنْبَلٍ، لِمُؤَقِّ الدِّينِ أَبِي مُحَمَّد عبد الله بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن قُدَامَةَ المَقْدِسِي الدَّمَشْقِي الصَّالِحِي، المُتَوَفَى سنة ٦٢٠ هـ.
- الطبعة الثانية، مكتبة المعارف بالرياض، المملكة العربية السعودية، سنة ١٤٠٤ هـ= ١٩٨٤ م، وهي طبعة مُصَوَّرَة.
- نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، المُتَوَفَى سنة ١٠٦٩ هـ= ١٦٥٩ م، أتم الكتاب سنة ١٠٥٨ هـ.
- والشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، المُتَوَفَى ٥٤٤ هـ= ١١٤٩ م.
- وبهامشه: شرح الشفا، لِعَلِيِّ القَارِي بن سُلْطَان مُحَمَّد الهَرَوِي الحَنَفِي، المُتَوَفَى سنة ١٠١٤ هـ= ١٦٠٦ م، أتمه سنة ١٠١١ هـ.
- الناشر: دار الفكر ببيروت، وهي طبعة مُصَوَّرَة عَلَى المطبوعة الأزهرية المصرية، التي تم طبعتها سنة ١٣٢٧ هـ.

● نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الدكتور عليّ سامي النشار، المتوفى سنة ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

الطبعة التاسعة ج ١، ٣، والطبعة الثامنة ج ٢، دار المعارف بمصر.

● نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي: أحمد الريسوني.

الطبعة الرابعة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سنة ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.

● نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريديّة والأشعرية في العقائد: العلامة عبد الرحيم بن عليّ بن المؤيد الأماسي الرؤمي الحنفي، الشهير بشيخ زاده، المتوفى سنة ٩٤٤هـ = ١٥٣٧م.

الطبعة الأولى، المطبعة الأدبية بمصر، سنة ١٣١٧هـ.

● نهاية الإقدام في علم الكلام: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الشافعي، المتوفى سنة ٥٤٨هـ = ١١٥٣م.  
صححة: الفرد جيوم.

مكتبة الثقافة الدينيّة بالقاهرة، وهي طبعة مصوّرة.

● النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير، المتوفى سنة ٦٠٦هـ = ١٢١٠م.

تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، المتوفى سنة ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م، ومحمود محمد الطناحي، المتوفى سنة ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

الناشر: المكتبة الإسلاميّة، وهي طبعة مصوّرة على الطبعة المصريّة التي طبعت سنة ١٩٦٥م.

● النور: عثمان بن أبي عبد الله الأصم.

وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر، سنة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

- نور الإسلام: الشيخ عبد الكريم محمد المدرس، المتوفى سنة ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.  
الدار العربية للطباعة ببغداد، سنة ١٩٧٨م.
- هداية الحيارى من اليهود والنصارى: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعيّ الدمشقيّ، المشهور بابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ=١٣٥٠م.  
مطبوع بهامش كتاب (الفارق).
- هداية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين: إسماعيل باشا ابن محمد أمين بن مير سليم الباباني أصلاً والبغداديّ مولداً ومسكناً، المتوفى سنة ١٣٣٩هـ=١٩٢٠م.  
طبع بعناية: محمد شرف الدين يالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي.
- منشورات مكتبة المثنى ببغداد، وهي الطبعة المصورة على طبعة إستانبول، سنة ١٩٥١م.
- الوجيز في أصول الفقه: الدكتور عبد الكريم زيدان.  
الطبعة الثالثة، مطبعة سلمان الأعظمي ببغداد، سنة ١٩٦٧م.
- الوحي المحمديّ: السيّد محمد رشيد رضا، المتوفى سنة ١٣٥٣هـ=١٩٣٥م.  
الطبعة السادسة، شركة الطباعة الفنية بالقاهرة، سنة ١٩٦٠م.
- وسائل الشيعة. انظر: تفصيل وسائل الشيعة.
- الوسيلة في شرح الفضيلة: الشيخ عبد الكريم محمد المدرس، المتوفى سنة ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.  
والفضيلة، منظومة في أصول الدين نظمها عبد الرحيم المولوي، وعدد أبياتها ٢٠٣١ بيتاً.
- الطبعة الأولى، مطبعة الإرشاد ببغداد، سنة ١٩٧٢م.
- وفيات الأعيان وأنباء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلّكان، المتوفى سنة ٦٨١هـ=١٢٨٢م.
- تحقيق: د. إحسان عباس، المتوفى سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.  
دار صادر بيروت، سنة ١٩٧٧م.

● اليهودية: د. أحمد شلبي.

الطبعة الثالثة، مطبعة السنة المحمدية، مصر، سنة ١٩٧٣ م.

● اليوافيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشَّعراني،  
المتوفى سنة ٩٧٣هـ=١٥٦٥م.

مصر، سنة ١٩٥٩ م.

● يوم القيامة: عبد الرزاق نوفل، المتوفى سنة ١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.

دار الشعب، القاهرة، سنة ١٩٦٩ م.

## فهرست الموضوعات

٥	مقدمة الطبعة الخامسة
٦	مقدمة الطبعة الثانية
٧	مقدمة الطبعة الأولى

## الفصل الأول: المدخل إلى العقيدة الإسلامية

## المبحث الأول: العقيدة الإسلامية وأدلة إثباتها: ١٣

١٤	واضطلاحاً	١٣	تعريف العقيدة الإسلامية لغة
١٥	علم العقائد أساس العلوم الشرعية	١٤	أساء علم العقائد
٢١	خصائص العقيدة الإسلامية	١٦	أهمية العقيدة الإسلامية
٢٤	إثبات العقيدة بخبر الواحد	٢٣	أدلة إثبات العقيدة الإسلامية
		٢٨	القطعي والظني من النصوص

## المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في عرض العقيدة الإسلامية ٣٠

## المبحث الثالث: حالة العقائد زمن الرسول محمد ﷺ وبعده ٣٥

## الفصل الثاني: المذاهب الإسلامية

## المبحث الأول: تفسير نشأة المذاهب الإسلامية ٤٣

## حديث افتراق الأمة ٤٥

## المبحث الثاني: أهم المذاهب الإسلامية في العقائد ٥٤

٥٧	آراؤهم	٥٤	الخوارج: أسماؤهم
٦٤	الإباضية: رؤساؤهم	٥٨	فرقهم
٦٧	من آرائهم	٦٤	انفصاؤهم عن الخوارج
		٦٨	عبادة الخوارج

٧٤	أولاً: الغلاة وآراؤهم	٧٢	الشيعة: فرق الشيعة:
٨٣	فرق الزيدية	٨٢	ثانياً: الزيدية
٨٧	ثالثاً: الإمامية	٨٥	آراء الزيدية
٩٣	عقائد الإسماعيلية	٨٨	أشهر فرق الإمامية: الإسماعيلية
		١٠٠	الإمامية الاثنا عشرية وآراؤهم
١٠٥	نشأة المرجئة	١٠٤	المرجئة: معنى الإرجاء
١١١	آراؤهم	١٠٨	فرقهم
١١٦	سبب تسمية القدرية	١١٥	القدرية: مصدر آرائهم
١٢١	آثارهم	١١٧	رجال القدرية
		١٢٢	آراؤهم
١٢٦	آراء الجعد بن درهم		الجبرية: معنى الجبر وأشهر رجال
		١٢٥	الجبرية
		١٣٠	آراء الجبرية
	أصول المعتزلة الخمسة: الأصل الأول: التوحيد، ما بني عليه: نفي الصفات، واستحالة الرؤية	١٣٧	المعتزلة: تسميتهم
١٤٠	بناءً على هذا الأصل تكلموا في: وجوب تعليل أفعال الله تعالى	١٤١	الأصل الثاني: العدل ومعناه
١٤٥	خلق أفعال العباد	١٤٧	التحسين والتقبيح العقلين
١٥٠	وجوب الصلاح والأصلح	١٥٢	وجوب اللطف الإلهي
١٥٣	الأصل الثالث: الوعد والوعيد ومعناه	١٥٥	وجوب بعثة الرسل على الله تعالى
١٥٦	الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين	١٥٧	بنوا عليه إنكار الشفاعة
١٦٠			

- اختلاف الفرق الإسلامية فيها ١٦١ الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٦٣
- فرق المعتزلة ١٦٦
- الأشاعرة: شيخ المذهب وولادته ١٧١ من شيوخه ١٦٩ ووفاته ١٧٤
- مناظرة الأشعرى مع شيخه الجبائي ١٧٤ مذهب الأشعرى الكلامي ١٧٧
- مذهبه الفقهي ١٧٨ تصانيفه ١٨٠
- علمه ١٨١ عيشته ١٨٢
- عبادته، آراؤه ١٨٣ موقفه من التأويل ١٨٨
- أعيان مذهبه ١٩٣
- الماتريدية: شيخ المذهب ١٩٥ من شيوخه ١٩٦
- من تلاميذه، مصنفاته ١٩٧ ثناء العلماء عليه ٢٠٠
- وفاته ٢٠١ مذهب مذهب الإمام أبي حنيفة ٢٠٢
- أهل السنة والجماعة ٢٠٢ الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية ٢٠٣
- آراء الإمام أبي منصور الماتريدي ٢٠٥
- السلفية: معنى السلف ٢١٠ آراؤهم، تقسيمهم التوحيد: توحيد الربوبية ٢١٣
- توحيد الألوهية وما رتبوه عليه: منع التقرب إلى الله سبحانه بالصالحين والأولياء ٢١٩
- رد العلماء على ابن تيمية ٢٢٠ منع زيارة قبور الصالحين والأنبياء للتيمن، والرد عليه ٢٢٣
- توحيد الأسماء والصفات ٢٢٤



٢٢٦	المَبْحَثُ الثالث: أُصُولُ الدِّينِ عِنْدَ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ
٢٣١	أُصُولُ الدِّينِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ٢٢٦
	عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ ٢٣٣
٢٣٥	الأَصْلُ الدِّينِيّ والأَصْلُ الْمَذْهَبِيّ ٢٣٤
٢٣٨	أُصُولُ الدِّينِ الَّتِي اخْتَلَفُوا فِيهَا ٢٣٥
	أُصُولُ الدِّينِ الَّتِي أَجْمَعُوا عَلَيْهَا ٢٣٥
	خُلَاصَةُ الْقَوْلِ فِي تِلْكَ الْأُصُولِ ٢٣٨

### الفصل الثالث: حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ وَأَهْمِيَّتُهُ فِي الْحَيَاةِ

٢٤١	المَبْحَثُ الأول: حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ
٢٤٢	الإِيمَانُ لُغَةً ٢٤١
٢٥٥	الْخُلَاصَةُ ٢٥٣
٢٦٢	وَجْوهُ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ ٢٥٧
	الْإِحْسَانُ ٢٦٧
	وَاضْطِلَاحًا ٢٤٢
	زِيَادَةُ الْإِيمَانِ وَنَقْصَانُهُ ٢٥٥
	الْإِسْلَامُ، الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ ٢٦٢

### المَبْحَثُ الثاني: أَهْمِيَّةُ الْإِيمَانِ فِي الْحَيَاةِ

٢٧١

### الفصل الرابع: الإِلَهِيَّاتُ

٢٧٧	المَبْحَثُ الأول: وجودُ اللهِ تعالى وأدلتُهُ: ٢٧٧
	وجودُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ٢٧٧
٢٧٨	أَدِلَّةُ وجودِ اللهِ تعالى: الدَّلِيلُ الأول: ٢٧٧
٢٨١	حدوثُ الجَوَاهِرِ والأَعْرَاضِ ٢٧٩
٢٨٤	الدَّلِيلُ الثاني: دَلِيلُ الْوُجُوبِ، أَقْسَامُ الْحُكْمِ ٢٨٢
	وَالْحُكْمُ الْعَقْلِيّ ٢٨٢
	معْنَى التَّسْلُسِ ودَلِيلُ بَطْلَانِهِ ٢٨٥
٢٨٨	الدَّلِيلُ الثالث: دَلِيلُ الْعِنَايَةِ والِاخْتِرَاعِ ٢٨٩
٢٩٠	معْنَى (الْبُرْهَانِ الْعِلْمِيِّ) ٢٨٩
	دَلِيلُ الْعِنَايَةِ ٢٨٩
	دَلِيلُ الْإِحْتِرَاعِ ٢٩٠

٢٩٨	الدليل الرابع: الدليل الوجودي	٢٩٢	شواهد علمية على هذا الدليل
	المصادفة وردّ العلماء على من يقول	٢٩٨	الدليل الخامس: الدليل الأخلاقي
٢٩٩	بحدوث العالم صدفة		
٣٠٧	خداع الحواس	٣٠٦	لا محل للإلحاد في ذهن المتفتح
٣١٠	العلم داعية الإيمان	٣٠٨	سبب الإلحاد

## ٣١٣

## المَبْحَثُ الثاني: الأسماء الحُسْنَى:

٣١٤	المُرَاد بالأسماء		ورود اللفظ في القرآن الكريم، سبب نُزُول الآية ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ - الأعراف ١٨٠، معنى الدعاء الوارد في قوله تعالى ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ - الإسراء ١١٠
		٣١٣	
٣١٦	أقسام أسماء الله تعالى	٣١٥	المُرَاد بالحُسْنَى
	اختلاف العلماء في العدد الوارد بالحديث	٣١٨	عدد أسماء الله تعالى
٣٢١			
٣٢٣	التوقيف في أسماء الله تعالى	٣٢٢	معنى أحصاها
٣٢٩	معاني بعض أسماء الله الحُسْنَى	٣٢٧	معنى الإلحاد في أسمائه تعالى

## ٣٣٨

## المَبْحَثُ الثالث: الصفات الإلهية، وما يترتب عليها

			أولاً: ما يجب في حقه تعالى من الصفات ٣٣٩
		٣٣٩	١- الصفة النفسية (الوجود)
٣٤٢	الْقَدَم، تصور صفة الْقَدَم	٣٤١	٢- الصفات السلبية
٣٤٥	المخالفة للحوادث	٣٤٤	الْبَقَاء
	النصوص الموهمة للمشابهة ومذاهب العلماء فيها: التوقف	٣٤٧	نفي المماثلة يفيد أموراً عديدة
٣٥٣			
٣٥٥	التأويل	٣٥٤	التوغل في التشبيه

٣٦٤	تصور عدم تحيزه في مكان	٣٦٢	القيام بالنفس
٣٦٦	أدلة نفي الكموم الخمسة	٣٦٤	الوحدانية
٣٧٢	النزاع في صفات المعاني	٣٧١	٣- صفات المعاني
	تاريخ المشكلة، صفات المعاني	٣٧٨	سبب ظهور المشكلة
٣٧٩	وتعلقاتها		
٣٨١	تعلق القدرة	٣٨٠	صفة القدرة
٣٨٤	تعلق الإرادة	٣٨٣	الإرادة
٣٨٩	السمع والبصر	٣٨٥	الإرادة لا تستلزم الرضا
٣٩٢	العلم	٣٩١	تعلق السمع والبصر
٣٩٤	الكلام	٣٩٣	تعلق العلم
	المُعْتَزِلَةُ وَالشَّيْعَةُ الْإِمَامِيَّةُ وَالزَّيْدِيَّةُ		اختلاف المتكلمين في كلامه تعالى: الْأَشَاعِرَةُ
٣٩٧	وَالْإِبَاضِيَّةُ	٣٩٥	وَالْمَأْثُرِيَّةُ
٤٠٢	مبتدعة الحنابلة، والكرامية		أساس الخلاف بين الْمُعْتَزِلَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ
		٤٠٠	في مسألة الكلام
٤٠٣	الحياة	٤٠٣	تعلق صفة الكلام
		٤٠٤	تعلق صفة الحياة
		٤٠٥	ثانياً: ما يستحيل في حقه تعالى
	رؤية الله تعالى من قبل المؤمنين في	٤٠٥	ثالثاً: ما يجوز في حقه تعالى
٤٠٧	الآخرة		
		٤١٥	رؤية الله تعالى في الدنيا
	الإيمان بالقضاء والقدر وعلاقته	٤١٦	القضاء والقدر
٤١٧	بالجبر		
٤١٩	ظهور مسألة القضاء والقدر		الأخذ بالأسباب والإيمان بالقضاء
		٤١٨	والقدر

٤٢١	المُعْتَرِلة	مَذَاهِبُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، الأفعال الاضطرارية والاختيارية، آراء المتكلمين: الجبرية
٤٢٦	الإمامية	٤٢٣ الأشاعرة والكسب
٤٢٧	أستلة وأجوبتها	٤٢٧ ابن رشد

### الفصل الخامس: النبويات

٤٣٧	المُبَحِّثُ الأول: حاجة الإنسان إلى النبوة:	
٤٣٩	مناقشة منكري النبوات	٤٣٧ مُنْكَرُوا النَّبُوَّةَ فَرِيقَانِ
٤٤٤	المُبَحِّثُ الثاني: النبوة العامة:	
٤٤٥	في الاصطلاح	٤٤٤ النَّبِيُّ وَالرَّسُولُ فِي اللُّغَةِ
٤٤٨	طريق إثبات النبوة	٤٤٧ حُكْمُ إِرسَالِ الرِّسْلِ
٤٤٩	بشرية الرسل والأنبياء	٤٤٩ النَّبُوَّةُ اصْطِفَاءً وَاخْتِيَارًا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
٤٥٣	عدد الأنبياء	٤٥١ فَوَائِدُ وَقُوعِ الْأَعْرَاضِ الْبَشَرِيَّةِ بِالْأَنْبِيَاءِ
٤٥٥	وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل	٤٥٤ مَهْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَبِعَثَّتْهُمْ إِلَى أُمَمِ الْعَالَمِ جَمِيعًا
٤٥٦	القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى	٤٥٦ تَكْذِيبُ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ تَنْقِصُهُمْ كَفَرٌ
٤٥٩	الصفة الأولى: العصمة	٤٥٨ صِفَاتُ الرِّسْلِ وَالْأَنْبِيَاءِ:
٤٦١	من الكذب	٤٦٠ الْعِصْمَةُ مِنَ الْكِبَائِرِ: مِنَ الْكُفْرِ
٤٦٤	العصمة من الصغائر	٤٦٣ مِنَ الْكِبَائِرِ الْآخَرَى
٤٦٧	القول في ما نقل عن الأنبياء مما يشعر بمعصية	٤٦٦ أَدِلَّةُ عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ
٤٧٢	الصفة الثانية: التبليغ	٤٧٢ حِكْمَةُ تَسْجِيلِ زَلَةِ الْأَنْبِيَاءِ

٤٧٥	الصفة الرابعة: الذكورة	٤٧٤	الصفة الثالثة: الفطانة
٤٧٩	الوحي: في أصل اللغة	٤٧٧	الصفة الخامسة: السلامة من النقائص
٤٨١	أنواع الوحي	٤٨٠	في الاصطلاح
٤٨٤	كيفية الوحي ونزوله على النبي ﷺ	٤٨٢	أساليب نزول جبريل عليه السلام على رسول الله محمد ﷺ
٤٩٩	شبهات حول الوحي:	٤٨٦	الوحي أمر خارج عن النفس وأدلة ذلك والرد على أقوال المستشرقين
٥٠١	أو أخيلة الشاعر	٥٠٠	كونه من قبيل رؤى النائم أو افتراءات الكاذب
٥٠٢	احتقان الوجه من أعراض التشنج	٥٠٢	أو أقاويل المجنون
٥٠٧	احتجاجهم بسولون اليوناني	٥٠٣	شبهة استمداده من بحيرا وورقة بن نوفل والقيّن الرّوميّ
٥٠٩	شروطها	٥٠٨	المُعْجِزَة
٥١٥	مُعْجِزَة الرَّسُول دليل صدقه	٥١٠	الكَرَامَة
٥١٧	حكم الايمان بالمُعْجِزَة	٥١٦	مُعْجِزَة كل نبي من جنس ما اشتهر أهل زمانه به
		٥١٧	شبهة وردّ

### المَبْحَثُ الثالث: النُّبُوَّةُ الْخَاصَّةُ: نُبُوَّةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ: ٥١٩

٥١٩	معجزات الرسول محمد ﷺ	٥١٩	إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ
٥٢٠	نوعان: الأول: كمعجزات الأنبياء السابقين قصيرة الأمد	٥٢٢	النوع الثاني: خالد خلود الدهر وهو القرآن الكريم
٥٢٣	القرآن الكريم لغة واصطلاحاً		

٥٢٣	إعجاز القرآن الكريم	٥٢٣	تحقق شروط الإعجاز في القرآن الكريم
٥٢٦	وجوه إعجاز القرآن الكريم	٥٢٦	فصاحة ألفاظه وبلاغته وعجيب نظمه
٥٢٩	أسلوب القرآن الكريم	٥٢٩	خصائص أسلوبه
٥٣٩	تأثيره وسلطانه على القلوب وأخذه بمجامع الأفئدة	٥٣٩	إخباره بوقائع غيبية لا يعلمها إلا الله في الماضي أو الحاضر أو المستقبل
٥٥٢	حقائقه العلمية التي جاء العلم الحديث يؤكدها	٥٥٥	شبهة ورد
٥٥٥	معانيه وأحكامه وانعدام الاختلاف فيه	٥٥٨	القرآن الكريم خالد خلود الدهر
٥٥٨	الإعجاز بالصرفة	٥٥٨	الشواهد الأخرى على نبوته ﷺ: ما اجتمع فيه من السمائل والأوصاف
٥٦٣	شمول شريعته، محتويات القرآن الكريم	٥٦٣	انتشار دعوته في الآفاق مع فقره وقلة أنصاره
٥٦٤	ظهوره على فترة من الرسل	٥٦٤	البشارات الواردة في الكتب السماوية السابقة: الزبور والتوراة والإنجيل
٥٧٢	إنجيل برنابا	٥٧٢	تاريخه
٥٧٦	من البشارات التصريح باسم محمد ﷺ	٥٧٦	كتاب إظهار الحق وسبب تأليفه
٥٧٩	رسالته ﷺ خاتمة الشرائع	٥٨٠	شرع من قبلنا
٥٨١	سبب ختم الإسلام الرسالات السابقة	٥٨١	عموم رسالته ﷺ
٥٨٣	محمد ﷺ أرفع الأنبياء منزلة	٥٨٥	شفاعة محمد ﷺ
٥٨٧	أنواع الشفاعة المثبتة	٥٩٠	شفاعة غيره ﷺ
٥٩٢	حكمة الشفاعة	٥٩٢	أصول دعوته ﷺ
٥٩٥	واجبنا نحوه ﷺ		

## الفصل السادس: اليوم الآخر

مُقَدِّمَةٌ

٥٩٩

٦٠٠ المَبْحَثُ الأول: دليل اليوم الآخر والحاجة إلى الإيمان به:

٦٠٠	الدليل الأول: إمكان اليوم الآخر	٦٠٠	الدليل الثاني: البحوث المؤيِّدة لليوم الآخر، البَحْثُ النفسي
٦٠١		٦٠٢	الشهادة التجريبية
٦٠٢	البحوث الروحية	٦٠٢	الحاجة إلى الإيمان باليوم الآخر،
٦٠٣	غَايَةُ الإيمان باليوم الآخر	٦٠٣	الجانب النفسي
٦٠٤	الجانب الأخلاقي	٦٠٤	السُّلُوكُ
٦٠٥	الضرورة الكونية	٦٠٥	

٦٠٧ المَبْحَثُ الثاني: اليوم الآخر عند غير المسلمين:

٦٠٧	في حَصَاةِ وادي الرافدين	٦٠٧	عند المَصْرِيِّينَ القدماء
٦١٣	في الديانة الزَّرَادَشْتِيَّة	٦١٤	عند الإغريق القدماء
٦١٦	عند الرُّومَانِ	٦١٦	عند الهِنْدُوسِ
٦١٧	عند الصَّابِئَةِ	٦١٨	عند اليَهُودِ
٦١٩	عند النَّصَارَى		

٦٢١ المَبْحَثُ الثالث: اليوم الآخر في الإسلام:

٦٢١	معناه، تسميته، حكم الإيمان باليوم الآخر	٦٢١	طريق ثُبُوتِهِ
٦٢٢	طريق فهم الغيبات واعتقادها	٦٢٢	الإيمان باليوم الآخر هو نتيجة الإيمان بالله
٦٢٣		٦٢٣	
٦٢٤	الحياة الأخرى: انقطاع العمل بالموت	٦٢٤	سوء الخاتمة والأعمال بالخواتيم
٦٢٦	التوبة، شروط التوبة	٦٢٨	الموت: تعريفه
٦٢٩	ما يتبع الميت إلى قبره	٦٢٩	تمني الموت: النهي عن تمني الموت
		٦٣٠	والدعاء به لضرر

جواز تمنى الموت والدعاء به خوف ذهاب الدين	٦٣١	البرزخ: تعريفه لُغَةً وَاصْطِلَاحاً	٦٣٣
القبر أول منازل الآخرة: معنى القبر	٦٣٣	سؤال القبر وأدلة ثبوته	٦٣٣
حكم الإيمان به	٦٣٤	عذاب القبر، تصور عذاب القبر ونعيمه	٦٣٥
دخول المَلَك القبور	٦٣٦	القبر رَوْضَةٌ من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار	٦٣٦
حكم الإيمان بعذاب القبر	٦٣٧	البعث (المعاد الجسماني) والنشور: تعريفه، الاختلاف فيه وحكم الإيمان به	٦٤٠
كيفية المعاد	٦٤٢	أدلة وقوعه	٦٤٢
الساعة: تعريف يوم الساعة، أسماؤه، الساعة لا ريب فيها	٦٤٧	علم الساعة عند الله	٦٤٩
مجيء الساعة بغتة	٦٥٠	يوم تقوم الساعة لا يقبل إيمان من كافر ولا معذرة	٦٥٠
من أنكر الساعة فهو معتد أثيم	٦٥١	أشراط الساعة	٦٥١
أهوال الساعة	٦٥٣		
الصور: تعريفه	٦٥٥	عدد النفخات فيه	٦٥٦
الحشر: تعريفه وأدلته	٦٥٨	حكم الإيمان به	٦٦٠
العرض والحساب: العرض	٦٦٠	الحساب	٦٦٢
ما يسأل عنه، شهادة الجوارح عليه	٦٦٣	الحكمة من الحساب	٦٦٤
أنواع الحساب، حكم الإيمان به	٦٦٤		



٦٦٦	من يطرد عن الخوض	٦٦٥	الخوض: أدلته ووصفه
		٦٦٧	حكم الإيِّان به
٦٦٩	الموزون		المِيزَان: تعريف الوزن والمِيزَان،
		٦٦٨	محله، أدلته
٦٧٢	كيفية الوزن، لمن يكون الوزن	٦٧٢	الحكمة من المِيزَان
		٦٧٣	حكم الإيِّان به
٦٧٥	وصفه	٦٧٤	الصراط: تعريفه وأدلته
	الحكمة من المرور على الصراط،	٦٧٦	الصراط صراطان
٦٧٧	حكم الإيِّان به		
٦٧٩	النار: أهل النار	٦٧٨	الجنة والنار:
٦٩٢	الجنة: أهل الجنة		أوصاف النار وحال أهلها في القرآن
		٦٨٢	الكَرِيم
			وصف الجنة وحال أهلها في القرآن
		٦٩٥	الكَرِيم

### الفصل السَّابع: الكُفر والتَّكْفِير وجَزَاءُ الْمُرْتَدِّ

٧٠٩	المَبْحَثُ الأول: معنى الكُفر وأنواعه
٧١٥	أنواع الكفر
	رأس درجات الكفر
٧١٧	المَبْحَثُ الثاني: حُكْمُ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ
	الشهادة على كفر شخص معين
٧٢٣	نصوص من القرآن والسُّنَّة سَمَّتْ بعض الذنوب كفراً
٧٢٧	المَبْحَثُ الثالث: جزاء المُرْتَدِّ
٧٢٩	فَهْرِسْتُ الْمَصَادِرِ
٨٠٢	فَهْرِسْتُ الْمَوْضُوعَاتِ

## الأثار المطبوعة للمؤلف

### الكتب:

- ١- الاحتكار وأثاره في الفقه الإسلامي. الطبعة الأولى بمطبعة الأمة ببغداد سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م. والطبعة الثانية بدار الرشيد بالرياض سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م. والطبعة الثالثة بدار الفرقان بعمّان - الأردن سنة ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م. والطبعة الرابعة بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.
- ٢- الشورى بين النظرية والتطبيق. الطبعة الأولى بمطبعة الأمة ببغداد سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م.
- ٣- صفوة الأحكام من ثل الأوطار وسبل السلام. الطبعة الأولى بمطبعة دار السلام ببغداد سنة ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م. والطبعة الثانية بمطبعة الإزهد ببغداد سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية - جامعة بغداد - كلية الشريعة. والطبعة الثالثة بدار الفرقان بعمّان - الأردن سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٩م. والطبعة الرابعة بدار الفرقان بعمّان - الأردن سنة ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م. والطبعة الخامسة بدار الفرقان بعمّان - الأردن سنة ١٤٢٨هـ=٢٠٠٨م. والطبعة السادسة بدار الفرقان بعمّان - الأردن سنة ١٤٣٣هـ=٢٠١٢م. والطبعة السابعة بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٤هـ=٢٠١٣م.
- ٤- الكمال بن الهمام. (المؤلف سنة ١٤٦١هـ=١٤٥٧م)، وتحقيق وسالته: إعراب قوله ﷺ: كلمان خفيقتان على اللسان... الطبعة الأولى بمطبعة جامعة بغداد سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م. والطبعة الثانية بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.
- ٥- الإفتراح في بيان الاضطلاح وما أضيف إلى ذلك من الأحاديث المصنوعة من الصحاح: تقي الدين محمد بن علي، ابن دقيق العيد، المؤلف سنة ٧٠٢هـ=١٣٠٢م، دراسة وتحقيق. الطبعة الأولى بمطبعة الإزهد ببغداد سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م، ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية - إحياء التراث الإسلامي. والطبعة الثانية بدار العلوم بعمّان - الأردن سنة ١٤٢٧هـ=٢٠٠٧م.
- ٦- القرآن الكريم كلمات ومعاني (ج ٢٧-٢٨). الطبعة الأولى بمطبعة الخلود ببغداد سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، ووزارة التربية العراقية.
- ٧- عقد التحكيم في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي. الطبعة الأولى بمطبعة الخلود ببغداد سنة ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، ووزارة الأوقاف والشؤون الدينية العراقية - إحياء التراث الإسلامي، سلسلة الكتب الحديثة. والطبعة الثانية بدار الفرقان بعمّان - الأردن سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.
- ٨- الحركات الهدامة في الإسلام - التراثية، البابكية. الطبعة الأولى بمطابع دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م، ووزارة الثقافة والإعلام العراقية.
- ٩- التحدي في آيات الإعجاز. الطبعة الأولى بدار النشور بعمّان - الأردن سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٧م، ونشر أصله في مجلة جامعة الأير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر - العدد الرابع سنة ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.
- ١٠- أمية الرسول محمد ﷺ. الطبعة الأولى بدار النشور بعمّان - الأردن سنة ١٤١٧هـ=١٩٩٦م، ونشر أصله في مجلة جامعة الأير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر - العدد الخامس سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.
- ١١- العقيدة الإسلامية وذلها. الطبعة الأولى بدار العلوم بعمّان - الأردن سنة ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م. والطبعة الثانية بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م. والطبعة الثالثة بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٣هـ=٢٠١٢م. والطبعة الرابعة بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٤هـ=٢٠١٣م. والطبعة الخامسة بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٥هـ=٢٠١٤م. والطبعة السادسة بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت، وهي هذه الطبعة.
- ١٢- البحث الفقهي ومصادره. الطبعة الأولى، عماد الدين للنشر والتوزيع بعمّان - الأردن سنة ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م. والطبعة الثانية، عماد الدين للنشر والتوزيع بعمّان - الأردن سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م. والطبعة الثالثة بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٤هـ=٢٠١٢م.
- ١٣- مناهج الفقهاء في استنباط الأحكام. الطبعة الأولى بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٢هـ=٢٠١١م.
- ١٤- مناهج الفقهاء في استنباط الأحكام وأسباب اختلافهم. الطبعة الأولى بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م.

### الكتب بالاشتراك مع آخرين:

أ- لوزارة التعليم العالي العراقية:

- ١- المدخل إلى الدين الإسلامي. بالاشتراك مع الدكتور مثير حويد البناي. الطبعة الأولى بدار الحرية للطباعة ببغداد سنة ١٣٩٦هـ=١٩٧٦م.
- ٢- أصول الدين الإسلامي. بالاشتراك مع الدكتور رشدي عليان. الطبعة الأولى بدار الحرية للطباعة ببغداد سنة ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م. والطبعة الثانية بمطبعة جامعة بغداد ببغداد سنة ١٤٠١هـ=١٩٨١م. والطبعة الثالثة بمطبعة الإزهد ببغداد سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م. والطبعة الرابعة بمطابع دار الحكمة ببغداد سنة ١٤١١هـ=١٩٩٠م، وهذه الطبعتان الثانية والثالثة والرابعة نشرها وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية - جامعة بغداد. والطبعة الخامسة بدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بعمّان - الأردن سنة ١٤١٦هـ=١٩٩٦م. والطبعة السادسة بدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بعمّان - الأردن سنة ١٤٢٢هـ=٢٠٠٢م.
- ٣- قواعد التلاوة. بالاشتراك مع الدكتور قرع توفيق الوليد. الطبعة الأولى بمطبعة جامعة بغداد سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م. والطبعة الثانية ببغداد. والطبعة الثالثة بمطبعة وزارة التعليم العالي ببغداد سنة ١٤١١هـ=١٩٩١م.

- ٤- علّوم القرآن. بالاشتراك مع الدكتور رُشدي عليّان وكاظم فتحي الرّاوي. الطّبعة الأولى بمطابع مؤسّسة دار الكتب بالكوّصل سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- ٥- علّوم الحديث ونصوص من الأثر. بالاشتراك مع الدكتور رُشدي عليّان وكاظم فتحي الرّاوي. الطّبعة الأولى بمطبعة جامعة بغداد سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م. والطبعة الثانية بدار (كتاب - ناشرون) ببيروت سنة ١٤٣٦هـ=٢٠١٥م.
- ٦- التفسير. بالاشتراك مع الدكتور مُحسّن عبد الحويّيد. الطّبعة الأولى بدار المعرفة سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- ب- لوزارة التربية العراقية:
- ٦-١ التربية الإسلاميّة (للمدارس الإسلاميّة). ستة كتب، للصفوف: الرابع والخامس والسادس الابتدائي، والأول والثاني والثالث المتوسط، بغداد سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- ٧-١٢ الحديث الشريف وعلّومها (للمدارس الإسلاميّة). ستة كتب، للصفوف: الأول والثاني والثالث المتوسط، والرابع والخامس والسادس الإعدادي، بغداد سنة ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.
- ١٣- التربية الإسلاميّة (للفصاف السادس من المدارس الشّعبية). المجلس الأعلى للحملة الشّاملة لمحو الأميّة الإنشائي، بغداد سنة ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.
- ١٤- علم التوحيد (للمدارس الإسلاميّة). بالاشتراك مع الشيخ جلال الحنفي والدكتور فَرَج توفيق الوليّيد، بغداد سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

### البحوث:

- ١- عقّد التّحكيّم في الفقه الإسلاميّ. نشر في مجلّة كُليّة الدراسات الإسلاميّة - العدد الرابع سنة ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م ببغداد، وطبع ضمن كتاب عقّد التّحكيّم في الفقه الإسلاميّ والقائون الوضعي.
- ٢- التّفسير في الفقه الإسلاميّ. نشر في مجلّة كُليّة الدراسات الإسلاميّة - العدد الخامس سنة ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م ببغداد، وطبع ضمن كتاب الاحتكار وآثاره في الفقه الإسلاميّ.
- ٣- مُحَمَّد عبّله - المصلح الأستاذ. نشر في تسع أعداد من مجلّة الرّسالة الإسلاميّة ببغداد سنة ١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- ٤- مُحَمَّد رشيد رضا. نشر في مجلّة دراسات عربيّة إسلاميّة - العدد الثالث - السنة الثالثة، بغداد سنة ١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، أصدرتها اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجريّ - مطبعة الأوقاف والشؤون الدّينية العراقيّة.
- ٥- الادخار. نشر في مجلّة الرّسالة الإسلاميّة، العدد ١٦٠-١٦١، بغداد سنة ١٩٨٣م.
- ٦- علّوم الحديث الشريف. نشر في كتاب (حضارة العراق) ج ٧ و ج ١١. بغداد سنة ١٩٨٥م، وزارة الإعلام العراقيّة.
- ٧- تألّيف المُحدّثين العراقيّين في خارج البلاد العربيّة. نشر ضمن كتاب (العراق في موكب الحضارة - الأصالة والتأثير) سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، وزارة الإعلام العراقيّة ببغداد.
- ٨- مُصطلح (كُمن). نشر في الموسوعة الفقهية الكويتيّة التي تصدرها وزارة الأوقاف الكويتيّة سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- ٩- مُصطلح (مُقايسة). أعدّ للموسوعة الفقهية الكويتيّة أيضاً سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- ١٠- الحركات الهدّامة في الإسلام. نشر ضمن بحوث ندوة (التّصوّف حركة هدميّة)، من منشورات كُليّة الشريعة بجامعة بغداد، مطبعة الإزّشاد ببغداد سنة ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، وطبع ضمن كتاب الحركات الهدّامة في الإسلام - الرّأويّ، الدّينية، الباتنيّة.
- ١١- التّطرف الدّينيّ. نشر ضمن بحوث ندوة (التّطرف الدّينيّ) من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدّينية ببغداد سنة ١٩٨٦م، لكُليّة الشريعة بجامعة بغداد.
- ١٢- الإسلام والإرهاب. نشر ضمن بحوث ندوة (الدّين والإرهاب) من منشورات منظمة المؤتمر الإسلاميّ الشّعبيّ، مطبعة الرّشاد ببغداد سنة ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- ١٣- الحركة الباطنيّة - الوسائل والغايات. نشر ضمن بحوث ندوة (الحركة الباطنيّة ودورها التخريبي في الفكر العربيّ الإسلاميّ) من منشورات كُليّة الشريعة بجامعة بغداد، بغداد سنة ١٤٠٩هـ=١٩٨٩م.
- ١٤- البّحث الفقهيّ. نشر في مجلّة جامعة الأيّبر عبد القادر للمعلّوم الإسلاميّة بالجزائر، العدد الخامس سنة ١٤١٤هـ=١٩٩٤م. وطبع ضمن كتاب البّحث الفقهيّ ومصادره.
- ١٥- الضمير أنا في القرآن الكريم. نشر في مجلّة البيان - جامعة آل البيت بالأزّذ، المجلد الأول - العدد الرابع سنة ١٤١٩هـ=١٩٩٨م.
- ١٦- مفهوم الإيمان عند الفرق الإسلاميّة. نشر ضمن بحوث (المُلتقى العلميّ الأول حول تراث سلطنة عُمان الشقيقة قديماً وحديثاً)، الذي نظّمته وخّذة الدراسات العُمانيّة بجامعة آل البيت، من منشورات جامعة آل البيت - الأزّذ سنة ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.
- ١٧- مُقابله النصوص عند كتّبة الحديث الشريف. نشر في الجزء الثالث من كتاب (تحيّيق التّراث، الرّوى والأفاق)، وهو أوراق المؤتمر الدوليّ لتحيّيق التّراث العربيّ الإسلاميّ المنعقد في جامعة آل البيت، في المدة ٩-١١ من ذي القعدة سنة ١٤٢٥هـ الموافق ٢١-٢٣ من كانون الأول سنة ٢٠٠٤م. إعداد وتحرير: د. مُحَمَّد مُحَمَّد الدروبي. منشورات جامعة آل البيت، المملكة الأردنيّة الهاشميّة، سنة ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.
- ١٨- مفهوم الوحي عند رشيد رضا في كتابه: الوحي المُحمّديّ. وهو من بحوث الندوة العلميّة الموسومة (مُحمّد رشيد رضا، جهوده الإصلاحية ومنهجيه العلميّ)، التي عقّدت في جامعة آل البيت بالأزّذ، سنة ١٤٢٠هـ=١٩٩٩م. ونشر المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ طبعها الأولى سنة ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا  
أَنْ

لِلْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ